

بأنها الحكمة من بناء ودين يؤت
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتذمرون أحسن أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المساجد

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الخميس عمرة محرم الحرام سنة ١٣٢٠ - ١٠ ابريل (نيسان) سنة ١٩٠٢)

﴿ فاتحة السنة الخامسة ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، وصلى الله على سيدنا
محمد وآله وصحبه وسلم ،
وبعد فقد تم للمنار أربع سنين ودخل بهذا الجزء في السنة الخامسة
لم يلبس القراء ان فروع السنين الخالية من شوائبها كانت تكذب بها القلوب
والمبرم ، الى صحائف الأمل والتعلل ، لما أئمناه من ممارسة أضرار الجهل ،
ومناهضة الدين أنوار الذلل ، وما تحملناه من مناصبة الظالمين ، ومفاضبة
المقلدين ، مع المناء الكبير ، وقلة الدون والتصير ، ولو كان هذا المنار
مُنشأ لاجل الكسب ، وابتغاء الرزق ، لقوضته أنواء المناوأة والمناكدة ،
ودكته رياح المماكرة والمكابدة ، ولو قصد به التوصل الى الوظائف
والمناصب ، والتوصل الى الرتب والرواتب ، لنال منها ما أراد ، او نالت

منه ما تريد ، ولو كان الغرض منه الرياء والفخر ، وحسن السمعة والذكر ، لتلاعبت به الأهواء ، وعبثت به أيدي الزعماء والرؤساء ، فأنته عن الطريقة ، وصرفته عن طلب الحقيقة ، كلا والله ما كان شيء من ذلك ولن يكون . « إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب »

صرحت في فائحة السنة الأولى بأني كنت في هذا العمل بين يأس ورجاء يجركني الباعثان ، ويتنازعني الماملان ، وفي خاتمها بان شوغفا الناس سلقونا بالسنة حداد ، ورهونا بسهام الانتقاد ، ولم تكن السنة الثانية بأمثل من الأولى ، ولا بأقل بلاء ، وأكثر قبولا ، وقلت في فائحة السنة الثالثة إن المنار قد انتشرت تلاميجه ولم أقل أنه زاد هو وانتشاراً ، وقلت إن الكتاب والخطباء قد تداولوا مسأله ولم أقل أنهم كانوا أعواناً له وأنصاراً ، بل صرحت بأنهم كانوا « بين مخطف ومصيب ، ومنتقد ومجيب ، وهكذا يكون الأمر في أوله وستجلى الحقيقة للناس إن شاء الله عن قريب » .

وكتبت في فائحة السنة الرابعة أنه « قد نما النمو الطبيعي المقدر له من أول زبانه (أي التدريجي البطيء) ولقي صاحبه من الألف في بعض مآلتي الدين صدوا للإصلاح من قبله وصبر كما صبروا والله مع الصابرين ، ثم إننا كنا نخرج هذه الشكوى بشكر الملاء ، والاعتراف بفضل القضاة ، الذين تقبلوا المنار بأحسن القبول ، ورأوه من يواعث إحياء الأمل وحصول المأمول ، مع الإيماء إلى قلمهم ، والتبرم من عدم مجدهم ،

هذا مجمل تاريخ المنار من أول نشأته إلى سنة الرابعة التي كان آخرها خيراً من أولها ، وخاتمها أفضل من فائحتها ، ولم ينس القراء أننا اعترفنا

فيها بتضاعف قراء النار : وكونه صار موضع الثقة في جميع الأقطار ، ونريد
تحدثنا بالنعمة فنقول : لقد خشعت بفضل الله تعالى أصوات المشاغبين ،
وأعرض الناس عن جهل المعارضين ، نفضت شياطين الوسواس ،
وطاشت سهام أرباب الدسائس ، وصار لنا من مستحسني العمل في السر ،
من يدعو إليه في الجهر ، ومن المتبرمين منه ، من يناضل دونه ويدافع عنه ،
فلنا أن نقول الآن تحدثنا بالنعمة : اننا انتقلنا من مقام الصبر إلى
مقام الشكر . فأما الصبر : فلا بد للداعي إلى الحق من الاعتصام به ولذلك
قرن الله تعالى التواصي بالحق والتواصي بالصبر ، ومن فوائد الصبر الظفر
وحسن الجزاء قال تعالى «وَيَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا
يَعْمَلُونَ» وقال عز وجل «وَجَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً يَهْتَدُونَ بِأَمْرِنَا لِمَا صَبَرُوا وَكَانُوا
بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ» بل وعد سبحانه أهل الصبر ، بمضاعفة الجزاء والأجر ،
فقال «أُولَئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا» وأما الشكر : فقد وعد
الله تعالى صاحبه بالمزيد من النعمة والأمن من العذاب فقال عز شأنه
«وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ»
وقال جل ثناؤه «مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِمَذَابِكُمْ إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ
شَاكِرًا عَلِيمًا» فنسأله تعالى أن يوفقنا للشكر على الآلاء ، كما وفقنا للصبر على
البلاء ، فإن الشكر مقام عزيز لأن من شأن الإنسان أن تبطره النعمة ويشغله
الغرور بها عن الشكر عليها ولذلك قال تعالى «وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرُونَ»
الشكر هو معرفة النعمة للمنعّم تعالى والثناء عليها وصرفها في إقامة
سنته وموافقة حكمته وموجبات محبته . ومن شكر الله شكر من أحسن

العمل من عباده . فقد روى أحمد وأبو داود وابن حبان من حديث
أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : لا يشكر
الله من لا يشكر الناس ، لهذا نشكر لأولئك الأفاضل الذين انتدبوا
للدعوة إلى المنار والسعي في نشره عملهم ، ونعرف لهم فضلهم ، ونشكر
أيضا للمشاركين الكرام الذين يؤدون الحقوق في أوقاتها وفاءهم . ونعترف
بالسبق بالفضل ، لقوم سبقوا بالبذل : فأدوا قيمة الاشتراك عن السنة
الخامسة قبل دخولها حتى إننا لم نقبل ذلك من بعضهم إلا بعد الإلحاح منهم
والإصرار . ونرجو من سائر المشاركين الفضلاء ، أن يبادروا إلى حسن
الأداء ، فإن من يُشكّر له ، خير ممن يصبر عليه ، ونحمد الله تعالى أن
أكثر قراء المنار ، من المصطفين الأخيار ، فمنهم العلماء الفضلاء ، والأمراء
والوزراء ، والقضاة المقسطون ، والمحامون البارعون ، ونظار المدارس
وأساتذتها ، والأذكياء النابغون من تلامذتها ، والتجار الأماناء ، والزراع
الوجهاء ، وأهل الاستقامة من الموظفين ، وذوو الشهامة من الضباط
المصريين ، ونعد الجميع بأننا سنبذل الجهد في زيادة الفوائد ، وتحرير
المسائل ، والبحث عن أقرب الوسائل لهيضة المسلمين ، ومنفعة جميع
الشرقيين ، بل نرجو أن يكون عملنا خدمة للناس أجمعين .
ونسأل الله أن يحفظنا من عثرة القلم ، وزلة القدم ، وأن يلبسنا
السداد ، ويوفقنا للصواب ، وأن ينصر سلطاننا ، وينير بهارتنا ، ويحقق
آمالنا ، ويحسن ماآلنا ، فهو نعم المولى ونعم النصير ، بيده الخير وهو على
كل شيء قدير

صاحب المنار ومحرره

محمد رشيد رضا

﴿ باب الأخبار النبوية وآثار السلف الصالح ﴾

نشر في هذا الباب ما يعرف به المسلمون أصل مدينتهم ومنشأ سعادتهم التي ذهبت بتركه

الانقضاء في الإسلام - النبوة الثانية

وجوب نصب القاضي (الحديث^(١)) قال علي الله عليه وسلم: « لا يحل
 لثلاثة يكونون بفلاة من الأرض إلا أقرروا عليهم أحدهم » وفي رواية:
 « إذا خرج ثلاثة في سفر فأيؤمروا عليهم أحدهم » استدلل العلماء بهذا
 الحديث على أن نصب الأمير الذي يسوس الناس والقاضي الذي يحكم
 بينهم واجب شرعا. لأن هذا أولى بالوجوب من تأمير اثنين وإن كانوا
 أقل الجمع واحداً منهم عابهم والملة ظاهرة والعمل عليها من أول الإسلام.
 وفي الحديث إرشاد إني أن الأمة هي التي تولى الأمراء والحكام كما
 تقدم شرحه في باب الأحاديث الواردة في الأمراء من المجلد الرابع.

«١» رواه أحمد عن عبدالله بن عمرو . والرواية الثانية: أخرجه أبو داود عن

أبي سعيد . وأخرج نحوها البراز بسند صحيح عن عمر بن الخطاب.

موانع القضاء أو شروطه تقدم في الأحاديث السبعة التي أوردناها في النبذة الأولى ما يدل على أن الضميف لا يكون قاضياً وبيننا أنواع الضمف، وأن الجاهل لا يكون قاضياً . كما يؤخذ من حديث قاضي الجنة وقاضي النار وغيره ، وأن الجائر لا يكون قاضياً وأن المرأة لا تكون قاضية وخالف في هذا الشرط الحنفية ولو كان المخالف من علماء هذا المصر لحكم بكفره أكثر المساميين، ورموه بمصانعة الأجانب وتقيد الأوربيين، وكذلك الصبي لا يكون قاضياً ونقل بعضهم الإجماع على هذا ويستدل له بما استدلل به على منع قضاء المرأة وفي هذه الموانع أحاديث أخرى نورد بعضها ^(٩) قال صلى الله تعالى عليه وسلم « استميدوا بالله من رأس السبعين وإمارة الصبيان » والقضاء ضرب من الإمارة ولا تعرف في الناس من تولى الصبيان القضاء ولكنهم يولونهم الإمارة والباطنة بالوراثة وقد نلد المسلمون الأوربيين في هذه الوراثة . فأما أولئك فإنهم آمنون من مضرة ولاية الصبي لأن حكوماتهم مقيدة بقوانين ، ووزراء مسؤولين ومنفذين ، وإنما الحاكم العام ، (كالملك ورئيس الجمهورية) لأجل الوحدة في مصدر الأحكام ، وهو لا يستبددونهم بنقض ولا إبرام . وأما بلاد الشرق فلقد تأصل فيها الاستبداد ورسخت عروقه واعتادت أممها عليه وضعفت عن مقاومته فلو قضت مشون السياسة وتقاب الحوادث على بعضها بوضع قانون يجعل أحكامها مقيدة بالقوانين ؛ التي تغل أيدي الأمراء والسلاطين ، لما وجد من الأمة كافل يضمن تنفيذ القانون ولا استبداد الحاكم الأكبر كيف شاء أو بجد قوة أجنبية تأخذ على يده . وتوقفه عند حذره . ولهذا المعنى كانت

تولية الصبي الملك خطراً في الشرق ومثله المرأة . وأما رأس السبعين في الحديث فقالوا إنه أنباء ما وقع في عشر السبعين من الفتن . كقتل سيدنا الحسين عليه السلام والرضوان ووقعة الحرة وغير ذلك .

(١٠) عن أبي بكر قال : لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس ملكوا عليهم بنت كسرى قال : « لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة » . والنظر في هذا الحديث الشريف من وجهين . أحدهما : كونه خبراً وثائقيهما : كونه حكماً شرعياً لأنه يتضمن بمناه النهي عن تولية النساء الأمور العامة كالخلافة والقضاء . أما الأول فهو مبني على المادة التي كانت متبعة في الشرق بل في العالم كله وهي أن الأمر والنهي والتصرف السياسي والقضائي بأيدي الملوك والأمراء ولا شك أن هذه الوظائف لا يصح أن تسند إلى النساء لأنهن أضعف رأياً لاسيما في محافل الرجال وما يتعلق بأعمالهم وأقل جلدأً وثباتاً وأميل مع الهوى لرقة قلوبهن وسرعة انفعالهن ولأنهن إن يشتغلن بذلك يضعفن عن وظائفهن الطبيعية وهي تربية الأولاد وتدير المنزل فإذا كان في المرأة استعداد لأن تجاري الرجل وتكون مثله في كل شيء كما يزعم بعض الأوربيين فهذا الاستعداد لما يتحقق فملا مع العناية بتربية النساء في أوروبا فلا يمرض به على حديث قيل في شأن الفرس من ثلاثة عشر قرناً ، ولا ينبغي السعي في تحقيقه بتربية المرأة كما يترى الرجل تماماً لأن هذا يضر النوع الإنساني من وجوه أهمها تربية الأولاد فإن المرابي يجب أن يكون بينه وبين المرابي تقارب وتناسب في السجايا والأخلاق والأفكار والرغائب ليسهل الائتلاف والامتزاج معه والتقليد له والأخذ

عنه بالطبع لا بالتكافؤ والمرأة وسط بين الأطفال وبين الرجال فهي التي تربي البنات كل التربية وتربي الصبية التريبة الأولى التي نعلمم بها عن الرجال والاقتران بهم . وإذا اشتغل الرجل بتربية الأطفال ، فإنه يعامل الذكور والإناث معاملة الرجال ، وفي ذلك خروج بالبنات عن سنة الفطرة ، وذهاب بالصبيان مع الفطرة

وأما الثاني - وهو كون الحديث حكماً سريعاً يقع ولا يه النساء - فهو من جهة مناسب لاستعداد النساء ولوظيفتهن الفطرية ومن جهة أخرى مناسب لما كانت عليه حالة الأمم في تلك العصر ولا حاجة لإباحتها في عصر آخر بل فيه السرر المذكور في الرجه الأول ومن التمدد على وظيفة النساء الطبيعية . ولا يترض بحال أوروبا وكون الدولة الانكليزية أفلحت في عهد الملكة فكتنر بإصلاح ما رأت هي ولا غيرها من الدول مثله لأن فرقا بين أمم أوروبا والأمة الإسلامية وهو أن الملك فيهم ليس له من الوظائف مثل ما كان عند المسلمين فإن الخليفة هو الامام الديني الذي يصلى بالناس ويخطبهم في المناسبات وعند حضوره الحج وكل الأئمة والخطباء في البيئات الإسلامية من وكلاؤه وهو القاضي الأكبر الذي يحكم فيهم حيث يكون ركن القضاة والفتوى وكلاؤه فهو الذي يقلدهم هذا المنصب بشرط الكفاءة وإليه يرجعون في مسائل الخلاف ليفصل فيها ، ومن شروط الكفاءة أن يكون القاضي والفتي في مرتبة الأئمة المجتهدين في الدين ومعرفة مسحة المسلمين ولا يعرف هذا إلا من هو أهله . وإن فرضنا أن في استعداد المرأة الوصول إلى هذه المرتبة وأنه لا ضرر في هذا على النوع الانساني فهناك مانع آخر من إمامتها

وهو أنها تكون في طور التصحح فيه صلاتها بنفسها فكيف تكون إماماً لغيرها . ولا يقال: تستنيب لأن من ليس له الحق بشئ لا يصح أن يستنيب ، فيه إذ النائب يؤدي وظيفة المنيب ولا وظيفة له هنا . هذا بعض ما يقال في المنع من الجهة الدينية المحضه وثم موانع أخرى من الجهة الدنيوية وهي كون الخليفة مدير السياسة والحروب ومتولى النظر في المصالح الداخلية والخارجية ولذلك اشترطوا أن يكون شجاعاً فان قيل: إن الإسلام شرع المشاورة في الأمر وجماعها فرضاً لازماً ومنع الخليفة أن يستبد في أمر نفسه وهذا عين ما عليه الأوربيون في تقييد الملوك بالمجالس النيابية قلنا: نعم هذا صحيح ولكن الإسلام أوجب على الخليفة أن يكون عاملاً بالمشاورة لا أن يكون آلة تجري الأمور باسمه بدون شعور . والكلام في هذا المقال كثير وفيما ذكرناه غناء للصبر .

وعن موانع القضاء عند الجماهير الرق وحكى عن المتره أنه يصح أن يكون العبد قاضياً وكأنهم أخذوا بظاهر الحديث وهو

(١١) قال صلى الله تعالى عليه وسلم : «اسمعوا وأطيعوا وإن استعمل عليكم عبد حبشي كأن رأسه زبيبة» وفي رواية «اسمعوا وأطيعوا ولو استعمل عليكم عبد يهودي» بكتاب الله ، قال القسطلاني في شرح البخاري: معناه: إن استعمله الإمام الأعظم على القوم لأن العبد الحبشي هو الإمام الأعظم فإن الأئمة من قريش أو المراد به الإمام الأعظم على سبيل الفرض والتقدير وهو مبالغه في الأمر بطاعته . والنهي عن شتمه ومخالفته . اهـ أي ليس المراد به ظاهره فإن العبد إذا ولي الخلافة لا يطاع بل يخضع ويذل:

«١١» رواه أحمد والبخاري عن أنس . والرواية الثانية لمسلم عن أم الحصين

قال الخطابي : قد يضرب المثل بما لا يتبع في الوجود وقال الحافظ في الفتح :
ونقل ابن بطلان عن المهلب قال قوله «اسموا وأطيعوا» لا يوجب أن يكون
المستعمل للعبد إلا إمام قرشي لما تقدم من أن الإمامة لا تكون إلا في
قرش وقد أجمع الأمة على أنها لا تكون في العبيد ويحتمل أن يكون
سماه عبداً باعتبار ما كان قبل العتق اهـ

والحاصل أن شروط القضاء في الشرع سبعة كما قال في الأحكام
السلطانية الرجولية والحرية والإسلام والعدالة والابتعاد في العلم والعقل
وسلامة الخواص وجوز مالك قضاء الأعمى كما يجوز تعادته

﴿ آثار السلف عبرة للخلف ﴾

عدل عمر روى ابن عبد الحكم عن أنس «أن رجلاً من أهل مصر
أتى عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين عأذ بك من الظلم : قال عدت
مماذا . قال سأبقت ابن عمرو بن العاص فسبنته فجعل يضربني بالسوط
ويقول : أنا ابن الأكرمين . فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم . يقدم
ابنه معه فقدم فقال عمر : أين المصري ؟ خذ السوط فاضرب فجعل
يضربه بالسوط وعمر يقول : اضرب ابن الأكرمين قال أنس فاضرب
فوالله لقد ضربه ونحن نحب ضربه فما ألقه عنه حتى تخدنا أنه يرفع عنه
ثم قال للمصري : ضع السوط على صلابة عمرو فقال يا أمير المؤمنين :
إنما ابنه الذي ضربني وقد استقدت منه فقال عمر لعمرو : مُدِّكُم تعبدتم
الذمى وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا » قال يا أمير المؤمنين لم أعلم ولم يأتني
وروى عبدالرزاق في الجامع والبيهقي بسند صحيح عن ابن عمر قال :

شرب أخى عبد الرحمن وشرب معه أبو سروعة عتبة بن الحذافى رها
 بعصر في خلافة مهران فسكرا فلما أصبحا انطلقا إلى عمرو بن عثمان وهو
 أمير مصر فقالا: طهرنا فإنا قد سكرنا من شراب شربناه (يظهر من هذه
 الكلمة أنهما لم يكونا يقصدان السكر ولم يعرفا ما هو الشراب) قال
 عبد الله فذكر لى أخى أنه سكر، فقلت: أدخل الدار أطهرك ولم أشعر أنهما
 قد أتيا عمروا فأخبرنى أخى أنه أخبر الأمير بذلك فقلت لا تحلق اليوم على
 رؤس الناس ادخل الدار أحلقك، وكانوا إذ ذاك يحلقون مع الحد فدخلوا
 الدار . قال عبد الله فحقت أخى يدي ، ثم جلد عمر و فسمع بذلك عمر
 وكتب إلى عمرو أن ابعث إلى عبد الرحمن على قتب فقمم ذلك فلما قدم
 على عمر جلده وعاقبه لمسكانه منه ثم أرسله فنبت شهر أصححاً ثم أصابه
 مدره فمات فيحسب عامة الناس أنه مات من جلد عمر ولم يميت من جلد عمر
 وروى هذا الأثر ابن سعد في الطبقات مطولاً ، ذكر فيه مجيء
 عبد الرحمن إلى مصر ونزوله في أقصاها وأن عمرو أخشى أن يزوره أو يهدى
 إليه شيئاً فيعلم أبوه مهران بذلك فيعاقبه لأنه كان كتب إليه : إياك أن يقدم
 عليك أحد من أهل بيتي فتحبوه بأمر لا تصنعه بغيره ، حتى جاءه هو
 ورفيقه أبو سرعة منكسرين يظليان إقامة الحد عليهما . وفيه أن عمر لما علم
 أن عمرو أقام الحد على ولده في بيته وحلقه في بيته ظن أنها خصوصية
 اختص بها ولده فكتب إليه يوبخه ويهدده بالمزل ويطلب عبد الرحمن .
 وأن عمرو اعتذر له بأن محد كل مسلم وذمى في بيته . اهـ ماخصاً من
 كتاب (كثر العمال ، في سنن الأقوال والأفعال)

﴿ باب المفائد من الآمال الدينية ﴾

« الدرس ٣١ — عصمة الأنبياء عليهم السلام »

(المسألة ٧٩) حقيقة العصمة هي في اللغة المنع ، وقال الجرجاني في التعريفات « العصمة ملكة اجتناب المعاصي مع التمكن منها » أي أن المصوم من الشيء يجد في نفسه قدرة عليه ويشعر بزاجر منها يحول دون الوقوع فيه ، فالمصمة وازع نفسي راسخ في النفس وهي في الأنبياء فطرية وقد يكون لغيرهم بحسن التربية من مملكة الفضيلة ما يربأ بنفسهم عن موافقة الفجور والدنابا ويسمى علماءنا هذا المعنى حفظاً للتفرقة وإنما يكون هذا بالتربية الفاضلة بين الفضلاء مع مساعدة الوراثة واعتدال المزاج . وقد ينكر الذين ابتلوا باقتراف الكبائر هذا المعنى أن يكون لغير الأنبياء ، ويسلمون به للأنبياء تقليداً ولهم المنذر فإنه أمر لا يعرفه إلا من ذاقه وقليل ما هم .

(م ٨٠) العصمة في التبليغ جاء في المواقف أن أهل الملل والشرائع قد أجمروا على عصمة الأنبياء عن تمعد الكذب فيما دل المعجز على صدقهم فيه كدعوى الرسالة وما يبلغونه عن الله تعالى وإن عاقلا لا يجمع بين الإيمان والوحي والنبوة وبين تجويز كذب النبي على الله تعالى فيما يبلغ منه فإن كان هذا جائزاً فأى ثقة بالوحي وكيف يميز المكلف بين ما هو عن الله وما عن غير الله والمبلغ غير موثوق بصدقه؟! ولقد أبعد القاضي أحد أئمة الأشعرية في قوله بجواز صدور الكذب منهم سهواً وهو قول مردود لا يمول عليه أحد ، والدليل على هذا النوع من العصمة هو عين الدليل

على النبوة من الآيات العملية أو الكونية .

(م ٨١) العصمة من الكفر أجمع المسلمون من جميع الفرق على عصمتهم من الكفر قبل النبوة وبعدها وليس هنا شبهة لأحد فتوسع فيه .

(م ٨٢) العصمة من كبار الذنوب قال في المواقف وشرحه : « أما الكبار » أى صدورها عنهم عمداً « فمنه الجمهور » من المحققين والأئمة ولم يخالف فيه إلا الحشوية « والأكثر » من المانين « على امتناعه سمياً » قال القاضى والمحققون من الأشاعرة إن العصمة فيما وراء التبليغ غير واجبة عقلاً إذ لا دلالة للمعجزة عليه فامتناع الكبار عنهم سمياً مستفاد من السمع وإجماع الأمة قبل ظهور المخالفين فى ذلك « وقالت المعتزلة بناء على أصولهم » الفاسدة فى التحسين والتقبيح العقليين ووجوب رعاية الصلاح والأصالح « يمتنع ذلك عقلاً » لأن صدور الكبار عنهم عمداً يوجب سقوط هيبتهم من القلوب وانحطاط مرتبتهم فى أعين الناس فيؤدى إلى النفرة عنهم وعدم الاتقياد لهم ويلزم منه إفساد الخلاق وترك استصلاحهم وهو خلاف مقتضى العقل والحكمة . « وأما » صدورها عنهم « سهواً » وعلى سبيل الخطأ فى التأويل « فجوزه الأكثرون » والمختار خلافه اه ولم يذكر ناقل الإجماع ولا كيف وقع هذا الإجماع ، وما أراه إلا الإجماع السكوتى وعجيب من ساداتنا الأشاعرة كيف ينقضون الأدلة العقلية على عصمة الأنبياء لأجل مخالفة المعتزلة ولو بالتكلف إذ استلزم دليلهم للتحسين والتقبيح بالمعنى النافى لا اختيار الله تعالى ممنوع كما سنبينه ثم إنهم جوزوا وقوع الكبار منهم سهواً وتأويلاً كما ترى وذكر السيد أن المختار خلاف ما عليه الأكثرون وقد جزم المتأخرون بهذا فى عقائدهم ولا شك

ان المتأخرين أشد تعظيماً بالقول للأنبيا والصالحاء وكذلك في الاعتقاد والتخلي
دون البرهاني على أنهم في هذه المسألة أقرب إلى الصواب من المتقدمين
(م ٨٣) العصمة من الصفات قال المواقف : « وأما الصفات عمداً
فجوزها الجمهور إلا الجبائي وأما سهواً فهو جائز اتفاقاً إلا الصفات الحسية
كسرة حبة أو لقمة وقال الجاحظ : يجوز بشرط أن ينهوا عليه فينتهوا
عنه وقد تبعه فيه كثير من المتأخرين و« يقول » قال الشارح . (أى
نحن الأشاعرة) .

(م ٨٤) العصمة قبل النبوة قال المواقف بعد إيراد ما ذكرناه : « هذا
كله بمد الوحي وأما قبله فقال الجمهور : لا يمتنع أن يصدر عنهم كبيرة إذ
لا دلالة للمعجزة عليه ولا حكم للمقتل وقال أكثر المعتزلة : تمتنع
الكبيرة وإن تاب منها لأنه يوجب النفية ، وهي تمتنع عن اتباعه ،
فتفوت مصلحة البعثة ومنهم من منع عما ينفر مطلقاً كعهر الأمهات
والفجور في الآباء والصفات الحسية دون غيرها . وقالت الروافض :
لا يجوز عليهم صغيرة ولا كبيرة قبل الوحي ، فكيف بمد الوحي ؟ اه
وقول الروافض هذا هو الذي اعتمده التأخرون من أهل السنة ، بل
منع بعضهم وقوع المكروه منهم إلا على سبيل التشريع .

(م ٨٥) رأينا^(١) إنا ذكرنا هذا الاختلاف في العصمة ليعرف من
يطالع عليه من دعاة النصارى ومجادليهم : أن المسامين لم يتكفوا القول
بعصمة الأنبياء تكليفاً لإثبات قدرتهم على إنجاء الناس من العذاب في

(١) راجع النبذة ١١ من شهاب السيجين وحجج المسلمين في عصمة الأنبياء

اليوم الآخر كما يزعمون وإنما يتبعون في ذلك كثيره ما يظهر لهم من الأدلة العقلية والسممية أى أدلة الوحي . وإنما نقلنا عبارة كتاب المواقف الذى هو أعظم كتب الكلام عندنا لئلا يظن قليل الإطلاع من المسلمين أن الأقوال التى أوردناها فى الخلاف هى أقوال شاذة أو مسندة لغير أصحابها سهواً أو جهلاً لاسيما إعتقاد متأخرى أهل السنة قول الرافضة . والذى نراه أنه يصح الاستدلال بالمقل على عصمة الأنبياء عليهم السلام ولا يستلزم ذلك القول بقاعدة التحسين والتقيح المقلين ولا سب الاختيار عن الله تعالى . وكذلك يستنبط من كثير من الآيات القرآنية ما يدل على نزاهتهم وكونهم قدوة فى الخير والفضائل . ولكن ليس فيها نص صريح على العصمة من الذنوب مطلقاً ولذلك قال صاحب المواقف بعد ما إيراد تلك الآيات أنها ليست بالقوية فيما هو محل النزاع وهو الكبيرة سهواً والصغيرة عمداً . وفى الكتاب والسنة إسناد الذنوب إلى بعض الأنبياء عليهم السلام وما جاز على بعضهم جاز على الآخرين والملاء بأولون ذلك وقصارى هذا كله وجوب الإعتقاد على الدليل العقلي والتوفيق بينه وبين ما ورد من إسناد الذنوب إليهم فاطلب ذلك من الدرر الآتى .

﴿باب الأئمة والاهلية﴾

(س ١) محمد توفيق أفندى حمزه بالفشن (المنيا) : هل يوجد حديث صحيح بأن فى القرآن لناً ستقيمه العرب بألسنتها وأن منه قوله تعالى « والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة » نرجو الرد على ذلك لإزالة الشبهة

(ج) لم يرد في هذا المعنى حديث صحيح ولا ضعيف ولا موضوع
ولكن الزنادقة الذين حاولوا العبث بدين الإسلام كما كان يفعل أمثالهم
في الأديان الأخرى لما عجزوا عن زيادة حرف في القرآن أو نقص حرف
منه لحفظه في الصدور والصحف أرادوا أن يشككوا بمض المسلمين فيه
بشيء يضمنونه عن لسان الصحابة الكرام فزعم بعضهم أن عكرمة قال
لما كتبت المصحف عرضت على عثمان فوجد فيها حرفاً من اللحن فقال
« لا تغيروها فان العرب ستغيرها أو قال ستقرؤها بالسنها ولو كان الكاتب
من ثقيف والملي من هذيل لم توجد فيه هذه الحروف » .
وفي لفظ آخر « أحسنتم وأجهلتم أرى شيئاً من لحن ستقيبه العرب
بالسنها ولو كان الملي من هذيل والكاتب من قريش لم توجد هذا »
ولما تصدى المحدثون رضي الله عنهم لقد الحديث والآثر من جهة الرواية
التي راج في سوقها الطيب والخبيث تبين لهم في هذا الأثر ثلاث على
الانقطاع والضعف والاضطراب فهو لا يعول عليه لو كان في الحث على
فضائل الأعمال فكيف يلتفت إليه في موضوع هو أصل الدين الأصيل
وركنه الركين؟ ومن يدري إن كان الساقط من سنده مجوسى أو دهرى
أو إسرائيلى؟ على أن الكلمة التي نسبت إلى عثمان تدل على أن اللحن في الرسم
وأنه لم يكن مما يشبهه في قراءته لأنه لا يَحتمل في النطق وجهاً آخر كرسم
الصلاة والزكاة والحياة بالواو مثلاً (الصلوة الحيوّة) ولكن الموسوسين
حملوا ذلك على كلمات قليلة جاءت في المصحف على خلاف القواعد النحوية
التي وضعها الناس لكلام العرب وتحكمون بها عليهم ومن ذلك الآية
التي أشار إليها السائل وهي قوله تعالى « اكن الراسخون في العلم منهم

والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمؤمنين الصلاة
والمؤمنون الزكوة » وإني لأعجب من دخیل فی لفة قوم يتحکم عليهم فی
شیء یخترعه هر ویجمله أصلا لها . وأعجب من هذا أن یكون هذا
التحکم علی أصح شیء فی اللسان فان الذین یؤولون ماورد عن بعض منقباه
الأعراب من الشعر المخالف لافواعد أو یکتفون بأنه صحیح لأنه هكذا
سمیع متوقفون فی بعض الکلم من القرآن إذا رأوا أنها علی خلاف القیاس .
علی أن علماء العربیة خرجوا تلك الکلمات علی ما یوفق قواعدهم من
وجوده مذكورة فی كتب التفسیر وكتب النحو لا محل لها هنا .
وسفصل القول فی مسئلة جمع القرآن فی دروس الأملی الدینیة بما یسقی
الصدور إن شاء الله تعالی .

(س ٢) أحمد أفندی الألفی فی أبی کبیر (شرقیة) : ما أقرب الطرق
لمعرفة أحكام العبادات من الكتاب والسنة ؟

(ج) الكتاب العزیز لم یفصل القول فی صور العبادات وإنما بین
روح العبادات والمقصود منها وفيه کیفیة الموضوع ذکر الركوع والسجود
من أعمال الصلاة والسنة بینت صورها وأذکارها . وأصحاب الكتب
الستیة التي هی أصح كتب الحدیث إنما ألفوا كتبهم لمعرفة الدین منها فجامع
البخاری هو مذهبه الذي یعتمد علیه فی فهم الدین وقد قال بعض العلماء
إن سنن أبی داود کافیة فیما یشرط الاجتهاد من علم السنة . ویوجد كتاب
یسمى متقی الأخبار جمع فیہ صاحبہ أحادیث الأحكام من الكتب الستة
ومن مسند الإمام أحمد وقد شرحه الإمام الشوكانی وأورد فی شرحه
خلاف جمع أئمة المسلمین المشهورین من الصحابة والتابعین مع بیان

الترجيح في الاستدلال واسم الشرح (نيل الأوطار) فهو أجمع كتاب في أحكام الدين من السنة وهدى سلف الأمة لمن هو أهل للفهم والأحاديث الشريفة أسهل فهماً من كلام العلماء ، ولكن لا يستغنى عن هدايتهم في معرفة ما يحتاج به وما يختلف مع غيره .

(س ٣) ومنه : هل يفيد حفظ القرآن في اكتساب ملكة البلاغة

كغيره من الكلام البليغ ؟

(ج) لعل سبب السؤال توهم أن القرآن في علو أسلوبه وإعجازه لا يمكن أن يحتذى بلاغته ، من لا يطمع أن يبلغ غايته ، والصواب أن لحفظ القرآن مع فهمه أبلغ التأثير في ارتقاء ملكة البلاغة العربية ولقد ارتقى به كلام العرب أنفسهم فكان كلامهم في المنظوم والمنثور بعد الإسلام أعلى منه قبله . فالقرآن أنفع الكلام في ارتقاء اللغة كما أنه أنقذه في إصلاح الأرواح وتهذيب النفوس وإكمال العقول ولا يستلزم تقمه في ارتقاء البلاغة إمكان التساق إلى درجته ، والجرى إلى غايته ، وإن لنا لمودة إلى هذه المسألة إن شاء الله تعالى

(س ٤) ع ١٠ ر . في الإسكندرية : لا يخفى مارسخ في أوهم العوام من مسألة كرامات الأولياء والخروج في فهم حقيقتها عن الحد الذي نهت عليه شريقتنا السمحة ، وبشرنا واحد من هؤلاء الدجالين الجهلاء المنتحلين لأنفسهم علم الغيب وله سبحة طويلة ينظر فيها عند سؤاله من العامة فيخبرهم بما يحصل لهم في غد من الحوادث فيصدقونه والنتهبون منهم إن سألوا بعض العلماء عن ذلك جوزوه بدعوى أنه كرامة من غير توضيح ، ما هي الكرامة ومن يكرم الله بها من عباده المتقين غير الدجالين الذين هم عن

حلالهم ماهرى - ولما كان للإسلام والسنة صوى رومئز: ككثير القضاة المعتبرة
 نبراساً لهم ودليلاً إن هم تاهوا في يربك الخيرة وديور الفسلفة المذمومة من هذه
 السور اليكم ملتصقاً من بحر عميق وواسع حكمتكم أن توضحوا بعدد قدر لفتين
 (وان كان سبق توضيح) هل ورد في شرح ما يجي لأحد من الناس التوجه على
 غيب علم الله الذي ستره عن عباده وإخبار الناس بما يسيرون من خير أم شر . فإن
 ضل أو استشعر منه الخبط والخطأ قال : « السعة البية السعة تامة » فخرجوا إن
 نه ضجوا لما نالك بعماركم للبر وترأوا هذه التعرير المتمد على العقول
 (ج) لم يرد في كتاب الله ولا سنة نبيه صفة الصلاة والسلام ما يدل على جواز
 هذه الدعوى لأحد بل ورد ما يدل على أن الأنبياء عليهم السلام قد أمروا بأن
 يصنعوا منها . « قل لا أقول لكم عيسى خزان الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم
 إني منكم إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون »
 « قل لا أملك لنفسي نفعاً ولا ضرراً إلا ما شاء الله ونو كنت أعلم الغيب لاستكثرت
 من الخير وما سنى السوء إن كن إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون » - « قل لا يعلم
 من في السموات والأرض الغيب إلا الله » والآيات في هذا نغني كثيرة . واستشكل
 بعضهم نفي علم الغيب عن النبي مع أنه أخبر بكثير منه وأحسن جواب أجابوه ما تؤيده
 الآيات كقوله تعالى « إن اتبع إلا ما يوحى إلي » فنقول فيما أخبر به من ذلك كما
 قال الله تعالى « وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى » وأما النفي فهو ما يتعلق
 بمصالح الدنيا وما يكون من أمر الناس فيها واستشهدوا له بالحديث الصحيح الوارد
 في تأييد النخل وقوله لما خرج خلاف ما قاله عليه السلام : (أتم أعلم بأمر دنياكم)
 وفي رواية مسلم : (إن كان شيء من أمر دنياكم فشانكم وإن كان من أمر دينكم
 فإلى) فالحديث يدل على أن الله تعالى لم يعط الأنبياء معرفة الغيب في مصالح الناس في
 دنياهم وإنما جعل علم الدنيا كسبياً يعلمه الناس بالبحث والجد . أما هؤلاء السجالون من
 أصحاب السبع ومحوم فلا تزال بضاعتهم تروج ما دام هذا الجهل فاشياً في جميع
 طبقات الأمة ولا ينفع في الجاهل تقلد الأعمى دليل ولا برهان . وراجعوا مقالات
 (كرامات الأولياء) في ص ٤٠١ و ٤١٧ و ٤٤٩ و ٤٨١ و ٥٤٥ من مجلد النار الثاني
 (٤ - النار)

القسم الموسوم

(الكتاب الموعود بنشره)

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل الخلقين وعلى آله وأصحابه أنصار دينه الأولين وعلى أتباعهم في مسالكهم إلى يوم الدين .
أما بعد فاقول لما كان عهدنا هذا وهو أوائل القرن الرابع عشر عهداً عم فيه الخلل والضعف جميع المسلمين وكان من سنة الله في خلقه ان جعل لكل شيء سبباً فلا بد لهذا الخلل الطارئ والضعف النازل من أسباب ظاهرة غير سر القدر الخفي عن البشر . فدعت الحمية بعض أفاضل العلماء والسرارة والكتاب السياسيين للبحث عن أسباب ذلك والتنقيب عن أفضل الوسائل للنهضة الاسلامية فأخذوا ينشرون آراءهم في ذلك بعض الجرائد الاسلامية الهندية والمصرية والسورية والتاتارية . وقد اطلعت على كثير من مقالاتهم الغراء في هذا الموضوع الجليل واتبعت أثرهم بنشر ملاح لي في جل هذا الشكل العظيم .

ثم بدا لي ان أسمى في توسيع هذا المسعى بعقد جمعية من سرارة الاسلام في مهد الهداية أعني (مكة) المكرمة فعقدت العزيمة متوكلاً على الله تعالى على اجراء سياحة مباركة بزيارة أمهات البلاد العربية لاستطلاع الافكار وتهيئة الاجتماع في موسم أداء فريضة الحج فخرجت من وطني أحد مدن الفرات في أوائل محرم سنة ست عشرة وثلاثمائة والف وكلى ألسن تنشد :

دراك فمن يدفن لعمرى يدفن وما نافع نوح متى قيل قد فني
دراك فإن الدين قد زال عزه وكان عزيزاً قبل ذا غير هين
فصكان له أهل يوفون حقه بهدى وتلقين وحسن تلقن
إلام وأهل العلم أحلاس بينهم اما صار فرضاً رأب هذا التوهن
هلوا إلى (أم القرى) وتأمروا ولا تقنطوا من روح رب مهيمن
فان الذي شادته الاسياف قبلكم هو اليوم لا يحتاج الا الألسن
فسلكت الطريق البحري من اسكندرون معرجا على بيروت فدمشق ثم يافا
فالقدس ثم جنت الإسكندرية فصر ثم من السويس يمت الحديد فصنعاء فصعدا إلى

البصرة ومنها رجعت إلى حائل إلى المدينة على منورها أفضل الصلاة والسلام إلى مكة المكرمة فوصلتها في أوائل ذي القعدة فوجدت أكثر الذين أجابوا الدعوة ممن كنت اجتمعت بهم من أفاضل البلاد الكبيرة المذكورة وسراتها قد سبقوني بعوافاتها وما انصف الشهر وهو موعد التلاقى الا وقدم الباقون ماعدا الأديب البيروتي الذي حرمتنا القدر ملاقاته لسبب انبأنا عنه فعذرناه .

وفي أثناء انتظارنا منتصف الشهر سمعت مع بعض الاخوان الوافدين في تحرى ونحير التي عشر عضواً أيضاً لاجل اضافتهم للجمعية وهم من مراکش وتونس والقسطنطينية وبغجه سراي وتلميس وتبريز وكابل وكشغر وقازان وبكين ودهلي وكلكته وليمبربول . واذ كنت المباشر لهذه الدعوة بادرت واتخذت لي داراً في حي ستطرف في مكة لعقد الاجتماع بصورة خفية ومع ذلك استأجرتها باسم بواب داعستانى روسى لتكون مصنوعة من النعش من رعاية للاحتياط . وقد انعقد من منتصف الشهر إلى سلخه اثنا عشر اجتماعاً غير اجتماع الوداع جرت فيها مذكرات مهمة صار ضابطاً ونسجياً بكال الدقة كما سيعلم من مطالعة هذا السجل المتضمن كيفية الاجتماعات مع جميع المفاوضات والقرارات غير ما آثرت الجمعية كتتمه كما سيشار إليه .

﴿ الاجتماع الأول ﴾

يوم الاثنين خامس عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦

في اليوم المذكور انتظمت الجمعية للمرة الأولى وعضاؤها اثنان وعشرون فاضلا كلهم يحسنون العربية فبعد أن عرفت كلا منهم بباقي اخوانه وتعارفوا بالوجوه بادرتهم بتوزيع اثنان وعشرين قائمة كن مهيئات قبلا مطبوعات مطبوعة (الجلادين) التي استعرتها من تاجر هندي في مكة لأجل طبع هذه القائمة وأمثالها من أوراق الجمعية محرراً في نسخ القائمة مختصر تراجم اخوان الجمعية جميعهم ببيان الاسم والنسبة والمذهب والمنزلة المخصوصة وموضحة فيها أيضاً مفتاح الرموز التي يحتاج الاخوان لاستعمالها وأعضاء الجمعية هم السيد القرآني ، الفاضل الشامي ، البليغ القدسي ، الكامل الاسكندري ، العلامة المصري ، المحدث اليمني ، الحافظ البهنري ، العالم النجدي ، المحقق المدني ، الامتاز المكي ، الحكيم التونسي ، المرشد الفاسي ، السعيد الانكليزي ، المولى الرومي ، الرياضي الكردي ، المجتهد التبريزي . العارف التاتاري ، الخطيب الشازلي ، المدقد التركي ، الفقيه الافغاني ، الصاحب المندي ، الشيخ السندي ،

الإمام الصيني . ثم بادرت الاخوان جاهراً بكلمة شعار الأخوة التي يرفونها في من قبل وهي (لا نعبد الا الله) مسترعياً سمعهم وخاطبتهم بقولي : من كان منكم يعاهد الله تعالى على الجهاد في اعلاء كلمة الله والأمانة ل اخوان التوحيد أعضاء هذه الجمعية المباركة فليجهر بقوله (على عهد الله بالجهاد والأمانة) ومن كان لا يطيق العهد فليستزلنا وما جال نظري فيهم الا وسارع الذي عن يميني إلى عقد العهد ثم الذي يليه ثم الذي يليه إلى آخرهم . ثم التفت منهم ان يفتخبوا أحدهم رئيساً يدير الجمعية ومدكراتها وآخر كاتباً يضبط المفاوضات ويسجل القرارات فاجابني العلامة المصري ان معرفة الاخوان بعضهم بعضاً جديدة العهد وانك أشملهم معرفة بهم فأنا أترك الانتخاب لك وما أم رأيه هذا الا وأجمع الكل على ذلك فحينئذ اعلنت لهم اني أنخير للرئاسة الأستاذ السكي وأنخير نفسي لخدمة الكتابة تفادياً من اتعاب غيري في الخدمة التي يمكنني القيام بها واستأذنت الافاضل الاعجم منهم بنوع من التصرف في تحرير بعض القاطم فاطهر الجميع الرضا والتصويب وصرح الأستاذ بالقبول مع الامتنان من حسن ظنهم به واستولى على الجمعية السكون ترقباً لما يقول الرئيس .

أما (الأستاذ الرئيس) فقطب جبينه مستجمعاً فكره ثم استهل فقال : الحمد لله عالم السر والنجوى ، الذي جمعنا على توحيد دينه وأمرنا بالتعاون على التقوى ، والصلاة والسلام على نبينا محمد القائل (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضاً) وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا في الله انتصاراً لدينه لم يشغلهم عن اعزاز الدين شاغل وكان أمرهم شوري بينهم يسعى بذمتهم أدناهم اللهم « إياك نعبد » لا نخضع لغيرك « وإياك نستعين » لا نتنظر نفعاً من سواك ولا نخشى ضرراً « اهدنا الصراط المستقيم » الذي لا خفيات ولا ثنيات فيه « صراط الدين أنعمت عليهم » بنعمة الهداية إلى التوحيد « غير المغضوب عليهم » بما أشركوا « ولا الضالين » بعد ما اهتدوا سبحانه ربنا آتنا من لدنك رحمة وهي لنا من أمرنا رشداً .

وبعد فيا أيها السادة الكرام كل منا يعلم سبب اجتماعنا هذا من مفاوضات أخينا السيد الفراني الذي أجبنا دعوته لهذه الجمعية شاكرين سعيه . ولذلك لا أرى لزوماً للبحث عن السبب كما لا أجد حاجة لتفسيط هممكم ، وتأجيح نار حميتكم ، لأننا كلنا في هذا العناء سواء ولكن أذكركم بملخصة تاريخ هذه المسألة فأقول .

ان مسألة تفهيم الإسلام بنت الف عام أو أكثر وما حفظ عز هذا الدين المبين كل هذه القرون المتوالية الامتانة الأساس مع انحطاط سائر الأمم عن المسلمين في

كل ما يؤمن إلى أن علينا بعض الأمم في السور والتمون المنورة للمشارك قريه منها
 فشررت نفوذها على أكثر البلاد والعباد من نسله بن وغيرهم ومن ذلك المنورة في
 سبهم حتى أن استولى الشمل على كل أطراف جسم تلك الإسلامية وقرب الخطر
 من قلب أعين (حريرة لعرب) فذهبت أفكار من رزقهم الله بصيرة بالعواقب ووقفهم
 لنيل أجر المجاهدين فهبوا ينشرون المواقظ والتذكرة والمباحث المنذرة فكثرت المنهون
 وتحركت الحواطر لسكنها حركة متحيرة الوجهة شائعة القوة فسئ الله أن يرشد
 جمعيتنا للتوصل إلى توحيد هذه الوجهة وجمع هذه القوة .

وبدقيق النظر في الشرقيات والمقالات التي جادت بها أقلام الفضلاء في هذا
 الموضوع نرى كلها دائرة على أربعة مقاصد ابتدائية

(الأول) منها بيان الحالة الحاضرة ووصف أعراضها بوجه عام وصفاً بديهاً
 فبعد التأثر ويدعو إلى التدبير على أن ذلك لا يلبث إلا عشية أو ضحاها . (والثاني) بيان
 أن سبب الخلل النازل ، هو الجبل الشامل . بيان أحوال وتبريح ، مع أن المقام يقتضي
 عدم الاحتشام من التفصيل والتشريح . (والثالث) إنذار الأمة بسوء العاقبة المحدقة بها
 إنذاراً هائلاً تطير منه النفوس مع أن الخلل الواقع لا يخفى فيه نذير . (والرابع) توجيه
 اللوم والتبعة على الأمراء أو العلماء أو على الأمة كلها لتقاعدهم عن استعمال قوة
 الاتفاق على نهضة مع أن الاتفاق وهم ، تشاكسون متعذر لا تعسر .

فبذه المقاصد القولية قد استوفت حقها من أنواع بدائع الأساليب وآن أو ان
 استنارها وذلك لا يتم إذالم يشخص المرض أو الأمراض المشتركة تشخيصاً دقيقاً
 سياسياً فابحث أه لا عن مراكز المرض ثم جرائمه ليتعين بعد ذلك الدواء
 الشافي الأسهل وجوداً والأضمن نتيجة وبالتنقيب ثانياً عن تدبير إدخاله في جسم
 الأمة بحكمة تصرع مناد والوهم ، وتغلب على مقاومة أعضاء اللوق والشم .

ثم أطمع بها سادة تستحسنون الاكتنام الذي اختاره أكثر هؤلاء الكتاب
 الأفاضل لأن ذلك محسنت بل موجبات شتى ينبغي أن تستعمل جمعيتنا أيضاً فلنحرص
 كلنا على الاكتنام لأن من موجباته التزم كل من نشرنا العسري أعنى القول الصريح
 في النصيحة للدين بدون رياء ولا استحياء ولا مراعاة ذوق عامة أو عتاة لأن حياة
 المريض مهلكة وكم الأمر المستفيض سخافة والدين النصيحة ولا حياة في الدين .
 ومن موجبات الاكتنام أيضاً أن كل ما يخالج الفكر في موضوع مسألتنا معروف عند
 الأكثرين واسكن بصورة مشتبته والناس فيه على أقسام فصنف العلماء إما جبناء يهابون

الحوض فيه وأما مراؤن مداجون يأبون أن تخالف أقوالهم وأحوالهم وباقي الناس
يأنفون أن يذعنوا لنصح ناصح صادع غير معصوم ولذلك كان القول من غير معرفة
القائل ارعى للسمع وأقرب للقبول والقناعة وأدعى للاجماع . .

ثم أظنكم أيها الاخوان تستصوبون أن تترك جانباً اختلاف المذاهب التي نحن
متبعوها تقليداً فلا نعرف مأخذ كثير من أحكامها وأن نعتمد ما نعلم من
الكتاب وصحيح السنة وثابت الاجماع وذلك لكيلا تتفرق في الآراء وليكون ما يقرره
مقبولاً عند جميع أهل القبلة إذ أن مذهب السلف هو الأصل الذي لا يرد ولا تستنكف
الامة أن ترجع إليه وتجتمع عليه في بعض أمهات المسائل لأن في ذلك التساوي بين
المذاهب فلا يثقل على أحد نبت تقليد أحد الأئمة في مسألة تخالف المتبادر من نص
الكتاب العزيز أو تباين صريح السنة الثابتة في مدونات الصدر الأول .

ولا يكبرن هذا الرأي على البعض منكم فما هو برأى حادث بين المسلمين بل
جميع أهل جزيرة العرب ما عدا اخلاط الحرمين على هذا الرأي ولا يخفى عليكم أن
أهل الجزيرة وهم من سبعة ملايين إلى ثمانية كلهم من المسلمين السلفيين عقيدة الخنابلة أو
الزيدية أو الشافعية مذهباً وقد نشأ الدين فيهم وبلغتهم فهم أهلهم وحملته وحافظوه وحماة
وقلما خالطوا الاغيار أو وجدت فيهم دواعي القرباء والتفاني في الدين لأجل الفخار ولا
يعظم من على البعض منكم أيضاً أنه كيف يسوغ لأحدنا أن يشق بفهمه وتحقيقه مع بعد
العهد ويترك تقليد من يعرف أنه أفضل منه وأجمع علماً وأكثر إحاطة واحتياطاً .

ولا أظن أن فينا من ليس في نفسه إشكال عظيم في تحرى من هو الاعظم من بين
الأئمة والعلماء والأحرى بالاعتماد على تحقيقه لوجود اختلافات واضطرابات مهمة
بينهم ما بين نفي وإثبات حتى في كثير من الأمور التعبدية الفعلية التي مأخذها المشاهدة
المتكررة ألوف مرات مثل هل كان النبي عليه الصلاة والسلام ثم جمهور أصحابه عليهم
الرضوان يصابون وتر العشاء بتسليمة أم بتسليمتين وهل كانوا يفتنون في الوتر أم في
الصبح وهل كان المؤمنون يقرأون أم ينصتون وهل كانوا يرفعون الأيدي عند تكبيرات
الانتقال أم لا يرفعون وهل يعقدون الأيدي أم يسلونها . فإذا كان الأئمة والعلماء
الأقدمون هذا شأنهم من التباين والتخالف في تحقيق كيفية عبادة فعالية هي عماد
الدين أعنى الصلاة التي هي من الشهوات المتكررات وتؤدي بالجموع والجاهير
فكيف يكون شأنهم في الأحكام التي تستند إلى قول أو فعل أو سكوت صدر عن
النبي صلى الله عليه وسلم مرة أو مرات فقط ورواها فرد أو أفراد .

فعلى هذا لا أرى من مانع أن تترك النقول المتخالفة خصوصاً منها المتعلق
بالبعض القليل من الأصول ونجتمع على الرجوع إلى ما نفهمه من النصوص أو ما
يتحقق عندنا حسب طاقتنا أنه جرى عليه السالف وبذلك تتحد وجهتنا ويتسنى لنا
الاتفاق على تقرير ما نقرره ويقوى الأمل في قبول الأمة منا ما ندعوها إليه .

وإني أسلفكم أيها السادات أنه ينبغي أن لا يهولنا ما يبسط في جمعيتنا من تفاقم
أسباب الضعف والفتور كيلا نياس من روح الله وأن لا نتوهم الإصابة في قول فمن
قال إننا أمة مئة فلا ترجى حياتنا كما لا إصابة في قول من قال إذا نزل الضعف في
دولة أو أمة لا يرتفع فهذه الرومان واليونان والأمريكان والطيان واليابان وغيرها
كلها أم أمثالنا استرجعت نشأتها بعد تمام الضعف وفقد كل اللوازم الأدبية للحياة
السياسية بل ليس بيننا ولا سيما عرب الجزيرة منا وبين أعظم الأمم الحية المعاصرة
فرق سوى في العلم والأخلاق العالية على أن مدة حضارة العلم عشرون عاماً فقط ومدة
حضارة الأخلاق أربعون سنة . فملينا أن تثق بعناية الله الذي لا يبد سواء وبهذا
الدين المبين الذي نشر لواء عزه على العالمين ولم يزل بالنظر لوضعه الإلهي ديناً حنيفاً
متيناً محكماً مكيناً لا يفصله ولا يقاربه دين من الأديان في الحكمة والنظام ورسوخ البنيان
ثم أيقنوا أيها الاخوان أن الأمر ميسور وأن ظواهر الأسباب ودلائل الأقدار
مبشرة بأن الزمان قد استدار ونشأ في الاسلام أنجاب أحرار وحكام أبرار يعُدُّ
واحدهم بألف وجمعهم بألف ألف فقوة جمعية منتظمة من هؤلاء النبلاء كافية لأن
تغرق طبل حزب الشيطان وتسترعى سمع الأمة مهما كانت في رقاد عميق وتنفوذها
إلى النشاط وإن كانت في فتور مستحکم عتيق على أن محض انعقاد جمعيتنا هذه
لمن أعظم تلك المبشرات خصوصاً إذا وفقها الله تعالى بهنائه لتأسيس جمعية قانونية
منتظمة لأن الجمعيات المنتظمة يتسنى لها الثبات على مشروعها عمراً طويلاً يلي بما
لا يفي به عمر الواحد الفرد وتأتي بأعمالها كلها بعزائم صادقة لا يفسدها التردد وههنا
هو سر ماورد في الأثر من أن يد الله مع الجماعة وهذا هو سر كون الجمعيات تقوم
بالعظام وتأتي بالعجائب وهذا هو سر نشأة الأمم العربية وهذا سر النجاح في كل
الأعمال المهمة لأن سنة الله في خلقه ان كل أمر كلياً كان أو جزئياً لا يحصل
إلا بقوة وزمان متناسبين مع أهميته وأن كل أمر يحصل بقوة قليلة في زمان طويل
يكون أحكم وأرسخ وأطول عمراً مما إذا حصل بمزيد قوة في زمان قصير وكلنا يعلم
أن مسألتنا أعظم من أن يفي بها عمر إنسان ينقطع أو مسلك سلطان لا يطرده أو قوة

عصية حضرية حمقاء تفور سريعاً وتفور سريعاً
 وإذا تفكرنا أن مبدأ اعظم الأعداد اثنان فكذلك مبدأ الجمعيات شخصان ثم
 تزايد حتى تكمل وتتطلب اشكالا حتى ترسخ فعلى هذا لا يعد أن يتم لنا انعقاد جمعية
 منتظمة تنفد الآمال بناصيتها. ولا ينبغي الاسترسال مع الوهم إلى أن الجمعيات معرضة
 في شرقنا لتيار السياسة فلا تعيش طويلا ولا سيما إذا كانت فقيرة ولم تكن كغالب
 (الأكاديميات) أى الجامعات العلمية تحت حماية رسمية بل الالىق بالحكمة والحزم
 الاقدام والثبات وتوقع الخير إلى أن يتم المطلوب .

هذا وإن شرقنا مشرق العظام والزمان أبو العجائب وما على الله بعزير ان يتم
 لنا انتظام جمعية يكون لها صوت جهورى إذا نادى مؤذنها حتى على الفلاح فى رأس
 الرجاء يبلغ أقصى الصين صده .

ومن الأمور أن تكون الحكومات الاسلامية راضية بهذه الجمعية حامية لها ولو
 بعد حين لأن وظيفتها الأساسية أن تنهض الأمة من وهدة الجهالة وترقى بها فى
 معارج المعارف متباعدة عن كل صبغة سياسية وسنعود لبحث الجمعية فيما بعد .
 ولنبدا الآن بتشخيص داء الفتور المستولى على الأمة تشخيصاً سياسياً مدقماً
 فارجوكم أيها السادات أن يعمل كل منكم فكره الثاقب فيما هو سبب الفتور ليبين رأيه
 وما يفتح الله به عليه فى اجتماعنا الذى نوالها كل يوم ماعدا يومى الثلاثاء والجمعة من
 بعد طلوع الشمس بساعة إلى قبيل الظهر أعنى إلى ما بعد مثل هذا الوقت بساعة
 فنفتتح كل اجتماع بقراءة ضبط المذكريات التى جرت فى الاجتماع السابق ثم نشرع بالمفاوضات
 وفى أختم اجتماعنا اليوم ببرنامج المسائل الاساسية التى تدور عليها جمعيتنا وينبغى
 لكل منا ان يفكر فيها ويدرسها وهى عشر مسائل .

(١) موضع الداء (٢) اعراض الداء (٣) جرائم الداء (٤) ماهو الداء (٥) ماهى
 وسائل استعمال الدواء (٦) ماهى الاسلامية (٧) كيف يكون الدين بالاسلامية (٨)
 ما هو الشرك الخفى (٩) كيف تقاوم البدع (١٠) تحرير قانون لتأسيس جمعية تعليمية
 ولما انتهى خطاب الرئيس وانتهت الجلسة قال السيد القرانى .أرى أن نبدك منا هذه
 المسائل العشر فى جانب من ورقة التراجع لاجل التذكرة فقلوا . ثم دعاهم إلى الطعام
 فاجابوا وكان حديثهم على المائدة استقصاء أخبار المهتمين فى ليفربول من السيد الانكليزى .
 وبعد ان طعموا عرض عليهم الشاى والقهوة والشراب المثلوج فاختر كل ما ألفوا وأحب
 ثم انصرفوا أزواجاً وفرادى بحسين دعوة خير الدعاء ، اذ كان قد دنا وقت الصلاة .

آثار علمية وأدبية

علم تلامذة العرب وبلغتهم

جاء في أمالي أبي علي القالي مانصه: حدثنا أبو بكر بن دريد قال حدثنا أبو عثمان سعيد بن هارون الاشناندي عن التوزي عن أبي عبيدة عن أبي عمرو بن العلاء قال: كان لرجل من مقاول حمير ابنان يقال لأحدهما عمرو وللآخر ربيعة وكانا قد برعا في الأدب والعلم فلما بلغ الشيخ أقصى عمره وأشفي على الفناء دعاها ليلبو عقولهما ويعرف مبلغ علمهما فلما حضرا قال لعمرو وكان الأكبر: أخبرني عن أحب الرجال إليك ، وأكرمهم عليك ، قال : السيد الجواد ، القليل الأنداد ، الساجد الأجداد ، الراسي الأوتاد ، الرفيع العماد ، العظيم الرماد ، الكثير الحساد ، الباسل الذواد ، الصادر الوراد . قال ما تقول يا ربيعة ؟ قال ما أحسن ما وصف وغيره أحب إلي منه قال ومن يكون بعد هذا ؟ قال : السيد الكريم ، المانع للحريم ، المفضل الحليم ، المقام (١) الزعيم ، الذي إن هم فعل ، وإن سئل بذل .

قال أخبرني يا عمرو بأبغض الرجال إليك . قال : البرم اللثيم (٢) ، المستخذي الخصيم (٣) ، المبطن النهيم (٤) ، العي البكيم (٥) ، الذي إن سئل منع ، وإن هدد خضع ، وإن طلب جشع (٦) . قال ما تقول يا ربيعة ؟ قال غيره أبغض إلى منه ، قال ومن هو ؟ قال : النجوم الكذوب ، الفاحش الغضوب ، الرغيب عند الطعام (٧) ، الجبان عند الصدام . قال : أخبرني يا عمرو ، أي النساء أحب إليك ؟ قال الهركولة اللفاء (٨) ،

(١) المقام من أسماء البحر ويطلق عليه السيد الكريم ، ويطلق أيضا على الذي أخذنا من فقم فلان ما على المائدة كتقممه واقنمه إذا تبعه وأتى عليه (٢) البرم بالتحريك ثمر العشاء وهو لا ينتفع به فيطلقونه على الرجل لا خير فيه ، والبرم أيضا من لا يدخل مع القوم في اليسر وهو جدير بالاستعمال (٣) استخذي — خضع وذل وأقبح بالمستخذي كثير الخصومة (٤) المبطن كبير البطن من كثرة الاكل . والنهيم والنهم الثمره (٥) العي العاجز عن الإفصاح بالقول والبكيم الأبيم (٦) الجشع الحرص على الاكل وغيره (٧) في الاساس: رجل رغيب واسع الجوف أكل (٨) الهركولة الحسنه الجسيم والحلق والمشية والجارية الضخمة الاوراك . والفاء مؤنث الالف وهي الضخمة البهجنين

المكورة الجيداء (٩) ، التي يشفي السقيم كلامها ، ويرى الوصب إمامها (١٠) التي إن أحسنت إليها شكرت ، وإن أسأت إليها صبرت ، وإن استهتبتا أعتبت (١١) ، القارة الطرف . الطفلة الكف (١٢) ، العميمة الردف ، قال ما تقول ياربيعة ؟ قال نعم فأحسن وغيرها أحب إلى منها قال ومن هي ؟ قال : الفتاة العنين ، الأسيطة الحدين ، الكعب الثدين ، الرдах الوركين (١٣) ، الشاكرة للقليل ، المساعدة للحليل ، الرخيمة الكلام . الجماء العظام ، الكريمة الأخوال والأعمام ، العذبة اللثام .

قال : فأى النساء أبغض إليك يا عمرو ؟ قال الفتاة (١٤) الكذوب ، الظاهرة العيوب ، الطواقة المهبوب (١٥) ، العابسة القطوب ، السبابة الوثوب ، التي إن اتتمها زوجها خاتمه ، وإن لان لها أهاته ، وإن أرضاها أغضبتة ، وإن أطاعها عصته .

قال ما تقول ياربيعة ؟ قال بئس والله المرأة ذكر وغيرها أبغض إلى منها قال : وأيتهن التي هي أبغض إليك من هذه ؟ قال : السليطة اللسان ، المؤذية للجيران ، الناطقة بالبهتان ، التي وجهها عابس ، وزوجها من خيرها آيس ، التي إن عاتبها زوجها وترته (١٦) وإن ناطقها اتهرته ، قال ربيعة وغيرها أبغض إلى منها . قال ومن هي ؟ قال التي شقى صاحبها ، وخزى خاطبها ، وافترض أقاربها ، قال ومن صاحبها ؟ قال صاحبها مثلها في خصالها كلها ، لا تصلح إلا له ولا يصلح إلا لها ، قال فصفه لى : قال الكفور غير الشكور ، اللئيم الفخور ، العبوس الكالخ ، الحرون الجامع ، الراضى بالهوان ، المختال المنان ، الضعيف الجنان ، الجعد البنان (١٧) ، القؤول غير للفعول ، اللؤلؤ غير الوصول ، الذي لا يرع عن المحارم ، ولا يرتدع عن المظالم .

قال فأخبرنى يا عمرو أى الخيل أحب إليك عند الشدائد ، إذا التقى الأقران للتحالد ! قال : الجواد الأنيق ، الحصان العتيق ، الكفيت العريق (١٨) ، الشديد الوثيق ، الذي يفوت إذا هرب ، ويلحق إذا طلب ، قال نعم الفرس والله نعم فما

(٩) المكورة - المطوية الخاق . والجيداء الطويلة الجيد الحسنه (١٠) الوصب المريض والإمام الزيادة (١١) أى إن استرضيتها أرضت (١٢) الطفلة الناعمة (١٣) الثقلتها (١٤) الغامة (١٥) يصفها بكثرة الطواف كالريح ويحسن من المرأة أن تعرف بيتها (١٦) الوتر الثأر ووتره أصابه بالوتر أو ظلم فيه ووتره عمله أو حقه نقمه إياه (١٧) البخيل التقبض الكف (١٨) الكفيت السريع والعريق ماله عرق في الكرم أو اللؤم

عمرى يا ربيعة؟ قال تيريه أحب إلى منه، قال وما هو؟ قال الحصان الجواد، الساس
شبابه، تشبه الموزة، أصغر، إذا جرى، الساس إذا جرى، قال فأبغض
إليك يا عمرو؟ قال نعم، يا ربيعة، الساسون الأثوم (١٩)، الصؤول الضعيف، لهول
الأمفيف، الذي ينزل من السماء، إذا نزل، قال فما تقول يا ربيعة؟ قال
غيره أبغض إلى منه، يا ربيعة، الساسون الأثوم، حرون السكين، الذي
إن ضربته قمص (٢٠)، وإن دنوت منه سمس، يدركه الطالب، ويقطع بالصابح،
قال ربيعة: وغيره أبغض إلى منه، قن وما هو؟ قال الجموح الخبوط (٢١)، الركوص
الخروط (٢٢)، الشموس الضروط، القطوف (٢٣) في الصعود والهبوط، الذي
لا يسلم الصاحب «لعلها بالصاحب». ولا ينجو من الطالب.

قال أخبرني يا عمرو أي العيش ألد؟ قال عيش في كرامة، ونعم وسلامة،
واغتياق مدامة، قال ما تقول يا ربيعة؟ قال نعم العيش والله وصف وغيره أحب إلى
منه، قال وما هو؟ قال: عيش في أمن ونعم، وعز وغنى عميم، في ظل نجاج،
وسلامة مساء وصباح، وغيره أحب إلى منه قال وما هو؟ قال غنى دائم، وعيش
سالم، وظل ناعم.

قال فما أحب السيوف إليك يا عمرو؟ قال الصقيل الحسام، النائر المجذام، الماضي
السظام (٢٤)، المرهف الصمصام، الذي إذا هزرته لم يكب، وإذا ضربت به لم ينب،
قال ما تقول يا ربيعة؟ قال نعم السيف نعت وغيره أحب إلى منه، قال وما هو؟
قال الحسام الناضع، ذو الرونق اللامع، الظمان الجائع، الذي إذا هزرته
هتك، وإذا ضربت به بتك (٢٥)، قال فما أبغض السيوف إليك يا عمرو؟ قال الفطار
الكهام (٢٦) الذي إذا ضرب به يقطع، وإن ذبح به لم ينخع (٢٧) قال ما تقول يا ربيعة؟
قال بش السيف والله ذكرو غيره أبغض إلى منه، قال وما هو؟ قال الطبع المدان (٢٨)،

(١٩) نكل عن الشيء، نكص ولم يقدم أو هم ناكى، وهاب أتيانه، وأنح انحأ
وأنوحا زجر من تقل مرض أو بهر نفس، والأبوح أيضا البخيل يتنخع إذا سئل
(٢٠) قمص الفرس ويحوه أسنان أي رفع يديه معاً ووضعهما معاً (٢١) الذي
يخبط الأرض برجله (٢٢) الجموح يختبئ الرسن من ممسكه (٢٣) الذي يسىء السير
ويطىء، (٢٤) الحد (٢٥) قطع (٢٦) الفطار ما فيه تشقق فلا يقطع والكهام الكليل
لا ينضى (٢٧) نخع الذبيحة جاز بالدبح إلى النخاع وذلك أقصاه (٢٨) الطبع الصدئ،

المضد (٢٩) الهان .

قال فأخبرني يا عمرو أي الرماح أحب إليك عند المراس ، إذا اعتكر البأس ، واعتبر الدعاس (٣٠) ، قال أحبها إلى المارن المنقف (٣١) ، المقوم الخطف (٣٢) ، الذي إذا هزرتة لم ينطف ، وإذا طغنت به لم يتقصف . قال ماتقول ياربيعة؟ قال نعم الرمح ننت وغيره أحب إلى منه ، قال وما هو ؟ قال الدابل المسال ، المقوم المسال (٣٣) ، الماضي إذا هزرتة ، النافذ إذا هزرتة (٣٤) ، قال فأخبرني يا عمرو عن أبغض الرماح إليك . قال الأعصل (٣٥) عند الطمان ، النظم السنان ، الذي إذا هزرتة انطف و إذا طغنت به انصل . قال ماتقول ياربيعة؟ قال بئس الرمح ذكر وغيره أبغض إلى منه . قال ما هو ؟ قال : الضيف المهرز . اليابس الكز (٣٦) . الذي إذا أكرهته انحطم ، وإذا طغنت به انقصم . قال انصرفا الآن طاب لي الموت اه فهل نجد في تلامذتنا أو شيوينا من لم يعمل هذه المعاني أو يحسن مثل هذا الوصف؟ أي ولالغة لنا ولا علم الإبلغة حية مرنجة فليرجع الهاري إلى ماجاء في نبذة التفسير من الحكم بأننا أجهل الجاهلية الأولى .

الهدايا والتقاريف

(سلم الارتقاء لمرقة دروس الأشياء) مجموعة كتب علمية في التاريخ الطبيعي وحفظ الصحة والتدبير المنزلي والأشياء « الطبيعيات » شرع في تأليفها الفاضل محمد أنندي أمين من موظفي الإدارة بنظارة الأفضال العمومية وقد صدر الجزء الأول منها وفيه ٣٦ درساً في مباحث التاريخ الطبيعي العمومية مع شيء من التفصيل في الإنسان . والفرص الأول من هذا الكتاب تسهيل فهم هذه العلوم على تلامذة المدارس لأنهم يعلّمونها باللغة الأجنبية في أثناء تعلم اللغة فيعسر عليهم فهمها كما يعسر عليهم فهم الكتب العربية المؤلفة فيها لأنها لم توضع للمبتدئين : وقد تكرم المؤلف الفاضل بإهداء باكورة عمله إلينا ورغب إلينا أن ندله على غلطه ليصلحه في طبعة ثانية

والدندان الكرام (٢٩) الذي يهان بمضد الشجر أي قطعه (٣٠) الدعاس الطمان واشتجروا اختلفوا وتشاجروا بالرمح تطاعنوا (٣١) اللين المقوم (٣٢) لا أعرف وصفاً للرمح من حرف خطف ومن معانيه المناسبة استلبه بسرعة (٣٣) السريع والمسال اللين المتحرك (٣٤) دفعته طاعناً (٣٥) الأعوج المتنوى (٣٦) اليابس .

ولكن بعض الاصدقاء أخذ الكتاب منا ليطلع عليه ويعيده بعد يوم أو يومين فمرضى ما اوجب تأخير إرجاعه زمناً طويلاً ولذلك لم تتمكن من مطالعته ولكننا تصفحنا قليلاً منه فالعيناك في غاية السهولة فتتمنى ان يقبل عليه مع التلامذة نباء الجاوريين في الازهر الذين سألونا عن كتاب في هذا الفن يسهل عليهم فهمه من غير أستاذ . وأسلوب كتابة الكتاب أسلوب الجرائد السيارة وفيها من الانتقاد مانوه ان نقاكر المؤلف فيه مشافهة . وفي آخر الكتاب عدة رسوم وثمانه خمسة قروش فقط

(الاطاعة في أخبار غرناطة) تاريخ عظيم لأديب الاندلس الشهير الوزير محمد اسان الدين بن الخطيب عثرت عليه شركة طبع الكتب العربية فاخترت طبعه وقد صدر الجزء الأول منه مطبوعاً طبعاً متقناً . وهو مبتدأ بكلام عام في تلك العاصمة كوضعها وفتحها وزول العرب الشاميين بها وما آل إليه حال سكانها الأولين معهم وحال ما يتصل بها وينسب إلى كورتها ووصف سورها ونحو ذلك وسأثر الكتاب في تراجم من نشأ فيها من رجال السيف والقلم من الرجال والنساء . ولا شك ان كل قارئ بالعربية يتشوق إلى معرفة تاريخ الاندلس التي كانت أكبر نخر للعرب في العلم والمدنية وكل محب للأدب يتلذذ بقراءة كتابه اسان الدين بن الخطيب البليغة وكفى بهذين تشويقاً وترغيباً ولكننا أسفنا لما رأيناه في الكتاب من الغلط والتحريف كأكثر المطبوعات الجديدة وانما نهنا على هذا لأن هذه الشركة أقدر على ضبط كتبها من الأفراد الذين يتجرون بطبع الكتب ولعل عذرهما في هذا الجزء انه لم يوجد منه الا نسخة واحدة وثمانه ١٥ قرشاً وصفحاته ٣٧٥

(الانصاف في التنبيه على الأسباب التي أوجبت الاختلاف بين المسلمين في آرائهم) تصنيف العلامة عبد الله بن محمد بن السيد البطليوسي الأندلسي الشهير واسم الكتاب يدل على سمو موضوعه وهو على اختصاره قد جمع من الفوائد في بابيه ما لم تجمعه الأسفار الكبيرة ولا شك انه من أرفع الكتب التي ألفها ملقنا . وقد طبعه واعتنى بضبطه وتصحيحه وشرح آياته وتفسير غريبه أخونا الفاضل الشيخ أحمد عمر المحمصاني الأزهرى بمراجعة امام الافة في هذا العصر الأستاذ الشيخ محمد محمود الشنقيطي الشهير فنحث جميع الذين يعولون على رأينا في اختيار الكتب النافعة على قراءته ثمنه ثلاثة قروش ولو لم أظفر به الا بثلاثة دنانير لبذلنا مراتحاً وسنمود إلى الاقتباس منه بعد

« مرشد مأموري الضبطية القضائية . ضبط الوقائع الجنائية »

لقد أحسن صنعاً الفاضل محمد بك صبرى عضو النيابة بمحكمة الزقازيق بتأليف

رسالة سهلة العبارة في كيفية ضبط الوقائع الجنائية ليستعين بها العمدة ومأمورو الضبطية فيما يهتد اليهم من هذا العمل العظيم الذي يتعلق بحفظ الدماء والاعراض وأكثر العمدة وللمأمورين جهلاء بالطرق التي تتبع في ذلك ويصعب عليهم الاستعداد من كتب القوانين فسهل لهم هذا المؤلف ذلك فعسى ان يقبلوا عليه ويحيطوا بما فيه . وهو مطبوع طبعاً حسناً بمطبعة الشعب ويطلب من مكتبة الشعب ومن حضرة مؤلفه (الصور) جريدة أسبوعية سياسية أدبية مصورة بالالوان أنشأها حديثاً أحد الكتاب المشهورين بآثارهم القلمية في المؤلفات المصرية والجرائد اليومية الفاضل خليل أفندي زينية وقيمة الاشتراك فيها خمسون قرشاً أميرياً في السنة وهي جديرة بالرواج « الرأي العام » جريدة مشهورة في مصر يمتاز صاحبها البارع إسكندر أفندي شلهوب بأسلوب في كتابة الجرائد يجذب القارئ إلى المطالعة فإذا أخذ جريدته قرأها كلها بلذة وإن كان ممن لا يقرأون من الجرائد إلا ما يحبون موضوعه . وقد كانت احتجبت ثم أسفرت فعسى أن تظل مسفرة دائماً

باب الرضا والرضا

﴿ حرية الجرائد والشعور العام بالفضيلة في مصر ﴾

أكبر النعم التي منحها مصر في عهد الاحتلال الأمن العام وحرية الطبوعات . ومن العجائب ان التمتع بهذه الحرية يشكون في هذه الأيام منها ويطلب بعضهم أن تضيد الحكومة هذه الحرية للطلقة كمن يطلب احتكار الهواء الذي يحيا به الناس ليعطوا منه قدر ما يراه المحتكر لازماً لحياتهم . هذا ما يظهر بادي الرأي من الذين يردون على طالبي التصيد على انه لم يطلبه أحد ونحن نذكر الحقيقة مع بيان السبب . كثرت الجرائد الأسبوعية في مصر وأكثر أهلها ليسوا من أهل الصحافة فلا استعداد عندهم لجعلها حاجة من حاجات البلاد ولذلك أشبعوا لهم طريقاً جديداً وهو التمديد أو التعريض بمنسأوى الأشخاص وقد وجدوا في هذا الطريق لما جا وعوارض يرضون بها قومهم فمن الناس من يشتد عرضه منهم بقليل من المال أو الفروض ومنهم من يرضيهم بتم عدوله بأجر معلوم وقد أطمعهم معاملة هؤلاء السفهاء بالعطاء والفضلاء فلم يعلم منهم صنف من الاصناف وقد أكثروا في هاتين السنتين من الخوض « بالمعية السنية . . . » والارجاف بأعمالها

هذا كله - والرأى العام ساكت عنهم فما الذى اقام عليهم القيامة في هذه الأيام، وافاض التبرم والشكوى على جميع الالسنه والاقلام؟ الجواب عن هذا السؤال يعرفه كل من يقرأ الجرائد المصرية وإنما نذكره صريحاً لانه من المبشرات بدخولنا في الحياة الاجتماعية بعد ان كانت حياتنا فردية آحادية وليكون مسجلاً في تاريخ مصر الأدبى وهو: ان جريدة (حمارة منيقي) الهزلية التى تكتب غالباً باللغة العامية المصرية قد طغنت من عهد قريب بفضيلة الأستاذ الشيخ محمد عبده مفتى الديار المصرية فهاج الرأى العام في مصر للطعن بهذا الامام العظيم وذهب الأستاذ الاكبر شيخ الجامع الأزهر بنفسه إلى محكمة مصر الكبرى وطلب من رئيس النيابة فيها محاكمة صاحب جريدة الحمار بعد أن طلب مقابلة النائب العمومى فقبل له انه مسافر وتقدمت المحاضر العمومية من العلماء وطلاب الأزهر ومن الاهالى في القاهرة ومن بعض البلاد في خارجها يطلبون محاكمته وانطلقت أقلام الكتاب والشعراء في ذم صاحب الحمارة وأجمعت الجرائد على ذمه وانبرى بعض الكتاب لإحصاء عيوب جريدته منذ أنشئت وذكروا منها اهانة القرآن وافساد الآداب وافساد اللغة والطعن بالسلطان والامير وغير ذلك . وقد قال بعض الأدباء ان بعض هذه الذنوب أكبر عقوبة من الطعن بمفتى الديار المصرية فلماذا سكنت الناس عنها إلى الآن؟ وقد ذكر صاحب الحمارة نفسه هذا المعنى في مقدمة العدد الأول من السنة الخامسة ونصه: « قل لى يحقك ما الذى جناه صاحب الحمارة اليوم حتى قامت عليه هذه القيامة وماهى بالله تلك الخطيئة التى ارتكبتها واستحق عليها اللام ، وانجهت إليه أسنة الاقلام. وانصبت عليه كل هذه السهام؟ فلم يبق في أرض مصر جريدة ولا مجلة ولا قصيدة الا وقد حملت عليه ، بعد أن كانت في العادة تحمل منه لا عليه ، ولا يبق شاعر ، ولا كاتب واعر ، الا وحرك في ذكره شفتيه ، كأنهم يريدون ابتلاعه بكل مالهيه » الخ هذا هو السبب في تألم الرأى العام من اطلاق المطبوعات ، وما من شئ في هذا الوجود إلا وله سيئات وحسنات ، وهو دليل على ان الأمة المصرية قد دب فيها الشعور بشؤون الحياة الاجتماعية وصار الرأى العام يعرف لذى الفضل فضله ولذمنا طلب بعض أعضاء الجمعية العمومية الرغبة إلى الحكومة بالاتفاق مع وكلاء الدول لوضع قانون عام عادل لفوضوية المطبوعات ليأمن كل إنسان على عرضه واستحسن رأيه هذا بعض أصحاب الصحف الكبيرة وعده الآخرون وسيلة لتقييد حرية الصحافة والمطبوعات فانكروه ولا يزالون يتناقشون فيه وهم متفقون على ان حرية الطباعة والصحافة حسناتها أكثر من سيئاتها بأضعاف مضاعفة . وإذا رجعنا إلى مثلنا الأول نقول ان هذه الحرية كالهواء

الذي هو شرط للحياة فإذا مر في بعض الأيام على جيفة فحمل إلينا ربحها أو هب
شديداً فأثار القبار في وجوهنا فلا شك أننا نبادر إلى ذمه والشكوى منه ولكننا
لا نطلب انقطاعه وإنما نطلب منع الجيف من طريقه وإزالة القبار برش الأرض بالماء
فلا خلاف إذن بين الناس في وجوب بقاء هذه الحرية

أما إزالة هذه الجيف فأمثل طرقها تصدى النيابة العمومية لها كمة أصحابها فيجب
عليها أن تحاكم كل من ينتهك حرمت الآداب وينال من أعراض الناس وإن لم يطلب
ذلك ممن يطعن فيه فإن لم تقم النيابة بهذه الخدمة للأمة فيجب على الناس أن يحاكموا
من يطعن فيهم إلا عثرة الكريم فإنها تقال شراً وأدباً . والامتناع عن محاكمتهم
توهما أن ذلك يهلى شأنهم أو يخفض شأن من يحاكمهم خطأ كبير فإن الحدود والعقوبات
لم تسن في الشرائع الإلهية ولم توضع في القوانين البشرية إلا لهؤلاء المعتدين «أم حسب
الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالفين آمنوا وعملوا الصالحات سواء بحياهم
ومماتهم ساء ما يحكمون »

وأما صاحب الجارة فقد حاكمته النيابة العمومية فحكم عليه بالسجن مدة ثلاثة
أشهر وبالنفقات ولم يدخل المفتى في الدعوى مطلقاً ولا طلب حتماً مدنياً . وكان في
الجرائد التي حملت على صاحب الجارة جريدة طلبت من المفتى العموم عنه ولو كان هو
الذي طلب ذلك تائباً لأجيب طلبه قطعاً فإن الأستاذ سليم القلب واسع الحلم لا يجب
أن ينتقم لنفسه على أن ما كتبه الجارة كان أكبر خدمة له لأنه أظهر له مكانة
عالية في نفوس الأمة وعوامها لا يدايه فيها أحد مع العلم القطعي لكل أحد
بأنه برىء من سبب نهب الجارة براءة عائشة من إناك المناقضين وصاحب الجارة نفسه
يعتقد ذلك أيضاً لأن هذا لا يمكن مبنياً إلا على الاستنباط من صورة اختراعها بعض المفسدين
أما العبرة التي تقصدها من إيراد هذه المسألة فهي إزالة شبهة علفت في أفهام
أكثر الناس فكانت أضرب اعتقاد تقليدوه وهي أن من يشتغل بالعلوم الحقيقية ويتخلق
بالأخلاق الفاضلة والسجايا الكاملة كالصدق والمروءة وعلو الهمة وبذل المعروف
والسعى في خير الناس ومنفعتهم لا ينجح في عمله ولا يعرف له أحد فضله ويستدلون
بأمثال يضر بونها قد اشتبه عليهم حقها بباطلها وهذا المثل الحق الذي يدحضها وهو
أن الشيخ محمدا عبده سلك هذه الطريقة فحل من نفوس الأمة محلاً علياً ونال فيها
اسماً سميماً مازاحه فيه عالم ولا أمير ، ولا شاركه فيه غنى ولا وزير ، والعاقبة كما
قال الله تعالى للمتقين



فبشر عبادي الذين يستمعون القول
ويتذرون أحسن أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

الْحَمْدُ
١٣١٥

بشر عبادي الذين يستمعون القول
ويتذرون أحسن أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى نو « مناراً » كمنار الطريق)

(مصرفى يوم الجمعة ١٦ محرم الحرام سنة ١٣٢٠ - ٢٥ أبريل (نيسان) سنة ١٩٠٢)

﴿ باب العقائد من الأُمالي الدينية ﴾

(الدرس ٣٣ — عصمة الانبياء عليهم السلام)

(المسئلة ٨٦) الدليل القاطع على عصمة الانبياء يؤخذ الدليل على عصمة الانبياء من وجه الحاجة اليهم في الكمال الانساني ومن وظائفهم المنطبقة على وجه الحاجة اليهم وقد تقدم الكلام في ذلك ومنه ان الوظائف خمس وهي نوعان - نوع في بيان الاعتقادات التي ترقى العقل وتفتقه من رِق العبودية لمظاهر الطبيعة التي خلق مستعداً لتسخيرها والتصرف فيها فحفت عليه الوثنية فسخرته لمباداة كل مظهر منها لا يعرف علته ولا يحيط بحكمته ونوع في تهذيب النفس وتزكيتها بالاخلاق الفاضلة والاعمال النافعة ولا يرقى النوع الانساني الا بمجموع ما يندرج في هذين النوعين من التكليف وبارتقائه يكون خليفة الله تعالى في الارض وتلك غاية سمادته في هذه الحياة الدنيا التي تستتبع سمادته في الحياة الآخرة الباقية التي جعلت هذه الحياة مزرعة لها كما ورد

وبدهي ان العمدة في بيان النوع الأول صدق الخبر بحيث لا يحوم حواه الشك والريب والعمدة في الثاني صدق الخبر كذلك مع حسن الاسوة وصحة القدوة بالخبر لانه تربية وانما التربية بالقدوة والتعظيم القولي مساعد للتأسي وأثره دون أثره . ولا تحصل الثقة القطعية بصدق الخبر الا اذا كان المخبر ممدوماً من الكذب والخطأ في التبليغ ولا تتم القدوة وتحسن الاسوة الا اذا كان الامام المقتدى به بريئاً من النقائص منهيّاً عما ينهى عنه مؤمراً بما يأمر به متخلقاً بما يرغب في التخلوق به . اذا لاتم

حكمة الله تعالى في إرسال الرسل إلا إذا كانوا بحيث ذكرنا من الصدق والنزاهة، والحكمة واجبة لله تعالى فوجب أن يكون الأنبياء المبلغون عنه سبحانه صادقين معصومين « لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون » ولا يلزم من هذا إيجاب شيء على الله تعالى فيكون حجة للمعتزلة وإنما هو إيجاب الحكمة له كإيجاب العلم والقدرة

(م ٨٧) الدلائل النبوية على عصمتهم إن الله تعالى ما أرسل المرسلين إلا لِيَتَّبِعُوا وَيُؤْتُوا بِهِمْ وَقَدْ أُسِرَ بِاتِّبَاعِهِمْ كَقَوْلِهِ فِي خَاتَمِهِمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ « قَامُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ الَّذِي يَدْعُونَ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوا لِمَا كُفِّرُكُمْ عَنْ سَيِّئَاتِكُمْ تَهْتَدُونَ » فلو كانوا يخالفون ما يحيون به من الهدى لكان الله تعالى أمراً بالشيء ناهياً عنه في آن واحد وهو محال على الله تعالى . ولو فالوا الفاحشة لكان الله أمراً بها من حيث أمر باتباعهم أمر تشريع وأمر بالتأسي بالمظالم أمر تكويني بأن أودع ذلك في فطرة الإنسان وقد قال تعالى « إن الله لا يأمر بالفحشاء » على أن الطاعة هي ما أمر الله تعالى به فلو فرض أن المرسلين يرتكبون المعاصي لكان معنى ذلك أن الطاعات هي من المعاصي كما قال السنوسي في الكبرى وذلك تناقض لا يتحمل به عاقل . وهذا الاستدلال لا يصح على أصول أهل الكتاب من اليهود والنصارى ويجب أن يكون أصلاً يرجع إليه جميع ما ورد في الوحي مما يظهر أنه يخالفه والا كان الوحي غير منطبق على الأدلة التي ثبت هو بها فيكون ناقضاً لنفسه .

(م ٨٨) النبه على العصمة يقولون ورد في القرآن أثبات الذنوب للأنبياء والمرسلين إجمالاً وتفصيلاً . أما الإجمال فكقوله تعالى « لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ » وقوله « واستغفر لذنبك » وقوله

عن وجل « فسيح بحمد ربك واستغفره » وأما التفصيل فكقوله « وعصى آدم ربه فغوى » وكقصة داود وسليمان عليهما السلام وكقصة اخوة يوسف ونحن نجيب عن ذلك بالتفصيل :

(٨٩م) مغفرة الذنوب علمنا مما تقدم ان معنى عصمة الانبياء في النوع الثاني (المعالي) هو نزاهتهم وبمدهم عن ارتكاب الفواحش والمنكرات التي يمشوا الزكية الناس منها لئلا يكونوا قدوة سيئة مفسدين للاخلاق والآداب ووجبة لفسقها على انتهاك حرمات الشرائع وليس معناها أنهم آلهة منزهون عن جميع ما يقتضيه الضمف البشري من التقصير في القيام بحقوق الله تعالى على الوجه الأكمل ومن الخطأ في الاجتهاد بمض المصالح والمنافع بؤدده المضار؛ كلا ان الانسان خلق ضعيفاً وما أوتي من العلم الا قليلا ولا يمكن أن يحيط بوجوده المصالح والمنافع ودرء المضار والفساد الا بغيره هو بكل شيء عليم ومن ليس له هذه الاطاعة قد يخطئ في اجتهاده فيعمل العمل وهو يعتقد انه الصواب والخير فيجبي بخلاف ذلك ومثل هذا يسمى ذنباً من الكامل والمقرب لان الانسان مستمد لأدراك الصواب في تلك المسئلة التي أخطأ فيها فاذا وقع عن انبياء يعاتبهم الله تعالى عليه وينفخه لهم ويأمرهم بتبليغ ذلك لأنهم ليعرفوا انشقق بين الرب والمبدق لا يفصي بهم القلوب بتظيم أنبيائهم والاعجاب بفضائلهم ونزاهتهم الى عبادتهم مع الله تعالى ومن أمثلة ذلك اجتهاد نبينا صلى الله عليه وسلم في استمالة رؤساء قومه وأغنيائهم الى الايمان الذي أدام الى الاعراض عن ابن أم مكتوم لما جاءه يسأله أن يعلمه مما علمه الله وكان يدعو صنابد قريش فانه كره أن يشتغل به عنهم لئلا ينفرهم ولا يخفى ان اولئك النفر من كبارهم هم الذين كانوا

يحادون النبي ويناصبونه ولو آمنوا أولاً لتبهمهم سائر قريش فهذا هو وجه
اجتهاده صلى الله عليه وسلم في المنايا بهم والاعراض عن الأعمى اذ جاء
يشغاه عنهم ، فمات به الله تعالى على ذلك وردعه عنه بالقول الشديد كقوله
« وما يدريك لعله يزكى ، فلتتل الآيات في أول سورة (عبس) وذلك
ان سنة الله تعالى مضت في أن الأديان تقوم بالدعوة والاعتناع والرؤساء
والمترفون أبعد الناس عن معرفة الحق وعن الخضوع له اذا عرفوه وقد
جاء في هذا المعنى آيات

ومن الامثلة أيضاً عتابه في . مسألة زيدوزينب (فلتراجع في ص ٦٣٠
و ٧١٤ من المجلد الثالث) . ومنها إذنه صلى الله تعالى عليه وسلم للذين
استأذنوه في التخلف يوم الخروج الى تبوك وقد عتابه الله تعالى على ذلك
الطاف عتاب بقوله « عفا الله عنك ام اذنت لهم » الآية . فكان الأولى
ان لا يأذن ليعلم الكاذب المنافق ، من المؤمن الصادق ، ومنها مسألة
أخذ الفداء من أسرى بدر . جهده صلى الله عليه وسلم وشاور فاختلف
أصحابه فوافق رأيه رأي نبي بكر بأخذ الفداء فعتابه الله تعالى عتاباً شديداً
حتى بكى وبكى أبو بكر وذلك قوله تعالى : « ما كان لنبينا ان يكون آية
أسرى حتى يثخن في الأرض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله
عزير حكيم . » أولاً كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب
عظيم ، قال البيضاوي في تفسيره : والآية دليل على أن الانبياء يجتهدون
وأنه قد يكون خطأ ولكن لا يقرون عليه .

فهذه هي ذنوب الانبياء وهم يستغفرون منها وهي منقورة لهم
بفضل الله تعالى لانهم لم يريدوا الا الخير والنفع وليس فيها قدوة سيئة

وإنما فيها فائدة معرفة الناس ان النبي وان جبل قدره وعلت نفسه فهو بشر مثلهم ميزه الله تعالى بالوحي وجملة إماماً في الخير وأنه على هذه الخصوصية يعاتب وينسب إليه الذنب والتقصير ويمنحه الله المنفرة دلالة على أن له ان يقدر له وله أن يعاقبه « قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ مِنْ اللَّهِ شَيْئاً إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنْزِلَ عَلَيْكَ الرِّسَالَ بِنِ سَرِيمٍ وَأُمَّةٍ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً » وعلى أن توقع نزول العقوبة بأصحاب المعاصي التي تنتهك فيها الشرائع ويخالف الدين عمداً وهو ما لا يقع من الأنبياء أقرب وانهم أولى بالخوف من وأجدر بالتوبة . وأن الكمال المطلق لله تعالى وحده فلا رب غيره ولا معبود سواه

﴿ باب الاستدلال بالصورة ﴾

(س ١) من الشيخ مقبل عبد الرحمن الذكير في البحرين : ما قول منار الاسلام وهداة الانام ساداتنا العلماء الاعلام في الاوراق المسماة بالأوراق التي وضمها بمض الدول للتمامل عوضاً عن بعض المسكوكات الفضية كالدراهم مثلاً والتزمت تلك الدولة التعمير عنها بالأثمان المتشعبة من تجرى مجرى العروض كما هو واقع من كثير من التجار يتماطون بها فيما وشراء رواجاً وبخساً أو تجرى مجرى المين ؟ فإن قلم بالثاني فهل تقولون به من كل وجه وفي كل باب أو من بعض الوجوه وفي بعض الأبواب ؟ فإن قلم بالأول فيقتضي أن لا يجوز صرف تلك الاوراق بباقي أية سكة من السكك الفضية الأوزناً بوزن بدلاً وهو في الظاهر بعيد كما ان ذلك يقتضي أن لا يجوز الزيادة على الثمن الذي قدرت به بشيء مما الى غير ذلك

فما يتعلق بهذه المسئلة ويتفرع عنها في باب الزكاة وباب الصرف وباب الدين والحوالة والبيع نقداً ونسيئة وما تقولون في الحديث الوارد اذ اختلف الجنس فبيعوا كيف شئتم وبالضرورة ان الورق المذكور بل وجنس الورق كيف كان ليس هو من جنس أحد النقود الذهبية والفضية والنحاسية لالفة وهي معتبرة هنا في الشرع ولا عقلاً وشرعاً ولا عرفاً عاماً والمأول ان يكون التقرير في غاية الوضوح والبيان والمثانة على منهج القواعد الشرعية والأدلة المرعية والطرق الأصولية بالسيرة المرضية لان المسئلة بعموم البلوى والضرورة العامة صار لها في البحث أهمية ولكم الأجر والثواب من الملك الوهاب

(ج) الورق ليس مالا ربوياً في عرف فقهاؤنا ولذلك أفتى بعض علماء الشافعية بأن هذه الأوراق المالية المسماة بالأنواط (مفرد نوط) لا يجري فيها الربا ويفتي غيرهم من علماء المذاهب بذلك لان الربا مخصوص بالنقدين والأقوات عند الشافعية ومن وافقهم . والملة عند الحنفية الكيل مع الجنس أو الوزن . فكل مكيل أو وزون اذا بيع بجنسه متفاضلاً فهو ربا محرم ولكن هذا لا يأتي في هذه الأنواط وإن ورقتين منها يتساويان في الوزن وقيمة احدهما مائة روبية والأخرى الف روبية مثلاً . فلا بد من النظر في مقاصد الشريعة وحكمها وجمالها ومدار معرفة الاحكام وإنما نأخذ بكلام الفقهاء ما لم يخل بهذه المقاصد فإذا اختلف بشئ منها كمنع الزكاة أو إباحة الربا الضار الذي حرّمه الله تعالى رحمة بالناس فإنا لا نقبله إذ لا يصح أن يكون الاجتهاد بطلالاً للنص بل لا يصح مع النص والمبرة بالمقاصد بالمعاني لا بالالفاظ والمباني . ولا يخفى على أحد ان هذه الأوراق

المالية لا قيمة لها من حيث هي ورق وإنما هي سند بمبلغ من النقود
فقيمتها بحسب الرقم الذي يمين المبلغ . ولا يضر المتدين الأخذ بقول أي
فقيه ما لم يمنع الزكاة أو يستتبع الربا .

فأما الزكاة فلا تصيب إذا اعتبرنا هذه الأنواع من عروض التجارة
لأنها تقوم في كل حول بقيمتها وتؤدي زكاتها . وأما الربا فالذي أجمع
المسلمون على تحريمه منه هو ربا النسيئة والجاهير من الأئمة الأربعة
وغيرهم على تحريم ربا الفضل أي الزيادة في أحد الموضين مع التقابض
فيما هو ربوي كالنقود والتمر والخنطة ونحوها وفيه خلاف
بعض الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين كابن عمر وابن عباس
وأسماعيل بن زيد وابن الزبير وزيد بن أرقم وكسعيد بن المسيب وعروة بن
الزبير من التابعين واستدلوا بما أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما من حديث
أسماعيل « إنما الربا في النسيئة » في رواية مسلم عن ابن عباس « لا ربا فيما
كان يداً بيد » ومثل ذلك الأحاديث الصحيحة في جواز الصرف
يبدأ بيد . والملة أو الحكمة في منع الربا لا محل لتفصيلها في هذا الجواب
وإنما نقول بالاجمال إن من أكل شيئاً من مال أخيه بغير مقابل من عين
أو عمل فقد أكله بالباطل وإن أخذ زيادة عما يمطي الإنسان لأخيه بمجرد
التأخير في الوفاء من دواعي قسوة القلوب ومحو عاطفة التراحم وقطع طريق
الصنيفة وعمل المعروف فلا يليق بالدين أن يبيحه ومن بلغ الكلام ، ما قاله
الاستاذ الامام ، وهو ان الربا عبارة عن استغلالك حاجة أخيك . وإن
مشروعية التعامل بالنقود خاصة تفضي الى الجنابة على التجارة — ومنفصل
القول في الربا ومضاره في فرصة أخرى

أما حقيقة الربا فليس بمد بيان الله تعالى فيها بيان قال تعالى « ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا » فعملنا ان الربا قسم البيع ومقابلته فالجامع بينهما المماوضة والفارق هو ان أحد الموضين في البيع وهو الثمن يقابل جميع العوض الآخر وهو المثلن بخلاف الربا فان أحد التماوضين فيه ياخذ جزءاً من مال الآخر بدون عوض ولا مقابل وهذه التفرقة معتبرة في التسمية الى الآن فالربا لا يسمى بيعاً ولكن من البيع ما تدخله شبهة الربا بحسب ما توسع فيه الفقهاء من أحكامه وجزئياته ولكن من فهم حكمة الشارع المبنية على درء المفسدة وجاب المنفعة لمجموع الأمة يقدر أن يميز بتفقه في الدين بين المماوضة المقصود بها البيع ونفع أخيه بمثل ما ينتفع به منه بالمرور وبين انتظار الفرص لضرورته واستغلال حاجته وأكل ماله بالباطل

وأني أنصح للأخ السائل وغيره من تجار المسلمين الذين يهمهم أمر الدين أن يلاحظوا هذا الفقه الحقيقي ويحملوه الاصل في معاملتهم لأنه هو روح الدين وسرّه الذي يتعلق بإصلاح القلب وتزكية النفس فاذا أفهم علماء الر - وم ينتوى تؤدي الى منع الزكاة بحياة من الليل ، أو أكل أموال الناس بلا بدل ، أو تجمل البيع بافليحتاطوا لأنفسهم فان الله تعالى ما تميدنا بطواهر الألقاظ ومدلولات كلم الناس وما يضمنون من الأقيسة والقواعد التي لا تصلح بها القلوب ، وقد قال عليه السلام لو ابصت استفت نفسك البر ما اطمأن اليه القلب واطمأنت اليه النفس والإيم ما حاك في القلب وتردد في الصدر وإن أفنك الناس وأفتوك » رواه أحمد والبخاري في التاريخ وغيرها . ومن فقه ما ذكرنا لا يحار سواء عليه أعدت تلك الأنواط

عروضاً م عدّها نقوداً والذي يتيل اليه القاب هو اعتبارها نقوداً
واما الحديث الذي ذكره فهو جزء من حديث صحيح أخرجه أحمد
وابن أبي شيبة في مسنديهما ومسلم في صحيحه وأبو داود وابن ماجه في
سنيهما عن عبادة بن الصامت ولفظه : « الذهب بالذهب والفضة بالفضة
والبر بالبر والشير بالشير والتمر بالتمر والملح بالملح مثلاً بمثل سواء بسواء
يداً بيد فإذا اختلفت هذه الأصناف فبيعوا كيف شئتم ان كان يداً بيد »
وههنا م انه اذا اختلف الصنف بطل الربا ولا معنى لبيع شيء بمثله من صنفه
الا اذا كان منه جيد وردئ وفي هذه الحالة أجاز النبي صلى الله عليه وسلم
المعاوضة بالتفاضل بشرط أن يكون بيماً يقدر بالثمن كما في حديث البخاري
وغيره وليس هذا من الحيلة التي تضيع بها حكمة التشريع وانما هي ببد
لتدريمة الربا وبيان لقاعدة نافعة وهي ان الربا ينفي بقصد البيع فكل ما يتحقق
فيه معنى البيع فليس من الربا في شيء . هذا ما يتبع له المجال الآن وسنعود
الى الموضوع ونطلب من العلماء الكرام بيان رأيهم لنشره والله الموفق للصواب
(س ٢) السيد احمد منصور الباز بنى صالح : يمتري بعض الناس حال
تسببها العامة (جذبا) فيغيب عن وجوده حتى يصير كالمجنون لا يدري
ما يقول ويفعل ويظهر هؤلاء بمظاهر مختلفة تعتقد المامة بل والعلماء
وكتب الصوفية طاغية بأخبار وأخبار القطب والانجاب والاولاد والابدال
ويسمون مجموع هؤلاء الدائرة القطبية ورئيسها القطب الملقب بالنبوت
ويقال انه يتلقى الأوامر الالهية وتفيض منه الى الدائرة القطبية بترتيب
معروف عندهم فإرايكم فيهم؟ نرجو الافادة بالمنار ليظهر الحق للناس كافة .
(ج) أما الحال التي يسونها جذبا فهي فن من فنون الجنون وانما

يسمى صاحبها مجذوباً أو بهلولاً إذا كان سبب الحال هو الإفراط في الرياضة
 والمجاهدة النفسية والانقطاع للذكر والعبادة إكراماً لمن كان كذلك ان
 يساوى بسائر المجانين والاعتقاد بهؤلاء البهاليل قديم العهد عندنا وسببه
 ان منهم من كان يظهر على لسانه بعض الحكم لان من يذهب عقله لا يعدم
 كل ما كان أدركه وعلمه وانما يعدم النظام بين الافكار والمعلومات ومنهم
 من ظهر على يديه بعض الفرائب أو أسننده اليهم بعض المفرورين الذين
 يضيفون الأشياء الغريبة الى ما تقارنها من الحوادث وان لم يكن علة لها
 كأن يؤدي انسان آخر فيصاب عتیب ذلك بمصيبة تقع بوقوع سببها
 وأما القطب وسائر الموظفين الروحانيين في دائرة تصرفه الذين يسمونهم
 رجال الغيب كالامامين والأوتاد والابدال فلم يرد فيه شيء صحيح في السنة
 الا ما رووه في الابدال وهي روايات ضعيفة . مضطربة في بعضها بعدون ثلاثين
 وبعضها أربعين الخ . ومن عجيب تحملهم في الاستدلال على القطب ما نقله ابن
 حجر عن بعض المحدثين من حمله خبر أبي نعیم في الحلية على القطب وهو : « ان لله
 في كل بدعة كيدتها الاسلام وأهله ولياً صالحاً يذب عنه » الخ وأعجب من
 سندا ان المسلمين في الغالب لا يحفظون بمن يدافع عن البدع بأنفسهم ولا
 يسمونه وایاً ولا قطباً بل ربما عادود ولكن يسهل عليهم ان يقولوا ان الذي
 يدافع عن البدع رجل خفي . من رجال الغيب يدافع في الغيب عن الاسلام
 فلا يعرف ولا تعرف مدافته . والحاصل ان الشرع لا يطالب أحداً بتصديق
 ما لم يقم عليه دليل ولا يكافئه بالایمان بهؤلاء الرجال المجهولين بل يحرم عليه
 ان يقول ما لا يعلم . وهذا لا يمنع ان تصطح طائفة الصوفية على القاب
 تطلقها على أهل الخصوصيات وليس لهم ان يفضوا بذلك الى من لا يعرف

تلك الخصوصية إلا يكفوه بالقول بغير علم ولا بحث ذبول منفصلها تفصيلا
(س ٣) محمد افندي ، أمون كرشه بسنديون (غربية) : هل حكم
الحاكم يرفع الخلاف أم لا ومن هو هذا الحاكم فان كان رافعا فهل يبقى
كذلك بعد موته ؟ فانه اذا لم يبقى يلزم أن لا يعمل بحكم قاضي مصر
السابق الا اذا أجازته من يخلفه

(ج) حكم الحاكم الشرعي الذي رأتم شروطه في الجزء الماضي
يرفع الخلاف في المسائل الاجتهادية فيجب تنفيذه ولو عزل أو مات .
ونعني بالمسائل الاجتهادية ما لا يخالف الكتاب والسنة والإجماع . قال
في الجامع الصغير « وما اختلف فيه الفقهاء فمضى به القاضي ثم جاء قاض
آخر يرى غير ذلك أمضاه » وعلمه الكمال في التفتيح بأن اجتهاد الثاني كاجتهاد
الأول ويرجع هذا باتصال القضاء به فلا ينقض بما دونه .

(س ٤) و منه : هل يصح ما يقول الوعاظ وعصاية الزار من ان
الجنّ مسطرون على الانسان وهل الزار على هذا منكر يجب النهي عنه
شرعا أم لا ؟ وان أجبت بالسلب فما معنى قوله صلى الله عليه وسلم « اتخذوا
الحمام بالاعاصيص فانها تلهم الجن عن سيئاتكم » ومعنى ماورد في الآثار ان الجن
يمجري في جسم الانسان مجرى الدم في الشرايين

(ج) لفظ الجن يطلق على المخلوقات الخفية ويقال ان منها ما هو
مادي وما هو روحاني وأجدر بهذه الاحياء التي يسمونها الميكروبات ان
تكون من المادي وهي سبب الامراض والأوبئة كالطاعون والهيضة وغيرها
يحمل ماورد من ان الطاعون من الجن فحقها في سلطة على الانسان
وهو مسلط عليها بالعلم الصحيح وإن كان لما يقدر على كثير منها بعد تمكنها

في الجسم . وأما الروحانية فلا سلطة لها على الاجساد وانما هي منشأ
الوساوس والخواطر القبيحة الضارة فمن العلماء من يقول انها القوى المنوية
الباغثة على الشر والاكثرون على انها عالم مستقل من جنس عالم الروح
يلابس افراده النفوس المستعدة للشر بسوء التربية فيقوي فيها الرغبة فيه .
وعليه يحمل حديث الصحيحين وغيرهما « ان الشيطان يجري من ابن آدم
مجري الدم فضيقوا مجاريه بالجوع »

وهو كناية عن تمكنه من الوسوسة . وأما الزارفه ومنكر تبيح يجب
ابطاله بالفعل فان لم يستطع فبالقول وأما حديث اتخاذ الحمام المقاصيص فقير صحيح
ويطابق لفظ الشياطين والجن على الاشرار من الناس وعلى الحيات
والثعابين وعلى الاول يحمل الحديث لو ثبت وكذا غيره مما ورد في النهي عن
خروج الصبيان في الليل لانه وقت انتشار الشياطين . واننا نرى شياطين
الازبكية وجنها ينتشرون اذا جنّ الليل ونحث من يهتم تربية أولادهم على
مفهم من الخروج لئلا يفسدهم هؤلاء الشياطين .

(ب) ومنه : هل التسييح في قوله تعالى « وإن من شيء إلا يسبح
بحمده » بلسان المقال أم بلسان الحال أم المقصود انه سبب في تسييح الرائي
(ج) المتبادر الذي اختاره المفسرون ان التسييح من غير المقلاء
هو بلسان الحال أي ان إمكان الاشياء وحدوثها يدلان على تزيه واجب
الوجود . وذهب بعض الى انه بلسان المقال لقوله « ولكن لا تفقهون
تسييحهم » وأجابوا عنه بأن الخطاب للشركين لا للناس أجمعين . أي
لا تفقهون هذه الدلالة لاهمالكم النظر الصحيح والاستدلال العقلي

القسم العمومي

﴿ القرآن والكتب المنزلة ﴾

المقالة الثالثة لاقس اسحاق طيلر نشرت في جريدة سنت جرس في ١٣ مايس سنة ١٨٨٨

ان المسلمين قد آمنوا بالمسيح وصدقوا ببعثته وهو عندهم محدود في
 اولى العزم من رسل الله الى خلقه فهم عندنا مسيحيون نصلي لهم كل يوم
 نُحسد ونسأل الله أن يهديهم وإيانا الى الحق وطريق مستقيم ولا منافاة
 عندهم بين الاعتقاد بالقرآن وانه كلام الله وتنزيل من عنده وبين الاعتقاد
 بسائر الكتب السماوية وانها بوحى من الله والهام بل يعرف من صريح
 كلام المسلمين ان اعتقادهم بالكتب السماوية انما ساقه الى قلوبهم الاعتقاد
 بالقرآن فهم في اعتقادهم بها يمثلون أصراً من أوامره ويمجبون داعياً من
 دواعيه وليس في المسلمين من يدعي ان القرآن يكذب شيئاً من الكتب
 الآلهية ولا في امكان مسلم أن يدعي ذلك لما يشهد به القرآن من انه مهيمن
 على ما بين يديه من الكتب يقص على بنى اسرائيل أكثر الذي هم
 فيه يختلفون مصدق لمامهم من الحق ولكنهم يقولون ان القرآن خاتمة الكتب
 كما ان من أنزل عليه (صلى الله عليه وسلم) خاتمة الانبياء ولا تجد مسلماً الا
 يؤمن بالتوراة والانجيل والزيبور والقرآن فكل صحيفة من الكتب
 الآلهية ثبت مجيئها على لسان نبي صادق فهي عندهم كلام الله المنزه عن
 الخطأ والزوال وما صح نقله عن عيسى عليه السلام فهو حق واجب التصديق
 وكثيراً ما ينقلون عن نبيهم صلى الله عليه وسلم فيما يعرف بالاحاديث شيئاً

من أقوال المسيح ونصائحه وأحواله ويتلقونها بالقبول غير ان المعروف
عندنا ان الانجيل المشهورة لم تكتب في عهد المسيح عليه السلام كما كتب
القرآن وغيره في حياة من أنزل عليهم فلا لوم على المسلم اذا طلب التثبت
وتحقيق السند لصحة النقل كما يكون منه ذلك فيما ينقل عن نبيه (صلى الله
عليه وسلم) من الاحاديث لان عروض الشبهة في نقل من تحقق عصمته
أمر طبيعي عند عموم البشر

قال لي أحد المسلمين ان القرآن يشهد بان الله آتى عيسى عليه السلام
الانجيل وجعل في قلوب الذين اتبعوه رافة ورحمة وما امره من الكتب
الالهية تقبله ولا نكر شيئاً منه وان كنا قد نختلف معكم على تفسيره
وتأويله كما اختلف الاحزاب من بينكم وعندنا ان كتابنا ونبينا صلى الله
عليه وسلم قد بشر بهما أنبياءكم من قبل كما تقولون في المسيح عليه السلام
وكما لم يقدح إنكار اليهود لعيسى في اصطفاؤه الله له كذلك لا يقدح إنكار
من أنكروا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم في ثبوت رسالته . ولقد أرشدني
الاطلاع على مذاهب المسلمين في التلميح الى انهم لا يابون عن تسليم أدلة
التيسير التي ذكرها في كتابه المسمى بـ"راعيين دين المسيح غير انهم
يتخذون منها حججاً قوية على ان دينهم الحق . مثلاً يمدون من بيانات دينهم
ودلائل انه الحق سرعة انتشاره واستقبال القلوب وجهته على نحو غريب
عزيز المثال ثم اشراق نور الاخلاص من عقائد الذين آبهوه كما يرشد اليه
أدنى الفكر في أحوالهم من ثباتهم معه في ساعات المسرة ومصابرتهم
في الشدائد وازدياد ايمانهم في الضراء واستقامة سيرهم في السراء . ومنها
ما بهر العقول من الحكم الدقيقة التي برعت بها أحكام القرآن وانطباقها

مجيب على ما تقتضيه طبيعة الانسان الدينية (أي من حيث يطلب ديناً) وتأثيرها الفريب في قلوب الآخذين بها والقائمين على سبيلها واحتماسها لنفوسهم على الكمالات الانسانية واجتذابها لهممهم عن الانتماء الى ما يدعو اليه الرعونة البدنية فهي تلبسهم ثوب الوقار والحشمة في النعماء وتشرهم شمار التسليم والاصطبار في البأساء. وفي الحق أن لهم أن يسألونا هل يمكن لأي مثل محمد (صلى الله عليه وسلم) أن يأتي بمحاثن زكية نقيه عليه وأحكام تسطو بسطانها على النفوس كالتي جاء بها القرآن بدون أن يكون ذلك بوحى من الله وامداد منه

أما ما يقال من ان القرآن لم يذكر فيه معجزة لمحمد صلى الله عليه وسلم سوى القرآن نفسه فعلى فرض ان لا يصح شئ مما نقل في كتب الاحاديث من المعجزات مع انها أشبه بالاناجيل عندنا بحجاب عنه بأن هذا لا يقدح في رسالته بل هو أوضح دليل على صدقه في دعواه اذ لو كان ملبساً أو مفترياً (والمياذ بالله) لما أعوزه التمويه ببعض الغرائب المخترعة ليثبه على اصحابه ويحمل الناس على الإعجاب بفراشه وقدرائنا ان المسيح عليه السلام كان يوبخ اليهود على مطالبتهم له بالمعجزات والذي يظهر لنا انه لولا قساوة قلوبهم وعنادهم لما عول في دعواه عليها. على ان الاعاجيب التي رويت عن المسيح عليه السلام اصبحت في هذه الايام مما يمد عقبة في طريق الاعتقاد بدينه فكثير من الناس محبون الدين سهل القبول لولاها فمدول محمد (صلى الله عليه وسلم) في اثبات نبوته عن سبيل الغرائب واكتفاؤه من المعجزة بكتابه وصدق انبائه والبراهين العقلية التي تحدد فيها البصائر السامية كل ذاك آيات بينات في صدور الذين اوتوا العلم عليها

صدقه ولا اشكال فيه بل هو عين ما يطلبه المسلمون
 ثم ان المسلمين لا يتفقون في اثبات دينهم عند نهاية هذا الجدول لكنهم
 يذهبون أن لهم في الكتب السابقة أدلة بينة على صدق كتابهم ودينهم
 (صلى الله عليه وسلم) وهم على يقين أن الانبياء السابقين (عليهم الصلاة
 والسلام) قد تواتر أنبأؤهم على التبشير بدينهم كما تقول في عيسى عليه السلام
 وما يذهب اليه المسيحيون في تأويل بعض الاخبار المأثورة عن الانبياء
 أو الاصفياء الاولين يخالفهم فيه المسلمون الى تأويل أفضل لهم وقد نجد
 التأويل الثاني الصق بعبارة النبا فان لم يكن فانا نرى التأويلين في كفتين
 متعادلتين وانما يرجع كلا الف صاحبه وميله ولذلك أمثال كثيرة يطول
 سردها ويسهل على الطالب إيجادها

أذكر ما نهني اليه أحد أصدقائي المسلمين من معنى الممددين
 المذكورين في آخر كتاب دانيال النبي عليه السلام وهما عدد ١٢٩٠ وعدد ١٣٣٥
 فيمد ان بين تاريخ انقطاع الذبيحة اليومية من يوم نبي نسه ملك اليهود منذاج
 للاصنام في هيكل القدس وفسر الصم المصوغ الذي نصبه الملك في القدس
 بالرحس المنحرب وعبر عن الحرب بتسخير الإوديين لاورشليم فأراني
 كيف أن احد الممددين المذكورين يأتي بنا الى زمان الهجرة النبوية وان
 الثاني ينتهي بنا الى خلافة معاوية بن أبي سفيان عند ما أتم المسلمون
 فتوحاتهم في سورية ومصر وفارس وافريقيا وكيف قطعت مصالحة الحسن
 ابن علي دابر الشقاق بين الأمة وسكن المسلمون الارض آمنين مطمئنين
 لاخوف عليهم ولا هم يحزنون ولست أحكم بصحة التأويل ولا عدمها
 ولكن أقول انه ليس بأقل جودة من بعض ما أول به قوم آخرون

وأهم ما نقصد الآن أن يعرف النصارى عندنا في انكثرتا كيف يستدل
المحمديون بأبناء كتب اليهود والنصارى على إثبات دينهم وتحقيق يقينهم
بقي شيء يشتد الانكار فيه منا على المسلمين وهو اعتقادهم بجنّة
جسمانية فيها من الحور العين ما تشبهه نفوس المؤمنين على أنى أقول وما
انكارنا ونحن نرى في كتاب نشيد الاناشيد المنسوب الى سليمان بن داود
(عليه السلام) عبارات ان حملت على ظاهرها كانت أدخل في الجسمانية
وعالم المادة من كل ما ينسب الى القرآن غير أننا لمنا من درس فصول
ذلك الكتاب في ترجمته المشهورة ان تلك كنيات عن محبة المسيح لأمة
ثم اننا نرى ذكراً صريحاً للجنة الجسمانية في مكاشفات يوحنا المدودة
عندنا خاتمة الاناجيل فانه يذكر وصف أورشليم الجديدة وهي الجنة
ومساحتها الدقيقة وحدودها وما فيها من أبواب من لؤلؤ وأزقة من
ذهب وجدران من جوهر ويفيض فيما رواه ذلك مما لم يأت القرآن عليه
وان لنا عبارة تألفها نفوسنا ونترنم بها في عبادتنا مع الافتخار اذ نقول
«أورشليم المذهبة المباركة بالابن والصل» وليس بخطئنا ان نقاتل لنا ان نقاتل
المظفرين وأنما نحن الخائفين التي نجدها في مكاشفات يوحنا يذكرنا بأن غاية
المسيحي من ايمانه وأمله المطلوب من عبادته ان يصل الى جنّة نعيمه فيها
ان يأكل ويشرب ويسكر ويذني كما نرى من عمله في هذه الدنيا أيام
الاعياد المشهورة على اننا نأول ذلك كله ونصرفه عن ظاهره ونحمل كل
لفظ وجدل منى محسوس على سر مسموع

وان العرفاء من المسلمين يعتقدون بأن لهم نعيماً روحانياً يتعالى الى
غير النهاية عن النعيم الجسداني ولنا تكابر كما يكابر القسيس (مكول)

ونحكم بأن المسلم لا مطمح له في أخراة الا الاكل والشرب وقضاء شهوات
 أخر وقد ذكر في القرآن في سورة القيامة من جزاء المؤمنين ان تكون
 وجوههم يوم القيامة ناضرة الى ربها ناظرة وفي الاحاديث عندهم ما يدل
 على ذلك ففيها عن نبيهم (صلى الله عليه وسلم) ما معناه ان أعظم فوز يفوز
 به المبد في الآخرة هو لقاء ربه في الفردوس والآصال وهو نعم يفوق كل
 نعم كما يفوق البحر قطرات العرق وفي حديث آخر ان المؤمنين يرون
 ربهم كما يرون القمر ليلة البدر وفي آخر ما يشبه المعروف عندنا ان الله
 قد أعد للمؤمنين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشره
 وان في عوائد المهديين ان رضوان الله أكبر من كل نعم فان وافقنا
 المسلم على ان جنة جنة اية لا تيقن ان تكون جزء الماء في الآخرة
 أفلا يجوز له أن يأكل ما ورد في كتابه من ذلك كما أن جنة المشيد
 وعبارات المكاشفات والتأويل عليه أسهل منه علينا فان سده في كتابه
 ما يشير الى ان بعض ناص الله بهم من التاويل لا يؤيد علمنا فيه
 وله في السنة ما معناه ليس في الجنة شيء مما في الدنيا الا ما يشاء الله
 ثم ذكر لنا في البشارات ما يدوخ الناس في شير الى ان ما جاء به من
 التأويلات خرب من التمثيل لأن صاحب الكتاب بصرح لنا بان ما في
 من الأقوال حق لا ريبه فيه كما هو مذکور فلكم مهديين حق ان طالبوا
 الجنة الروحانية والذائد السامية العقلية وهم مؤمنون بكتابتهم وروايتهم
 هذا المطلب عليهم أيسر منه على كثير من غيرهم وانني أحسب من الظلم
 القاحش أن لا نسوغ للمسلمين سلوك طريق من التفسير لم نزل نبلدك
 في ايضاح غوامض كتابنا المقدس (اسحق طيلر)

مؤتمر الاجتماع الثاني - الداء والفتور العام

في مكة المكرمة يوم الأربعاء سابع عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦

في صباح اليوم المذكور انعقد الاجتماع وبعد قراءة ضبط الجلسة الأولى افتتح الكلام (الأستاذ الرئيس) فقال : أما نجد الباحثين في الحالة النازلة بالمسلمين يشبهونها بالمرض فيطلقون عليها اسم الداء مجرداً أو مع وصفه بالدفين أو المزمع أو المفضل وأمل ما أخذ ذلك ماورد في الأثر وأفته الأسع من تشبيه المسلمين بالجسد إذا اشتكى منه عضو تدعى له سائرته بالسهر والحمى . ويلوح لي ان إطلاق الفتور العام ألقى بان يكون عنوان هذا البحث لتعاقب الحالة النازلة بالأديبات أكثر منها بالملاديات ولأن آخر ما فيها ضعف الحس فيناسب التمييز عنه بالفتور .

ان هذا الفتور في الحقيقة شامل لجميع أعضاء الجسم الإسلامي فيناسب ان يوصف بانعام وربما يتوقف الفكر في الوهامة الأولى عن الحكم بان الفتور عام يشمل المسلمين كافة ولكن بعد التدقيق والاستفراء نجد شاملاً للجميع في مشارق الأرض ومغربها لا يسلّم منه الا افراد شاذة .

فيا أيها السادة ما هو سبب ملازمة هذا الفتور منذ قرون للمسلمين من أي قوم كانوا وأينما وجدوا وكيفما كانت شؤونهم الدينية أو السياسية أو الافرادية أو المعاشية حتى اننا لانكاد نجد اقليمين متجاورين او ناحيتين في إقليم او قربتين في ناحية او بيتين في قرية أهل أحدهما مسلمون وأهل الآخر غير مسلمين الا ونجد المسلمين أقل من حيرانهم نشاطاً وانظماً في جميع شؤونهم الحيوية الدنية والمعمومية وكذلك نجدهم أقل اتقاناً من نظرائهم في كل فن وصنعة مع اننا نرى أكثر المسلمين في الحواضر وجهيمهم في البوادي محافظين على تعزيمهم عن غيرهم من حيرانهم ومخالطينهم في أمهات المزايا الاخلاقية مثل الامانة والشجاعة والسخاء .

فما هو والحالة هذه سبب تحول هذا الفتور وملازمته لجامعة هذا الدين كمالزمة العلة للملول بحيث يقال اينما وجدت الاسلامية وجد هذا الداء حتى توهم كثير من الحكماء ان الاسلام والنظام لا يجتمعان . هذا هو المشكل العظيم الذي يجب على جمعيتنا البحث فيه اولاً ببحث تدقيق واستقراء عسى ان نتهدي الى جبرئومة الداء عن يقين ففسى في مقاومتها حتى اذا ارتفعت العلة برى الليل ان شاء الله تعالى .

(قال الفاضل الشامي) اني اوافق الاستاذ الرئيس على تعريفه ووصفه الخالة
 النازلة بالفتور ولا أعلم ما يمرض كون هذا الفتور عاماً محيطاً بجميع المسلمين .
 قال (صاحب الهندي) اني وان كنت أقل الاخوان فضيلة ولكنني جوال وقد
 خبرت البلاد وأحوال العباد ولا شك عندي في ان هذا الفتور عام وان كان لا يظهر
 في بعض المواقع التي ليس فيها غير المسلمين كقلب جزيرة العرب وبعض جهات
 افريقيا ولا يظهر أيضاً في بعض مواقع اخرى مجاورو المسلمين فيها ومخالطوهم من
 أهل التحل الوثنية القريبة الوضع انتاهية في الشدة كقبايا الصابئة حول دجلة الذين
 يضيئون كثيراً من أوقاتهم منغمسين في الماء تمبداً وكالكوثفون من الزنوج وكاليودية
 من الهنود للمتقين ان كل مصائبهم حتى الموت الطبيعي من تأثيرات أعمال السحرة
 عندهم فان أمثال هؤلاء أكثر فتوراً من المسلمين على ان ذلك لا يرفع صفة الفتور
 وعموميته عن المسلمين .

فقال (الاستاذ الرئيس) ان صاحب الهندي مصيب في تفصيله وتحريره ولذلك
 رجعت عن قولي بان المسلمين أحط من غيرهم . مطلقاً الى الحكم بأنهم أحط من
 غيرهم ماعدا أهل التحل المتشدة في الدين .

قال (الحافظ البصري) يلوح لي انه يلزم استثناء الدهريين والطيبيين وأمثالهم
 ممن لا دين لهم لانهم لا بد ان يكونوا على غير نظام ولا ناهوس في أخلاقهم ومذنبين
 منصفين في حياتهم منحطين عن أهل الأديان كما يعترف بذلك الطيبيون أنفسهم فيقولون
 عن أنفسهم انهم اشقى الناس في الحياة الدنيا .

فاجابه (صاحب الهندي) اني كنت أيضاً أظن انه يوجد في البشر أفراد ممن
 لا دين لهم وان عن كانوا كذلك لا خلاق لهم ثم ان اختباري الطويل قد برهن في على
 ان الدين بمناه العام وهو ادراك النفس وجود قوة غالبية تتصرف بالكائنات والحسوع
 لهذه القوة على وجه يقوم في الفكر هو أمر فطري في البشر وان قولهم فلان دهري
 أو طيبي هو صفة لمن يتوهم ان تلك القوة هي الدهر أو الطبيعة فيدين لما يتوهم .
 ثبتت عندي ما يقرره الاخلاقيون من أنه لا يصح وصف صنف من الناس بأنهم لا دين
 لهم مطلقاً بل كل انسان يدين بدين اما صحيح او فاسد عن أصل صحيح واما باطل
 او فاسد عن أصل باطل والفسدان يكون فسادها اما بتقصان او زيادة او تخليط
 فهذه أقسام ثمانية .

فالدين الصحيح كافل بالنظام والنجاح في الحلال والسعادة والفلاح في المآل والباطل

والفاسدان يتحسان قد يكون اعتمادها على نظام ونجاح في الحياة على مراتب مختلفة
وأما الفاسدان بزيادة أو بخليط فهلكة محضة ثم أقول ربما كان تقريري هذا غريباً
في بابه فالتمس ان لا يقبل ولا يرد الا بعد التدقيق والتطبيق لانه اصل مهم لمسألة
الفتور العام المستولي على المسلمين .

(قال الرئيس الأستاذ) اني اجلكم ايها السادة الافاضل عن لزوم تعريفكم آداب
البحث والمناظرة غير اني انبه فكم لا امر لا بد ان يكون في نفوسكم جميعاً او محبوا
ان يصرح به الا وهو عدم الاصرار على الرأي الذاتي وعدم الانتصار له واعتبار ان
ما يقوله ويبيده كل منا ان هو الا خاطر سنح له فربما كان صواباً او خطأ وربما كان
مخيراً لما هو نفسه عليه اعتقاداً وعملاً وهو انما يورده في الظاهر معتمداً عليه وفي
الحقيقة مستشكلاً او مستتباً او مستظماً رأي غيره فلا أحد منا ملزم برأي يبيده
ولا هو معلوم عليه وله ان يمدل او يرجع عنه الى ضده لاننا انما نحن باحثون لامتاظرون فاذا
أعجبنا رأي المتكلم منا أثناء خطابه اعجاباً قوياً فلا بأس ان نجهر بلفظ (مرحى) (١)
تأييداً لاصابة حكمه وانذاراً باستحسانه فلتمض في بحثنا عن أسباب الفتور
العام على هذا النسق

قال (الفاضل الشامي) اني ارى ان منشأ هذا الفتور هو بعض القواعد الاعتقادية
والاخلاقية مثل العقيدة الجبرية التي من بعد كل تعديل فيها جمات الامة جبرية باطناً
قدرية ظاهراً (مرحى) ومثل الحث على الزهد في الدنيا والقناعة باليسير والكفاف
من الرزق وامانة المطلب النفسية كحب المجد والرياسة والتباعد عن الزينة والمفاخر
والاقدام على عظيم الامور وكالتعيب في ان يعيش المسلم كبيت قبل ان يموت وكفى
بهذه الاسول مفترات مخدرات مشكلات ومعاملات لا يرتضيها عقل ولم يأت بها شرع
ولئها نفى عثمان بن عفان رضي الله عنه ابا ذر الغفاري الى الردة .

فاجابه (البلخ القدسي) ان هذه الاصول الجبرية والنزهدية المترجمة بمقائد
الامة وما هو أشد منها تعطيلاً الاخذ بالاسباب ولنشأة الحياة موجودة في جميع الديانات
لتمدل من جهة شره الطيعة البشرية في طلب الغايات وتدفعها الى التوسط في الامور
وتكون من جهة اخرى نهاية لا عاجزين وتفويضاً عن المقهورين البائسين وتوسلاً
الى حصول التساوي بين الاغنياء والفقراء في مظاهر التميم .
الاي يرى اجماع كل الاديان على اعتقاد القدر خيره وشره من الله تعالى او خيره

(١) مرحى — كلمة تعجب بقولها العرب عند اصابة الرامي المرعى

منه وشبهه من النفس او من الشيطان ومع ذلك ليس في البشر من ينسب أمراً الى القدر الا عند الجهل بسببه ستراً لجهله او عند المعجز عن نيل الخير او دفع الشر ستراً لمجزئه وحيث غاب أخيراً على المسلمين جهل اسباب المسببات الكونية والمعجز عن كل عمل التجأوا الى القدر والزهد تمويهاً لا ديناً . وهذا التبتل والخروج عن المال من أعظم القربات في التصيرية فهل كان قصد شارع إرهابية ان ينقرض الناس كافة بعد جيل واحد ام كان قصده ان يشرعها على ان لا يتلبس بها الا القليل المتردد؟ كلا لا يعقل في هذا المقام الاتعميم وينتج من ذلك انه لا يصح اعتبار هذه الأصول الجبرية والتزهدية سبباً للفتور بل هي سبب لا اعتدال النشاط وسيره سير انتظام ورسوخ . وفي النظر الى المشاق والمضام التي اقتحمها الصحابة والخلفاء الراشدون رضي الله عنهم لنيل الفنى والرياسة والفخار مع الاجر والثواب أقوى برهان مع ان الامة اذ ذلك كانت زايدة فعلا لا كالمزهد الذي ندعيه الآن كذياً ودياه (مرحى)

وإذا تبعنا كل ما ورد في الاسلامية حثاً على الزهد نجد موجهاً الى الترغيب في الايثار العام اى تحويل المسلم ثمره سميحة للمنتفعة العمومية دون خصوص نفسه حتى ان كل ما ورد في الحث على الجهاد في سبيل الله مراد به سمي المؤمن بكل الوسائل حتى يبذل حياته لاعزاز كلمة الله واقامة دينه لافى خصوصية محاربة الكفار كانوا هم العامة كما ان المراد من محاربة الكفار هو من جهة اعزاز الجامعة الاسلامية ومن أخرى خدمة الجامعة الانسانية من حيث الجلاء الكفار الى مشاركة المسلمين في سعادة الدارين لان الامم المتقدمة علماً ولاية طبيعية على الامم المتخلفة فيجب عايناً انسانية ان تهديها الى الخير ولو كرها باسم الدين أو السياسة .

ثم قال أمثالاً فيخيل إلي أن سبب الفتور هو تحول نوع السياسة الاسلامية حيث كانت سياية اشتراكية اى (ديمقراطية) تماماً فصارت بعد الراشدين بسبب تمادي الحزبات الداخلية ملكية مقيدة بقواعد الشرع الاساسية ثم صارت أشبه بالملقة . وقد نشأ هذا التحول من ان قواعد الشرع كانت في الأول غير مدونة ولا محررة بسبب اشتغال الصحابة المؤسسين رضي الله عنهم بالفتوحات وتفرقتهم في البلاد فظهر في أمر ضبطها خلافات ومباينات بين العلماء وتحكمت فيها آراء الدخلاء فرجحوا الاخذ بما يلائم بقايا نزعاتهم الوثنية (وايهم لم يدنسوا الاسلام بالدخول فيه) فاتخذ العمال السبائون ولا سيما المتطرفون منهم هذا التخالف في الاحكام وسيلة للإنتقام والاستقلال السياسي فنشأ عن ذلك ان تفرقت المملكة الاسلامية

الى طوائف متباينة مذهباً متمادية سياسة متكاسفة على الدوام وهكذا خرج الدين من حضنة أهلها وتفرقت كلمة الامة فطامع بها أعداؤها وصارت ممرضة للمحاربات الداخلية والخارجية مما لا تصادف سوى فترات قليلة تترقى فيها في المعلوم والحضارة على حسابها . وقد أثر استمرار الامة في هذه الحروب ان صارت باعتبار الاكثية امة جديدة صنعة وأخلاقاً بعيدة عن الفنون والصنائع والكسب بالوجوه الطبيعية . ثم بسبب فقدان القواد والمعدات لم يبق مجال للحروب الراجحة فاقصرت الامة على المدافعات خصوصاً منذ قرنين الى الآن أي منذ صارت الجندية عند غيرنا صنعة علمية مفعولة عندنا فصرنا نستعمل بأسنا بينما فهمش بالتغالب والاحتيال لا بالثامون والتبادل وهذا شأن يمت الانتباء والنشاط ويولد الجول والفتور (مرحلي)

فابتدر (الحاكم التونسي) وأجاب ان غيرنا من الاقوام كجرمانيا مثلاً وجدوا في حكومات مطلقة وفي اختلافات مذهبية وفي انقسامات الى طوائف سياسية وفي حروب مستمرة ولم يشملهم الفتور بوجه عام فلا بد للفتور في المساميين من سبب آخره ثم قال وفيما أنصو ان بلائنا من تأسل الجهل في غالب أصرنا المترفين الأخرين أعمالاً الذين ضلوا وأضلونا سواء السيل وهم يحسبون انهم يُحسنون صنماً حتى ابغ جهل هؤلاء دركة أسفل من جهل المجرمات التي لها طبائع ونواميس فيها التي تحمي ذمارها وتمنع عن حدودها وتدافع عما استحفظت عليه وهؤلاء ليس لهم طبائع ونواميس فيخربون بيوتهم بأيديهم وهم لا يشعرون . ومنهم الذين ضلوا على علم وهم الذين يشكون ويبيكون حتى يظن انهم مغلوبون على أمرهم ويتشدقون بالاصلاح السياسي مع انهم وأيم الحق يقولون بأفواههم ما ليس في قلوبهم يظهرون الرعية في الاصلاح ويبطون الاصرار والتمناد على ما هم عليه من إفساد دينهم وديارهم وهدم مباني نجدهم واذلال انفسهم والمسلمين وهذا داء عياه لا يرجي منه الشفاء ، لانه داء الضرور لا يقر صاحبه لفاضل بفضيلة ولا يجاري حازماً في مضمار وقد سرى من الامراء الى العلماء ثم الى سائر الطبقات

فأجاب (المولى الرومي) ان الفناء التبعة على الامراء خاصة غير شديد خصوصاً لان أصرنا ان هم الاليف منا فهم أمثالنا من كل وجه وقد قبل كما تكوّنوا بولاي عليكم فلو لم نكن نحن مرضى لم يكن أصرنا مدنفين وعندي ان البلية هي فقدان الحرية وما أدرانا ما الحرية؟ هي ما حرمنا معنا حتى نسبناه ، وحرّم علينا ان نفظه حتى استوحشناه . وقد عرف الحرية من تعرفها بأن

يكون الإنسان مختاراً في قوله وفعله لا يمتزضه مانع ظالم ومن فروع الحرية تساوي الحقوق ومحاسبة الحكام باعتبار أنهم وكلاء وعدم الرهبة في المطالبة بالحقوق وبذلك التصيحة . ومنها حرية التعاليم وحرية الخطابة والمطبوعات وحرية المباحثات العلمية . ومنها العدالة بأسرها حتى لا يخشى انسان من ظالم أو غاصب أو غدار هتانا . ومنها الأمن على الدين والأرواح والأمن على الشرف والأعراض والأمن على العلم واستثماره فالحرية هي روح الدين وينسب الى حسان بن ثابت الشاعر الصحابي رضي الله عنه وما الدين الا أن تقام شرائع وتؤمن سبل بيتنا وهضاب

فانظر كيف حصر هذا الصحابي الدين في اقامة الشرع والأمن . هذا ولا شك ان الحرية أعز شيء على الانسان بعد حياته وان يفقدانها تفقد الآمال وتبطل الاعمال وتموت النفوس وتتعطل الشرائع وتختل القوانين . وقد كان فينا راعي الحرفان حراً لا يعرف للملك شيئاً يخاطب أمير المؤمنين بيا عمر ويا عثمان فصرنا ربما تقتل الطفل في حجر أمه ونلزمها الكوت قسكت ولا تجبر أن تزجج سماناً بيكاتها عليه . وكان الجندي الفرد يؤمن جيش العدو فلا يخفره عهد فصرنا تمنع الجيش العظيم من صلاة الجمعة والميدين وتسهن بدنه لا حاجة غير الفخفة الباطلة (مرعى)

فامل هذا الحال لاغروه ان تسم الأمة حياتها فيستولى عليها الفتنور وقد كرت القرون وتواتت البطون ونحن على ذلك عاكفون فتأصل فينا فقد الآمال . وترك الأعمال ، والبعد عن الجسد والارتياح الى الكسل والهزل والانغماس في اللهو تسكيناً لآلام أسير النفس والاخلاد الى الحمول والتفعل طلباً لراحة الفكر المضغوط عليه من كل جانب الي أن صرنا ننفر من كل الماديات والجديات حتى لا نطبق معاملة الكتب النافعة ، ولا الاصغاء الى النصيحة الواضحة . لأن ذلك يذكركنا بمفردنا العزيز فتنام أرواحنا وتكاد ترهب اذا لم نأجأ الى الناسي بانماهيات ، والخسرات المروحات ، وهكذا ضعف احساسنا ومات غيرتنا وصرنا نغضب ونحقد على من يذكركنا بالواجبات التي تقتضيها الحياة الطبية لهجزنا عن القيام بها محجزاً وانصياً لاطيمياً هذا ونعترف بأن فينا بعض الخرام قد القوا من الوف سنين الاستعباد والاستبداد والذل واهوان فصار الأخطاط طبما لهم تؤنهم مفارقه وهذا هو السبب في أن السواد الأعظم من الهنود والمصريين والتواسين صاروا بعد أن نالوا رغم أنوفهم الأمن على الانفس والأموال ، والحرية في الآراء والاعمال . لا يرون ولا يتوجهون لحالة المسلمين في غير بلادهم بل ينظرون للتاقين على امرائهم المسلمين شترا أوربا يمترون

تتألف الاملاخ من المارقين من الدين كأن مجرد كون الامير مسلماً يقضي عن كل شيء حتى عن العدل وكان طاعته واجبة على المسلمين وان كان يجرب بلادهم ، ويقتل اولادهم ، ويتوهم ايسامهم لحكومت اجنبية كما جرى ذلك قبلا معهم والحاصل ان فقدان الحرية هو سبب الفتور والتفاس عن كل سبب وميسور .

أجاب (المجتهد التبريزي) ان هذا الحال ليس بعام مع ان الفتور لم يزل في ازدياد واستحكام فلا بد لذلك من سبب آخر

ثم قال : ويلوح لي ان المحطاطنا من أنفسنا اذا كنا خير أمة أخرجت للناس نصب الله وحده أي نخضع ونسلك له فقط ونطيع من أطاعه مادام مطيعاً له نأمر بالمعروف وننهي عن المنكر أمرنا شورى بيننا نتعاون على البر والتقوى ولا نتعاون على الإثم والعدوان . فتركنا ذلك كله ما صعب منه وما هان . وقد يظن أن أصعب هذه الامور النهي عن المنكر مع أن ازالة المنكر في شرعنا تكون بالفعل فان لم يمكن فبالقول فان لم يمكن فبالقاب وهذه الدرجة الثالثة هي الاعراض عن الحائز والفاسق والفتور منه وابطان بنجسه في الله

ومن علامته ذلك تجنب محامته ومعاملته . ولا شك ان اقامة هذا الواجب الديني كافٍ للردع ولا يتصور المعجز عنه قط قال تعالى (ولولا دفعُ اللهِ الناسَ بعضهم ببعض لفسدت الارضُ) فهذا هو سبب ارسال الامة في عبادة الامراء والاهواء والاهام وفي طاعة المصاة اختياراً وترك الناصح والركون الى الفساق والاذعان للاستبداد والتخاذل في الخير والشر قال تعالى (وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) وعنه سفيان بن عيينة وسلم (٥) « لما أمرن بالمعروف والنهي عن المنكر أو ليسمعين الله عنكم سيراتكم فليدومونكم سوء المذاب » الى غير ذلك من الآيات اليناث والاحاديث المتذرات القاضيات بالخذلان على تاركي الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فهذا هو السبب الناشئ عنه الفتور .

(٥) المنار - لفظ الحديث « او يسامعنا الله عنكم سيراتكم يدعو خياركم فلا يستجاب لهم » رواد الزرار عن عمر والطبراني عن أبي هريرة وسندها ضعيف . وللترمذي من حديث حذيفة نحوه الا انه قال « او لم يشكن الله ان يبعث عليكم عقاباً منه ثم تدعونه فلا يستجاب لكم » وقال حديث حسن

باب التوسل بالتعلم

هو التعليم الذي ترتقى به الأمة

أكثر الناس في بلاد الشرق — بلاد البطالة والكسل — يقنون أزمتهيم بالعبث والافتر من القول فلا تسمع منهم في أنديةهم وسمازمهم الا الحوض بفلان والازراء بفلان وما أشبه ذلك . مما هنا وهناك ، ورب فئة قليلة تحب الجهد وتحار للبحث والحوار المسائل النافعة وقد كتبنا مقالة في الجزء الرابع والعشرين من السنة الماضية في موضوع حديثهم في سامر من سمازم وهو اصلاح الدولة العلية . ونذكر هنا أنهم رأوا أن يقترحوا على كل واحد منهم كلما ضمهم نادٍ أو سامر أن يتكلم في مسألة من المسائل النافعة وابتدأوا بالاقتراح على كاتب هذه السطور أن يتكلم في التعليم النافع للمسلمين فأجاب واتي اذكر بعض مآقلته هناك ماخصاً وقد ابتدأت بذكر عيوب التعليم عندنا وهي

السب الاول عدم اللثة احياء العلم لا يكون الا بآمنة حية وائمة الاسلام والمسلمين المرنية وانكهم أهملوا تعلمها وتعليمها حتى آتي أقول مآقلته من قبل آتي لأعرف مدرسة في الدنيا تعلم فيها الائمة المرنية الصحيحة ومن عنده حظ من هذه الائمة فانما تعلمه بنفسه لاهتداه الى طريقة التعلم بذكائه أو بارشاد مرشد آخر وسأاتي الاشارة الى كيفية هذا التعلم وان كان النار قد تعلمه من قبل تفصيلاً .

السب الثاني في اختلاف منابع التعليم التعليم النافع هو ما يكون به قوم الائمة وترقيهم والترقي انما يكون بالرجال المتعلمين العلم النافع لها لان زمانها يكون في أيديهم وتواد الائمة يجب أن يكونوا متفقين في مقاصدهم الاصلاحية وانما يكون هذا الاتفاق والاتحاد اذا كانت تربية عقولهم وافكارهم متحدة ولن تكون متحدة الا اذا كان التعليم من منبع واحد . والتعليم في بلادنا بعضه في مدارس الحكومة وبعضه في المدارس الاخجية من فرنسية وأيركانية وانكليزية واسرائيلية وليس منه شيء موافق لحاجة الامة وينطبق على مصاحبتها فان اكمل صنف من هذه الاصناف فعمد من التعليم انما سياسي وأما ديني غير الاسلامي والتعليم في المدارس الالهية الاسلامية ناقص بحيث يصح ان نقول انه دون كل تعليم . ولا استغني المدرسة الدينية الالهية الكبرى وهي

جامع الأزهر، فكيف نعرف أنها ليس فيها غناء، وأنها مقصورة كل التقصير في وظائفها الأولى وهي احياء اللغة العربية وعلوم الدين . على ان علم الدين لا يكاد يوجد في غير الأزهر وما يقبضه من المساجد فهو على تقصير من غير من هذه الجهة « ومن للحمي بالذوق »
المسب ٣ عدم التربية والتعليم لا يفيد النجاح المألوف للإمة الا اذا كان مقدرنا لله بنية الملية القومية وهذه التربية مفقودة عندنا لان القائمين على أمر التعليم لا يهتمون أمرها بل « هو مبين لتقصدهم السياسي والديني . على أنهم لو حاولوها لما أحسنوها لانه لا يحسن الشيء الا من يتوجه اليه بياعث الشعور بحاجته وحاجة أمة اليه مع العلم بطريقه الطبيعي . وقد علمنا ان اكثر المسلمين المشتغلين بالتعليم جاهلون بطرقه وعادموها الاحساس والشعور بالحاجة الملحة القومية . وعلمنا حال مدارس الاجانب والمدارس الحكومية في مصر حكمها لان روح التعليم فيها انكليزي استعماري لا انكليزي سكوتي . ولا يحسن أحد ان مدارس الحكومة في بلاد الدولة العلية أمثل وأنفع من مدارس الحكومة في مصر بل الصواب أنها دونها في كل البلاد لاسيا العربية منها الا مدارس دار السلطنة فاتها أرقى من مدارس مصر لان فيها روحاً وطنياً حقيقياً تجرت السياسة عن ازهاقه

هذه هي العيوب الاساسية للتعليم في البلاد الاسلامية . اما ازالة هذه العيوب من مواطنها فلا سبيل اليه ولا طاقة لنا به ولكن من الممكن السعي في ايجاد تعليم نافع وربية قوية والطريق اليه واحد وهو انشاء المدارس الكلية التي تربي الناشئين وتعلمهم التعليم الابتدائي والتجهيزي والمالي ولكنه طريق يمسر طريقه وإشراعه لاننا فقراء في المال وفي العلوم والحقول وهذا الفقر المنضوي أشد فينا فتكا ولكنه لا يعوزنا ويسجرتنا في طريقنا هذا كما يعجزنا ويعوزنا الفقر المادي فان من اوتي نصيباً من العلم والمقل والأدب يجود بما عنده مرئاحا اليه اذا رجا الانتفاع به ولكن الذين أوتوا المال منا قد أوتوا معه البخل والشفه معاً فهم يبذلون المال في طرق الفساد بغير حساب ولا يخرج من ايديهم درهم في طريق الخير الا تكداً . وليس المقام مقام بيان تطبيق الطريق لانشاء مدرسة كلية في مصر ولكنني أقول ان هذه الفئة تحب خدمة أمتها اذا لم تجتهد في انشاء هذه المدرسة فلنا ان نحكم بأنهم لم تعمل شيئاً يذكر واذا هي لم تعمل فلا ندري متى تلد أرض مصر خيراً منها يعمل خيراً من عملها
 أما التعليم والتربية في الكلية فلانجحت فيما لان الحاضرين يعرفون هذا الفن (اليدا جوجيا) وانما ننبه على وجوب احياء اللغة العربية بالعمل بان يكون الكلام

المربي الصحيح هو اللسان الرسمي فيها ويعلم كما تعلم اللغات الأخرى في المدارس لا كما يعلم هو فيها . وأما تعاليم الدين فيجب أن يكون أساسه القرآن والسنة الصحيحة ومعرفة الأجماع وإن يمدت كل ما وراء هذا من الخلاف بين أئمة المسلمين وعلمائهم كالخلاف في المسائل العلمية ، لا ينكت من قتل الأخوة الإسلامية ، وكل ما هو من أعمال الجوارح يكون تعليمه بالعمل كالصلاة مثلا وما عدا ذلك يعلم بالقول . وأما التربية فما يجب التنبه عليه تربية الإرادة والمزينة التي هي منشأ الاستقلال الشخصي والنوعي تبع للشخصي وتربية الأخلاق بملاحظة السيرة والسلوك وتربية الخيال التي تمد للخطابة والشعريات المؤثرة في النفوس . هذا ما أراه نافعا من التعاليم الإسلامية وفق الله المسلمين للحقيقة ، والسير طريقه ، آمين

أشعار العربية

مقدمة لكتاب أسرار البلاغة

بسم الله الرحمن الرحيم

الرحمن علم القرآن ، خالق الإنسان علمه البيان ، قلبه الحمد أن علم ، والشكر على ما أنعم ، ومنه الصلاة والتسليم ، على نبيه الرؤف الرحيم ، الذي جاء بتوحيد اللغة والدين ، وجعل الكتاب والحكمة في الآمين ، فكانوا بذلك أئمة وكانوا هم الوارثين

الإنسان يمتاز بالعلم وإنما العلم بالتعلم والتعلم باللغة ، واللغات تفاضل في حقيقتها وجوهرها بالبيان وهو تادية المعاني التي تقوم بالنفس تامة على وجه يكون أقرب الى القبول وأدعى الى التأثير وفي صورتها وأجراس كلماتها بمذوبة التطق وسهولة اللفظ واللقاء والحفة على السمع . وإن للغة العربية من هذه المميزات الميزان الراجح ، والجواد الفارج ، يعرف ذلك من أخذها بحق ، وحجى فيها على عرق ، فكان من مبرراتها على علم ، وضرب في أساليبها بسهم ، ومن آية ذلك لغبر المعارف إن أوتيتك الشراذم والأوزاع من أهلها قد حملوها الى الأمم ، التي كان لغاتها في العلوم قدم ، ولم يحملوهم عليها بالإلزام ، ولا بالتعالم العام ، وكان من أمرها مع هذا أن نسخت

بطبيعتها لغة المصريين من مصرهم والرومانيين من شامهم واستعانت على الفارسية المذبة في موهبا وموطنها وامتد شماعها الى الاندلس في غربي أوروبا بعد ما طاف ساحل أفريقيا الشمالي والى جدار الصين من الشرق — كل ذلك في زمن قريب لم يعرف في التاريخ مثله للغة اخرى من لغات الفانحين الذين يتخذون كل الوسائل لفشر لغاتهم وتعميمها بالتعليم العام وضروب الترغيب والترهيب

كانت لغة اميين وثنين جاهلين فظهر فيها كل الأديان فكانت له أكل مظهر ، وتجلي لها العلم فكانت له خير مجلتي ، وصارت بذلك لغة الدين والشريعة ، وعلوم العقل والطبيعة ، ولكن عدت على أهلها عواد كونية ، وطرأت عليهم أمراض اجتماعية ، فضعف فيهم كل مقوم من مقومات الام الحية ، ومن تلك المقومات الحقيقية اللغة فقد فسدت ملكتها في الالسنه والتوى طريق تعليمها في المدارس ، حتى كادت تكون من اللغات الدوارس

ظهر ضعف اللغة في القرن الخامس وكانت في ريمان شبها وأوج عزها وشرفها وكان أول مرض ألم بها الوقوف عند ظواهر قوانين النحو ومدلول الالفاظ المفردة والجمال المركبة والانصراف عن معاني الاساليب ، ومازى التركيب ، وعدم الاحتفال بتعريف القول ومناحيه ، وضروب التجوز والكناية فيه ، وهذا ما بست عزيمة الشيخ عبد القاهر الجرجاني امام علوم اللغة في عصره الى تدوين علم البلاغة ووضع قوانين للمعاني والبيان كما وضمت قوانين النحو عند ظهور الخطأ في الاعراب فوضع هذا الكتاب في البيان ومن فاتحته ينقسم القارئ ان دولة الالفاظ كانت قد تحكمت في عصره واستبدت على المعاني وأنه يحاول بكتابه تأييد المعاني ونصرها ، وتعزيز جانبها وتد اسرها

كتب قبل عبد القاهر في مسائل من البيان بعض البلاغاء تتجاسظ وابن دريد وقدامة الكتاب ولكنهم لم يبلغوا فيما بنوه أن جعلوه فناً مرفوع القواعد مفتوح الابواب كما فعل عبد القاهر من بعدهم فهو واضح علم البلاغة كما صرح به بعض علمائها وان لم يذكر له هذه المنقبة المؤرخون الذين رأينا ترجمته في كتبهم حتى ان ابن خلدون الذي تصدى دون القوم للإمام بتاريخ الفنون اهل ذكره وزعم ان الذي هذب الفن بعد أولئك الذين كتبوا في مسائل متفرقة منه هو السكاكي . وما كان السكاكي الا عيالا على عبد القاهر تلاتلوه وأخذ عنه مع المخالفة في شيء من الترتيب والتبويب ولكنه لم يسلم من التكلف في بعض عبارته ، والتعقيد في بعض منازعه ، فاذا جاز لنا

ان تقول أنه فاق لتأخره بالترتيب العلوم ، وبما حرره من الحدود والرسوم ، قلنا
لأنفس من فضل التقدم سلامة عبارته ، وصفاء ديباجته ، وغوصه على أسرار
الكلام ، ووضع دررها في أبداع نظام ،

كان السكاكي وسطاً بين عبد القاهر الذي جمع في البلاغة بين العلم والعمل
وأضرباً به من البلاء العاملين وبين المتكافين من المتأخرين الذين سلكوا بالبيان سلك
العلوم النظرية ، وفسروا اصطلاحاته كما يفسرون المفردات اللغوية ، ثم تنافسوا
في الإحصار والإيجاز ، حتى صارت كتب البيان أشبه بالمعجمات والألفاظ ، فضاعت
حدوده بتلك الحدود ، ودرست رسومه بهائيك الرسوم ، وكان من أثر فساد
ذوق اللغة اختيار هذه الكتب التي ملكت المعجمة عليها أمرها على الكتب التي
تهديك إلى العلم الصحيح بمعانيها ، وتهدي إليك الذوق السليم بأساليبها ومناحيها ،
فكادت كتب عبد القاهر تحمى وتنسخ ، وصارت حواشي السعد تطبع وتنسخ ،
وهذا هو حظ العلم النافع إذا أتى إلى الأمة في طور التدلي والضعف ، فمثل عبد
القاهر في أسرار بلاغته ودلائل اعجازة كمثل ابن خلدون في مقدمته والساطان
سليمان الصبائي في قوانينه

رب غذاء طيب نافع عاقته النفس لمرض ألم بها حتى إذا نفثت أو ابلت اشتتهه وطلبته
وهذا هو مثلنا أمس واليوم فقد كنا متفقين على أخذ العلم من كتب علمائنا المتأخرين
كما يختار المريض الغذاء الضار فظهر فينا هداة مرشدون يسمون في أحياء مآماته
الجهل من آثار سلفنا ومصنفات أئمتنا ويدلوننا على العلم الحمي الذي تفجر من ينابيع
النفوس الحية لتفرق بينه وبين الرسوم الميتة التي سبها الجهل علما

ولما هاجرت إلى مصر في سنة ١٣١٥ لانشاء (المنار) الإسلامي ألفت إمام
 النهضة الإسلامية الحديثة الأستاذ الحكيم الشيخ محمد عبده رئيس جمعية أحياء العلوم
 العربية ومفتي الديار المصرية اليوم مشتغلاً في بعض وقته بتصحيح كتاب دلائل الإعجاز
 للإمام عبد القاهر الجرجاني وقد استحضرت نسخة من المدينة المنورة ومن بغداد
 ليقابلها على النسخة التي عنده فسألته عن كتاب (أسرار البلاغة) للإمام المذكور
 فقال أنه لا يوجد في هذه الديار فأخبرته بأن في أحد بيوت العلم في طرابلس الشام
 نسخة منه فحتمني على استحضارها وطبعها فطلبها من صديقي الحميم العالم الأديب عبد
 القادر أفندي المغربي وهي مما تركه له والده قاضي الطالب . وعامنا ان نسخة أخرى
 من الكتاب في إحدى دور الكتب السلطانية في دار السلطنة السنة فندبنا بعض

طلاب العلم اذ كانوا نقالين نسخاً بكتاب النسخة فخرج لنا من مجموعها ما ليس
صحيحة شرعاً في طبعها ووضعنا في ذيل المطوع شرحاً لطيفاً تبيننا فيه الكلمات
الغريبة وفسرنا منها ومن عمل الكتاب من رأيت به يتحقق التفسير وأشرنا الى الخلاف
بين النسختين ، فيما يحتمل صحة الآتين ،

أما كون عبد القاهر هو واضع الفن ومؤسسه فقد صرح به غير واحد من
العلماء الاعلام أجابهم قدراً ، وأرفقهم ذكراً ، أمير المؤمنين ، محي علوم اللغة والدين ،
السيد يحيى بن حمزة الحسيني صاحب كتاب (العزاز ، في علوم حقائق الاعجاز) ،
فقد قال في فاتحة كتابه هذا وهو من أحسن ما كتب في البلاغة بعد عبد القاهر مائة :
« وأول من أسس من هذا الفن قواعده وأوضح براهينه ، وأظهر فوائده
ورتب أفانيه » الشيخ العالم النحرير علم المحققين عبد القاهر الجرجاني فلقد فك قيد
الغرائب بالقييد ، وهد من سور المشكلات بالتسوير المشيد ، وفتح أزميره من أكامها ،
وفق أزراره بعد استملاقها واستهامها ، فجزاه الله عن الاسلام أفضل الجزاء ، وجمال
نصيبه من ثوابه أوفر النسيب والجزاء . وله من المصنفات في كتابان أحدهما لقبه
بدلائل الاعجاز ، والآخر لقبه بأسرار البلاغة ، ولم أقف على شيء منهما ، مع شغفي
بجهما وشدة إعجابي بهما ، الا ما نقله العلماء في تعاليقهم منهما ، »

وأما مكانة هذا الكتاب وبيان ما يمتاز به على كتب البيان فحسبي عرضه على
الانظار مع التثنية على مسألتين نافعتين (احدهما) ان العلم هو صورة المعلوم مأخوذة
عنه بواسطة الادراك كما تؤخذ الصورة الشمسية بالآلة المعروفة فان كان المعنى المنزع
من الجزئيات قانوناً كلياً يرشد اليها فهو القاعدة وان كان صورة تناسها وتقربها من
الفهم فهو المثال . (والثانية) ان القاعدة الكلية هي صورة اجمالية للمعلومات الجزئية
والأمثلة والشواهد صور تفصيلية لها . والتعلم انما يقع انما يكون بقرن الصور المنفصلة
بالصورة المجملية اذ بالتفصيل تعرف المسائل وبالأجمال تحفظ في العقل وبهذه الطريقة
يجمع بين العلم والعمل الذي يثبت به العلم وهي طريقة عبد القاهر في كتابه هذا وكتاب
دلائل الاعجاز على ان كلام الشيخ رحمه الله تعالى كله من آيات البلاغة فهو يعطيك
علمها بعمانيه ، وعملها بعمانيه ، وبهذه المميزات يفضل هذا الكتاب جميع ما بين أيدينا
من كتب الفن لانها انما تقتصر على سرد القواعد والاحكام بعبارة اصطلاحية ،
تذكرها بلاغة الاساليب العربية ، ولا تذكر من الشواهد والأمثلة الا القليل انادره
الذي أدلي به السابق الى اللاحق والاول الى الآخر ،

لهذا يادر الأستاذ اذا الامام . معنى التدبير الحنفية في هذه الايام . الى تدريس الكتاب في الازهر الشريف عميد شروعاتي في طبعه فاقبلت اني انشور درسه مع اذ لياه الطلاب كثيرين من العلماء والمدرسين والاذة المدارس الابرية . وقد قال أحد فضلاء هؤلاء المستاذين بعد حضور الدرس الاول : اننا قد اكتشفنا في هذه الالية معنى علم البيان .

وقد ظهر للاستاذ في غضون التدريس والمطالمة اغلاط في الكتاب بعضها من الطبع وبعضها من تحريف النسخ في الاصل واغلاط أخرى في الموامس فأحصيناها كلها من نسخته ووضعنا لها جدولاً في آخر الكتاب تماماً لانفاذه . وما يجب التنبيه عليه ان بعض تراجم فصول الكتاب هي من وضعنا فان المصنف رحمه الله تعالى كان يكتبني في كثير منها بكلمة (فصل) اه وبلي ذنات المصنف

﴿ الهدايا والتقايرظ ﴾

(فتح القدير شرح الهداية لتجهد الحنفية في القرن السابع الكمال بين الهمام)
 يتنب طلاب فقه الحنفية عشرين سنة أو أكثر ليكونوا فقهاء في هذا المذهب فيضيع نسب الاكثرين سدى لاشتغالهم بكتب التأخرين المحشوة بالفروع الشاذة وغير الشاذة والاضطراب في التصحيح والترجيح ولا يكون الانسان بهذه الطريقة فقيهاً ولو أفنى عمره في الدراسة . وقد كان لهؤلاء بعض العذر قبل ان يطبع هذا الكتاب (فتح القدير) الذي هو أحسن كتب المذهب في تحرير المسائل وبسط أدلتها وأثر جدياً الى أسرارها . وقد كان العلماء يتناقضون في الاطلاع عليه حتى ان ابن عابدين المشهور ضمير نسخة من فاشترأها بوزنها ذهباً . وقد كان طبع في الهند فطلب نسخاً منه أكابر فقهاء الحنفية فأفوه كما كان يقول أحدهم (الشيخ عبد الفنى الرافعي رحمه الله تعالى) : توراة مبدلة . أي انه كثير الغلط والتحريف . وقد طبعه أخير السيد عبد الواحد بك الطوبى وأخوه في المطبعة الابرية واعنى بتصحيحه وأضيف اليه تكملته الالهة (نتائج الافكار) للمولى شمس الدين أحمد المعروف بقاضي زاده . ووضع في هاشم (شرح النهاية على الهداية) لأكل الدين البارني وحاشية سعدي جاجي المفق الشهير فباع الجميع ثمانية مجلدات وجعل ثمنه ١٦٠ قرشاً و ١٦٥ من الورق الباني ويطلب من مكتبة طابريه في مصر فتوجه اليه أنظار الحنفية عامة وأهل الهند خاصة

(جواهر الانشاء) أنشأ أخونا الأستاذ الفاضل الشيخ طه ناوي جوهرى مدرس العربية في المدرسة الخديوية نبذا وفصولا في موضوعات مختارة تكون تمرينا للتلامذة على الكتابة والانشاء. ثم ضم إليها بعض الاحاديث النبوية في الفضائل ومحاسن الاعمال وشيئا من الحكم المتنورة ومن الاشعار المختارة في الآداب ومنها نظم مخصص من كتاب أدب الدنيا والدين وسمى هذه المجموعة [جواهر الانشاء] وقد طبعت في مطبعة الترقى الشهيرة بالاتقان وثمان قرشان وهي ٩٠ صفحة وتطلب من مكتبة الترقى ومن حضرة منظم طبعتها توفيق اقدى كاشف بشارع بركة الفيل

(رسالة الشيرازي في علم الاخلاق) هي رسالة مختصرة مفيدة في الاخلاق والآداب سهلة العبارة اعنى بطبعتها المحامي الفاضل الأديب عبد العظيم اقدى صالح ولا يعرف مؤانها وربما يتبادر الى الذهن انها للشخ أبو اسحق وما هي له فيما يظهر من اهدائها في فلتحتها. على ان العبرة بالقول لا بالقبائل والرسالة نافعة في بابها وهي ثلاثة أقسام أحدها في الاصول الكلية لأمم الاخلاق وثانها فيما يجري بحرى الأمثال البائرة. من الكلمات النادرة. وثالثها في محاسن أخلاق الملوك وآداب اتباعهم وحواشيم وهذا القسم يدلنا على استبداد الملوك في ذلك العصر وقرار العلماء على ذلك. فنشكر لطلابها فضله في احياء هذه الآثار الاخلاقية التي نحن أشد حاجة إليها من سائر العلوم ونحث الناس على قراءة هذه الرسالة وثمان قرشان

(تاريخ حرب الدولة العثمانية مع اليونان) كما يجب على الانسان أن يعرف نفسه من حيث هو شخص يجب عليه أن يعرفها من حيث هو أمة أي عضو من أمة شرفه بشرفها ومهانتها بمهانتها والأمم الحية تعنى بتاريخها فتعلمه أولادها بالتفصيل وتاريخ سائر الأمم والدول بالأجمال ولكتنا نرى أكثر المسلمين مجهلون بتاريخ الاسلام وأكثر العثمانيين مجهلون بتاريخ الدولة العلية ولآل العظم فصل على الفريقين بالتمانية بالتأليف في التاريخين فاذا كان رفيق بك العظم مشغولا بتأليف تاريخ (أشهر مشاهير الاسلام) فحقى بك العظم الفاضل مشغول بتاريخ الدولة العلية فبعد أن ألف كتاب (دفاع بلقنا) وطبعه ألف لنا كتاب تاريخ الحرب العثمانية اليونانية بالتفصيل وطبعه فجاه كتاباً حافلاً بصفحاته ٢٢٥ وفيه مباحث تاريخية واجتماعية نافعة منها بحث في الأمة تحفظ كان الشعب ومنها التعريف بمقدمات الحرب وأسبابها والحمية الوطنية اليونانية ومنها تحليل الحوادث والوقائع ونتائجها وختمه بنظرة سياسية في موقف الدولة العلية قبل الحروب وبعدها وأحوال البانيا ومكدونيا واحتياج الدولة للرجال الاكفاه

وسبب سكوت الدولة عنها الآن . والكتاب مطبوع في مطبعة الترقى على يد
 جيد ويطلب منها ومن ادارة المنار وتمه عشرة قروش أميرية
 (البيان) مجلة أخبارية تاريخية تصدر مرة في الشهر باللغتين العربية والاوردية
 لمنشئها الفاضل الشيخ عبد الله الممادي وصاحب امتيازها المولوي عبدالوحي بن الفاضل
 الراسي عبد العلي المدراسي . والغرض منها جمع كلمة الامة الهندية ، واحياء النضال
 العربية ، ومن المباحث النافعة فيها نبذة (الحضارة والهند) شكا فيها الكاتب من فقر
 الامة وقلة الكسب وكثرة الاتاوات والضرائب وهي نحو ٥٥٠ مليون روبية . منها ١٦٠
 مليوناً من الخراج و٨٥ مليوناً من الملح و٣٥ مليوناً من القراطيس المتضائية و٥٥ مليوناً
 من الخمر و٣٥ مليوناً من الزيادات الخراجية و٥ ملايين من التسجيل (السيكورته) .
 ومنها نبذة في مقاصد ندوة العلماء لم تسم واحلنا نأخذها بعد تمامها ونرجو لهذه المجلة
 الرواج فقيمة الاشتراك فيها ٨ روپيات في الهند و٣٠ غرشاً او ٦ شلينات في الخارج
 (تابه) ضاق هذا الجزء عن باب الاخبار النبوية وآثار السلف وعن الاخبار والآراء والندوة الخ

للشاعر المجيد . عطفي اقدى صادق الراقصي (في الساعة)

تضرب كالأقرب شفه القيم	كان فيها الهموم تضطرم
ذات مجبأ طلل اقرأ من	خطوطه ما يخطه القلم
الفه لا أذم صحتها	وعني بي في اصطحابها السأم
وما أراها سوى الزمان أما	يدور فيها التعميم والتقم
تذكرني ماثر من عمري	فكل يوم يجد لي ندم
ما إن تراعي لأهلها ذمها	ان رعيت عند أهلها الذم
وليس أما سمت غفاريها	يدت في غير ، ههجي الأثم
ولا إذا اعجبت فجانمها	في غير ضيق القلوب ترحم
بأخت ذات البروج هل حجت	طوال السمد هذه الظلم
كانها والخطوب تكتمها	سر بقاب الزمان منكم
وهل تعود الحدود ناية	من بعد هذا السيوس تبتم
ما أنبت الهم في الصدور إذا	أمت لبالي الحياة تهزم
وهذه الدار حكاها تعب	بيان فيها الوجود والمدم
والناس كالناعمين ما لبثوا	فكل ما يشهدونه حلم
أبدع ذات السمام ببدعها	فأين راحته بأهلها ارم

بقي الخطبة من بعد يومين
الخطبة من أولها كبراً و
بذكر أول الأئمة

الله أكبر
١٣١٥

فيتم عبادي الذين يستمعون القول
فيتمون أحسنه أولئك الذين هدام
الهمم أولئك هم أول الأئمة

قال عليه الصلاة والسلام : إن للإسلام صوتاً و مناراً و كنفار الطريق

مصر في يوم الجمعة غرة صفر سنة ١٣٢٠ هـ ٩ مايو (أيار) سنة ١٩٠٢ م

﴿ باب العقائد من الأمالي الدينية ﴾

(الدرس ٣٤ — الأجوبة عن شبهات العصمة)

(المسألة ٩٠) معصية آدم عليه السلام علمنا أن مذهب جمهور أهل السنة ان الأنبياء معصومون بعد النبوة لا قبلها فلا تردُّ معصية آدم على هذا المذهب لأنه لم يكن نبياً حتى عصى ربه بل لم يكن في طور التكليف إلا بالنسبة إلى النهي عن الأكل من الشجرة . ولا ترد أيضاً على ما اختاره المتأخرون من عصمتهم قبل النبوة (وإن كان يلزم منه أن هناك أحكاماً قبل التشريع والوحي) لأن الدليل العقلي الذي يمكن أن تثبت به هذه العصمة لا يأتي في مسألة آدم وهو أن يكون من اختاره الله للنبوة معروفاً في قومه بكماله الأخلاق وأحسن الأفعال لأن سوء السيرة محقوت منبوذ تحفظ مساويه وجرأته فتحول دول قبول دعوته وكون هذا لا يجيء في مسألة آدم بديهياً لا يحتاج إلى بيان . فإن قيل إن الدليل يرشد إلى ان فطرة الأنبياء زاكية ونفوسهم عالية فهم ينفرون من المعاصي والجرائم بوازع نفسى راسخ فيهم كما علم من إثبات النبوة والوحي فكيف يقترف آدم تلك المعصية مع كونه خالق في أحسن تقويم وأكمل صفة ؟ والجواب ان صاحب النفس الزاكية تربأ به نفسه عن تعمد إتيان المنكر وارتكاب الفاحشه التي يعرف مضرتها وموه عاقبتها وآدم لم يتعمد المخالفة بدليل قوله تعالى « ولقد عهدنا إلى آدم من قبل قنسى » ولم يكن عالماً بوجوه مضرتها لتنفرفطرته منها بل كان يمتقد صدق الشيطان الذي وسوس إليه بأنها شجرة الخلد وملاك لا يبلى فهذا الاعتقاد دفعه عند نسيان النهي إلى الأكل

ليكون مظهر لهذا النوع الذي هو أبوه وليعلم من بعده من ولده غير
المصومين ما يجب على من عصى ربه من التوبة والإناية إلى الله تعالى
على أن في قصة آدم وجهاً في التأويل ، بأنها وردت مورد التمثيل ،
لإظهار طبيعة النشأة البشرية . في أطوارها التدريجية ، فالجنة والعميش
الرغد فيها مثل لما كان عليه النوع البشري في طور السذاجة الأولى
وعصيان آدم وهبوطه هو وزوجه من الجنة مثل لدخول البشر في طور
المخالفات التي تجر عليهم الشقاء والبلاء . والتوبة والمفكرة مثل لطور
الكمال الكسبي والارتقاء المعنوي والمملي (سيأتي إيضاح ذلك في باب
التفسير المقتبس من مفتي الديار المصرية) .

(م ٩١) قصة داود عليه السلام ولع بالإسرائيليات بمض الذين اشتغلوا
بتفسير القرآن بالمأثور فألصقوا بالقرآن ما تلقوه من أهل الكتاب لأدنى
مناسبة ولولا ذلك لما كنا محتاجين إلى الجواب عن هذه الشبهة بمد
ماقررنا في الدرس الماضي الفرق بين ذنوب الأنبياء وبين المعاصي الحقيقية
التي عصمهم الله تعالى منها

القرآن مهيمن على الكتب السماوية ، لأنه ثابت بالتواتر دونها فما
أثبتته فهو الثابت وما نفاه فهو المنفي . وقصة داود مع الخمص ليس فيها بحسب
نص القرآن إلا أن اجتهاد داود اختلف في قضيتين متشابهتين فمره الله
خطأ الاجتهاد الأول بما عداه إليه في الثاني لأن خطأ الأنبياء في اجتهادهم
لا يقرؤون عليه كما تقدم في الدرس الماضي عن البيضاوي . هذا إذا كان
لقصة المرأة أجل والإفان قضية الخصمين اللذين تحاكما إلى داود عليه السلام
ليست نصاً في أنه أخطأ في قضية أو تزوج امرأة بمد ما عرض زوجها

للقتل أو غير ذلك مما يزعمون . القضية أن أحد الخصمين له تسع وتسعون
نمجة وللآخر نمجة واحدة فطلب الأول أن يضمها إلى نجاحه وحاج
صاحبها في بيان أن ذلك هو الصواب والأولى فمزّه وغلبه في الخطاب
والكلام فحكم داود بأن صاحب التسع والتسعين ظالم وأن من شأن
الخطباء البني . ولكن ختم النبي بقوله تعالى : « وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ
فَأَسْتَفْتَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ . فَفَقَرْنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَآيَاتٍ
وَحُسْنَ مَآبٍ » يدل على أن وراء القضية أو فيها هفوة لداود . ولقائل أن
يقول : محتمل أن تلك الهفوة في نفس الحكم فإنه لا يبعد أن يكون الصواب
ضم النمجة إلى القطيع لتحفظ وتأتي بالنسل وأن بقاءها عند صاحبها
مضيمة لها فإعما يأكل الذئب من الغنم القاصية كما ورد في الحديث الشريف .
واعتراف المدعي بأن خصمه عزّه في الخطاب دليل على أنه لم يطلبها إلا
بحق وبموض كضمن المثل أو منقمة أخرى من اللبن أو النسل
وفي البيض - اوى وغيره احتمال آخر في التأويل مروى وهو أن
الذين تسوروا المحراب كانوا يقصدون اغتيال داود في يوم انفراده
فوجدوا عنده قوة ما فتصنّوا بالتحاكم فلم غرضهم وقصد أن ينتقم منهم
ثم لم يجد مسوغاً شرعياً فماتب نفسه وظن أن الله تعالى أراد ابتلاءه
واختباره بذلك فاستفقر ربه مما تم به لأن ذلك ذنب بالنسبة إلى مقامه
وإذا كان لقصة امرأة أوريا أصل فيجب أن يكون مطابقاً للقضية
الخصمين بأن يكون داود اعتقد أن امرأة جميلة في بيت جندي فقير
حرف أسفار لا يسلم من تطلع السفهاء وتعرض الفجار وأن الطريقة
المثلى لصيانتها هي أن تكون في بيت النبوة والملك وأنه كلم زوجها في أن

بكتبت: «أقنع» وعنه في الخطاب، لأن هذا هو الصواب، وإنما استنفر داود من ذلك لأنه ظن أن اجتهاده في أمر المرأة مشوب بشئ ومن ميل النفس إلى كفالتها وأنه هذا الميل هو الذي رجح في نفسه الرأي الأول بدليل أنه ظهر له خلافه في قضية تشابه الأولى ومثل هذا يمدده هؤلاء الكملة ذنباً وإنما لم يكن فيه مخالفة لأمر الله تعالى وحيد عن شريعته . ومن تأمل ما تقدم القصة وما تأخر عنها من الثناء على داود عليه السلام علم أن القرآن يتنزه في حكمته وبلاغته أن يكون ذكر الفاحشة فيه محققاً بهذا الثناء والإطراء. ويقال إن تنازل الرجل عن امرأته لآخر ليتزوج بها كان مشروعاً عندهم . وقد آثر الأنصار المهاجرين (رضي الله عنهم أجمعين) بزوجاتهم فكان من عنده امرأتان يطلق إحداهما ليتزوج بها أخوه المهاجر . وفي القصة روايات كثيرة في كل فرع من فروعها لا يعبأ بها أهل النقل ولا أهل النقل . فإن قبلنا منها شيئاً فلنقبل ما يوافق قواعدنا الثابتة كرواية أن أوربا لم يكن متزوجاً بالمرأة وإنما كان خاطباً ورواية نهى الإمام علي كرم الله وجهه عن التحديث بالقصة على ما يرويه القصاص ووعيده من خالف بجند مائة وستين جليدة وذلك حد القرية على الأنبياء عليهم السلام (م ٩٢) الشبهة الأولى على سليمان عليه السلام حاسب الله القصاص فلقد

شوهوا كتب التفسير بقصصهم ، امتعرض سليمان نبي الله وملك بني إسرائيل الخليل وهو نم المبدل إذ عُرِضَ عليه بالمشي الصافيات الجياد . فقال إني أحببت حب الخير» المقود بنواصي الخليل لا عن هوى نفسي ولكن «عن ذكر ربي» ووحيه الذي أمر برباط الخليل للدفاع عن الحق . فما زالت تمرض «حتى توارت بالحجاب» فقال «:دُوماً علي» لأراها

مقبلة ومدبرة أو لأختبر حالها . فقد قيل : إنه كان عالماً بها ، وأمر اضها
 أو لا تمتع بمسح سوقها وأعناقها فردوها عليه « فَطَفِقَ مَسْحًا بِالشُّوقِ
 والأَعْنَاقِ » كما هو شأن محبي الخيل في كل جيل وزمان . فأى شبهة أممية
 شبهة في هذه الآيات على أن سليمان عليه السلام ترك صلاة العصر شغلا
 بالخيل حتى غربت الشمس وأنه انتقم منها بقطع سوقها وأعناقها - ولو كان
 المسح هو القطع لكان قوله تعالى « فامسحوا برءوسكم وأرجلكم » بمعنى
 اقطعوها - وأن قوله (ردوها علي) خطاب للملائكة الموكفين بالشمس
 يأمرهم بردها بعد غروبها ليصلي العصر وأي حاجة لتطويل الفقهاء
 البحث في هذه الصلاة هل هي أداء أم قضاء؟؟ ولكن هذا قضاء الله في
 قوم اشتغلوا عن لباب العلم بلوك القشور ، ألا إلى الله تصير الأمور .

(م ٩٣) الشبهة الثانية على سليمان عليه السلام روي في تفسير قوله تعالى

« وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَداً ثُمَّ أَنَابَ » روايات مضطربة
 متعارضة فإذا حكمنا علم الرواية فإننا نقبل رواية البخاري ومن وافقه
 وملخصها أن سليمان قال : لأطوفن الليلة على أربعمائة امرأة (من نسائه) تأني كل
 واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل إن شاء الله فلم تحمل منهن إلا
 واحدة جاءت بشق رجل فألقي على كرسيه عرضاً عليه وصمى جسداً لأنه
 ليس إنساناً كاملاً فكان ذلك فتوناً واختياراً من الله تعالى له فأنا اب إليه
 وتاب أن يجزم بشيء دون الاستثناء بمشيئته فأين التماثيل وعبادة الأصنام
 ووثبان الشياطين على كرسى الملك وما أشبه هذا الهذيان الذي رويوه؟؟

(م ٩٤) الشبهة على عصمة يوسف عليه السلام إن ما جرى ليوسف مع

امرأة العزيز كان قبل نبوته وليس فيما قصه الله تعالى علينا إلا أنه دغم بها

لولا أن رأى برهان ربه» فيجوز أن يكون جواب لولا محذوقاً دل عليه ما قبله فتكون الآية ناطقة بأنه لم يهتّم ببعض النجاة جوزّ تقديم جوابها أي أنه لولا رؤية برهان ربه لهم بها لتوفّر الدواعي ولكنه رأى من تأييد الله له بالبرهان ما صرف عنه السوء والفحشاء فلم يهتّم ولو فرضنا أن الجواب «لنفسها» وأن الهتّم وقع منه لكان لنا أن نقول إن الأنبياء ليسوا معصومين من حديث النفس ومرادة الشهوة البشرية ولكنهم معصومون من طاعتها والالتقياد إليها ولولم توجد عندهم داعية إلى خطأ لما كانوا مجبورين على ترك المنكرات والمعاصي لأنهم يكونون مجبورين على تركها طبعاً والمنتين لا يؤجروا بثناب على ترك الزنا لأن الأجر لا يكون إلا على عمل والترك بغير داعية ليس عملاً وأما الترك مع الداعية فهو كفضّ النفس عما تتشوّف إليه فهو عمل نفسى

(م ٩٥) الشبهة على إخوة يوسف لا شك أن إخوة يوسف قد ارتكبوا

المعصية المشتملة على عدة معاصي ولكنهم لم يكونوا أنبياء . وأما ذكر الأسباط فيمن أوحى الله تعالى إليهم من الأنبياء فالمراد به (والله أعلم) أنبياء الأسباط وهم فرق بنى إسرائيل الاثنى عشر قال تعالى « وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً » وقد بعث الله في كل أمة من هؤلاء الأسباط أنبياء وأوحى إليهم فعل الخيرات وهداية بنى إسرائيل . وما رواه ابن جرير الطبري من استفغار يعقوب لهم في وقت السحر وتأمين يوسف عليهما السلام وأن الله استجاب له على رأس العشرين سنة من بعثته وأوحى إليه أنه غفر لهم « وعقد موثيقهم على النبوة » فهو غير صحيح هذا هو الحق في هذه القصص وقد انكشفت به الشبهة فينبغي أن يلقن للمسلمين في الدروس ويعلم للأطفال لكيلا يفتر أحد بما في كتب المهد

المتيق التي يسمونها التوراة وبما حشي في كتب قصص الأنبياء وبعض
التفاسير من الإسرائيليات، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل

﴿ لا وثنية في الإسلام ﴾

(نبذة من الجزء الثاني من كتاب أشهر مشاهير الإسلام الذي يطبع الآن)

« رأيت ما قاله عمر رضي الله عنه لكمب الأخبار وهو قول لا تحب
أن يفوتنا البحث فيه ، لهذا رأينا أن نقرده له هذا الفصل فنقول ﴿٩﴾
أولع الإنسان بالإفراط ، كما أولع بالتفريط في كل شؤونه الروحية
والجسمانية ، ولو أنصف واعتدل ولم يطلق لنفسه العنان لبلغ مقام الملائكة
في أعلى عليين أو يهبط بها إلى مقر الشرور في أسفل سافلين فكانت السمادة
الدائمة به ألزم وطريق النعيم الحيوي لديه أوسع ، ولما احتاج إلى كثير من
هذه القوانين وقوامها وزعماء السيطرة وجنودهم والحكام وأعدائهم
والسجون وحراسها ، بل وكان اكتفى بدين واحد قويم وشرع إلهي
مستقيم ولم يشوّه وجه الشرائع ولم يدع لتعدد الأديان وإرسال الرسل
في آن وآن . -

أجل ، أولع الإنسان بالشطاط حتى في المقائد ، فبينما يكون هذا في
طرف التفريط مارقاً من كل دين منكرأ لكل نحلة هائماً في المادة التي
يتناولها حسه وينكر ما فوقها عقله يكون الآخر مسلماً لمقيدته بما لا يبعد
طبعه عن طبيعته طالباً بخياله ما يظن له قدرة فوق قدرته وسلطة أعلى من
سلطته وأول ما يلاقه في طلبه يعلق بقلبه ويظنه منتجع عقله وانهاية التي

(١) يريد قول عمر لكب « ضاهيت والله اليهودية يا كب وقد رأيتك وحطك
عليك » وذلك حين استشاره في أمر قبلة المسجد فأشار بحمل البصلي إلى الصخرة

يطلبها في سيره فتولع به نفسه ويقوى فيه أملة ويختص به عمله فيغلو في عبادته غلو المادى في مادته حتى يساويه من طرف الأطراف بالتوجه تارة للأقار وأخرى للأشجار وآونة للأحجار ووقتاً للأرواح وآخر للأشباح إلى غير ذلك مما هو داخل في المادة قريب من تناول الحس . فكان العقل الإنسانى في حال الإيمان والكفر أسير المادة لا يفلت من شرك الحس ولا يذعن إلى ما فوق المادة ويصمد إلى أفق الكمال إلا هنيهة ريثما يتلقى برهان ربه بواسطة الأنبياء ويطمئن إلى التسليم بقوة إلهية تفرق قوى المادة وتعلو عن العقل وتتحكم على الكائنات تحكم الصانع المختار ثم لا يلبث أن ينحط عن هذه المرتبة فيعود إلى نحيزته الأولى للهبوط إلى هوة القس والتوجه إلى مظاهر المادة ولو تدرجاً حتى يلتصق بالحضيض ويعود إلى الشرك وهو يظنه الإيمان ويخاله منتهى العبادة وإن من دين إلا أصيب أهله بهذا المصاب وأشركوا مع الله الأرواح تارة ، وأخرى الأنصاب . توصلاً إليه على زعمهم بالحس وارتياحاً إلى ما تحت النظر والعقل والله سبحانه وتعالى فوق ما يتصورون ليس من المادة ولا المادة منه بل هى مخلوقة له مفتقرة إليه وليس بينه وبين خالقه سبب منها يتوصل به إليه بل هو كما قال في كتابه الكريم (الله لا إله إلا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم له ما فى السموات وما فى الأرض من ذا الذى يشفع عنده إلا بإذنه) الآية ومن الثابت أن العرب كانوا على دين إبراهيم الذى هو كباقي الأديان الإلهية دين التوحيد بالله والإيمان بأنه تعالى خالق الكون وما فيه وإنكار مادون ذلك من الاعتقاد بشيء من المادة ومن التمسك في العمل بأهداب الشرك ولكن لم يلبثوا أن تدرجوا في مدارج المادة وهبطوا إلى حضيض

لشرك وتدرجوا من الاعتقاد بالأرواح إلى الاعتقاد بالأشخاص ثم إلى الاعتقاد بالأنصاب والأحجار وغير ذلك مما هو داخل في المادة واقع تحت الحس وهم مع ذلك كانوا يزعمون أنهم مؤمنون لا مشركون وأنهم بعبادة المادة يبدون الله ويتقربون بها إليه كما أخبر عن ذلك القرآن بقوله تعالى « ما نصبهم إلا ليقربونا إلى الله زانين » وهذا من الإغراق في الجهل والانهطاط في العقيدة والإفساد لأصل التوحيد ولم يكن هذا الإفساد قاصراً على العرب فقط بل عمّ سائر أرباب الأديان مما لا محل لبسطه الآن إذا تمهد هذا علمنا أن الإسلام بما جاء به من آيات التوحيد الخالص من كل شائبة من شوائب الشرك إنما جاء لاستئصال شأفة الوثنية من نفوس العرب وغيرهم من أرباب الأديان بتحو شائبة الاعتقاد بأي أثر من آثار المادة وصرف النفوس عن التوجه إلى تلك الآثار بالحس لتوجه إلى واجب الوجود بالضمائر والاكتفاء باستحضار هبة جلالة في القلب وتمكين الاعتقاد بأن الأثر الواقع تحت الحس إنما يقوم قوامه بالمؤثر المستحضر في الضمير الخارج عن الحس إذ يغير هذا لا يقوم للتوحيد أثر متين في النفس ينجي من مزلّة القدم إلى الوثنية المفضية إلى الشرك المؤدى إلى الجحود وإنما الإنسان مادة وهذه أعراض منها تنمو وتعمم في النفس مادامت النفس مستشعرة بشيء من وجوب التعظيم لغير الله تعالى والتوجه لأي أثر من آثار المادة وساء منقلب الظالمين

هذا هو التوحيد الذي جاء به الإسلام ودعا إليه النبي محمد عليه الصلاة والسلام وإنما اضطربت العقول وسامت الأوهام لتفاوت الأفهام وتباين مراتب المسلمين في العلم بحقيقة الدين والإحاطة بأسراره والوقوف

على جميع مقاصده حتى على عهد الرسالة وإليك الدليل
أخرج الإمام أبو الفرج بن الجوزي في سيرة العمريّة عن المرور بن
سويد قال : خرجنا مع عمر بن الخطاب في حجة حجها قال فقراً بنا في
الفجر « ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل » « ولا يزال قريش » فلما
انصرف رأى الناس مسجداً فبادروه فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا مسجد
صلى فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : هكذا أهلك أهل الكتاب
قبلكم اتخذوا آثاناً أنبيائهم بيماً . من عرضت له فيه صلاة فليصل ،
ومن لم تعرض له صلاة فليمض .

فلو كان أولئك المصلون يومئذ في مرتبة عمر في العلم واستشعروا من
إقبالهم على ذلك المسجد للصلاة فيه تعظيماً له كما استشعروا به عمر رضي الله
عنه وعنهم أجمعين لما بادروا للصلاة فيه إلا إذا عرضت لهم صلاة ، ولا
جرم أن أعظم الناس فهماً للإسلام وعلماً بفروا مض الدين ووقوفاً على مقاصد
النبوة المحمدية وما كانت تدعو إليه من التوحيد البحت الخالي عن كل
شائبة من الشوائب التي مرّ ذكرها ، هم أهل السابقة من المهاجرين الأولين
الذين تلقوا الدين أنجماً كان ينزل بها الوحي على رسول الله صلى الله عليه
وسلم من لدن البعثة ولأزموا الرسول ملازمة الظل فآكثروا سرّ شريعته
وأدركوا مرامي غرضه وقلوبه في أعماله وأقواله واتبعوا منهجه واهتدوا
بسيرته فتفوقوا على غيرهم في العلم بالدين وعرفوا حقيقة التوحيد ، ومن
هو لاء من هم في المرتبة الأولى في فهم مقاصد الإسلام ، ومنهم عمر بن
الخطاب رضي الله تعالى عنه ، ومن تتبع سيرته وأمعن النظر في أقواله وأعماله
وانطبأها على الكتاب الكريم ونهج السنة القويم ، علم ما هو التوحيد

الذي أرشد إليه الإسلام وعرفه أولئك الصحابة الكرام ، فأرادوا أن يعجوا به كل أثر من آثار الوثنية عن صفحات الضمائر والقلوب وحسب العاقل دليلاً على هذا قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه لكمب الأحبار لما أشار عليه بجمل المصلّى إلى الصخرة : « لقد ضاهيت اليهودية يا كمب إلى قوله : اذهب إليك ^(١) فإننا لم نؤمر بالصخرة ولكننا أمرنا بالكعبة » وقد مرّ الخبر في الفصل السابق تقلاً عن الطبري ، ولأجله عقدنا هذا الفصل ليكون به عبرة وذكرى لقوم يعقلون .

تقدم معنا كيف تدرّج العرب إلى الوثنية حتى أنسوا بلبس الأحجار وعكفوا على عبادة الأصنام وأن أصول التوحيد عند أرباب الأديان كلها أنسنت تدرّجاً كما حصل في دين العرب وإنما كان مبدأ هذا التدرّج الامتثال للشعور بوجود تعظيم مظهر من مظاهر المادة يقطن أن له صلة بما فوق المادة كالعابد مثلاً ثم يأخذ هذا الشعور ينمو ويتعمق المظهر الأول إلى غيره ويتدرّج في أطوار التمبد له حتى تنقلب صورة التوحيد المرئسة على صفحات الضمائر إلى صورة من صور المادة متجسمة للحس ويستحيل الإيمان بالله واحد فوق المادة إلى آلهة شتى كلها من المادة أولها صلة بها وهذا هو الشرك التام الجليّ ومبدؤه ذلك الشرك الخفيّ ولم تكن دعوة الإسلام قاصرة على استئصال الوثنية فقط ، بل كان من مقاصدها الأولى والغايات التي ترمى إليها بل من أولها بالاهتمام وأجدرها بالعناية تطهير النفوس من كل أثر من آثار ذلك الشعور الفاسد ولو أشبه بدقته دقة الجرثومة الحية التي لا ترى إلا بالنظارة المكبرة إلا أنها إذا وجدت

(١) هكذا جاءت هذه العبارة في تاريخ الطبري بهذا اللفظ ولعلها إليك عنى اه من الأصل

منبتاً صالحاً لها تولد عنها مالا يحصى من الجرائم في بضع ثوان ، فمن قال بخلاف ذلك أو ظن أن الإسلام يتسامح في تلك الجزئيات أو يبيع تعظيم أى مظهر من مظاهر المادة تعظيماً دينياً فقد أخطأ ونسب العيب إلى دين الله لهذا . ولما أشرب قلب عمر (رض) من التوحيد الحق الصادق لم يتسامح مع كعب الأجار حتى في خلعه نعليه عند دخوله المسجد الأقصى وأخذه على عمله ذلك كما أخذه على رأيه في جعل المصلى إلى الصخرة كما رأيت وسترى من أخباره بهذا الصدد إن شاء الله .

هكذا كان فهم كبار الصحابة للدين ، ومن أممن النظر في قول أبي بكر الصديق رضى الله عنه في إحدى خطبه التي مرَّ إيرادها في هذا الكتاب وهو « ان الله لا شريك له وليس بينه وبين أحد من خلقه نسب يعطيه به خيراً ولا يصرف عنه سوءاً إلا بطاعته واتباع أمره » يعلم كيف كان أولئك الصحابة الكرام يملأون الناس التوحيد ويقتلعون من أعماق قلوبهم أصول الشرك ورحم الله امرءاً حاسب نفسه وعرف دينه وتأدب بأدب النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، ونبذ بدع النفوس وأهوائها وتكذب مواضع الزلل ومواقع الخطل وسوء الفهم والله ولى الرحمة وهو القاهر فوق عباده . اهـ

﴿ باب شبهات المسيحيين وحجج المسلمين ﴾

نشرت مجلة بشارت السلام الإنجليزية في الجزء الرابع عنها نبذة في الطمن بالمسلمين عامة وبأكابر الصحابة انكراهم خاصة وذلك أن عابثهم وعابت دينهم بالرجاء لفضل الله والخوف من الله ، وهذا مبالغ القوم من

العلم بالله وبتدين الله - أثبتت « أن كثيرين من المسلمين يموتون على بساط الرجاء بدخول الجنة والتنعم بنعيمها بناء على ما لهم من الواهب الكريمة في قرآنهم » إلى أن قالت : « وما علة ذلك سوى جهلهم حقيقة أنفسهم وكالات البارئ تعالى » ثم قالت مستدركة : إن أولى العلم والذكاء من المسلمين غالوا في النسك والتعب والصلاة والابتهاال إلى الله تعالى وجعلت علة هذه العبادة أنهم لم يجدوا ما يريح نفوسهم من الشهور بثقل حمل خطاياهم . واستشهدت على المأول دون العلة بكلام في الخوف من الله عن أبي بكر الصديق وعلى بن أبي طالب وسفيان الثوري وعدت سفيان من الصحابة وما هو من الصحابة ولكن العلم ليس شرطاً للقول عنده هؤلاء المشاغبين وفي العبارة أيضاً تحريف وليست الأمانة من شروط النقل عنده هؤلاء المبشرين وما لنا وللبحث في الروايات التي نقلتها وبيان التحريف ، وصنف الضميف ، نضرب عن ذلك صفحاً وعن العبارات التي أساء بها الكاتب الأدب مع هؤلاء الأئمة الذين يفتخر بهم النوع الإنساني ، ولو صدق المسلمون هذه الكتب التي تسمى التوراة وسمع لهم دينهم بتفضيل أحد على الأنبياء لكان لهم من التاريخ ما يفضلون به هؤلاء الأئمة على أنبياء التوراة إذ لم ينقل عن واحد منهم مثلما نقل القوم عن أنبياءهم من القسوة والظلم والسكر والزنا وسفك الدماء برأهم الله مما قالوا . نقض الطرف عن هذا ونبين للقراء أن الغرض من دم الخوف والرجاء اللذين هما الركنان لكل دين صحيح هو تقرير قاعدة إباحة الماضي والشرور التي هي العنوان لبشارتهم والجماذبة إلى دياتهم ، وهي أن النجاة في الآخرة من المذاب والحياة الأبدية في الملكوت إنما يحصلان باعتقاد أن الإله لم يجد وسيلة لنجاة البشر

من ذنب أيهم آدم إلا بجلاؤه في جسم إنسان وتسلط طائفة كانت أفضل الشعوب عليه وصلبها إياه وصيرورته ملعوناً بحكم الزناه ومن الشريعة !! فن أطفأ مسراج عقله وأفسد فطرة نفسه وسلم بهذه القاعدة فهو الناجي الذي يرث الملكوت الأعلى وإن قتل وزنا وسكر وأكل أموال الناس بالباطل وظلم المباد وكان آفة العمران . ولذلك صرح الكاتب الذي لا أقدر أن أصفه إلا بكونه مدبراً داعياً إلى هذه العقيدة بأن سبب خوف أبي بكر وعلي وسفيان من الله هو جهلهم بقاعدة الفداء ، يعني أنهم لو عرفوها وصدقوا بها لكانوا أشوا آمنين من مكر الله وعذابه يسرحون ويعرجون في أهوائهم وخطوئهم . والحاصل أن المسلم الذي يتألم عليه الرجاء بفضل الله ووعدده للحسنين بالنعيم جاهل ضال ، والذي يخاف الله هيبته وتمظيماً أو لاتهام نفسه بالتقصير في الأعمال الصالحة النافعة للناس وفي المعارف والكلمات المزكية للنفس ، فهو جاهل ضال . وأن الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله من غير تفرقة بينهم وتهذيب الأخلاق وإصلاح الأعمال كل ذلك لا ينفع المسلم الصادق ولا يفنى عنه شيئاً . فاحيلة المسلم المسكين إذا ابتلاه الله تعالى بسلامة الفطرة ونور العقل فلم يقبل تلك القاعدة التي تفصّي منها الدين تربوا عليها تقليداً لما عقلوا وميزوا . على أن كتب القوم لا تخلو من نصوص تدل على أن ربهم ومقدسيهم كانوا يخافون من الله تعالى ويرجون رحمته لأنهم لم يكونوا إناحيين بل كانوا قوماً صالحين إن القرآن الحكيم علمنا بأن دين الله تعالى واحد في جوهره ، وأن جميع الأنبياء وصالحى المؤمنين بهم كانوا عليه وهو توحيد الله تعالى وتنزيهه من صفات الحوادث وإفراده بالعبادة والخوف الزاجر عن المعاصي والشرور

والرجاء الباعث على الخير والصلاح وإننا نرى جميع عقلاء المسيحيين يوافقوننا على هذه القاعدة ويودون أن يهتدى إليها دعاة كل دين ورؤساؤه ليكون الدين كما شرع الله سعادة للبشر ، لا وبالا وشقاء عليهم ، ومشاراً للخلاف والشحناء والبغضاء بينهم

وقد ذكر الإمام الغزالي أنواعاً للخوف كخوف الموت قبل التوبة وخوف تقصير التوبة ونكث العهد وخوف ضعف القوة عن الوفاء بالحقوق وخوف زوال رقة القلب وتبدها بالقساوة وخوف الميل عن الاستقامة وخوف استيلاء العادة في اتباع الشهوات المألوفة وخوف الفرور بالحسنات وخوف البطر بكثرة النعم وخوف الاشتغال عن الله بغير الله وخوف الاستدراج بتواتر النعم وخوف انكشاف غوائل الطامات بأن يبدو للمرء ما لم يكن يحتمسب وخوف تبعات الناس عنده في نحو غيبة أو خيانة أو غش أو إضرار سوء وخوف ما عساه يطرأ عليه في مستقبله وخوف نزول البلا، وخوف الاعتزاز بزخرف الدنيا وخوف اطلاع الله على السريرة في حال الغفلة وخوف سوء الخاتمة ويمكن استنباط أنواع أخرى. وأعلى الخوف خوف المهابة والإجلال لله عز وجل. وكل ذلك من الذنوب عنده هو لاء البشرين

﴿ القسم العمومي ﴾

﴿ الإسلام في انكلترا ﴾

رأينا في كرامة سياسية تسمى (ديپلوماتيك فلي شينس) أى المنشورات السياسية لشهرى نوفمبر وديسمبر سنة ١٨٨٧ مقالة بامضاء المستر جورج كرواشى أحد أعضاء البرلنت الانكليزى أخذنا منه ما يأتى تعرييه وهو

الإسلام دين لا يبتدع أحكاماً ولا يخترع للوحى أساساً جديداً

ولا يوصى بغير مذهب ليس له كهنوت خاص ولا رئاسة كنسية ولكنه
يسن للملة شرعاً وللدولة قانوناً يكون تنفيذها باسم الدين ، هذا ما قاله
(داود ارقوهارت) في المجلد الأول من كتابه المسمى بروح الشرق في
الصفحة الخامسة والعشرين من مقدمة طبعته الثانية سنة ١٨٣٩

إن حقيقة الإسلام التي أباط الحجاب عنها أولاً من اشتهر بروح
الشرق وأبرزها للمرتابين من الغربيين لم تزل تزداد وضوحاً منذ كشفها
حتى تجت اليوم بنفسها على وجه لم يبق معه للاكاذيب المفتراة على
الإسلام مبدل لسلطانها على النفوس فيما بعد . ذلك التجلي الباهر كان
فيما ألقاه القسيس (اسحق طيلر) من خطابه في المحفل الديني ، صدق
أرقوهارت في دعواه أن حقيقة الإسلام أمر مسلم عند كثيرين فالنبلاء
الكرام (بالكراد) و . مبرى . و . راولنسون . و . لا يارد . و . رولاند
و . ستانلي اوف الدرلي . و . ديشانسكي وقوم آخرون من قبيلهم
شاركوه في البصيرة وصدقوه فيما قرره . وكل مسافر عاشر الأقسام
المحمدية وأنس إليهم فله عنهم خبر محمود ومع ذلك كله نرى الجمهور في
انكلترا لم تزل آراؤهم في مواقفها الأولى . كانت الحقيقة في احتجاج عن
أنظار العامة لأن أكثر أهالي انكلترا مصر وفون إلى النصرانية عن
النظر فيما سواها وتوارثوا فيها عقيدية تظهر لهم في شمار الدين أما الآن
وقد قام قسيس محترم من البيعة الإنكليزية يصدع بهذا الحق فلا بد أن
يسمى إلى قوله ويدعي له ملايين ممن كانوا يحملون أصابهم في آذانهم
وعرضون عن مقالات قوم يعدونهم سياحين أو متفلسفين
هذه الحقائق مما لا يقبل الإنكار وإنما كان الإشكال في طريق

اجتلاب الخواطر إليها حتى تجتليها وحيث زال هذا الإشكال بهيئة أحد
القسيسين المحترمين فالغاية المطلوبة أصبحت مما لا يشك فيه معشر الذين
قبلا نصيحة داود ارقوهارت . ليس السمي لبيان أن الإسلام مما يمكن
احتماله فقط بل لم نزل نطلب أن يكون من النفوس في مكانة الاحترام
وقد استيقنا الآن أن رجاءنا المرجأ قد تحقق ومدعانا الحق قد سلم به .
لا ينبغي أن يظن أننا نحسب دين الاسلام مخالفاً للدين المسيحي
فذلك مما لم يخطر لنا ببال قط وقصاري ما نقول إن الغاية من كل دين إنما
هو العمل الصالح والمسالك المستقيم واسنا نحكم على أبناء جنسنا الإكفال
المسيح عليه السلام « بشرا تهم تعرفونهم » وحيث استمسكنا بهذا الأصل
فلنا أن نجهر بأن المعتقدين بالدين المسيحي في هذه الأوقات ليسوا بمنزلة
يفضلون بها على المسلمين . هذا الحق ننادى به ونحن على يقين منه ونحث
الذين يقولون إننا نصارى على أن يضموا الإسلام في منزلة تنطبق على
الواقع ونفس الامر فإن استطاعوا أن يدحضوا حججتنا بالبراهين الساطمة
فليعملوا على مكاتهم وإن لم يفعلوا ولن يفعلوا فليكن نظرم إلى الإسلام
على حد ما يتنا مناسباً للحقيقة الواقعية وليتصفوا الإسلام ذلك الدين القيم
الذي هو نظام لميشة قسم عظيم من أمم كريمة كثيرة العدد من النوع البشري
مما يهم الشعب الانكليزي خاصة أن يتخلصوا من أطوار التعصب
التي لا تنحصر آثارها في إلحاق المار بهم فقط بل تمتدى إلى جانب المضرة
عليهم أيضاً لأن الحضرة الملكة ملايين من رعاياها كلهم مسلمون ونحن
في مقام على أحد جانبيه دولة الرومية وعلى الجانب الآخر الدولة العثمانية
ولا يمكننا أن نزع عدم المبالاة بمقاييل الحروب التي قامت على سوقها

بين هاتين الدولتين من أمد بعيد ، وإلى الآن لم تضع أوزارها وضماً حقيقياً . إن الدولة الروس لا يتكلمها أن تكون في حرب مستمرة لكنها لاتراعى ما تكلف به من شروط السلام . ولا يزال وكلاؤها الخفيون مشتغافين بالعمل (كذا) وما من زمان إلا والحذرف من الروسية ضروري للباب العالي وهذا مجموع أحوالنا توجب على دولة الانكلترا أن تسأل نفسها آناً بعد آناً : هل لنا أن نقاوم الروسية أو ندعها وشأنها ؟

كل وجه من وجوه السياسة يتعاقب بسلامة الدولة الانكليزية وبقائها ، يرشدنا إلى الاعتراف لنزوم عقد معاهدة مع الدولة التي لم تضرنا قط وفتحت فرصتها لتجارنا وأبواب بلادها لأشغالنا أما الصيحة الفارغة بأن الروسية دولة نصرانية وندولة العثمانية دولة محمدية فتد كان لها إلى الآن أسوأ الأثر في إعماء عقولنا وخططانا في سياستنا ، فلنأخذ من الآن بأصل صحيح وهو أن نعلق الحكم بالأعمال لا بالمقائد فإنه ليس خاصاً بالأفراد بل كما يكون بها يكون بالأقوام والدول أيضاً ، فإن قاربنا بين روسيتنا النصرانية وبين العثمانية المحمدية لم يشك في أن المعاهدة مع العثمانية هي التي تظهر أفضليتها عند الحاكمين بالحق أجمعين وإذا ذكرنا المعاهدة العثمانية فلا نستعمل اللفظ فيها بمعناه السياسي أو تركيبه الدبلوماسي ولا ينبغي أن يفهم ذلك من كلامنا إنما المعاهدة التي كنا نجتهد في إعدادها لسنتين طويلة كانت معاهدة مبنية على شروط مساواة مؤسسة على الاحترام من الجانبين وظهر لنا في الأزمان الماضية أن يكال مثل تلك المعاهدة من المحال . أما الآن فلا نقول إنها من قبيل الممكن القاطي فقط بل صارت من قبيل ما بالقوة القريبة من الفعل

﴿ تمة الاجتماع ٢ لجمعية أم القرى - الداء أو الفتور العام ﴾

أجاب (المرشد الفاسي) إننا كنا على عهد السلف الصالح وشريعتنا سمحة واضحة المسالك معروفة الواجبات والمناهي فكان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وظيفة لكل مسلم ومسفة وكنا في بساطة من العيش متفرغين لذلك ثم شغلنا شأن التوسع فخصنا لتلك محتسين ثم دخل في ديننا أقوام ذوو بأس ونفاق أقاموا الأكتساب مكان الاحتساب وحصروا اهتمامهم في الجباية وآلها التي هي الجندية فقط فبطل الاحتساب وبطل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر طبعاً فهذا يصحح أن يكون سبباً من جملة الأسباب ولكنه لا يكفي وحده لإيراث ما نحن فيه من الفتور. على أن احصار همه الأمراء الدخلاء في الجباية والجندية أدى بهم إلى إهمال الدين كلياً ولو لا أن في القرآن آيتين اثنتين لهجروه ظهرياً أحدهما قوله تعالى (أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولى الأمر منكم) مع الغفلة عن المراد بكلمة (أولى) وما تقتضيه صيغة الجمع وما يقتضيه قيد منكم . والثانية قوله تعالى (وجاهدوا في سبيل الله) مع اغفال بيان الجهاد المأمور به هل هو ما يكون به اعزاز كلمة الله أم ما تؤديه به سلطة الأمراء العاملين على الاطلاق ؟ فإهمال الاهتمام بالدين قد جر المسلمين إلى ما هم عليه حتى خلت قلوبهم من الدين بالكلية ولم يبق له عندهم أثر إلا على رؤس الألسن لاسيما عند بعض الأمراء الأعاجم الذين ظواهر أحوالهم وبواطنها تحكم عليهم بأنهم لا يتراءون بالدين إلا لقصد تمكين سلطتهم على البسطاء من الأمة . كما أن ظواهر عقائدهم وبواطنها تحكم عليهم بأنهم مشركون ولو شركاً خفياً من حيث لا يشعرون فإذا أضيف إلى شركهم هذا ما هم عليه من الظلم والجور يحكم عليهم الشرع والعقل بأن ملوك الأجانب أفضل منهم وأولى بحكم المسلمين لأنهم أقرب إلى العدل وإقامة المصالح العامة وأقدر على عمارة البلاد وترقية العباد وهذه هي حكمة الله في نزع الملك من أكثرهم كما يقتضيه مفهوم « وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون » (١) وقد افتخر النبي عليه السلام بأنه ولد في زمن كسرى انوشروان عابد الكواكب (٢) فقال : « ولدت في زمن الملك العادل » (٣)

(١) الظلم هنا الشرك (٢) يظن أن اتخاذ الشمس إلى الآن إشارة للملك في إيران وكذلك اتخاذ الهلال والنجم إشارة للملك عند الترك هو من بقايا دياناتهم الأولى (٣) الحديث موضوع باطل وإن استشهد به بعض العلماء الأعلام ومنهم من حجة الاسلام

وحكى ابن طباطبا في الآداب السلطانية والدولة الاسلامية أنه لما فتح السلطان هلاكو (وهو مجوسى) بغداد سنة (٦٥٦) أمر أن يستقى علماءها أى الرجلين أفضل السلطان الكافر العادل أم السلطان المسلم الجائر؟ فاجتمع العلماء في المستنصرية لذلك فلما وقفوا على الفتيا أحجموا عن الجواب حيث كان رضى الدين على بن طاووس حاضراً وكان مقدماً محترماً فتناول الفتيا ووضع خطه فيها بتفضيل العادل الكافر على المسلم الظالم فوضع العلماء خطوطهم بعده .

ثم قال : إني أظن أن السبب الأعظم لمختنا هو انحلال الرابطة الدينية لأن مبنى ديننا على أن الولاء فيه لعامة المسلمين فلا يختص بحفظ الرابطة والسيطرة على الشؤون العمومية رؤساء دين سوى الامام إن وجد وإلا فالأمر يبقى فوضى بين الجميع وإذا صار الأمر فوضى بين الكل فبالطبع تختل الجامعة الدينية وتتحل الرابطة السياسية كما هو الواقع . ومن أين لنا حكيم (كبسمرك) أو ملزم (كفاربيالدى) يوفق بين أمرائنا أو يلزمهم بجمع كلمتنا . وقد زاد على ذلك فقدنا الرابطة الجنسية أيضاً فان المسلمين في غير جزيرة العرب كيف اخلاط دخلاء وبقايا أقوام حتى لا تجمعهم جامعة غير التوجه إلى هذه الكعبة المعظمة .

ومن المقرر المعروف أنه لولا رؤساء الدين في سائر الملك وروابطهم المنتظمة المطردة أو من يقوم مقام الرؤساء من الدعاة أو مديري ومعلمي المدارس الجامعة المتحدة المبادئ لتساعت الأديان وتشعبت أخلاق الأمم ونالهم ما نالنا من كون كل فرد منا أصبح أمة في ذاته .

أجابه (الحقق المذنب) إن فقد الرابطة الدينية والوحدة الحلقية لا يكفيان أن يكونا سبباً للفتور العام بل لا بد لذلك من سبب أعم وأهم . ثم قال أما أنا فالذى يحول في فكرى أن الظامة هى من تشويش الدين والدنيا على العامة بسبب العلماء المدلسين وغلاة المتصوفين الذين استولوا على الدين فضيعوه وضيعوا أهله . وذلك أن الدين إنما يعرف بالعلم والعلم يعرف بالعلماء العاملين وأعمال العلماء قيمهم في الأمة مقام الأنبياء في الهداية إلى خير الدنيا والآخرة . ولا شك أن مثل هذا المقام في الأمة شرفاً باذخاً يتعاطفه على نسبة المهم في تحمل عبثه والتفكير بأعبائه . فبعض ضعيفي العلم وفاقدي العلم تطلخوا إلى هذه التزلة التي هى فوق طاقتهم وحسدوا أهلها المتعاليين عنهم فتجلبوا للمراحمه والظهور في مظهر العلم اعظمه بأذغراب في الدين ، وسالوا مسلك ترأهدين . ومن العادة أن يلجأ ضعيف العلم إلى التصوف كما يلجأ

فأورد المجد إلى السكر وكما ياجأ قليل المال إلى زينة اللباس والاثاث (مرحى
 فصار هؤلاء يتعالمون يدلسون على المسلمين بتأويل القرآن بما لا يمتلحه محكم النظر
 فكثيرم فيفسرون التيسلة أو الباء منها مثلاً بسفر كبير تفسيراً مملوءاً بانط لا معنى
 به أو تحكم لا برهان عليه، ثم جاؤا الألة ورواية اسرار ادعوها وعلوم لدنيات ابتدعوها
 وتسم مقامات اخترعوها ووضع أحكام لفقوها وترتيب قربات زخرفوها . وبالامعان
 نجدهم قد جاؤا مصدقاً لما ورد في الحديث الصحيح « لتبعن سنن من قبلكم شراً
 بشير وذراعاً بذراع - وفي رواية : حذو القعدة بالقعدة - حتى لو دخلوا جحر حطب
 تبعتموهم قلنا يا رسول الله : اليهود والنصارى ؟ قال هو شنيء » . وذلك ان
 هؤلاء المدلسين اقتبسوا ما هنالك كاه أو جله عن أصحاب التهود وتفاسيرهم ومن
 الجامع المسكونية ومقراتها ومن البابوية ورواية السر ومن مغاهاة مقامات البطارقة
 والكردينالية والشهداء واسقفية كل بلد ومظاهر القديسين وعجائبهم والدعاة للبشرين
 وصبرهم والرهينات ورؤسائها وحالة الاديرة وبادريتها والرهنة أي التظاهر بالفقر
 ورسومها والحمية وتوقيتها ورجال الكهنوت ومراتبهم وتميزهم في البستهم وشعورهم
 ومن مراسم الكنائس وزينتها والبيع واحتفالاتها والترنحات ووزنها والترنحات
 واصولها وإقامة الكنائس على القبور وشد الرجال لزيارتها والاسراج عليها والخضوع
 لديها وتعليق الآمال بسكانها . وأخذوا التبرك بالآثار كالقدح والحربة والستار من
 احترام الذخيرة وقدمية العكاز وكذلك إمرار اليد على الصدر عند ذكر بعض
 الصالحين من امرارها على الصدر لاشارة التصلب . وانزعوا الحقيقة من السر
 ووحدة الوجود من الحول والحلافة من الرسم والسقيا من تناول القربان والولاء
 من الميلاد وحفلته من الاعياد ورفع الاعلام من حمل الصليان وتعليق ألواح الأسماء
 المصدرة بالندامة على الجدران من تعليق الصور والتماثيل واستفاضة والمراقبة من
 التوجه بالقلوب انحاء أمام الأضنام ومنع الاستهداء من نصوص الكتاب والسنة
 من خطر الكهنة الكاثوليك قراءة الانجيل على غيرهم وسد اليهود باب الأخذ
 من التوراة وتمسكهم بالتهود إلى غير ذلك مما جاء به المدلسون تقليداً لهؤلاء شيراً
 شبراً واقفاء لأثرهم بالدخول حيث دخلوا جحراً جحراً وهكذا إذا تتبعنا البدع
 الطارئة نجد أكثرها مقتبساً وقليلها مخترعاً .

وقد فعل المدلسون ذلك سحراً لعقول الجهلاء واختلاباً لقلوب الضعفاء كالنساء

وذوى الاهواء والامراض القلية أو العصية من العامة والأمراء السلسى القياد طبياً إلى الشرك لأن التعبد رغبة أو رهبة لما بين أيديهم وتحت أنظارهم أقرب إلى مداركهم من عبادة إله ليس بجوهر ولا عرض وليس كمثل شئ، ولأن التعبد باللهو واللعب أهون على النفس والطبع من القيام بتكليفات الشرع كما وصف الله تعالى عبادة مشركى العرب فقال « وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية » أى صغيراً وتصفيقاً وهؤلاء جعلوا عبادة الله تصفيقاً وشبهقاً وخلاعةً وعميقاً (مرحى) .

والخاصل انه بذلك وامثاله نجح المدلسون فيما يقصدون ولا سيما بدعوى فئة منهم الكرامة على الله والتصرف بالمقادير وباسمائهم العامة بالزهد والكاذب والورع الباطل والتكشف الشيطانى وبترتيبهم لهم رسوماً عميل إليها النفوس الضعيفة الخاملة سموها آداب السلوك ما أنزل الله بها من سلطان ولا عمل بها صحابى ولا تابعى ظاهرها ادب وباطنها تشريع وشرك ويجذبهم إليه الجاهلین بتعقيب الدين من طريق العلم والاصل بظاهر الشرع وتهوينه كل التهوين من طريق الاعتقاد بهم وباصحاب القبور . وقد تجاسروا على وضع أحداث مكدوبة أشاعوها فى مؤلفاتهم حتى التبس أمرها على كثير من العلماء اخلصين من المتقدمين والمتأخرين مع أنها لا أصل لها فى كتب الحديث المعتبرة . وجلبوا الناس بالترهيب والترغيب أما الترغيب فى الاستفادة من الدحول فى الرابطات والعصيات المنعقدة بين اشياعهم وأما الترهيب فبتهديدهم مناوئتهم أو مسيئى الظن بهم باضرارهم فى أنفسهم وأولادهم وأموالهم صرماً يتعجلهم فى دنياهم قبل آخرتهم . (مرحى)

وقد قام لهؤلاء المدلسين اسواق فى بغداد ومصر والشام وتسان قدماً ولكن لا كسوقها القائم فى القسطنطينية منذ أربعة قرون إلى الآن حتى صارت فيها هذه الاوهام السحرية والخزعبلات كأنها هى دس معظم أهلها لا الإسلام وكأنهم لما ورثوا عن الروم الملك حرصوا على ان يورثوا طينتهم أيضاً حتى توسع فى هذه المعارج السيئة فاقبس لهم المدلسون كثيراً مما يبدون به من عيب عن نفس وإن كان الدين أباه ويربته لهم الشيطان بأنه من دقائق الدين وآدابه ومن هذه الخواصم سبى ذلك إلى الأفاق بالمدوى من الأمراء إلى العلماء الأغنياء إلى العوام .

فهؤلاء المدلسون قد نالوا بسحرهم^(١) نفوذاً عظيماً به أتت أكثراً فى الدين وبه

(١) السحر لغة إخراج الباطل فى صورة الحق بالتورية والتخداع . والسحر تارة

جعلوا كثيراً من المدارس تكايا للبطالين الذين يشهدون لهم زوراً بالكرامات المرهبة وبه حولوا كثيراً من الجوامع مجامع للطبالين الذين ترد من دوى طبولهم قلوب المتوهمين وتكفهر أعصابهم فيتلبسهم نوع من الحبل يظنونه حالة من الخشوع. وبه جعلوا زكاة الأمة ووصاياها رزقاً لهم وبه جعلوا ربيع أوقاف الملوك والأمراء عطايا لأتباعهم مما نسمى في البلاد العثمانية (دعا كوا وطعامية) (مرحى). وبذلك ضاق على العلماء الخناق لا رزق ولا حرمة وكفى بذلك مضياعاً للعلم والدين لأنه قد التبس على العامة علماء الدين بالفقراء الأدلاء من هؤلاء المدلسين الأغنياء الأعزاء فقتوشت عقائدهم وضمف يقينهم فضيع الأكترون حدود الله وتجاوزوها وقعدوا قوة قوانين الله ففسدت أيضاً دنياهم واعتراه هذا الفتور.

أجاب (المولى الرومى) إن كل الديانات معرضة بالتحدى لأنواع من التشويش والفساد ولكن لا تفقد من أهلها حكماء ذوى نشاط وعزم ينهون الناس ويرفعون الالتباس أو يعوضون قواعد الدين إذا كان أصلها واهياً (لامتينا كقواعد الإسلام) بهوانين موضوعة تقوم بنظام دنياهم ويتحملون في سبيل ذلك ما يتحملون من المشاق خدمة لأفكارهم السامية ويبدلون ما عز وهان حفظاً لشرفهم القائم بشرف قوتهم بل حفظاً لحياتهم وحياة قومهم من أن يصبحوا أمواتاً متحركين في أيدي أقوام آخرين. ولقد أثبت الحكماء المدققون بعد البحث الطويل العميق أن للنشأ الأصلي لكل فساد في أخلاق العباد والنبت الأول لكل شقاء في بنى حواء هو أمر واحد لا ثانى له ألا وهو وجود الساطة القانونية منحلة ولو قليلاً لفسادها أو لغلبة سلطة شخصية عليها من فرد أو أكثر فما بال الزمان يضي علينا برجال ينهون الناس ، ويرفعون الالتباس ، يفتكرون بحزم ، ويحملون بعزم ، ولا يتفكرون . حتى ينالوا ما يقصدون ، فينالوا حمداً كثيراً ، وحقراً كبيراً ، وأجرأ عظيماً ؟ وعندى ان داءنا الدفين دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين وبعبارة أخرى تحت ولاية الجهال المتعممين .

وهنا نبه السيد الفراتى الأستاذ الرئيس إلى قرب وقت الانصراف عندئذ جهز

= الذى جاء في الشرع ليس غير هذا بدليله وصفه تعالى لعمل سحرة فرعون في قوله جلت حكمته « فلما ألهموا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجاؤا بسحرة عظيم » وقوله « فإذا جابههم وعصهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى »

(الأستاذ الرئيس) بشعار (لا نعبد إلا الله) تنبيهاً للاخوان وقال لهم ان أخانا المولى الرومى لفارس مغوار يحب ماعودنا من التفصيل والاشباع والان قد آن وقت الظهر وحين أن يتفرق لتدرك الصلاة وموعدنا غداً إن شاء الله تعالى .

باب التربية والتعليم

قانون التعليم الرسمي والجمعية العمومية

كان كل مصرى يسىء الظن بكل عمل يجرى على أيدي المحتلين فما زالت الأعمال تنقض وتبرم وتمحو وتثبت حتى اعترف الأكترون بأكثر نتائج الأعمام الإصلاحية النافعة في الري والمالية والإدارة والسياسة ولولا أن أكثر الناس أو كل الناس غير راضين عن سير نظارة المعارف لاعترفوا أجمعين بحسن نية المحتلين وأرادتهم الخير للبلاد وأهلها وليس هذا مقام بسط هذه المسألة ولكن هذه الكلمة تهديد لما يأتي وهو ان سحق الناس من سير نظارة المعارف في التعليم جعل شأناً عظيماً لاقتراح توجيه الفاضل أمين بك الشمسى على الجمعية العمومية أن تطلب من الحكومة عرض قوانين التعليم « بروجرامات » ومثشورات المعارف على مجلس شورى القوانين ومجلس النظار . وتوقع الناس أن تقبل الحكومة هذا الاقتراح بمقدار ما لهم من حسن الظن فيها وما كانوا ينتظرون أن يدافع صاحب السعادة نظار المعارف الجمعية العمومية ويناضلها فضال بنى شعل ليذفع عن نظارته هذا الاقتراح لأنهم يعتقدون أنه مستريح من أعمال المعارف لثقتهم بأمين أسرارها العامل الدائب المستر دنلوب وسائر الموظفين تحت يده ولأن من شأن الواثق بحسن عمل ينسب إليه حتمية أو عرفاً بالذات أو بالواسطة أن يجب عرضه على الناس ويسعى في توجيه أنظارهم إليه لا سيما إذا كان الغرض من العمل المنفعة العامة وكان تعد الناظرين فيه من أسباب ترقيه وإتقانه كنظام التعليم ولكن الناظر جاء بما لم يكن في الحسبان ولا تخوض في تحليل ذلك مع الحائضين ولكننا نبحت في دفاعه وتعليقه في مناقشة الجمعية العمومية في جلسة ٦ ذى الحجة سنة ١٣١٩ ومختصر ما نورده من المناقشات غالباً ونحذف الألقاب الرسمية فنقول :

عندما عرض اقتراح الشمسى بين الناظر للجمعية كيفية وضع قوانين التعليم

(البروجرامات) وهو أن نظار المدارس ومختشيها يتقدمون في آخر كل سنة مكتبة تقارير عما يرونه في نظام التعليم فتبحث فيه اللجنة العلمية المؤلفة من كبارهم وتقدم تقرير عليه منه إلى مجلس المعارف الأعلى فيبحث فيه ويقدم ما يراه منه إلى مجلس النظام (قال) : « والذي يتقرر بسدر الأمر بأجرائه »

قال مفتي الديار المصرية : الذي يلاحظه الناس هو أن القوانين تعرض بمقتضى العادة على مجلس النظام ثم ترسل إلى مجلس شورى القوانين ومن ذلك ما يكون متعلقاً بوضع مائة قرش غرامة ونحوه . فالقوانين المتعلقة بالأصول العامة للتربية والتعليم أولى بهذا وهي لا تخص نظارة المعارف وحدها بل الفطر كله فيصح للجمعية العمومية أن تطلب ضماناً زائداً بالنسبة إلى حالة الأشخاص فإن الكثيرين يعتقدون أن تلامذة السنة الثانية في المدارس الابتدائية يعلمون بعض العلوم باللغات الأجنبية فلا يفهمونها طبعاً . ثم إن طرق التهذيب وتربية النفوس هي التي عليها مدار مستقبل الناشئين ومعرفتهم ما يجب عليهم لصلحة أنفسهم فمن الضروري الاعتناء بأمثال هذه المسائل فلا بد درس قانون التعليم بمجلس النظام وتحويل إلى مجلس الشورى لكان ذلك أكثر ضماناً فإن المشتغل بعمل محكم ذلك العمل عليه فيضيع منه كثير من الأشياء المتعلقة بالحالة العمومية

(الناظر) : « البروجرامات جار نشرها قبل دخول السنة المكتبية وما يفهمه البعض من أن السنة الثانية تدرس باللغة الأجنبية فهو خطأ لأن التلميذ يتدبّر في هذه السنة في تعلم مبادئ اللغة الأجنبية فقط ولم يكن المعلمون وحدهم منفردين في إبداء رأيهم في سير التعليم بل المشتغل بذلك هم ونظار المدارس والفتشون الذين هم من حيار الناس فعندنا تقارير نظار المدارس وتقارير الفتشيين وتقارير اللجنة العلمية وقرار مجلس المعارف وقرار مجلس النظام فهذه خمس ضمانات »

أوردنا جواب ناظر المعارف بلفظه كما نشر على ما فيه من ضعف العبارة لتظهر مغالطته بآتم إيضاح وهي من وجهين أحدهما قوله أن التلميذ يتدبّر في السنة الثانية بتعلم اللغة الأجنبية أي فلا يتعلم بها شيئاً من العلوم والصواب أنه يتدبّر بتعلمها في السنة الأولى كما ترى في الصفحة ١٠ من قانون التعليم الابتدائي الصادر بامضاء الناظر نفسه في جمادى الثانية سنة ١٣١٩ أي قبل هذه المناقشة بنحو نصف سنة وكون التلميذ يتعلم في السنة الأولى وكذا الثانية لغة أجنبية خطأ ظاهر وإثنا لعرف كثيرين من المعلمين ونظار المدارس يتبرمون منه ولكنهم يعتقدون أنه أمر فهم هبط من شأنه

القوة على أرض الضعف والاستكانة ولو علموا أن إبداء رأيهم يصل مجلس الشورى فيطالب به باسم الأمة لأبدوه آمنين من مغيبته لأن كل ما يتوقعونه حينئذ من المواخذة على نكث شيء من قتل ذلك الأمر المبرم يكون معلوما للناس إذا وقع بعض إطلاع مجلس الشورى ومجلس النظار وسائر الناس على اقتراح المقترح .

ثم إن تعليم التاريخ الطبيعي (الأشياء) وتقوم البلدان يكون باللغة الانكليزية في السنة الثالثة الابتدائية والفرق بينها وبين السنة الثانية ليس كبير وإنهم ليعلمون أنه لا يمكن أن يحصل التلميذ من اللغة الأجنبية في سنتين ما يتمكن به من فهم العلوم الطبيعية فيها ولذلك بعيدون عليه في السنة الثالثة من دروس تقوم البلدان بالانكليزية ما كان تعلمه بالعربية فإن كان الغرض العلم فلا معنى لهذا الرجوع القهقري وإن كان المراد اللغة فالأوقات المخصصة لها ليست بقليلة كما سنبينه في نبذة أخرى

والوجه الثاني « الضمانات الخمس » وهي لا تصلح دفعا لقول المفتي لأنه قال إن عرض نظام التعليم على مجلس الشورى أكثر ضمانا أي أن الخمس تكون به ستا فإذا كان الناظر واثقا من إتقان نظام نظارته ويود أن تزداد إتقانا وارتقاء فماذا يضره لو عرض ذلك على كل من له رأى من الناس وعلم رأيه فيه ؟ ثم هو يعلم أن الحكومة أنشأت مجلس الشورى والجمعية العمومية لتعلم الأمة كيف تحكم وتجعل لها رأيا في قوانينها ونظاماتها لتكون أمة حية كأمم أوروبا حتى إذا ما استعدت لذلك يكون كل شيء برئى مجلسها النائب عنها فماذا يبخل عليها ناظر المعارف بالبحث في قوانين نظارته ونظام التعليم في مدارسها بواسطة أعضاء مجلس الشورى الذين هم من خيارها كما أن نظار المدارس ومفتشها من الخيار كما قال وزيادة الخيار خير . ولا يخفى عليه أن الأمة تثق بمجلس الشورى أكثر من ثقتها بأى مجلس من مجالس الحكومة لأنها تعتمد أن أعضاء لاسلطان عليهم للسياسة لأن الحكومة وضعهم للاتقاد على قوانينها ولأنهم لا يتوقعون خيرا من مخالفة رغبتهم .

أما « الضمانات الخمس » فهي في النعمى شيء واحد وإن شئت قلت لا شيء لأن العامل الذي تطلب الأمة الضمان على إتقان عماله هو نظارة المعارف فلا يصح أن تكون هي المسئولة لنفسها بأن عمالها برأى الموظفين فيها . وذلك التعدد في « الضمانات » لا تأثير له لأن آراء المعلمين والناظرين والمفتشين يدغم بعضها في بعض ولا يعرض على مجلس النظار إلا ما يراه مجلس المعارف الأعلى وحده فمجلس النظار لا يبحث في آراء أصحاب « الضمانات » الثلاث ولا يعرفها . ذلك أن المعلمين يبدون آراءهم للنظار

مدارسهم فيختار منها هؤلاء، ما يرضونه أو ما يرضون به ويقدمونه للجنة العلمية فتصح منه ما تشاء، وثبت ما تشاء وترفعه إلى اللجنة العليا فتتسوخ منه ما تشاء، وتقدم الباقي إلى مجلس النظار فيصدق عليه. وإنما يتحقق الضمان من معنى المدارس ونظارتها ومتشيها إذا أعطوا حرية بأن يقولوا ما يرونه وكان يعمل بما يقولون أو يبين المانع عن العمل به وأعطوا مع ذلك ضماناً بأن من رأت اللجنة العلمية أو الغالية خطأ رأيه فإنه لا يؤخذ سرا ولا جهرا

ثم إن المفتي احتج على كون تلك «الضمانات» غير كافية بأمرين أحدهما استمرار التغيير في قانون التعليم (انبروجرام) حتى في المسائل الكلية. قال: وهذا يدل على أن معلومات واضعي التقارير غير كافية. وأجاب الناظر عنه بأن التغيير يدل على دقة البحث. وظاهر أن هذا الجواب غير سديد لأن دقة البحث إذا سلمت وكان من المسلم أيضاً أن التغيير مستمر حتى المسائل الكلية فذلك دليل على في أن هذه الدقة لم تأت بالفائدة المطلوبة وما ذلك إلا لأنها غير مبنية على علم كاف فهي تحتاج إلى الامداد والمساعدة وللحكومة مجلس أعلى للبحث في القوانين خاصة فيجب أن يكون هو المساعد والممد نظارة المعارف في تقيح قوانينها

والأمر الثاني الذي احتج به المفتي هو أن لسكان ثقة الناس يسير التعليم أكبر شأن وأهمه وإن ذلك يكون باطلاع مجلس النظار ومجلس الشورى على قوانينه. وأجاب الناظر بإعادة ذكر «الضمانات الخمس» وزاد ضماناً آخر سماه «الضمانة» الكبرى وهو طبع تلك القوانين ونشرها قال: وقلمنا نرى واحداً من الناس يقرأها ويعرف سير التعليم. وظاهر أن هذا الجواب في غير موضوع الدعوى لأن الدعوى هي أن ثقة الأمة بالتعليم مطلوبة وإنما تكون بكذا دليل طلب نوابها له. فكان ينبغي أن تكون الجواب إما بالتقسيم وإما بمنح الحاجة إلى ثقة الأمة بالتعليم أو بمنع ان تقبها تكون بعرض قوانين التعليم على مجلس النظار ومجلس الشورى فاما المنع الأول فيستحيل أن يصدر من ناظر المعارف وأما الثاني فالفصل فيه للجمعية العمومية وقد وافقت أخيراً عند أخذ الآراء على وجوب عرض قوانين التعليم ومنشوات المعارف على مجلس الشورى فثبت رأي مفتي الديار المصرية وأما الجواب عن «الضمانة» الكبرى فهو أن عدم رؤية الناظر لقراء قوانين التعليم لا يدل على عدم التدقيق لها فإذا قال: كان يجب أن يتقدها إن لم يرتضوها تقول إن العاقل لا يتوجه إلى عمل إلا إذا رجا فائدته ولا يطوف في ذهن أحد أن انتقاده قانون التعليم يكون

سبباً لرجوع نظارة المعارف عن خطأها فيه . وإذا كان قد ظهر أن ناظر المعارف يدافع الجمعية المسمومة الناطقة باسم الأمة المصرية كتابها ويتعجبنا بتعالقات عن طلب النظر في قوانين التعليم فهل كان ينتظر أن ينتفت إلى قول واحد من الناس أو اثنين أو أكثر إذا هم اتفقوا على قوانينه ؟ على أن الجرائد كثيراً ما تنتقد المعارف في سبب التعليم وسائر نظامها فيه ولم يكن ذلك شيئاً

ثم تكلم بعد المفق الشيخ على يوسف قد ذكر بعض ما ينتقد على نظام التعليم وقوانينه مما يصح أن يذكر في مجلس رسمي وسند ذكر ذلك الجزء الثاني مع جواب الناظر عنه وبيان الصواب وتزيد من الانتقاد على تلك القوانين منشاء الله أن تزيد

آثار علمية أدبية

إلى الأغنياء

قال الأديب الشيرحافظ أفندي إبراهيم في حريق ميت عسراةى يذكر في باب الأخبار

سألوا الليل عنهم والنهارا	كيف باتت نساؤهم والعذارى
كيف أمسى رضيعهم قعد الا	م وكيف اصطلح مع القوم نارا
كيف طاح العجوز تحت جدار	يتداعى وأسقف تتجارى
رب ان القضاء أمحى عليهم	فاكشف الكرب واحجب الاقدارا
ومر النار أن تكف اذاها	ومر العيث أن يسيل اهما را
أين طوفان صاحب الفلك روى	هذه النار فهي تشك الأوارا
أشعلت حمت الدياحى فباتت	تملا الأرض والسما شرارا
غشيمهم والنحس يحرى عينا	ورمهم والنؤس يحرى يسارا
فأغارت وأوجه القوم بيض	ثم غارت وقد كسبن قارا
أكلت دورهم فلما استقلت	لم تغادر صغارهم والسكبارا
أخرجتهم من الديار عمارة	حذر الموت يطلبون الفرارا
يلبسون الظلام حتى إذا ما	أشرق الصبح يلبسون النهارا
حلة لا تقيهم البرد والحار	ولا عنهم ترد العبارا

أبها الرافلون في حل الوثى
 إن تحت العراء قوماً جياعا
 أبهذا السجين لا يمنع السج
 مر بألف لهم وإن شئت زدها
 قد شهدنا بالأمس في مصر عرسا
 سال فيه النصار حتى حسبنا
 بات فيه المنعمون بليل
 يكنسون السرور وطورا وطورا
 وصمعا في (ميت عمر) صياحا
 حل من قم الحظوظ فهذا
 رب ليل في الدهر قد ضم نحماً
 يحجون للذيول اقتخارا
 يتوارون ذلة وانكسارا
 ن كرمًا من أن يقبل العثارا
 وأجرهم كما أجرت النصارى
 ملأ العين والفؤاد انهارا
 أن ذاك القناء يجرى نضارا
 أخجل الصبح حسنه فتواري
 في يد الكأس يخلعون الوقارا
 ملأ البر ضجة والبحارا
 يتغنى وذلك يكى الديارا
 وسعودا وعسرة ويسارا

﴿ الهدايا والتعاريف ﴾

(كتاب الفوز الأصغر) هو للفيلسوف الاسلامي الشيخ أحمد بن مسكويه الرازي صاحب كتاب (نهديب الأخلاق وتطهير الأعراق) المتوفى سنة ٤٢١ هـ وضعه لتحقيق البحث النظري في ثلاث مسائل (١) إثبات الصانع و (٢) النفس وأحوالها و (٣) النبوات وقد نزع فيه منازع دقيقة في الوفاق بين الفلسفة والدين وجعل لكل مسألة عشرة فصول فمن فصول المسألة الأولى فصل في بيان أن وجود الأشياء كلها إنما هي بالله عز وجل وفصل في أن الله تعالى أبداع الأشياء من لا شيء ومعلوم أن الفلاسفة يقولون يستحيل إيجاد شيء من لا شيء . وفي فصول المسألة الثانية إثبات النفس وكونها ليست جسما ولا عرضاً وإثبات أنها جوهر حي باق وأنها ليست الحياة حينها بل إنها تعطى الحياة وبيان ماهية النفس والحياة وبيان كمال النفس والكلام في السعادة وفي حال النفس بعد البدن . وفي فصول المسألة الثالثة بيان مراتب الموجودات واتصال بعضها ببعض وبيان أن الانسان عالم صغير وقواه متصلة ذلك الاتصال والكرم في كيفية الوحي وفي العقل وكونه ملكا مطاعاً وفي التام الصادق وفي الفرق بين النبوة والكهانة وفي النبي المرسل وغيره وفي أصناف الوحي وفي الفرق بين النبي والمتنبي . وقد طبع الكتاب طبعاً جميلاً في بيروت وبياع في مكتبة أمين أفندي هندية بمصر

فبحث جميع المشتغلين بالعلم على مطالعته

(كتاب تفصيل النشأتين . وتحصيل السعادتين) هو للإمام أبي القاسم الحسين بن محمد ابن الفضل الرابع الاصفهاني المتوفى في رأس المائة الخامسة ومباحث الكتاب فلسفية أخلاقية إسلامية وقد قرن جميع مسائله بالآيات القرآنية فجعلها شواهد وأدلة وبعضها لا يصلح لما وضعه له ولكن له منازع دقيقة فيها . وأبواب الكتاب على اختصاره ٣٣ وهي في معرفة الانسان نفسه وفي أجناس الموجودات وموضع الانسان منها وفي العناصر التي أوجد منها الانسان والقوى التي جمعت فيه وفي تدرج الانسان حتى يصير كاملاً وفي كونه مستصلاً للدارين وفي كونه هو المقصود من العالم وكون ما عداه خالق لأجله وفي تفاوت الناس وسببه وفي الشجرة النبوية وفضلها وفي الشرع والعقل والعبادة وغير ذلك وهو كالنهي قبله جدير بالمطالعة وطبع حيث طبع وبياع حيث يباع

﴿ إقامة البراهين العظام . على نفي التمسب الديني في الإسلام ﴾

رسالة من تأليف الشيخ محمد بن مصطفى بن الخوجة الجزائري المدرس بجامع سفير في الجزائر الغرض منها اقناع مسلمي الجزائر بوجوب الخضوع لفرنسا وعدم الخروج عليها وقد جاء فيها بمسائل نافعة تثبت أن دين الإسلام يأمر بماملة المخالفين في الدين بالعدل ومحرم ابداءهم والاعتداء عليهم وأنه شرع فيه ما يغضى التألف مع أهل الكتاب كحل مؤاكلتهم وتزوج المسلم منهم وغير ذلك من القوائد المسلمة . وفي الرسالة ما ينتقد . فمنه أنه أخطأ في بعض ما أسنده إلى الأستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية عند الاحتجاج بكلامه واصفا إياه بكونه « خاتمة الأئمة وعلامة الآفاق على الاطلاق » فقد قال عن الأستاذ الامام أنه قال في درس التفسير بالأزهر : إن قوله تعالى « وقاتلوهم حتى لا تكون فتنة ويكون الدين لله » خاص بالواقعة التي كانت متوقعة للمسلمين في رواحهم إلى مكة الح . والأستاذ الامام لم يقل بهذا التخصيص وإنما قال إن معنى « حتى لا تكون فتنة » هو أن يؤمن شر المعتدين ويؤمن الدعوة إلى الدين على أنفسهم وعلى من يجيبهم إلى مادعوا إليه . ومعنى « ويكون الدين لله » أن يكون دين كل شخص خالصاً لربه لا تدخله محاباة ولا مدحاة ولا يهدده مهديد ، ولا ينقضه خوف من معتد . فلا يكون لغير خشية الله أثر في نفوس المؤمنين . وانظر بم يكون هذا . وما ينتقد عليه أشد الانتقاد قوله في نصيحته للمسلمين بعد اطراء فرنسا وذمهم ووصف سوء حالهم « فلا ينبغي لهم الاهتمام إلا بشؤونهم المعاشية » الخ كأنه يريد أن

يجعلهم بهائم . وهل يرى ذلك الأستاذ أن فرنسا التي وصف عدلها وحرمتها وفضلها ومدنيتها لا ترضى من المسلمين في الخضوع لها إلا أن يكونوا كالأنعام ، لا يهتمون إلا بالأكل والشرب والنم ، وهل ينافي خضوعهم لها اشتغالهم بالعلوم والآداب التي يرتقون بها ارتقاء معنويًا ويسامون الأفرنج في الصفات البشرية ؟ إن كان يقول هذا فهو ناقض به كل مدح مدح به فرنسا ! فينبغي لهذا الشيخ المدرس وأمثاله إذا كتبوا بالكتابة في مثل هذا المقام أن يقصدوا ويقفوا عند حد معلوم وكان المجال واسعاً لأفئاع المسلمين بعدم الخروج على فرنسا وتعريض أنفسهم للهلكة من غير عيب بالأحكام ، ولا تكليف للمسلمين بأن يكونوا كالأنعام ، وبهذا القدر كفاية وسلام .

« الحضرة الأنسية في الرحلة القدسية » للشيخ عبد الغنى النابلسي الفقيه الصوفي الشهير رحلتان أو ثلاث وهذه منها وهي أحصرها وقد طبعت في مطبعة جريدة الإخلاص العراق على نفقتها ووقف على طبعها أحد محرري الجريدة ديمتري أفندي تقولا المحترم صاحب مجلة البكاهة . أما المؤلف فإنه يذكر في هذه الرحلة كيفية سفره من الشام إلى القدس ونواحيه وما رآه وحرى له فيه وأهمه زيارة قبور الأنبياء والصالحين بحسب تعريف المعرفين الذين يصحبون الزائر في تلك البلاد وما في تلك الكتب المؤلفة في تاريخها . وقد ختم الكتاب ملتزم طبعه بإحصاء ما ذكر في الرحلة من المدن والقرى والأمكنة ومقامات الأنبياء والجوامع والمساجد والمدارس والكنائس والأدوية والأبواب والعيون والآبار وعبور الصحابة والأولياء والصالحين وذلك أحسن ما في الرحلة وربما ينقل بعد في باب البدع شيئاً مما في الرحلة . وصفحاتها ٨٤ وهي تطلب من إدارة جريدة الإخلاص العراق ومنها قروش صاغ .

« الدنيا في باريس » هي الرسائل التي وصف بها مشاهد معرض باريس الأخير صدقنا القاضل الشهير أحمد زكي بك الكاتب الثاني لأسرار مجلس النظائر وقد اشتهر أمر هذه الرسائل وانتشرت في البلاد لأن رصيفنا البارعي الدكتور عيد أفندي كان يطبعها في « طيب العائنة » وقد سبق للمنازل تقريرها وبيان بعض فوائدها الآن شهر ١٤٠٣ . أن هذه الرسائل قد جمعت كلها في كتاب واحد من بالرسوم صفحاته ٤٧٣ ومنها ١٥٠ نسخة وستنقل بعض فوائدها عند منوح الفرصة إن شاء الله تعالى . قاموس الجغرافية القديمة بالعربي والفرنساوي « أهدي إلينا صدقنا مؤلف رسائل الدنيا في باريس » مع هذه الرسائل نسخة من هذا القاموس المختصر المفيد

الذي يعرف الكتاب حاجتهم إليه من اسمه. قال المؤلف في مقدمته: «عفا بغيره من
أردت فيه كثير من الأعلام الجغرافية التي لها ذكر في تواريخ الأقدمين من مصريين
وإشوريين وروم وعجم وغيرهم من الأمم جمعتهم بعد البحث شتى ومطالعات عديدة
فكأبدت فيه عناء نيس باليسير يعرفه من أطلع عليه أو اشغل بشيء من هذا القليل،
ثم قال « وإذا نال هذا الكتاب الصغير من الإقبال ما هو خليق به تشددت بمزمتي
إبراز العجبة الكيرة الوافي الذي جمعته في هذا الموضوع لتفيد» فعسى أن تتحقق الآمل،
وينال فوق ما يطلبه مؤلفه الفاضل من الإقبال، والكتاب مطبوع في المطبعة الأميركية
ومنه ٨ قروش وهو يطلب من مؤلفه ومن إدارة مجلة طبيب العائلة .

(مجموعة حقبة طبية هندسية . جمعية متخرجي المدرسة الخديوية لسنة ١٩٠١)
إذاً وجب أن نذكر ما ينتقد على نظارة المعارف في نظام التعليم وقوانينه من الواجب
أيضاً أن نذكر ما لها من الحسنات لأن الله تعالى يحب العدل في كل شيء ولأن فائدة
استحسان الحسن لا تنقص عن فائدة انتقاد المنتقد فكل واحد من الأمرين جعله الله
سبباً لإتقان الأعمال واختيار النافع منها وتجنب الضار . ومن حسنات المعارف
المصرية الأذن للتلامذة التخرجين في المدرسة الخديوية بإنشاء جمعية علمية أدبية في
نفس المدرسة يعدون فيها المقالات الإضافية في مسائل العلوم التي يتعلمونها في المدرسة
وفي المدارس العالية التي ينتقلون منها إليها ويعرضونها للانتقاد والبحث والتحجيص
وقد حضرت اجتماعاً لهم في المدرسة فسررت سروراً عظيماً ورغبوا إلي في انتقاد
ما تكلموا فيه وهو حقيقة الجنون وتاريخه وأنواعه فانتقدته علناً فتلقوا انتقادي
بالقبول والشكر كما هو شأن الباحث المستفيد

وقد طبعوا في هذه الأيام الجزء الأول من مقالاتهم التي تليت في السنة الماضية
وسموا بما ذكر في صدر الكلام . وتفضل وكيل الجمعية الفاضل النبيل علي بك
ماهر نجل صاحب السعادة ماهر باشا محافظ مصر بتقديم نسخة إلينا بنفسه فشكرنا له
ذلك . وفي المجموعة ست مقالات « ١ » في التربة والتاريخ لعلي بك ماهر بمدرسة
الحقوق و « ٢ » في أشعة رنتجن لعبد الرحمن افندي عمر بمدرسة الطب و « ٣ » في التكافل
والضمان لمحمد حلمي افندي عيسى بمدرسة الحقوق و « ٤ » في التنويم المغناطيسي
واستحضار الأرواح لمحمد افندي شكري بمدرسة الطب و « ٥ » في لوازم الحياة الأصلية
لمحمود افندي ماهر بمدرسة الطب و « ٦ » شهران بسويسرا لعلي بك ماهر . وفي

المقالات فوائد كثيرة . وعدد صفحات المجموعة ٦١٢ فبحث جميع المصريين في اجتناء هذه الثمرة الشبية ، التي انتجتها فروعهم الزكية

(مجلة الأحكام الشرعية) كثرت الجرائد والمجلات في مصر حتى تناوالت كل موضوع يمكن ان تنشأ له الاموضوع القضاء الشرعي كأن الحاكم الشرعية وأعمالها ليست من حاجات العمران التي يجب ان تخدمها الصحافة . وقد انبرى في أول هذا العام للقيام بهذه الخدمة الجليلة المحامي الشرعي الشهر حسن بك حمادة التخرج في مدرسة الحقوق السلطانية في الاستانة العلية فانشأ هذه المجلة الشهرية وقد صدر الجزء الأول منها مفتوحاً بمقدمة بليغة في حالة القضاء الشرعي والمحاكم الشرعية وسيرها والحاجة إلى الاصلاح فيها على الوجه الذي حرره الأستاذ الامام مفتي الديار المصرية في تقريره المشهور . وقد كادت هذه المقدمة ان تكون تاريخاً للمحاكم الشرعية بصورة مجملة . وبلى ذلك مقالة في القضاء الشرعي بمصر ماضيه وحاضره وهي تاريخية مفصلة ومقالات أخرى في المحاماة والقضاء وفي المجالس الحسينية وتاريخها وفي المحاكم الشرعية وتنازع الاختصاص . وقد فتح فيها باباً لنشر تراجم المشهورين من علماء الشرع وبدأ بترجمة الإمام أبي حنيفة وباباً لأشهر القضايا الشرعية التي لها فائدة عامة . وفي المجلة غير ذلك من الفوائد العلية والأدبية وقيمة الاشتراك فيها ستون قرشاً في القطر المصري وعشرون فرنكاً في خارجه فتتحنى لها النجاح الذي تستحقه

(تقويم التويد) صدر تقويم التويد لسنة ١٣٢٠ على ما يعهد لسان وفيه ما يعهدون من الاتقان وكثرة الفوائد العلية والفلكية والطبية والتاريخية والتأريخية وغير ذلك وقد جلد في هذه السنة تجليداً جميلاً مزخرفاً اجتلب له جلد من أذربايجان منقوشاً عليه اسمه واسم مؤلفه فتهنى صديقنا الفاضل محمد أفندي مسعود بما صادف من عمله المتقن من النجاح الذي هو جدير به

(النتيجة الوحيدة) اهدتنا مطبعة الموسوعات نسخة من هذه النتيجة التي تطبع فيها بالدقة والاتقان فنشكر لها اتقان طبها ولؤائف النتيجة الحاسب اندقو السيد مصطفى محمد الفسكي المحامي تلك الفوائد التي فيها

(التقويم الازهرى) يسر المسلمين ان يروا جميع الآثار العلية بنسوية في الازهر الشريف وصادرة من أهله . وهذا الشاب الفاضل الشيخ محمد محمد تهمر الاسطهاوى الفلكي قد أنشأ تقويماً يصدره في كل سنة هجرية وقد أنشأه الأستاذ

الأكبر شيخ الجامع الأزهر بأن يسميه التقويم الأزهرى فعسى أن يقبل عليه الناس
ليزيدوا مؤلفه تنشيطاً على اتقان عمله

(باب الرضا)

﴿ الحريق في ميت نمر ﴾

« ميت نمر » بلدة في مديرية الدقهلية أصابها في آخر شهر الثامن حريق
دمر الدور ، وقوض القصور ، والنهم الأثاث والرياش ، وما يبق على الناس ، إلا من
لجأ إلى الفرار . قبل أن تحيط به النار ، فأخذته لسانها ، أو تحنقه دحانها ، ويقال
إن عدد البيوت التي احترقت بأهلها إلا من أنجاه الله تقارب ٥٠٠ وان الخسائر
تقدر بمئات الألوف من الجنيهات . وقد كان الهول عظيماً ، والخطب جسيماً ، وقد كاد
يكون حال الدين نجواً شراً من حال الدين فقدوا فإن عذاب ساعة وإن كان شديداً
دون العذاب المستمر الذي يتلون ألواناً كثيرة وكيف حال من أمسى واجداً فأصبح
معدماً وكان كاسياً فصار عارياً وكان ذا مكان أهل فعاد ولا مكان ولا أهل . صار
الزوج أعمى والمرأة أرملة والولد يتيماً كما صار الغني فقيراً والعزير ذليلاً . وما من
هؤلاء أحد إلا وقد لفحته النار أو لدغته أو احترقت له عضواً وحاصل القول إن
هؤلاء الذين سلموا من هذا الحريق قد صبت عليهم جميع المنائب التي تفرقت في
العالمين فكان كل واحد منها باعثاً للرحمة والشفقة وسبباً للاغاة والاعانة . وقد
توجهت النفوس لجمع الاعانات لهم ولاشك إن الباخل في هذا الموضع هو أبخل الناس
بل هو من جنس الجماد لا من نوع الإنسان ولا من جنس الحيوان . لا عذر لأحد
من خلق الله في البخل على هؤلاء « ومن يبخل فأما يبخل عن نفسه » فمن وجد في
قلبه مساواة وفي نفسه شحاً مطاعاً وفي يده اقتباضاً وامسأكا فليمثل في نفسه هذا
الصاب واقمابه وبأهله والناس معرضين عنهم لا يجدون عليهم بشيء ولينظر كيف
يكون حكمة عليهم ثم لينظر هل يرضى بأن يكون محكوماً عليه عند الله والناس
بمثل ما يحكم به عليهم . لينذل كل إنسان مما يستطيع ولولا الاعتماد على التعاون
لوجب عليه أن يئذل كل ما يملك إن كانت وقاية أخوانه متوقفة على ذلك « لينفق
ذو سعة من سعته ومن قدر عليه رزقه (أي ضيق) فلينفق مما آتاه الله لا يكلف الله
نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عشر يسرا »



فبشر عباده الذين آمنوا بالقول
 ويتذكرون أحسن أولئك الذين هداهم
 الله وأولئك هم أولو الألباب

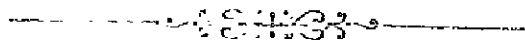
المشكاة

١٣١٥

بشرى الحكمة من بشرى ومن بشرى
 الحكمة فقد أوتي خبراً كثيراً
 يذكر الأثر الأثبات

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « ناراً » كمنار الطريق)

(مصرف يوم السبت ١٦ صفر سنة ١٣٢٠ - ٢٤ مايو (أيار) سنة ١٩٠٢)



باب الاخبار النبوية وآثار السلف الصالحين

« نشر في هذا الباب ما يعرف به المسلمون أصل مدينتهم ومنشأ ساداتهم التي ذهبت بر...

« انقضاء في الاستقام - النبوة الثانية في آراء »

نكروا عند... من أبي بكر رضي الله عنه قال...
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : « لا يقضين حاكم بين اثنين وهو
 غضبان » وروى عن غير أبي بكر أيضاً وهذا أدب عظيم لا بد من
 مراعاته فان الغضب يذهب بالرؤية والقطنة وبحكم الهوى فلا يتبين معه
 استنباط النظر والاحاطة بأسباب الحكم المادى ، وقد ذهب بعض الفقهاء
 المسلمين الى أن الحكم في حال الغضب لا ينفذ لثبوت النهي عنه والنهي

(١٢) زوائد أحمد والشيخان وأصحاب السنن الأربعة

يقضي الفساد . وقال الأكثرون أنه صحيح وإن كان آيانه مذكروها
وينفذ إذا وافق الحق وذلك لأن النهي الذي يفيد الفساد عند هؤلاء هو
ما كان لذات المهني عنه أو لجزئه أو لوصفه اللازم له والغضب وصف
مفارق لا لازم وفي القاعدة خلاف لأجل للبحث فيه هنا

المساواة بين الخصمين ^(١١) عن عبد الله بن الزبير (رض) قال : قضى
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن الخصمين يقدمان بين يدي الحاكم .
وهذا من المساواة التي جاء بها الإسلام . وقال بعض العلماء : إن هذه الهيئة
مشروعة لذاتها لا مجرد المساواة

^(١١) عن علي كرم الله وجهه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
له : « يا علي إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من
الآخر كما سمعت من الأول فانك إذا فملت ذلك تبين لك القضاء »

^(١٥) عن أم سلمة (رض) عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال
: « قال من ابتلي بالتقضاء بين المسلمين فليمدل بينهم في لحظة وإشارته
ومقدمه ومجلسه ولا يرفع صوته على أحد الخصمين ما لا يرفع على الآخر »
وهذا هو العدل الأكمل الذي ما بعده غاية - وذكر المسلمين فيه لأن
الكلام في دينهم وشرعهم وحكومتهم وإن كان المتقاضون من غيرهم
كذلك إذ لا فرق في حكمهم المادل بين مسلم وذمي ومعاهد . وما روي

(١٣) رواه أحمد وأبو داود والبيهقي والحاكم وقد طعن بمصعب بن ثابت من رجاله
بأنه كان يفتل كثيراً على صدقه ولا يسترنا هذا في مثل هذا الحديث (١٤) رواه أحمد
وأبو داود والترمذي وحسنه وابن جبان وصححه وله طرق أخرى (١٥) رواه
الدارقطني والطبراني والبيهقي . وفي أسناده عبادة ابن كثير وقد ضعف ولكن الحديث

عن أبي كرم الله وجهه أنه جاس بنجب شرح القاضي في خصومة له مع
يهودي أو نصراني . قال لو كان خصمي مسلماً جلست معه بين يديك
ولكني سمعت رسول الله صلى الله وسلم يقول : « لا تساورهم في المجالس »
فقد قال المحدثون انه منكر وأورده ابن الجوزي في الملل وقال لا يصح تفرد
به أبو سمية . هذا ما قالوه في رواية ان الخضم كان يهودياً . ورواية البيهقي
التي ذكر فيها ان الخضم كان نصرانياً في إسناده عمر بن سمرة عن جابر
الجعفي وهما ضعيفان وقال ابن الصلاح لم أجده اسناداً فهو منكر وباطل
ومضطرب واللة في سنده ومثته معاً وكان مروجاً من الجلاء
الذين يرون تعظيم شأن المأمين بظلم غيرهم ولو كانوا كذلك لما قامت
لهم دولة .

ومما يجب ملاحظته هنا ان ملوك عصرنا وأمرائه لو فعلوا مثل
له ذلك ورضي أحدكم بأن يخضع للقضاء ويتحاكم مع بعض رعيته المواقين
او يخالفين في الدين وجاس مع ذلك بنجب القاضي أو على رأسه أو صفت
بأنه أعدل المادلين ، وفضل على الخلفاء الراشدين ، وانهم ليصفونهم بالعدل
ويتعاملون لهم ماشاء الهوى من الفضل ، على حين أنهم دفعوا الله عنهم فرق
التشريعة الالهية ، بل نسخوا أكثر أحكامها بقوانينهم الوضعية ، فلا يمكن
ان يحاكم سلطان أو أمير ، مع كبير من رعيته ولا صغير ، فاضاعوا
بكبرياتهم الدين والدنيا والى الله المصير ،

(١٦) عن ابن أبي حنيفة الاسامي (رض) انه كان ليهودي عليه
أربعة دراهم فاستمدى عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم (١) فقال : يا محمد

ان لي على هذا أربعة دراهم ورويت في غيرها . وقيل في نسخة أخرى : « من قال
 بيمينك بالحق ما أقدر عليها . بل أعطاه حقه . بل والله يمشي بيمينك بالحق
 ما أقدر عليها قد أخبرته أنك ترثنا إلى خير وأرثنا من قبلنا شيئاً نخرج
 فأفضيه قال « أعطاه حقه » قال (الراوي) وكان النبي صلى الله عليه وسلم
 اذا قال ثلاثاً لا يراجع . يخرج به ابن أبي حنيفة إلى السوق وعلى رأسه
 عصاية وهو متزود بردة فتبع الهامة عن رأسه فأتزربها وتزيع البردة
 وقال اشتر مني هذه البردة فباعها منه بأربعة دراهم فماتت عبوز فماتت
 مالك يا صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرها فقالت : هادونك
 هذا أبزء عليها طرحته عليه وقد أوردت هذا في أدب المساواة وان كان
 من باب آخر لمناسبة له . وانظر الى شدة الاسلام في أداء الحقوق وان
 فساوة اليهود في أخذ دينهم فقد ترك اليهودي صاحب النبي (ص) عريانيا
 لاسأر لعورته الاعمامته لأجل أربعة دراهم لم ينظره بها

الاحتجاب عن المتظلمين^(١٧) عن عمر بن مرة قال سمعت رسول الله
 صلى الله عليه وسلم يقول : « ما من امام أو والٍ يفاق بابه دون ذوي
 الحاجة والتأية الا أغلق الله دونه أبواب السماء دون خلقه وحاجته ومسكته »
 استدلوا بالحديث على منع الحاكم من اتخاذ حاجب لبابه في مجلس حكمه .
 والحديث ناطق بان المراد منع المظلومين من التقاضي والشكوى اشتغالا
 عنهم بشؤون النفس أوجبا بالراحة أو ترغفا عن الناس ونحو ذلك ولا يدخل
 في النهي الحاجب الذين يقفون على أبواب الحاكم لحفظ النظام ومنع
 التوضي والحلل وهو الذي قال بعض علماءنا بجوازهم وبمعضهم باستجابته

(١٧) رواه أحمد والترمذي والحاكم والبزار وتقدم غير ذلك في الكلام على الامراء في المجلد الرابع

وإنما يدخل فيه حجاب الأمراء والسلاطين الذين يذودون الناس عن مجالسهم لأنهم لا يقابلون إلا أشخاصا معلومين لهم صفة رسمية عندهم ويجعلون سائر أصناف رعيهم بدون عذر . ونقل ابن التين عن الداودي أنه قال : متى أخذته القضاة من شدة الاحتجاب وإدخال بطائق من الخصوم لم يكن من فعل السلف . ثم قال متعقباً له : إن كان مراده البطائق التي فيها الإخبار بما جرى فصحيح وإن كان مراده البطائق التي يكتب فيها السبق لئيداً بالنظر في خصومة من سبق فهو من المدل في الحكم . وقال الشوكاني لولم يحتجب الحاكم لدخل عليه الخصوم وقت طعامه وشرابه وخلوه بأهله وصلاته الواجبة وجميع أوقات ليله ونهاره . وهذا ظاهر لا نزاع فيه مع الرتبة (١٨) عن عبد الله بن عمرو (رض) قال قال رسول الله صلى

الله عليه وسلم « لمن الله الراشي والمرتشي » والرشوة هي السحت في قوله تعالى « سراعون للخواب أكلون للسحت »

(١٩) عن أبي هريرة (رض) قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

: « لعنة الله على الراشي والمرتشي في الحكم » وفي هذا زيادة بيان .

(٢٠) عن ثوبان (رض) قال لمن رسول الله صلى الله عليه وسلم الراشي

والمرتشي والرائش يعني الذي يمشي بينهما . وفي هذا زيادة فائدة . ولا حاجة بيان . مدة الرشوة وتدميرها للمالك وثلمها لمرؤس الأمراء والسلاطين فإن هذا يكاد يكون معلوماً للناس أجمعين

(١٨) رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة . وابن حبان والطبراني والدارقطني

(١٩) رواه أحمد وأبو داود والترمذي وحسنه وابن حبان وصححه (٢٠) رواه أحمد

منع الحاكم من الهدية ^(٢١) عن أبي حميد الساعدي قال : استعمل النبي صلى الله عليه وسلم رجلا من بني أسد يقال له ابن اللبية على صدقة فلما قدم قال هذا لكم وهذا أهدي الي قدام النبي صلى الله عليه وسلم على المنبر (قال سفیان أيضا) فصمد المنبر فحمد الله وأتى عليه ثم قال : « ما بال المامل نبعثه فيأتي يقول هذا لكم وهذا لي فإلا جلس في بيت أبيه وأمه فينظار أهدي له أم لا . والذي نفسي بيده لا يأتي بشيء الا جاء يوم القيامة يحمله على رقبته ان كان بميراله رغاء أو بقرة لها خوار أو شاة تيعر » ثم رفع يديه حتى رأناه عفرة إبطيه « الاهل بلغت ثلاثا . وتيعر الشاة بمعنى تصيح ^(٢٢) عن أبي حميد الساعدي (رض) ان رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال : « هدايا المال غلول » وفي رواية هدايا الامراء . الغلول في الاصل الخيانة في النعمة وهي المال الذي كان يأتي الى أيدي الامراء والمال في الاكثر وورد في الكتاب العزيز التشديد فيه والهدية للحاكم مثله أو منه بحكم السنة . قال الحافظ ابن حجر استاده ضيف . ولكن له شواهد وطرقا . تمدة تقويه . والهدية مستحبة لغيره الحكم وما يمناه ^(٢٣) عن بريدة (رض) عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال « من استملناه على عمل فرزقناه رزقا فما أخذه بعد ذلك فهو غلول »

^(٢٤) عن علي (رض) عن النبي صلى الله عليه وسلم « أخذ الامير الهدية سمحت وقبول القاضي الرشوة كثر » واتى لا تقسم من تشديده الوضع

^(٢١) رواه البخاري بن هو متفق عليه . ^(٢٢) رواه احمد والبيهقي وابن عدي وكذا أبو سعيد القاسم زاد في كثر المال بعد ذكر أبي حميد الساعدي في الاولى « عن عرياض » وفي الثانية « وعن أبي سعيد عن أبي هريرة » . وابن جرير وابن عساكر وغيرهم ^(٢٣) أخرجه أبو داود ^(٢٤) رواه أحمد في الزهد عن علي

﴿ آثار السلف عبرة للخلق ﴾

عدل عمر وسبته (٧) روى سعيد بن أبي منصور في سننه وأبو بكر ابن أبي شيبة في مسنده والبيهقي عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : اشترت ابلا وارجمتها الى الحمى فلما سميت قدمت بها فدخل عمر السوق فرأى ابلا سمانا فقال : لمن هذه الابل ؟ قيل لبيد الله بن عمر فجعل يقول : يا عبد الله بن عمر منج منج ابن أمير المؤمنين !! فبئت أسمى فقلت مالك يا أمير المؤمنين ؟ قال : ما هذه الابل ؟ قلت إبل اشتريتها وبئيت بها الحمى ابتغي ما يبغى المسلمون . فقال : ادعوا إبل ابن أمير المؤمنين . اسقوا إبل ابن أمير المؤمنين . يا عبد الله بن عمر اغد على رأس مالك واجعل الفضل في بيت مال المسلمين . اه قوله : ادعوا إبل ابن أمير المؤمنين ، الخ حكاية قول الناس .

فإذا يقول أمراؤنا الذين يستعبدون رعايهم ما استطاعوا . ويمتصون دماءهم ان استطاعوا . ويسخرونها في خدمة أرضهم ومواشيهم . ما لم يأخذ الاجنبي الذي يحمونه كافرا على أيديهم . فما هذا الزمان الذي يملنا فيه الكفار ، العدل بل يلزمونا به الزاما حتى يطعن الرعية على أوالهم ويأمنوا على أنفسهم من أمرهم وأنتهم الذين انحلوا أنفسهم إمامة الدين . (٣) روى ابن سعد في الطبقات وابن راهويه عن عطاء قال : كان عمر ابن الخطاب يأمر عماله ان يوافقوه بالموسم فاذا اجتمعوا قال : يا أيها الناس اني لم أبت عمالي عليكم ليصيوا من أبتاركم ولا من أوالكم ولا من أعراضكم إنما بعثتهم ليحجزوا بينكم وليقسوا فيكم بينكم فمن فعل

به غير ذلك فليتم . فما قام أحد الأوجل قام فقال أمير المؤمنين إن عاهك
فلانا ضربني مائة سوط . قال فيم ضربته ؛ قم فأقص منه . فقال عمرو بن
الماص فقال يا أمير المؤمنين إنك إن فعلت هذا يكتر عليك وتكون
سنة يأخذها من بعدك . قال أنا لا أقيد وقد رأيت رسول الله صلى الله
عليه وسلم يتهد من نفسه ؛^(١) . قال فدعنا لرضيه . قال دونكم فأرضوه .
فافتدى منها بمائتي دينار عن كل سوط بدينارين .

فإذا يقول الناس هنا في أمرائهم الذين كانوا يضربونهم السياط
بغير حساب لتحصيل الاموال الاميرية ويضربونهم بغير حساب لتحصيل
الضرائب والمكوس الظالمة ويضربونهم بغير حساب لتحصيل ديون
الخواجات ويضربونهم بغير حساب لتسخيرهم في الاعمال العامة والخاصة .
ومع هذا كله يمتنون على البلاد انهم اتقوها من ظلم الظالمين السابقين أي
انهم حصروها في أنفسهم واحتكروها لها ولا فرق عند المظلوم بين
ان يسمى ظالما مالكا أو مملوكا . وانه ليفرح بإفئاده سواء سمي منقده
مسلا أم سمي كافرا . فالحقائق لا تقبل بديل الاسماء والالقب وبالعقل
قالت ممالك الاسلام وبالنظم سقطت ممالك المسلمين « عسى ربكم أن
يرحمكم وإن عدتم عدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا »

(٤) روى ابن عساكر من مسند عمر عن الأحنف بن قيس
قال : ما كذبت الاصرة قالوا وكيف يا أبا بجر ؛ قال وقدنا على عمر بفتح
عظيم فلما دوننا من المدينة قال بمضنا بمض لو ألقينا ثياب سفرنا ولبسنا ثياب

(١) القودُ القصاص وأقاد الامير القاتل بالقتيل اذا قتل به المراد هنا التمكن

صوتنا فدخنا على أمير المؤمنين والمسلمين في هيئة حسنة وشارة حسنة
كان أمثال . فلبسنا ثياب صوتنا وألقينا ثياب سفرنا حتى اذا طلعتنا في
أوائل المدينة آمينا رجال فقال انظروا الى هؤلاء أصحاب ديننا ورب الكعبة .
قال فكنت رجلا ينفني رأيت فللمت ان ذلك ليس بموافق للقوم فعدت
فلبستها (وفي نسخة فلبست ثياب سفري) وادخلت ثياب صوتي العمية
وأشربتها^(١) وأغفلت طرف الرداء ثم ركبت ولحقت بأصحابي فلما دفننا
الى عمر نبت عيناه عنهم ووقفت عيناه علي فأشار الي بيده فقال : أين
زلتم ؟ قلت في مكان كذا وكذا فقال أرنى يدك فقام معنا الى مناخ ركابنا
فجمل تخلفها ببصره ثم قال : الا اتقتم الله في ركابكم هذه ؟ اما علم ان
لما عليكم حقا : الاتصدم بها في السير ؛ (وفي رواية تصدمت وهما بمعنى
الوسط) ألا حلام عنها فأكلت من نبت الارض ؛ فقلنا يا أمير المؤمنين
إنا قدمنا بفتح عظيم فأحببنا ان نسرع الى أمير المؤمنين والى المسلمين
بالتضي يسرهم فحانت منه التناية فرأى عيني فقال : لمن هذه العمية ؛ قلت
لي يا أمير المؤمنين . قال فما هذا الثوب ؛ قلت ردائي . قال بكم تدينه ؛
فألميت ظني ثمة فقال : إن ردائك هذا الحسن لولا كثرة ثمة
ثم انطلق راجعا ونحن معه فلقيه رجل فقال : يا أمير المؤمنين انطلق معي
فأعدني على فلان فانه قد ظلمني . فرفع الدرة فحقق بها رأسه^(٢) وقال
تدعون أمير المؤمنين وهو ممرض لكم حتى اذا أشغل في أمر من أمر
المسلمين أيتموه : أعدني أعدني . فانصرف الرجل وهو يتنمر فقال : نبي

(١) العمية وعاء توضع فيه الثياب وانرجها ضما (٢) حنقه ضربه ضربا خفيفا

بشيء عريض كالحنقة وهي الدرة أو خشبة عريضة

الرجل فألقى المختمة فقال امثل . فقال لا والله ولكن أدعها لله ولك قال :
ليس هكذا إما تدعها لله إرادة ما عنده أو تدعها لي فأعلم ذلك . قال ادعها
لله . قال فانصرف ثم مضى حتى دخل منزله ونحن معه فافتتح الصلاة
فصلى ركعتين وجلس فقال : يا ابن الخطاب كنت وضيماً فرفك الله
وكنت ضالاً فهداك الله وكنت ذليلاً فاعزك الله ثم حملك على رقاب
المسلمين فجاءك رجل يستمديك فضربت . ما تقول لربك غداً إذا أتته ؟ قال
جعل يهتاب نفسه في ذلك مائة ظننا أنه خير أهل الأرض اه

فإن امرأونا اليوم وما مبلغ معرفتهم بالله وخوفهم منه وتعظيمهم
له . أعرف أن بعض من يتراءى بالدين ويستخر بآه يصلي قال له فأنت
مرة : ورد في الحديث الصحيح « الدين النصيحة لله ولرسوله ولأئمة
المسلمين وعامتهم » وهو لا ي من أئمتهم فأنا عملاً بالحديث أقدم له نصيحة
في شأن كذا . فنضب عليه غضباً شديداً لأنه وجه إليه النصيحة ومثله
أعلى في اعتقاده من أن يُنصح وإن كان الحديث تالفاً بأن النصيحة لله
ولرسوله . ومثل هذا من أمرهم لا يحصى

(٥) روى الدينوري في المجالسة عن مالك بن أوس بن الحداد قال :
قدم يريد ملك الروم على عمر بن الخطاب فاستقرضت امرأة عمر بن
الخطاب دينارا فاشتريت به عطرا فجعلته في قوارير وبعتت به مع البريد إلى
امرأة ملك الروم فأما أباها فرغتهن وملاهن جواهر وقالت اذهب إلى
امرأة عمر بن الخطاب . فأما أباها فرغتهن على البساط فدخل عمر فقال
ما هذا فاخبرته بالخبر فأخذ عمر الجواهر فباعها ودفعا إلى امرأته دينارا
وجعل ما بقي من ذلك في بيت مال المسلمين . اه

وفي الأثر من الفقه ان الهدية وان كانت مكافأة على هدية أخرى فهي لأجل ان امرأة عمر امرأة أمير المؤمنين لانذاتها فيجب ان يكون ما أخذ مجاه أمير المؤمنين للمؤمنين . ولكن الملوك والامراء على المؤمنين في هذه الصور قد ملأوا قصورهم جواهر من بيت مال المؤمنين وهم يهدون منها ويهبون بلا مراض ولا منازع . وفيه أيضا الموادة والتحاب بالهدايا بين المسلمين وغيرهم وان كانوا حربيين ولكن في غير وقت الحرب وغير ما يتعلق بالحرب كالأعانة عليها فان عمر لم ينكر على امرأته إهداء العطر الى ملكة الروم . وهو يدل ان النساء أسرع الى الأتلاف والموادة بمضن مع بعض من الرجال وهو مشاهد معروف

باب الاسئلة والاجوبة ﴿

(س ١) نزول المسيح من أحمد أفندي عبد الحليم بشين الكوم: هل يوجد دليل شرعي على أن المسيح سينزل ويحكم وهل يكون نزوله نيامع أن النبي صلى الله عليه وسلم هو خاتم النبيين كما هو معلوم في الشرع ولماذا حينئذ ينزل المسيح وهل يكون قبل نزوله فترة؟

(ج) ليس في الكتاب والسنة نص قطعي الثبوت والدلالة على نزول المسيح توجب على المسلمين الاعتقاد بذلك وانما ورد في نزوله أحاديث آحاد اشتهرت لغرابة موضوعها وتخرج الشيخين لها وأكثرها عن أبي هريرة . وهذه المسئلة من المسائل الاعتقادية التي يطلب فيها النص القطعي الآتية . وقد استدل بعضهم عليها بآيتين من القرآن ليستا نصاً فيها بل ربما كان الظاهر منهما خلاف ما حملتا عليه عند من ذكر (احدهما)

قوله تعالى « وان من أهل الكتاب الا ليؤمنن به قبل موته » جاءت الآية في سياق الكلام على المسيح ومن أهم أهل الكتاب فيه ومعناها الظاهر أنه لا احد من أهل الكتاب الا ويؤمن بالمسيح الايمان الصحيح قبل أن يموت أي قبل خروج روحه لانه وقت تشرف فيه النفس على العالم الآخر فيظهر لها الحق ولكن اذا جاء هذا الوقت « لا ينع تها ايمانها لم تكن امنت من قبل » أو كسبت في ايمانها خيرا « فالضمير في (موته) للمسيح في قوله (وان من أهل الكتاب) الذي معناه لا أحد من أهل الكتاب وعليه الا كثرون . وذهب المتدل بالآية على نزول المسيح الى ان الضمير للمسيح وانهم يؤمنون به قبل ان يموت عند ما ينزل ويتم دين الاسلام ويحكم به ولكن النبي للعالم في الآية لا يصح على هذا الوجه لانه لا يشل أهل الكتاب الذين يموتون قبل نزوله ولا يؤمنون به كاليهود في عصر التنزيل وما بعده الى عصر النزول المدعى . على ان القرآن مصرح بأن المسيح قد توفي قبل رفعه كما هو المتبادر من قوله عز وجل (يا عيسى اني متوفيك ورافك الي) ولا يصار الى التأويل ، ما لم يتم على خلاف الظاهر الدليل ، هذا ما يقال في الآية لنتها فهي من حيث انها متواترة لبت نصاً ولا ظاهراً في المطلوب وان وردت شاهداً في بعض الروايات المرفوعة وللرواية حكما وان ثبت عنده وجب عليه الايمان بها والآية الثانية قوله تعالى بعد ذكر عيسى عليه السلام ومقارفة المشركين بينه وبين آلهتهم (وايه ليلم الساعة فلا تترن بها واتيون هذا صراط مستقيم) فذهب بعضهم الى ان الضمير (إيه) لعيسى واختلوا في وجه كونه على الساعة فقيل انه حدوته وقيل باحياؤه الموتى وقيل نزوله في

آخر الزمان والاية لاتدل على هذا وإنما هو احتمال . وذهب بعضهم الى ان الكلام في القرآن لأن فيه الاعلام بالساعة والاستدلال عليها بالادلة التي تقرب الاعتقاد بها من العقول وهذا مما امتاز به على سائر الكتب السماوية التي سكنت عن ذلك أو أشارت اليه من طرف خفي ولاغرو فنبى القرآن هو نبى الساعة وقد عرفنا من أسلوب القرآن الانتقال من محاجة الزائمين في عقائدهم وتعاليدهم الى الدعوة الى القرآن وتباعد من جاء به وتمة الآية تؤيد هذا القول الأخير . فظهر ان لادليل في القرآن على نزول المسيح وأما الاخبار فقد ورد فيها ذلك فلقاه الناس بالتبول لاسيا بمد اشتهار كتابي الشيخين ولكنهم لم يذكروه في العقائد الاسلامية لانه ليس قطيا

ومما يستحق الذكر ان القول بظهور المسيح في آخر الزمان قد اتفق فيه المسلمون مع اليهود والنصارى في الجملة ولكنهم اختلفوا في التفصيل فاليهود ينتظرون مسيحاً جديداً مجدداً ملك اسرائيل ولذلك يدعون لتحقيق هذه الامنية مسيحاً مادياً يناسب الملك . والنصارى ينتظرون مجيء المسيح في ملكوته وصلية ليدن العالمين ويحاسبهم على نحو ما يعتقد المسلمون في الآخرة . والمسلمون يعتقدون ان المسيح ينزل في آخر الزمان فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويقيم الشريعة الاسلامية ويصلي مأموما وراء أحد أئمة المسلمين ليظهر ان الدين عند الله الاسلام وقد بذت فرقة البهائية دينها على أساس هذا الاتفاق الاجمالي بين أهل الأديان السماوية وزعموا ان زعيمهم (بهاء الله) دفن عكا هو المسيح المنتظر وان الباب هو المهدي الذي يقول المسلمون ان ظهوره يتقدم

ظهور المسيح ولهم سبع طويل في تأويل الاحاديث وأقوال الصوفية
الواردة في المهدي والمسيح وتطبيقها على الباب والبهاء وعند ما يدعون
النصارى الى دينهم يترفون بأن المسيح كان الهاً كاملاً ويقولون انه لم يكن
الهاً بحسه بل بروحه وهذه الروح الالهية نفسها هي التي حلت في البهاء
فهو اله كامل « سبحان ربك رب العزة عما يصفون »
وفي الهند قائم يدعي الآن انه المسيح عيسى ابن مريم وكان من
مشايخ الطريق وأهل العلم الاسلامي وقد رددنا عليه في مجلد المنار اثبات
ورددنا على البهائية أيضاً وان لنا لوردة ان شاء الله تعالى
وان من النصارى من يحمل ظهور المسيح أو نزوله في آخر الزمان
على ان الصفات التي امتاز بها والتأليم التي كان يرشد اليها هي التي تكون
سائدة في الناس وهي المحبة والمسألة والأخوة والاختصاص بمقاصد الدين
والشريعة دون الوقوف عند الرسوم الظاهرة التي قالوا إنه طمسها من
اليهودية ثم عاد المنتسبون اليه فوضعوا لهم رسوماً غيرها ربما تزيد عليها
من بعض الوجوه، وهذا التأويل على حذو ظهر في المسلمين عمر « اذا قام
فيهم ملك عادل وهذا الجيش يقوده نابليون، اذا كان قائده شجاعاً مدرباً -
ولا حاجة للمسلمين بالتأويل الا اذا ثبت ان الاخبار الواردة متواترة
وبارضا قطعي آخر ككون محمد خاتم النبيين صلى الله عليهم أجمعين، فلم
من هذا انه لا يكون زمن فترة يضيع فيها الاسلام فيجده المسيح وإنما
يتقى الاسلام معمولاً به الى قيام الساعة كما ورد في الحديث الصحيح .
هذا وان لفظ النزول يستعمل بمعنى الخروج كقوله تعالى « وانزلنا
الحديد » فاذا احتجنا للتأويل نقول ان معنى حديث نزول عيسى هو

ظهور حقيقته بظهور الاسلام واستملاء برهانه فيعلم النصارى ان المسيح بشر لا آله وان دين الله واحد لا فرق فيه بين عيسى ومحمد وغيرهما من الرسل وهو توحيد الله والايمان ببعائه في الآخرة ووجوب عمل الخير وترك الشر وما يتفرع عن هذه الأصول ولا شك ان النزقي في علم النفس وعلوم الكون سيرتقي بالناس الى هذه المعرفة « سنبرهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق . أولم يكف بربك انه على كل شيء شهيد » (س ٢) انتفاع الموتى بقراءة من الشيخ أحمد حسن يوسف معمر

بالأزهر : هل ورد دليل من الكتاب أو السنة أو الاجماع بانتفاع الموتى بقراءة القرآن عليهم أم لا ؛ فان كان ورد شيء يؤيد ذلك فامضى قوله تعالى « وان ليس للانسان إلا ما سعى » الرجاء كشف الغاب عن هذه المسئلة ولكم التفضل

(ج) لم يرد في الكتاب ولا في السنة ولا في الاجماع شيء يثبت انتفاع الاموات بقراءة غيرم القرآن عليهم والآية ناطقة بأن الانسان لا ينتفع الا بعمله وكسبه ومنه ما يبق أثره أو عينه بعد موته كالصدقة الجارية والعلم النافع والذرية الصالحة ولذلك ورد ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « اذا مات الإنسان انقطع عمله الا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له » رواه مسلم وأصحاب السنن من حديث أبي هريرة . فهذه الثلاث ملحقة بعمل الانسان ومعتبرة منه فلا حاجة الى مناقله بعضهم من تخصيص عموم قوله تعالى « وان ليس للانسان الا ما سعى » بالحديث إذ لا منافاة . ومثل ذلك يقال في من سأل النبي صلى الله عليه وسلم هل يتصدق عن أبيه ومن سأل هل يتصدق عن أمه وإجابته

إياهم بنعم ومنهم سعد بن عبادة الذي سأله أبي الصدقة أفضل: فقال: سقي الماء . ولم يرد مثل ذلك الا في صدقة الابناء عن الوالدين . وقد ألحقوا بهم غيرهم في الصدقة ولا دليل على ذلك الا اذا صح القياس في الأمور التعبدية . وخصوصاً الآية بالمبادات البدنية كالصلاة والقراءة . وقد استدل الامام الشافعي رحمه الله تعالى بالآية على ان ثواب القراءة لا يلحق الأموات وهو مذهب مالك أيضاً . ولا نخوض هنا في خلاف العلماء وتأويلهم لأن السائل لم يسأل عن ذلك

وأما حديث « اقرأوا ليس على موتاكم » فقد رواه أبو داود وابن ماجه والنسائي وابن حبان وصححه واحمد بلفظ آخر . ولكن ابن القطان أعله بالاضطراب وبالوقف وبجهالة حال أبي عثمان وأبيه من رجال سنده وقال الدارقطني هذا حديث ضعيف الإسناد مجهول المتن . وتصحيح ابن حبان لا يعول عليه مع هذا الجرح لانه كان يتساهل بالجرح فيمتدجره دون تعديله اذا انفرد به كما صرح به الذهبي في ميزان الاعتدال . على انه فسره في صحيحه بقراءتها عند المحتضر فقال « أراد به من حضرته المنية لأن الميت يُقرأ عليه » وخالف المنتصرون للقراءة على الأموات . ولو ان في الباب حديثاً صحيحاً لما احتاجوا للاستدلال بحديث يضع الجريدين على القبر ولا دلالة فيه كما هو ظاهر

(س ٣) اتخاذ الصور احمد افتدي صادق الدباغ بالاسكندرية : ما حرم

اتخاذ الصور وهل يحرم تزين المنازل بها ؟

(ج) اختلف العلماء في اتخاذ الصور فقيل إنه محرم مطلقاً وقيل ان

المحرم منها ما ظل وأما ما لا ظل له فلا بأس باتخاذها . وقيل ان المحرم هو ما اتخذ

بهية تعظيم وهذا أقوى الأقوال عندي لوجهين أحدهما حديث عائشة عند أحمد والبخاري ومسلم وهو أنها نصبت ستراً وفيه تصاوير فدخل رسول الله صلى الله عليه وسلم ونزعه . قالت : فقطمته وسادتين فكان يرتفق عليهما « وفي لفظ أحمد » قطمته مرتقتين فلقد رأيتهُ تَكْرِباً علي أحدهما وفيها صورة « المرقمة المتكأ والمخدة ولو كانت الصورة ممنوعة لذاتها لأزالها من المرفة وإنما هتك الترت لأنه كان منصوباً كالصور المبودة فهو يذكر بها وفيه تشبه بإبديها . ثانيها العلة الحقيقية في النهي عن التصوير والصور الممثلة وهي محاكاة عباد الاصنام لاماقلوه من ان فيها محاكاة خلق الله فان هذه العلة تنفي تحريم تصوير الشجر والجماد وقد نقل بعضهم الاجتماع على حله . فاذا انتفت العلة انتفى المملول والله تعالى أعلم

القسم المصمى

الاجتماع الثالث - الداء أو الفتور المأم

في مكة المكرمة يوم الخميس ثامن عشر ذي القعدة سنة ١٣١٦ في الوقت الميعن وهو بعد طلوع الشمس بساعة ثم فوارد الاخوان لمخند الجميه غير ان الاستاذ الرئيس تأخر نحو نصف ساعة ثم حضر واعتذر بأنه عاقه عن الحضور ان حضرة الشريف الأمير قد طلبه لزيارته فواسعه إلا الاجابة باكرأوما كان يظن أن يسترسل بينهما الحديث فيتأخر عن المبدأ ولكن أتفق ان الحديث كان طويلاً . ثم قال (الاستاذ الرئيس) اننا متشوقون لتمام بحث المولى الرومي وأمر السيد الفراتي كاتب الجمعية فقراً ضبط . مذاكرات الاجتماع السابق حتى يبلغ آخره من عبارة المولى الرومي وهي قوله وعندى ان داءنا الدين دخول ديننا تحت ولاية العلماء الرسميين . ولما كان في ولاية الجهال المتعممين فينذ أقاض (المولى الرومي) في الكلام فقال وهم القربوز من الامراء على أنهم علماء وارتباط القضاء والامضاء بهم كان بعض هؤلاء المتعممين في البلاد الاسلامية

كانوا اتخذوا لانفسهم قانوناً جعلوا فيه من الاصول ما نتج منذ قرنين الى الآن ان يصير العلم منحة رسمية تعطى للجهاز حتى للاميين بل وللاطفال .
ويترقى صاحبها في مراتب العلم والفضل والكمال بمجرد تهادم السنين أو زفاف الصبايات لاسيما اذا كان من زمرة الاسلاء . فانه يكون طفلاً في الهدوينت رسماً به « أعلم العلماء المحققين » ثم يكون طفلاً فيخطب بانه « أفضل الفضلاء المدققين » ثم يصير مراقباً فيعطى لقب « أفضى قضاء المسلمين ، معدن الفضل واليقين ، رافع اعلام الشريعة والدين ، وارث علوم الامياء والمرسلين ، » ثم وثم حتى يبلغ الوصف (باعلم العلماء المتبحرين ، وأفضل الفضلاء للتورعين ، ينبوع الفضل واليقين ،)
ولا يظن ظاناً ان هذا الاطراء من الامراء للمتصميين هو بقصد ان يقابلوهم بالمثل بألقاب « المولى ، المقدس ، ذي القدرة ، صاحب العظمة والجلال ، المنزه عن الظير والمثال ، واهب الحياة ، ظل الله ، مهبط الالهامات ، سلطان السلاطين ، مالك رقاب العالمين ، ولي نعمة التقلين ، ملجأ أهل الخائفين ، » الى غير ذلك من مصارع الكبرياء والمهالك .

هذا ولا ريب ان كثيراً من هؤلاء العلماء المتبحرين لا يحسنون قراءة نعوتهم الزوررة كما ان بعض اولئك التورعين رافعي اعلام الشريعة والدين يجاريون الله جهاراً ويستحقون ما يستحقون من افة وملائكته والمؤمنين .

ويكفي حجة عليهم ذلك تميزهم جميعاً بلباس عروسي مزركس بكثير من التفضة والذهب مما هو حرام في الاسلام وقد اقتبوا هذا اللباس من كهنة الروم الذين يلبسون القباء والفلسوات المذمومة عند اقامة تطايرهم وفي احتفالاتهم الرسمية وهم من خطيب يدري على التبر ويقول اتقوا الله وعلى رأسه وصدره ومنكبه هذا اللباس المتكر (مرجح) .
ثم ان هؤلاء التتميين ما كفاهم هذا القانون فالحقوه بقانون آخر جعلوا فيه التدريس والارشاد والوعظ والخطابة والامامة وسائر الخدم الدينية كالمروض تباع وتشترى وتوهب وتورث وما يخل منها نادراً عن غير وارث يبيها القضاة لمن يزيد في ثمنها او يتكرمون بها على التمامين وهذا القانون انحصرت الخدم الدينية في الجهلاء والمناقين .
ثم لما شكلت بعض الحكومات مجالس ادارية لم يرص التعميمون حتى جعلوا فيها قاضي المسلمين وكذلك قضي المؤمنين فبما في كل بلد عضوان في مجالس الادارة يحكمان باشياء كثيرة مما يصادم الشرع كالربا والضريبة على الخمر والرسوم العرفية وغيرها مما كان الأليق والأنسب بالاسلامية ان يبقى العلماء بيديهم عنه كما ان القسيس بل

الشماس لا يحضر مجلساً يعقد فيه زواج أو تفریق مديان ولا يشهد في مك دين
 داخله ربا فضلا عن ان يقضي أو يعطي بصفة رسمية كهوتية امثال ذلك من
 الاعمال التي تعادم دين التعرانية .

وكذلك لما وضعت المحاكم العرفية (الأهلية) تهافت التعميمون على جعل قاضي
 المسلمين رئيساً للمحكمة العرفية التي تحكم بما ينزل انقوصا يتبرأ الدين الخفيف منه من
 محوريا صريح ومن ابطال حد الله التي صرح بها القرآن أو بابتبدال عقوبات
 سياسية أو عقوبات مالية بها . ومن نحو ساقبة العباد بمجرد الظن والرأي وشهادة
 الواحد وشهادة الفاسق وشهادة العامة المجاهرة بما لا يلزم التسرع قطاً ومن نحو
 تنفيذ كل حكم عمر في حق أو باطل بدون نظرقه ومن محصل ضرائب وضرائب
 ومن توقيف الأحكام الشرعية على لسبقها الرسوم من الأضمام وأموال الايتام
 ومن أهم دعائس التعميمين أنهم يعتقدون في صدور الامراء لزوم الاستمرار
 على الاستقلال في الرأي وان كانوا مضراً ومطادة الشورى وان كانت متمنية والمحافظة
 على الحياة الجارية وان كانت سيئة ويعتقدون عليهم بأن مشاركة الامة في تدبير شؤونها
 واطلاق حرية الاعتقاد لما يخل بتفوق الامراء ويخالف السياسة الشرعية ويلتقونهم
 حجباً واضحة لولا ان اطلعها جهل الامة ووراها سطوة الامارة لا تحرك بها
 نقتان ولا تردد في ردها انسان

والامر الامر ان لو ملك الامراء يقتبون من هذه الحجج ما يعلقون به في
 مقابلة من يتعرض على سياستهم من الدول الأجنبية يقولهم ان قواعد الدين الاسلامي
 لا تلائم اصول الشورى ولا قبل النظام والترقيات للدينية وانهم مطلوبون على أمرهم
 ومضطرون لرعاية دين وعيالمهم ومجاراته ميل الفكر العام
 وهذه القوانين استأر الجلاء الفاسقون بزوايا الطماء السالمين واعتصموا أوزانهم
 من روت اللال ومن أوقاف الاملاف فبالضرورة قلت الرغبات في تحصيل الملوك
 ومبطلت الهمم وصار طلب السلم يضطر للاكتفاء ببلغة منه ويستغل بالإحتراق
 للارزاق ومكنا فد السلم وصل أهله فاحتلت القرية الدينية في الامة فوقت في
 القنور وعمت فيها الشرور .

أجاب (البريني الكردى) ان هذا الداه خاص ببعض الشعوب الاسلامية فلابدا
 سياً للقنور العام الذي بحث فيه وتساؤل عنه . وعندني ان السبب العام هو ان علماءنا
 كانوا اتصروا على العلوم الدينية وبعض الرياضيات واهلوا باقي العلوم الرياضية

والطبيعة التي كانت إذ ذك ليست بذات بال ولا قيد سوى الجمال والكمال فقد أهملها من بين المسلمين واندوست كتبها وأقطعت علاقتها فصارت منفوراً منها على حكم « المرء عدو ملجهل » بل صار التطلع اليها منهم فسق ويرى بالزيف والزندقة على حين أخذت هذه العلوم تنمو في الغرب وعلى سكر القرون ترق وتظهر لها ثمرات عظيمة في جميع الشؤون المادية والأدبية حتى صارت كالشمس لأحياء لذي حياة الأبنورها فأصبح المسلمون مع ذلك يمدحهم عنها محتاجين اليها لمجاراة حيراتهم احتياجاً يعم الجزئيات والكليات من تربية الطفل إلى سياسة الممالك ومن استنبات الأرض إلى استعمار السماء ومن عمل الأبرة والقوارير إلى عمل المدافع والبوارج ومن استخدام اليد والحمار إلى استخدام البرق والبخار .

ولاشك أن المسلمين أصبحوا بعد الاكتشافات الجديدة يستفيدون من العلوم الطبيعية والحكومية فوائد عظيمة جداً بالنظر إلى كنفها بمض اسرار كتاب الله وبالغ الحكمة التطوية فيه مما كان مستوراً إلى الآن وقد خبط فيه لفسرون خبط عشواء بل انتهى المسلمون محتاجين للحكمة العقائدية التي كادت تجمل القرييين ادري منا حتى بجاني ديننا كاستدلالهم بالمقاييس على ان يينا عليه أفضل الصلاة والسلام أفضل الملائع عقلاً وأخلاقاً وكانيتهم بالمقابلة ان ديننا أسمى البيانات حكمة ومنزلة .

وعندي انه لولا هذا القصور ، لما وقع المسلمون في هذا الفتور ، والأمل بعناية الله انهم بعد زمان قصيراً وطويل لا بد أن يلتفتوا إلى هذه العلوم النافعة فيستعيدوا نشأتهم بل يجلبوا إلى دينهم العلم الممدن لان نور المعارف على قدر اباداه العقلاء عن التصراية وامانها يترجم من الاسلامية لان الدين المملوء بالمخراقات والمقل المستير لا يجتممان في دماغ واحد . (مرسى)

ثم ان نعمة هذا التصير وان كانت تلحق علماء الأمة المتقدمين الا ان علماءنا للتأخرين اكثر قصوراً لانهم في زمان ظهرت فيه فوائد هذه العلوم ولم يحصل فيهم ميل لاقياسها بل تراهم مقتصرين على تدريس قنون الفقه والفقه فقط أو بملاوة شيء من المنطق انما للمفاهيم وشيء من الحساب اكلاً للفرائض والمواريث قلما يفيد .

وكذلك ترى وعاطنا مقتصرين على البحث في التوافل والقربات الزيدة في الدين ورواية الحكايات الاسرائيلية ومثلهم المرشدون أهل الطرائق فهم مقتصرون على حكايات نوادر الزهاد من صحيح وموضوع ورواية كرامات الأنجباب والقباء والابدال وعلى ضبط وزن التمايل واصول الانشاد والامسي خطباءنا واقصايرهم على تكرار

عبارات في التعت والدعاء لافزاة والمجاهدين ونمداد فضائل المبادات والشهور والمواسم .
والحاصل ان تصبيرات العلماء الاقدمين واقتضارات المتأخرين وتباعد المسلمين
الى الآن عن العلوم النافعة الحيوية جعلتهم أحط من كثير من الأمم ولا شك انه اذا
تمادى تباعدهم هذا خمسين عاماً أخرى تبعد النسبة بينهم وبين جيرانهم ~~كجدها~~
ما بين الانسان وباقي أنواع الحيوان فبناء عليه يكون ناموس الارتقاء هو السبب لهذا
الفتور كما قال تعالى (قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون)

فاجابه (الكامل الاسكندري) ان هذا سبب من الاسباب ولا يكفي وحده
لحل الاشكال لان فقد العلوم الحكيمية والطبيعية لا يصاح سبباً ان فقد الاحساس الملي
والاخلاق العالية لانها توجد في اعرق الامم جهالة وانما سبب فتور حياتنا الادبية
هو يأسنا من المباراة وذلك اننا كنا علماء راشدین وكان جيراننا متأخرين عنا فقرنا
البقاء فنمنا واجتهدوا فلهحقونا ، ولبنانياً ما فاجتازوا وسبقونا . وتركونا وراءهم . وطال
تومنا فبعد الشوط حتى صار ما بمدوراً لنا وراءهم . فصغرت نفوسنا وقبرت هممتنا وضف
احساننا فثبتنا من الاحقاق والمجاراته وخرجنا من ميدان المنافسة والمباراة والانتنا
تفيض بقوله تعالى « سواء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص » فعدنا الى كهف النوم
متسليين للقضاء . نطلب التفرج بمجرد التني والدعاء . ذاهلين على ان الله تعالى جلت
حكيمته رب هذه الحياة لدنيا على اسباب ظاهريه ولم يشأ ان يجعلها كالأخرة عالم أقدار
فهذا اليأس هو سبب الفتور فقال الله تعالى العطف في المقذور

اجابه (العارف التتاري) ان هذه شكايه حال ولا تنفي بالجواب لانه ما السبب في
ان هذا النوم غشي للمسلمين ولم يزل ينشاهم دون كثير غيرهم من الامم التي اتهمت
وسارت ولحقت ظلمن الاعياء وما المسلمون بالأمميين المتعلمين كأهل الصين ولاهم
بنتو حنين المريقين كاهل امريكا الاصليين .

ثم قال : انا ارى ان عاوضنا فقدنا السراة والهداة فلا أمير عام حازم مطاع ليسوق الأمة
طوعاً أو كرهاً الى الرشاد ولا حكيم معترف له بالزبنة والاخلاص لتفاد اليه الامراء
والناس ولا تربية متحدة المقصد ينتج منها رأي عام ، لا بطريقة تحاذل وانقسام . ولا جمعيات
منتظمة تسمى بالخير ، وتتابع السير ، ولذلك حل فينا الفتور ، والى الله ترجع الامور .
أجابه (الفقيه الافغاني) ان ما وصفته من أمير وحكيم لا يوجدان في الامم المنحطة
الاتفاقاً وأما الرأي العام والجمعيات فلا يفقدان الا بسبب فقد الاحساس وهذا
ما نتساءل عنه . وذكر ان الداء العام فيما يراه هو الفقر الآخذ بالزمام لأن الفقر قائد

كل شرور أند كل نحس فنه جهلنا ومنه فساد أخلاقنا بل منه نشئت أرائنا حتى في ديننا ومنه فقد احساننا ومنه كل ما نحن فيه ، أو نتوقع انما سنواقفه . فهذه فطرتنا لانقص فيها عن غيرنا وعدونا كثير وبلادنا متواصلة وأرضنا خصبة ومعادنا غنية وشرعنا قويم ونحارنا قديم فلا يتقصنا عن الامم الحية غير القوة انالية التي أصبحت لا تحصل الا بالعلوم والفنون المالية وهذه لا تحصل الا بللال الطائل فوقنا في مشكل الدور وعسى أن نتهدى لفك سيدلا والا فيحقيق بنا ناهوس فناء الضيف في القوى وفناء الجاهل في العالم

ومن أعظم أسباب قهر الامة ان شريعتنا مبنية على ان في أموال الاغنياء حقا معلوماً للبائس والمحروم فيؤخذ من الاغنياء ويوزع على الفقراء وهذه الحكومات الاسلامية قد قلبت الموضوع فصارت تحجب الاموال من الفقراء والمساكين وتبذلها للاغنياء وتحابي بها المسرقين والسفهاء .
(الاجماع بقية)

باب في تربية البنين

في الكتاب الثالث «من أميل القرن التاسع عشر» في الباب ١٠

شذرات مقتطفة من جريدته اسم - تحرير أبحر ازبون في سنة ١٨٠٠ الداخلة في سنة ١٨٠٦

الشذرة الاولى

حب الزوجة والولد والوطن

منذ سنة تغيرت شؤون حياتي كلها

ولقد وجدتها هي بعينها (١) ولما تلافينا كنا كأنا لم نفرق في حياتنا فان التوى لم تغير شيئاً من ضروب وجداننا ولا من عاداتنا لبقاء قلبنا على ما كنا عليه من الارتباط والائحاد وغاية ما حدث اني أرائ ان الآ ن آنس مني في جميع أيامي السانفة بحسن مباشرتها وجمال معاملتها نعم انها لم سبق طفلة كما عهدتها ولكنها لم تأخذ من مرور

(*) الباب الأول من هذا الكتاب في الأم والباب الثاني في الولد وقد تقدم ما وهذا

الباب الثالث في تربية الغلام اليافع (١) يريد زوجه أم أميل

الاعوام وكرور الايام الا ما يزيد للمرأة في القلوب حبة وفي النفوس تأثيراً فكان
روحها وملاع وجهها تكلمات وتطهرت بادائها فروض الامومة المقدسة
كنت أوشكت ان أقطع من معرفتي لولدي وما ينبغي التنبه عليه في هذا المقام ان
لذين هم اكثر الناس اشتةً الا بالتربية لم يرزقوا اولاداً أو رزقوهم وحرموها من
رؤيتهم وربما كان هذا هو الباعث لهم على الاهتمام بالتربية وجعل البحث في شؤونها
غايتهم ليؤدوا بذلك ما فرضه الله عليهم منها بنوع آخر من الاداء
قلت تمرى بماذا استحققت ان اكون أسعد من هؤلاء مع كونهم أجدر مني بالمعاشرة
ما أشدني حُزناً وتأثراً عند قبيل ولدي اباي وما أعظم زهوى و إعجابي به
عند ما أخذ يده وأتزه معه في المزارع وان الدنيا لترى في عيني جديدة وهو
كان لم أرها منذ سبع سنين . ولا جرم ان الانسان لا يبصر وهو رهين السجن
محروم من الحرية فكل ما كنت أراه من أشجار وصخور عمرت عمر الدنيا القديمة
كان يجئ الي انه لم يخلق الا بالامس

خطر في ذهني ساعة خاطر المود الى فرانسا ولكن الف مانع — وان شئت
فقل الف وهم — قد تحول بين المرء وبين مدينته في وطنه وما أدراك ان من هذه
الموانع ما يعترضني من الألم المعض الذي لا أستطيع التمييز عنه اذا رأيت أمة عظيمة
عهدتها حرة قد أصبحت في قبضة حاكم وجميع ما يحصل في هذا الوطن لا يقل عن
ذلك ايلاًماً للقلب ولا ازهاقاً للنفس

يوجد في جميع عصور التاريخ رجال بررة صالحون رأوا من الواجب عليهم لا تقسم
ولأوطانهم ان يخدموا هذه الاوطان وهم بمنزل عنها قتل هؤلاء هم فيما ارى أشد
حياً لها لأنهم سواء قربوا منها أم بسدوا عنها يحبون بتفعلتها وينتمون بتجاهداتها
في سبيل الخير وبما لها من الآمال في الوصول اليه . جرحهم في صميم أقدانهم ما من
أمنهم من القروح وان كان يبدو من حال الامة عدم شعورها بالمشاكل كأن في مرور
الزمن عليها والاعتقاد على احتمالها من قوة التأثير ما يكفي لاتدماها جميعاً . مثل
هؤلاء المتطوعين بالاعتراب والتي يلومون الناس وحوادث الدهر ولكن اذا حاول
مجادل امامهم ان ينقص من كرامة فرانسا ويحط من شأنها استشاطوا غضباً وتيسغ للدم
في عروقهم . ذلك ان هذه القطعة من الارض التي تنازلوا عن سكنها مختارين قد تغفلت
حراً في أحشائهم وأخذت بجمع قلوبهم فتراهم يبذلون الوطن نفسه في اعزاز شأن المعنى الذي
قام في أذهانهم منه ويفضلون الحكم على أنفسهم بالبعد عنه على رؤيتهم اياه مهيناً ذليلاً .

كأنني أسألك يقول : لماذا اتخذت هذه المادة وهي تقييد أفكارك ومذاذك كل يوم بحسب المعادفة والاتفاق فاجيبه ان هذا مطوري ايام مدينتي في السجن اشهره للناس لأنني لم يكن لي فيه أنيس أما راحه الحديث كنت اكتب كأنني أرسل نفسي . اه

الثدرة الثانية

(تعليم التسميات قبل الاسماء)

لم تخاف طرقتها في تربية « أميل » أملا من آمالي فلتبق على ما هي بيديه من تهذيبه وتثيقه بما تقدمه له من الأسى وبما توجه الى نفسه . من الثقة بها . على أننا من عهد أن انعم الله علينا باللقاء رأيتنا من التقييد أن تقدم العمل يتنا لان التعليم — ان لم اكن غالياً في حكمي — هو من وظائف الوالد غالباً وأما التربية فلها من أعمال الوالدان أردت ان تعلم ابن محن من قيام كل منا بسمله فاقول :

لا يدرسن « أميل » شيئاً درساً متظماً فهو اتما لقف دروسه الاولى في علم التاريخ الطبيعي متفرقة على نحو من الاتفاق وذلك بمعاينة ما كان مجده كل يوم على شاطئ البحر من أنواع المحار والصدف . ثم اني أمكنه من النظر بالنظار العظيم (الميكروسكوب) وهو آلة شائعة الاستعمال جداً عندما يحرك أجزاءه بنفسه فيكبره بعض عجائب المخلوقات غير المتناهية في الصغر واريه بالمرقب (التليكوب) وهو آلة أرصدها النجوم اىلا عجائب المخلوقات غير المتناهية في الكبر . وقد الانا انه من الزجاج بالماء المالح ووضعا في حيوانات هلامية وحيوانات قشرية وأسماكاً وكتنا نجد ماءه كل ثمانية أيام ومنه نلقى « أميل » كل ما عرفه فيها أرى من علم حياة الحيوانات التي تنشر في شرف البحر . وفي بعض الايام أكرر بمشاهدة بعض عجائب سبعة جداً في الكيمياء والحيوية زرع على تربة اسي حذين الدارين يترك بعض الادراك تأثير بعض الاجسام الفطرية في بعض . ورأني يوماً أضغ . ممايس للحرارة والهواء ومع كونها لم تكن من الاتفاق في شيء بدالي منه انه ادرك استساها في الجملة لأنني رأيت يريد محاكاتها . جميع ما تقدم هو كتب تعليمنا حتى الآن

لا بد ان أكون أنا و « أميل » تابعين في التعليم لذهب ارسطاليس لان اغاب درسنا يحصل في وقت التزه فاني أدع لامور الكون وحوادثه تبهذه غير متعرض لها بشرح ولا تفسير الا ان يكون اجبة عما يوجه الي من الاسئلة مجتهداً في أن يكون الشرح واضحاً والبيان واقعياً . وقد عرفت من محاورته ان الوسيلة الى اصغائه الي هي

تبع سياسة افكاره عند محادثته وان كثيراً ممن يأخذون على أنفسهم تعليم الاطفال ليبنامرون لهم في البيان ويفرطون في الشرح كالو كانوا في حاجة الى ان يبتوا بذلك لانفسهم انهم على معارف واسعة وعلوم جمة . انا لا اعلم « اميل » شيئاً بل اني اتعلم معه فموضوعاً عن كوني اعلمه طريقتي في النظر أجهده في معرفة طريقته وتميزها وبالايميل الى معرفته بحال أجهده مثله أو أجمعه . نعم ان هذه الطريقة ليس من شأنها ان تعلي قدر الأستاذ في نظر تلميذه وأنه لا بد في اتباعها من ثقل العقل عن الغرض وتنازله عن بعض شهواته ولكن ما هو متبع الآن من نقش صيغ العلوم وقوانينها وقضاياها في أذهان الاطفال ايس هو لا كرقم الالفاظ على الرمل

سلكة البحث عند الطفل هي كثيرها من الملكات تنمو بالاعتاد والمراس فان الشوق الى معرفة الاشياء يتولد في الانسان ولا يولد معه وانما يكتسب ذوق الملاحظة الاستقلالية بالملاحظة نفسها . ان لي أن اعين فيه « اميل » والتفاته بأن أريه ما لا يراه في الاشياء لأول نظر . البها غير أنه في هذه الحلة يجب ان يكون هو مصدر الميل الى ذلك أيضاً وان يكون صدور هذا الميل منه فطرياً . ثم ان الاطفال في الجملة مدفوعون جداً بسائق الطبع الى الاكثر من السؤال قرأني أن التعجيل لهم بالجواب قبل السؤال وتجاوز حدود ما يطلبون معرفته مما تجر به نار هذا الاستمداد المبارك لان ذلك يفضي بكثير منهم الى التزام السكوت ليكفوا انفسهم ، مؤنة سامة للدرس وطولة . اه

﴿ قوانين التعليم الرسمي والجمعية العمومية ﴾

« النبة الثانية »

تقدم في الجزء الماضي ما خصص ما دار بين مفتي الديار المصرية وناظر المعارف من المناقشة والمراجعة في اقتراح عرض قوانين التعليم في مدارس الحكومة على مجلس شورى القوانين كما ر قوانين الحكومة وتذكر في هذا الجزء ما خص ما دار في الجمعية بين الناظر والشيخ علي يوسف في ذلك مع بيان رأينا فيه ثم نقدر القانون فقول (الشيخ علي) : « الضمانات » (١) التي ذكرها سعادة ناظر المعارف انما هي كافية في التفهيرات الادارية كتحديد اوقات الدروس وحصص المدرسين وأما القواعد

(١) رأى القراء في النبة الأولى أننا كنا نضع كلمة « الضمانات » و « الضمانات » بين علامات عمرة كما هنا اشارة الى معناها الذي يخلف ما استعملت فيه وهو المرض فكان ناظر المعارف يقول ان قوانين التعليم في نظارته حمة أمراض ونحن نقول انها أكثر

الكلية المتعاقبة بالعلوم من حيث ترتيبها في التعليم واللغة التي تعلم بها فربما لا يصح تفسير قوانينها في أقل من عشرين سنة مثلاً لذلك يجب الضمان . والتعليم باللغة الأجنبية . مناه نقل أشخاص إلى العلم وأما التعليم بلغة الأمة فهو نقل العلم إلى الأمة فيسهل على الطالب معه أن يتفهم به بعلمه وبما يحجى به من كتب التعليم . وقد نشأ عن التعليم باللغة الأجنبية قلة التأليف بالعربية وعدم وجود الأساتذة الأكفاء في المدارس الحرة ولم تقم من ذلك « ضمانات » ناظر المصروف « فالتوانين العمومية يجب عرضها على مجلس شورى القوانين إذا لا يكفي فيها نظر الحكومة وحدها

(الناظر) ان الطرق النجحة في التعليم ما وضعت الا بعد تجارب شتى بمعنى ان هذا العلم الذي تبين ان تعليمه بالعربية اضع يكون تعليمه بها والعكس بالعكس اذ المدارس في ذلك على الكتب والمدرسين والاقرب للترقي . وما يتت من « الضمانات » وغيرها يتضح ان وضع « البروجرامات » يتبع فيه احسن الطرق وأفضلها اهيكما كتب (الشيخ) ذلك براد به الاسهل في التعليم والذي يزيد هو نفع الأمة وقد كان منذ عشر سنين تواف كُتب في الطب والطبيعة وغيرها من العلوم فيأتي بها التاميد فيستفيد منها أبوه وأمه ولا شيء من ذلك الآن لأن التعليم والتأليف باللغة الأجنبية فيجب أن يكون التعليم الوسط بلغة البلاد ويصح أن يكون في المدارس المالية باللغة الأجنبية

(الناظر) يترتب على هذا جعل التعليم ناقصاً . وانتشار العلم في البيوت لا يكون بوجود الكتب في أيدي أفرادها اذ لا يفهم الكتاب الا من كانت عنده مبادئ العلوم وعند ما رأى أعضاء الجمعية ان الناظر يبيد كلامه ويحتج « بضمانات » كما التحت في الجمعية برجوب الخلل بمجلس الشورى على قوانين التعليم قال حسن بنده « تصور ان احسن ضمان هو ارسال قوانين التعليم لمجلس الشورى وأمر الرئيس بأخذ آراءه « فقرر بأغلب الآراء « طلب ذلك من الحكومة . ولا أدري هل كان في المخالفين أحد غير ناظر المصروف ؟ ان كان فقله من بعض الموظفين الذين يرون موافقة الناظر تأييداً لحزب الحكومة وان كانت المصلحة واحدة والشورى من الحكومة أما الجواب الأول للناظر فقد أحسن الشيخ علي في نقضه بقدر ما يسمح له المجلس الرسمي وزيد أيضاً بأن هذا التعليم الذي وصفه الناظر بأنه أضع وأحسن وأفضل قد خالفت النظارة فيه ما تفقت عليه الأمم الأوربية كلها وفي مقدمتهم الانكليز . ذلك أن التعليم الابتدائي في أوروبا لا يكون الا بلغة البلاد لأن حياة الأمة بانها

وتعلم لغة أخرى لأجل المزيد في العلم كتعلم الانكليزية الألمان هو من الكماليات التي يجب أن تكون بعد الضروريات . فهل وصل نظار مدارس معارفنا ومفتشوها — ان كان قانون التعليم برأيهم — الى ما لم يصل اليه فلاسفة اوربا وأساقفتها في علم التربية والتعليم ؟

فان قال الناظر اذا ثبت ان تعلم اللطيفيات مثلاً أسهل باللغة الانكليزية منه باللغة العربية فكيف تنكب الطريق السهل ونسير في الخزوف الوعرة ؟ نقول له بعد التسليم : وهل تعدل عن الانكليزية الى التركية او اليابانية اذا ثبت عندك ان التعليم بها أسهل واتحصيل أقرب ؟ وانما قلنا أسهل وأقرب ولم قل « أسفع » كما قال الناظر لأن الأتعية لاشبه عليها الا اذا فسرت بالسهولة وقرب التحصيل اذ لا يمكن ان يقول عاقل آتى أسى بمحو لغة أمي واستبدال لغة أخرى بها لتفهمه من المنافع وأي نفع في الدنيا يوازي ضرر اهمال لغة الأمة التي هي من أقوى مقوماتها أو هي اقواها في نظر الاكثرين

وأما الجواب الثاني من أجوبة الناظر فأمثل ناقض له ما قلته لاجبة من ترك المناقشة بالمكافرة والاضرار على ان الضمان على التعليم لا يكون للأمة الا بعرض قوائمه على مجلس الشورى والحزم بطاب ذلك من الحكومة . وماذا عسى أن يقال ان يقول ان التعليم الابتدائي بلغة الأمة يكون ناقصاً وجميع الأمم الحية عليه كأن الكمال لم يوجد الا في مطارف مصر التي لا أثر لمطارفها يذكر بالنسبة الى سائر الأمم . وماذا عسى أن يقال لمن يدعي أن انتشار الكتب العلمية في الأمة لا تأثير له في منفعات البيوت ورتقي أفرادها ؟ اليس محدث التلامذة في بيوتهم ومذاكراتهم في المسائل العلمية بانهم مما يجمل الاصطلاحات العلمية مأثومة في البيوت لكثرة طروقها للمسمع ؟ اليس الآباء والأمهات الذين تلقوا شيئاً من مبادئ العلوم وقضت عليهم شؤون المعيشة بدم اتمام تعليمهم يتفهمون بالكتب المؤلفات اذا كانت بلغتهم ؟ بلى وانما نمود الى الكلام في قانون التعليم فنقول : ان في هذا القانون (البروجرام) عيوباً وتقصيراً فسر ما يظهر لنا منها بالاحتمار على ترتيب القانون وهو

(١) كون القرآن لا يدرس الا في السنتين الأولى والثانية وكون الذي يقرأ منه جزأين فقط . والأمة ترغب في اقراء اولادها القرآن كله لما في قراءته من تقويم اللسان وتعويد على الفصاحة في النطق والاستمانة على الكتابة والحطابة ولكونه أصل الدين والوسيلة المنظمة لكامل من يفهمه . ولم تكن « الضمانات الخمس » عن

هذا النقص شيئاً .

(٢) كون تعليم الدين والتهديب في أثناء سنين فقط مع أنه يجب أن يكون ذلك موزعاً على جميع السنين لأن الدين والتهديب هما المقصود الأهم من التعليم ومن لم يتمكن منهما يكون خاسراً في حياته وان تعلم جميع الشئون الأخرى . ولم تكن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٣) كون الوقت المخصص لتعليم الدين والتهديب معاً ساعة واحدة في الأسبوع مع ان اللغة الأجنبية التي تعلم من السنة الأولى الابتدائية الى آخر يوم من أيام التعليم المالي لها سبع ساعات في الأسبوع من السنتين الأولى ، فالساعات المقررة في القانون لتعليم علوم الدين وعلم التهديب ٣٦ ساعة في السنة و٧٢ ساعة في مدة الدراسة كلها وتقتال منها أيام الأعياد والمواسم ماقتال . فائدة نحو ثلاثة أيام وهي لا تكفي لتعليم الأكل . فهل تكفي ببركة « الضمانات الخمس » لمعرفة الله وما أوجبه على عباده من أصول الإيمان وتتيف الاخلاق وكيفية العبادات مع التهديب المدني الديوي الذي نوه به ذلك القانون . هذا اكبر عيب ونقص في نظام المعارف ولم تكن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٤) كون علم الدين لا شأن له في درجات ترقى انتلامذة في الامتحان المعبر عنها بالتمرة فلو فرضنا ان تلميذاً بلغ في فهم الدين ومعرفة احكامه مبلغ الأئمة وكان مساوياً لآخر في سائر العلوم فان هذه المعرفة لا ترفعه عنه درجة واحدة فان زاد ذلك الآخر درجة واحدة في الخط الافرنجي مثلاً فانه يرتفع بذلك ويتقدم على ذلك الامام الديني الجليل . ومن لاحظ ان انتلامذة لا يجتهدون الا لأجل السبق في الامتحان وعلم ان اثنين لا يجازان فيه تسبق لأنه لا درجة له علم ان النظارة مسندة لهما في اثنين أو جاهله مرتبه ومكانته وهذا نقص فاحش في قانون التعليم ولم تكن « الضمانات الخمس » عن هذا النقص شيئاً

(٥) كون المسائل التي يتدأ بها في تعليم الدين تملو على عقول المبتدئين وهي كافي الصفحة ١٢ من القانون « احتياج الانسان الى الدين — بيان الفوائد المترتبة على التمسك به — بيان أنه ليس قاصراً على أنواع العبادات بل هو مشتمل على ما يلزم الانسان من المعاملات وغيرها ويرشده الى طريق المجد والشرف في الدنيا والآخرة — أول ما أوجبه الدين — ما يجب في حقه تعالى وما يستحيل وما يجوز — الحكمة في ارسال الرسل — ما يجب في حقهم عليهم الصلاة والسلام وما يستحيل وما يجوز —

نبيه صلى الله عليه وسلم من جهة أبيه وأمه .

ولاشك ان هذه المسائل يتوقف فهمها على معرفة الاحكام العقلية والالمام بعلم الاجتماع فابتداء التعليم بها نقص . واذا فرضنا ان تلامذة السنة الثالثة الذين لم يكونوا تعلموا من الدين شيئاً مستعدون لفهم مقدمات هذه المسائل ثم لفهمها ثم فرضنا أنهم يعلمون المقدمات فملا فحول يقدر المعلمون على تعليم ذلك كله مع علم التهذيب في ست وثلاثين ساعة وهو الوقت الممين لدرس هذه الاشياء كما تقدم ؟ اللهم ان هذا ما لا يستطيع ان يتصوره عاقل وانه لنقص فاحش وخطي فاضح في قانون تعليم المعارف ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً

(٦) كون هذه المسائل غير محيطة بالمقائد الدينية فهناك مسائل أخرى يجب معرفتها وليس بمد هذه السنة تعليم المقائد وهذا نقص ضار متقد ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً آخر

(٧) كون الكتاب الذي تعلم به هذه المقائد وما معها ليس مؤلفاً على الوجه الذي يؤدي الى الغاية المذكورة في قانون التعليم قبل تلك المسائل التي ذكرناها ثم ان أثر تلك الغاية لم يظهر في تلامذة مدرسة من المدارس كلهم أوجاهم فنقول ان المدار على المعلمين في الوصول اليها وهذا اهل عظيم ونقص محسوس ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً

(٨) كون قسم الاخلاق الدينية لا وجود له في تعليم مدارس الحكومة وهذا نقص عظيم ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً

(٩) كون علم الاخلاق والحرام والمباح لا وجود له في التعليم الديني وهذا نقص قبيح والغاية من تعليم الدين لا تتم الا به ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً

(١٠) كون مسائل العبادات التي تدرس في السنة الرابعة غير كافية وغير مؤدية الى الغاية المطلوبة وكون الوقت المخصص لتعلم العبادات غير كاف وهذه أنواع من النقص والحلل جعلناها واحدة لانه تقدم في قسم المقائد نظيرها . ولم تكن الضمانات الخمس . عن هذا النقص شيئاً . وقد طال الكلام في انتقاد تعليم القسم الديني ومن بين لنا خطأ في شيء منه فاننا نرجع عنه لان قصدنا الاصلاح لا اظهار العيوب . وستكلم عن النقص في سائر الاقسام فيما يأتي ان شاء الله تعالى

أَنَّكَ مَلِكٌ عَلَى الْبَلَاغَةِ

﴿ شهادة مفتي الديار المصرية لكتاب اسرار البلاغة ﴾

طلبنا من مولانا الأستاذ الامام مفتي الديار المصرية أن يكتب لنا رأيه في كتاب اسرار البلاغة الذي لبنته بارشاده فكتب حفظه الله ما يأتي :

اطلعت على كتاب اسرار البلاغة من تأليف الامام الجليل الشيخ عبد القاهر الجرجاني وبسيت في اراءه وقرأته دوساً في الجامع الازهر . وقد وضعه مؤلفه في علم البيان والاستمارة والابراز وسلك المسلك الذي يوافق العقل البشري سلوكة في تصوير المعاني وتشخيصها على وجه تتأثر منه العقول بالأثر المطلوب من ابرازها لها . ولم ار كتابا في هذا الفن لا يقلم متأخر ولا يقلم متقدم يقرب من هذا الكتاب في حسن الاسلوب وحيات المنى ودروقه . ولقد كان كثرأ مخفياً لا تصل اليه يد الباحث حتى يتر الله لنا نسخة يمش بها اليها أحد أهل العلم من طرابلس الشام وكان فيها نقص ومخريف فأرسلت أمد طلبة العلم الى الاستانة العلية ليقابها على نسخة هناك ثم كنت تصحيحها أثناء التدريس فكان ظهور هذا الكتاب من نعم الله على المشتغلين بهذا الفن الجليل . وهو جدير بأن ينتفع به الاستاذ ويقتطف منه التلميذ وتزين به كل مكتبة في مشارق الارض ومغاربها

مفتي الديار المصرية

محمد عبده

﴿ دلائل الاعجاز ﴾

يبلغ قراء المتار ان الامام عبد القاهر الجرجاني قد أسس علمي البلاغة بكتابه المشهورين (اسرار البلاغة) الذي طبعناه وهو في فن البيان و(دلائل الاعجاز) الذي نطبعه وهو في فن المعاني . وانما سماه دلائل الاعجاز لأنه لا طريق الى معرفة كون القرآن الآن معجزاً ببلاغته (كما انه معجز بهديته) الا بالتقواين التي وضعها في هذا الكتاب . وقد كتب رحمه الله تعالى مقالة أورسالة سهاها (المدخل في دلائل الاعجاز) وجعلها مقدمة له مينة انزلها ، ودالة على مكانته ، ومصرحة بأنه هو الواضع للفن . وهي على اختصارها قد أشارت الى أصول قواعد النحو وقال بعد ذلك ان جميع

كلام العرب كان موافقاً لهذه القواعد فإذا قال مترض ما هذا الذي امتاز به القرآن حتى كان معجزاً؟ تقول ان الجواب عن هذا السؤال هو كتاب دلائل الإعجاز لأجواب غيره . واني اذكر خاتمة كلامه في المدخل بنصه وقصيدة حتمه بها وهو

«وإذا كان ذلك كذلك فما جوابنا لحصم يقول لنا : اذا كانت هذه الامور وهذه الوجود من التلق التي هي محصول النظم موجودة على حقائقها وعلى الصحة وكما ينبغي في متشور كلام العرب ومنظومه ورأيانهم قد استعملوها وتصرفوا فيها وكلوا بممرقتها وكانت حقائق لا تبدل ولا يختلف بها الحال اذ لا يكون الاسم بكونه خبراً مبتدأ أو صفة لموصوف أو حالاً لذي حال أو فاعلاً أو مفعولاً لفاعل في كلام حقيقة هي خلاف حقيقته في كلام آخر . فما هذا الذي مجدده بالقرآن من عظيم المنزلة وباهر الفضل والنجيب من الرصف حتى أعجز الخلق قاطبة وحتى قهر من الباطن والفصحاء القوي والقدر ، وقيد الحواطر والفكر ، حتى خربت الشقائق ، (١) وعدم نطق التالقي ، وحتى لم يجر لسان ، ولم يُبين بيان ، ولم يعاد امكان ، ولم يتقدح لأحد منهم زنده ولم يمس له جد ، وحتى أسأل الوادي عليهم عجزاً ، وأخذ مناقذ القول عليهم أخذاً؟ أيلزنا أن نجيب هذا الحصم عن سؤاله ، ونرده عن ضلاله ، وأن نطبّ له آه ، ونزيل الفساد عن رأيه ؟ (٢) فان كان ذلك يلزنا قينبي لكل ذي دين وعقل ان ينظر في الكتاب الذي وضعناه ، (٣) ويستقصي التأمل لما أودعناه ، فان علم انه الطريق الى البيان ، والكشف عن الحجة والبرهان ، تبع الحق وأخذ به وأن رأى أن له طريقاً غيره أو مائتاً اليه ، ودنا عليه ، وهيات ذلك ، وهذه آيات في مثل ذلك ، اني أقول مقالاً لست أخفيه ولست أرهب خصماً ان بدا فيه

ما من سبيل في آيات معجزة في النظم إلا بما أصبحت أبديه (٤)

(١) الشقائق ج شقيقة بكسر الشين وهي لغة البير أو شي كالرثة بخرجه البير من فيه اذا هاج . ويقال للفصح : هدرت شقيقته . يريدون الانطلاق في القول وقوة البيان ويقال في مقابل ذلك . خربت الشقائق (٢) الراء هنا بمعنى الرأي كما قال ابن نباتة السعدي

يا أيها الملك الذي أخلاقه من خلقه ورواؤه من رآه

(٣) يريد كتاب (دلائل الإعجاز) وهو صريح في كونه هو الواضع لعلم اللطفي

(٤) يريد نظم القرآن وأسلوبه وفي هذا البيت تصریح أيضاً بأنه هو الواضع للنص

فما نظم كلام أنت ناظمه
 اسم يرى وهو أصل لا كلام فما
 وآخذ هو بمعنيك الزيادة في
 تفسير ذلك ان الأصل مبتدأ
 وفاعل مسند فعل تقدمه
 هذان أصل لان لا تأتيك فائدة
 وما يزيدك من بعد التمام فما
 هذي قوائين تكفي من تنهها
 قلت تأتي الى باب تعلمه
 هذا كذلك وان كان الذين روى
 ثم الذي هو قصدي ان يقال لهم
 تقول من أين أن لا نظم يشبهه
 وقد علمنا بان النظم ليس سوى
 أو نقب الأرض بان غير ذلك له
 ما عاد الا يخسر في تطالبه
 ونحن ما إن بنتنا الفكر ننظر في
 كانت حقائق ياتي العلم مشتركاً
 قاييس معرفة من دون معرفة
 ترى تصريفهم في الكل مطابداً
 فما الذي زاد في هذا الذي عرفوا
 قولوا والا فاصفوا لا يان روا

معي سوى حكم اعراب توجيه (١)
 يتم من دونه قصداً تشبيه
 ما أنت تبتبه أو أنت تنقيه
 تأتي له خيراً من بعد تبيسه
 اليه يكسبه وحققاً وبهطيه (٢)
 من متعلق لم يكونا من مبالغيه
 ما أتت فملا عليه في تصديه
 ما يشبه البحر فيضاً من نواحيه
 الا انصرفت بهجر عن نقضيه (٣)
 يرون ان الذي ذان ابغيه (٤)
 بما يجب التقى خصا بمجاريه
 وليس من منطلق في ذلك يحكيه
 حكم من النحو منضي في توجيهه (٥)
 معنى وصمد يملو في رقيه (٦)
 ولا رأى غير غي في تنقيه (٧)
 أحكامه وروى في معاليه
 بها وكلاً تراه نافذاً فيه
 في كل ما أنت من باب تسميه
 مجروحه باقتدار في مجاريه
 حتى غدا المعجز يسمي سيبه
 كالصبح مناجياً في عين رايه

(١) توجيه بالتمديد تدفعه برفق وتسوقه ومثاله التخفيف (٢) يكسبه من الثلاثي
 ومنه الحديث «تكتب المدبوم» (٣) التقصي التبع (٤) باغية طالبه (٥) توجيه
 الشيء تحريه وتمد طلبة (٦) صمد بالشد يدركي كالثلاثي وهو هنا مقابل انتقيب في الأرض
 الذي فيه معنى التسفل . ويقال صوب النظر وصمد اذا نظر في أسفل الشيء
 واعلاه . وعرضى تقب بنفسه حافظاً الحافض ولعله كان يراه قياساً والمسوع تصديه يعني
 «فتقبوا في البلاد» (٧) تبناه كابتغاه طلبه

وقد كان هذا الكتاب كدسي فيه كثيراً مخفياً فظفر الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده
 في الديار المصرية بنسخة منه وكان عند الأستاذ الملامة القوي الشيخ محمد محمود
 الشقيطي نسخة اخرى وكلاهما كان محرراً ومبدلاً فلم الأستاذ الامام ان في المدينة
 المنورة نسخة منه وفي بغداد أخرى فعمل على استساخهما وجمع الكتاب هو
 والأستاذ الشقيطي بمقابلة النسخ الاربع فكان الكتاب الوحيد الذي اجتمع على
 تصحيحه أعلم علماء العصر في المقول والمنقول

هذا وان هذا الكتاب أكبر من أسرار البلاغة حجماً ، وأعزرها علماً ، فهو
 يزيد عليه بنحو عشر ملازم وقد شرعنا بطبعه على ورق جيد وجعلنا قيمة الاشتراك
 فيه مع ذلك كقيمة الاشتراك في أسرار البلاغة قرناً بمجاوري الأزهر الذين سيكونون
 أكثر الناس اشتراكاً فيه لأن الأستاذ الامام سيقراء درساً في الأزهر الشريف .
 وستكون قيمته بعد تمام الطبع عشرين قرشاً أميرياً فمن أراد الاشتراك فليدفع اليها
 القيمة ويأخذها وصلاً بامضائنا

بشارة الحكيم الملك

﴿ الاحتفال بتذكار محمد علي باشا ﴾

في يوم الأربعاء الماضي تم لتأسيس محمد علي باشا هذا لامارة في مصر مائة عام
 شمري فاحتفل ديوان التذوق بقابلت في جامع القلعة وتذقت احتفال به وشيخة الأزهر
 في الجامع الأزهر ومن بدع الزمان وغرائب الأيام أن يحتفل في بيوت الله تعالى بذكر
 الأمراء والسلطين والظلمة من المالكين وهي البيوت التي اذن الله ان ترفع عن
 الخطوط الدنيوية ويذكر فيها اسمه وحده تهرباً اليه وابتغاء مرضاته لا لذكر أمير
 ميت ولا لمرضاة أمير حي . فلماذا تنفق اوقاف المسلمين على احياء البدعة ومخالفة السنة
 ولماذا لا تكون أمثال هذه الاحتفالات في قصور التتبعين كما يدين ورأس التين ؟ فمحمد
 علي لم يؤسس ديناً ولم يكن امام مذهب في دين وانما أس ملكاً عضواً بفك
 الدنيا والقوة والجبروت — هذا هو محمد علي في نظر الدين والحكمة في الاحتفال
 بذكره والإشادة بحمدته في بيوت الله تعالى دون بيوت الحكومة . يرفوا جميع الناس

أما محمد علي في نظر التاريخ فهو من الرجال العاملين الذين يمتاز التاريخ
 لان التاريخ سياسي أكثر مما هو ديني أو علمي وقد جرت العادة ان يخاطب الناس
 للاسراء بمدحهم ومدح سلفهم وجمال بناتهم - ذات فالك ترى العالم الديني ان
 يحكم بكفر من يحكم بالقانون وظلمه وفسقه يقدس من وضع القانون باسمه وأحكم
 فيه بأمره فمدح الاسراء والسلاطين وأصحاب الجاداكثر، كذلك والمدح بحال الشهرة
 والتغدي لهؤلاء أقرب الى العدل والانصاف وان احتمال ان يكون له هوى في بعض
 الاحوال واننا نقول في تاريخ محمد علي كفة عادلة نرجو ان يتلقاها كل عاقل بالقبول وهي
 اذا ذكر الرجل باعماله فامجد علي ثلاثة أعمال كبيرة وهي (١) تأسيس
 حكومة في بلاد مصر كانت مقدمة لدخول الأجانب فيها واحتلالهم اياها. و (٢)
 محاربة الدولة العثمانية واطهار ضفتها للبرية. و (٣) محاربة الوهابية وخضد
 شوكتهم وابطال امتداد دعوتهم. وكل عمل من هذه الاعمال محل نظر
 الناس من يمدح له ومنهم من يمدح عليه وهم الاكثرون، أو المحققون

أما الاول فالملك يتوسعون فيه ماشاؤا لأن المجال واسع أمامهم
 فيذكرون ازالة دولة المماليك الظالمة الفاشية وهو عمل جليل ولكنهم يستدلون بذلك
 على ان دولته كانت عادلة وهذا غير صحيح فان حكومته كانت ظالمة منذ أسست الى ان
 تولى الاوربيون السيطرة عليها فكان الظلم يقبل كلما كثروا والبني يضيف كلما قوى
 نفوذهم ولكن الحسن في ازالة دولة المماليك من وجهين احدهما ان الظلم كان مشوشاً
 وحكومة محمد علي وابناء نظامه وكان منفرقا في حدته وكان غير محسوس
 وتأييدها ان نتيجة هذا النظام وهذه الوحدة هي تهديد السيول لدخول مدينة أوروبا في مصر
 والاعمال انما تمدح وتذم بنتائجها وغاياتها والماملون انما يمدحون بحسن القصد والنية
 وباتقان العمل فاما محمد علي فقد اتقن عمله ولكن قصده لا يحمده في نظر الدين ولا في
 نظر القضية وانما يحمده في نظر منافع الحياة الدنيا وزينتها لأن سيرته اللطيفة بالدماء
 المحترمة تدل على انه لم يكن يقصد غير الملك وعظمت له ولذريته من يمدح. وأما نتيجة
 عمله فهي كما قلنا دخول الأوربيين هذه البلاد ونشر مدنيهم فيها وإلقاء سيطرتهم عليها
 بالاحتلال الانكليزي فمن يرى ان هذا خير وسيلة لنجاح البلاد وسعادتها فليدع ان
 محمد عمل محمد علي وآل يته مهاظلمو في الاموال والاعراض لان الاصلاح الكبير،

لا يثنى الا بيّنال الثمن الكثير مومن يقول . ان مدينة أوروبا نشر على البلاد ، وان
الاصلاح الانكليزي بلاء عليهم ووبال ، فاحكم على عمل محمد علي وذريته بالإفساد
وايحفظ له سوء الذكر الى يوم الناد .

وأما العمل الثاني وهو الخروج على الدولة العثمانية ومحاربتها وقهرها وانظها
ضمها فلو سألت عنه أي مسلم في أي قطر لأجلك بأنه كان أضرم عمل عمله انسان
على الاسلام والمسلمين لأنه في ذاته خروج وال على موليه وسنطانه وتلك أكبر
الجنايات ، وأقبح الجنايات ، في الكرائم الإلهية ، وفي التوانين البشرية . وفي نتيجته
إضمار وقهر لأقوى دولة اسلامية . في عصر قويت فيه الدول الأجنبية ، فاضف
بذلك الاسلام ، ولم تقم لأهله قائمة بعد ذلك الى الآن ، واكنك لا تعدم ثلاثة نفرار
ثلاثين من الثلاثمائة لليون المسلمين يتندر عن عمله أو يمده فضيحة ومحمدة . فاشد
هؤلاء المدافعين أفا في الرأي وصغارا في النفس من يقول ان الدولة العلية لم تكن
مرتاحة لاستقلاله ، فكانت تدس الدسائس لزياله ، أي انه انتقم لنفسه من دولته ،
ومحاربا للممكنين سلطته ، ومن اناس من يقول ان تلك الحرب كانت بتواطأة بين
محمد علي ورجال الدولة العلية في الاستانة وأنهم هم الذين مكثوا له في أرض مصر
ليخرج على الدولة وأنه كان غرضهم الأخذ على يد الساطان محمود وتخفيف سلطته
الاستبدادية ومنعه من سنك الدماء ، وعزل العمال والوزراء ، بمجرد الهوى

وأما العمل الثالث وهو محاربة الوهابية فأكثر العامة أو كلهم يتمقدون انه كان
خدمة للاسلام ، كفرت عن محمد علي جميع الذنوب والآثام ، أما الخواص فانهم
يملكون ان الوهابية كانوا قائمين باصلاح الاسلام لئلا يوسم امام الاسلام محمده الأول وأن
تدين وسوسوا محمد علي بمحاربتهم عم إذ ورثيون الذين ينتظرون الى غايات الأمور
وعوايقها كما هو ، صرح به في بعض توارخهم . وأما ما شاع في بلاد الشام والحجاز
من ان الوهابية خارجون عن السنة وماحقون باهل البدعة فيه بعض المصنفات
التي لفقها العلماء الرسميون المصنفون للحكام وهي ملومة بالكاذب وانما مذهب القوم
مذهب السلف في المقام ، مذهب الامام أحمد في الفروع وعولهم تشديد عظيم على مخالف السنة .
هذا هو اعتقاد الخواص وهم يقولون ان هذا العمل الثالث هو أكبر سيئات محمد علي
وأنه به وبما سبقه كان أكبر بلاء على الاسلام والمسلمين في القرن الماضي

﴿ مكتوب عالم هندي من أركان النهضة الإسلامية ﴾

كتبه النا العلامة العامل . والسري الكامل . محسن الملك بهادر سيد

يهدي علي خان ناظم مدرسة العلوم (في علي آية) وكان القائم على إدارة المدرسة
جزءاً من رداً لنا مما أرسل إليه خطاباً في ترويقه ومهنتها التي عرفت في
فكتب لنا يقول بعد رسوم المحاطبة ما نصه :

« كانت ترد علينا في الاعوام الحالية تملتكم الدعوة وكنا نقرأها في بعض
لازيد علمها ونستفيد من مقالاتها الضافية العلمية الدينية الاسلامية في الرد
المكرات والبدع والتمائم الفاسدة التي انتشرت بين المسلمين انتشاراً عظيماً وبيدنا
ملاح لنا من قائف الاذواق وتوارد المواطنين بيننا وبينكم فاذنا أيضاً قد بذلت جهودنا
منذ عشرين عاماً في ايقاظ المسلمين من نوم الغفلة التي غرقوا فيها حتى اضعوا كل ما كان
في أيديهم من العلوم والفنون والحكم والصنائع واتخذوا دينهم مزواً وامياً فأصبحوا
كأنهم قوم لا يفكرون . فأخذنا ندعوهم الى الانباه من بناءهم الذي سبب افساسهم
لأجل تأخرهم عن الأفهام الذين كانوا شركاهم في الوطنية بالمقالات الشهيرة في
الجراند والمجلات ، والخطبات والندوات والتأليفات ، انهم ونسبناهم
على الأعمال النافعة كتحصيل العلم حسب مقتضيات الزمان وتعلم لغة الانجليزية
(في الاصل اللذان) التي هي لغة حكومات المسلمين مع الاقبال على تحصيل العلوم
الجديدة المفيدة ، والظرف في شؤونهم الاقتصادية ، وأبزرهم الدينية والادبيات
من اجلهم من كل الوجوه .

« ولكتا يقول نأتمم زائد ان جميع مؤلفاتنا ومصنفاتنا ورسائلنا العلمية
كلها في لغتنا الأوردية . (وفي الاصل لساننا) التي لا تكلمهم في اللغة الانجليزية
والا كان يودي أن ترسل اليكم بعض مؤلفاتنا . أما الآن فالمرجو من صاحب
تصلوا وتواصلوا برسائل محبتكم الغراء ولا تقطعوا عنا رسالتنا .

« وهنئنا جيلنا على غيرتكم الدينية وشغفكم بالاجواد في الاسلام والاسلاميين
وارجاع مجدكم وحسبهم على أسباب التقدم المادية والعلمية . وقد سببنا اشغافنا
في محبتكم من المقالات القديمة جديدة حد البحار المطبوعة يدوي كتابها في
تصرفون ما يناسب ذوقنا من الكتب لأن ما وجدتموه عندكم بمخالفة فلا بد من
انه يلذني أيضاً . فالرجاء أن ترسلوا لنا من أمثال تلك الكتب منها ، مصنفات
ومصنفات حضرة الاستاذ الشيخ محمد عبدالمصري صاحب رسالة التوحيد وغير ذلك من
الكتب المفيدة . الخ فشكر لهذا الاستاذ حسن ظنه ونسأل الله ان يوفقنا جيلنا لارضاه



فبشر هادي الدين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

المصباح

١٣١٥

بوقى الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أتى خيراً كثيراً وما
يذكره الأولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مضاف في يوم السبت غرة ربيع الأول سنة ١٣٢٠ - ٧ يونيو (حزيران) سنة ١٩٠٢)

باب الأخبار النبوية وآثار السلف الصالح

نشر في هذا الباب ما يعرف بالمسلمون أصل دينهم وانشأ سعادتهم التي ذهب بتركه

القضاء في الإسلام - النبرة الرابعة مابعد القضاء

(تمديد) أركان القضاء وأصول الحكم في الإسلام أربعة الكتاب
العزيز والسنة المتبعة والاجتهاد في الرأي والمشاورة في الأمر وإيمانها الأركان
عظيمة ، وأصول قوينة ، والأساس الذي بنيت عليه هذه الأركان « درء

المناسد وجلب المصالح والمنافع» ولهذا كان الاجتهاد شرطاً في القاضي لوجوب تطبيق الاحكام على المنفعة في كل زمان ومكان بحسبه . فمن يدعى انه وجد في أمة من الأمم أساس أثبت من هذا الأساس وأركان أقوى من هذه الأركان فليدنا على ذلك والا فليدعن انما الناس بأن شريعتنا خير الشرائع وأساس العمران ولا يحتاج علينا بسوء حال قومنا الذين ما رعوها حق رعايتها في زمان ولا مكان . أما الاخبار والآثار الدالة على ما ادعيناها فهذا بعضها

(الحديث ٢٥) عن معاذ بن جبل رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال له لما بعثه الى اليمن : « كيف تقضي ؟ » قال أقضي بكتاب الله قال « فإن لم تجد في كتاب الله » قال فبسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « فإن لم تجد في سنة رسول الله » قال أجتهد رأيي ولا آلو (أي لا أقصر) قال فضرب رسول الله صلى الله عليه على صدره وقال : « الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضى به رسول الله » . فهذا دليل على ان القاضي مفوض اليه تحري الحق في الأفضية والاجتهاد لاستبانة المدل المطلوب في الكتاب والسنة وذلك بعد اختياره من أهل الكفاءة الذين استوفوا الشروط التي نوهنا بها من قبل وقد اتبع هذه الطريقة الانكليز في هذا العصر فالعمدة عندهم في الاحكام اجتهاد القاضي العادل (ح ٢٦) عن عمرو بن العاص وأبي هريرة ان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم قال : « اذا اجتهد الحاكم فإخطأ فله أجر وان أصاب فله أجران »

(٢٥) رواه ابو داود والترمذي والدارمي (٢٦) رواه البخاري ومسلم . وكذا

الحاكم والدارقطني واحمد بالفاظ اخرى

والذي يصيبه الحاكم أو يخضعه هو الحق وإصابة الحق هي العدل ومضى
تحرى الحاكم العدل ولم يتعمد الميل الى أحد الخصمين يظهر له الحق في
الغالب فاذا تعمد الجور اختلط عليه الامر وكان مخذولاً في الدنيا
والآخرة . يدل على ذلك الحديث الآتي وهو

(ح ٢٧) عن وثالة ان النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما من مسلم
ولي من أمر المسلمين شيئاً الا بعث الله اليه ملكين يستدانه مانوى الحق
فاذا نوى الجور على عمد وكلاه الى نفسه » . ويظهر من النصوص الواردة
في الحق والعدل أن مراد الشرع منها هو ما يعرفه الناس بالقطرة السليمة
والمقل وإنما شرعت الأحكام ووضعت القواعد تهدي الحاكم الى طريق
الوصول الى الحق الذي يتعمد الظالمون اخفاه

(ح ٢٨) عن علي كرم الله وجهه قال قلت يا رسول الله اذا بعثتني
في شيء أكون كالسكة المحماه أم الشاهد يرى ما لا يراه الغائب ؟ قال « بل
الشاهد يرى ما لا يراه الغائب » وهذا دليل على ان مراعاة المصالح والمنافع
هي الأصل في القضاء لأن الأحكام القضائية ليست من الأمور التعبدية
وإنما هي وسائل لمعرفة الحقوق وإعطاء كل ذي حق حقه ولذلك لا يحل
لمن حكم له بشيء يعلم انه ليس له أن يأخذه وان كان القاضي هو الرسول
عليه الصلاة والسلام كما يعلم من الحديث الآتي وهو

(٢٧) رواد الطبراني ورواه البيهقي بلفظ آخر معناه من حديث ابن عباس وضعفوه
ورواه البزار بلفظ آخر وفي سننه منهم (٢٨) رواد احمد والبخاري في التاريخ والدورقي
وابو نعيم في الحلية وابن عساكر وابن منصور

(ح ٢٩) عن أم سلمة رضي الله عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض فأقضي بنحو مما أسمع فمن قضيت له من حق أخيه شيئاً فلا يأخذه فإنما أقطع له قطعة من النار، والألحن بالحنجة هو الأبلغ قولاً والأفصح عبارة. وتبي من أركان الحكم المشاورة ولا أعرف فيها حديثاً صرفوعاً يتعلق بالقضاء وحبنا الأمر العام بها في القرآن وستأتي شواهدا في آثار السلف

(ح ٣٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « لو يطى الناس بدعواهم لادعى ناس دماء رجال وأهواهم ولكن اليمين على المدعى عليه » قال النووي في شرح مسلم : وفي رواية البيهقي بأسناد حسن أو صحيح زيادة عن ابن عباس صرفوعاً « لكن البينة على المدعي واليمين على من أنكر »

(ح ٣١) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده ان النبي صلى الله عليه وسلم قال : « البينة على المدعي واليمين على المدعى عليه »

(ح ٣٢) عن وائل بن حجر قال : جاء رجل من حضرموت ورجل من كندة الى النبي (ص) فقال الحضرمي : يا رسول الله ان هذا قد غلبني على أرض كانت لأبي . قال الكندي هي أرض في يدي أزرعها ليس له فيها حق فقال النبي (ص) للحضرمي « ألك بينة ؟ » قال لا . قال « فلك يمينه » . فقال يا رسول الله الرجل فاجر لا يبالي على ما مالف عليه فقال رسول الله (ص) لما أدبر الرجل « أما لئن حلف على مال أيا كله ظلماً

(٢٩) رواد احمد والشيخان واصحاب السنن الأربعة (٣٠) رواد أحمد ومسلم

(٣١) رواد الترمذي (٣٢) رواد مسلم والترمذي وصححه

ليلقين الله وهو عنده معرض «

قال الامام الحافظ الفقيه ابن القيم الجوزية في كتابه (إعلام الموقعين) مانصه : البينة في كلام الله ورسوله وكلام الصحابة اسم لكل ما يبين الحق فهي أعم من البينة في اصطلاح الفقهاء حيث خصوها بالشاهدين أو الشاهد واليمين . ولا حرج في الاصطلاح ما لم يتضمن حمل كلام الله ورسوله عليه فيقع بذلك الغلط في فهم النصوص . ونذكر من ذلك مثالا واحدا وهو ما نحن فيه - لفظ البينة - فانها في كتاب الله اسم لكل ما يبين الحق كما قال تعالى « اقمنا رسلنا بالبينات » وقال « وما أرسلنا قبلك الا رجالا يوحي اليهم فاسألوا اهل الذكر ان كنتم لاتعلمون بالبينات » وقال « وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة » وقال « قل اني على بينة من ربي » وقال « أفمن كان على بينة من ربه » وقال « أم آتيناكم كتابا فهم على بينات منه »^(١) وقال : « أو لم تأتوهم بينة ما في الصحف الأولى » وهذا كثير لم يختص به لفظ البينة بالشاهدين بل ولا استعمل في الكتاب فيها البينة اذا عرف هذا فقول النبي صلى الله عليه وسلم للمدعي « ألك بينة » وقول عمر : البينة على المدعي . - وان كان هذا قد روي مرفوعا - المراد به ألك ما يبين الحق من شهود أو دلالة ؛ فان الشارع في جميع المواضع يقصد ظهور الحق بما يمكن ظهوره به من البينات التي هي أدلة عليه وشواهد له ولا يرد حقا قد ظنر بدليله أبدا فيضيع حقوق الله وعباده ويمطلها . ولا يقف ظهور الحق على أمر معين لافائدة في تخصيصه به مع مساواة غيره في ظهور الحق أو رجحانه عليه ترجيحاً

(١) قرأ نافع وابن عامر ويعقوب وابو بكر (بينات) والباقون (بينة)

لا يمكن جرده ودفنه كترجيح شاهد الحال على مجرد اليد في صورة من على رأسه عمامة وبيده عمامة وآخر مكشوف الرأس يدو أثره ولا عادة له بكشف رأسه . فبينة الحال ودلالته هنا تفيد من ظهور صدق المدعي أضعاف ما يفيد مجرد اليد عند كل أحد فالشارع لا يهمل مثل هذه البينة والدلالة ويضع حقايلم كل أحد ظهوره وحجته . بل لما ظن هذا من فأنه ضيعوا طريق الحكم فضاع كثير من الحقوق لتوقف ثبوتها عندهم على طريق معين وصار الظالم الفاجر ممكناً من ظلمه وفجوره فيفعل ما يريد ويقول لا يقوم عليّ بذلك شامدات اثنان . فضاعت حقوق كثيرة لله ولعباده وحيث أن أخرج الله أمر الحكم العام عن أيديهم وأدخل فيه من أمر الامارة والسياسة ما يحفظ به الحق تارة ويضيع به أخرى ويحصل به العدوان تارة والعدل أخرى ولو عرف ما جاء به الرسول على وجهه لكان فيه تمام المصلحة المعنية عن التفريط والعدوان

« وقد ذكر الله سبحانه نصاب الشهادة في القرآن في خمسة مواضع فذكر نصاب شهادة الزنا أربعة في سورة النساء وسورة النور . واما في غير الزنا فذكر شهادة الرجلين والرجل والمرأتين في الاموال فقال في آية الدين « واستشهدوا شهيدين من رجالكم فان لم يكونا رجلين فرجل وامرأتان » فهذا في الحمل والوثيقة التي يحفظ بها صاحب المال حقه لا في طريق الحكم وما يحكم به الحاكم فان هذا شيء وهذا شيء . وأمر في الرجعة بشاهدين عدلين وأمر في الشهادة على الوصية في السفر باستشهاد عدلين من المسلمين أو آخرين من غيرهم وغير المؤمنين هم الكفار والآية صريحة في قبول شهادة الكافرين على وصية (المسلم) في السفر عند عدم

الشاهدين المسلمين وقد حكم به النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة بعده ولم يجبي بعدها ما ينسخها فان المأثدة من آخر القرآن نزولا وليس فيها مذموم وليس لهذه الآية معارض البتة ولا يصح أن يكون المراد بقوله «من غيركم» من غير قبيلتكم فان الله سبحانه خاطب بها المؤمنين كافة بقوله «يا أيها الذين آمنوا شهادة بينكم اذا حضر أحدكم الموت حين الوصية اثنان ذوا عدل منكم أو آخران من غيركم» ولم يخاطب بذلك قبيلة معينة حتى يكون قوله «من غيركم» أيها القبيلة . والنبي صلى الله عليه وسلم لم يفهم هذا من الآية بل إنما فهم منها ما هي صريحة فيه وكذلك أصحابه من بعده «وهو سبحانه ذكر ما يحفظ به الحقوق من الشهود ولم يذكر ان الحكم لا يحكمون الا بذلك . فليس في القرآن نفي الحكم بشاهد ويمين ولا بالتكول ولا باليمين مردودة ولا بإيمان القسامة ولا بإيمان اللعان وغير ذلك مما يبين الحق ويظهره ويدل عليه . اه المراد منه وذكر بديه ما اتفقوا عليه من الشهادات وما اختلفوا فيه

آثار السلف . عبرة للخلف

قضاء الخليفين (١) روى الدارمي والبيهقي عن ميمون بن مهران قال : كان أبو بكر اذا ورد عليه خصم نظر في كتاب الله فان وجد فيه ما يقضي به قضى به بينهم وان لم يجد في كتاب الله نظر هل كانت من النبي صلى الله عليه وسلم فيه سنة فان علمها قضى بها فان لم يعلم خرج فسأل المسلمين فقال اتاني كذا وكذا فنظرت في كتاب الله وفي سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم أجده في ذلك شيئاً فهل تعلمون ان النبي (ص) قضى في ذلك بقضاء

فربما قام اليه الرهط فقالوا نعم قضى فيه بكذا وكذا فيأخذ بقضاء رسول الله (ص) ويقول عند ذلك : الحمد لله الذي جعل فينا من يحفظ عن نبينا وان أعياء ذلك دعا رؤس المسلمين وعلماءهم فاستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على الأمر قضى به . وان عمر بن الخطاب كان يفعل ذلك فان أعياء ان يجدي القرآن أو السنة شيئاً دعا رؤس المسلمين وعلماءهم واستشارهم فاذا اجتمع رأيهم على أمر قضى بينهم . « وانما كان يرجع الى أقضية أبي بكر لانها مبنية على ما ذكر فربما ذكرته بدليل كان عنه ذاهلاً . وينظر في سؤال مثل أبي بكر رضي الله عنه عن قضاء رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكون الصحابة كانوا يخبرونه بما لا يعرفه منها فانه حجة على الجماعين الذين كانوا يزعمون ان مقلديهم كانوا محيطين بالسنة لا يغيب عنهم منها شيء . وقد ورد بمعنى هذا الأثر آثار أخرى . وفي المحاكم الآن ضرب عن المشاركة (٧) روي البيهقي عن ابن سيرين انه قال : إن كان عمر بن الخطاب يستشير في الأمر حتى إن كان يستشير المرأة فربما أبصر في قولها الشيء يستحسنه فيأخذ به . « وفي هذا الأثر من الفقه تكريم النساء ومشاركتهم للرجال في الرأي حتى في الأمور العامة وهذا مما يرفع نفوسهن التي كانت قبل الاسلام مهضومة . وما روى عنه من انه قال : خالفوا النساء فان في خلافهن البركة فمناه لا تتبعوا أهواءهن على ان سنده ضيف

كتاب عمر في القضاء، (٣) روي الدارقطني والبيهقي وابن عساكر عن أبي المواهب البصري قال كتب عمر الى أبي موسى الأشعري : « أما بعد فان القضاء فريضة محكمة وسنة متبعة فافهم اذ أدلي اليك ^(١) فانه لا ينفع تكلم

(١) أدلي اليك أي تخصوص اليك وقال ابن القيم أي ما توصل به اليك من الكلام

بحق لانفاذ له آس^(٢) بين الناس في وجهك ومجاهدك وقضائك، حتى لا يطمع
شريف في حيفك ولا يأس ضعيف من عدلك، البينة على المدعي واليمين
على من أنكر، والصالح جائز بين المسلمين الا صلحاً أحل حراماً أو حرم
حلالاً، ومن ادعى حقاً غائباً أو بينة فاضرب له أمداً ينهي اليه فان يئده^(٣)
أعطيته بحقه وان أعجزه ذلك استحلت عليه القضية فان ذلك أبلغ في المنذر
وأجل للمضى^(٤) ولا يمنعك قضاء قضيت فيه^(٥) اليوم فراجعت فيه رأيك^(٦)
وهديت فيه لرشدك ان تراجع فيه الحق^(٧) فان الحق قديم لا يبطله^(٨)
شيء ومراجعة الحق خير من التماسي في الباطل^(٩) والمسلمون عدول
بعضهم على بعض^(١٠) الا مجرباً عليه شهادة زور او مجلوداً في حد أو ظنيماً في
ولاء أو قرابة^(١١) فان الله تعالى تولى من العباد السرار وستر عليهم الحدود
الا بالبيئات والأيمان، ثم الفهم الفهم فيما أدلي اليك مما ورد عليك^(١٢) مما
ليس في قرآن ولا سنة، ثم قاييس الأمور عند ذلك وأعرف الامثال^(١٣)
ثم أعمد فيما ترى الى أحبها الى الله وأشبهها بالحق، وإياك والنضب والتناق

الذي تحكم به بين الخصوم، وفي نسخة كنز العمال (اذا أدب اليك) ولعلها تحريف
(٢) في نسخة كنز العمال (وآس) والمعنى ساو بينهم (٣) في نسخة كنز العمال
« فان جاء بينة » (٤) في الكنز (وأحلى) وذكرت نسخة في هامش اعلام
الموقعين وهي تحريف كما حرف فيه لفظ للمعنى فكذلك (العمام) (٥) في الكنز
(قضيته) (٦) في الكنز (لرأيك) (٧) في الكنز (ان تراجع الحق) (٨) في
الكنز (لا يبطل الحق) (٩) الجملة في الكنز بدون عطف (١٠) في الكنز زيادة
(في الشهادة) (١١) المستثنيات في نسخة كنز مرفوعة، والظنين المهم في شهادته
للقرابة أو الولاء (١٢) في الكنز (أدب اليك) (١٣) في الكنز زيادة لفظ (والاشياء)
وليس المراد انه يقيس على كلام غيره وإنما ميزان القياس ما ذكره بعد

والضجر والتأذي بالناس والتنكر عند الخصومة أو الخدم (شك أبو عبيد)
فإن القضاء في مواطن الحق مما يوجب الله به الأجر ويحسن به الذكر^(١٦)
فمن خلصت نيته^(١٥) في الحق ولو على نفسه كراه الله ما بينه وبين الناس .
ومن تزين لهم بما ليس في نفسه شأنه الله^(١٦) فإن الله تعالى لا يقبل من
من العباد إلا من كان خالصاً . فإظنك بثواب عند الله^(١٧) في عاجل رزقه
وخزائن رحمته . والسلام عليك ورحمة الله^(١٨) »

قال ابن القيم بعدما أورد هذا الكتاب في اعلام الموقعين : « وهذا
كتاب جليل تلقاه العلماء بالتبول وبنوا عليه أصول الحكم والشهادة والحاكم
والمنقذ أحوج شيء إليه وإلى تأمله والتفقه فيه » ثم شرحه شرحاً مطولاً .
وقد اعتمدنا في نصه هنا على نسخة اعلام الموقعين لأننا رأيناها أصح
وذكرنا ما وجدناه من الاختلاف بينها وبين نسخة « كنز العمال » في
المهاش وليس فيه شيء جوهرى .

القسم العمومي

﴿ آثار محمد علي في مصر ﴾

لفظ الناس هذه الايام في محمد علي وماله من الآثار في مصر
وأهلها وأكثر الجرائد من الخوض في ذلك والله أعلم ماذا بنت المادح
على الاطراء ، وماذا حمل القادح على الهجاء ، غير انه لم يبحث باحث في
حالة مصر التي وجدها عليها محمد علي وما كانت تصير بالبلاد اليه لو بقيت

(١٤) في الكنز (ويحسن له الذخر) (١٥) في الكنز (نفسه) (١٦) سقط لفظ الجلالة من
نسخة الكنز (١٧) في الكنز (وما ظنك بثواب الله) (١٨) آخر الرواية في الكنز (والسلام)

وما نشأ عن محورها واستبدال غيرها بها على يد محمد علي . اذكر الآن شيئاً في ذلك ينتفع به من عساه ينتفع ، ويندفع به من الوهم ما ربما يندفع ، كانت حكومة البلاد المصرية قبل دخول الجيش الفرنسي فيها من أنواع الحكومات التي كانت تسمى في اصطلاح الفرنسيين حكومات الاشراف وتسمى في عرف المصريين حكومات الالتزام وتعرف عند الخاصة بحكومات الأقطاع . وأساس هذا النوع من الحكومة تقسيم البلاد بين جماعة من الامراء يملك كل أمير منهم قسماً يتصرف في أرضه وقوى ساكنيها وأبدانهم وأموالهم كما يريد فهو حاكمهم السياسي والاداري والقضائي وسيدهم المالك لرقابهم . ومن طبيعة هذا النوع من الحكومة أن تموفيه الأثرة وتغلظ فيه أصول الاستبداد وتفروته وتزرع نفس كل أمير الى توسيع دائرة ملكه بالاستيلاء على ما في يد جاره من الامراء . فكان من مقتضى الطبيعة ان كل أمير لا ينفك عن التدبير والتفكر فيما تعظم فيه شوكته ، وما يدفع به عن حوزته ، وان يكون الجميع دائماً في استعداد إما للثوب وإما للدفاع . واكن الامراء في مجموعهم كانوا يقاومون سلطة الملوك فيضطر الملك لاستماتهم ومحاباة بعضهم للاستعانة به على البعض الآخر فضعف بذلك استبداد الملوك فيهم حاجة الامراء الى المال كانت تسوقهم الى ظلم رعاياهم وكانت شدة الظلم تميل برعاياهم الى خذلانهم عند هجوم العدو عليهم . ظهر ذلك في خصوماتهم المرة بعد المرة فاضطر الامراء أن يخفقوا من ظلمهم وان يتخذوا لهم من الاهل انصاراً يضبطونهم عند قيام الحرب بينهم وبين خصومهم . أحسن الاهلون بحاجة الامراء اليهم فزادوا في الدالة على

الأمراء واضطروهم إلى قبول مطالبهم فعظمت قوة الإرادة عند أولئك الذين كانوا عبيداً بمقتضى الحكومة وانتهى بهم الأمر أن قيّدوا الأمراء والملوك معاً ولم يكن ذلك في يوم أو عام ولكنه كان في عدة قرون كما هو معروف عند أهل المعرفة

نعم كانت الحكومة في مصر على نوع تخالف به جميع الحكومات الشرقية وكانت البلاد متوزعة بين عدة أمراء كل منهم يستغل قسماً منها ويتصرف فيه كما يهوى وكان كل يطلب من القوة ما يسمح له بمد يده إلى ما في يد الآخر أو يدفع به صواته فالخصام كان دأبهم والحرب كانت أهم عملهم . لذلك كان كل منهم يستكثر من المالك ما استطاع ليُمَدَّ منهم جنده ولكن كانت تُعوزُهُ مؤثمتهم إذا كثروا فاضطروا إلى اتخاذ أعوان من أهالي البلاد فوجدوا من العرب أحزاباً كما وجدوا منهم خصوماً . ثم رجعوا إلى سكان القرى فوجدوا فيهم ما يحتاجون إليه فاتخذوا بيوتاً منها أنصاراً لهم عند الحاجة وعرف هؤلاء حاجة الأمراء إليهم فارتفعوا في أعينهم وصار لهم من الأمر مثل ما لهم أو ما يقرب من ذلك . لهذا كنت ترى في البلاد المصرية بيوتاً كبيرة لها رؤساء يعظم نفوذهم ويلو جاههم ذلك كان يقضي على كل أمير من أولئك الأمراء أن يصرف زمنه

في التدبير : واستجلاب النصير ، وإعداد ما يستطيع من قوة لحفظ ما في يده والتمسك من إخضاع غيره ، أنصاره من الأهالي كانوا يجارونه في ذلك خوفاً من تمدي أعوان خصمه عليهم فوقعت القسمة بين الأهالي ولا تزال أسماء الأقسام معروفة إلى اليوم — بسعد وحرام . هذا يحدث بطبعه في النفوس شتماً وفي العزائم قوة ويكسب القوى البدنية والمعنوية

حياة حقيقية مهما احتقرت نوعها . فكانت العناصر جميعها في استبداد لأن يتكوّن منها جسم حيّ واحد يحفظ كونه ويعرّف العالم بمكانته

جاء الجيش الفرنسي والبلاد في هذه الحالة . دخل البلاد بسهولة لم يكن يندظرها . احتل عاصمتها واستقر له السلطان فيها . لم تكن الا أيام قلائل ، حتى ظهر فيه القلق وعظمت حوله القلاقل ، أخذت القوى الحيوية الكامنة في البلاد تظهر فكثرت الفتن ولم تنقطع الحروب والمناوشات ولم يهدأ رؤساء المساكر بال . يدلك على ذلك شكوى نابليون نفسه في تقريره الى كان يرسلها الى حكومة الجمهورية من اصطيا اذ العربان لعساكره من كل طريق ، وسلبهم ارواحهم بكل سبيل ، واضطر نابليون أن يسير في حكومة البلاد بمشورة أهلها وانتخب من أعيانها من يشركه في الرأي لتدبيرها طوعاً للحكم العائليّة التي وجدها

قتل بعض رؤساء الجيش واضطربت عليه البلاد وجاء الجيش العثماني وعاونته الجيش الانكليزي وخرجت عساكر الفرنسيين من مصر ولا أطيل الكلام فقد ظهر محمد علي بالوسائل التي هيأها له القدر

ما الذي كانت تندظره البلاد من نوع حكومتها؟ كانت تنظر ان يشرق نور مدنية يضيء لرؤساء الاحزاب طاقمهم في سيرهم ابلوغ آمالهم وقد كان ذلك يكون لو أمهاتهم الزمان حتى يعرف كل منهم ما بلغ به غيره الغاية التي كان يقصدها في بلاد غير بلاده . وما كان بينهم وبين ذلك الا أن يختلطوا بأهل البلاد الغربية ويرتفع الحجاب الذي أسدله الجهل دونهم . أو كانت تنظر ان يأتي أمير عالم بصير فيضم تلك العناصر الحية بعضها الى بعض ويؤلف منها أمة يحكمها حكومة منها ويأخذ في تقوية مصباح

العلم بينها حتى ترتقى بحكم التدرج الطبيعي وتبلغ ما أعدته لها تلك الحياة الأولى
 ما الذي صنع محمد علي؟ لم يستطع ان يحى ولكن استطاع أن يميت.
 كان معظم قوة الجيش معه وكان صاحب حيلة بمقتضى الفطرة فأخذ
 يستعين بالجيش وبمن يستميله من الأحزاب على إعدام كل رأس من
 خصومه ثم يعود بقوة الجيش وبمحبب آخر على من كان معه أولاً وأعانته
 على الحسم الزائل فيمحقه وهكذا حتى اذا سحقت الأحزاب القوية ووجه
 عنائته الى رؤساء البوت الرفيعة فلم يدع منها رأساً يستتر فيه ضمير (أنا)
 واتخذ من المحافظة على الأمن سبيلاً لجمع السلاح من الأهالي وتكرر
 ذلك منه مراراً حتى فسد بأس الاهالي وزالت ملكة الشجاعة منهم وأجوز
 على ما بقي في البلاد من حياة في أنفس بعض أفرادها فلم يبق في البلاد رأساً
 يعرف نفسه حتى خلع من بدنه أو نفاذ مع بقية بلده الى السودان فهلك فيه
 أخذ يرفع الاسافل ويعلمهم في البلاد والقرى كأنه كان يحن لشبهه
 فيه ورثه عن أصله الكريم حتى انحط الكرام وساد اللثام ولم يبق في
 البلاد الا آلات له يستعملها في جباية الاموال وجمع العساكر بآية طريقة
 وعلى أي وجه فحق بذلك جميع عناصر الحياة الطيبة من رأي وعزيمة
 واستقلال نفس ليصير البلاد المصرية جميعها أقطاعاً واحداً له ولأولاده
 على أثر اقطاعات كثيرة كانت لاصراء عدة

ماذا صنع بعد ذلك؟ اشترأت نفسه لأن يكون ملكاً غير تابع
 للسلطان العثماني فجعل من العدة لذلك أن يستعين بالأجانب من الأوربيين
 فأوسع لهم في المجاملة وزاد لهم في الامتياز خارجاً عن حدود المعاهدات
 المنعقدة بينهم وبين الدولة العثمانية حتى صار كل صعلوك منهم لا يملك

قوت يومه ملكامن الملوك في بلادنا يفعل مايشاء ولا يُسأل عما يفعل .
وصغرت نفوس الأهالي بين أيدي الاجانب بقوة الحاكم وتمتع الأجنبي
بمقوق الوطني التي حرم منها وانقلب الوطني غريباً في داره، غير مطمئن
في قراره، فاجتمع على سكان البلاد المصرية ذلان - ذل ضربته الحكومة
الاستبدادية المطلقة وذل سامهم الأجنبي إياه ليصل الى مايريده منهم
غير واقف عند حد أو مردود الى شريعة

قالوا : انه اطلع نجم العلم في سماء البلاد . نعم غني بالطب لاجل
الجيش والكشف على المجني عليهم في بعض الاحيان عند ما يراد ايقاع
الظلم بمتهم . وبالهندسة لأجل الري حتى يدبر مياه النيل بعض التدبير ،
ليستغل أقطاعه الكبير،

هل تفكر يوماً في إصلاح اللغة عربية أو تركية أو أرثوذية ؟ هل
تفكر في بناء التربية على قاعدة من الدين أو الأدب ؟ هل خطر في باله
أن يجعل للاهالي رأياً في الحكومة في عاصمة البلاد أو أمهات الاقاليم ؟
هل توجهت نفسه لوضع حكومة قانونية منظمة يقام بها الشرع ويستقر
العدل ؟ لم يكن شيء من ذلك بل كان رجال الحكومة إيمان الارنود
أو الجراكسة أو الأرمن المورلية أو ما أشبه هذه الاوشاب وهم الذين
يسميهن بعض الأحداث من أنصاره اليوم دخلاء وكانوا يحكمون بما
يهوون لا يرجعون الى شريعة ولا قانون وإنما يتفنون مرضاة الامير،
صاحب الاقطاع الكبير

أين البيوت المصرية التي أقيمت في عهده على قواعد التربية الحسنة ؟
أين البيوت المصرية التي كانت لها القدم السابقة في ادارة حكومتها أو سياستها أو

سياسة جندها مع كثرة ما كان في مصر من البيوت الرقيقة العمادة الثابتة الاوتاد،
 أرسل جماعة من طلاب العلم الى اوربا ليتعلموا فيها . فهل أطلق لهم الحرية أن
 يمشوا في البلاد ما استفادوا ؛ كلا ولكنه استعملهم آلات تصنع له ما يريد وليس لها
 ارادة فيما تصنع . ووجد بعض الأطباء الممتازين وهم قليل ، ووجد بعض المهندسين
 الماهرين وايسوا بكثير ، والسبب في ذلك ان محمد علي ومن معه لم يكن فيهم طبيب
 ولا مهندس فاحتاجوا الى بعض المصريين ولم يكن أحد من الأعوان مسلطاً على
 المهندس عند رسم ما يلزم له من الأعمال ولا على الطيب عند تركيب أجزاء العلاج
 فظهر أثر استقلال الارادة في الصناعة عند أوائك النفر القليل من النابيين ، وكان
 ذلك مما لا تخشى عاقبته على المستبدين

هل كانت له مدرسة لتعليم الفنون الحربية ؟ أين هي وأين الذين نبغوا من طلابها ؟
 فان وجدنا نبغ فهل هو من المصريين ؟ عدوا ان شئتم أحياء أو أمواتا
 وجد كثير من الكتب المترجمة في فنون شتى من التاريخ والفلسفة والأدب
 ولكن هذه الكتب أودعت في المخازن من يوم طبعت وغلقت عنها الأبواب الى أواخر
 عهد اسماعيل باشا فأرادت الحكومة تفرغ المخازن منها ، وتخفيف ثقلها عنها ، فنشرتها
 بين الناس فتناول منها من تناول . وهذا يدلنا على انها ترجت برغبة بعض الرؤساء
 من الأوربيين الذين أرادوا نشر آدابهم في البلاد لكنهم لم ينجحوا لأن حكومة محمد
 علي لم توجد في البلاد قراء ولا متفيعين بتلك الكتب والفنون
 كانوا يتخطفون تلامذة المدارس من الطرق واقفاء القرى (الأقفاء الناس المجهورلون)
 كما يتخطفون عساكر الجيش فهل هذا مما يجب القوم في العلم ويرغبهم في ارسال
 أولادهم الى المدارس ؟ لا بل كان يخوفهم من المدرسة كما كان يخيفهم من الجيش
 حمل الأهالي على الزراعة ولكن يأخذ الغلات ولذلك كانوا يهربون من ملك
 الأتبان كما يهرب غيرهم من الهواء الاصفر ، والموت الأحر ، وقوانين الحكومة
 لذلك المهد تشهد بذلك

يقولون انه أنشأ المعامل والمصانع ؟ ولكن هل حبب الى المصريين العمل

والصنعة حتى يستبقوا تلك المعامل من أنفسهم؟ وهل أوجد أساندة يحفظون علوم
الصنعة وينشرونها في البلاد؟ أين هم؟ ومن كانوا؟ وأين آثارهم؟ لا بل بَقَضَ الى
المصريين العمل والصنعة بتسخيرهم في العمل والاستبداد بثمرته فكانوا يتربصون
يوماً لا يعاقبون فيه على هجر العمل والمصنع لينصرفوا عنه ساخطين عليه، لا عنيين
الساعة التي جاءت بهم اليه،

يقولون انه أنشأ جيشاً كبيراً فتح به الممالك ودوخ به الملوك، وأنشأ الأسطولاً
ضخماً ثقل به ظهور البحار، وتفتخر به مصر على سائر الأمصار، فهل علم المصريون
حبَّ التجنُّد وأنشأ فيهم الرغبة في الفتح والغلب وحبَّ اليهم الخدمة في الجندية
وعلمهم الافتخار بها؟ لا بل علمهم الهروب منها وعلم آباء الشبان وأمهاتهم أن ينوحوا
عليهم معتقدين انهم يساقون الى الموت بعد ان كانوا ينتظمون في أحزاب الأسماء وبحار بون
ولا يبالون بالموت أيام حكم المماليك وكان من ينتظم في الجندية على عهد محرز مصر
لا يخرج منها الا بالموت . هل شعر مصري بمظمة أسطوله أو بقوة جيشه، وهل
خطر ببال أحد منهم أن يضيف ذلك اليه بأن يقول هذا جيشي وأسطولي أو جيش
بلدي أو أسطوله؟ كلا لم يكن شيء من ذلك فقد كان المصري بعد ذلك الجيش وتلك القوة
عوناً لظالمه فهي قوة خصمه . كذلك كان يمدها كل عثماني في مصر أو في غير مصر .
ليقل لنا أنصار الاستبداد كم كان في الجيش من المصريين الذين بلغوا في رتب
الجندية الى رتبة البكباشي على الأقل؟ فما أثر ذلك في حياة مصر والمصريين الأوسا
الأثر . أثر كله شر في شر لذلك لم تلبث تلك القوة أن تهدمت واندمرت

ظهر الأثر العظيم عند ما جاء الانكليز لاختاد ثورة عربي . دخل الانكليز
مصر بأسهل ما يدخل به دأمر على قوم ثم استقروا ولم توجد في البلاد نخوة في رأس
تبت لهم أن في البلاد من يحامي عن استقلالها وهو ضد ما رأينا عند دخول
الفرنساويين الى مصر وبهذا رأينا الفرق بين الحياة الأولى والموت الأخير وجهه
الاحداث فهم يسألون أنفسهم عنه ولا يهتدون اليه

لا يستحي بعض الأحداث من ان يقول ان محمد علي جعل من جدران سلطانه
بنية من الدين . أي دين كان دعامة لسلطان محمد علي؟ دين التحصيل . دين الكرباج .

دين من لادين له الا ما بهواه وبريده . والا فليقل لنا أحد من الناس أي عمل من أعماله ظهرت فيه رائحة للدين الاسلامي الجليل ؟ لا يذكرون الا مسألة الوهابية وأهل الدين يعلمون أن الاغارة فيها كانت على الدين لا اللادين . نعم ان الوهابية غلوا في بعض المسائل غلوا أنكره عليهم سائر المسلمين وما كان محمد علي يفهم هذا ولا سفك دماءهم لارجاعهم الى الاعتدال وانما كانت مسألة سياسية محضه تبعها جراءة محمد علي على ساطعانه العثماني وكان معه ما كان مما هو معروف

نعم أخذ ما كان للمساجد من الرزق وأبدلها بشيء من النقد يسمى فائض رزنامة لا يساوي جزأ من الالف من ارادها . وأخذ من أوقاف الجامع الأزهر ما لو بقي له اليوم لكانت غلته لاتقل عن نصف مليون جنيه في السنة وقرر له بدل ذلك ما يساوي نحو أربعة آلاف جنيه في السنة

وقصارى أمره في الدين انه كان يستميل بعض العلماء بالخلع أو اجب لاسمهم على الموأد لينفي من يريد منهم اذا اقتضت الحال ذلك وأفاضل العلماء كانوا عليه في سخط ماتوا عليه

ولا أظن أن أحداً يرتاب بعد عرض تاريخ محمد علي على بصيرته ان هذا الرجل كان تاجراً زارعاً وجندياً باسلاً . ومستبداً ماهراً لكنه كان لمصر قاهراً ، ولحياتها الحقيقية معدما . وكل ما نراه الآن فيها مما يسمى حياة فهو من أثر غيره متمنا الله بخيره وحمانا من شره والسلام (مؤرخ)

(بقية الاجتماع الثالث لجمعية أم القرى)

(المنعقد في مكة المكرمة في ١٨ ذي القعدة سنة ١٣١٦)

أجاب (السيد الانكليزي) ان المسلمين من حيث مجموعهم أغنياء لا يميزهم المال اللازم للتدرج في العلوم حتي لاسياحات البحرية والقطبية . لان فريضة الزكاة على مالكي النصاب والكفارات المالية جاعلة لفقراء الامة وبعض الشؤون العمومية نصيباً غير قليل في مال الاغنياء بحيث اذا عاش المسامون مسامين حقيقة أمنوا الفقير

وعاشوا عيشة الاشتراك العمومي المنتظم التي يتنى ما هو من نوعها اغلب العالم المتمدن الافرنجي الذين لم يهتدوا بعد لطريقة نبيلها مع انه تسمى وراء ذلك منهم جمعيات وعصبيات مكونة من ملايين باسم (كومون وفنيان ونهباست وسوسياست) كلها تطالب التساوي أو التقارب في الحقوق والحالة المعاشية ذلك التساوي والتقارب المقررين في الاسلامية ديناً بوسيلة انواع الزكاة والكفارات ولكن تعطيل ابناء الزكاة وايفاء الكفارات سبب بعض الفتور المبحوث فيه كما سبب اهل الزكاة فقد الثمرات العظيمة من معرفة المسلم ميزانية روته سنويا فيوفق نفقاته على نسبة روته ودخله . ولا شك ان الواحد من الاربعين يفي ان يبذل لاجل هذه الثمرة وحدها . والشريعة الاسلامية هي اول شريعة ساقت الناس والحكومات لاصول الميزانية المؤسس عليه فن الاقتصاد المالي الافرادى والسياسى

ويخيل الى ان سبب هذا الفتور الذي اخذ حتى بالدين هو فقد الاجتماعات والمفاوضات وذلك ان المسلمين في القرون الاخيرة قد نسوا بالكلية حكمة تشريع الجماعة والجمعة وجمعية الحج وترك خطبائهم ووعاظهم خوفاً من الامراء التمرض للشئون العامة كما ان علماءهم صاروا يسترون جبينهم بجملهم التحدث في الامور العامة والحوض فيها من الفضول والاشتغال بما لا يعني وعدمهم اتيان ذلك في الجوامع من اللغو الذي لا يجوز وربما اعتبروه من الغيبة او التجسس أو السبي بالفساد فسرى ذلك الى افراد الامة وصار كل شخص لا يهتم الا بمجويصة نفسه وحفظ حياته في يومه كأنه خلق امة وحده وسيبوت غداً وهكذا صار المسلم جاهلاً ان له حقوقاً على الجماعة الاسلامية والجماعة البشرية وان لهما عليه منهاها ذاهلاً عن انه مدني بالطبع لا يعيش الا بالاشتراك ناسياً او هاجراً أو امر الكتاب والسنة له بذلك (مرحى)

ثم بتوا الى القرون والبطون على هذه الحال تأصل في الامة فقد الاحساس الى درجة انه لو خربت هذه الكعبة والعماد بالله تعالى لما تقطعت الجياد اكثر من لحظة ولا اقول لما زاد تلاطم الناس على سبعة أيام كما ورد في الأثر لان المراد باؤلئك الناس اهل ذلك الزمان

وإذا دققنا النظر في حالة الأمم الحية المعاصرة وهي ليس عندها ما عندنا من الوسائل الشريفة للاجتماع والمفاوضات نجدهم قد اختلوا الاجتماعات ولاسترعاء السمع وتوجيه النظر بوسائل شتى .

(١) منها تخصيصهم يوماً في الاسبوع للبطالة والتفرغ من الاشغال الخاصة لتحصل بين الناس الاجتماعات وتتعقد الندوات فيدبائون ويتناجون

(٢) ومنها تخصيصهم أياماً يتفرغون فيها للمذاكرة في مهمات الاعمال لاعظم رجالهم الماضين تشويقاً للتمثل بهم

(٣) ومنها إعدادهم في مدنهم ساحات ومبتديات تسهيلاً للاجتماع والمذاكرات والقاء الخطب وابداء التظاهرات

(٤) ومنها ايجادهم المنزهات الزاهية العمومية واجراء الاحتفالات الرسمية والمهرجانات بقصد السوق الاجتماعات .

(٥) ومنها ايجادهم محلات التشخيص المعروف (بالكوميديا) و (اتياترو) بقصد اراءة العبر واسترعاء السمع للحكم والوقائع ولو ضمن أنواع من الخلاعة اتخذت شباكاً لمقاصد الجمع والاسماع ويعتبرون ان نفعها اكبر من ضرر الخلاعة

(٦) ومنها اعتاؤهم غاية الاعتناء بتعميم معرفة تواريخهم الملية المفصلة المدججة بالطل والأسباب تمكيناً لحب الجنسية .

(٧) ومنها حرصهم على حفظ الماديات الثبته وادخار الآثار القديمة المنوّهة واقناء النفائس المشعرة بالفاخر .

(٨) ومنها اقامتهم النصب المفكرة بما نصبت له من مهمات الوقائع القديمة .

(٩) ومنها نشرهم في الجرائد اليومية كل الوقائع والمطالعات الفكرية .

(١٠) ومنها تبهم في الاغاني والنشائد الحكم والحماسات الى غير ذلك من الوسائل التي تنشئ في القوم نشأة حياة اجتماعية وتولد في الرؤس حمية وحماسة وفي النفوس سمواً ونشاطاً .

أما المسلمون فانهم كما سبق بيانه أهملوا استعمال تلك الوسائل الشريفة المؤسسة عندهم للشورى والمفاوضات والتناصح والتداعي اعني بذلك الجماعة والجمعة وجمعية الحج حتى كأن الشارع لم يقصد منها غير اداء الفريضة فقط بصورة تعسدية بسيطة والحال ان حكمة الشارع ابلغ من ذلك وعندني ان هذا أعظم اسباب الفتور. (مرحى) .

فاجابه (الامام الصيني) ان هذا أشبه بالعوارض منه بالاسباب فهو اليق بان يكون دواء للداء ونحن مهتمون ابتداء بمعرفة سبب الفتور .

ثم قال اني ارى ان السبب الاكبر للفتور هو تكبر الامراء وميلهم للعلماء المتناقضين المتناقضين الذين يتصاغرون لديهم ويتذللون لهم ويحرفون أحكام الدين ارفعوا ايديها وبين أهوائهم فماذا يرجي من علماء يشتركون بدينهم دنياهم ويقبلون يد الأمير لقبيل العامة أيديهم ومحفرون أنفسهم للعظمة، ليعاظموا على ألوف من الغنم فاء أكبر همهم التحاسد والتباغض والتخاذل والتفاضل لا يحسنون أمراً من الامور حتى الخصومة فتراهم لا يراغمون الا بتكفير بعضهم بعضاً عند الامراء والمامة .

وهذا داء عياء صعب المداواة جداً لان كبر الامراء بمنهم من الميل الى العلماء العاميين الذين فيهم نوع غلظة لا بد منها ونعما هي منزية لولاها لفقدا الدين بالكافية. (مرحى) فلا شك ان أفضل الجهاد في الله في هذا الزمان الحظ من قدر العلماء المتناقضين عند المامة وتحويل وجهتهم لاحترام العلماء العاميين حتى اذا رأى الامراء انقياد الناس لهؤلاء اقبلوا هم أيضاً عليهم رغم أنوفهم واذغوا لهم طوعاً أو كرهاً على انه يجب على حكماء الامة المجاهدين في الله ان يمتنوا بالوسائل اللينة لتنقيت عقول العلماء العاميين لان العلم رافع للجهل فقط ولا يفيد عقلاً ولا كياسة فيلزم تعابيحهم وتعريفهم كيف تكون سياسة الدين وهكذا يفعل الحكماء عندنا مما شر اسلام الصين ولا تفقد أية بلدة كانت رجالاً حكماء نبلاء يمتازون طبعاً على العامة لهم نوع من الولاء حتى على العلماء .

وهؤلاء الذين نسميهم عندنا بالحكماء هم الذين يطلق عليهم في الاسلامية اسم أهل الحل والعقد الذين لا تعتقد (الامامة) شرعاً الا بهم وهم خواص الطبقة العليا في الامة الذين أمر الله عز شأنه نبيه بمشاورتهم في الامر الذين لهم شرعاً حق الاحتساب والسيطرة على الامام والعمال لانهم رؤساء الامة ووكلاء العامة والقائمون في الحكومة الاسلامية مقام مجالس النواب والاشرف في الحكومات المقيّدة ومقام الأسرة الملوكية التي لها حق السيطرة على الملوك في الحكومات المطلقة كالصين وروسية ومقام شيوخ الانخاد في آراء امراء المشار العربية او تلك الامراء الذين ليس لهم من الامر غير تنفيذ ما يبرمه الشيوخ .

واذا دققنا النظر في أدوار الحكومات الاسلامية من عهد الرسالة الى الآن نجد

ترقيها وانحطاطها تابمين لقوة أو ضعف احتساب أهل الحل والعقد واشتراكهم في تدبير شؤون الأمة .

وإذا رجعنا البصر الى التاريخ الاسلامي نجد ان النبي عليه السلام كان أطوع المخلوقات للشورى امتثالاً لامر ربه في قوله تعالى (وشاورهم في الامر) حتى انه ترك الخلافة لمجرد رأى الأمة .

ثم كان أول الخلفاء رضي الله عنه أشبه الناس به حتى انه أخذ رأى سراة الصحابة فيمن استخلف . ثم إن الخليفة الثاني اتبع أثر الاول وان استأثر في ترتيب الشورى فيمن يخافه ثم لما اجتهد الخليفة الثالث في مخالفة رؤساء الصحابة في بعض المهمات لم يستقم له الامر وظهرت الفتن كما هو معلوم ثم إن معاوية رحمه الله كان قائل الاستقلال بالرأى فحسنت أيامه عما كان قبيلها . وهكذا كانت دولة الامويين تحت سيطرة أهل الحل والعقد لاسيما من سراة بني أمية فانتمت على عهدهم الاحوال كما كان ذلك كذلك على عهد صدر العباسيين حيث كانوا مدعين لسيطرة رؤساء بني هاشم ثم لما استبدوا في الرأي والتدبير خالفوا امر الله واتباع طريقة رسول الله سأت الحال حتى فقدوا الملك . وهكذا عند التدقيق في كل فرع من الدول الاسلامية الماضية والحاضرة بل في ترجمة كل فرد من الملوك والامراء بل في حال كل ذي عائلة أو كل انسان فرد نجد الصلاح والفساد دائرين مع سنة الاستشارة أو الاستقلال في الرأي .

فاذا تقرر هذا علمنا ان سبب الفتور العام المبحوث فيه هو استحكام الاستبداد في الامراء عُتُوا وتكبراً وترك أهل الحل والعقد الاحتساب جهلاً وجبانة وهذا عند بعض الاقوام المسلمين وأما الأكثر فقد اسوا لاعلماء هداة ولا سراة اباة بل هم فوضى في الدين والدنيا ولا بدع فيمن يكونون على مثل هذه الحال ان لا يرجي لهم دواء الا بنهاية بعض الحكماء الذين يجيئون من أية طبقة كانت من الامم وقد قضت سنة الله في خلقه ان لا تخلو أمة من الحكماء .

فأجاب (العالم النجدي) ان شؤون السياسة في الصين تختلف كثيراً عنها في غيرها وليس في الصين ملوك كثيرة وأمراء جبارة كما عند غيرهم فالحكماء في الصين آمنون ومن جهة أخرى لم يزل الاسلام في الصين خيفاً خزيقاً لم يفسده الفتن والتشديد ومع ذلك ترى الفتور شاملهم أيضاً ونحن الآن نجت عن السبب العام لهذا الداء وليس كل السبب أحوال الامراء والعلماء .

ثم قال اني اجزم ولا أقول أظن أو إخال ان سبب الفتور الطارئ الملازم لجامعة هذا الدين هو هذا الدين الحاضر ذاته ولا برهان أعظم من الملازمة وما جاء الخفاء الآ من شدة الوضوح فهل بقي من شك بعد هذه الابحاث التي سبقت في جمعيتنا ولا سيما ماينه المحقق المدني في ان الدين الموجود الآن بالنظر الى ما ندين به لا بالنظر الى ما نقرره وباعتبار ما نفعله لا باعتبار ما نقوله ايس هو الدين الذي تميزه أسلافنا منين من السنين على العالمين كلا بل طرأت على الدين طوارئ تغيرت نظامه . وذلك ان الخلف تركوا أشياء من أحكامه كاعداد القوة بالعلم والنال والجهاد في الدين والامر بالمعروف وازالة المنكر واقامة الحدود وابتاء الزكاة وغير ذلك مما أوضحه الاخوان الكرام . وزاد فيه المتأخرون بدعاً وتفايدات وخرافات ليست منه كشيوع عبادة القبور والتسليم لمدعى علم الغيب والتصرف في المقدور .

وهذه الطوارئ من تغييرات أو متروكات أو مزيدات أكثرها يتعلق باصول الدين وبمضها باصل الاصول أعني التوحيد وكفى بان يكون ذلك سبباً للفتور وقد قال الله تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم) - مرسي

ولقائل ان يقول اذا سلمنا ان الدين تغير عما كان عليه فما تأثير ذلك في الفتور العام الذي هو من شأن الحياة الدنيا وما نحن أولاء نجد أكثر الامم الحية التي ننبطها قد طرأ على دينها التغيير والتبديل في الاصول والفروع ولم يؤثر ذلك فيها الفتور بل زعم كثير من حكماء تلك الامم انهم ما اخذوا في الترتي الا بعد عزهم شؤون الدين عن شؤون الحياة وجاهم الدين امرأته في النفس ولا علاقة له بشؤون الحياة الجارية على نوايس الطبيعة

فالجواب على ذلك أنه كما يطالب كل انسان بان يكون صاحب ناموس اى متبعاً على وجه الاطراد في اخلاقه واعماله قانوناً ما موافقاً ولو في الاصول فقط لقانون الهيئة الاجتماعية التي هو منها والافكون لاناموس له منفوراً منه مضطهداً فكذلك كل قوم مكلفون بان يكون لهم ناموس عام بينهم ملائم في الجملة لقوانين الامم التي لها معهم علاقات جوارية او تجارية او مناسبات سياسية والا فيكونون قوماً متوحشين لاخلاق لهم ولا نظام منفوراً منهم مضطهدين .

وذلك ان الناموس الطبيعي في البشر هو ناموس وحنى لاخير فيه لان بنيته هي تنازع البقاء وحفظ النوع والتراحم على الاسهل والاعتماد على القوة وطالب الغايات

وحب الرئاسة وحرص الادخار ومجاراة الظروف وعدم التبات على حال الى غير ذلك وكلها قواعد شر ومجالب ضرر لا يخلقها غير ناموس شريف واحد مودوع في فطرة الانسان وهو اذعانه الفكري للقوة الغالبة اى معرفته الله بالالهام الفطري الذى هو الهام النفس رشدها «فألهما فجيورها وتقواها» (مرحى) ،

ولارىب في ان هذه القطرة الدينية في الانسان علاقة عظمى في شؤون حياته لانها أقوى وأنضل وأزوع يعدل سائر نواميسه المضرة ومخفف مرارة الحياة التي لا يسلم منها ابن انثى وذلك بما يؤمله المؤمن من المجازاة والمكافأة والانتقام منه وله (مرحى) وعند تدقيق النظر في حالة جميع الاديان والنحل تدقيقاً تاريخياً توجد كلها ناشئة عن اصل صحيح بسيط سماوي لا ترى فيه عوجاً ولا أمناً وبوجد ان كل دين كان في اوله باثنا في أهله النظام والنشاط وراقياهم الى أوج السعادة في الحياة الى ان يطرأ عليه التأويل والتحرير والتفنن والزيادات رجوعاً الى اصاين اثنين (الاشراك بالله والتشديد في الدين) فيأخذ في الانحطاط بالامة ولا يزال نازلاً بها الى أن تبلغ حالة اقبح من الحالة الاصلية الهمجية فتتهي بالانقراض أو الاندماج في أمة أخرى أو يتدارك الله تلك الامة بعناية بائغة فيبعث لهم رسولا يجدد دينهم أو يخلق فمهم أميائهم او حكماء يصاحون لهم ما فسد من دينهم كما حصل ذلك في الامم الماضية كعاد وتمود وكالسريان واسرائيل وكنعان واسماعيل وكما قال الله تعالى (وما كان الله ليضل قوماً بعد اذ هداهم حتى يبين لهم ما يتقون)

وعند التأمل يوجد الشرك والتشديد كأنهما أمران طبيعيان في الانسان يسعى وراءهما جهده بسائق النفس وقائد الشيطان لان النفس تميل الى عبادة المشهود الحاضر اكثر من ميلها الى عبادة المعقول الغائب ومفطورة على التشديد رغبة في التميز والشيطان يسمف النفس بالتسويل والتأويل والتحويل والتضليل الى ان يفسد الدين (مرحى) ثم اذا دققنا النظر في حالة الاسلامية في القرون الاخيرة نجدها عند أكثر أهل القبلة قد أصابها بعض ما أسباب غيرها من الاديان قبلها كما أخبرنا الله تعالى بقصصها في كتابه المبين ووعدنا بوقوعنا فيه سيد المرسلين وارشدنا الى طرائق التخلص منه ان كنا راشدين أعنى بذلك ما طرأ على الاسلامية من التأويل والتحرير في بعض اصولها وكثير من فروعها حتى استولى عليها التشديد والتشوبش وتطرق اليها الشرك الخفي والحبي عن يمينها وشمالها فقامت محتاجة الى التجديد بتبيين الرشد من النبي وعندي

ان هذد الحال اعم واعظم سبب للفتور المبحوث فيه قال الله تعالى (ومن أعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكاً) (صرحي)

وأتم ايها السادة الافاضل في غناء عن ايضاح ذلك انكم بوجه التفصيل قال (الاستاذ الرئيس) اني أرى ان البحث في امراض الداء واسبابه وجرأه وما هو الدواء وكيف يستعمل قد نضج او كاد وقد قررنا في اجماعنا الاول اننا نبحث في ماهي الاسلامية وما يتبع ذلك مما أدرجناه في برنامج المباحث واني اري ان تحرير أختنا العالم التجدي نعم المدخل لنقل البحث ولا سيما اذا تكرم بتفصيل ما اجمله لان مسائل منشأ الديانات وبن الله في مسراها واسباب طوارئ التغيير والتحريف عليها كلها مسائل مهمة تقتضي تدقيق النظر واستقصاء التحقيق وتحسن فيها الاطلاة والاستيعاب بناء عليه نرجو من العالم التجدي ان يتكرم باعادة ما قرره سورة مفصلة في اجماعنا الآتي اذ قد أذن لنا الوقت بالانصراف اليوم اه

باب التربية والتعلم

الفقرة الثالثة من جريدة الاسم

تربية الذكور مع الاناث وتطبيقاتها

اني لا أختي مغبة أفرطي وافرط هيلانه في ميلنا الى تلك الصية التي القها العاصفة بين ايدينا لجواز ان يطالبها بعض ذويها يوماً ما وكيفما كانت نتيجة هذا الميل فلا بد له هنا من اثبات امر يتماق بعلم تركيب الانسان ووظائف اعضائه فأقول : كانت دولوريس لما التقطها و آويناها الى بيتنا محلاً لجمع العيوب التي توجد في نظائرها اللاتي من قبيلها وبلادها فانها كانت مع طرافها مكسلاً واثاماً قليلة العناية بشأنها وان كان لا بد من التصريح قات انها كانت كثيرة الوساخه وكان هذا الاغفال منها لنفسها مع مقدار عظيم من التفتج والتدليل من موجبات دز هيلانه وحرزها ولم ينجع في الكسر من زهوها والمطامنة من صافها ما أخذته لذلك من العظاات

(١) معرب من باب تربيته اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر

وضرب به التوبيخ وتويع الايلام الخزيه ولما كان فيها من حسدة المزاج والسهج عند مخالفتها فيما تريد كانت لا تبدي ادنى اشياء للتعلم . أفرغت هيلانه جهدها في ايقاظ عقل هذه الحسنة ناعسة الغابة (١) من سباته فأخفق مسامها وبطل أثر ما استعملته من التعاون والطلاسم لرد هذا السحر الذى لا يدري اى جنية خبيثة من جنيات اليرى ومنها به على ما يظهر وان اردت ان تعلم من الذى أبطل هذا السحر فاعلم انه «أميل» ذلك لان ميل (لولا) الى ان تعجبه وان تتحامي ضروب سخريته بها وانواع زرابته عليها كان أشد تأثيراً فى ارادتها من جميع عظمتا ونصائحنا

كان هذا أول سافطان (لا ميل) على قلبها وهى لا خطر فيه فى سنها من ذلك الحين وقع التنافس بينهما آمن من جهته فاشدة زهوه ونخره بماله من التقدم عليها فى علومه القليلة وأما من جهةها فغيرتها ورغبها فى منازعة ذلك التقدم والمرجو من هذا التنافس أن يعود دائماً بالمائدة على كليهما فان درسهما مجتهدين أحسن وآمن منه متفردين لانه اذا اعتبر (أميل) نفسه أعلم من (لولا) اجهدت فى التبريز عايه فى ميدان المضاومة

أرى ان هذه الصيحة تفيدهما فى اخلاقيهما أيضاً فائدة كبرى فان الاطفال على

(١) يامح نوايب بقوله «هذه الحسنة ناعسة الغابة» الى اسطورة من اساطير الكتاب الفرنساوى شارل بيروت المسمية حكايات الجن ماخصها ان احد الملوك وزوجته ابتلينا بالمقام مدة طويلة ثم برزقا فتاة حسنة فجعلها فى كفاالة سبع جنيات وأولاهن وليمة أعدافها لكل واحدة منهن صحفة فاخرت لها كيس من الذهب الخالص فيه ملعقة وشوكة وسكين من الذهب أيضاً وفي أثناء جلوسهن على المائدة جاءت جنية عجوز نامنة لم يكن حضورها فى الحساب فقدمت لها صحفة بلا كيس فظنت ذلك احتقاراً لها فخافت احدى الجنيات ان تسمى هذه العجوز الى المولودة فخرجت ثم ان كلاً من الاخريات منح المولودة صفة جميلة ما عدا العجوز فانها قالت ان الفتاة ستحرق يدها بمغزل وتموت فخافت الجنية التى كانت خرجت وقالت انها لن تموت ولكن يفساها الناس مائة سنة ولا يوقظها الا ابن ملك من الملوك ثم اتفق ان الفتاة رأت مغزلاً فى يد عجوز فتناولته فحرق يدها فسقطت نامنة ثم نقلت الى قصر لوالدها فى غابة وبمد مائة سنة يقظها ابن ملك وتزوجها

علم تام بما يشتركون فيه من الميوب ولا يبقى بعضهم على بعض في تشهيرها وتعميره
أيها لذلك ترى «أميل» قلما يوقر «لولا» فيما يراه فيها من القائص وهي أيضاً لا
تقصر في ان تكييل له الصاع بمنه بدون ان يكون في هذه المشاغبات الحفيفة ما يكدر صفو
مودتهما الشريفة في نبيء وكاني بقائل بقول ان هذه المزايا بعينها توجد في معاشره
الأخ لاخته ووجودها مما فاحيه باقي في شك من ذلك لعدم تمام الشبه في الجهتين .
زرت فيما مضى مدرسة لاصم البكم كانت تنقسم في أول نشأتها الى قسمين أحدهما
للذكور والآخر للإناث فلم تلبث التجربة ان كشفت عيوب هذا التقسيم فان الصبايا اللاتي
كن متصورات في قسهن كان يبدو عاين التأخر عن الفلمان سنة أو سنتين ولم يكن
الفلمان أنفسهم بارعين في التقدم والنجاح فحظر في بال الفاعين على المدرسة ان
يجمعوا الفريقين في غرف واحدة فكانت نتيجة هذا التغيير محموده فانه لم يمض الا يسير
من الزمن حتى زال تأخر أحد الفريقين وانحطاطه عن الآخر وتقدم الآخر تقدماً
اللائع فيه ذلك لان العجب الذي هو خاق فملري في الذكر والاتي والطمع الذي
هاج في نفوس الفلمان وجود منافسات زاهيات بأنفسهن بينهم واهتمامهم بأن يظهروا
في أعين ممتازين عنهن كل ذلك ساعد من الجهتين على ازدياد درجة معارفهم في
دروسهم مع انهم كانوا هم التلامذة الاواين لم يتغيروا وانما ظهر ان قواهم تضاعفت
لماذا لا يصح في حق الناطقين والناطقات ما صح في حق الصم البكم .

انما يعارض القاعون على تربية الناشئين في الجمع بين الذكور والإناث بحجة
المحافظة على الاخلاق والآداب ولو كانت هذه الممارسة مبنية على سبب صحيح لكانت
وحية سديدة ولكن لا بد ان نجيب هؤلاء المعارضين بأنه لم يفكر أحد مطلقاً في جمع
هذين الصنفين في قاعات النوم العامة ولا شك ان تقسيم محال المدرسة واقفيها
والرياضات المدرسية بالحكمة واتدبير يجب كثيراً من الضار التي يخشى منها على
الآداب والاخلاق

على ان العمل العقلي انما جعل لتذليل الغرائز والشهوات الخبيثة وقمعها
لا تنبئها وهونها وانى خلافاً لا وئك المعارضين اري ان في التفريق الكافي بين الصنفين
خطراً على النضيلة فان فرط الاحتراس والاحتياط الصادر عن الرياء واتفاق لا يكون
منه الا دعوة الفساد الى الاحتيال لتطرق الى الاخلاق من سبيل الشر فلا يابث ان
يظهر فيها وان كثرة بت روح الحذر في اطهر المعاملات واعفها توتظ في اليافين

ما هو أنهم من شهواتهم وتظهر ما يكون كأننا من أشواقهم فبذني ان تزال هذه الحدود السادة ويعتص منها بشهود الله التي فطرهم عليها وجماعها في نفوسهم سياناً لما فرضه عليهم

لا أريد ما تقدم ان الذكر والانثى في التربية بيان يصاح لاحدهما كل ما يصاح للآخر كلا بل ان كلا منهما يقتضي تربية خاصة لاختلافهما في المواهب والقروض والقرض المخلوقين من أجهله . على الناظرى الناظرين والناظرين من الصنفين يتكافؤون ويتناسبون في بعض ذرى المعلوم والقانون الجميلة والشعر فالاجدر بنا ان تفكر باعداد الازدواج بين ما أوتيته الانثى من رقة الوجدان وما أوتيه الذكر من حصافة الجنان فان في ذلك لذة حياة الصنفين . وان تربية شطري النوع الانساني منهزلين كلهما لا يشتركان في شيء مما خلقنا لاجله تمجيلاً بقطع الصلة الاجتماعية وأما تقديم التربية الى الصبي وتفهمه أنها ستكون له في مستقبله رفيقة في العمل والكسح في سبيل الخير والعدل والحق فهو اكثر انطباقاً على مقتضى الفطرة وعلم الاخلاق ونفى كل حال تتعلم « لولا » و « أميل » معاً الى ان يقتضي الحال التفريق اني لأرجو لكل منهما خيراً كثيراً من وراء هذا الاقتران العقلي . اهـ

قوانين التعليم الرسمي

النبذة الثالثة في تعليم البنات

ان المقامر العشرة التي ذكرناها في النبذة الثانية من انتقاد قوانين التعليم الرسمي كانت في موضوع تعليم الدين وقد فانا التنبية على معنى آخر عظيم وهو (١١) لم يرد في قانون التعليم ما يدل على أن البنات يعلمن ما يختص بالنساء من الأحكام والآداب الدينية ورجعنا الى كتب التعليم فلم نجد فيها شيئاً من ذلك . ونحن نعلم كما تعلم نظارة المعارف ان النساء ليس لهن مورد من موارد العلم الا هذه المدارس فإذا جاز أن يكتب التلميذ بعض ما يفوته من الأحكام الدينية في المدرسة بمعاشرته أهل العلم الديني وحضور مجالسهم وسماع الخطب الدينية في يوم الجمعة وحضور دروس الوعظ في بعض المساجد فمثل هذا لا يتأتى للبنات ولا للنساء لانه ليس فيهن علمات بأهوار الدين فيقتبس بعضهن من بعض ولم تجر العادة بحضورهن الجمعة ومجالس العلم في المساجد

ثم ان البنات احوج من الصبيان الى الدين عقائده واعماله وآدابه لسبب آخر وهو ان صنفهن في الشرق لا يزال في تأخر عظيم والنسبة بين الرجال والنساء في مصر كالنسبة بين المصريين والزنوج فاذا قرأت جريدة أو كتاباً على رجل وامرأة من الأميين فان الرجل يفهم منك مالا تفهم المرأة وأكثر النساء لا يفهمن من المقروء شيئاً ما لذلك نشكر للحكومة ما نراه من الرغبة في تعليم البنات ولكن التعليم بغير تربية قليل الجدوى ولا يزال أكثر الناس عندنا يعتقد ضرر تعليم البنات وليس لنا من هؤلاء المتعلمات في المدارس حجة عليهم فان آداب هؤلاء البنات غير مرضية والسبب في ذلك عدم العناية بالتربية التي ملاكها الدين فاذا كانت الحكومة توافقنا على ان الحاجة الى تعليمهن أشد لأنهن أضعف عقلاً فعلينا أن نوافقنا على ان الحاجة الى تربيتهن أشد أيضاً لأنهن أضعف نفساً

وهناك وجه ثالث لوجوب العناية بتربيتهن أكثر من تعليمهن وهو ان وظيفتهن الطبيعية هي التربية لا التعليم فيجب أن تكون التربية هي المقصودة لهن بالذات من المدارس وان يكون التعليم ممدداً لها ومساعداً عليها ، ونظارة المعارف لا تخالفنا في ان ملاك التربية الدين لا سيما عند المساميين ولا تقدر أن تنكر تفصيلها في تعليم الدين وإيهاها لتربيتها

وان تعجب فمعجب أن موظفي النظارة من غير المسلمين كانوا ولا يزالون أشد محافظة على آداب البنات الإسلامية من كبار الموظفين المسلمين ، فمن ذلك ان بعض الضباط من الانكليز كان يعلم البنات في المدرسة السنية الالعب الرياضية البدنية وهي ضروب شتى منها الأثناء والائناء وتحريك بعض الاعضاء دون بعض وكان المعلم لا يستغني في تعليمه عن اللمس والجلس وربما تبع ذلك الحث فراع الامر بعض المسلمين الذين لم يفقدوا نعمة الدين فاحتلوا في تباع ذلك بعض كبار الموظفين في المعارف من المسلمين وما كانوا جاهلين فلم يقد ذلك حتى اتفق ان زار المدرسة بمقرب باشا وكيل النظارة ورأى بعينه ما رأى فعاد الى الديوان وأصدر أمراً بمنع ذلك

واذكر خبر (مسز جريفيانس) النظارة الاولى للمدرسة السنية التي كانت قبل (فوربز) التي عززت في السنة الماضية فلقد كانت من خير من أنبت أرض الانكليز تربية وحرية ونضالة وانصافاً ولا أغلو في الاطراء ، اذا صعدت بها أفق الفلاسفة والحكماء ، ومن ما نرها ان اقترحت على نظارة المعارف أن تلزم جميع البنات في

مدارسها يتعلم للديانة الاسلامية والتربية عليها عملاً . قالت : ان تعاليمها لا تربية لا يفيد وان التربية لا تكون بغير دين وان توحيد طرق التربية والتطعيم ضروري فلا يصح ان يكون في مدرسة واحدة دينان وان أولى الاديان بالترجيح في مدارس حكومة اسلامية وبلاد اسلامية هو دين الحكومة وأكثراً هالي البلاد فالنتيجة أنه يجب على نظارة المعارف تعميم الديانة الاسلامية في مدرسة البنات وجعلها الزامية . ومن آثارها تقطيع البنات ، وكن قبلها في المدرسة حاسرات ، فأخبرها بعض المعلمين لما عرف فضلها بان كشف رؤس البنات أمام المعلمين محرم في الديانة الاسلامية وان الصلاة لا تصح من مكشوفة الرأس فكتبت الى النظارة تطلب ان يجعل لكل بنت في المدرسة قناعين في السنة فاجيب عليها . فطلب هذه النظارة الحكيمة الفاضلة تعميم التربية الدينية حجة على النظارة وقد كانت احدي « ضمانات » ناظر المعارف ولكنها لم تكن شيئاً بل لم يطل عليها الامد في المدرسة حتى استبدلت بها النظارة فوريز

اعتقد المصريون العارفون بخبرها ان المستر دنلوب نهم عليها أنها غير متمسبة للديانة المسيحية فأخرجها وهو العامل المستقل في النظارة بدون « ضمانات » الناظر وزاد هذا الاعتقاد رسوخاً سوء . سيرة النظارة التي خلفتها ولكن القوم لم يلبثوا ان عرضوا للنظارة الاخرى لما كثرت الارجاف بها وانكروا عليها مخادعة المستر هوتن المفتش الانكليزي في المدارس واستبدادها في المدرسة . ويقال ان اللورد كرومر هو الذي أوعز الى النظارة والمفتش ان يستقيلاً معاً وايمازه حكم لا يرد . نعم كان من سوء سيرة هذه النظارة استقالة الاستاذين الفاضلين الشيخ حسن منصور والشيخ محمد عن العرب من المدرسة ومن خدمة معارف الحكومة وهما من خير الاساتذة تعاليم وتربية بل لا يوجد في مصر افضل منهما لتعليم البنات . فكانت استقالاتهما من أسباب سوء الاعتقاد بالنظارة وان شئت فقل بالحقايق وكانت الجرائد كالاهاالي مجمعة على عدم الرضي بحالة المدرسة ولا يوجد فيما أعلم موظف في الحكومة اتفقت على الارتياح لعزله الجرائد الاسلامية والقطبية والسورية الا المستر هوتن ونظارة المدرسة السنية

عد هذا العقلاء محمدة للمحتلين ولم يشذ عن هذا الاحدث السياسة المشهور بالخطل في كل ما يكتب فقد اتخذ عزل النظارة والمفتش دليلاً على سوء قصد المحتلين ولاك عرضهما لو كانا خرج به عن محيط الادب وكتب كتابة لا يصح ان تكتب في الجرائد التي تعرض على جميع الاقطار ولكن كلامه لا اهر له في الامة وقد مضى الزمن الذي

كان الناس يرون فيه كل عمل يعمله المحتلون قبيحاً فقد زالت عشاوة السياسة الحرقاء عن عيون الاكثرين فهم يرون الحسن حسناً والقبيح قبيحاً وقد قلنا في النبذة الماضية انه لم تبق نظارة ولا مصاحبة للحكومة الا واعترف الاهالي بالاصلاح الذي حصل فيها الا نظارة المعارف قاتها لا تزال مثار السب والظن لأن الاصلاح الحقيقي انما يكون في التربية والتعليم والناس يقولون ان التعليم تدلى في عهد الاحتلال وصار سيره دون ما كان عليه من قبل وان تحسن نظامه. وانني ارى الواقفين على عناية المعارف الجديدة باعانة الكتابيب الاهلية وتنظيمها مع ايقانها على استقلالها يحمدون ذلك ويعدون من الاصلاح ولا ينكرون منه الا كون حفظ القرآن غير مكافأ عليه وانها لفلطة من واضع القانون لم تكن عنها الضمانات المحسنة شيئاً بل لا اري في هذا القانون الضمانات فمسي ان يصلحه المستر دنلوب في سنة اخرى فيكون له ولقومه البناء الجميل

هذا — وقد كدنا نخرج عن موضوع هذه النبذة وهو تعليم البنات وتربيتهم فالامة تطلب والمداولة تشفع ان تكون عناية المعارف بتربية البنات الدينية أشد وان كان قانون التعليم والعمل الذي في المدارس يدلان على ما قلناه من اهمال التربية والتفكير في التعليم فالى ذلك توجه انظار أهل الحل والعقد العاملين

بَابُ الْحَبِيبِ الْأَمِينِ

﴿ مستقبل الحجاز . وأمير مكة المكرمة ﴾

نشر المؤيد الأغر من أيام رسالة مطولة « لعماني صادق » عنوانها (مستقبل الحجاز) تكلم فيها صاحبها عن حالة البلاد في هذه الأيام كلاماً تاريخياً ينبغي أن يعلم وحمل على أميرها الشريف (عون الرقيق باشا) حملة منكرة عدله فيها سيئات اذا صححت الرواية فهي اقبح السيئات ولكن الكاتب عدعها أيضاً ما يعدله فكان بذلك متهماً بالفرض أو الجهول وقلما تجد كاتباً يقف عند حدود الاعتدال . اما السيئات الحقيقية فهي الظلم في أرض الحرم والاستبداد في الحكم وعدم انصاية بحفظ الامن بل اتهمه بغرض الأعراب بالحجاج لسلب المال منهم وهذا شيء عظيم لانوم الكاتب على التطويل بذمه وتقدمه وان كان أكثر كلامه من قبيل الشعر لا من قبيل سرد الحقائق وبيان الاوصاف .

ويظهر أن الغرض من الكتابة حمل السلطان على عزله الشريف من إمارة مكة المكرمة . ومن غلو الكاتب المتكبر شرعاً مخاطبة السلطان والاستغاثة به بكلام لا يقال إلا في الله تبارك وتعالى كقوله « قاليك يتوسل المسلمون . وبيك يستغيث المؤمنون ، ياغيث المستغيثين ، وأمان الخائفين » . وأنه لكلام تقشعر من توجيهه لغير الله تعالى قلوب المؤمنين . وإذا كانت مبالغة في اللمع على نسبة مبالغة في التذرع فلا شك أنه كاذب فيما كتب فالذي يحمل السلطان إليها أتباعاً لهواه لا يبعد أن يجعل الشريف شيطاناً أتباعاً لهواه . وعجيب من التؤيد كيف نشر هذا الأطراء وأقره

ولو لا أن الطاعين في هذا الأمير كثيرون لما خفلنا بهذه الرسالة وقد كنا نوهنا في المنار (١٤ : ٢) الصادر في ٩ صفر سنة ١٣١٧ برسالة مطبوعة وردت علينا في بريده سنافور اسمها « صحيح الكون . من فظائع عون » وهي ملوثة بالشكوى من الشريف وقد كتب إلينا يومئذ أنها ترجمت ووزعت في الأقطار فكان لها تأثير عظيم « حتى أن بعض المساجد قطع الخطبة لمولانا الخليفة أيده الله تحاشياً من الكذب بأنه خادم الحرمين الشريفين » وقد أرسلت هذه الرسالة يومئذ إلى الحضرة السلطانية ويظهر أن ذلك كان من عمل جمعية ولكن لم يظهر لها أثر لأن الشريف متفق مع السلطان والسلطان راضٍ عنه

وصاحب رسالة « مستقبل الحجاز » يؤكد القول بأن الشريف يجتهد في إقناع الناس بأنه لا يفعل فعلة إلا بأذن السلطان ومرضاة لينفرهم منه فإذا ثبت هذا السلطان فربما يعزل الشريف أو يرسل إليه والياً حازماً يضلُّ يده ويحفظ الأمن ويكون هذا حجة على الذين يقولون أن السلطان يجب أن يكون الشريف ظاناً غاشياً يعلم المسلمون في جميع أقطار الأرض بأن حكم الترك أفضل من حكم أشرف العرب

ومما عده صاحب الرسالة (مستقبل الحجاز) من سيئات الشريف هدم بعض القبور والقبب والمساجد التي بنيت على بعض الصحابة رضي الله تعالى عنهم وتقصير زيارتهم وقال إنه أزعجهم في قبورهم وكذلك القبر المنسوب إلى أمنا حواء عليها السلام . ومن أين مثل هذا الكاتب الذي عدّ هذه الأعمال ذنباً لا يفكر أن يعلم أن النبي صلى الله عليه وسلم أسرى بطمس القبور المشرفة ونهى عن بناء المساجد على القبور ولعن فاعليها ونهى عن شد الرحال إلى مثلها

أخرج الامام أحمد ومسلم في صحيحه وأبو داود والترمذي والنسائي في - منهم

عن أبي الهياج الأسدي عن علي رضي الله عنه أنه قال « أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم لا تدع تمثالاً إلا طمسته ولا قبراً مشرفاً إلا سويته » قال الإمام الشوكاني في شرح هذا الحديث بعد ما جرح أن رفع القبور زيادة عن القدر المأذون فيه بحرام ما نصه :

« ومن رفع القبور الداخل تحت الحديث دخولاً أولياً القبر والمشاهد المعمورة على القبور وأيضاً هو من اتخاذ القبور مساجد وقد لعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم فاعين ذلك كما سيأتي وكم قد سرى عن تشييد أبنية القبور وتحسينها من مفاصد يبكي لها الإسلام . منها اعتقاد الجهة لها كاعتقاد الكفار للأصنام . وعظم ذلك فظنوا أنها قادرة على جلب النفع ودفع الضرر فعملوها مقصداً لطالب قضاء الخوائج وملجأ لنجاح الطالب وسألوا منها ما يسأله العباد من ربهم وشدوا إليها الرحال وتمدحوا بها واستغاثوا . وبالجملة أنهم لم يدعوا شيئاً مما كانت تفعله بالأصنام إلا فعلوه فانا لله وانا إليه راجعون . ومع هذا المنكر الشنيع ، والكفر الفظيع ، لا نجد من يعضب الله ويفتار حية للدين الخفيف لا عالماً ولا متعلماً ولا أميراً ولا وزيراً ولا مالِكاً . وقد نوارد اليأس من الأخبار ما لا يشك معه أن كثيراً من هؤلاء القبوريين أو أكثرهم ذات وجهت عليه عين من جهة خصمه حلف بالله فاجر أفاذا قيل له بعد ذلك احلف بشيخك ومعلمك الولي الفلاني تاملت وتلكأ وأبى واعترف بالحق . وهذا من أبين الآلة الدالة على أن شركهم قد بلغ فوق شرك من قال أنه تعالى ثاني اثنين أو ثالث ثلاثة . فيا علماء الدين ، ويا ملوك المسلمين ، أي رزء الإسلام أشد من هذا الكفر ؟ وأي بلاء لهذا الدين أضر عليه من عبادة غير الله ؟ وأي مصيبة يصاب بها المسلمون تعدل هذه المصيبة ؟ وأي منكر يجب إنكاره إن لم يكن إنكار هذا الشرك الين واجباً ؟ » اه تم تمثل الشوكاني بعد ما تقدم بقول الشاعر :

لقد اسمعت لو ناديت حياً ولكن لا حياة لمن تنادي

ولو ناراً فتخت بها أضواء ولكن أنت تنفخ في رماد

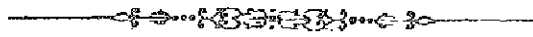
والسبب في موت العلماء والامراء الذي عناه بالتمثيل هو اختيار مرضاة العوام الذين قد فيههم هذا المنكر على مرضاة الله تعالى فالعوام بمقتضى طبيعة الكون تبع لهم ولكنهم اضعف ارادتهم وانحلالات عن انفسهم جعلوا انفسهم تبعاً للعوام وسيتبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوا

وأخرج أحمد ومسلم وأبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه وابن حبان
والحاكم من حديث جابر أنه قال: « نهى النبي صلى الله عليه وسلم أن يخصص القبر وأن
يكتب عليه وأن يبنى عليه » ولفظ الكتابة لم يذكره مسلم ولكنه على شرطه كما قال
الحاكم والتجسيس الطلاء بالحص وهو المكس والحير والنهي حقيقة في التحريم.

وأخرج أحمد والبخاري ومسلم من حديث أبي هريرة أن النبي صلى الله تعالى
عليه وآله وسلم قال « قاتل الله اليهود اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » زاد مسلم والنسائي
وأخرج أحمد وأصحاب السنن إلا ابن ماجه عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

« لعن رسول الله صلى الله عليه وسلم زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد
والسرح » وقد عد العلماء اللعن من علامة كون المصيبة من الكبار وما كان كذلك
تجب إزالته . فإذا تصدى مثل شريف مكة لازالة هذا المنكر عملاً بسنة جده عليه
أفضل العلة والسلام لقدرة على ذلك نعمة عاصياً ومبتدعاً لقول كاتب جاهل ومجهول
ومخاطب السلطان بما لا يخاطب به إلا الله عز وجل لاجل التكيل به ؟؟ لقد اهلب
المعروف منكرًا والمنكر معروفًا فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

أما مستقبل الحجاز فهو مما لا يصح مثل هذا الكاتب أن يخوض فيه إلا إذا عرف
ماورد من الاخبار النبوية فيه وأخذ حطاً من علم طبائع الأمم وسلم بشيء من ذلك
إن شاء الله تعالى في مقالة نكتبها في مستقبل الاسلام . ولا يفهم من انتصارنا للحق
في مسألة القبر ومساجد القبور أننا نتصر للشريف على كل حال فإنا كنا اول من
وجه أنظار مولانا السلطان أيد الله دولته الى تحقيق ماينسب اليه في أمر الامن وعدمه
والظلم في الحرم وفعل منيجب من ازالة ذلك وذلك من مدة سنتين كما أشرنا اليه في
أوائل الكلام ونكرر ذلك الآن والله الموفق واليه ترجع الامور



(وفاة الشيخ أحمد الحبيب كبير) نعي النايريد الهند في الشهر الماضي وفاة هذا
المعلم الفاضل والأديب الكامل الذي يعرف قراء المنار بعض فضله وغيرته المليئة من
قضاءه التي نشرت في المنار مما كان ينشد في جمعية ندوة العلماء . وقد كانت وفاته في يومه
في ١٩ محرم رحمه الله تعالى رحمة واسعة وعزى آله واصدقائه أحسن العزاء

(وفاة عقيلتين) في ١٧ صفر توفيت العقيلة عائشة عصمت كريمة المرحوم اسماعيل باشا
تيمور وأخت الفاضل أحمد بك تيمور وكانت أديبة شاعرة في العربية والتركية والفارسية وقد
لقبها المؤيد بشاعرة . مصر في هذا العصر . ففسأل الله أن يحسن عزاء أخيها وأصحابها الكرام

وفي ١٩ منه توفيت والدته الفاضلة التيبيل احمد بك تيمور فاجتمع على هذا الفاضل مصابان عظيمان في شهر واحد مصاب الأخت ومصاب الأم وله أكبر عزاء بما وفق له من اتباع السنة في تشييع الجازة والمأتم إذ كان قدوة صالحة للناس الذين اعتادوا أن يراو في جناز الكبراء والأمراء ألوان البدع كحملة مجامر الفضة وصحافها انلاى بالرياحين وكطعمة الخدم المؤتزره بأزر الحرير وكزعف الصالحين بالأشمار والادعية والصلوات وغير ذلك . ولكن أحمد بك تيمور أفرد دون أولاد الباشوات في مصر بمزيد الاستقامة واتباع السنن والاشتغال بالعلم والأدب بل لا تكاد ترى في هذه البلاد شاباً مثله في ابتقامته وأدبه وان كثيراً من أهل الفضل ليودون ابطال هذه العادات القبيحة ولكن إرادتهم ضعيفة لا تهوى على ما يتوهمون من الانتقاد ورميمه بالبخل على الموتى ومثل أحمد بك تيمور يصح أن يكون قدوة لهؤلاء اذا وفقهم الله تعالى

ولقد سمعت تقرأ من العامة يتحدثون في الطريق ونحن مشاة في تشييع الجازة يسأل بعضهم بعضاً عن السبب في خلو هذه الجازة من الصياح والضجيج ونحوهما أشربنا إليه آتفاً فأجابني آخر بأن هذا هو السنة فحدث الله تعالى أن جعل في العامة من يفرق بين السنة والبدعة ويعرف أهلها فكما نعرفي صدقنا الكامل احمد بك تيمور في مصايه نهته بما وفق له من اقامة السنة وخذل البدعة ونسأل الله ان يجعله قدوة حسنة لامثاله من الوجهاء للذين هم قدوة لسائر الطبقات . في جميع التقاليد والعادات

(نصير محمد علي) استحسن الفضلاء ما كتبناه عن محمد علي وأعجبوا به وهنؤنا بمخدمة الدين والأمة به الاحداث السياسية فانه شتمنا في جريدته وعيرنا بلقب (البذخيل) يعني أننا لسنا من سلالة الفرعنة وقد أمرنا الله بالأعراض عن مثله . ونحمد الله أننا من ذرية أفضل أنبياءه فوالدنا حسين وأما حسنية . وذلك أفضل عند كل مسلم من السلالة الفرعونية . وأما إرجاف الحدث بذكر الاستعداداثورة كالثورة العراقية فهو مما لا يفهم لأن الثورة لا تكون الا لمقاومة قوة ولا قوة في مصر الا للمحتلين فان كنا نحن ومن « ينصرنا ويحمينا » نريد أن نشور عليهم فأننا نستحق من سعادة الحدث الثناء لا اللوم وان كان يعني أننا نشور على جانب آخر فذلك الجانب هو الذي يشكو الحدث دائماً من سلب حقوقه ونشكو نحن والعقلاء من الثورات المعنوية التي هاجها عليه هذا الحدث وأمثاله وكان من أثرها ما كان وما هو كائن مادام هؤلاء الأحداث متصلين به

(تصحيح) في السطر ٨ من الصفحة ١٧٠ كلمة رجال وصوابها (رجالاً) فتصحح

(شروط الواقفين • وعدم التصيد بكلام غير المصوبين)

جرى على الالسنه واشتهر بين الناس قول بعض الفقهاء « ان شرط الواقف كنص الشارع » وهو ما عليه عمل المحاكم من عهد بعيد الى اليوم فيتسكون بكلمات كتبت في « الوقفيات » وربما لم يكن يفهمها الواقف وانما كتبها الكاتب فيما يكتب من عباراته التقليدية ويتركون احيانا المقصود

من الوقف للشارع ولواقف وقوقاً عند هذه الالفاظ . وقد رأيت بحماً
 نفسياً في هذا الموضوع الامام الحافظ الفقيه ابن القيم في كتابه (اعلام
 الموقعين) أحببت ان أنشره في المنار ليعلم الناس ان ديننا دين مقاصد عالية
 ومصالح تقوم بها المنفعة لا دين القاط يتبدع ثم تتبع قال رحمه الله تعالى
 مناقشا فقهاء الحنفية والمالكية والشافعية في مسائل خالفوا فيها النص أو
 خرجوا عن القياس الصحيح مانصه بمقدمته :

فصل : وقالت الحنفية والمالكية والشافعية اذا شرطت الزوجة
 ان لا يخرج الزوج من بلدها أو دارها وان لا يتزوج عليها ولا يتسرى فبها
 شرط باطل قتر كوا محض القياس بل قياس الأولى فانهم قالوا لو شرطت
 في المهر تأجيلاً أو غير نقد البلد أو زيادة على مهر المثل لزم الوفاء بالشرط
 . فأين المقصود الذي لها في الشروط الأولى الى المقصود الذي لها في هذا
 الشرط ؟ وأين قوائمه الى قوائمه ؟ وكذلك من قال منهم لو شرط ان
 تكون جميلة شابة سوية فبانت عجوزاً شمطاء قبيحة المنظر انه لا فسخ لاحدها
 بفوات شرطه حتى اذا فات درهم واحد من الصداق فلها الفسخ بقوائمه
 قبل الدخول فان استوفى المقصود عليه ودخل بها وقضى وطره منها ثم
 فات الصداق جيمه ولم تظهر منه بجنة واحدة فلا فسخ لها . وقسم
 الشرط الذي دخلت عليه على شرط ان لا يودها ولا ينفق عليها ولا
 يطأها ولا ينفق على أولاده منها ونحو ذلك مما هو من أفسد القياس
 الذي فرقت الشريعة بين ما هو أحق بالوفاء منه وبين ما لا يجوز الوفاء به
 وجمتم بين ما فرق القياس والشرع بينها وألحقتم أحدها بالآخر . وقد
 جعل النبي صلى الله عليه وسلم الوفاء بشروط النكاح التي يستحل بها الزوج

أمراته أولى من الوفاء بسائر الشروط على الإطلاق فإلتزموها أنتم دون سائر الشروط وأحقها بمدم الوفاء

« وجعلتم الوفاء بشرط الواقف المخالف لمقصود الشارع كترك النكاح (أي بأن وقف على أهل هذه التكية ما لم يتزوجوا) وكشرط الصلاة في المكان الذي شرط الصلاة فيه وإن كان (المصلي) وحده وإلى جانبه المسجد الأعظم وجماعة المسلمين . وقد أثنى الشارع هذا الشرط في النذر الذي هو قرينة محضة وطاعة فلا تميم عنده بقمة غيرها الناذر للصلاة إلا بالمساجد الثلاثة (المسجد الحرام ومسجد المدينة ومسجد بيت المقدس) وقد شرط الناذر في نذره تميمه فألغاه الشارع بفضيلة غيره عليه أو مساواته له فكيف يكون شرط الواقف الذي غيره أفضل منه وأحب إلى الله ورسوله لازماً يجب الوفاء به ؟ وتمييز الصلاة في مكان معين لم يرغب الشارع فيه ليس بقربة وماليس بقربة لا يجب الوفاء به في النذر ولا يصح اشتراطه في الوقف

« فإن قلتم : الواقف لم يخرج ماله إلا على وجه معين فلزم اتباع ما عينه في الوقف من ذلك الوجه والناذر قصد التقربة والتقرب مما أوىة في المساجد غير الثلاثة فتميز بمضاهيها فهو . قيل فهذا الفرق بينه يوجب عليكم الفاء مالا قرينة فيه من شروط الواقفين واعتبار ما فيه قرينة فإن الواقف إنما مقصوده بالوقف التقرب إلى الله فتقربه بوقفه كتقربه بنذره فإن العاقل لا يبذل ماله إلا لما فيه مصلحة عاجلة أو آجلة والمرء في حياته قد يبذل ماله في أغراضه . باحة كانت أو غيرها وقد يبذله فيما يقربه إلى الله . وأما بمد ماله فأنما يبذله فيما يظن أنه تقرب إلى الله . ولو قيل

له ان هذا المصرف لا يقرب الى الله عز وجل أو ان غيره أفضل منه وأحب الى الله منه وأعظم أجراً لبادر اليه . ولا ريب ان العاقل اذا قيل له اذا بذلت مالك في مقابلة هذا الشرط حصل لك أجر واحد وان تركته حصل لك أجران فانه يختار ما فيه الاجر الزائد فكيف اذا قيل له ان هذا الأجر فيه البتة ؟ فكيف اذا قيل له انه مخالف لمقصود الشارع . ضاداً له يكرهه الله ورسوله . وهذا كشرط النزوية مثلاً وترك النكاح فانه شرط لترك واجب أو سنة أفضل من صلاة النافلة وصومها أو سنة دون الصلاة والصوم . فكيف يلزم الوفاء بشرط ترك الواجب والسنن اتباعاً لشرط الواقف وترك شرط الله ورسوله الذي قضاؤه أحق ، وشرطه أوثق ، « يوضحه انه لو شرط في وقفه ان يكون على الاغنياء دون الفقراء ، و كان شرطاً باطلاً عند جمهور الفقهاء ، قال أبو الممالي الجويني - هو امام الحرمين رضي الله عنه - : ومعظم أصحابنا قطعوا بالبطلان . هذا مع ان وصف التني وصف مباح ونعمة من الله وصاحبه اذا كان شاكراً فهو أفضل من التقير مع صبره عند طائفة كثيرة من الفقهاء والصوفية فكيف يلغى هذا الشرط ويصح التهرب في الاسلام الذي أبطله النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقوله « لا رهبانة في الاسلام » . يوضحه ان من شرط التزب فانما قصد ان تركه ^(١) افضل واحب الى الله فقصد ان يتبذد الموقوف عليه بتركه وهذا هو الذي تبرأ النبي صلى الله عليه وآله وسلم منه بعينه فقال « من رغب عن سنتي فليس مني » وكان قصد اولئك الصحابة ^(٢)

(١) كذا في الاصل والمراد ترك النكاح ولم يذكر في الجملة ولعله سقط من النسخ

(٢) يريد الذين أرادوا ترك الزوج كتمان بن مظالمون رضي الله تعالى عنه

هو قصد البناء، أي تبيين بعينه سواء قامهم قصدوا ترفية^(٢) أنفسهم على العبادة وترك النكاح الذي يشغلهم تقرباً إلى الله بتركه فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيهم ما قال وأخبر أن من رغب عن سنته فليس منه . وهذا في غاية الظهور فكيف يحل الإلزام بترك شيء قد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم أن من رغب عنه فليس منه ؟ هذا مما لا تحمله الشريعة بوجه^(٣)

« فالصواب الذي لا تسوغ الشريعة غيره عرض شروط الواقفين على كتاب الله سبحانه وعلى شرطه فما وافق كتابه وشرطه فهو صحيح وما خالفه كان شرطاً باطلاً مردوداً ولو كان مائة شرط وليس ذلك بأعظم من رد حكم الحاكم إذا خالف حكم الله ورسوله ومن رد فتوى المفتي . وقد نص الله سبحانه على رد وصية الجانف (وفي نسخة الجائف وكلاهما بمعنى الجائر) في وصيته والآثم فيها مع أن الوصية تصح في غير قرينة وهي أوسع من الوقف وقد صرح صاحب الشرع برد كل عمل ليس عليه أمره فهذا الشرط مردود بنص رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا يحل لأحد أن يقبله ويعتبره ويصححه

« ثم كيف يوجبون الوفاء بالشروط التي إنما أخرج الواقف ماله لمن قام بها وإن لم تكن قرينة ولا للواقفين فيها غرض صحيح مما يقربهم إلى الله

(٣) فسر الترفية في هامش الأصل باتسكين والاقامة على الشيء (٤) أبعد من هذا عن قصد الشارع الوقف على تشریف القبور وبناء القبب المساجد عابها وعلى إيقاد السرج والشموع عابها وذلك من المحرمات التي لمن النبي صلى الله عليه وسلم فاعلم فيجب على القاضي أن ينصح من أراد الوقف على محرم أو مكروه وإن لا يقبل منه وإن يدل على أفضل ما يتقرب به إلى الله تعالى بوقفه كمساعدة الجمعيات الخيرية وبناء المدارس لتعليم الأمة

ولا يوجبون الوفاء بالشرط انما بدأت المرأة بضمها للزوج بشرط وفائه لها بها ولها فيها أصح غرض ومقصود وهي أحق من كل شرط يجب الوفاء به بنص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهل هذا الا خروج عن محض القياس والسنة ؟

ثم من العجب العجيب قول من يقول : ان شروط الواقف كنصوص الشارع ، ونحن نبرأ الى الله من هذا القول ونمتذر اليه سبحانه مما جاء به قائله ولا نعدل بنصوص الشارع غيرها أبدا . وإن أحسن الظن بقائل هذا القول حمل كلامه على انها كنصوص الشارع في الدلالة وتخصيص عامها بمخاصها وحمل . مطلقها على مقيدها واعتبار مفهومها كما يتبر منطوقها وأما ان تكون كنصوصه في وجوب الاتباع وتأنيم من أخل بشيء منها فلا يظن ذلك بمن له نسبة ما الى العلم . فاذا كان حكم الحاكم ليس كنص الشارع بل يرد ماخالف حكم الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم من ذلك . فشروط الواقف اذا كان كذلك كان أولى بالرد والإبطال . فقد ظهر تناقضهم في شروط الواقفين وشروط الزوجات وخروجهم عن موجب القياس الصحيح والسنة وباللغة التوفيق

« يوضح ذلك ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان اذا قسم يعطي الاهل حظين والمرب حظا وقال « ثلاثة حق على الله عونهم » وذكر منهم الناكح يريد المناف . ومصححو هذا الشرط عكسوا مقصوده فتلقوا عليه مادام عزبا فاذا تزوج لم يستحق شيئا ولا يحل لنا ان نمينه لأنه ترك القيام بشرط الواقف وان كان قد فعل ما هو أحب الى الله ورسوله فالوفاء بشرط الواقف المتضمن لتلك الواجب أو السنة المقدمة على

فضل الصوم والصلاة لا تحل مخالته ومن خالفه كان عاصيا آثما حتى اذا خالف الأحب الى الله ورسوله والارضى له كان باراً ثاباً قائماً بالواجب عليه؛

« يوضح بطلان هذا الشرط وأمثاله من الشروط المخالفة لشرع الله ورسوله انكم قاتم كل شرط يخالف مقصود المقدم فهو باطل حتى أبطلتم بذلك شرط دار الزوجة أو بلدها وأبطلتم اشتراط البائع الانتفاع بالمبيع مدة معلومة وأبطلتم اشتراط الخيار فوق ثلاثة وأبطلتم اشتراط نفع البائع في المبيع ونحو ذلك من الشروط التي صححها النص والآثار من الصحابة والقياس كما صحح عمر بن الخطاب وسعد بن أبي وقاص وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان اشتراط المرأة دارها أو بلدها وان لا يتزوج عليها ودات السنة على ان الوفاء به أحق من الوفاء بكل شرط وكما صححت السنة اشتراط انتفاع البائع بالمبيع مدة معلومة فأبطلتم ذلك وقاتم يخالف مقتضى المقدم وصحتم الشروط المخالفة بمقتضى عقد الوقف لعقد الوقف إذ هو عقد قرينة مقتضاه التقرب الى الله تعالى ولا ريب ان شرط ما يخالف القرينة يناقضه صريحة فاذا شرط عليه الصلاة في مكان لا يعين فيه إلا هو وحده أو واحد بعد واحد أو اثنان فمديونه عن الصلاة في المسجد الاعظم الذي يجتمع فيه جماعة المسلمين مع قدمه وكثرة جماعته فيتمدها الى مكان أقل جماعة وانقص فضيلة وأقل أجرا أتباع الشرط الواقف المخالف لمقتضى عقد الوقف خروج من محض القياس وباللّه التوفيق

« يوضحه ان المسلمين مجمعون على ان عبادة الله في المسجد من الذكر والصلاة وقراءة القرآن أفضل منها عند المقابر فاذا منتم فعلها في بيوت الله سبحانه وأوجبتم على الموقوف عليه فعلها بين المقابر إن أراد ان

بناول الوقت والا كان تناوله حراما كنتم قد التزمتموه بترك الاحب الى الله الا نفع لامبد والدمول الى بعض المنضول والمهي عنه (أي كالصلاة الى القبور أو بقرها) مع مخالفة قصد الشارع تفصيلا وقصد الواف إجمالا فإنه إنما يقصد الارضى لله والأحب اليه ولما كان في ظنه أن هذا إرضاء لله اشترطه فنحن نظرنا الى مقصوده ومقصود الشارع وأنتم نظرتم الى مجرد لفظه سواء وافق رضى الله ورسوله ومقصوده في نفسه أولا

« ثم لا يمكنكم طرد ذلك أبدا فإنه لو شرط ان يعلي وحده حتى لا يخالط الناس بل يتوفر على الخلوة والذكر أو شرط ان لا يشتغل بالمعلم والفقه ليتوفر على قراءة القرآن وصلاة الليل وصيام النهار أو شرط على الفقهاء ان لا يجاهدوا في سبيل الله ولا يصوموا تطوعا ولا يصلوا الزوافل وأمثال ذلك فهل يمكنكم تصحيح هذه الشروط . فان أبطلتموها فعمل النكاح افضل من بعضها أو مساو له في أصل القرية وفعل الصلاة في المسجد الاعظم النيق الاكثر جماعة افضل وذكر الله وقراءة القرآن في المسجد افضل منها بين القبور فكيف تلزمون بهذه الشروط المنفضولة وتطالبون ذلك ؟ فإما هو التنازق بين ما يصح من الشروط وما لا يصح ؟ ثم لو شرط المبيت في المكان الموقوف ولم يشترط التعزب فأبجتم له التزوج فطالبته الزوجة بحقها من المبيت وطالبتموه بشرط الواقف منه فكيف تقسمونها بينهما أم ماذا تقدمون ؟ أما أوجب الله ورسوله من المبيت والقسم للزوجة مع ما فيه من مصلحة الزوجين وصيانة المرأة وحفظها وحصول الأيواء المطلوب من النكاح ؟ أم ما شرطه الواقف وتجملوت شرطه أحق والوفاء به ألزم ؟ أم تمنونه من النكاح والشارع والواقف لم يمناه منه ؟

فالحق ان ميته عند أهله ان كان أحب الى الله ورسوله جاز له بل استحب
فلا نص ولا قياس وذا صلحة الاوقاف والالموقوف عليه ولا مصلحة
لله ورسوله والمقصود بيان ما في الرأي والقياس من التناقض والاختلاف
الذي يبين انه من عند غير الله لان ما كان من عنده فانه يصدق به مضا
ولا يخالف به مضا وبالله التوفيق »

(المنار) ان مسألة الاوقاف هي من المسائل الحيوية في شؤون المسلمين فلو
احسن المسلمون إدارة الاوقاف الخيرية وصرفوها في الوجوه الفضلى فانها
تكون اكبر الوسائل لتقديمهم وارتقاءهم ولبكتهم يستدرون بشروط الواقفين
التي تبدنا بها بعض الفقهاء وانما يستدرون عن صرف الاوقاف في الوجوه
الفضلى والمنافع العامة ولكنهم اذا لاح لهم شيء منها وثبوا عليه والتموه
الها. آمن غير انظر الى شرط الاوقاف ولا الى نص الشارع وكذلك شأن أهل
الطبقة العليا في علوم المسلمين في أعظم معهد للمعلم الاسلامي . يأكل الاغنياء
حقوق الفقراء ويهضم الكبار ، ماوقف على الصغار ، فهم حجة على أنفسهم
وكلام هذا الامام المجتهد وبرهينه حجة على كتبهم ولا بد ان يجي يوم
ترزق فيه سلطة الخادمين ، فتصرف اموال الاوقاف في مصلحة المسلمين ،
أوتقع في سلطة المتبئين ، اذا دنا على هذا الجود المبين ، والماقية للمتقين

باب الأسئلة والأجوبة

قراءة المولد بالتركية (س ١) من الشيخ م . م في مصر : ما حكم الله في
قراءة قصة مولد النبي العربي صلى الله عليه وسلم باللغة التركية في بيت الله
تمالي على قوم من العرب وبمحضر العلماء الذين لا يعرفون الالمة بينهم

كما يجري ذلك كل عام في مسجد الحسين (رض) وان تفضل السيد
فذكر أصل ذلك في دين الله أو في السياسة الوضعية شكره الله والناس
(ج) يشبه ان يكون هذا من اللغو الذي لا يعني ولا يفيد لانه لا يفهم
وقد وصف الله المؤمنين بالاعراض عن اللغو في آيات من كتابه كقوله «واذا
سموا اللغو أعرضوا عنه» وقوله عز وجل «والذين هم عن اللغو معرضون»
وقوله جل ذكره في وصف عباده «واذا مروا باللغو مروا كراما» .
واخرج احمد وابو داود عن عثمان بن طلحة (رض) ان النبي صلى الله
تعالى عليه وآله وسلم دعاه بعد دخوله الكعبة فقال : «إني كنت رأيت
فرني الكعبش حين دخلت البيت فنسيت ان أمرك ان تحمرها فحمرها
فانه لا ينبغي ان يكون في قبلة البيت شيء يلهي المصلي» ونهى رسول الله
صلى الله تعالى عليه وآله وسلم عن الخلق (جمع حلقة) يوم الجمعة قبل الصلاة كما
في حديث احمد وأصحاب السنن الاربعة، وقراء قصة المولد يتخلقون في قبلة
المسجد ويرطن خطيبهم بالقصة التركية ولا شك ان ذلك يلهي المصلي ولا
فائدة فيه فهو داخل من منع الحديث من هذا الوجه أيضاً، وقد نهى الفقهاء
عن رفع السورت في المسجد بالقرآن الكريم والعلم النافع اذا كان يشغل
المصلي . فما بالاك بمن يرطن بالتركية على قوم لا يفهمون منها شيئاً ؟
أما أصل ذلك في السياسة فهو ان أمراء السوء لما صعب عليهم إقامة
الدين على وجهه جعلوا هذه المواسم المتبدعة من شعائر الاسلام ليوهوا
عامة المسلمين بأنهم قائمون بإقامة الدين واحياء شعائره وأن رياستهم الدينية
هي بحق . ولم يحكم الترك هذه البلاد جعل بعضهم قراءة قصة المولد بالتركية
لأن الأمير هو المقصود بالاحتفال وقراءة القصة لا الأمة وإنما على هذه

ان تعتقد دينه وإحياء الشماثر الإسلامية . وأعجب من هذا ان نحو الأمانة العربية وصرحوا بيمان في مدارس الدولة الألمانية (وفقها الله وأيدها) بالأمانة التركية لأبناء العرب في سوريا وغيرها وكذلك علم الدين . وقد عين أحد الأئمة من علماء الدين في بعض مدارس سوريا الإميرية كأنهم لم يجدوا مسالما يحسن تعليم الديانة الإسلامية بالتركية . فالأصل في هذا السياسة إحياء لغة الأمة الحاكمة وإماتة مآعدها وانتهى الخلل الى هذا الحد . ومن هذا القبيل ان سلطاننا المعظم (وفقه الله) كان أرسل بعض الوعاظ الأتراك ليعلموا العرب في معان والكرك دينهم وليس في المعلمين من يعرف العربية ولأمن المراد تعليمهم من يعرف كلمة تركية لأنهم من صميم العرب الذين لا يزالون على بدوهم

مس المحدث القرآن (س ٢) ومثله : ان كثيراً من المسلمين شعروا بحاجتهم الى حفظ القرآن الكريم وتدريبه فقاموا بذلك صدقهم تحريم الفقهاء مس المصحف لغير المتوضي وما رضوا حياتهم في ذلك من تقليب اوراقه بنحو عود ارميه بنحو خرقة أو حمله مع متاع الخ لأنهم يعتبرونها الاعيب فهم الآن في حيرة والرجاء كشف الغمة في هذه المسألة ولكم من الله المثوية ومن المؤمنين الدعاء والشكر اه

(ج) مسألة مس المحدث المصحف خلافة بين المسلمين وكذلك قراءة الجنب القرآن وينبغي للانسان ان يحكم الاحتياط في المسائل الخلافية المتعارضة الدلائل . والاحتياط ممن يريد قراءة القرآن بالمصحف للتدبر والتمبذ ان يختار قول من قال بوجوب الداهارة من المحدث الاكبر للقراءة ومن الحديثين لمس المصحف . وليس من الاحتياط ان يترك المسلم حفظ القرآن لانه يتعسر او يتعذر عليه الحفظ ما لم يحمل القرآن ويمسه على غير

وضوء خفته حيث هو الأحوط والأفضل . ونشير الى الخلاف في
المسئلة وادله بالإيجاز فنقول

أما قوله تعالى « انه لقرآن كريم في كتاب مكنون لا يحسه الا
المطهرون » فتد فروا الكتاب المكنون باللوح المحفوظ والمطهرين
بالملائكة . ومنهم من قال المطهرين من الاحداث وجعل الكتاب المكنون
صنة للقرآن . قال البيضاوي في تفسير الآية « لا يطلع على اللوح الا
المطهرون من الكدورات الجسمية وهم الملائكة . اولا يمس القرآن الا
المطهرون من الاحداث فيكون نفي نهي اولا يطلبه الا المطهرون
من الكفر » اه وتفسير المطهرين بالملائكة مروى عن ابن عباس وقتادة .
وأما حديث « لا يمس القرآن الا طاهر » فهو ضعيف لا يحتاج به وكذلك
حديث « لا يمس المصحف الا على طهارة » كما جزم بذلك فيها النووي
وابن كثير . على ان بعضهم قال ان المراد بالطاهر المؤمن او الطاهر من
النجاسة والمروى عن ابن عباس والشمي والضحاك وداود جواز مس
المصحف لا يحدث حدثا اصغرا . والخلاف كبير في الحديث الاكبر حتى قيل
انه يثبت فيه من الاثمة الا داود الظاهري ولكن لا يعرف للجاهير دليل
وبقيت القراءة ولا تراع في جوازها مع الحديث الاصغر وقد ضفوا ما ورد في الحديث
في منع القراءة مع الجنابة ولكن الجاهير على التحريم . وأخرج البخاري عن
ابن عباس انه لم ير في القراءة للجنب بأسا . قال في نيل الاوطار : ويؤيده التمسك
بموم حديث عائشة ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يذكر الله على
كل أحيائه وبالبراة الأصاية حتى يصبح ما يصبح لتخصيص هذا الموم وللنقل عن
هذه البراة . اه ومع هذا لا أحب لحفظة القرآن القراءة مع الجنابة ولكن لا بأس
بمحلهم للمصحف مع الحديث الاصغر والقراءة كذلك وانصح لهم أن يتحروا الطهارة
والوضوء ما أمكن ذلك والله الموفق

الظلم بالاكل من الشجرة (س ٤) الشيخ محمد محمد عياض الحلي بالآزهر: أرجو حضرة تكم
أن توضحوا معنى قوله تعالى « ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين » وأن
تبينوا معنى ظلمه مع ملاحظة قوله تعالى « والكافرون هم الظالمون » وأن تبيّنوا معنى
قوله تعالى « وعصى آدم ربه فغوى » مع ملاحظة عصمة الأنبياء

(ج) ترون معنى الآية الأولى في نبذة التفسير من هذا الجزء وتقدم الكلام
في مصيبة آدم وعصمة الأنبياء في الدرس ٣٤ من المقائد في (ج ٣ : ٥)
والظلم أهم من الكفر فكل كفر ظلم وليس كل ظلم كفر فمن قصر في فضيلة
أو عمل نافع فقد ظلم نفسه بمقدار ما فاته من ثمرة النجاة وقاعدة العمل فقوله تعالى
« والكافرون هم الظالمون » لا ينافي هذا لأن كون الظلم وصفاً راسخاً فيهم باقظع
أنواعه وهو الاعتماد في النجاة يوم القيمة على الشفاعة ونحوها لا يمنع أن يأم غير الكافرين
بنوع آخر من أنواعه الحقيقية . وقد فسر بعضهم الظلم في قوله تعالى « والذين اذا
فعلوا فاحشة أو ظاموا أنفسهم ذكروا فاستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب الا الله
ولم يعصوا على ما فعلوا وهم يعلمون » بالصغيرة وأنت ترى ان هذا ذنب تنتظره المغفرة .
والشرك ظلم عظيم و « ان الله لا يغفر ان يشرك به »

امهار الذميه قرآنا (س ٥) عبد الفتاح أفندي البدن بالاسكندرية : اذا أراد المسلم أن
يتزوج ذميه وانفق على أن يجعل صداقها شيئاً من القرآن الكريم فهل يصح ذلك ؟
(ج) يصح جعل المنفعة مهراً وتعلم القرآن أعظم المنافع لانه نور وهدى للناس
وقد أخرج أحمد والبخاري ومسلم من حديث سهل بن سعد (رض) ان النبي صلى
الله عليه وآله وسلم زوّج رجلاً فقيراً امرأة فوضت أمرها اليه بما معه من القرآن
ولفظ المقده زوجته بما ملك من القرآن « وكان سألته عن من له السور التي يحفظها
وفي روايات وأحاديث أخرى ذكر التعاميم وتمييز السور وفي بعضها ذكر عشرين آية
والراجح ان ذلك في وقائع ممتدة ثبتت بالسنة ان تعاميم القرآن يصح أن يكون مهراً
وعليه الجواهر الاخفية « ولم أر من استثنى الذميه في هذا المقام ولا من ذكرها فيه
وأنت تعلم ان القرآن أفضل ما يدعى به الى الدين واكبر المنافع ولا شك ان رضا
هذه الذميه بتعلم شيء من القرآن انما هو لا اعتقادها ان فيه منفعة لها . ولكن الذي
منعوه هو تملك القرآن لغير المؤمنين حذراً من إهانتهم « ومن أراد الاحتياط ووافقة
الجميع فليضف الى التلميم قليلا من المال . هذا ما ظهر لنا من الجواب والله أعلم بالصواب

(الاجتماع الرابع بمدينة أم القرى - - الدين والإسلام والشرك والتصوف)

في مكة المكرمة يوم السبت العشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦
انتظم عقد الجمعية في هذا اليوم صباحاً وقرئ النبط السابق حسب العادة
وأذن الأستاذ الرئيس بالشروع في البحث

فقال (العالم التجدي) : اني أطلب السماح من السادة الاخوان عن إملأهم
بمقدمات وتعريفات هم أعلم هي بها بل هي عندهم في رتبة البدييات ولكن لا بد منها
للباحث رعاية لقاعدة التسلسل الفكري والترتيب القياسي فأقول :

ان النوع الانساني مفطور على الشعور بوجود قوة غالبة عاقلة لا تكيف تصرف
في الكائنات بنواميس منتظمة فالإمامة يعمرون عن هذه القوة بانفط الطيمة والراشدون
من الناس مهتدون الى ان لهذه القوة من هو قائم بها يعمرون عنه بانفط (الله) ثم ان
هذا الشعور يختلف قوة وضعفاً حسب ضعف النفس وقوتها ويختلف الناس في تصور
بوصف ماهية هذه القوة حسب مراتب الإدراك فيهم أو حسبها بصادفهم من التلقي
عن غيرهم وذلك هو الضلال والهداية . على ان الضلال غالب لأن موازين العقول
البشرية مهما كانت واسعة قوية لا تسمع وتحمل وزن جبال الأزلية والأبدية واللامتال
والآلان واللامكان ونحو ذلك مما يسمى العلم به لصعوبته علم ما وراء العقل ولهذا
لا يقال في الضالين انهم منحطون عقلاً عن المهتدين بل كثير منهم في الماضين
والحاضرين اسما عقلاً بمراتب كبيرة من المهتدين ولكن صعوبة التصور والحكم
أوقعتهم في بحار من الأوهام وظلمات من الضلال . على ان الباري تعالى قدر اللطف
ببعض عباده واراد اقامة الحججة على الآخرين فأوجد بعض أفراد من البشر تميزوا
في تصور ووصف ماهية هذه القوة تميزاً كبيراً فساروا هداة للناس وهم (الأنبياء)
عالم الصلاة والسلام . وقد قام بعض هؤلاء الانبياء الكرام فيمن حولهم من الناس
مقام الشرعيين وأتبعوا براهين خرق العادات على يدهم عند التحدي أي عند طلب
ذلك منهم (١) أن مخاطبتهم مكلفون باتباعهم وهم (المرسلون) فأمن بهم من آمن أي
شهدوا لهم بالرسالة وأتبعوهم في هديهم مستسلمين فأخرجوهم من بحار الأوهام
الى ساحل الحكمة ومن ظلمات الضلال الى نور الهداية وهؤلاء هم (المؤمنون)

(١) النار - هكذا فسر التحدي هنا والمزوف في علم الكلام ان التحدي طلب
المعارضة للمعجزة بأن يقول الرسول هذه آية صدقي فاتوا بمثلها أو فآمنوا

هذه مقدمة اولي (مرحى)

ومن المؤمنين نحن ممتثلين (المسلمين) علمنا بما علمنا ان محمد بن عبد الله الهاشمي
لقريشي العربي اجل البشر حكمة وفضيلة وصدقناه بأنه رسول الله الى العالمين كافة
صحيحاً ملة ابراهيم داعياً لعبادة الله وحده هادياً الى ما يكلف الله به عباده من أمر
ونهي كفاين لكل خير من الحياة وبعد الممات

ومن أمهات قواعد الدين عندنا ان نعتقد ان محمداً باق رسالته لم يترك ولم يكتم
منها شيئاً وانه أمر وظيفته بما جاء به من كتاب الله وبما قاله أو فعله أو أقره على سبيل
التشريع اكمالاً لدين الله

ومن أهم قواعد ديننا أيضاً انه محفلور علينا ان نزيد على ما باننا اياه رسول الله
أو نقص منه أو نتصرف فيه بمقولنا بل نتحم علينا أن نتبع ما جاء به الصريح المحكم
من القرآن والواضح الثابت مما قاله الرسول أو فعله أو أقره وما اجمع عليه الصحابة ان
أدركنا حكمة ذلك التشريع أو لم نقدر على ادراكها وان ترك ما يشابه علينا من القرآن
(يريد نقوض فيه) فنقول ه أمنا به كل من عند ربنا: وما يعلم تأويله الا الله

ومن قواعد ديننا كذلك ان نكون مختارين في باقي شؤوننا الحوية نتصرف فيها كما
نشاء مع رعاية التواعد العمومية التي شرعها أو تدب اليها الرسول وتقتضيها الحكمة
أو الفضيلة كعدم الأضرار بالنفس أو الغير والرافة بالضعيف والسبي وراء العلم النافع
والكسب بتبادل الأعمال والاعتدال في الأسور والانصاف في المعاملات والعدل في
الحكم والوفاء بالعهد الى غير ذلك من القواعد الشريفة العامة . وهذه مقدمة ثانية

ويتفرع عن هاتين المقدمتين مسائل مهمة ينبغي افرادها بالبحث تباعاً واشباعاً .
منها ان أصل الأيمان بوجود الصانع أمر فطري في البشر كما تقدم فلا يحتاجون فيه الى
البرسل وانما حاجتهم اليهم في الاهتداء الى كيفية الايمان بالله كما يجب من التوحيد والتنزيه .
هؤلاء قوم نوح وقوم ابراهيم وجاهلية العرب واليهود والصاري ومجوس فارس ووثنيو
الهند والصين ومتوحشو أفريقيا وأمريكا وسائر البشر كلهم كانوا ولا يزالون أهل فطرة
دينية يعرفون الله وليس فيهم من ينكره كلياً كما قال عز من قائل « وأن من شيء
الا يسبح بحمده » بل يغلب على البشر الاشرار بالله فيخصصونه تمالي شأنه بتدبير
الأمور الكلية والشؤون المظلمة كالحالقية وتقسيم الارزاق والآجال كأنهم يحلون عنه
تدبير الأمور الجزئية ويتوهمون ان تحت أمره مقربين وأعواناً ووسطاء من ملائكة
وجن وأرواح وروحوانات وشجر وحجر وانه جعل لهم وللنواميس الكونية

من افلاك ومطابع وتنجلات النفسية من سحر وتوجه فكر دخلاً وتأثيراً في تدبير
 الامور الجزئية ايقاعاً أو منماً واعطاهم شيئاً من القوة القدسية وعلم الغيب
 ونوعهم هذا ناسي عن قياسهم ملكوت ذي الجبروت على ادارة الملوك في
 اخذ اصهم بتدبير مهمات الامور وتفويضهم مادون ذلك الى العمال والاعوان واستعانتهم
 بالبطانة والحاشية وربطهم بحرى الاعمال بالقوانين والنظامات (مرحى)
 ومن تتبع تواريخ الأمم العابرة وأفكار الأمم الحاضرة لا يرتاب فيما قرراه من ان
 آفة البشر الشرك الذي اوضحناه فقط وكفى بالقرآن برهاناً فقد قال الله تعالى « ولئن
 سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » وقال تعالى « بل اياه تدعون »
 وقال تعالى « فلا تدعوا مع الله أحداً » وقال تعالى « منذ الذي يشفع عنده إلا
 باذنه » الى غير ذلك من الآيات الينات المنيبة ان زنيغ البشر هو الاشرارك من بعض
 الوجود فقط لا الانكار ولا الاشرارك للمطلق لأن العقل البشري مهما تسفل لا ينزل
 الى درجة الشرك المطلق

بناء عليه جرت عادة الله تعالى جئت حكمته ان يبعث الرسل يتخذون الناس من
 ضلالة الشرك وينتاشونهم من وحدة شره في الحياة الدنيا والآخرة ويهدونهم الى رأس
 الحكمة أي (معرفة الله) حتى معرفة لكي يبدوه وحده وبذلك تم حجته
 عليهم ويملكون حريتهم التي منحهم من أن يكونوا أرقاء، أذلاً ولا أنف شيء من
 ارواح وأجسام وأوهام « فثمره الايمان بأن (لا اله الا الله) عتق العقول من الأسر
 وثمره الاذعان بأن « محمداً رسول الله » اتباعه حقاً في شريعته التي تحول بين المسلم
 وبين نزوعه الى الشرك وتبليه سمادة الدارين

« تبنى الانسان ما أكرهه » أو قبح ما أجهله ، لا يهتدى الى الوحيه اذا
 بجهد عظيم ويندفع أو ينقاد بشعرة الى الشرك فيتلبس به على مراتب ودرجات في
 اعتقاد وجود قوة قدسية رحي وتتي في غير الله أو تيمناً لله ذاهلاً عن انه لو كان في الارض
 والسماء آله غير الله — أي أصحاب تصرف في شيء ولو في تحريك ذرّة رمل — لفسدنا
 قالنا سر يعوا الاعراض عن ذكر الله الى ذكر من يتوهمون فيهم أنهم شركاء
 وأنداد لله فيمبدونهم أي بمظنونهم ويخضعون لهم ويدعونهم ويستمدون منهم ويرفعون
 حاجاتهم اليهم ويرجون عند ذكر أسماهم الخير ويتوقعون من سخاهم الشر وقد قال
 الله تعالى « ومن أعرض عن ذكري فإن له مميصة ضنكاً » والله صادق الوعد نافذ
 الحكم . وفي الواقع وبالضرورة والعلب لا مميصة أشد ضنكاً من مميصة المشركين

الذين وصفهم الله عن وجل تأمهم الأسماء بالله من فقال « من أشرك بالله عظيم »
وقال « ولا يعظم ربك، أسماء ومدريد بن عمرو بن أبي الحارث بن عمرو بن أبي
من الشرك فقال من أياتنا »

أركاناً واحداً أو البسركي أدين إذا تقسمت الأمور

تكون الملائكة والمؤذي جيماً كذلك يفعل الرجل الخبيث

ومثل المياه الأديبة في الموحدين والشركيين كقوله « إن الله لا يشرك به شيء »
لكل صراحح وينفذ قانوناً واحداً ولا يصفى لساع ولا شفير، لا يشركه في حلاله
أحد، ويولد آخر سادته حبان مغلوب على أمره قال منه مقوله « ما أعادني أهداه
إلى الكون من أهدى من الكرامة النبوية الحلاقة ففده وأحسب أن سادته لا تقدر
ما يشاءون من حده أهدى خير فدومهم أو دفعهم عن أسياعهم فهو في أهدى الملائكة
كبار الأنبياء والشفاء وبالله المثل الذي على قلبه جئت « لا يشركه في حلاله
في مذابح أحد كما قال تعالى « من الله لا يفتن أن تشك به ما يؤمن ما دعه بذلك »
« من أشرك بالله فقد كفر بما أنزلنا من الكتاب والذين كفروا من أهل الكتاب
على السوء وقتلوا نساءهم ما أنزلنا من السماء عليهم لعن من السماء »
يؤمن به « وما أؤسبم وأؤسبم من ذلك من ذلك من ذلك من ذلك من ذلك من ذلك من ذلك
ثم أقول : « إن الإسلام ليس من ماء ولا من نار » ثم عبد الله بن موسى « حيا في
كتابه الذي يزعم أن يعرف الله المدلول بالعبادة واليمان والسلام وعبادة من يوسر
« وشرك » في اللغة العربية التي هي لغة القرآن إذ قال « أنا جملناه قرآننا من بيان » قال
تعالى « وما أرسلنا من رسول إلا بلسان فوهه آيين لهم ففضل الله من شاء
وسواء من شاء » فإذا علم أن « من » هي « من » الالفية وأراد أن يتقبل الأمر
لا يتعدى حدوده ثم يعين حينئذ عنده ما هو مراد الله بالشرك الذي لا يرتفع الذي
أشقى وخاف عايناً بيننا عليه الصلاة والسلام من الوقوع فيه فقال : « إن أخوف
ما أخاف عليكم الشرك » (١)

ومن بحث عما ذكر من الالفاظ يجحد ان أهل اللغة مجمعون على أن المدلول للفظ
(الایمان) الصفة والتسليم بدون اعتراض (٢) ولللفظ (العبادة) التذلل والخضوع

(١) المأثور الحديث رواه ابن ماجه عن شداد بن اوس ولفظه « ان أخوف
ما أخاف على أمي الأشراك بالله أما اني لست أقول تمبدون شمساً ولا قرأ ولا وثناً
ولكن أعمالاً خير الله وشهوة خفية » رواه أحمد والبيهقي باللفظ آخر . (٢) ما فسر

أما قول (الله جيد) المعبود الذي واحد وإذا أضيف إلى الله فيراد به نفي الأنداد
والتعدد عنه . ومن هذه المادة الواحد والأحد صفتان لله تعالى ومنها المفرد الذي
لا يشاركه أو ليس معه غيره . وأصل معنى مادة الشرك لغة الخاط واستعمالا الأشرار
بالله وفي اصطلاح المؤمنين الأشرار بالله في ذاته أو ملكه أو صفاته

ثم إذا وزعنا اعتقادات من وصفهم الله بالشرك في كتابه العزيز على هذه الأنواع
الاربعة نجد منظمة (الأشرار في الذات) قائمة في اعتقاد الحلول وهو أنه تعالى شأنه عما
يسفون أفنى أو يفنى بعض الأشخاص في ذاته كقول النصارى في عيسى ومريم
عنهما السلام وقول غلاتنا في وحدة الوجود . وهذا النوع من الشرك عسر التصور
والتعريف حتى عند باطن أهلها ولذلك يسميه النصارى حقيقة سرية ويسميه
غلاتنا حقيقة ذوقية (مرحي)

أما مظنات (الأشرار في الملك) فيدخل تحتها اعتقاد اختصاص بعض المخلوقين
بتفسير بعض الشؤون الكونية كاعتقاد اليهود في ملك الموت وكاعتقاد بعض الناس
بصرف غير الله في شيء من شؤون الكون كقول من يقول : فلان عليه ذرك البر
أو البحر ، أو الشام أو مصر ،

وأما مظنات (الأشرار في الصفات) فهي الاعتقاد في مخلوق أنه متصف بشيء
من صفات الكمال من المراتبة العليا التي لا تنبغي إلا لواجب الوجود جلّت شأنه ،
وهذا النوع أكثر شيوعاً من النوعين الأولين لثلاثة أسباب :

(الأول) كون غير الأحدية والخالقية ونحوها من الصفات الخاصة بالله تعالى
من صفات مشتركة بين المعبود المادى الراشدين تميز الحد الفاصل بين مراتبهم في
المخلوقين وبين مراتبها المختصة به تعالى

(الثاني) ما نطقت به الشرائع من تفويض الله تعالى بمض الأمور إلى الملائكة واستجابة

به الأيمان هو معنى (الإسلام) وعدم ذكر هذا اللفظ يدل على أنه سقط من الأصل
تفسير الأيمان وهو التصديق القلبي بلا تردد وسقط بعده لفظ الإسلام فصارت تفسيره
تفسير الأيمان . (١) فسر العبادة بالمشهور في كتب اللغة وغيرها ولكن استعمال
العرب يدل على أنهم لا يسمون كل تذل وخضوع عبادة وإنما يخصون العبادة بالخضوع
الثاني عن الاعتقاد بساطة غيبية وراه الأسباب المادية

دعاه المقربين وإكرامه تعالى بعض عباده الصالحين ووعد به قبول شفاعة من يأذن لهم بها يوم القيامة فالتبس على الجهلاء التفريق بين هذه وبين التصرف
(الثالث) هو كون المعلم مدرجة طبيعية للإغراق والتغالي ومطية سرية السير لا ياتوي عنها عن تجاوز الحدود إلا برغم الطبع وتوفيق الله . ولذلك قال الرسول
أولو العزم الشدايد في كبح جماح الناس عن شركهم مع الله تعالى في مرتبة
بعض صفاته العاليا وركبوا متون المساعب والمزائم في إرجاع الناس الى حد الاعتدال
وشددوا التكبر على أطراء الناس إياهم وحذروا وأذروا من مقارنة مظان الشرك
حتى الحق الذي يدب ديب التل

وهن المعلوم عندنا ان نينا عليه الصلاة والسلام اث عشر أعوام يقاضي الأهوال
في دعوته الناس الى التوحيد فقط وسعى أمته الموحدين وأنزل الله القرآن ربهم
في التوحيد وتأسس دين الله على كلمة (لا اله الا الله) وجهات أفضل الذكر الحكمة
ان المسلم مهما رسخ في الإيمان يبقى محتاجاً الى نفي الشرك عن فكره احتياجاً مستمراً
وذلك من شدة ميل الانسان الى الشرك ولشدة التباسه عليه ولشدة قربه منه طبعاً
فتسأل الله تعالى الحماية (مرحى) وما هذا خاص بالاسلمين بل منعت الأمم كلها
لم يكذبوا رسالها الكرام الا وقعت في الشرك كقوم موسى عليه السلام فارقهم أربعين
ليلة فأتخذوا العجل (مرحى) (للاجتماع بقية)

باب التفرقة بين التعليل والتعليل

(*) التفرقة الرابعة صمدية اسم

(الجزيرتان - والتعليم بضرب الامثال)

يحسن أحياناً في حوار الأطفال أن يكون فهمهم الحقائق على طريقة ضرب الامثال
سأني «أميل» منذ أيام لماذا وجد في الناس فقراء وبدا لي من «لولا» كثرة
اهتمامها بمعرفة العلة في ان فهم أ
جرى على الالسنه جواب مشهور لذين السؤلين وهو «ذلك ما أراد الله»

(*) معرب من باب تربية اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر

وما كنت لأحبهما إيماناً من التمايل لأنه فيما أرى ليس من شأنه أن يؤدي إلى اذهان الأطفال معنى كبيراً بمدى لذات العافية وما كنت أيضاً لأدخل معها في أعوص مسائل علم الاقتصاد السياسي وأسميها . من أجل ذلك رأيت أن أحسن جواب أخرج به من هذه الحيرة أن أقص عليهم ما قصة فقلت :

روي أنه كان يوجد في مكان سحيق من بحر لست على يقين من معرفته جزيرة بنى فيها الاغنياء قصوراً من المرمر وزرعوا في أرضها بساتين وحدائق ذات بهجة ربوا فيها من الازهار ما يندر وجوده في غيرها واحترفوا بركاً توفيراً لاسباب اللذة ولم يكن في الدنيا ما يبادل زخرف مواثدهم فقد كان يطاف عليهم بسحاف من الذهب فيها أقشار ضخمة طبخت بمرقة سرطان البحر (وهو الذ ألوان الطمام في ذوق « أميل ») وكانوا في لباسهم بالفين حد الافراط في التألق خصوصاً نساءهم وكان أولادهم يلعبون (١) الكعبة في الميادين العامة بكرات من الماس

وأما فقراء تلك الجزيرة فكانوا يمشون حفاة وكانت صباياهم تغدو كل يوم في الشمال من الثياب فتطوف بأبواب الاغنياء التماساً لما ألقاه خدمهم من قمامات مواثد المشية . ولم يقتصر الاغنياء في سوء معاملتهم على استعمالهم في الاعمال الشاقة الممقوتة بل انهم كانوا يحتقرونهم وبلغوا من ذلك الى حد انهم كانوا يحظرون على ذوي الثياب الرثة منهم أن يوجدوا في المنزهات العامة ولم يكن لهذا الحظر من سبب سوى خوفهم على بسط هذه المنزهات السندية أن تدنسها أقدامهم أو خشيتهم أن يكون منظر بؤسهم قذى في عيونهم وهذا هو الاقرب الى الحقيقة

من أجل ذلك كره الفقراء المدينة ذات ليلة وآووا الى جبل ليلاً ثمروا بالاغنياء فكان رأي السبان منهم أن يأخذوا أسلحتهم ويسطوا عليهم وهم نيام في ضاحجتهم ويقتسموا أموالهم فقام من بينهم شيخ حكيم وتربص بهم حتى قررت شفتقتهم ثم قال اياكم أن تعلموا من ذلك شيئاً لأسباب ثلاثة أبتدئها لكم : أولها ان الاغنياء يقوم على حراستهم في صروحهم خدم هم شر منهم وكلاب أضرى من الحراس أنفسهم . ثانيها اني لأعتقد ان سطوكم هذا عليهم وسلبكم لأموالهم يكون من المدل لأنهم قد كسبوا هذه الأموال

(١) الكعبة بالضم والتشديد لعبة : يأخذ الصبي خزقة فيدورها ويجعلها كأنها كرة ثم يتقاصرون بها وتسمى هذه اللعبة في الحضر باسمين فالأخرى يقال لها التون وأما الأجرة فيقال لها الكسة .

التي تحسدونهم عليها أو كراهة الأندلس من وجوه شريفة أو خديعة ثم ملكوها من
بمدتهم بمقتضى قوانين أرى مع كوني لا أدرك كمها كمال الإدراك أنه لا بد أوجودها
من سبب لأن جميع الناس محافظون عليها واضخون لأحكامها حتى الآن. قالها أن ما يجوز أن
ترعوها اليوم من أعدائكم بقلبيكم عليهم يجوز أن يسلبه غداً منكم غيركم بقوته وضمكم
فعلينا إذن أن ن فكر جريماً في اتخاذ وسيلة أخرى. لا بد أنكم سمعتم بوجود جزر
أخرى في البحر غير هذه الخزيرة التي قضى علينا نحن طامعاً بالولادة فيها فتدحكي
لنا فقراء الملاحين اخواننا الذين يحضرون إلى هنا بسيفيتهم مشحونة بالأرزاق ومواد
الزخرف التي يستعملها الأغنياء لهم رأوا غير مرة في أسفارهم أرضين تهب من الماء
مكتلة بالنباتات والأشجار الكبيرة المثمرة ويستفاد من حكايتهم أن إحدى هذه الجزر
مخاية من السكان ولا يبتعد عنها إلا أرادتم حتى تصبح حجة حجة الثمار دائية الحبي فإن
لنا واعد قوية تساعدنا على العمل وهذا إذا ما مع شيخوختي سأكون لكم قاتل وفيه
وامدكم بتداعي عند الحاجة هذا هو رأيي قد أنضيت به اليكم فانظروا ماذا تفعلون .
فقلبي جميعهم أصبحته بالتبول وما علموا أن هاجروا إلى تلك الجزيرة متعاقبين
على سفن واهنة صنموها بعضهم من ألواح خصاصهم قتل الأغنياء فرحاً لغير هؤلاء
الفقراء ولم يستطيعوا كتمان فرحهم بل كانوا يصنعون ويجهرون بقولهم حبذا حبذا
هذا الخلاص

قالما كانت تلك السفن تقل الأشخاص المهاجرين لأنهم كانوا لا يملكون شيئاً
استغفر الله بل أنهم حملوا معهم فيها أدوات عملهم
مضى على سفرهم بضع سنين انقطعت فيها أخبارهم واختلفت أقوال أهل الجزيرة
في شأنهم فمن قائل بأن البحر أخذهم ومن وأخرى بأنهم أكل بعضهم بعضاً. وبنيتهم في
هذه الأوقات انذروا ذات يوم غزوة مشهورة بالمال والرخس والسيوف والنباتات على
ميناء جزيرتهم فلم يلبثوا أن عرفوا من لهجة ملاحها وبعض الملاح وجوههم اسم من
سكانها السابقين وقد أخبرهم هؤلاء الملاحون أنهم آتون من جزيرة أخرى استقامت
فيها أمورهم ونجحت نجاحاً عظيماً لأنهم ما حرتوا الأرض وأحيوا مواتها حتى جعلتها
الحصاد والملاحة والزراعة واللواشي فاعتبر الأغنياء هذه الأخبار من الأساطير وفتحوا
لها قهقهة المجانين .

على أن الملاحين لم يكونوا من الذين في شيء مما قالوا فإنه كان يخرج من أرض تلك
الجزيرة الفقرة على نحو من السحر حقول مكسوة بالزروع وقرى ومدن وطرق

من كان في جزيرة العرب من قبلهم غير وفاق نام لانهم كانوا في غبطة وثناء وقد سيرت
عليهم السكينة وروافدها فاقوا به يرون ابناءهم يدوروا تحت ارقى وألتر منهم . لذلك
كانوا يبكرون بتبليغهم العمل وانشأهم على حبه

أصبح الأمر على خلاف ذلك في جزيرة الاغنياء فكثرت الثروة فيها تنقص من
يوم الى يوم لان سكانها لما كانوا من فرط الكبر والتكسل بحيث انهم يستكثرون ان
يتولوا بأنفسهم حراث الارض لم تلبث ان امتلأت عاقولاً وتمطلت جميع الحرف والصنائع
لفقد مالها وسبع ذلك زوال مواد الزخرف وتداعت الصروح والتصور فلم يجد من
الرجال من يقم مئادها .

فزع الاغنياء في بدايات هذا الانحطاط الى صناعات الجزائر المجاورة لهم فلم يجيوا
دعوتهم لانهم كانوا على بينة مما كانوا ياملون به اخوانهم فلم يرضوا لانفسهم ما قاسوا
هؤلاء من ضروب الاهانة .

ثم ان من تقي في الجزيرة من سكانها كانوا يملكون كثيراً من الذهب والفضة وانهم
اشترؤا من التجار الاجانب كل ما كانوا في حاجة اليه مدته من الزمن ولكن كل كثر لا بد
من نفادها بانما من الكثرة ما باع خصوصاً اذا كان اصله لا يتجدد ومن أجل ذلك لم يمض
الا بضع سنين حتى غابت أموالهم وأنشأوا يندون ولات حين مندم على ما فرط
منهم من القسوة والظلم في معاملة الفقراء .

صاروا الى حالة محزنة جداً فقد نحى عنهم من كانوا يحوطونهم من الخدم والحشم
لمجزهم عن دفع اجورهم وعجزت خيلهم عن جر عجلاتهم لفقدتها من كانوا يشبهون
على تغذيتها واصلاح شأنها وكانت نساؤهم ترى في الشوارع متعلمات نعالاً من الديباج
مشوهة الاعقاب ولا يلبس جلابيب من الحرير المذهب كما يمزق ويخرق لانه ينجل
او تلك السيدات الجليلات ان يرفهن ثيابهن بايديهن فاذا نظر الهم فانظر وهن في هذه
الاهدام بهذا الصلف والعجرفة بمتة حالهن الى الضحك والاستهزاء بهن لو لم يكن
من القسوة والاثوم الاستهزاء بالنساء البائسين ولو كانوا من الاشرار .

وجهة القول ان جزيرة الاغنياء المترفين قد أصبحت جزيرة الفقراء المدمين .
كان القحط يزداد فيها من سنة الى أخرى فقد ضمت الارض عن التحصيل لمدم
ما كان يخدمها من الايدي وكاد الاغنياء يموتون جوعاً في صروحهم ولو لم يتداركهم
او تلك الفقراء الذين اخرجوهم من ديارهم بالافراط في سوء معاملتهم ويساعدوهم
بما فضل عن حاجتهم هللكوا عن بكرة أبيهم .

كان « أميل » كثير الاعتناء الي في حكايتي لهذه القصة وما فرغت منها حتى
 ايندرفني بقوله : « يتفاد من القصة اذن أن العمل هو سبب الغناء والثروة »
 فأجبت ان هذا ليس مطرداً ولكن أقل فائدة له انه ينفي الأمم التي تعرف مناهج
 العدل وتسلكتها . اه

باب الحكمة والأداء

﴿ أحيانا محمد علي وأما خلفه ﴾

نشرنا ما نشرنا في المنار من الخلاصة التاريخية لمحمد علي الكبير وحده وليس فيه تعرض
 لذكر بيت الإمارة (المائة الخديوية) في مصر بمدح ولا فح ولا كنتا لم نعلم من
 عقارب السماء فقد قال المحالون إننا هنا هذا البيت الرفيع وهم كاذبون فإنا برآء
 من اهانة البيت أو اهانة أي فرد من أمرائه . ولكن خواص الناس الذين اتفق لهم
 الاطلاع على خطبة مصطفى بك كامل التي ألفها وضمها وقرأها في الاسكندرية قد
 عجبوا لما فيها من المبالغة والتلو في مدح محمد علي وذك خلفه في الإمارة لاسمها اسماعيل
 باشا ومن بعده . وانما عجبوا — ولا عجب في خطب الأحداث — لما همم بأنه لا يراد
 بالخطبة خدمة لتاريخ ولا تأييداً لامتد ولا تنبيه الأمة الى عمل معين يمكن ان تتمه
 وانما المراد بها ارضاء الأمير الخاضع والتعريف اليه والشهرة بين الناس . ولهم ان
 يعجبوا ممن يحاول ارضاء انسان بقوله أن جدك الأعلى نبي وأنت وأبوك وجدك
 الأدنى هدمتم وجدكم الأعلى أحياء وأنتم أمم وجدكم الأعلى حفظ وأنتم أضعتم .
 فهذا هو ماخص الخطبة ونحن نزيدة تفصيلاً تبرئة للمنار من قول السعاة المحالين انه
 أهان البيت الخديوي الآن وتوجيهاً للأفكار الى هذه المسئلة الحيوية التي هي أم المسائل
 الاجتماعية والسياسية في مصر

كلام الخطبة المؤيد بكلام صاحبها في جريده وسائر قوله صريح في أن الأمة
 المصرية أمة حية قوية عزيزة الجانب مستعدة لأن تبذل من الأمم وتعلموها في كل علم
 وكل عمل وانما يظهر أثر هذا الاستمداد وهذه الحياة اذا كان أميرها ومدير شؤونها

منه اللام يلموه قديراً على الأعداء . ولذلك جاء ما تمخذه علي السكاك من الأقدار وهي على شرف
 حال ، فعمل أيديها أعظم الأعمال ، وصريح أيضاً في أن مصر الآن في ذل وصغار
 وضئف وهوان ، حقوق ومصوبة ، ووظائف مملوكة ، وعتائم مقبورة ، ومنزلة مستورة ،
 ولكنه سكت عن التصريح بالسبب للعلم به مما قبله مع عدم إمكان التصريح به لأن كل
 إنسان يفهم أن السيف الذي يقط الرقاب ويهلق الهام وهو سديء مفضل لا يهجز عن
 ذلك بعد السن والناخذ ، وإن العمل الذي يقدر عليه الإنسان وهو ضئف ومريض
 يكون أندر عليه بعد عود الصحة وتوب العافية ، فكيف دوخت الأمة المصرية الأمم
 أندوية وظفرت نالها من الحرب المستمدة مع محمد علي وأستقامت وختعت للانكليز
 على عهدته فيق ويهان الثاني ، أن هذا المعجب بالسان قال . صغاف بك كامل . ولسان
 سائله بل مشهورم كلامه يقول

• عادة السيف أن يزهو بجومره وليس يعمل إلا في يدي بطل

جاء في السفسفة الزينة من الخطبة ان الأمة المصرية التي فتحت البلاد والامصار وكان
 عددها يومئذ لا يزيد عن ثلث عددها اليوم قادرة على بلوغ غاية المز ... وجاء فيها
 ان محمد علي ما ضرب وغاب وساد ، وأخضع لسانان مصر البحار والبلاد ، الا
 بعقل المصري وبأسه . وجاء في الصفحة الخامسة أنه أخذ مصر « وهي عليقة ضئيلة
 لا حراك بها » ... « فراها بعد عهد الشقاء وزمن البلاء وأيام الحزن والفنن قادرة
 على القيام بأعظم الأعمال . فيها من روح الحياة وقوة النهوض ما يرحزح الخيال
 الراسيات ، وتجر أمامه الشم الثابتات . » ثم ذكر الجند الذي جنده وهو جند الغزاة
 الفاتحين وأنه : « أخرج من أولئك الفلاحين الذين طالما تصرفت فيهم الكوارث كما
 شامت أبعثلاً وشجعاناً اهتزت الأرض تحت أقدامهم إجلالاً وإعظاماً وعجزت
 جيوش العالم عن مجاراتهم ومناظرتهم ، » . وفي الصفحة الخامسة كشف السر عن
 ظهور المصريين بعد ذلك الذل المهين بمظهر الفاتحين القادرين وهو ان (محمد علي)
 الذي أدرك بواسع عقله كنوز هذا الاستعداد في المصريين « لم يترك لليأس سلطاناً
 على نفسه » . كانه يقول ان الامير الموجود لم يدرك هذا الاستعداد بعد ظهوره في
 أكمل مظهر بعمل جده وكان جده رأه وهو كثر مخفي وان هذا ينس من نفسه
 ومن أمته ولذلك لم يتصد للانتفاع بكنوز استعدادها الظاهرة . نعم انه لم يصرح بهذا
 ولكنه قال في أول الصفحة السابعة ان من يعرف جيش مصر وأسلولها في زمن

محمد علي باشا ان حاشا في الدنيا محامداً ايها قاضي القضاة وأحل محلها أمة عادها
 زمان فلم يترك لها ارادة ولم يلبسها غير لباس توهم والاستسلام . فهل يمكن أن
 نغير هذا الحادث الاستثنائي عن رأيه بغير ما تقدم من عدم معرفة الأمير الحاضر
 بقوة الأمة المصرية ورأيه . من نفسه ومنها كيد . والامة في أعلى الدرجات .؟؟
 وكأنه ذكر الاسعول ثم أيضاً بيح البواخر الخديوية على عهد هذا الأمير

بعدهذا نوهت الخطبة (ص ١٧) بالعمال والمصانع التي أنشأها محمد علي في المدائن
 والتجاري وبالعمال الذين زادت بهم البلاد ولم يذكر ان من عدم تلك العمال ومن
 من أهدى هذه الأمة الخيرة من الأعمال بعد ارتقاها فيها . ثم عادت الى التثويد بالقوة
 البشرية والديارية ففي الصفحة التاسعة ان (محمد علي) أحاط مصر بـ من القوة
 والعبية وجمع شملها بعد ان كانت مفرقة فبعثت طائفة من الأئمة والفقهاء وانه
 هو من مصر عقلاً ودياراً وقلباً شاعراً وساعداً تديماً ووجهاً تليداً (كفا) وانه
 جعل المصريين وطناً وأمة وحكومة . اسألوا رابع عن بلوهم وأمنهم عن الوطن
 والشهامة والإقدام وحبهم لهم الفتح والتدبير ورفع عزية المصرية التي كمل صبح
 وتلكان . . فإن ذهبت هذه البرايا ناهواً وبجمل حل محامداً الوهم والاستسلام . كيف
 شجبت من أعلى مكانة مرجع اليها الأمر الى أسفل تهور الأيديهم من الكلام الآن أحفاد
 ذلك الخواص هم الذين لم يردوا الموروث وفرقوا الشمل مجتمع رحوا لآبائهم
 الشهامة والإقدام ، الى ذل ووهم . واستسلام . يدل على هذا ما بعد في الخطبة

جاء في الصفحة التاسعة عقيب ما تقدمت من حكومتنا كانت قائمة على المبادئ
 ثلاثة لا تدوم دولة بغيرها ولا تحيا بمكة بدون احياءها في أول حاجة الوطن من ثبات
 اذ جنبي وساعته ما ياترقيه المصري الى أعلى العظمة
 ثالثاً الامتناع عن الدين واجتنابه كمثل الاجتناب
 يتمسكوا بهذه المبادئ التي لا تدوم دولة بغيرها فليعلم باننا أخذ الدين بالملايين وهو
 أساس الاستعداد كما في (ص ١١) من الخطبة . وتوفيق باشا لم يسمع شكوى المصريين
 حتى ضباط المراكز من ترقية الجرا كنة والاراك (الدخلاء) في الوظائف السامية
 وحرمان أبناء الوطن العزيز منها ثم استعان عليهم بالانكار عندما اجتمع كلمتهم
 وناروا ويمطون أحد المبادئ . الثلاثة . التي زعم حديث السبستان (محمد علي) أقام عليها
 حكومته وأن اسما عيل باننا وتوفيق باشاها اللذان أضاعا البلاد المصرية . وما ناهها وهما

دولة جديدة، وفي هذا الشأن الخطبة، بل إن الأمر ليس كذلك بل هي هار فهم الخطاب من خطبته ما فهمه كل فرد وأم لا، إن كان قلبه من فهم علم يامن مصرانيين في جريدته؟ وإن كان قلبه من غير فهم فكيف يكون هو مؤلف الخطبة ومدتها ولا يفهمها !!!
 وفي الصفحة العاشرة فصل الخطاب في مقابلة الخطبة بين الماضي والحاضر قال
 «مصر اليوم تمثل الاستسلام للإنكليز والترنوخ لسلطته والامتثال لأرادته، وهي هي التي ردت عن انديا تحت اماره محمد علي وفي ظل رايته «تم أتى على الأمة المصرية بواب الإنكليز ما أتى وذكر ان انكليزاه أرادت أن تلذني على هذا الملك، الجديد وهذه الدولة الماشية تم فتحها يومئذ بنو مصر أي أمته وأربابها محمد علي أي أمير هو، «
 فتكرت الثمور والبلاد أسفة على فشلها ما عجزت بها الجهد الباه، والعزم القاهر والوطنية الحقة والهمة الحديدية، فداووق الكلام صريح في أن الذي أرى الإنكليز ذلك العزم القاهر في نفسه وفي الأمة المصرية هو تمدد علي وأنه هو الذي كان امام الأمة في الاستقلال، مفهوما ان أميرها في مصر الاحتلال الحاضر لم يقدر أن يرمي الإنكليز أمير هو، أية أهدافه فاليجب انه هو تسند والامام في هذا الاستسلام»

ولكن أكثر المصريين ان لم نقل كلهم قالوا ان الأمير الحاضر (وفقه الله تعالى) قد نبه مصر بهمة محمد علي وعزمه، وزاد نايه بيته وعامه، ولكنه لم يجد في البلاد ريبلا أشجاب عرائم يعال بهم كما وجد محمد علي، والسبب في هذا هو انقدم في المنار الماضي من كون محمد علي وجد الشجاعة والبرية والتجدة في البلاد فخربها، عارها حتى فئت بمد ولايته في زمن قريب، فمقالة (آثار محمد علي في مصر) التي نشرتها في الجزء الماضي يمكن ان يحتج بها من يعتذر لأمرنا الحاضر (أيده الله) وأذا سلمت هذه التذاتح والذاتب التي ذكرت في الخطبة لمحمد علي فهي حجة علي كل أولاده وأحفاده ويجب ان تبث في نفوس المصريين حب محمد علي وبعض جميع ذريته الحاكمين ومقتهم لأنهم هم الذين أضاعوا استقلال النفوس فضع في أثره استقلال البلاد لاسيما بمد الدين واعطاه الوظائف « للدخلاء »

وان تعجب فمجب سمي بعض الذين يزعمون حب سمو الخديو الحاضر أو سواهم اليه باسم النصيحة بأن يجهد في مقاومة كل صاحب ارادة وعزيمة في مصر حتى قال أحدهم لسموه « اذا لم تقطع هذه الرؤس الثلاثة كما فعل جندك فلا يصفوا لك الملك في مصر » فليتي الله هؤلاء الذين يقدر حون من حيث يمدحون، ويفشون في عين مابه

ينصحون ° ويضرون الراعي والرعية اذا رأوا أنهم يتفهمون °

وعما يصح ان يمدح حجة صريحة في الخطبة على ما تقدم فيها بالمفهوم من ان خلف محمد علي هدموا مابناه . وأمتوا ماأحياه . ما في الصفحة ١٣ من المقابلة بين الامة المصرية . والامة اليابانية ، وتفضيل نشأة الاولى على الثانية والحكم بانها لو سلكت السيل الذي وجهها اليه محمد علي لبلغت من الشأن والشأ ما لا يكتفه كنهه . فاذا وجه الحاكم المطلق الامة الى شيء هو في طبيعتها واستعدادها فن الذي يحولها عنه بعد ذلك الا الحاكم المطلق الذي هو مثله ؟؟ الكلام صريح ، ليس بتعريض ولا تلويح ، هذه هي الخطبة من حيث المقابلة بين الماضي والحاضر ومدح محمد علي وهجو خلفه ولا تترض لما فيها من القلوب والكذب على التاريخ كزعم ان محمد علي وفق بين المدنية المصرية والدين والاسلامي وغير ذلك فمحمد علي لم يكن عالماً ولا فيلسوفاً وانما كان أمياً لا يعرف من علوم الدين ولا من علوم الدنيا شيئاً . وفي الخطبة انه تعلم القراءة بعد الاربعين . ولكنه لم يتعلم من المديثينا وحسينا ما تقدم في المنار من حقيقة امره . نعم اننا لم ننكر انه كان جدياً باسلا وشجاعاً حازماً وبذلك تيسر له ان يكون قائداً لأوائك الشجعان الذين آباد بهم ثم آبادهم

وتقي في الخطبة كلمتان لا بد من التنبه عليهما . احدهما ما جاء في الصفحة ١٥ من انه بقي في مصر من الاستقلال الذي أزاله الانكليز قوة كبرى اليها انتهت وتنهى كل قوة في مصر وهي الساطعة المالية التي استمدت وتتمد البلاد منها كل نجاح وفلاح وهي عرش الخديوية الذي يمثل قوة مصر في ماضيها وآتيها . فهذا الذي يستطيع ان يفهم هذا الكلام . بعد كل ما تقدم من الايهام ، وهل يصح ان يسأل قائله عن رأيه في استعمال صاحب هذا العرش المتولي على هذه الامة الحية لهذه القوة الكاسية أورلاً وتأيها نصيحتي في آخر العملية لأمصريين ان يتركوا اليأس وينبوا بمجدهم المقبل على التربية الوطنية . ليخرج منهم رجال عظام يبدلون ليل الاوطان بالنهار . فهل يريد انه ليس قيمم الآن رجال وهل يريدان يعتمدوا على أنفسهم . لا على عرش الخديوية وقوته الكاسية؟ وهل يمكن ان يعود اليهم مجدهم بدون أمير كمحمد علي الكبير ؟؟؟

كلا انه ذكر التربية الوطنية التي يزعم انه التفرد بالحث عليها وانها الحمية للبلاد ليفهم الناس انه هو محيي الوطن بعد محمد علي ولذلك ختم خطبته بكلمة لم تطبع وهي : اني خذت هنا سنة ١٨٩٦ خطبة كانت من أرها هذا الانقلاب الكبير في التربية والتعليم وسيكون أثر هذه الخطبة أكبر وأعم في تقدم الوطن العزيز فخرج القوم يضحكون من هذا الضرور

﴿مصاب عظيم . بوفاة عالم حكيم﴾

في يوم الجمعة ٦ ربيع الاول أصيب النشق بفقدرجل عظيم من رجال الاصلاح الاسلامي وعالم عامل من علماء المران وحكيم من حكماء الاجماع البشري الا وهو الشاع النشير ، والر حالة الحبير ، السيد الشيخ عبد الرحمن الكواكبي الحلبي مؤلف كتاب طبائع الاستبداد وصاحب سجل جمعية أم القرى ، الملقب فيه بالسيدالقرآني . احتفظت المنية منابته هذا الصديق الكريم ، والولي الحميم ، بل هدمت منا الركن الركين ، وفوضت أقوى الدعائم والاساطين . فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم لو كان الرئاء والتائبين من موضوع انثار ارثيته بما يابق بخطبه العظيم . وما كنت لاستمبر اللدماغ ، لاستمبر القاري والسامع ، ولا لاستمد الرئاء من خيال الشمراء ، ولا الحزن من فؤاد الحناء . وانما استبالي القلب . بمض ما يجد من الكرب ، فانه ما أجزني خطب كخطبه ، ولا أمضني كرب ككربه .

حزني عليه دوره مسلسل مهما انتهى الى التناد انقبا

واكنى أدع الرئاء والتائبين ، لأفانل الشمراء المجدين ، وأذكري المنار ما يليق بموضوعه من خلاصة سيرة هذا الرجل ليعلم القراء منها كيف يبت الشرق الرجال المنظام ، وكيف تضيهم الامم والحكام ، ولكون ذكرى لمن يذكر ، وعظلة لمن يعتبر ، وأبدأ بترجمة الفقيد الرسمية وهي مطبوعة في ورقتين رسميتين احدها مصدق عليها من والي حاب المشير عثمان نوري باشا ورؤساء حكومة حلب يومئذ والثانية مصدق عليها من الوزير رائف باشا والي حاب وهي الاخيرة . وانما أبدأ بالسيرة الرسمية لأنها من مواد استنباط سيرة الاجماعية والسياسية والادبية وهذا تعريباً مانحصاً :

السيرة الرسمية) هو عبد الرحمن أقدي ووالده الشيخ أحمد أقدي من آن الكواكبي ومن المدرسين في الجامع الاموي الكبير والمدرسة الكواكبية وآخر وظيفة كان فيها عضوية مجلس ادارة ولاية حلب وبيتهم من بيوتات المجدو الشرف (خاندان) المشهورة في الاثانة العلية وحاب . ولد السيد عبد الرحمن أقدي الكواكبي في ٢٣ شوال سنة ١٢٦٥ وتعلم القراءة والكتابة في المدارس الاهلية الابتدائية ثم استحضر له أستاذ مخصوص علمه أصول اللسانين التركي والفارسي . وتلقى العلوم العربية والشريعة بمدرسة الكواكبية المنسوبة لأشتره وأخذ الاجازات من علمائها ودرس فيها . وهو يقرأ ويكتب بالعربية والتركية . وقد وقف على العلوم الرياضية والطبيعية

• بين التتوون الحديد للطلالمة والنراجمة . ومن تأليفه تحرير الجريدة الرسمية (فرات) بسمها التركي والعربي من سنة ١٢٩٢ الى سنة ١٢٩٧ . ومنه جريدته الشهية التي أنشأها في حاب سنة ١٢٩٣ وكان هو المحرر لها (خدمته ووظائفه) دخل في وظائف الدولة رسمياً في الثامنة والعشرين من عمره وفي سنة ١٢٩٣ عين محرراً رسمياً بالجريدة الرسمية بسمها (كانه كان في سنة ١٢٩٢ محرراً بصفتة غير رسمية للاختبار) براتب قدره ثمانمائة قرش . وفي ٥ ربيع الاول سنة ١٢٩٥ عين كاتباً فخرياً للجنة المعارف التي تأسست في ولاية حلب (يقعون بالمشي ما كان بدون راتب) . وبعد ثلاث سنين اندست دائرة اللجنة بزيد فيها قسم ثمانية (الاشتغال العمومية) وعين عضواً فخرياً فيها . وفي ٢ جمادى الاولى سنة ١٢٩٨ محرراً للمقاولات (مسجل المحكمة) وفي ١٦ ربيع الثاني سنة ١٢٩٨ صار هامور الاجراء (رئيس قلم المخضربن) في ولاية حاب . وفي ٧ رمضان سنة ١٢٩٨ عين عضواً فخرياً في لجنة امتحان المحامين . وفي ٢١ ربيع الاول سنة ١٢٩٩ عين مديراً فخرياً لمطبعة الولاية الرسمية . وفي ٧ رجب سنة ١٢٩٩ عين رئيساً فخرياً للجنة (قوميون) التابعة وفي ٢٢ ذي القعدة سنة ١٢٩٩ عين باسرة نظارة العدلية (الخذاية) في الاستانة نظراً في محنة التجارة بولاية حاب مع البقاء في وظيفته الاولى (محرر المقاولات) وفي سنة ١٣٠٣ انفصل من هذا الأخير . وفي ٤ رجب سنة ١٣٠٤ عاد الى وظيفته هامور الاجراء وفي ٢٣ رجب سنة ١٣١٠ عين رئيساً للبلدية

الى هنا انتهت وظائف الترجمة الرسمية الأولى وجاء في الثانية بعد ذكر ماتقدم انه في ٢٩ من ربيع الاول سنة ١٣١٢ عين رئيس كتاب المحكمة الشرعية في حاب (منسكاتب) محرراً من مجلس النوادر في دائرة حاب . وفي ٢٨ ذي الحجة سنة ١٣١٤ عين ناظراً ومنتشراً لمصلحة المحمد النسخان (الرعي) الشركة مع نظارة المالية في ولاية حلب ومصرفية الزور وفي أثناء ذلك اتفق مع ادارة المصاحفة وتماقدا على أن يتسلم من المصلحة جميع ما قامه من النسخ (النسخ) الى الولاية والمصرفية بزيادة كثيرة عن القدر المتاد وجميع ما يزرع فيه مامنه ويتولى بيعه وتمهيد في ارباب ذلك بما يقع من المال يزيد عما كانت تباع به المصاحفة دخلها زيادة كبيرة . وفي غضون ذلك استقال من رياسة كتاب المحكمة الشرعية ثم في ٩ ذي الحجة سنة ١٣١٤ أعيد اليها وعين رئيساً للجنة البيع والفراغ (أي استبدال الاراضي الاميرية من أصحاب اليد بالمال) . وفي ٧ ربيع الاول عين رئيساً أولاً لفرقة التجارة في حلب ورئيساً لمجلس ادارة المصرف



توفي في سنة ١٣١٢ هـ الموافق ١٨٩٥ م في القاهرة بمصر. له مؤلفات كثيرة
 منها: «البرية» و«البرية» في ١١ مجلدات، و«البرية» في ٢٢ مجلدات، و«البرية»
 في ٢٥ مجلدات، و«البرية» في ٢٢ مجلدات، و«البرية» في ٢٢ مجلدات، و«البرية»
 في ١٣١٢ هـ. وجهت إليه مولوية أزمير الجديدة، وفي ٢٨ من جمادى الثانية أعطى
 الوسام الحيدري من الأربعة الثلاثة اهـ

ان من ينظر في هذه الترجمة الرسمية يوم من عداق المترجم ولا يسير في هذه
 الوظائف العلمية لادبية الإدارية الفاعية الختوية لتجارية الزراعة المسالية يقول ان
 صاحبها من أوساط الناس لافراد الرجال الذين يعدون من علماء الاجتماع وأركان
 العمران ويهذبون الأمم كما وصف في فقرة الدول ولكن من يعلم انه في كل عمل منها
 اية بنسة في إتقان العمل وحكمة التعرف بها. كيف يحسن رجل هذه الاعمال
 للتبليغ. وأذا وقت بعد ذلك على بعض سيره في المزة وقوة الإرادة وعلم ما كانت
 تسمو إليه نفسه ويرسي اليه فكره وفرايضه. جانت به قرينته الوقادة، وفكرته
 المتبادر، علم أنه من أفراد الرمان، وانما ماذا كان يرسى منه وسام الزمان والمكان،
 وانما نال بشئ مما وقضا عليه من سيرته في مدة تحبته في هاتين السنتين اللتين
 أقامهما في مصر

(أدبه وأخلاقه) توفيت والدة الفقيد وهو في أول سن التمييز فعهد والده
 بتربيته الى خالة له (من بيوتات النفاكية) من نوابغ النساء اللواتي قلما يعرف مثلهن
 التمرق لاسمها في هذا الزمان كانت تعرف بالعقل والكياسة والدهاء والأدب البارع
 فنشأه على أدب اللسان والنفس فكان من أخلاقه الراسخة الحلم والأناة والرفق
 والزاهدة والمزهد والشجاعة والتواضع والشفقة وحسب المنفعة. وفسد كنت كئيب من
 عرفه ممجبا بآنانه حتى كنت أقول اني أراه يتروى في رد السلام وينمك في جواب
 من يجيبه عدة نوانٍ ولا اكاد أعرف أخلاقاً أعصى على الانتقاد من أخلاقه ولقد كان
 لسان الحال يصفه بقول بن دريد

يعتصم الحلم بجنبي حُبوتي اذا رباح الطيش طارت بالحبي
 * لا يطيبني طمع مدني اذا استمال طمع أو اطمعني *
 والحلم خير ما اتخذت حبة وأنفس الأبراد من بعد التقي

(علمه ومعارفه) يزيد على ما جاء في السيرة الرسمية ان الفقيد درس قوانين الدولة
 درساً دقيقاً وكان محيطاً بها يكاد يكون حافظاً لها وله انفراد عايبا يدل على دقة نظره في علم

اسمهم وانهم يعرفونها باسمها فلهذا يسمى الله الامم المتحارفين ولا أعلم انه يرتقي في
 أو يلم نفسه من أي شيء بل هو من الله عز وجل في كل شيء من حيث شاء
 الاسم ما كان به عماداً أو أثماً أو تعالماً من لان يتجمع فعلاً لا يتخار من الذين يعرفون
 في أعمالهم . الا تراهم انتم الذين تعلمون في طبائع الناس انهم لم يكتبوا في اياهم
 في الشرق ولا في الغرب في شيء من هذه الامم من كثيرين طم الغلاخ واسع في مؤلفات
 فلاسفة الغرب وكتابه . . . على ان الغرب لم يعلم شيئاً من علومهم انفس . الا فلاسفة
 والسياسة وطبائع المال والفلسفة في تاريخهم وانما يسهل في علم العلوم ما ظالمه في
 من المؤلفات والجزائد التركية والبرقية
 يفوق فيه الحكاه والفلاسة في علمها يا ترى في علمها السلام البشري وما تلاها
 كيف يكون اثره لو تربي وتعلم في هذا من منطقتهم مدارس أوروبا والاسية وكان
 عنده من مواد العلم ومعرفة الامة والحكام به برفعة مناجه مثلما في أوروبا
 انك لم تكن تذاكره في شيء ولا تعلم الا ويشاركك فيه على بصيرة

(عماله ووجهه) كانت وجهة التقيد في كل عمل أو محاولة هي المنفعة المادية فأول شيء في الامة
 وجهه هو انشاء جريدة في بلادهم تكن تعرف الجزائد الاهلية ولم تكن بضاعة الكتاب راجحة
 فيها ولو كان في بلادهم حرية للجزائد ان كان في (الاسية) الأثر الخبير ولو كان في بلادهم
 يحكم بالاستبداد كالارض النوبولانغيا في البرقية
 الذين انشأها لأن نفسه الالية لم تسطع ارضه الحكم فيما يكتب . وهكذا كان شأنه في
 وطنه ولي رئاسة البلدية فكان أول من عمل للبلديات وسرع على طرفة المدينة
 من خارجها اسلاسل من الحديد تمنع الحلال التي كان في تلك العورات وتتمنع الذين
 من التردد في حوائجهم لهذا انما كان يحمل الى البلاد
 مندورة وكانت هاتين (البلديات) قدسيت في راسد من الانبياء أخذها
 من البلدية بالانزاع ولا يتر على الزيادة في أحد القرية من الرؤساء فلما علم ان
 الرئيس الجديد لا يصدق القريه عرض عليه أربعين ألف
 قرنس أو أكثر يعطيه اليها (رؤساء) كل عام في مقابلة سكرته عنه فلم يقبل الفقيد
 أن يأخذ لنفسه شيئاً ولكنه قبل أن يكون المبلغ الله اعلمه صدوق البلدية فعمل الوالي
 بهذه الزيادة في الصندوق وسمى في أن يكون لهم منها قاضي عليه انفق ذلك فمزله .
 وهكذا كانت سيرته مع الحكام في كل وظائفه أو جاهها فيصدمونه
 عنه لأجل منفعة مالية أو لتقليل نفوذه فلا يتم له عمل (لهابية)



فبشر عباده الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

الملك
١٣١٥

يوتى الملكة من يشاء ومن يوت
الملكة فقد أوتى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و « مناراً » كنفار الطريق ﴿

مصر في يوم الاثنين غرة ربيع الثاني سنة ١٣٢٠ * ٧ يوليو (حزيران) سنة ١٩٠٢

﴿ باب العقائد من الأمالي الدينية ﴾

(الدرس ٣٥ — عدد الأنبياء ومواطنهم وتعددتهم)

(المسألة ٩٦) عدد الأنبياء والمرسلين روي في عددهم أحاديث لا يحتاج بشيء منها ومنها الضعيف والموضوع وأمثها مارواه أحمد والطبراني وابن حبان والحاكم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء عن أبي أمامة قال : قلت يا رسول الله كم عدة الأنبياء ؟ قال « مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل من ذلك ثلاثمائة وخمسة عشر جماً غيراً » وفي رواية للحاكم والبيهقي عن أبي ذر « والمرسلون ثلاثمائة وثلاثة عشر و آدم نبي مكلم » . ومن حديث أنس عند الحاكم وابن سعد أن الأنبياء ثمانية آلاف ويفهم منه أن المراد بهم المرسلون وفي حديث جابر عند ابن سعد وأبي سميد عن الحاكم « إني خاتم ألف نبي أو أكثر » ولعدم الثقة بهذه الروايات قال العلماء بالوقف في مسألة عدد الأنبياء لأن القائل بعدد يكون نافياً لما زاد عنه فهو كالكذب بالزائد وما يدريه لعل هناك زيادة . هكذا قالوا وأقوى منه أنه قول علي الله بغير علم فهو من الكذب عليه جل ثناؤه ومن اتباع الظن في الأمور الاعتقادية « وان الظن لا يغني من الحق شيئاً » . وقد قال تعالى لنبيه « مِنْهُمْ مَنْ قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَنْ لَمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ » فحسبنا من المدد ما قصته الله تعالى في القرآن أن الرسل الذين ذكروا في القرآن يجب الإيمان بهم تفصيلاً . قال تعالى « وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَنْ نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ . وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِنْ قَبْلُ ، وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ

ويوسف وموسى وهرون وكذلك نَجْرِي الْمُحْسِنِينَ. وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى
 وَإِيَّاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا
 عَلَى الْعَالَمِينَ» فهذا هو تفضيل النبوة والرسالة يفضلون به سائر الناس. وقد
 وردت هذه الأسماء متصلة على هذا الوجه. وقال تعالى: «واذكر في
 الكتاب إدريس إنه كان صديقاً نبياً» وقال جل جلاله في ذكر قصص
 المرسلين «وإلى عاد أخاهم هوداً» وقال «وإلى ثمود أخاهم صالحاً» وقال
 «وإلى مدين أخاهم شعيباً» أي وأرسلنا إلى عاد أخاهم هوداً ومثله ما بعده
 وقال تعالى «واذكر إسماعيل واليسع وذا الكفل وكل من الأخيار»
 فذكر ذا الكفل بين الأنبياء. ولم يبق إلا ذكر الفاتح وهو آدم والخاتم
 وهو محمد عليهم الصلاة والسلام وذكرها في القرآن مستفيض

(م ٩٧) معاهد الأنبياء ومواطنهم: إن المعروف من تاريخ هؤلاء
 الأنبياء الكرام يدل على أنهم كانوا كلهم أو جلهم من بلاد العرب وما
 يتصل بها من الشام وفلسطين والعراق كأن هذه القطعة الصغيرة من
 الأرض التي يكون منها القاء وس الهندى والبحر الأحمر والبحر المتوسط
 شبه جزيرة هي منبت الأنبياء والمرسلين من بعد آدم أي من عهد نوح
 إلى عهد محمد عليهما الصلاة والسلام. وكان الله تعالى اختص أهلها بالهداية
 دون سائر خلقه وإن القول بحصر النبوة والرسالة في هذه البقعة لمن
 أقوى شبه الملاحدة على الدين وهو يناق ما تقدم في بيان وجه الحاجة
 إلى إرسال الرسل فيمكن أن يبطلوا ذلك بهذا إن صح وقد حملهم مارأوا
 في كتب اليهود والنصارى من حصر الأنبياء في بلاد فلسطين والشام وما

جاورها على البحث في أخلاق أهل هذه البلاد وطبائعهم وعاداتهم فزعموا أن عند خواصهم استعداداً خاصاً للقيام بالدعوات الدينية والمذاهب والرياسة الروحية وأن عند عوامهم استعداداً لإجابة كل داعٍ واتباع كل ناعق قالوا ولأجل هذا حدثت الأديان والمذاهب والفرق في هذه البلاد دون غيرها هذه الوسوس لا منفذ لها إلى قلب من يفهم القرآن فقد قال جلّت حكمته « إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ » فهذا نصٌ قاطع صريح في أن هذه الرحمة الإلهية والهداية السماوية كانت منحة عامة لجميع الأمم في كل بقعة من بقاع الأرض. وإنه لقولٌ فصل ، تصافح فيه العقل مع النقل ، فإن قيل لِمَ لَمْ يذكر في بيان هذا الإجمال بذكر الأنبياء والمرسلين نبيّاً أرسل في الهند أو الصين أو أوربا أو أميركا ؟ نقول إن ذكر الأنبياء لم يأت بياناً لإجمال في هذه الآية وإنما أتى لبيان سنن الله تعالى في الأمم مع أنبيائهم لأجل العبرة المنذرين . وتثبيت المرسلين ، قال تعالى « لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَى الْأَلْبَابِ » وقال « وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ » وكل من العبرة والتثبيت إنما يكون بما هو معروف ولو بوجه ما ولذلك تكرر ذكر الأنبياء الذين تعرف أقوامهم أو بلادهم بالتفصيل أكثر مما لا يعرف إلا بالإجمال . ويكفي ذكر آية واحدة لبيان أن رحمة تعالى لمباده بإرسال الرسل لهدايتهم عامة لأن جميع الخلق عيال الله تعالى وهو بهم رؤوف رحيم . أرأيت لو جاء هذا النبي العربي قومه بذكر نبي كان أرسل في أميركا منذ مائة ألف سنة مثلاً وذكروا لهم بعض شأنه معهم أكان يحصل لهم من العبرة بعض ما حصل من أخبار أمة اليهود ، وخبر صالح في ثمود ؟

كلا إن ذكر الجمهور المطلق يحمل على التخيل والاختراع ، ويقول الناس في أمثالهم : إذا أردت أن تكذب فأبمد اليهود . ولذلك كان يأمرهم أحيانا بسؤال اليهود ، ونزل في قصة ثمود ، « وإنكم لتمرون عليهم مصبحين وبالليل أفلا تعقلون »

وما يدرينا أن كونفشيوس كان نبياً مرسلًا إلى أهل الصين ، فإن آثار هدايته وحكمته لم تمح بالمرّة وكذلك يقال في بوذة فإن قيل يوجد في عقائد القوم ما يحكم الإسلام بأنه لا يمكن أن يكون من دين الله لاسيما ما في الديانة البوذية من الشرك بالله تعالى ؟ نقول أليس يوجد في عقائد من صرح القرآن الحكيم بأن كتبهم سماوية ، وديانتهم إلهية ، أمثال هذه العقائد التي يعدها الإسلام وثنية ؟ فما يدرينا أن هذا دخل على القوم بالتأويل والتحريف كما دخل على من بعدهم إلى يومنا هذا « ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله وما نزل من الحق ولا يكونوا كالذين أوتوا الكتاب من قبل فطال عليهم الأمد فقست قلوبهم وكثير منهم فاسقون » إذن إن طول الأمد على البعثة مظنة الفسوق عن أمر الله تعالى والمعبر بين أيدينا وعن أيماننا وشمائلنا ، فألهمنا اللهم رشدنا

فإن قيل : إذا جوزتم أن تكون الأمم التي سبقت لها آداب سامية ، ومدنية زاهية ، قد استمدت ذلك من الديانة السماوية ، كما قلت في الأمة الصينية ، فما هو الحكم في الأمم الهمجية التي لا يكاد يفصلها عن الحيوان الأعجم إلا بدو البشرة والضحك بالطبع كـ بعض زنوج أفريقيا وسكان بعض جزائر القاموس المحيط الأعظم ؟ إن قلتم إنه يمت فيهم أنبياء فأين آثار هدايتهم في الأمة ؟ وإن قلتم لما يرسل إليهم رسول فأين العموم في قوله

تعالى « وإن من أمة لا خلا فيها نذير » فالجواب أن الله جلت حكمته خلق هذا الإنسان وجعل كماله الوجودى بالارتقاء التدريجى فى عمله بالكون وعمل الكون به فكما استمد لمرتبة من مراتب ذلك الكمال أعطاه إياها فهو يأخذ دائماً بقدر استمداده . وإطلاق القول فى العموم والخصوص يراعى فيه قيد ما عرف فى نظام الوجود أنه شرط له فإذا قلنا إن الأئمة تلد أو كل أئمة تلد فالمراد أنها تلد فى سن الولادة وبشرطها الوجودى فلا يتقضه كون الصغيرة لا تلد . فإذا فرضنا أن المسئول عنهم لم يظهر فيهم مرشد ينذر قومه بما يعطيه الإلهام الإلهى من المعرفة سوء ما هم فيه من إفساد ويدهم على الحق وطرق الإصلاح فلا شك أن ذلك لعدم اعتمادهم لفهم الحق ومعرفة الخير من الشر

على أن عدم ارتقاءهم فى المدنية لا يدل على أنه لم يظهر فيهم نذير ولا مرشد لأن الناس فى كل عصر لا يستفيدون فى هداية الأنبياء إلا بقدر اعتمادهم فكم من نبي لم يؤمن به إلا النفر القليل كما ورد فى نوح عليه السلام . وكم من نبي لم يؤمن به أحد كما قال تعالى بعد ذكر قصة نوح « ثم بعثنا من بعده رسلاً إلى قومهم فجاءهم بالبينات فما كانوا ليؤمنوا بما كذبوا به من قبل » وأكثر الأنبياء قد درست آثارهم فى الشرق حتى أن صحف إبراهيم لم يحفظ منها شيء وهو أبو الأنبياء وخليل الرحمن والذي حفظت له الذكر الحسن جميع الأمم المؤمنة لأنها كانت قد ارتقت وصار فيها من يعرف قدر العظماء ويحفظه ولأن النبوة تسلسلت فى ذريته با اتصال فهل ينكر مع هذا أن لا يحفظ للأنبيا الذين يظهر ون فى الأمم الجاهلة المحجبة أثر ؟

(م ٩٩) ارتقاء الدين جرى الدين فى سنة الارتقاء وكان كماله فى الشرق

وذلك من عهد إبراهيم إلى عهد محمد خاتم النبيين فالأنبياء ليسوا أسواء في إصلاح الأمم في عقائدها وأعمالها وآدابها وروابطها الاجتماعية لأن الحاجة إلى الإصلاح تختلف باختلاف الأمم والأقوام فالبدو وأقل من الحضرة ضللاً في الفكر وأقل علماً لأنهم أهل فطرة لم تتحكم فيها المذاهب الوضعية والآراء النظرية وأقل فساداً في الأخلاق والآداب لاجتماعهم وبعدمهم عن الترف وليس في البداوة من الشئون الاجتماعية مثل ما في الحضارة فتحتاج إلى ما تحتاج إليه من الشرائع المدنية والقضائية والسياسية .

كان الناس على بساطتهم وسلامتهم فطرتهم فمادب فيهم الفساد لم يفسح إلا بالتدريج فكان يظهر فيهم الشرك في العبادة وهو التوجه إلى شيء من المخلوقات يكون صلة بينهم وبين الخالق الذي تشعر به فطرتهم، ولا يحيط به علمهم ولا تحده مخيلتهم، ويفشو فيهم بعض الشرور فيظهر الله فيهم واحداً منهم كبير العقل زكى النفس بلهم قلبه ويوحى إليه أن يندمهم العقوبة على ظلمهم وينهاهم عن الشرك والرديلة ويأمرهم بضدهما وبذلك تستقيم حال من أطاعه لأن هذا الذي طرأ عليهم هو الذي يطفى نور الفطرة بالتمادي فيكون الإنسان به شيطاناً مريداً . ألا ترى أن من الأنبياء من لم يذكر له القرآن إلا الدعوة إلى التوحيد فقط . ومنهم من ذكر له النهي عن معصية كانت فاشية فكان يدعو إلى التوحيد وينهى عنهما دائماً كما جاء في قصة لوط من النهي عن الفاحشة دائماً . وكتقوله تعالى في رسالة شعيب عليه السلام « وإلى مدين أخاهم شعيباً قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ولا تنقصوا المكيال والميزان » ثم حكى عنه « ويا قوم أوفوا المكيال والميزان » . فيفهم من تكرار ذلك أن المقصود الأعظم من رسالة شعيب عبادة الله تعالى وحده

وإيفاء الكيال والميزان لأن قومه كانوا مُطَفِّفِينَ (كما كثر الباعة في مصر لهذا العهد) إذا كُتِلُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ وَإِذَا كَالُوا كَالُوا أَوْ وَزَنُوا يُخْسِرُونَ ولم تكن رسالة موسى بهذا الاختصار فقد كانت لها شريعة واسمة وفيها هجرة وحرب لأن معيشة الحضارة وحكم الاستبداد أترا في بني إسرائيل تأثيراً أفسد طباعهم من جهة وجعلهم مستعدين لحياة مدنية فاضلة من جهة أخرى فكانت هدايتهم أصعب .

(م ١٠٠) تعدد الرسل ومراتبهم : كان الناس أمة واحدة على فطرة الله التي فطر الناس عليها وذلك عند ما كانوا على البداوة التي هي أقرب إلى الحياة الفردية منها إلى الحياة الاجتماعية فقضت سنة الارتقاء أن يزيدوا اجتماعاً بالتدرج فكانت بعد البيوت والأمر العشائر والفصائل والقبائل والشعوب والأمم . وكانوا كلما ارتقوا درجة في الاجتماع تقوى فيهم الأطماع التي يقتضيها التنارع في الحظوظ ويكونون في حاجة إلى علم واسع بالمصالح والمنافع المشتركة . وكان يظهر فيهم عند الدخول في كل طور من هذه الأطوار هداية يرسدونهاهم إلى ترك الضار بأنفسهم منفردة ومجتمعة ويدلونهم على ما به تسلم أرواحهم من الفساد في الاعتقاد والأخلاق وفي ذلك سمادة الدنيا والآخرة . وبهذا وما قبله يعلم أن المقصود من بعثة الأنبياء والمرسلين واحد في الجملة وأنه يختلف في تفصيله باختلاف أحوال الأقسام وإن أولئك الهداة المصلحين لم يكن سبوا علم إصلاح الأمم اكتساباً بالتعليم وإنما كانوا ممتازين بفطرتهم السليمة عن قومهم امتيازاً كانوا به على علم بالإصلاح ضروري عندهم سمي لحفاء منشأه وسرعة حدوثه في النفس وحيها (راجع الكلام على الوحي في المسألة ٦٢ من الدرر المشرين - ٢٥٢ : ٤)

وكان علمهم مؤثرا في النفس باعنا لها على العمل به لانه وجداني
إلهي لامن استنباط التصور والفكر الذي يصحبه الشك والتردد أي
انه كان يقع في قلب صاحبه ومعه علم آخر وجداني وهو أنه من الله تعالى
سواء نزل على القلب في اليقظة أم في المنام .

و نتيجة هذا وذاك أن علم الرسل وأعمالهم متفاوتة بحسب أحوال
أممهم وبذلك فضل الله بعضهم على بعض ورفع بعضهم درجات وسمى بعضهم
أولى العزم ومنه ومن اختلاف اللغات في الأقوام يعلم أنه الرسل قد
يتمددون في زمان واحد بين أقوام ولو متجاورين وقد يتمددون في
أمة واحدة للتماون كموسى وهرون في بني اسرائيل . واذا كان فضل بعض
الرسل على بعض يكون بحسب حال الأمم التي بعثوا اليها وما يستلزمه
إصلاحها من العلم والعمل فهو سي جدير بأن يكون أفضل من صالح وشعيب
والرسل الى الخلق كافة أفضل من المرسل الى أمة معدودة . وبهذه المناسبة
ومناسبة كون إرسال الرسل كان على حسب حاجة البشر الى الاصلاح
الروحي والاجتماعي تتكلم في الدرس الآتي عن ختم النبوة وخاتم النبيين
عليه أفضل الصلاة والتسليم

(ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر)

بقلم الشيخ أمين أفندي عز الدين من اهل العلم والادب في طرابلس الشام ونزيل مصر الآن
صدق الله العظيم وكذب هوس الناس : تقوم أمام المحراب تماثيل
بشرية يحرك حكم العادة أيدينا بالتكبير والسننتنا بالتلاوة والتسبيح ويحني
ظهورنا للركوع ويثني عظامنا للسجود من غير أن يلم بنا شعور بهذه

الأوضاع أو يفعل في أنفسنا تأثير من تلك الأعمال فضلاً عن نظر في مقاصدها وتوجهه إلى غاياتها ونحسبها من الصلاة التي قال فيها رب محمد صلى الله عليه وسلم : « إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » ونحن مشمرون للفواحش عن ذراع سبحانه الله نحن ما نحن مصلون .

الصلاة ما جعلها الله أفعالاً ميةً وأوضاعاً جامدةً تقصد لذاتها ولكن جعلها مظاهر سكرية ومواقف خضوع تؤذن الناس أنها شعار مناجاة بين العبد وبين ربه كل يوم ليكون هذا الإنسان على نوع من ذكر الله تعالى في معارك معاشه ومعامع حياته وفي الآخرة أعد الله له أجراً عظيماً .
تعالى الله أن يكلف قلوباً غلفاً ونفوساً جافاً باختلاجات عضوية فارغة الإناء ثم يعد لقاءها حسن الجزاء .

الصلاة أفعال مخصوصة ذات أركان معلومة جعلها دين الله الإسلامي مرقاة لمرآة المعبود أنزلت من السماء مائدة تحمل للأرواح غذاءها من العالم النوراني كيلا تضل في الغربة ويتغاب عليها سلطان الشهوة الذي يأتيه رزقه من مطاهي هذه الطبيعة كل يوم . خلق هذا الإنسان عالمين متباينين لكل منهما مطالب تناسب طبيعته وتلائم درجته في الوجود . أحدهما: مادي كثيف حكم الله عليه أن يتكفف هذه الطبيعة في وجوده وبقائه والثاني: أثري لطيف يستمد وجوده من النور القدسي ويستفيض بقاءه من النفحات الإلهية فالأول جسم والثاني روح .

تناول الجسد وجوده من هذه البسائط الأرضية فحرت عليه قوانين الطبيعة واعتورته أحكام المادة من قوة وضعف وزيادة ونقص وتحال وتركب وأصبح من أجل ذلك في حاجة شديدة لتمويض ما استلبه

منه نواميس التحليل مثلاً يمثل وجنساً بجنس وذلك غذاؤه وأما الروح فهو وإن كان آمناً على وجوده من غارة الفناء وانحلال الأجزاء إلا أنه هبط من السماء وله مع العالم المادى شئون يريد كل من المتجاورين أن يكون هو المتغلب ليتمكن من امتلاك هذا الهيكل الإنسانى فيستتميه فى أمياله ويتصرف فيه كيف يشاء ومن ثمة كان الروح مضطراً أن يستمد من عالمه العلوى ما يتقوى به على التغلب أو يحفظه به مركز استقلاله وهذا هو غذاؤه، متى تمت الغلبة للروح رفرفت بهذا الإنسان إلى مهادها الأولى فى مظاهر الملكوت ومصاف الملكية وأذنت له أن يتصرف بما فى آفاته من الكونيات المادية إلى حيث يحملها من خدم شئونه الحيوية على عكس من الجسد إذا تسنم ضوء القلب واقتمد سرير السلطة فإنه يهبط بالإنسان إلى عالمه فى الدرجات السفلية وبرزخ المعجم من الحيوانات إلى حيث تترفع الطبيعة أن يمسا بكفه تصرف أو تمكنه من وطر ، فأى الطريقةين خير ؟

أراد الإسلام بهذا الإنسان خيراً فحتم عليه فى سائر أحواله أن يجيب مطالب عالمه الروحى ويتقاعس عن مشتريات عالمه المادى ما استطاع ودعاه أن يقف بين يدى ربه سبحانه وتعالى خمس وقفات فى اليوم يناجيه بهيئة الذل وشمار الخضوع بحيث ينبذ ما سواه فى المراء ليتأهل لقبول الفيض الإلهى الذى هو لروحه غذاؤه تتقوى به وتعتمد عليه فى مناوراتها مع جسم والمادة وتلك هى الصلاة التى تنهى عما تنهى وتقرب إلى الله زانئ تلك التى كفسكفت جبروت أولئك القوم الجاهلية فى ربح من الزمن وهى التى كان مؤمن القلب فى القرون الغابرة يتخيب فيها عن

مشاعره بحيث لم يكن يشمر بالفواجع الخطرة والمؤلمات الجسدية ولو كان في هذه نشر عظمه أو عرق لحمه وما هو تاريخ حياة القوم كانوا يملون أو الصلاة ماهية دعواتها الخشوع . كانوا يملون أن ما فيها من الاعمال انما هو ركن ثانوي يقصد به تمثيل الخضوع القلبي على الجوارح ليشارك السر والملائية في التذلل والسكينة فطفقوا يصلون متجردين عن المشاغل الفكرية وهو السبب فيما يبلغنا عنهم من الغيبة عن مشاهد الكون في خلال الصلاة أما نحن فانا ذهبنا إلى ان الصلاة انما هي تلك الاعمال الظاهرية لا تدخل فيها الخشوع ولا يعنى فيها خضوع وأقبلنا نجزيء بتلك الوقفات الجمادية والاختلاجات اللسانية وهي لا تصدقنا عن فحش نأتيه ولا تنهانا عن منكر نعمله فهل تخالف قول القرآن أم نحن لم نكن مصابين ؟ زعم أننا لم نحاطب خطاب التكليف بتلك الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر حيث فهمنا أنها هي الكاملة ويكأن القوم لا يماقون اهل أمر الله إذ أمر باقامة الصلاة ان تكون ناقصة أم دلت الاقامة في قوله تعالى (اقيموا الصلاة) على ذلك المعنى الناقص ؟

استغفر الله . قال صلى الله عليه وسلم الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك . اللهم ما هو لاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً

﴿ الملائكة والنواميس الطبيعية ﴾

سأل سائل : اذا كانت الملائكة هي عبارة عن القوى المعنوية . والنواميس التي بها نظام العوالم الحية . فما معنى « يوم يقوم الروح والملائكة صفاً » وأمثاله ؟ والجواب : ان الذي تقدم في التفسير هو ان الملائكة عالم مستقل مستر عنا وانما كان ذكر القوى والنواميس الطبيعية جذبا لمنكري الملائكة الى التصديق لأن بعض ماورد يوافق ما يعتقدون فكيف يكفرون لاختلاف الالفاظ لأن الكلام كان ارجاعا لنصوص الدين الى أقوالهم

﴿ القسم العمومي ﴾

نموذج في كتاب دلائل الإعجاز للامام عبد القاهر الجرجاني وهو يطبع الآن

فصل

(في الكلام على من زهد في رواية الشعر وحفظه . ودم الاشتغال بعلمه وتقبه)

لا يخلو من كان هذا رأيه من أمور (أحدها) أن يكون رفضه له

وذمه إياه من أجل ما يجده فيه من هزل أو سُخْفٍ وهجاء وسب وكذب

وباطل على الجملة (والثاني) أن يذمه لأنه موزون مقفى ويرى هذا بمجرد

عيياً يقتضى الزهد فيه والتنزه عنه (والثالث) أن يتعلق بأحوال الشراء

وأنه غير جميلة في الأكثر ويقول قد دُمُوا في التنزيل ، وأى كان من

هذه رأياً له فهو في ذلك على خطأ ظاهر ، وغلط فاحش ، وعلى خلاف

ما يوجب القياس والنظر ، بالضد مما جاء به الأثر ، وصح به الخبر .

أما من زعم أن ذمه له من أجل ما يجده فيه من هزل وسُخْفٍ وكذب

وباطل فينبغي أن يذم الكلام كله . وأن يفضل الخرس على النطق والمعنى

على البيان . فنتصور كلام الناس على كل حال أكثر من منظومه والذي

زعم أنه ذم الشعر بسببه وعاداه بنسبته إليه أكثر لأن الشراء في كل

عصر وزمان ممدودون . والعامّة ومن لا يقول الشعر من الخاصة عديد

الرمل . ونحن نعلم أن لو كان منشور الكلام يُجمَع كما يُجمَع المنظوم . ثم

تمدّ عامدٌ فجمع ما قيل من جنس الهزل والسُخْفِ نثراً في عصر واحد

لأرنبى على جميع ما قاله الشراء نظماً في الأزمان الكثيرة وانقره حتى

لا يظهر فيه ، ثم إنك لو لم ترو من هذا الضرب شيئاً قط ولم تحفظ

إلا الجِدَّ المحض وإلا ما لا يعاب عليك في روايته وفي المحاضرة به وفي

نسخه وتدوينه لكان في ذلك غنى ومندوحة ولو وجدت طلبتكم وولت
مرادك وحصل لك ما نحن ندعوك اليه من علم الفصاحة فاختر لنفسك
ودع ما تكره الى ما تحب (هذا) وراوى الشعر حاك وليس على الحماكي
عيب، ولا عليه تبعة، إذا هو لم يقصد بحكايته أن ينصر باطلاً، أو يسوء
مسلماً، وقد حكى الله تعالى كلام الكفار فانظر إلى الفرض الذي له روى
الشعر ومن أجله أريد وله دون تعلم أنك قد زغت عن المنهج وانك
مسيء في هذه المداوة وهي المصيبة منك على الشعر. وقد استشهد
العلماء لغريب القرآن وإعراجه بالأبيات فيها الفحش وفيها ذكر الفعل
التبجح ثم لم يعبهم ذلك إذا كانوا لم يقصدوا إلى ذلك الفحش ولم يريدوه ولم
يرووا الشعر من أجله. قالوا وكان الحسن البصرى رحمه الله يتمثل في
مواظفه وكان من أوجعها عنده:

﴿اليوم عندك دلها وحديثها وغداً لفيرك كفها والممصم﴾

وفي الحديث عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه ذكره المرزبانى فى
كتابه باسناد عن عبد الملك بن عمير أنه قال أوتى عمر رضوان الله عليه
بجمل من اليمن فأتاه محمد بن جعفر بن أبى طالب ومحمد بن أبى بكر
الصدىق ومحمد بن طلحة بن عبيد الله ومحمد بن حاطب فدخل عليه زيد
ابن ثابت رضى الله عنه فقال يأمر المؤمنين هؤلاء الحمدون بالباب
يطلبون الكسوة فقال ائذن لهم يا غلام فدما بجمل فأخذ زيد أجودها
وقال هذه لمحمد بن حاطب وكانت أمه عنده وهو من بنى لؤى فقال عمر
رضى الله عنه أيتها أيتها وتمثل بشعر مُمارة بن الوليد:

أسرك لما صرع القوم نشوة خروجي منها ما لما غير فارم^(١)
 بريثاً كأنى قبل لم أك منهم وليس الخداع مرتضى في التنادم
 رُدّها ثم قال اتنى بثوب فأنته على هذه الحلال وقال أدخل يديك
 نخذ حلة وأنت لا تراها فاعطهم : قال عبد الملك فلم أر قسمة أعدل منها .
 وعُمارة هذا هو عُمارة بن الوليد بن المغيرة خطب امرأة من قومه
 فقالت لا أتزوجك أو تترك الشراب فأبى ثم اشتد وجده بها فخاف لها
 أن لا يشرب ثم مر بمخمار عنده شرب يشربون^(٢) فدعوه فدخل عليهم
 وقد أنفدوا ما عندهم فنحر لهم ناقته وسقام يرديه ومكثوا أياماً ثم خرج
 فأتى أهله فلما رآته امرأته قالت ألم تحلف أن لا تشرب فقال :

ولسنا شرب أم عمر وإذا نشوا ثياب الندامى عندهم كالغنائم
 ولكننا يا أم عمر و ندينا بمنزلة الرّيان ليس بعائم^(٣)
 أسرك - البيتين * فإذن : رب هزأ صار أداة في جسد ، وكلام جرى
 في باطل ثم استعين به على حق ؛ كما أنه رب شيء خيس ، توصل به
 إلى شريف ، بأن ضرب مثلاً فيه ، وجعل مثلاً له ؛ كما قال أبو تمام :

والله قد ضرب الأقل لنوره مثلاً من المشكاة والنبراس
 وعلى المكس قرب كلمة حق أريد بها باطل فاستحق عليها الذم
 كما عرفت من خبر الخارجى مع علي رضوان الله عليه ، ورب قول حسن

(١) صرع بالتشديد كصرع بالتحفيف . والشعر في منها للنشوة السكر . ومن شأن
 المنتشى أن يتلف ماله فيخرج غارماً . وأن الامارة نشوة أدعى إلى الغرم ، وسكرة أبعث
 على الظلم ، ومثل عمر من يخرج منها وهو سالم ، لا ظالم ولا غارم ، (٢) الشرب بالفتح
 جماعة الشاربين (٣) العائم ذو العيمة « كخيمة » وهي شهوة اللابن مع فقد

لم يحسن من قائله حين تسبب به إلى قبيح كالذي حكى الجاحظ قال: رجع طاوس يوماً عن مجلس محمد بن يوسف وهو يومئذ والى اليمن فقال: ما ظننت أن قول سبحان الله يكون معصية لله حتى كان اليوم سمعت رجلاً أبلغ ابن يوسف عن رجل كلاماً فقال رجل من أهل المجلس سبحان الله كالمستمطم لذلك الكلام ليفضب ابن يوسف، فبهذا ونحوه واعتبر واجمله حكما بينك وبين الشعر.

(وبعد) فكيف وضع من الشعر عندك وكسبه الملمت منك انك وجدت فيه الباطل والكذب وبعض ما لا يحسن ولم يرفعه في نفسك ولم يوجب له المحبة من قلبك أن كان فيه الحق والصدق والحكمة وفصل الخطاب وأن كان مجنى ثم المقبول والألباب، ومجتمع فرق الآداب، والذي قيّد على الناس المعاني الشريفة، وأفادهم الفوائد الجليلة، وترسل بين الماضي والغابر، ينقل مكارم الأخلاق إلى الولد عن الوالد، ويؤدي ودائع الشرف عن الغائب إلى الشاهد، حتى ترى به آثار الماضين، مخلدة في الباقين، وعمول الأولين، مردودة في الآخرين، وترى لكل من رام الأدب، وابتغى الشرف، وطلب محاسن القول والفعل، منارا مرفوحا، وعلما منصوبا، وهاديا مرشداً، ومعلما مسدداً، ومجدفياً للناني عن طاب المآثر، والزاهد في اكتساب المحامد، داعياً ومرحماً، وباعثاً، ومحضضاً، ومذكراً وممروفاً وواعظاً وثقفاً، فلو كنت ممن ينصف كان في بعض ذلك ما يغير هذا الرأي منك، وما يحدوك على رواية الشعر وطلبه، ويعلمك أن تعيبه أو تعيب به، ولكنك أبيت إلا أن تسبق إليك، والابادي، رأي عنك، فأقلت عليك قلبك،

وسددت عما سواه سمعك ، فمى الناصح بك ، (١) وعسر على الصديق الخليط تنبيهك ، نعم وكيف رويت «لأن يمتلى جوف أحدكم في حافيريه»^(٢) خير له من أن يمتلى مشمراً ، ولم يجت به وتركت قوله صلى الله عليه وسلم : «ان من الشعر الحكمة وان من البيان لسحرا»^(٣) وكيف نسبت أمره صلى الله عليه وسلم بقول الشعر ووعده عليه الجنة . وقوله لحسان « قل وروح القدس معك » وسماعه له ، واستنشاده إياه ، وولمه صلى الله عليه وسلم به ، واستحسانه له ، وارتياحه عند سماعه ؟

(أمّا) أمره به فمن المعلوم ضرورة وكذلك سماعه إياه فقد كان حسان وعبد الله ابن رواحة وكعب بن زهير يمدحونه ويسمع منهم ويصفي اليهم ويأمرهم بالرد على المشركين^(٤) فيقولون في ذلك ويمرضون عليه . وكان عليه السلام يذكر لهم بعض ذلك كالذي روى من أنه صلى الله عليه وسلم قال لكعب

(١) عني عجز أصله عني فأدغم (٢) حديث رواه أحمد والشيخان وأصحاب السنن وغيرهم عن أبي هريرة وعن غيره والرواية المشهورة فيه « حتى يره » أي يفسده وفي رواية بحذف حتى يره وفي أخرى حذف حتى وقرأها بعضهم حينئذ يره بالفتح وبعضهم بالضم ولم أر من رواه بالفاء « فيريه » كما في نسخة المصنف . وفي رواية ابن عدي عن جابر « لأن يمتلى جوف الرجل قيحاً أو دماً خير له من أن يمتلى مشمراً ما هجيت به » (٣) الحديث مشهور رواه أصحاب الصحاح وغيرهم ورواية المصنف ملفقة من روايتين فقد وردت كل جملة من طريق . وأما الجملتان معاً فقد جاءتا في حديث ابن عباس عند أحمد وابن ماجه هكذا (إن من البيان سحراً وإن من الشعر حكماً) وعند ابن عساكر من حديث علي باللام وله تسمية وهي « وإن من العلم لجهلا وإن من القول عيالا » (٤) روى الخطيب وابن عساكر عن حسان أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له : اهج المشركين وجبرائيل معك إذا حارب أصحابي بالسلاح فحارب أنت باللسان . وفي حديث جابر عند ابن جرير أنه قال يوم الأحزاب (من يحمي أعراض المؤمنين) قال

«مانسى ربك وما كان ربك نسيا شعر أقاته»^(١). قال وما هو يا رسول الله؟

قال: «أنشده يا أبا بكر» فأنشد أبو بكر رضوان الله عليه:

زعمت سخينة أن مستطلب ربها وليفلن مغالب الغلاب^(٢)

(وأمّا) استنشاده إياه فكثير. من ذلك الخبر المعروف في استنشاده

حين امتسقى فستى قول أبو طالب:

وأبيض يستقى الغمام بوجهه نعال اليتامى عصمة للارامل

يُطيف به المهلاك من آل هاشم فهم عنده في نعمة وفواضل

الآيات. وعن الشمي رضى الله عنه عن مسروق عن عبد الله قال

كعب أنا يا رسول الله فقال (إنك محسن الشعر) فقال حسان بن ثابت أنا يا رسول الله

قال (نم اهجم أنت فسيعينك روح القدس) وكتب الأستاذ الامام في هامش

النسخة الأصلية بازاء اسم كعب: (لهه كعب بن مالك لأن ابن زهير وإن مدح لكنه

لم يؤمر بالشعر المناضلة عن الاسلام فقد وفد على النبي صلى الله عليه وسلم سنة تسع)

ويؤيد قول الأستاذ مارواه ابن جرير عن ابن سيرين وملخصه أن المهاجرين رغبوا

إلى النبي عليه الصلاة والسلام أن يأمر عليا بهجاء الرهط الذين هجوه (وهم عمرو

ابن العاص وعبد الله بن الزجرى وأبو سفيان بن الحارث) فقال ليس على هنالك

وعرض بالأخبار فانتدب لذلك حسان وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة. وفيه أنه

استنشد كعباً وهو راكب ناقته فأنشد الآيات التي أولها:

قضينا من تهامة كل ريث وخير ثم أجمحنا السيوفاً

لحيرها ولو نظقت لقات قواطهن دوساً أو تقيفاً

قال: فأنشد الكلمة كلها فقال النبي صلى الله عليه وسلم (والذي نفسي بيده

لهي أشد عليهم من رشق النبل) قال ابن سيرين: فبثت أن دوساً إنما أسلمت بكلمة

كعب هذه. (١) قال الأستاذ الامام (هذا هو كعب بن مالك) (٢) كتب في هامش

الأصل: سخينة لقب تبر به قريش لأنها كانت تأكل السخينة وهي طعام من دقيق

الشعير واللحم وتسخن وذلك في أيام المجاعات. والحديث رواه ابن منده وابن

عسلاكر عن جابر

لما نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القتلى يوم بدر مصرّعين فقال
صلى الله عليه وسلم لأبي بكر رضى الله عنه «لو ان أبا طالب حيّ لعلم ان
أسيافنا قد أخذت بالأنامل» قال وذلك لقول أبي طالب^(١)

كذبتهم وبيت الله أن جد ما أرى لتلتبسن أسيافنا بالأنامل
وينهض قوم في الدروع اليهم نهوض الروايا في طريق حلال

(١) البيت الذى فيه لفظ الأنامل في قصيدة أبى طالب هو قوله

وقد حالقوا قوهآ علينا أظنة يعضون غيظاً خلفنا بالأنامل

والبيت الذى فيه كذبتهم هو قوله :

كذبتهم وبيت الله ترك مكة ونظهن إلا أمركم في بلابل

وقوله : كذبتهم وبيت الله نبرى محمداً ولما نطاعن دونه وتناضل

والبيت الذى فيه التلتبسن الخ هو قوله :

وأنا لعمر الله إن جد ما أدوى لتلتبسن أسيافنا بالأنامل

والذى فيه ينهض الخ هو قوله

وينهض قوم في الحديد إليكم نهوض الروايا تحت ذات الصلاصل

وبهذا تعلم ما فى بيتى الشيخ . اه من هامش الأستاذ الامام

(تفسيره) قوله أظنة جمع ظنين وهو التهم . والظنة بالكسر التهمة وجمعها ظنين .
وجمع فعيل على أفعلة غير قياسى ولكنه ورد ومنه قوله تعالى « أشححة عليكم » . وقول ترك
مكة أى لا تركها . ومثله قوله نبرى محمداً أى لا نبراه ولفظ (محمداً) منصوب بنزع
الخافض . يقال أبرى فلان بفلان إذا غلبه وقهره أى لا تغلب بمحمد ولا تقهر عليه
والحال أننا لم نطاعن دونه بالرماح وتناضل عنه بالسهم فالجملية النافية بلما حال من نائب
الفاعل . وقوله (لتلتبسن أسيافنا بالأنامل) أى لتختلطن بالاشراف بما فتكت بهم فى الحرب ،
والروايا جمع رواية وهو ما يستقى عليه من غير وغيره ، والصلاصل القرب فيها بقايا الماء
واحدها صلصلة بضم الصادين وهى بقية الماء فى الأداة والقربة - يريد أن قومه ينهضون
مثقليين بالحديد تسمع له قعقة كصللة الماء فى المزادات

ومن المحفوظ في ذلك حديث ابن مسلمة الانصاري^(١) جمعه وابن أبي حدرد الاملى الطريق قال فتذاكرنا الشكر والمعروف قال فقال محمد كنا يوما عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال لحسان بن ثابت : « انشدني قصيدة من شعر الجاهلية فان الله تعالى قد وضع عنا آثامها في شعرها وروايتها » : فأنشده قصيدة للأعشى هجاءها علقمة ثلاثة

علقم ما أنت إلى عامر الناقض الأوتار والواتر
فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا حسان لا تعد تنشدني هذه القصيدة بعد مجامك هذا » فقال يارسول الله تنهاني عن رجل مشرك مقيم عند قيصر فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « يا حسان أشكر الناس للناس اشكرهم لله تعالى ، وان قيصر سأل أبو سفيان بن حرب عنى فتناول منى . وفي خبر آخر فشعت منى وأنه سأل هذا عنى فأحسن القول » فشكره رسول الله صلى الله عليه وسلم على ذلك . وروى من وجه آخر ان حسان قال يارسول الله من نالتك يده وجب علينا شكره . ومن المعروف في ذلك خبر عائشة رضوان الله عليها انها قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ما يقول « آياتك » فأقول

ارفع ضميفك لا يخرِّبك ضعفه يوما فتدركه المواقب قد نمتى
يجزبك أو يثنى عليك وأن من أثنى عليك بما فعلت فقد جزى

(١) الحديث رواه ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج وابن عساكر عن محمد بن مسلمة بلفظ (يا حسان أنشدني من شعر الجاهلية فان الله قد وضع عنك آثامها في شعرها وروايتها) وفيه أنه قال له بعد إنشاد القصيدة (يا حسان لا تعد تنشدني هذه القصيدة فاني ذكرت عند قيصر وعنده أبو سفيان وعلقمة بن علاثة فأما أبو سفيان فتناول منى وأما علقمة فحسن القول وأنه لا يشكر الله من لا يشكر الناس)

﴿ تمة الاجتماع الرابع لجمعية أم القرى ﴾

ثم إذا اقبلنا في البحث إلى ماهو الشرك في نظر القرآن وأهله لتتقيه نجد أن الله تعالى قال في اليهود والنصارى « اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله » مع أنه لم يوجد من قبل ولا من بعد من الأحبار والرهبان من ادعى المبالغة ونازع الله الخالقية أو الإحياء أو الإمامة كما يقتضيه انحصار معنى الربوبية عند العامة من الاسلام ، حسبما تلقوه من مروجى الشرك بالتأويل والايهام ، بل الأحبار والرهبان إنما شاركوا الله تعالى في التشريع المقدس فقط فقالوا هذا حلال وهذا حرام فقبل منهم أتباعهم ذلك فوصفهم الله بأنهم اتخذوهم أرباباً من دون الله

ونجد أيضاً أن الله تعالى سمي قريشاً مشركين مع أنه وصفهم بقوله « ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله » أي يخصمون الخالقية بالله . ووصف توسلهم بالأصنام إلى الله بالعبادة فكفى عنهم قوله « ما عبدتم إلا ليقربونا إلى الله زلفى » والمعظمة من المسلمين يظنون أن هذه الدرجة التي هي النوسل ليست من العبادة ولا الشرك ويسمون التوسل بهم وسائط ويقولون إنه لا بد من الوساطة بين العبد والرب « وإن الوساطة لا تنكر »

ويعلم من ذلك أن مشركى قريش ما عبدوا أصنامهم لذاتها ولا لاعتقادهم فيها الخالقية والتدبير بل اتخذوها قبلة يعظمونها ببدائها والسجود أمامها أو ذبح القرابين عندها أو النذر لها على أنها تمائيل رجال صالحين كان لهم قرب من الله تعالى وشفاعة عنده فيحبون هذه الأعمال الاحترامية منهم فينفعونهم بشفاء مريض أو اغناء فقير وغير ذلك وإذا حلفوا بأسمائهم كذباً أو اخلوا في احترام تمائيلهم يفضونهم في أنفسهم وأولادهم وأموالهم

ونجد أن الله تعالى قال « فلا تدعوا مع الله أحداً » وأصل معنى الدعاء النداء ودعا الله ابتهل إليه بالسؤال واستعان به والدليل السكشاف لهذا المعنى هو قوله تعالى « بل إياه تدعون فيكشف ما تدعون » وكذلك أنزل الاستعانة به مقرونة بعبادته في قوله جلت كلمته « إياك نعبد وإياك نستعين »

وبما ذكر وغيره من الآيات البيّنات جعل الله هذه الأعمال لقريش شركاً به حتى سرح النبي صلى الله عليه وسلم في الحلف بغير الله أنه شرك فقال « من حلف بغير

الله فقد كفر وأشرك» (١) وجعل الله القربان لغيره والاهلال والذبح على الانصاب شركاً وحرم تسيب السوائب والبجائر لما فيها من ذلك المعنى وكان المشركون يحجون لغير بيت الله بتعدد زيارة محلات لأصنامهم يتوهمون ان الحلول فيها يكون تقرباً من الأصنام فدعى النبي عليه الصلاة والسلام أمته عن مثل ذلك فقال « لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد المسجد الحرام ومسجدي هذا والمسجد الأقصى (٢) » فلا ريب إذن أن هذه الاعمال وأمثالها شرك أو مدرجة للشرك (مرحى)

فإنظر الآن هل تجد في الإسلام شيء من هذه الاعمال وأشبهها في الصورة أو الحكمة من لا تشد في الله أوبة لأثم لا يرى دأ من التصريح بأن حالة السواد كذا عظم من أهل القبلة في غير جزيرة العرب تشبه حالة المشركين من كل الوجوه وإن الذي عندهم عاد عربياً كما بدأ كمشركين غيرهم من الأمم . فمنهم الذين استبدلوا بدسهم الثمور فتموا عليها المساجد والشاهد وأمرجوا لها النرج وأرخوا عليها السور يطوفون حولها مقبلين مسلمين تركتها ويهتفون بأسماء سكانها في الشداهد وتذمرون عليها القبايل باليهما عمداً كقول الله وتذرون لها الذبور ويشدون للحج إليها الرجال ويلقون بسكانها الامان يستنزلون الرحمة بذكورهم وعند قبورهم وكبريتهم والحاج ومصوع ومراقبة وخشوع أن ينوسطوا لهم في قضاء الحاجات وقبول الدعوات وتل ذلك من الحساب والتعظيم لغير الله (٣) والخوف والرجاء من سواء ومنهم من استبدلوا عن أرواح الخائيل عند النصارى والمشركين بألواح فيها أسماء عظماء من قبلة الداء بركاً وذكراً ودعاءً يعلقونها على الجدران في بيوتهم بل في مساجدهم (٤) ويتوجون بها الأعلام من نحو « يا علي ، يا شاذلي ، نادى في ، يا علي ، يا بهاء الدين المشي ، يا حلال الدين الرومي ، يا بكتاش ولي » ومنهم من يجتمعون لأجل العبادة بذكر الله ذكراً مشوباً بإنشاء المدائح لفلاة شعراء المشركين التي أهون ما فيها الإطراء التي نهانا عنه النبي عليه الصلاة والسلام

(١) المنار - الحديث رواه الترمذي وحسنه وابن حبان في صحيحه والحاكم وقال صحيح على شرطهما (٢) رواه أحمد والشيخان عن أبي هريرة ورواه عن أبي سعيد ورواه أصحاب السنن وغيرهم (٣) أي من عبادة غيره (٤) كجوامع القسطنطينية وبلاد الترك . كذا في هامش الأصل ومثل بلاد الترك كثير من بلاد المسلمين

حتى لنفسه الشريفة فقال « لا تطروني كما أطرت اليهود والنصارى أنبياءهم (١) »
 وبإشادهم مقامات شيوخية تعالوا فيها في الاستغاثة بشيوخهم والاستمداد منهم بصيغ
 لو معها مشركو قريش لكفروهم لأن أبلغ صيغة تلبية كانت لمشركي قريش قولهم
 « ليك اللهم اييك . ليك لا شريك لك غير شريك واحد تملكه وما ملك (٢) »
 وهذه أخف شركا من المقامات الشيوخية التي يهدرون بها إنشاداً بأصوات عالية
 مجتمعة وقلوب متهترقة خاشعة كقولهم

عبد القادر يا جيلاني ياذا الفضل والإحسان
 صرت في خطب شديد من إنسانك لا تنساني
 وقولهم

الآم يا رفاعي لي أنا المحسوب أنا المنسوب
 رفاعي لا تضيي أنا المحسوب أنا المنسوب

إلى غير ذلك مما لا يشك فيه شاك أنه من صريح الإشراك الذي ياباه الدين الحنيف
 ومنهم جماعة لم يرضوا بالشرع البين فابتدعوا أحكاماً في الدين سموها علم الباطن
 أو علم الحقيقة أو علم التصوف ، علماً لم يعرف شيئاً منه الصحابة والتابعون وأهل
 القرون الأولى المشهود لهم بالفضل في الدين . علماً انتزعوا مسأله من تأويلات
 المتشابهة من القرآن مع ان الله تعالى أمرنا أن نقول في التشابه منه (آمنا به كل من
 عند ربنا) وقال تعالى (وما يعلم تأويله إلا الله) وقال عز شأنه في حقهم (وإذا
 رأيت الذين يخوضون في آياتنا فأعرض عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره) وقال تعالى
 (فاستقم كما أمرت) وقال تعالى (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة)
 وانتزع هؤلاء المداحون أيضاً بعض تلك المريدات من مشكلات الأحاديث والآثار .
 ومما جاء عن النبي عليه السلام من قول علي سبيل الحكاية أو عمل علي سبيل
 العادة أي لم يكن ذلك منه عليه السلام على سبيل التشريع . أو من الأحاديث التي
 وضعها أساطينهم أغراباً في الدين لأجل جذب القلوب كهذا الحديث الذي نقله
 بالمعنى وهو (يفتح بالقرآن على الناس حتى يقرأ المرأة والنهي والرجل فيقول الرجل

(١) لفظ الحديث « لا تطروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم إنما أنا
 سيد الله فقولوا عبد الله ورسوله » رواه البخاري والترمذي في الشمائل ولا أذكر
 غيرها الآن (٢) ينقل عنهم « الا شريكا هو لك تملكه وما ملك »

قد قرأت القرآن فلم أتبع لاثومن بهم فيه اعلى اتبع فيقوم به فهم فلا يتبع فيقول قد قرأت القرآن وقتت به فلم اتبع لأحتظرن من بيتي مسجدا اعلى اتبع فيحتظرن من بيته مسجدا فلا يتبع فيقول قد قرأت القرآن وقتت به واحتظرت من بيتي مسجدا فلم اتبع والله لا يتينهم بحديث لا يحدونه في كتاب الله ولم يسمعه عن رسول الله اعلى اتبع « ومنهم فئة اخترعوا عبادات وقربات لم يأت بها الإسلام ولا عهد له بها إلى أواخر القرن الرابع فكان الله تعالى ترك ديننا ناقصاً فهم أكلوه ، أو كأن الله جل شأنه لم يرل يوم حجة الوداع « اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً » أو كأن النبي عليه السلام لم يتم كما يزعمون تبليغ رسالته فهم أتموها لنا أو كتم شيئاً من الدين وأسر به إلى بعض أصحابه وهم أبو بكر وعلي وبلال رضى الله عنهم وهؤلاء أسروا به إلى غيرهم وهكذا تسلسل حتى وصل إليهم فأفسوه لمن أرادوا من المؤمنين تعالى الله ورسوله عما يأفكون ، أليس من الكفر بإجماع الأمة اعتقاد أن النبي عليه السلام نقص التبليغ أو كتم أو أسر شيئاً من الدين (مرحى) ومنهم جماعة اتخذوا دين الله لهوا ولعباً فجعلوا منه التفتى والرقص وتغر الدفوف ودق الطبول ولبس الأخضر والأحمر والامب بالنار والسلاح والعقارب والحيات يخذعون بذلك السطاء ويسرهبون الحقى

ومنهم قوم يعتبرون البلادة صلاحاً والجلب خشوعاً والصرع وصولاً والهديان عرفاناً والجنون منتهى المراتب السبع للكمال

ومنهم خلفاء كهنة العرب يدعون علم الغيب بالاستخراج من الجفر والرمل أو أحكام النجوم أو الروحاني أو الزارجة أو الأبيديات أو بالنظر في السماء أو السماء أو الودع أو باستخدام الجن والمردة إلى غير ذلك من صنائع التديس والإيهام والحزبيلات وليس العجب انتشار ذلك بين العامة الذين كالأنعام في كس الأهم والأقوام بل العجب دخول بعضه على كثير من الخواص وقليل من العلماء كجانه من عزيز الكمالات في دين الإسلام « مرحى »

فهذه حالات السواد الأعظم من الأمة وكأها إما شرك صراح أو مظنات إشراك حكمها في الحكمة الدينية حكم الشرك بلا إشكال وما نجر الأمة إلى هذه الحالات

الجاهلية وبالتعبير الاصح رجيع بها إلى الشرك الأول الا الميل الطبيعي للشرك كما سبق بيانه مع قلة علماء الدين وتهاون الموجودين في الهدى والارشاد

نعم إن رد العامة عن ميلها أمر غير هين وقد شبه النبي عليه السلام معانته الناس فيه بقوله « مثل كمثل رجل استوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي تقع في النار يقعن فيها وجعل يحجزهن ويفلننه فيقتحمهن فيها فانا آخذ في حجزكم عن النار وأنتم تقحمون فيها » (١) وقد قال الله تعالى في العلماء المتهاونين عن الإرشاد كيلا يقابلوا الناس بما لا يهونون « ان الذين يكتبون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمناً قليلاً أولئك ما يأكلون في بطونهم إلا النار » وقال الرسول عليه الصلاة والسلام « لما وقعت بنو إسرائيل في المعاصي نهتهم علماءهم فلم ينتهوا فجالسوهم في مجالسهم وآكلوهم وشاربوهم فضرب الله قلوب بعضهم ببعض ولعنه على لسان داود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون » (٢) فالتبعة كل التبعة على العلماء الراشدين ولم يزل والحمد لله في القوس منزع ولم يستغرقنا بعد انتزاع العلماء بالكلية كما أندرنا به النبي عليه السلام في قوله « إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً من الناس ولكن يقبض العلماء حتى إذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهلاء فاعلموا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » (٣) ولا حول ولا قوة إلا بالله

ثم قال : ولنتقل من بحث الشرك والإعراض عن ذكر الله إلى بيان أسباب التشديد في الدين وحالة النشويش الواقع فيه المسلمون فأقول

(١) الحديث رواه أحمد ومسلم عن جابر بلفظ « مثل ومثلكم كمثل رجل أوقد ناراً فجعل الفراش والجنادب يقعن فيها وهو يذهن عنها . وأنا آخذ بحجزكم من النار وأنتم تفلتون من يدي » (٢) رواه الترمذي وقال حسن غريب (٣) رواه الشيخان وأصحاب السنن ما عدا أبا داود عن عبد الله عمرو واهظ مسلم « ان الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من الناس ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يترك عالماً اتخذ الناس رؤساء جهالاً فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا » وفي البخاري « من العباد » بدل « من الناس » وقال « حتى إذا بقي عالم » كما هنا

باب التربية والتعليم

(*) الحزرة الخامسة من هريزة اراهم

الخط الديواني

اشأ « أميل » يخط بالقلم خطأً مناسباً لحاله ولكنى فى شك من جريه على قواعد الخط فى شئ مما يكتب

كان الخط فيما مضى كأنه من صفات الكاتب الذاتية وكان يدل على حالة من أحواله سواء فيه الحسن والقبيح ولذلك وجد متوسمون يعتقدون انهم يقرأون فى خط من لا يعرفونه من الناس ضروب استعداده النفسى ولا بدع فى هذا فان كل أعمال الإنسان منبعثة عن أخلاقه وسجاياها فلا شئ من الاستحالة ولا من البعد عن الحقيقة على ما أرى فى أن يكون الخط وهو الأثر الدقيق الثبت لصنوف الوجدان وأنواع المعانى على الورق سمة من سمات النفس وأمانة من أمارات الطبع . يشهد لذلك ان من الذين خطوطهم بين أيدينا قد غيروا فى حياتهم طريقتهم فى صوغ حروفهم عدة مرات فلا يمكن أن يكون هذا التغيير الذى يحق لنا المراهنة على حصوله بغير شعور منهم أجنبياً عن بعض استحالات حصلت فى عقولهم . ومن الأمور التى يعتقد الباحثون فى هذه المادة انهم تنبهوا إليها ولاحظوها ان أقرب أطوار الكاتب إلى الفطرة هو ذلك الطور الذى يكون فيه خطه موسوماً بأقرب السمات إليها أيضاً اخترع الناس فى هذه الأيام للخط طرقاً لا شك ان لها مزية فى تهذيبه وتكوين يد الكاتب ولكنها متى انتشرت وعم استعمالها اتحدت الحطوط وتشابهت فلم يبق بينها فروق تميز بعضها من بعض فنحن فى هذا القرن قرن السكك الحديدية والافلام الحديدية نسارع كلنا إلى تحقيق الوحدة فى كل شئ

لو ان هذا اذيل إلى صناعة اقتصر على أمارات الفكر وقوالب المعانى لكان الخط حيناً ولكنه لم يقف عندها بل تمداها إلى الفكر نفسه

أنا على يقين من وفرة علومنا ومعارفنا فليست هى التى تعوزنا إذ قد وجدت

(*) معرب من باب تربية الياقم من كتاب أميل القرن التاسع عشر

طرق سبغة صيرت مبادئ العلم وآداب اللغة والفنون الجميلة قريبة التناول لجميع الناس وكل يوم يثبت الناس بانتهار أنوار المرفان بيننا وهو أمرنا يبعد عن المنازعة في جلالة خطره ونظم شأنه ولكنني لا أرى على حرجاً أن سألت نفسي هذه الأسئلة وهي : هل ارتفع عقل الإنسان في هذا القرن إلى مدارك اسمى مما بلغه في القرن الثامن عشر ؟ هل حصل له من قوة النفس والانبعاث الدأني إلى العمل والأخلاق الممتازة التي تتجلى في صورة مجتمعة المظلمة والأعمال البديعة أكثر مما كان له في ذلك القرن ؟ هل ارتفعت قوة الإدراك مع انتشار تساوي الناس فيها كل يوم ؟

والأمر في أني التفت حولي فيعزوني الدهش وما كنتي الدهش لما أراه من غلبة الأوساط في العقل وكثرتهم وأسمع الناس يرددون القول بأن العقل والاستعداد قد شاعا في هذه الأيام حتى عما السابقة من الفوعة رأوا بهم قلوباً أن كل واحد أصبح فيه عقل غيره واستعداده لكان هذا القول أصح وأقرب إلى الصواب . نعم إن قرنا قد وصل إلى طريقة بديعة في الاكثار من الدواب والآلات المصنوعة للمفكر وقامت المهارة في الفنون مقام الاستعداد الفطري والمزعة وأزهق التكلف في آداب اللغة وروح الإلهام والسانية وأساليب الدبسة والحدائق في مجرى الحياة وشؤونها الفضلى والجاراة من عرشهما وملا محملهما فترنا الآن مستعدين على طريق مستقيم عام إلى محور شروب الفسار والرحمة في العقل والخلق محو تماماً فعليك أيها الإنسان من الآن أن مع بأن تكون كجميع الناس .

ولاشك أن هذه الحالة التي بناها العقول الآن ترجع إلى أسباب كثيرة ليس من عرضها انما ماؤها منها نظام مديننا وعمدان الحرية السياسية عندنا واهتمامنا المتزايد بالمساح المادية ومنها أمر لا يسعني اغفاله والا استحققت اللوم وهو ان التربية الحالية التي هي عليها اليوم أقرب إلى سترعيوب الأطفال واحفاء مواضع الضعف فيهم ببعض طرق التعليم السريعة التي تسعد تكون آلة محضة . أقول انها أقرب إلى ذلك منها إلى قصد اكتشاف ملكاتهم وعواهم النفسية وتتميتها فترى القامعين على التعليم عوزاً عن فهمهم ان الفرض من تناسلهم وكدهم في التعلم إنما هو نيل الفخر بأن يكونوا مثلاً للآخرين لا يحملون ما يراه الارتقاء إلى المناصب ونيل العنى ويمتثلون منهم أن بلغوا إليها وهم بذلك يكرون بحمل الاحداث على أن يتبينوا ان المواضع والصنعة هما أقرب المرق النجاح وأحسن وسائل القلاج . اهـ

السُّرَّة السَّادِسَةُ

﴿ مذهب تشغيل المعلمين بالأعمال المادية الشاقة ﴾

توجد في بعض المدارس بانكثرت عادة قديمة يدهش منها الأجانب كثيراً ذلك أن التلامذة - فيما يوجد منها بمدينة راتون وهارو وهي التي يدخلها أبناء السراة غالباً - يخدم بعضهم بعضاً وليس أمر الخادمية والخدمية فيها متعلقاً بمكانة التلميذ في قومه ولا بضي أهله أو فقرهم بل بالأقدمية وبعض الدرجات المدرسية فيجوز أن يلزم الطفل الفنى السرى بتفويض ثياب الطفل الفقير الوضيع وتأدية مطالبه وتنظيف غرفته وإيجاد ناره وتسوية طعامه وحمل كتبه إليه في قاعة الدرس فيقع الإلزام بالخدمة على من يحملهم المدرسة في الدرجات الدنيا من أقسامها .

والذي استهجنه من هذه العادة هو ما يكون بين التلميذين الخادم والخادم من رابطة التابعة الذاتية فإن الأقدمين من التلامذة يسرون أحياناً مع من يعتبرونهم خدماً لهم من إخوانهم سيرة في غاية القسوة حتى إنه يقع منهم في حصر ما قرأه في قصص مولير (١) المضحكة من الشتائم وضربات الألف وجميع ضروب سوء العمالة التي كانت تقع من صغار النوالى على خدمهم بأرجلهم وأيديهم الخفيفة الحركة ، أو تلك الخدم الصغار الذين كانوا بالأمس أرقاء صبراً على النذل مستسلمين للجور يصرون في القداسة متحجرين وهكذا شأن الدنيا وبمثل هذا تتنقل جميع أنواع التواضع والطغيان من سلف إلى خلف .

لا أرى فيما عدا هذا العيب شيئاً في هذه الطريقة فإنه لا ضرر مطلقاً في أن يقوم بخدمة المدرسة التلامذة أنفسهم . ولقد عرفت فيما مضى مدرسة كان يديرها رجل وافر العقل عالى الفكر اختار هذا المذهب وتيسر له أن يجنى منه فوائد كبرى في تربية الناشئين ذلك أنه عهد بمعظم أعمال مدرسته إلى جماعات من التلمذ والياقنين منقسمين إلى طوائف على حسب مقتضيات أذواقهم وضروب ميلهم الفطرى لأنهم كانوا في هذه الأعمال مختارين متطوعين فكان الواحد منهم إما لباداً أو كناساً أو وقاداً للمصاييح أو موقظاً لإخوانه في الصباح أو منظماً لقاعة الدرس وكانوا يتناوبون خدمة

(١) مولير هو أ كبر واحد شاعر قصصى فرنساوى ولد في باريس سنة ١٦٣٢

ومات في سنة ١٦٧٣ مسيحياً

المائدة وكانت الأعمال المسخرة التي تقتضي أكثر من غيرها إخلاصاً لأجل من غيرها أيضاً في نظر التلامذة لأن رئيس المدرسة كان يتظاهر بتمييزها عن غيرها بما كان يوزعه من شارات الشرف على من كان يدعوهم لإقدامهم إلى مباحثتها . ولينك زرت هذا المكان حتى كنت تشاهد مقدار النجس الفرح الذي ييديه كل تلميذ في القيام بهمله الذي كأنه فرض اختياري أوجبه على نفسه . كان من مزايا هذه الخدمة البيئية للتلامذة أنها كانت تسلية لهم من عناء الدروس لأنه كان من رأي رئيسهم أن في المراحة بين الأعمال استراحة من مشقتها وكان من غرضه فوق ذلك أن يلقى في نفوسهم معنى احترام جميع الوظائف وكل فروع العمل اليدوي فإن الانسان لا يحترم من غيره ما يباشره هو بنفسه .

إني لتعرض لي في بعض الأحيان أحوال تحملني على اعتقاد أن مانديع من حب المساواة ليس إلا رياء ونفاقاً لأنني أرى من لا تفرق ألسنتهم عن اللهج بهذه الدعوى لايجرون على مقتضاها في أعمالهم فالطفل الذي يرى في المدارس أو البيوت أناساً استؤجروا للخدمة يستنج من ذلك طبعاً أن الأعمال الشاقة أو الكريهة هي من حظ الطبقة السفلى من قومه ولا يبيده في محو هذا الاعتقاد من نفسه أن تحدثه في المستقبل عن ضرورة تقسيم العمل بين الناس أو عن غير ذلك من المسائل النظرية الكثيرة فإنه يعلم كمال العلم أن ليس للخدم أن يأكلوا إلى موائد ساداتهم ولما كان يتوهم في والديه أنهما يعدانه لأن يكون من السادة والخدم بذلك مؤنة الاشتغال ببعض الأعمال التي من شأنها أن توسخ يديه أو تقذر وجهه . كان رأيه في هذه الأعمال لا بد أن يتقل إلى من يقارفونها من الناس فيحكم عليهم بحكمه عليها وبذلك لا يكون إلا كثير الاستيق إلى احتقار جميع الصناعات والرزاية عليهم .

صممت أنا وهيلانه على تكليف «أميل» بعمل كل ما يلزم لفراشه وهجرته وثيابه ولا أكره مطلقاً أن أراه يمسخ نعليه ويسوي عند الحاجة طعامه فإن الفائدة التي تعود عليه من ذلك ليست قاصرة على كونه يتعلم عدم اهتمام من يكسبون قوتهم بمثل هذه الأعمال بل إزفه أيضاً تنمية طهرته الشخصية بتعوده على الاستغناء عن مساعدة غيره فالأسير المسكين من يهجر عن خدمة نفسه . اهـ

الاحتفال السنوي بمدرسة الجمعية الخيرية وخطبة المفتي

في أصل يوم الجمعة ٢١ ربيع الأول احتفل في قبة الغوري الاحتفال السنوي للناد بمدرسة الجمعية الخيرية الإسلامية في القاهرة وقد أجاب دعوة رئيس الجمعية الأستاذ الإمام الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية الجليل الفير من الفضلاء والوجهاء خصه وا الاحتفال : ابتداء أحد التلامذة بترتيل آيات من سورة الفتح ثم ارتقى أحد التلامذة الدكة التي يختبر عليها التلامذة فأعطى كتاباً ففتحها وقرأ فيه جملة صلحة قراءة صحيحة فسأله الرئيس بيان معناها فبيده : ثم اختبر آخرون بالأعراب وبالْحساب وبرسم خريطة أفريقيا وبالتاريخ الطبيعي ككيفية الدورة الدموية وقرأ بعضهم مقالات محفوظة في فوائد الصوم وفوائد التربية وغير ذلك فأحسوا جميعاً وصفق لهم النادي مرات متعددة . وأنكر الأستاذ المنقبطي التصفيق على القوم أنه بدعة فتركه بعضهم وأصر عليه الآكثرون لأن بعضهم يراه من العادات الباحة التي اقترن بها تنشيط التلامذة وادخال السرور على قلوبهم . وبعضهم لم يصل إليه الإنكار . وكان لرئيس كعادته يناقش كل تلميذ فيما يقول ويطلب منه التعبير عما قاله حفظاً بعبارة اعرفية . ثم وزع الجوائز وهي على ما ذكرنا في السنة الماضية قديماً أحدها ربيع المال الذي جمع لإقامة تذكار لعلي باشا مبارك لخدمته المعروفة في مصر والثانية تبرع الأستاذ الشيخ عبد الرحيم الدمرداش فهذا وزع على نفر من الناجحين في المدرسة . وأما الأول فاستقر الرأي على أن يشتري به كل عام كتب نافعة تعطى للتلميذين اللذين يفوقان سائر التلامذة ممن أعوا المدة بشرط أن يشتغلوا بعد المدرسة بتعلم صنعة من الصنائع وكذلك كان . وبعد ختم الاحتفال بترتيل أحد التلامذة آيات من الكتاب العزيز وقف رئيس الجمعية فشكر للحاضرين سعيهم في الخير شاهدة أولاد الفقراء المتعلمين ثم قال ما معناه ملخصاً : لا بد أن يكون بعض الحاضرين ممن يشتغلون بعلم التربية ينتقد علينا شيئاً أنا أو أقرهم على انتقاده قبل أن أذكره وأجيب عنه وهو أن يحفظ التلامذة مقالات في الدين والآداب كالذي سمع منهم الآن فيها من الحكيم والمعاني العالية ما لا ترتقي عقولهم إلى الاحاطة به وما تعجز ألسنتهم عن بيانه بغير العبارة المحفوظة . أعيد القول بأن هذا الانتقاد صحيح وأن حشو الأذهان بحفظ ما لا يفهم يفسدها ويذهب باستعداد العلم منها . ومدارس الجمعية تهتم

بهذا الأمر فنحن نؤكد دائماً على المعلمين أن لا يهملوا التلامذة كلاماً لا يفهمونه والعمل على هذا والتفتيش من وراءه لتحقيقه وأما ما سمعتم فقد جاء من باب الاستثناء لفرض صحيح يوافقنا عليه المتقدمون بادي الرأي . ذلك ان التلميذ يخرج من مدرستا إلى العمل غالباً ولا ثقة لنا بأنه يسمع في خطب الساجد ولا في دروسها شيئاً من حكم الدين وأسراره التي تبعث النفوس على العمل بأحكامه كالذي سمعتم من حكم الصوم . وكذلك لا نرجو أن يجد معيها من معاهد العلم يسمع فيه شيئاً من مباحث التربية وعلم الاجتماع والآداب العالية بالأولى فرأينا أن نحفظ كل تلميذ بعض مقالات في هذه المقاصد يجتهد في إيفائها معانيها بالجملة كما يقتضيه منه ويوكل الفهم التصلي إلى حوادث الزمان وارتقاء الفكر فيها فهذه المحتويات القليلة المفيدة ذخراً للتلميذ في مستقبله وهي كبادرة وصحة في أرض صالحة يتعاهدها الزمان بالسقي والنعذية حتى تثمر الثمرة الصالحة إن شاء الله تعالى

إذا أجليتم النظر في أحوال المسلمين زبون ان ترك تعلم الدين على هذا الوجه من بيان فوائده وحكمه وغرسها في النفوس (وهو الفقه الحقيقي في الدين) قد أدى إلى تركه من بعض المسلمين والانيان به على غير وجهه من بعض آخر . وانضرب المثال بفريضة الزكاة التي حفظت تلامذتنا مقالة في فوائدها في العام الماضي كما ذكر من حضر احتفاله وفريضة الصوم التي سمعتم فوائدها وهي التي تلي الزكاة في الترتيب

الزكاة ركن من أركان الإسلام وبذل المال في إقامة هذا الركن يفضي إليه من أنواع البذل ولذلك قرأت الزكاة بالصلاة في القرآن في أكرم المواضع وقد جعل الله اتفاق المال في سبيله آية الإيمان . وجعل تركه علامة النفاق والكفران . وقال الخليفة الأول بموافقة الصحابة كما هم رضى الله عنهم ما منى الزكاة . ومع هذا كله ترى المسلمين قد هدموا هذا الركن ونسوه حتى كأنه ليس من الدين بالبرهان . وأطال الأستاذ الكلام في الزكاة وفي مضره تركها ثم انتقل إلى الصوم وبين أن بعض المسلمين تركوه وان الذين يصومون لا يؤدون هذه الفريضة على الوجه الذي أراده تعالى بقوله « كتب عليكم الصيام كما كتب على الذين من قبلكم لعلكم تتقون » وأوضح هذا بذكر ما عليه الناس . ثم انتقل إلى الكلام في تعاليم مدارس الجمعية فقال ان مدارس الجمعية وضعت لتعليم أولاد الفقراء ما لا بد منه لكل إنسان وهو أن يحسن القراءة بلفه أمته ويعرف ما يجب عليه من أحكام دينه ويتربى عليه عملاً والحساب

والتاريخ وتقسيم البلدان والرفا من مبادئ التاريخ الطبيعي وحفظ الصحة وأدب العاشرة . ولا بد عندنا من تعليم هذه الأبناء على وجه مفهوم في أربع سنين وسن التلمذ لا يتجاوز الخمس عشرة سنة . وليس عندنا لغة أجنبية لأننا لا نعد التلامذة للوظائف والشهادات وإنما نعدهم للعمل بالحرف والصنائع وما ذكرنا من التعليم لا يستغنى عنه صانع ولا زارع .

قال : كنت أحب أن يكون هذا التعليم عاماً في البلاد ومبنيًا في جميع الطبقات ثم يتسنى بعده لكل طبقة أن تتناول من العلوم والفنون واللغات في المدارس الثانوية والعالية ما هي مستعدة له . ولكن المانع الشككين بالتعليم والتعلم من التوجه إلى سلوك هذه الطريقة أمران سأستخدمهما إن رغبة الناس منصرفه إلى جعل التعليم ذريعة لأخذ الشهادة لأنها شرط الاستخدام في الحكامة والسبب في رغبة الناس في خدمة الحكومة هو ان الناس لعدم تفهم بأنفسهم ولجهلهم بطرق الكسب الواسعة وضعف اعتمادهم عن سلوكها يود كل واحد منهم أن يكون له مورد من الرزق مضمون يعتمد عليه وان كان وشلاً آسأ فإذا استخدم بمائة وخمسين قرشاً ولو في أعلى الصعيد أو السودان ينام آمناً مطمئناً ويلقى هم الدنيا وراء ظهره الا إذا تيسر له السعي في شفاعه تزيد في راتبه أو ينتقل بها إلى مكان غير مكانه ولو استعمل مواهبه التي منحه الله إياها وكسح في طلب الرزق من طريقه الواسعة لاسيما التجارة لجاز أن يكون من أهل الثراء الواسع وتنتع الحميب ما شاء أصحاب هذه النفوس الحاملة الصغيرة ثم انتقل إلى بيان السبب الآخر في عدم التوجه إلى التعليم النافع فقال :

أما ثاني السببين فدأؤه اقل ، وعلاجه أعسر ، أتدرون ما هو ؟ هو المعلمين والمربين فإنا نحتاج في التعليم الابتدائي إلى من يبدى التلمذ في السنة الأولى بألف باقلا تنتهي السنة الرابعة إلا وهو يقرأ ويكتب ويعرف ما ذكرناه آنفاً وعرضنا عليكم نموذجيه . والذين يحسنون هذا النوع من التعليم قليلون . وقد عزمنا على تجديد مدرسة للجمعية ولكننا عند المذاكرة فيها كنا نشكو من قلة المعلمين . إنا نحتاج معلماً لحدى مدارسنا فنعلن ذلك الجرائد فيجئنا الراغبون بالعثرات فمتحيزهم ونختار من نراه الأمثل وان لم يكن على حسب الرغبة تماماً ثم يتمرن على طريقتنا في المدرسة مع طول التثنيه والتفتيش ومثل هؤلاء يجدر بنا أن نسميهم معلمى الضرورة

قال : ذكرت هذا لأوجه نفوس العلماء والوجهاء إلى تلافى هذا الخطب ومداواة هذه العلة التي هي أم الملل وذلك بإنشاء مدرسة لتجريب المعلمين ولا بد في هذا من سعى العلماء ومساعدة الأغنياء . ثم شكر للحاضرين سعيهم فانشروا شاكرين . أقول كتبت بعد أيام من الاحتفال في إثر انحراف في الصحة فانقصت من فوائد الخطاب فني غير الفوائد الأصلية وان زدت فربما كان كلمة في معنى الكلام تزيد في إيضاحه

﴿ باب الأخبار والآراء ﴾

(تنمة سيرة الكواكبي)

وكان أول عمل عمله في إدارة مجلس البلدية هو قطع عرق الرشوة من العمال الذين يباثرون الأعمال والمصالح ويسمون (الجاويشية) ولكنه زاد في راتبهم لعلمه بأن الذي ينظر أكثر العمال إلى الرشوة هو قلة الراتب . وكان من ظم الوالي بعد عزل الفقيه من رئاسة البلدية ان أرجع راتب الجاويشية كما كان وألزم صاحب الترجمة بدفع ما كان زاده لهم في مدته إلى صندوق البلدية كما ألزمه بدفع ما أتفق على سلاسل الحديد التي منع بها الجمال من طرق المدينة لأن الوالي أمر بإزالتها عقاباً له ثم عاد فأمر بإعادتها بعد زمن قريب ولكنه لم يعد إلى الفقيه العراة التي ظمها بها ولما عين رئيساً لكتاب المحكمة الشرعية كانت المحكمة في أسوأ الأحوال في الصورة والمعنى فكان يتفق على إصلاحها من جيبه حتى انه استحضر لها السجوف والاستار من بيته ومنع اختلاط النساء بالرجال إذ حمل الكل مكانا ينتظر فيه دوره للتقاضى ورتب الأوقات ونظم الدفاتر . . .

وكان صاحب عزيمة قوية لا يهاب حاكماً ولا يخاف ظالماً وعزمته هي التي جنت عليه فقد كان يجمع في عمله عند ما عين مديراً ومفتشاً بالسلحة حصر الدخان كما تقدم في السيرة الرسمية حتى وقع النزاع بينه وبين عارف باشا والتي حلب يومئذ فبطل العمل عمل الفقيه في ضبط هذه المصلحة ما عجزت عنه إدارتها العمومية والحكومة جميعاً حتى كانت تخسر في ولاية حلب دون سائر بلاد الدولة . وكان المشتغلون بتهرب الدخان البلدي ويعه في حلب سبعة رجل فممن لهم رواتب شهرية ومنعهم من التهرب بحكمة عجيبة . وسأني بمحل خبره في عهد الوالي عند الكلام على بعض الدعوات التي نفيها في طريقة

كانت مدة الاتفاق الأول مع مصلحة حصر الدخان ثلاث سنين فانهصل من إدارة العمل والتفتيش بعد سنتين بالسبب الذي أُلغنا إليه ولتفة القميد بنفسه واقتداره على العمل ذهب إلى الامتانة بعد عزل عارف باشا من ولاية حلب فتمتد اتفاقاً آخر مع المصلحة والحكومة مدته عشر سنين وكان أراد أن يضم إلى ولاية حلب ومتصرفية الزور ولايتي بيروت وسورية فلم يرض له ذلك من استشاره من الأقربين فرجع عنه . وقد نجح أيضاً في المرة الثانية ولكن حدثت بعد أربع سنين الفتنة الأرمنية قهبا الأرمن الدخان من عدة بلاد وقتلوا موظفي المصلحة فكان القميد يحسر في الشهر بضعة عشر ألفاً من الليرات فتوسل بذلك إلى الامتانة بحل العقد وإبطال الإتفاق فتم له ذلك بعد عتاء وخسارة عظيمة وإخلاصه بحب المصلحة العامة كانت أكثر وظائفه نخرية أي بغير راتب كما عرف من الترجمة الرسمية وتزيد على هذا أنه كان يبذل شيئاً من ماله فوق ما يأخذه من راتب بعض الوظائف لأجل ترقية العمل وإتقانه وهذا خلق لم يعرفه الشرق في هذا العصر مشروعاته : طلب من الحكومة عدة امتيازات بأعمال عظيمة لم تكن تخطر لأهل

بلاد على بال . (منها) إنشاء مرفأ في السويدية وطريق حديدي منها إلى حلب . و (منها) جلب نهر الساجور إلى حلب لأن ماء المدينة قليل ولو تم هذا العمل لأحييت به أرض واسعة فكانت جنات وحدائق . (ومنها) أن عينا خوارفة في سفح جبل بين أرمناز وأدلب قد أغرقت أمواها تلك الأرض فجعلتها مستنقعات تضر الناس ولا يأوى إلى غاباتها إلا الخنزير البري فذهب القميد إليها واختبر حال الأرض والعين اختياراً هندسياً زراعياً فعلم أنه يمكن جر مائها إلى أدلب القليلة الماء وتخفيف تلك المستنقعات فتصير نافعة ونجياً أرض أدلب ونجياً أهلها فطلب بذلك امتيازاً .

و (منها) إنارة حلب وبيرميك ومرعش واورفه بالكهربائية بواسطة شلال يحدته من نهر العاصي في محل اسمه المضيقي بالقرب من دركوش تابع لجسر الشفر وكان اختبر المكان اختباراً هندسياً فعلم أن أحداث الشلال فيه ممكن . (ومنها) استخراج معدن نحاس من أرغنه التابعة لولاية حلب . وقد حال دون إعطاء بعض هذه الامتيازات ما يحول دون كل مصلحة عامة يطلبها الوطنيون كارشوة ونحوها . وقد كان أعطى امتياز استخراج النحاس واشتغل به ثلاث سنين ونيف وبعد ذلك أرادت حكومة الولاية إبطاله لأمر ما فادخلت مع القميد في العمل بعض الأجانب وتوسلت بذلك إلى إبطاله

خدمته للناس وللحكومة : كان أخذ له مكاناً بين داره ودار الحكومة سماه المركز

يأون إليه وكلاء الساعوى البارعون فكان يؤمه أصحاب الحاجات والقضايا يستشيرون صاحب الترجمة في حل عقد المشكلات ، ويستشيرون برأيه في دياجير المهمات ، وكان في الغالب يفصل بينهم بالتراضى ، ويفهمهم عن المحاكاة والتقاضى ، فإن احتيج في قضية إلى الحكومة يندب لها من يراه أهلاً لها من الوكلاء المخامين وإن كانت عظمة الشأن يندب نفسه ويحاكم المبتطل حتى يحق الحق لصاحبه . وقد كان قصاص ذلك المركز يكادون يزيدون على قصاص دار الحكومة . وكانت الحكومة نفسها تستشير في الشؤون العامة وتتسند على رأيه مقاومة الحكام له : ورت الفقيه عن سلفه السادة الأمراء علو الهمة وقوة العزيمة

وعدم المبالاة بالأخطار فهو من سلالة السيد ابراهيم الصفوى الأردبلى المهاجر إلى حلب وما حديث الصفوية في الامارة بمجهول . بهذا كان رحمه الله تعالى لا يهاب الحكام ولا يداريهم مع أن حكومتهم في الحقيقة استبدادية . وهذا هو الذى أحبط أعماله في بلده وذهب ثروته . غاضب عزف باشا أحد ولاة حلب فأغرى بعض الناس بأن يكتب إلى الاستانة شاكياً من سيئات الوالى شارحاً لها فعلم الوالى بذلك فعمل مكيدة لحبس الفقيه وضبط أوراقه وزور عليه ورقة سماها (لأخوة تسليم ولاية حلب إلى دولة أجنبية) وطالب محاكمته عليها وحكم القانون في هذه الجريمة الاعدام ولكنهم غلطوا في معاملته بالحبس وطلب الاستنطاق غلطاً قانونياً ما كان ليخفى على الفقيه فكتب إلى الاستانة كتابة مطولة يشهر فيها أن خروج حكومة الولاية عن حدود القانون هو من دلائل تحاملها عليه وتحريرها ظله وطلب أن يحاكم في ولاية أخرى فاجيب ظله وحوكم في بيروت فحكم براءته وما زال يمنع الوالى حتى عزل بعد عودته إلى حلب وكان هو أول من بشره بالمول بوساطة ناخى الولاية ثم انه أخرجه من حلب باهانة عظيمة لأنه أو عز إلى اصناف القمراء الذين كانوا يسمون الفقير أباهم لصدقه إياهم فاجتمعوا عند داره بهيئات غريبة فترك أهله وخرج كالمهارب وسافر إلى الاستانة وتبعه الفقيه ليحاكمه ولكنه لم يكدر يمل إليها حتى مات قهراً

وكان الشيخ أبو الهدى أفندى الشهير من أعدائه ويقال أن السبب الأول في ذلك إباء الفقيه أن يصدق على نسب الشيخ أبى الهدى هذا وإن الشيخ أبى الهدى صار يقب أشرف حلب وكانت هذه النقابة من قبل في آل السكواكي . ومن آداب الفقيه العالية أنه كان هنا يثنى على صفات الشيخ أبى الهدى الحسنة كالروية والكرم والدكاء والشبات وقلمه كان يخوض بانتقاده إلا مع الخواص الذين يعرفون الحقائق فكانت عداوتهما عداوة العقلاء

خسر الفقيد بتلك المحاكمة أوفاً من الجنيهاً وخسر أضعافها إدارة شركة انحصار الدخان للمرة الثانية أيضاً لأن الحكومة مكلفة بحفظ أماكن الشركة فلما حدثت فتنة الأرمن امتنع الوالي عن إرسال العساكر لمنع نهب الأرمن مال الشركة. وخسر بسدم مداراة الحكام غير ذلك من المزراع والارض (منها) مزرعة (جفتلك) جميل باشا الوالي التي اشتراها منه الفقيد فاعتدى عليها زعماء التركمان باغراء خفي حتى أخذوها. (ومنها) مزرعة (جفتلك) كانت مستنقعات تابعة للأراضي الاميرية فألفها شركة وأخذها من الحكومة وحفظها فأغرى الفرون بعض عشائر الأكراد بالتعدي على حصته فحاشا لهم فحکم لهم عليه بالمساعدة الخفية. وفي أثر ذلك سافر مهاجراً إلى مصر سياسته ورأيه في الإصلاح: لم يكن الفقيد في اشتغاله بخدمة بيته وبلده وحكومته

غافلاً عن شؤون المسلمين العامة فقد كان يقرأ الجرائد التركية والمصرية حتى الممنوعة التي كانت تدخل إلى حلب كغيرها بوسائط خفية. ولما هاجر إلى مصر كان أول أثر له فيها طبع سجل جمعية أم القرى وكان يقول ان لهذه الجمعية أصلاً وأنه هو توسع في السجل ونفحه ست مرات آخرها عند طبعه منذ سنتين ونيّف أي عقب قدومه إلى مصر. وقد قال لنا مرة إن الإنسان يتجرأ أن يقول ويكتب في بلاد الحرية ما لا يتجرأ عليه في بلاد الاستبداد بل ان بلاد الحرية تولد في الذهن من الافكار والأراء ما لا يتولد في غيرها. ومن يقرأ الكتاب يظن أن صاحبه صرف معظم عمره في البحث عن أحوال المسلمين وتاريخهم في عقائدهم وعلومهم وآدابهم وتقاليدهم وعاداتهم ومنه يعلم رأي الفقيد في الإصلاح وقد كنا معه على وفاق في أكثر مسائل الإصلاح حتى أن صاحب الدولة مختار باشا الغازي أتمنا بتأليف الكتاب عندما اطلع عليه وربما نشير إلى المسائل التي خالفنا الفقيد فيها في هامش الكتاب عند طبعه وأهمها الفصل بين السلطتين الدينية والسياسية.

أما آراؤه ومعارفه السياسية فحسبنا منها كتاب طبائع الاستبداد الذي يكاد يكون معجزة للكتاب السياسيين. وقد زعم زاعمون ان معظم ما في هذا الكتاب مقتبس من كتاب لفيلسوف ايطالي في الظلم. ومن كان له عقل يميز بين أحوال الإفرنج الاجتماعية وأحوالنا ودوقهم في العلم وذوقنا يعلم أن هذا الوضع وضع حكيم شرقي يقتبس علم الاجتماع والسياسة من حالة بلاده حتى كأنه يصورها تصويراً وإذا لاحظ مع ذلك ان هذا الكتاب كان مقالات مختصرة نشرت في المؤيد ثم مدها صاحبها مد الأديب العكاظي وزاد فيها فكانت كتاباً أحفلاً يتجلى له علمه الأول بصورة أوضح وأجلى



وإذا علم بعد هذا كله أنه تفحه مع الطبع وحذف منه قليلا وزاد فيه كثيرا، علم اليقين أن يتوسع علم هذا الرجل صدره وأنه كان يزداد في كل يوم، فبعضنا وتفجيرا، نعم إنه قال في مقدمته أن بعضه ثمة درس، وبعضه بما اقتبس، وإنما علم أن لم يولد إنسان عالما ولكن فرقا عظيما بين من يحكى كلام كغيره كقوله (التومراف) وبين من يحكى عقله في علوم الناس فيأخذ ما صبح عند، ويبذل ما سح، من كان له مثل هذا العقل الحاكم في كليات العلوم فهو الفيديوس، إن كان اجتاده هذا في العلوم العقلية والسكونية وهو الأمام إن كان اجتاده في العلوم النورية.

وجهه الإلهي : وجهه هو الذي أتى توسع في معرفة حال المسلمين أي في الإصلاح على جميعه فبعد اختياره التمام لبلاد الدولة العلية ركبها وعربها وأكرادها وأرمنها ثم اختارها العرب ومعرفة حال اليهود، ثم سارح منذ سنتين في سواحل افريقية الشرقية وبعدها سارح في المغرب، ثم سارح في أسبانيا فاحتكر بلاد العرب التي كانت توسع أدبها ثم الأخبار فانه دخلها من سواحل المحيط الهندي وما زال يمشي فيها حتى انتهى إلى بلاد سوريا واحتجج بالامباء وشيوخ القبائل وعرف استعدادهم الحربي والأدبي وعرف حالة البلاد الزراعية وعرف كثيرا من معادنها حتى أنه أحضر مودعها، وفعل الكثير من حله الأخيرة إلى كرابين لآخرين مد إلى الملك بجزيرة البحر الله له في عودته فغيره غير ما كان عليه من حجة به صية من وكيل إيطاليا السياسي في مسقط، يتألف به سواحل بلاد العرب وسواحل افريقية الشرقية فاسر له ذلك الأخبار بعد أن يلا أخبارا سبق به لاف، وكان في نفسه رحلة أن يمشي بها إلى بلاد المغرب حتى انتهى إلى بلاد المغرب فالتحق به في سنة ١١٠٠ هـ في القبر بمحور دون كل أدب، ثم سارح.

تزوجت رجلا كرم الأصل، كبير الثمن، يدعى أسبن، سارح به وتعلم أحسن ما كان ودخل في الأعمال الخند، قرانصدي للمشروعات المتعددة، كتب في أدب المنازل أحسن الكتابة وسارح في البلاد، واختبر أحوال الأمم، حتى أصبح أشده واستوى كيف يكون حاله وماهي درجة استعداده؟؟ هذا هو صدقنا الذي فنداه بالامس، فقد كنا فقدنا به الشمس ومثل تلك الأموال الكبيرة، لا يتبع إلا ما يراه من عداوة أو سوء الناس والجموع، فلو كان له أمن في مصر وأميرها أراه الاختيار، لافه، لكان لموته تأثير كبير في الفلا والعملاء، وقد نهي إلى الجناب الحدبوي في ما يرجعنا له التي ماتت بها فأمر أن ينحس على نفقة سموه وأن يحل بدفنه فكان ذلك، فرحنا الله فعبدا وأحسن عزاء الاسلام والشرق فيه

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أول الألباب

الله

١٣١٥

فيشر عبادي الذين يستمعون القول
فيقيمون أحسنه أو تلك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الثلاثاء ١٦٠ ربيع الثاني سنة ١٣٢٠ - ٢٢ يوليوز (تموز) سنة ١٩٠٢)

﴿ باب الدهر والوجوه ﴾

الدهر والزمن (س ١) احمد افندي عبدالكريم بالزقازيق: نقرا ونسمع كل يوم من هذام الدهر نظما ونثرا من جميع الملل مالا يخفى عليكم ولا نعلم ما يقصدون بالدهر الذي ينسبون اليه افعالا كالرفع والخفض والسر واليسر وما مسمى هذا الاسم اهي المدة الزمانية ولا دخل لها في الأفعال أم ماذا؟ والحامل لي على هذا السؤال اني سمعت من أحد العلماء حديثاً أدهشني وهو: « لا تسبوا الدهر فان الدهر هو الله » وقد نري أكثر سابي الدهر من العلماء الذين لا يغيب عنهم هذا الحديث فما رأيكم في هذا السؤال وفي صحة الحديث أجيبوني ولكم مزيد الشكر ومن الله الاجر

(ج) اختلف العلماء في تفسير الدهر والزمان والنسبة بينهما فقال الراغب الدهر اسم لمدة العالم من مبداه الى منتهاه ثم صاروا يطلقونه على المدة الطويلة وأما الزمان فيطلق على المدة الطويلة والقصيرة اطلاقاً حقيقياً وزعم السعدان الدهر طول الزمان . وقد فشا بين الأدياء والشعراء فم الدهر والزمان ونسبة الحوادث السيئة اليهما وترى شعراء العرب بعد الاسلام فلما يذمون الدهر وإنما يذمون الزمن . ولا يقصد هؤلاء ولا أولئك بالزمن أو الدهر حركة الفلك أو الليل والنهار أو ما يقول المتكلمون في تعريف الزمن « مقارنة متجدد معلوم لمتجدد وهووم » وإنما يقصدون ان تماسهم أو شقاءهم وكل ما يشكون منه لم يكن من تقصيرهم وإنما علته عدم موافاة الشؤون الكونية المتعلقة بغيرهم من الخلق ولما كانت هذه الشؤون التي يتوقف عليها النجاح مع سعي الانسان غير معينة صاروا ينسبونها الى أهم

شيء يمكن أن تسند إليه وهو الزمن أو الدهر

وقد حكى الله تعالى عن بعض الملاحدة نسبة الإحياء والاماتة الى الدهر فقال « وقالوا إن هي الا حياتنا الدنيا نموت ونحي وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون » والظاهر انهم يعنون ان هذا هو المعروف طول الدهر فلا يوجد شيء آخر يحي ويميت وهذا الذي المطلق جهالة لا دليل عليها . وأما الحديث فقد جاء في صحيح مسلم بالفظ « لا يسب أحدكم الدهر فان الدهر هو الله تعالى » وورد بالفظ آخر عند أبي داود والحاكم وقال صحيح على شرط مسلم وهو : « قال الله عز وجل يؤذيني ابن آدم يقول يا خيبة الدهر فاني انا الدهر اقلب ليله ونهاره » ورواه غيره وله الفاظ أخرى لا حاجة الى استقصائها . ولم يرد اسم الدهر في أسماء الله تعالى لانه أطلق عليه سبحانه على سبيل التجوز والمعنى فيه ان الشيء الذي يسند اليه الناس الافعال ولا يعرفون حقيقةه وانما يسمونه الدهر لأنه غير متعين في علمهم الناقص هو الله جل شأنه لانه هو القاعل المختار الذي يرجع اليه الامر كله

الدعاء والقضاء وطول العمر (س ٧) أحمد أفندي متولي بمصر : اطاعت على حديث في تفسير الخازن هذا نصه : عن سلمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « لا يرد القضاء الا الدعاء ولا يزيد في العمر الا البر » وهذا مضاد لما تقدمه من انه لا راد لقضاء الله وان العمر لا يزيد ولا ينقص لقوله تعالى « لكل أجل كتاب » وقوله جل ذكره « فاذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يتقدمون » فالرجاء انفاذنا عن ذلك

(ج) اتفق النقل مع المتن على ان كل ما يقع في الوجود فانما يقع

بحسب ما في علم الله تعالى لأن وقوع شيء على خلاف ذلك يستلزم الجهل وهو محال على الله تعالى فما خالف هذه العقيدة خلافاً حقيقياً فهو مردود ونقطع بأنه مكذوب على النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إذا لم يمكن تأويله وإرجاعه إليها . وقد أول العلماء حديث « لا يرد القضاء الا الدعاء » فقالوا قد يكون في علم الله تعالى ان فلانا يصاب بكذا أو يكون بصدد أن يصاب به فيدعو الله فينكشف عنه البلاء الذي كان مماناً نزوله او دوامه على عدم الدعاء وانكشفه على الدعاء ويسمون هذا القضاء المعلق . أما القضاء المبرم وهو ما سبق في علم الله تعالى أن يكون لا محالة فهو الذي لا يمكن أن يرد . واذا كان هذا التقسيم لاجل الجواب عن هذا الحديث فهناك أحاديث لا يمكن ان يجاب عنها منها ما أخرجه أبو الشيخ عن أنس عن فوعا « أكرم من الدعاء فان الدعاء يرد القضاء المبرم » وما أخرجه ابن عساكر عن نعيم ابن أوس مرسل « الدعاء جند من أجناد الله مجندة يرد القضاء بمسار بهرم » . والحديثان ضعيفا السند جدا . والحديث الوارد في السؤال رواه الترمذي والحاكم . وقد ذكر المحدثون ان من علامة الحديث الموضوع مخالفته للمقائد القطعية والاصول الثابتة ومنها مخالفته للعقل والوجود

وأما كون البر يزيد في العمر فقد ورد بمعناه أحاديث في الصحيح وهو كلام في الاسباب لا في علم الله تعالى وقضائه في المباد . قال بعض العلماء في تفسيره ان أهل البر يكونون أهناً الناس عيشاً لما بينهم وبين والديهم وأهلهم وسائر الناس من الحب وحسن المعاملة وهذه هي الزيادة في العمر فان من يعيش بالناكدة والفجور كأنه لم يعيش لأن حياته تذهب سدى . وفيه وجه آخر وهو ان البر وحسن الاخلاق والاعتدال في الامور من

اسباب الصحة واعتماد المزاج والصحة هي مادة طول الحياة في الغالب وهذا مما يأتي بالنسبة لحالة البنية واستعداد الشخص لا بالنسبة لما في علم الله تعالى لانه لا يتغير وأكثر الكلام بين الناس يكون في الاسباب لا في أصول العقائد وقد أوضحنا هذه المسئلة في الدرس ١٦ من الامالى الدينية (راجع ٥٥٨: ٣) رضاع الزوج من الزوجة (س ٣) م ٠ ص ٠ في الجزية: اذا رضع الزوج ندي زوجته هل تحرم عليه؟

(ج) لا فان حكم الرضاع انما يثبت في الصغير عند جماهير العلماء من السلف والخلف والمروى عن الائمة الاربعة وغيرهم انه لا تأثير له بعد الحولين وفيه حديث رواه الدارقطني عن ابن عباس « لا رضاع الا ما كان في الحولين » وفي حديث صححه الترمذي عن ام سلمة « لا يحرم من الرضاع الا ما فتحق الاماء وكان قبل الفطام » والرادفتق الاماء كونه عمدة في التغذية ولكن وردت احاديث اسخ من هذه في التحريم برضاع الكبير وقد اجابوا عنها بما يحتمل البحث ومن اراد الاحتياط فلا يجنب كل ما فيه خلاف . وأما سؤالكم الاول فاننا لم ندره وسنجيب عن اقتراحكم في الطلاق عند سنوح الفرصة .

القسم العمومي

فرنسا والاسلام

لا تزال دولة فرنسا في حيرة وعمة لا تهدي معها الى طريقة تطمين اليها في سياسة مستعمراتها الاسلامية فكتابها من الفلاسفة والسياسيين بواصولون البحث في الاسلام على مر الايام والاعوام لأجل اشراع هذه

الطريقة وما هم بمشرعيها ولما تطعن نفوسهم الى شئ كاطمئنان نفس
انكتراني في سياسة مستعمراتها الاسلامية وغير الاسلامية . لقد ظهرت
نتيجة حسن سياسة انكتراني ارتبا كما بحرب الترانسفال فلقد كانت
عاجزة عن تأديب مملكة واحدة من ممالكها الاستعمارية الواسعة اذا هي
تألت عليها وثارت تريد الخروج من دائرة سلطتها . والله يعلم ما يكون
من أمر مستعمرات فرنسا معها اذا وقعت في مثل ذلك الارتباك وانتهت
الى مثل ذلك الخطر الذي كانت فيه انكترانيام كانت الحرب في شبابها .

سلكت فرنسا مع المسلمين مسلك العنف والضغط حتى حالت
بين المسلمين الذين تحت سيادتها أو حمايتها وبين العلم والتعليم وزعمت ان
فرقا بينها وبين انكترانيانها تحكم شعوباً لا تزال الشهامة الاسلامية
والشجاعة العربية متمكنة في نفوسها وان انكترانيانوس قوماً فسد بأسهم
وهجرتهم الشجاعة والشهامة بما توالى عليهم من ظلم حكاهم كالهنديين
والمصريين الذين لا تخشى بادرتهم . ولا تحذر غائلتهم . وجهات أقرب
حوادث التاريخ في مصر وهو خروج المصريين على حكاهم الذين يدينون
بدينهم وينطقون بلنتهم عندما أمكتهم المرة من الخروج عليهم حتى كان
العلماء وهم أبعد الناس عن السياسة من خطباء الثورة العراقية ودعاتها بعدما كانوا
يقولون بوجوب طاعة هؤلاء الحكاهم والخضوع لهم . ولا أنسى كلمة سمعتها من
كبير العلماء في بلد من سوريا قالها في محفل كبير ذكرت فيه الثورة العراقية
فقال ذلك الشيخ رحمه الله « كلنا عراقيون » ودعا العراقي وحزبه بالنصر .
واذا وجد في العلماء رجل واحد بصير بالسياسة كان يحذر العراقيين
وينذرهم سوء عاقبة الثورة كالشيخ محمد عبده فذلك لا ينافي أن الجماهير

كانوا راضين عنها وداعين اليها

أتجهل فرنسا ان سياسة الظلم والقسوة التي نفخت روح الثورة في المصريين الجبناء في نظرها على حكاهم المسلمين تخشى عاقبتها من الجزائريين والتونسيين وهم من أهل النجدة والبأس والشجاعة والشهامة؟ أتجهل السر في سكون هؤلاء الذين عهدم بالثورة غير بعيد عند ظهور انكسار انكسار انكسار في الحرب المرة بعد المرة؟ السر ظاهر غير مكتوم وهو أنهم في رخاء من العيش يرفلون في ظلال الحرية التامة ونعيمها . نعم أنهم يمتنون الاستقلال التام لأنه هو كمال الحياة الاجتماعية ومن نجا من الاستعباد والاستبداد ، يشتهي كمال الاستقلال ، ولكن الناس لا يمشون الى الثورة الا بالظلم والتصديق فان الانفجار نتيجة الضغط

اذا كانت انكسار لا تساعد استمداد الشعوب على الترقى كما هو شأنها في زنجبار فانها قلما تعارضه لانها لا تحارب الطبيعة فقد كان مسلمو الهند في جهل وخمول فتركهم وشأنهم فظهر فيهم مرشدون اشتغلوا بتربيتهم وتعليمهم فصادقوا من الحكومة الانكليزية ارتياحاً بل تشيخاً ومساعدة وأعظمهم الحرية التامة في انشاء المدارس والجراند وعمد الجمعيات ، والبريد عندهم حر فلم نسمع ان جريدة منعت عن الهند وان مكتوباً ضاع او رسالة اختزلت او كتابا ارسل فلم يصل فهل تعامل فرنسا اهل الجزائر بمثل هذه المعاملة او بما يقرب منها ؟؟

لقد كان لفرنسا في سيرة الانكليز في الاستثمار ما يفتننا عن كثرة البحث والتأليف والتصنيف في حال المسلمين وكيف ينبغي ان ياملوا ويفنوا عن تأليف اللجنة التي انشأتها من عهد قريب لتحصين البحث في

هذه المسئلة

يحكم كتاب فرنسا وساستهم على المسلمين من غير ان يستشيروهم او يرفوا ما يكتبه الاحرار العارفون بالدين واهله عنهم ولكن بعض حكاهم يستكتبون بعض المصاندين لهم ما ارادوا وينشون انفسهم وقومهم بما يوهونهم ان هذا هو رأي علماء المسلمين واهل الرأي فيهم . اكثر ما يكتبه الفرنسيون عن الاسلام والمسلمين يحفظ القلوب ويشير الاحقاد ويخرج الاضغان وكل هذا يحتمل ما دامت القوة فاذا عرض عليها ما يضعفها فهناك يحددون شر ما يزرعون . وليس من المقل الاغترار بدوام القوة

الفرنسيون ابعد الناس عن الدين وعن التعصب له ولكنهم اذا كتبوا عن الاسلام فانما ينفثون السموم ويظنون المسلمين بظال من يحموم؛ الا ما كان من فيلسوف حكيم يكتب للعالم لا للسياسة . حكومة الجمهورية ليست مسيحية فتعصب على الاسلام لاجل النصرانية وانها لتقاوم النصرانية في بلادها كما تقاوم الاسلام في مستعمراتها وانكنا تعقد ان المسلمين قوم حرب وان دينهم يطالبهم بان يكونوا سائدين غير مسودين وانهم يتربصون بمن يسودهم الدوائر حتى اذا ما سئحت لهم الفرصة وشبوا ، فسلبوا ونهبوا ؛ وان السياسة الواقية ان يوضعوا في الاوهاق ؛ وتفل الأيدي الى الاعناق ؛ وان تحجب شمس العلم عن الانظار ؛ وتحول بين الاسماع وما في العالم الاسلامي من الاخبار ؛ وان تراقب الحكومة السائحين ، اذا كانوا مسلمين او عثمانيين ؛ - ومن الاعتقاد ما هو ظن وان بعض الظن اثم . ولا شيء يخرج الصدور ؛ ويبيض النفوس مثل هذه

المعاملة السوءى لأنها برهان على ان هذه الحكومة تبغض المسلمين والجاهل لا يعرف سببا للعداوة والبغضاء الا الأمر العام وهو الدين لذلك يعتقد الاكثرون في المستعمرات الفرنسية ان فرنسا تبغض المسلمين لأنهم مسلمون يعبدون الله من دون المسيح ويؤمنون بمحمد صلى الله تعالى عليه وآله وسلم نحن والمقلاء نقول ان الأمر ليس كذلك وهثلنا من يقدر على إقناع المسلمين لأننا من خدمة الدين والعلم فيهم ولكن هذا الإقناع يتوقف على وصول صوتنا الى تلك المسامع وفرنسا لا ترضى بذلك بل ولا ترضى بأن يتعلم المسلمون الا اللغة الفرنسية التي تزيد المسلمين بغضا في فرنسا كما صرح بذلك بعض كتابها وذلك انهم يرون في الكتب والجرائد الفرنسية الطعن الموجه مصوبا دائما الى صدور المسلمين . وفرنسا أقدر منا على إقناع المسلمين بحسن نيتها وسلامة عاقبتها اذا برهنت عليه بالعمل ولكن يتعذر عليها إقناع مسلم واحد بالقول وان أوتيت من سحر البيان ؛ وخطابة اللسان ، مالم يؤتته إنسان ؛

فرنسا في شك صريح من أمر مسلمي مستعمراتها لا تدري أي تكن أن تعيش معهم في وئام ، وهدون وسلام ، أم ذلك من الأمانى والأوهام ، التي لا تدرك ولا ترام ، ولا شك عندنا نحن في الامكان ، وانرتاب لا يقنعه البرهان ، ولكن ربما تقنعه حوادث الزمان ، والمريب يكون دائما في حذر ، والظالم لا يمكن ان يأمن الغيرة . ولو أخلصت فرنسا النية ، لعرفت القضية ، وبافت الأمنية ،

لو اطاعت فرنسا لأهل الجزائر حرية العلم والدين وحافظت فيهم على أحكام شريعتهم وآدابها وساعدتهم على ترقى بلادهم وعمرانها وأقامت

فيهم العدل وأباححت لكل أحد أن يمازجهم ويرى ما هم فيه حيثئذ من غبطة ونعيم وكانت هذه المعاملة الحسنى اقوى جاذب يجذب جيرانهم المراكشيين الى الدخول في حكم الولاية الجزائرية قبلا بعد قبيل لاسيما اذا جعلت للولاية حاكما مسلما يصدر الاحكام الشرعية وينفذها .

قد نعلم ان من الفرنسيين من يسخر من هذا الكلام اذا سمعه متوهما اننا نقوله خداعاً لهم لا عن اعتقاد منا بصحته . ولا يعلم الساخر المفروض اننا أقرب الى الشك في كون إحسانهم معاملة المسلمين خيراً للمسلمين منا الى الشك فيما قلناه فان الظلم والقسوة في المعاملة هي التي تربي الأثم وترجع اليها استمدادها المفقود ، او تبث فيها استمداداً لم يكن بالموجود ، ولقد كانت الحرب الروسية العثمانية اكبر منبه للمسلمين الى الحياة الاجتماعية في مشارق الارض ومغارها وإث كانت اكبر خسارة على المسلمين في الظاهر . واز من سياسة المسلمين وعقلائهم من يعتقدان نجاح الاسلام الاكبر يتوقف على سقوط كل هذه الحكومات الاسلامية التي بقيت لها رسوم ماثلة فان أعظم ادواء المسلمين الاجتماعية اعتمادهم على حكوماتهم واستبداد حكامهم بهم فلن تعود اليهم قوتهم الحقيقية واستقلالهم الذاتي الا بسقوط هذه الرسوم ليرجعوا الى قوتهم الذاتية الاستقلالية

بهم يفسر مسلمو الجزائر وتونس وغيرهم عداوة فرنسا للسيد المهدي السنوسي وهو من رجال الدين وشيوخ الطريق ولماذا يكتب الفرنسيون في جرائدهم وكتبهم انه لا بد من استئصال قوته ، واصطلام دعوته ؛ واخذوا جذوته ؛ كما بينا ذلك في الممدد ٢٣ من منار السنة الاولى ولماذا لا يحفل الانكاز بذلك ولا يحثون عن زواياه واتباعه في السودان ومصر ولماذا لم

يكتب أحد من الانكايز ناصحاً قومه وهيبنا لهم الحيل والديسائس التي
تفتت بها القوة السنوسية؟؟ ان سياسة فرنسا في أفريقيا خرقاء وربما
تكشف هذه المناوشات الاخيرة بينها وبين المهدي السنوسي خرقها الا اذا
أراد الله لها زيادة الاستدراج والاملاء الى أجل مسمى والى الله المصير
(يطلب خبر محاربة فرنسا والسيد المهدي السنوسي في باب الاخبار)

نموذج من كتاب دلائل الإعجاز الامام عبد القاهر الجرجاني

(تمة الكلام على من زهد في رواية الشعر وحفظه ، وضم الاشتغال بعلمه وتبعه)

كان آخر القول في النبذة الماضية ان النبي كان يستنشد عائشة فنشده ما تقدم

قالت فيقول عليه السلام « يقول الله تبارك وتعالى لمهد من عبيده صنع
اليك عبدي ومر وفانهل شكرته عليه فيقول يارب عدت انه منك فشكرتك
عليه قال فيقول الله عز وجل لم تشكرني اذ لم تشكر من أجرته على يده » :
(وأما) عدله عليه السلام بالشعر فكما روي ان سودة انشدت
« عدي و تيم تبني من تحالف » فظنت عائشة وحفصة رضي الله عنهما
انها عرّضت بهما وجرى بينهما كلام في هذا المعنى فاخبر النبي صلى الله
عليه وسلم فدخل عليهن وقال « يا ويا لكن ليس في عديكن ولا تيمكن قيل
هذا وإنما قيل هذا في عدي تيم وتيم تيم » . وتمام هذا الشعر:

تحالف ولا والله تهبط تلمة من الارض الا أنت لاندل عارف^(١)
الا من رأي المبدين أو ذكر له عدي وتيم تبني من تحالف

(١) التلمة تطلق على ماعلا وعلى ما سفلا من الارض وقيل هي ما اتسع من فوهة الوادي

وروى الزبير بن بكار . قال مر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهمه
ابو بكر رضي الله عنه برجل يقول في بعض أزقة مكة :
يا أيها الرجل المحول رحله هلا نزلت بآل عبد الدار
فقال النبي صلى الله عليه وسلم « يا أبا بكر هكذا قال الشاعر » قال
لا يارسول الله وليكنه قال :

يا أيها الرجل المحول رحله هلا سألت عن آل عبد مناف

فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هكذا كنا نسميها .

(وأما) ارتياحه صلى الله عليه وسلم للشعر واستحسانه له فقد جاء فيه

الخبر من وجوه من ذلك حديث النابتة الجمدي قال أنشدت رسول الله صلى الله
عليه وسلم قولي :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا وانا نترجو فوق ذلك مظهرا

فقال النبي صلى الله عليه وسلم : « أين المظهر يا أبا ليلى ؟ » فقلت الجنة

يارسول الله قال « أجل ان شاء الله » ثم قال « أنشدني » فأنشدته من قولي :

ولا خير في حلم اذا لم تكن له بوادٍ تحمي صفوه أن يكذرا^(١)

ولا خير في جهل اذا لم يكن له حلیم اذا ما أورد الأمر أصدرا

فقال صلى الله عليه وسلم « أجبت لا يفضض الله فاك » قال الراوي

(١) البواد جمع بادرة وهي الحدة أو ما يبدر من الانسان عند الحدة من الحفة الى الانتقام بالقول أو الفعل . والحديث رواه ابن عساكر وابن النجار بلفظ [مجدنا] بدل [مجدنا] وفيه انه انشد البيتين بعد ذلك من نفسه فقال له عليه السلام « لا يفضض فوك » مرتين قال الراوي وهو يعلى بن الاشدق فاقد رأيتيه بعد عشرين سنة ومائة وان لأسنانه أشرا كأنه البرد . والاشر الحدة والرقعة في اطراف الاسنان والتحزيز الذي يكون فيها

فنظرت إليه فكان زناه البرد المثل ما سقطت له سن ولا انفلت ترف غروب^(١)
 (ومن ذلك) حديث كعب بن زهير روي أن كعباً وأخاه بجيرا
 خرجا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بلغا أبرق العزاف فقال
 كعب لبجير: الق هذا الرجل وأنا مقيم ههنا فانظر ما يقول وقدم بجير
 على رسول الله صلى الله عليه وسلم فمرض عليه الاسلام فاسلم وبلغ ذلك
 كعباً فقال في ذلك شعراً فاهدر النبي صلى الله عليه وسلم دمه فكتب إليه
 بجير يأمره ان يسلم ويقبل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ويقول وأن من
 شهد أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله قبل منه رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وأسقط ما كان قبل ذلك فقدم كعب وأنشد النبي صلى الله عليه
 وسلم قصيدته المعروفة:

بانت سعادة قلبي اليوم مقبول	متيم إثرها لم يفد منلول ^(٢)
وما سعاد غداة البين اذ رحلت	الأشئ غضيض الطرف كحلول
تجلوعوارض ذي ظلم اذا التسمت	كانه منهل بالراح من لول
سح السقاء عليه ماء محنية	من ماء أبطح ضحى وهو مشمول ^(٣)

« الغروب الاسنان ورفيقها بريقها كذا في الهامش بخط الاستاذ وقبل هذه الجملة
 « ولا انفلت » ويظهر لي أن اصلها « ولا انفكت » وهي مع رفا غروب به جملة
 واحدة « والانشال التلم والامر » ٢ « المذبول من كسبه الحب اذا اضاء وأفسد أو ذهب
 بابه وعقله . والمقيم المذلل للمبتدئ . والمغلول من وضع الغل في عنقه وفي رواية
 « مكبول » وهو المقيد بالكبل أي المقيد « ٣ » وفي نسخة « سح السقاء عليها » أما الرواية
 المشهورة في البيت فهي

شجّت بذى شيم من ماء محنية صاف بأبطح ضحى وهو مشمول

أكرم بها خلة لو أنها صدقت موعودها أولوا أن التصح مقبول^(١)
 حتى أتى على آخرها فلما بلغ مدح رسول الله صلى الله عليه وسلم
 إن الرسول لسيف يستضاه به مهند من سيوف الله مسلول^(٢)
 في فتية من قريش قال قائلهم بطن مكة لما أسلموا زولوا
 زالوا فما زالوا انكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل ممازيل
 لا يقع الطعن الا في نحورهم وما بهم عن حياض الموت تهليل
 شم المرانين أبطال لبوسهم من نسج داود في الهيجا سرايل
 اشار رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الحلي أن اسمه اقال وكان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يكون من اصحابه مكان المائدة من القوم
 يتحلقون حلقه دون حلقه فيلنفت الى هؤلاء والى هؤلاء والاختبار فيما
 يشبه هذا كثيرة والأثر به مستفيض

وان زعم انه ذم الشعر من حيث هو ووزون مقفى حتى كان الوزن
 عيباً وحتى كان الكلام اذا نظم نظم الشعر اتضع في نفسه وتغيرت حاله ،
 فقد ابدد وقال قولاً لا يعرف له معنى وخالف العلماء في قولهم : انما الشعر
 كلام فحسنة حسن وقبيحة قبيح^(٣) . وقد روي ذلك عن النبي صلى
 عليه وسلم صراحة :

فان زعم انه انما كره الوزن لانه سبب لان يقفى في الشعر ويلتهى به . فاننا اذا

«٤» وفي رواية « وَيَأْمُرُهَا خَلَّةٌ (٥) وفي رواية لنور بدل لسيف ولا تفسر
 الايات فالتقصيدة شهيرة . وشروحها في الايدي على اني لم ار أحداً من المحدثين رواها
 (٦) روى الدارقطني في الافراد عن عائشة والبخاري في الأدب والطبراني في
 الاوسط وابن الجوزي في الواهيات عن عبد الله بن عمر . والشافعي والسهوي عن ع
 مرسل : (الشعر كلام بمنزلة الكلام فحسنة حسن الكلام وقبيحة قبيح

كنا لم ندعه الى ان . . . من ابي ذلك وانما دعواته الى اللفظ الجزل ، والقول الفصل ، والمنطق الحسن ، ر . الام الين ، والى حسن التمثيل والاستمارة ، و الى التلويح والاشارة ، والى صنعة تعمد الى المعنى الحسيس فتشرفه ، والى الضئيل فتفخمه ، والى النازل فترفمه ، والى الحامل فتؤه به ، والى العاطل فتجليه ، والى المشكل فتجليه ، فلا متعلق له علينا بما ذكر ، ولا ضرر علينا فيما أنكر ، فليقل في الوزن بما شاء ، وليضعه حيث أراد ، فليس يميننا أمره ، ولا هو مرادنا من هذا الذي راجعنا القول فيه ، وهذا هو الجواب المتعلق ان تعلق بقوله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » وأراد أن يجعله حجة في المنع من الشعر ، ومن حفظه ورواياته ، وذلك اننا نعلم انه صلى الله عليه وسلم لم يمنع الشعر من أجل ان كان قولاً فصلاً ، وكلاماً جزلاً ، ومنطقاً حسناً ، وبياناتاً بياناً ، كيف وذلك يقتضي ان يكون الله تعالى قد منعه البيان والبلاغة ، وحماه الفصاحة والبراعة ، وجعله لا يبلغ مبلغ الشعراء في حسن العبارة ، وشرف اللفظ وهذا جهل عظيم . وخلاف لما عرفه العلماء وأجمعوا عليه من انه صلى الله عليه وسلم كان أفصح العرب . واذا يقال ان يكون المنع من أجل هذه المعاني وكنا قد أعلمناه اننا ندعو الى الشعر من أجلها ونحذو بطلبه على طلبها كان الاعتراض بالآية محالاً ، والتعلق بها خطلاً من الرأي وانحلالاً :

فان قال اذا قال الله تعالى « وما علمناه الشعر وما ينبغي له » فقد كرهه لاني صلى الله عليه وسلم الشعر ونزهه عنه بلا شبهة وهذه الكراهة وان كانت لا توجه اليه من حيث هو كلام ومن حيث انه بليغ بين وفصيح حسن ونحو ذلك فانها توجه الى امر لا يد لك من التلبس به في طلب ما ذكرته انه مرادك من الشعر وذلك انه لا سبيل لك الى أن تميز كونه كلاماً عن كونه شعراً حتى اذا رويت التبت به من حيث هو كلام ولم تلتبس به من حيث هو شعر هذا محال ، واذا كان لا يد لك من التلبس به موضع الكراهة فقد لزم العيب برواية الشعر واعمال اللسان فيه . قيل له (١) هذا منك كلام لا يتحصل وذلك انه لو كان الكلام اذا وزن حظ ذلك من قدره وأزرى به وجلب على المفرغ له في ذلك القالب اثماً ، وكسبه ذمماً ، لكان من حق العيب فيه أن يكون على واضح الشعر أو من يريد له لكان الوزن خصوصية دون من يريد له لا امر خارج عنه ويطلبه لني سواء . فاما قولك انك لا تستطيع ان تطلب من الشعر ما لا يكره

حتى تلتبس بما يكره فاني اذا لم أقصده من أجل ذلك المكروه ولم أرد له وأردته
لا عرف به مكان بلاغة ، وأجعله مثالا في براعة ، أو أحتج به في تفسير كتاب وسنة
وأنظر الى نظمه ونظم القرآن ، فارى موضع الإعجاز وأقف على الجهة التي منها كان ،
وأبين الفصل والفرقان ، فحق هذا التلبس ان لا يعتد علي ذنباً وان لا أوأخذ به اذ
لا تكون مؤاخذه حتى يكون عمداً الى أن تواقع المكروه وقصد اليه (١) وقد تتبع
العلماء الشعوذة والسحر وغنوا بالتوقف على حيل الموهين ليعرفوا فرق ما بين
المعجزة والحيلة فكان ذلك منهم من أعظم البراذن الغرض كريماً والقصد شريفاً
هذا واذا نحن رجعنا الى ما قدمنا من الاخبار ، وما صح من الآثار ، وجدنا
الأمر على خلاف ما ظن هذا السائل ورأينا السبيل في منع النبي صلى الله عليه وسلم
الوزن وأن ينطق لسانه بالكلام الموزون غير ما ذهبوا اليه ، وذلك انه لو كان منع
تنزيهه وكراهة لكان ينبغي أن يكره له سماع الكلام موزوناً وأن ينزه سمعه عنه كما ينزه
لسانه وكان صلى الله عليه وسلم لا يأمر به ولا يحث عليه ، وكان الشاعر لا يمان على
وزن الكلام وصياغته شعراً ولا يؤيد فيه بروح القدس ، واذا كان هذا كذلك
فينبغي أن يعلم أن ليس المنع في ذلك منع تنزيهه وكراهة بل سبيل الوزن في منعه عليه
السلام اياه سبيل الخط حين جعل عليه السلام لا يقرأ ولا يكتب في أن لم يكن المنع
من أجل كراهة كانت في الخط بل لأن تكون الحجة أهر وأقهر ، والدلالة أقوى
وأظهر ، وتكون أكم للمجاهد (٢) وأقع للمعاند ، وأرد لطلاب الشبهة ، وأمنع في
ارتفاع الريبة .

وأما التعلق بأحوال الشعراء بأنهم قد ذموا في كتاب الله تعالى فما أرى عاقلاً
يرضى به أن يجعله حجة في ذم الشعر وتهجينه ، والمنع من حفظه وروايته ، والعلم بما
فيه من بلاغة ، وما يختص به من أدب وحكمة ، ذلك لانه يلزم على قود هذا القول
أن يعيب العلماء في اتهمادهم بشعر امرئ القيس وأشعار أهل الجاهلية في تفسير
القرآن وغريبه وغريب الحديث ، وكذلك يلزمه أن يدفع سائر ما تقدم ذكره من
أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالشعر واصفائه اليه واستحسانه له ، هذا ولو كان يسوغ
ذم القول من أجل قائله ، وأن يحمل ذم الشاعر على الشعر لكان ينبغي أن يخص

(١) وقال ان كلمة (قصد) مطوفاً على (عمد) (٢) أكم من كيم البعير اذا شد

فاه بالكمام عندهياجه لئلا بعض أو لأجل منعه الأكل

ولا يُعمَّم وأن يستثنى فقد قال الله عز وجل (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمَلُوا الصَّالِحَاتِ
وَذَكَرُوا اللَّهَ كَثِيرًا) ولم لا أن القبول شجر بعضه بعضاً وأن الشيء يذكر بدخوله في
القسمه لكان حق هذا ونحوه أن لا يتشاغل به وأن لا يعاد ويبدأ في ذكرها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قد وجد فينا علماء كان أحدهم يطالع في الكتاب أو السنة على أمر أو نهى
فيتلقاه على حسب فهمه ثم يعمدني الحكم إلى أجزاء الأمور به أو انتهى عنه أو إلى
دواعيه أو إلى ما يشاء كله ولو من بعض الوجوه وذلك رغبة منه في أن يلتبس لكل
أمر حكماً شرعياً فتختلط الأمور في فكره وتشبه عليه الأحكام والاسيا من تعارض
الروايات فيأخذ بالأحوط ويجهل شرعاً وبهم من توسع فصار يحمل
كل ما فعله أو قاله الرسول عليه السلام على التشريع والحق كما سبق لنا ذكره أن النبي
صلى الله عليه وسلم قال وفعل أشياء كثيرة على سبيل الاختصاص أو الحكاية أو العادة
ومهم من توسع فصار لا يرى لزوماً تحقيق معنى الآية أو ثلاث في الحديث إذا
كان الأمر من فضائل الأعمال فيأخذ بالأحوط فيمنع في التشديد ويظن
أن من ذلك ورعاً وطوى ومنه علم واعتناء بالدين في إيلان إلى تقليده ويرجعون
فإنه على غير

وهكذا عظم التشديد في الدين بالهاجي حتى صدر أمرنا وإغلالاً فكأننا لم نقبل
ما من الله به علينا من التخفيف . وأن وضع عنا ما كان على غيرنا من ثقل التكليف .
قال تعالى شأنه وحجج حكمتهم : « وما جعلنا عليكم في الدين من حرج » وقال
جاء منه « وبشرنا » ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم . أي يخفف
عنهم التكليف الثقيل . وعلمنا كيف ندعوه بعد أن بين لنا أنه « لا يكذب الله
نفساً إلا وسعها » وهو إن تقول : « ربنا لا تؤخربنا إن سبونا أو أخطأنا »
ربنا ولا نعلمنا عيباً . بشرنا على الدين من قولنا « وقال تعالى
« لا تعادوا في دينكم » وقالوا ربنا « إن يشاء الله لنجدنا » (١) وفي

(١) رواد البخاري عن أبي هريرة بنظ « إن يشاء الله لنجدنا » (١) وفي
فسدوا وقاربوا » ورواه غيره أيضاً

حديث آخر « هلك المتكلمون » (٢) أي المتشددون في الدين ووطن بعض الصحابة ان ترك المحجور افضل بالنظر الى حكمة تشريع الصيام فهاهم النبي عليه السلام عن ثلث الفضيلة في تركه : وقال عمر رضي الله عنه في حضور رسول الله لمن اراد ان يصل النافلة بانفرض « بهذا هلك من قبلكم » (٣) فقال النبي عليه السلام « أصاب الله بك يا ابن الخطاب » وانكر النبي عليه السلام على عبد الله بن عمرو بن العاص التزامه قيام الليل وصيام النهار واجتناب النساء وقال له « أرغبت عن سنتي » فقال بل سنتك أي قال « فإني أصوم وأفطر وأصلي وأتم وأكح النساء فمن رغب عن سنتي فليس بي » (٤) وقد كان عثمان بن مظعون واحدا من عزموا على سرد الصوم وقيام الليل والاحتشاء وكانوا حرموا الفطر على أنفسهم طمأنا به قرينة الى ربهم فهاهم الله عن ذلك لأنه غلو في الدين واعتداء فيما شرع فأنزل « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين » أي أنه لا يحب من تعدى حدوده ومارسه من الاقتصاد في أمور الدين : وقد ورد في الحديث الصحيح قوله عليه السلام « والذي نفسي بيده ما تركت شيئا يقربكم من الجنة ويباعدكم من النار الا أمرتكم به وما تركت شيئا يقربكم من النار ويباعدكم من الجنة الا نهيتكم عنه » (٥) فإذا كان الشارع يأمرنا بالانزاه ما وضع لنا من الحدود فما معنى نظرنا الفضيلة في المزيد وورد في حديث البخاري « ان أعظم المسامحة جرمنا من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسأله » (١) وبمعنى هذا الحديث نقول ما أحق بعض المحققين المتشددون بوصف المجرمين . وهذه مسألة السواك مثلا فإنه ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم فيها أنه قال « لولا أن أشق على أمتي لأمرتهم بالسواك » (٢) فهذا الحديث مع صراحته في ذاته ان السواك لا يتجاوز حد التدب جملة الا أكثر من سنة وخصصه بعضهم بعود الأراك وعمم بعضهم الأصبع وغيرها بشرط عدم الإدماء وفصل بعضهم انه اذا قصر عن شبر وقيل عن قدر كان مخالفا لسنة وتفطن آخرون بان من السنة ان تكون فتحة مفاد نصف الأبهام ولا يزيد عن غلط اصبع وبين بعضهم كيفية استعماله فقال بسند بياض رأس الخنصر ويمسك بالأصابع الوسطى ويدعم بالأبهام قائما . وفصل بعضهم ان يبدأ بادخاله مبلولا في الشدق الأيمن ثم يراوحه ثلاثا ثم يتقل ويقبل يمينه ثم يراوحه ويضمض ثانية وهكذا يفعل مرة ثالثة ويحث بعضهم في أن هذه المضضة هي تكفي عن سنة المضضة في الوضوء ام لا ومن قال لا تكفي حجاج بن عثمان الغرغرة : واختلفوا في أوقات استعماله هل هو في اليوم مرة أو عند

كل وضوء أو عند تلاوة القرآن أيضاً حتى صاروا يشبهون بعود الأراك يخلون به الفم يابساً والبعض يمدون له كثير من الخواص منها انه اذا وضع قائم كبه الشيطان والبعض خالف فقال بل اذا التي يورث مستعملة الجذام : ويشوهم كثير من العامة ان السواك بالأراك من شعار دين الاسلام الى غير هذا من مباحث التشديد والتشويش المؤدين الى الترك على عكس مراد الشارع عليه السلام من التذنب الى تمهد الفم بالتنظيف كيف كان

ثم قال « العالم النجدي » هذا ما ألهمني ربي بيانه في هذا الموضوع وربما كان لي فيه سقطات ولا سيما في نظر السادات الشافعية من الأخوان كالملاحة المصري والرياضي الكردي لأن غالب العلماء الشافعية يحسنون الظن بفلاة الصوفية وياتسون لهم الاعتذار وهم لا شئت أبصر بهم من مائة من أهل الجزيرة لنفقاتهم بين أطهرنا كلاً وتدرتهم في سواحننا ولولا سياحتي في بلاد مصر والقرب والروم والشام لما عرفت أكثر ما ذكرت وانكرت الا عن سماع ولي كنت اقرب الى حسن الظن ولكن ما بعد العيان لتحسين الظن مجال وما بعد الهدى الا الضلال فنسأل الله تعالى ان يهدينا سواء السبيل

فاجابه « الملاحة المصري » : ان أكثر الصوفية من رجال مذهبتنا ونحن مما نرى المشافعية نتاول فهم كثيراً ما ينكره ظاهر الشرع وتلمس له وجوهاً ولو ضعيفة لاكتنا نرى مؤسسي التصوف الأوائل كالحفيد وابن سيمين من أحسن المسلمين حالاً وقالوا وفيما يلوح لي ان منشأ ذلك فينا جملة أمور منها كون علماء الشافعية بعيدين عن الامامة والسياسة العامة الا عهداً قصيراً . ومنها كون المذهب الشافعي مؤسساً على الأحوط والأكمل في المباديات والمعاملات أي على العزائم دون الرخص : ومنها كون المذهب مبنياً على مزيد العناية في النيات . فالشافعي في شغل شاغل بحجوبة نفسه وهم مستمر من جهة دينه وتحويل على تصحيح النيات وتحسين الظنون ومن كان كذلك مال بالطبع الى الزهد والاعجاب بالزاهدين وحمل أعمام المتظاهرين بالصالح على الصحة والأخلاص بخلاف العلماء الحنفية فمنهم من عهد أبي يوسف لم يتقطع تقابهم في النظر في الشؤون العامة في عموم آسيا وكذا المالكية في الغرب وأمارات أفريقيا والحنابلة والزيدية في الجزيرة ومن لوازم السياسة الحزم وتغليب سوء الظن واتقان النقد والأخذ بالجرح ومحامه الشؤون لاجل العمل بالأسهل الأنسب

وقد امتاز أهل الجزيرة في هذا الخصوص بانهم كانوا ولا يزالون بعيدين عن التوسع

في العلوم والفنون وهم لم يزالوا أهل عصبية وصلابة رأْي وعزيمة ، وقد ورد قول النبي عليه السلام « ان الشيطان قد أيس أن يعبدَه المسلمون في جزيرة العرب ولكن في التحريش » (١) أي اغراء بعضهم ببعض وكذلك أهل الجزيرة لم يزل عندهم بقية صالحة كافية من السليقة العربية فاذا قرأوا القرآن أو الحديث أو الأثر أو السيرة يفهمون المعنى المتبادر باطمئنان فينفرون من التوسع في البحث ولا يعيرون سمعاً للاشكالات فلا يحتاجون للتدقيقات والابحاث التي تسبب التشديد والتشويش ، وأما غيرهم من الأمم الإسلامية فيتلقون العربية صنعة ويقاسون العناء في استخراج المعاني والمنهومات ومن طبيعة كل كلام في كل لغة أنه اذا مخضته الأذهان تشعبت وتشتت فيه الافهام وربما جاز أن يقال في السادة الشافعية ولا سيما في علماء مصر منهم أن انطباعهم على سهولة الاتقياد سهل أيضاً دخول الفنون الدينية المستحدثة عليهم ودماة أخلاقهم تأبى عليهم اساءة الظن ما أمكن تحسينه فلذلك حازت هذه الفنون التصوفية المستحدثة قبولاً عند علماء الشافعية الأولين

هذا وحيث قلنا ان من خالق المصريين سهولة الاتقياد ولا سيما لاحقاً وكذلك غاماء الشافعية الأكراد كلهم أهل نظر وتحقيق فلا يصعب حمل الشافعية على النظر في البدع الدينية خصوصاً ما يتعاق منها بمفزمات الشرك الجباب للمقت والضنك ولا شك أنهم يمتثلون أوامر الله في قوله تعالى (فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ) وقوله تعالى (اتَّبِعُوا مَا نَزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ) هذا وكثير من علماء الشافعية الأقدمين والمتأخرين المنتصرون للمذهب السافى السديد ، المقاومون للبدع والتشديد ، والحق ان التصوف المتغالى فيه لا تصح نسبتُه لمذهب مخصوص فهذا الشيخ الحلي رضي الله عنه حنبلي وصوفي

قال (الاستاذ الرئيس) ان أخانا العالم التجدي يعلم أن ما أفاض به علينا لأخبار عايه بالنظر الى قواعد الدين وواقع الحال وكفى بما استشهد به من الآيات بينات براهين دامغة ، والله على عباده الحججة البالغة ، وعبارة التردد التي ختم بها خطابه يترك بها الحكم لرأي الجمعية ما هي لا نزعة من فقه حرية الرأي والخطابة فأرجوه وأرجو سائر الاخوان الكرام أن لا يتهينوا في الله لومة لائم ورأي كل منا هو اجتهاده وما على المجتهد سبيل وليعلموا أن رائد جمعيتنا هذه الإخلاص فالله كافل بنجاحها وغاية

كل منا إعزاز كلمة الله والله ضامن إعزازه قال تعالى «ان تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ»
 نعم هذا النوع من الارشاد أعني الانتقاد على الاعتقاد هو شديد الوقع والصدع
 على التائبين في الوهلة الاولى لأن الآراء الاعتقادية مؤسسة غالباً على الوراثة والتقليد
 دون الاستدلال والتحقيق وجارية على التعاون دون التفانح . على أن أعضاء جمعيتنا هذه
 وكافة علماء الهداية في الأمة يشربون والحمد لله من عين واحدة هي عين الحق الظاهر
 الباهر الذي لا يخفى على أحد فكل منهم يحتاج في فكره ما يحتاج فكر الآخريين عنه أو
 شبهه لكنه يهيب التصريح به لغلبة الجهل على الناس واستفحال أمر المدلسين ويخاف
 من الانفراد في الانتقاد ، في زمان فشا فيه الفساد ، وعم البلاد والعباد ، وقل أنصار
 الحق ، وكثر التخاذل بين الخلق ،

ويسرنى والله ظهور الثمرة الاولى من جمعيتنا هذه أعني اطمئنان كل منا على اصابة
 رأيه والاطلاعه على أن له في الآفاق رفاقاً يرون ما يراه ، ويسيرون مسراه ، فيقوى
 بذلك جنبانه ، وينطاق لسانه ، فيحصل على نشاط وعزم في اعلاء كلمة الله ويصبح غير
 هيّاب لوم اللائمين ، ولا تحامل الجاهلين ، ومن الحكمة استعمال اللين والتدرج
 والحزم والثبات في سياسة الارشاد كما جرى عليه الانبياء المنذالم عليهم الصلاة والسلام
 وقد بسنت ذلك في اجتماعنا الأول وسلاحظه في قانون الجمعية الدائمة الذي تقرره
 ان شاء الله بعد استيفاء البحث في طريقة الاستهداء من الكتاب والسنة في اجتماعنا
 الآنية أما اليوم فقد انتهى الوقت وانتصف النهار

باب التعليم الرسمي

﴿ قوانين التعليم الرسمي — استناد ﴾

(البند الرابعة تعليم اللغة والتاريخ والعلوم)

انتقدنا في البند السابقة قانون التعليم الرسمي من حيث تعليم الدين ووددنا لو
 نعم لتظاردة المعارف عذراً نعتدرها على تلك العيوب وضروب التقصير ونشكلم في هذه
 البندة على تقصير القانون فيما يتعلق بتعليم اللغة العربية لغة الأمة والبلاد وتعليم التاريخ والعلوم
 العيب العام الاكبر هو ما جاء في عرض كلامنا على اقتراح الجمعية العمومية أعني
 مزاحمة اللغة الأجنبية للغة البلاد في التعليم الابتدائي وقد خرجت نظارة معارف

مصر في هذا عن سنة اثنتي عشرة اوروبين كلهم فهي لا تجد لها دولة اوروبية تقدي بها . ولم تكلف بتعليم قواعد اللغة الاجنبية ومبادئها بل زادت على ذلك تعليم مبادئ العلوم بها فالتاريخ الطبيعي يتدأ به في السنة الثانية وله درس واحد في الاسبوع يقرأ بالعربية ثم يقرأ في السنتين الثالثة والرابعة باللغة الأجنبية وله فيها درسان في كل أسبوع فكان دروس السنة الثانية تمهيد لما بعدها فتكون لغة البلاد وسيلة لا مقصدا . وكذلك الحال في علم تقويم البلدان الا ان دروسه في الثالثة والرابعة ثلاثة في كل أسبوع . ومن نظر في جدول توزيع حصص الدروس في التعليم الثانوي لا يري بازاء خصوص اللغة العربية من الجدول الا النقط والاصفار فالعلوم كلها تقرأ باللغة الاجنبية وهي الحساب والهندسة والجبر وتقويم البلدان والتاريخ والطبيعة والكيمياء والرسم . وكان « الضمانات الخمس » التي قدمها ناظر المعارف لنواب الامة في الجمعية العمومية هي التي جعلت دروس الترجمة من حصص اللغة العربية في الجدول الابتدائي والثانوي ليزيد العدد فتقنع الامة بان لغتها قد اعتني بها وادخلت فيها العلوم والفنون ولكن هذا غش وخداع فان الترجمة كما تكون من اللغة الاجنبية الى العربية تكون بالعكس والناية الكبرى فيها باللغة الاجنبية ومعلومها هم معلمو اللغة الاجنبية وأكثرهم غير بارع بالعربية فكان الاقرب الى الصواب ان تعد الترجمة من دروس اللغة الاجنبية . فدروس الاسبوع في التعليم الثانوي ٣٣ درسا ثمانية منها للغة العربية نفسها (النحو والصرف والبلاغة) والباقي للغة الانكليزية تسعة لنفس اللغة وواحد للترجمة والباقي للعلوم . وما يدل على ان حصص الترجمة تعد من دروس اللغة الاجنبية اإهال الكلام عليها في الفصل الذي يشرح كيفية تعليم العربية من القانون وذكرها في الفصول التي يشرح فيها كيفية تعليم اللغة الاجنبية

الأمر التي تهتم الامة في التعليم وتود انضمان عليها ثلاثة — الدين وهو في المرتبة الأولى واللغة وهي في المرتبة الثانية والتاريخ وهو في المرتبة الثالثة . قاما الدين فقد بنا وجوه تقصير المعارف فيه وجعله كالرسم الدارس

وأما اللغة العربية فتقصرها فيها من وجهين أحدهما نسبي وهو جعلها دون اللغة الأجنبية والواجب أن تكون فوقها وثانيهما عدم تعليم العلوم والفنون بها والواجب أن تجعلها لغة العلم لأن الامة لانحيا حياة حقيقية الا يجعل لغتها لغة العلم ليتسنى بذلك تعليم العلم فيها فتكون حياتها العلمية ممددة لحياتها المعاشية والقومية . واذا نحن جعلنا للعلم لغة ولسان الشؤون لغة أخرى نكون قد جعلنا في مقومات حياة الامة تنازعا

ينصل العلم عن العمل ولا يمكن أن يكون العلم مرشداً إلى العمل والعمل منبعثاً عن العلم إلا إذا كان العامل عالماً ونتيجة هذا من غير تطويل بشرح المقدمات أن أحد الأمرين واجب لكمال الحياة إما نقل العلم إلى لغة الأمة وهو المقبول القبول وإما نقل الأمة إلى لغة العلم الطارى وهذا إعدام للأمة وجعلها غذاء ومدة الأمة التي تنتقل إلى لغتها وما اخل أن ناظر المعارف ورجال «ضمانات الخمس» من أمته برضون بذلك سرّاً وجهرّاً فإن كان لهم من الأمر شيء فليعلموا أبناء الأمة العلوم بانها وإن كانوا مغلوبين على أمرهم للمستردنلوب ومن ينصره فلا يعارض ناظر المعارف الجمعية العمومية في طلبها عرض قوانين المعارف على مجلس الشورى ولا يكابر نفسه وقومه بزعمه أن قوانين نظائره موافقة لمصلحة الأمة ومؤيدة منها «بخمسة ضمانات» !!

وأما التاريخ فهو عند جميع الأمم الحية قوام التربية الاجتماعية به تنفخ روح محبة الجنس والأمة والوطن في الناشئين فتعليم التاريخ كانت ألمانيا المانيا وانكلترا انكلترا وفي فرنسا فالغرض الأول من علم التاريخ معرفة الانسان أمته أو معرفته نفسه من حيث هو أمة تم معرفته سائر الأمم ليعرف مكانه منها ومكانها منه وبذلك يحصل الانسان العلم النافع الذي هو غاية كل تربية وتعليم وهو الذي عرفه حكيمنا الامام بقوله «العلم ما يعرفك من أنت ممن معك»

إذا كان هذا هو الغرض من التاريخ فقد أصابت الأمم الأوروبية بتلقين الناشئين في أول الأمر تاريخ أمتهم مفصلاً تفصيلاً وجماعاً بقية الأمم في الدرجة الثانية فالتميز عند من لا يعرف شيئاً من عظمة غير قومه وأمه إلا بعد أن يشرب قلبه عظمة سانه وحبهم وحب بلادهم . ويقال أن أكثر الألمان لا يكادون يتعاملون شيئاً عن غير بلادهم وأمهم إلا إجمالاً لأن الواجب في رأيهم على كل انسان أن يعرف نفسه وقومه الذين سعادته بسعادتهم وشقاؤه بشقاؤهم . وأما معرفة أحوال بقية الأمم فإما تجب على طائفة من الناس كالذين يتصدون للسياسة وللتعليم ونحو ذلك مما يحتاج فيه إلى معرفة تاريخ الآخرين وأحوالهم

على هذا كان الواجب على نظارة معارفنا أن تجعل تاريخ الاسلام والسيرة النبوية وتاريخ الخلفاء الراشدين في مقدمته هو أول ما يدرس في نفوس تلامذتنا وأن تتوسع في تاريخ جميع الدول الاسلامية وبيان أسباب تقدمها وتأخرها حتى تنتهي بالدولة العثمانية والبلاد المصرية جزء منها وبعد هذا كله تلقن التلامذة بالإجمال تاريخ سائر الأمم لاسيما المجاورة للممالك الاسلامية ليعرفوا نسبتهم إلى قومهم ونسبة قومهم إليهم .

ما أدت نظارة المعارف هذا الواجب ولا رعته حتى رعايته فلها لم تعتبر جنسية قوتها في الدين ولا في اللغة ولا في الحكومة (وهي العثمانية) ولكنها اعتبرت أن جنسيتها نسبتها الى مصر وان سلف هذه الأمة الغربية هم الفراعنة والرعاة واليونان والرومان والعرب وخلفها الترك فهي والأوشاب تلم التلامذة في الطور الابتدائي تاريخ هذه الأمم الكثرية بهذا الترتيب .

وأما تعليم التاريخ في القسم الثانوي ففي السنة الأولى منه يعلمون تاريخ الرجال وذكروهم في التانون وليس فيهم مسلم ولا عربي الا محمد على باشا واسماعيل باشا أمير مصر . وفي السنة الثانية أقسام (١) الدولة الرومانية (٢) الدولة الانكليزية ١٣٠٠ الحروب الصليبية ١٤٠٠ الدولة العثمانية ١٥٠٠ عظم دولة اسبانيا وفيها الاصلاح المسيحي ١٦٠٠ عظم فرنسا (٧) ارتقاء روسيا وفيه تاريخ المسئلة الشرقية وما فقدته الدولة العثمانية من أملاكها وتغلب روسيا عليها واضافها . . . (٨) ارتقاء روسيا (٩) نابليون (١٠) المستعمرات الأوروبية . وفي السنة الثالثة أقسام أيضاً (١) قيام أمم أوروبا (٢) نمو الحرية السياسية في أوروبا (٣) المدنية عند جميع الأمم ما عدا المسلمين (٤) تقدم مصر (٥) أسباب ارتقاء واضمحلال الأمم باختصار . وكل هذا يماهه الاوربيون بلغتهم فاعتبري أيتها الأمة المصرية « بصناعات تلمر المعارف الخمس » واطمئي له ولها . . .

ما أجدر هؤلاء التلامذة بأن يشبوا لا يعرفون لهم أمة ولا جنساً يتمون اليه ويفتخرون به ويعملون على احياء مجده ومجديدهم . بل ما أجدرهم بفساد الفطرة التي تراها في بعض احدائهم الذين ينادون بالوطنية المصرية بغير عقل . فان قيل لهم هل الوطني المصري هو من يسكن مصر ويتخذها وطناً قالوا : لا لا ان ممن يسكنها النزلاء الافرنج وهؤلاء يحترمون في الظاهر ويهفون في الباطن ومنهم الدخلاء العثمانيون من سوريا وغيرها وهؤلاء يمتقون في الظاهر والباطن . وان قيل لهم هل الوطني المصري ما كان من سلائل القبط والفراعنة فيجب أن نبغض من يسكن مصر من سلائل العرب والترك والأرتودووالجراكسة وان كان حكامنا منهم؟ قالوا : لا لا ان الجنس القبطي هو شر الاجناس فتسميه وطنياً ظاهراً ولكتنا في الباطن نفضل عاين المسلمين المصريين . فان قيل لهم : اذن ان جنسيتكم هي الاسلام فيجب أن تعتصموا مع كل مسلم من أي مملكة كان . قالوا : لا لا ان هذا يتنافي (الوطنية الحقة) . وانما لانتمد الا بمسلمين المصريين الاصليين لا الذين سكنوا مصر من عهد قريب . فهذه الذبذبة والحيرة عند هؤلاء الاحداث من المسلمين ليس لها سبب أقوى من

هذا التعليم المذبذب . وظاهر ان نتيجة هذا التعليم الجناية على الرابطة الدينية وعلى الرابطة اللغوية وعلى الرابطة الوطنية لأن هؤلاء الاحداث لا يحبون كل أبناء وطنهم بحيث يفضلونهم على سواهم . نعم ان مضرته وفساده في القبط أقل منها في المسلمين فان التبطي المتعصب يقول ان المصري هو القبطي فقط وكل من عداه دجيل . وغير المتعصب يقول ان المصري هو من يقيم في مصر ويتخذها وطناً ينفعها ويتفجع منها سواء كان شرقياً أم غربياً مسلماً أم مسيحياً . ولا يقول بهذا القول الا أفراد قليلون على انى أحكم بوجودهم بالرأي والتخيل لا بالمعرفة والاختبار

رب قائل يقول ان غرض الحكومة أن تربي الناشئة على هذا الرأي . ونحن نقول ان هذه غاية لا تدرك الا بمحو الدين وذلك متعذر على الحكومة اذا فقدت الدين وأرادت محوه ولكن حكومة البلاد اسلامية والشعب الكير اسلامي واذا وجدت آداب الاسلام الحقيقية فهي تقتضي الوطنية الحقيقية وهي اتفاق جميع سكان البلاد على ما فيه خيرهم وخير بلادهم ومعاملة الجميع بالعدل والمساواة بينهم بالحقوق وقد أوفحننا هذا في مقالة (الجنسية والديانة الاسلامية) فلتراجع في المجلد الثاني والله أعلم

اتان عليا كبريا

الهدايا والتقاريف

(كتاب حاضر المصريين أو سر تأخرهم) كتاب صنفه أحد شبان المصريين النجباء المولدين بالبحث وهو أحمد أفندي عمر أحد مستخدمي مصلحة البريد تكلم فيه على حالة المصريين الاجتماعية في معيشتهم وكسبهم وعاداتهم وآدابهم وعلتهم وقد جعله ثلاثة أقسام قسم الاغنياء وقسم للمتوسطين وقسم للفقراء . ولا شك أن المؤلف قد تعب في الوقوف على عادات الطبقات الثلاث في المحبة والزواج والعشرة بين الزوجين وتربية الاولاد وتعليمهم وعاداتهم في التفقة والبذل والاهام . وفي معرفة أحوالهم في التجارة والزراعة والصناعة والطباعة والكتب والجراند التي تنشر فيهم . وبجته في جميع هذه المسائل بحث اشقاد صحيح يبه الافكار المستمدة الى السعي في اصلاح الخلل واثقاء الزلل . ولا ينفع الناس شيء مثل علم ما هم فيه من نافع وضار

لذلك نقول ان هذا الكتاب من أنفع ما كتب في العربية في هذا العصر
 الكاتب تهرى الصواب وبيان الحقائق بقدر الاستطاعة مع الوقوف عند حدود الأدب
 فإن قصر في بعض المسائل فعذره انه لم يستمد من كتب مؤلفة ينقل عنها بسهولة
 وانما استمد من المشاهدة والاختبار وان ما تسنى من ذلك له كثير على من كان
 مشغولاً بوظيفة صغيرة كوظيفته تستغرق معظم أوقاته في خدمتها وقد طالعتنا جملة
 صالحة من الكتاب فوافقناه في أبحاثه وقد اتقنا عليه التصير في تصحيح عبارة الكتاب
 وعدم بدئه بالبسملة الشريفة عملاً بالحديث الشريف واتباعاً لسنة المسلمين سلفهم
 وخلفهم . وقد قرظ الكتاب القاضي الفاضل أحمد فتحي بك زغلول رئيس محكمة
 مصر وأجازته وأتى عليه وبدأ تقرظه بسنة البسملة على أن العادة لم تجر بذلك وكأنه أراد
 مع اتباع السنة تنبيه المؤلف على تركها بالعمل دون القول

أقول اني لا أوفي هذا الكتاب حقه في التقريظ الا ينقل بعض فوائده في أجزاء
 أخرى على أنه هضم حق المتأخر عند كلامه على الجرائد الدينية فإنه لم يكتب عندنا جملة
 وجيزة في الهامش اعترف فيها بعناية المحجة بالإصلاح الديني والتفكير عن البدع
 ولكنه عرض فيها بنا بأن الأور الشخصية سبباً علينا وقد ظهر لنا منه أنه رجع عن
 هذا الرأي والله أعلم بالسرائر وهو الموفق للصواب

(كنز الجوهر في تاريخ الأزهر) كتاب مختصر ألفه الفاضل الشيخ سامان رصد
 الحنفي أحد المشتغلين بالعلم في الجامع الأزهر الشريف واهل الأزهر أجدر الناس
 بمعرفة تاريخه والتأليف فيه . الكتاب يشتمل على مقدمة ذكر فيها بعثة النبي صلى الله عليه
 وسلم واستطرد منها الى الفتح الاسلامي الذي كان منه فتح مصر وفيها الكلام على جامع
 عمرو بن العاص وجامع ابن طولون . ويلي المقدمة خمسة مقاصد أحدها في ابتداء
 تأسيس الجامع وما عرض عليه بمذ ذلك ومجدد فيه وثانيها في أروقة الأزهر ومؤسسه
 لها وثالثها في شيوخ الأزهر وأشهر علمائه لهذا العهد ورابعها في الحوادث الشهيرة
 كحادثة رواق الشوك في أثناء الوباء وخامسها في عادات اهل الأزهر ويتلو ذلك
 خاتمة في الأحكام وفيه عدد المشتغلين بالعلم في القطر المصري وبيان مواضعهم

ومما ذكره من عادات اهل الأزهر انه لا يمكن لاحدهم أن يعمل عملاً يكتب
 به لافي أثناء الاستغفار والابتهاء قال (بل اذا انحل شيئاً يتفجع به بمد في أعين اترابه
 كأنه افترف ذنباً عظيماً) وذكر أن هذه هي علة فقرهم . وذكر أن غير المصريين

من المجاورين في الأزهر أحسن حالا من المصريين في المعيشة والنظافة . وذكر من أسباب وساخة المصريين في ابدانهم وثيابهم وآنيهم الانهماك في الطلب وما يقع بين المشتركين منهم في المعيشة من العناد والتواكل وقائه ان يبين ان الاشتراك هو الذي يساعد على النظافة لتوزيع الاعمال وان الوساخة واحتلال نظام المعيشة يشوش الذهن ويضعف العقل فلا يفيد معه الانهماك في الطلب كثيراً . قال : «وأما عاداتهم في الأكل وهو غالب اكل المجاورين فهو فول مدمس ونابت وطعمية ومخللا وكرائماً وغير ذلك من الاشياء التافهة لقرهم بلا فرق بين مصري وغيره وكذلك غالبهم يقوم بممله بنفسه كغسل ثياب وطبخ وغير ذلك » هذه عبارته بحرف وفها ويسوء ما جداما اراد في الكتاب مثاها من كثرة الفاظ والخطأ

ثم ذكر كيفية القاء الدروس والمطالعة قال (واعتناهم فيها بنهم العبارات وحل التراكيب والمناقشات بالاعتراضات والاجوبة عنها والاطلاق والتقييد والمفهوم والمنطوق وغير ذلك من غير اعتناء بالحفظ فتجد كثيراً منهم بحرا العلوم في الفهم في الكراس واذا سئل من خارج فقل ان يجب اعدم استحضاره) اه بالحرف ايضاً والكلام صحيح وصرح في انه لا عناية عندهم بتحصيل ملكة العلم وتكيف النفس بها بحيث تكون قادرة على الكلام في المسائل عند السؤال واناسبة وانما العلم الذي يكونون فيه بحاراً زاخرة هو المناقشة في عبارات الكتب التي يقرؤونها واعادة ما كتبه الشراح وأصحاب الحواشي على المتن قراءة

وبالجمل ان في الكتاب فوائد لا توجد في غيره من المصنفات في تاريخ الأزهر التي هي أوسع منه وأحسن تحريراً وصفحات الكتاب تزيد على ٢٠٠ وثمنه خمسة قروش ويطلب من جميع المكاتب المشهورة بمصر والاسكندرية وطنطا فبحث على قراءته

(شذا العرف . في فن الصرف) كتاب صنفه الاستاذ الفاضل الشيخ أحمد الحللاوي مدرس العربية في مدرسة دارالعلوم سابقاً . وقد تصفحت بهض أوراقه ورأيت تقسيمه وتبويبه فظهر لي انه أحسن كتاب لتعلم هذا الفن . وكان طبع في سنة ١٣١٢ باذن نظارة الداخلية بناء على شهادة الشيخ الانبائي شيخ الجامع الأزهر لذلك العهد بصحته وخلوه من الخطأ . وقد طبع في هذه السنة طبعة ثانية بالمطبعة الاميرية بعد تنقيح واطافة كثير من الامثلة والشواهد وهذا من مزايا الكتاب فبحث كل طالب لفن الصرف على قراءته

(كتاب الحساب) كتاب يؤلفه الفاضل عوض أفندي خليل مؤسس وناظر مدرسة الاجتهاد الوطنية ببولاق وصاحب مجلة السمر الصغير المدرسية . وقد أصدر الجزء الاول منه وأودعه ماهو مقرر للتعليم فى السنة الاولى الابتدائية بحسب قانون التعليم فى المعارف (البروغرام) فنحث التلاميذ على الاستفادة منه

(المستظرفات) كتاب وضعه الاديب ابراهيم أفندي زيدان جمع فيه من كتب الأدب والتاريخ كثيراً من النوادير الأدبية والفكاهية والغرامية وطبع فى مطبعة الهلال على نفقة مديرها الهمام م. تري أفندي زيدان وعن النسخة منه خمسة قروش ويطلب من مكتبة الهلال وهو مما يرغب فيه الناس فلا حاجة الى الترغيب فيه

(كتاب رسائل ارشاد الأفكار . الى طريق الأبرار) للشريف منصور أفندي رئيس جمعية التعاون الاسلامي . وقد كتب هذه الرسائل فى مسائل سئلتها فاجاب عنها بفهمه واجتهاده على طريقة المتصوفة وقد تصفحنا بعض صفحاتها فعلمنا منها اننا نختلفه فى بعض مسائلها ولا سعة معنا فى الوقت الآن لقراءتها وبيان مآزها صواباً وما نراه منتقداً وربما يسمح لنا الوقت بذلك بعد

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِسْلَامِ

﴿ حرب فرنسا والسوسى ﴾

كتب بعض كبار التجار فى طرابلس الغرب الى صديق له فى بعض البلاد وكان سألته عن أخبار بلادهم ما نصه بحروفه :

«وردنا جواب من بومّة تاريخ ١٩ ماي افرنجي ووصل لطرفنا تاريخ ١٤ ربيع اول سنة ١٣٢٥ قال فيه بعد السلام : . وبعد أخي فقد تم البحث الذى وقع على كما اخبرتك فى شأن سيدي المهدي (يعني الشيخ السوسى) ولما ان كانت نيتي طبق الاحسان والصدق مع الله تعالى وخلقك سلمت والحمد لله على كل حال . والان انا سافرت الى فرانسه ثم ارجع الى قسطنطينه الجزائر ثم اسافر من هناك ثانية الى المطلوب

من فضلك الكريم ان تجعل لنا جوابا على كل مسألة داخل جوابنا هذا وتسال خايفة سيدي المهدي ولا تذكر لي الا الخبر الصحيح

اولا : ماهي الاخبار الواردة لكم من ناحية داركلم . و . البركو . وزاوية الشيخ سيدي المهدي بعد ما وقع من الحرب بين الفرنسيين وعرب أولاد سليمان والتوارق واستيلاء فرانسه على . بيرهاللي .

ثانياً : هل يرضى الشيخ سيدي المهدي بالصلح مع دولة فرانسه بواسطتي فان كان يقبل وان كان عرضه المافية لصالح الجميع فخيرني بذلك فالكلم الدولة الفرنسية ويكون الخير ان شاء الله وان كان نيته الحرب مع فرانسه والجهاد سيبرني وانصحني وقل للخليفة يعرفك بالحقيقة ولا يستخوش مني أبداً . لا بد تعرفني بحقيقة الامر . وان وجب السفر الى طرابلس فعرفني اقدم الى طرفكم ؟

ثالثاً : ما بلغ اليكم من اخبار واداي ؟

رابعاً : ماهي احوال اخوان طريقة سيدي المهدي مع دولة الأتراك هل اعتقاد الاخوان مثل الزمان الاول ام لا ؟

خامساً : من مات من الأعيان في المحاربة التي وقعت في بيرهاللي ؟ علمي بذلك الشيخ سعد البراني والشيخ غيظ والشيخ شرف الدين وغيرهم اه

قال التاجر : « حاصله : وقعت محاربة كبيرة بين دولة فرانسه والشيخ سيدي المهدي وأكثتها دولة فرانسه وأن الجواب الوارد لنا هو من نفس مهندس طائفة فرانسه نحن نرسله الى جنيوب ونحكي لهم بالكيفية وهم يعرفون شغلهم . بنا ينصر الاخوان على القوم الكافرين . وبر السوادين واقع فيه حرب واليوم صار لدولة فرانسه مع المهدي مثل ما صار للانكليز مع الترانسفال ندعو الله أن يهلك دولة فرانسه . وأرسلنا جواب الى رجب خوجه المذكور وعرفناه هذه المسئلة لآهنا والسلام اه مکتوب التاجر

والقارئ لهذا المکتوب يظهر له انه كتب عن معرفة وانه صدق لاشبهه فيه ولكن فيه شيئاً من الإبهام . قال الذي أرسل صورته لنا : حينئذ علمنا من هو صاحب التحرير المرسل الى التاجر وأين هي بلدة بؤمة ؟ وما معنى قوله : تم البحث الذي وقع علي ؟ وقد ذكر التاجر صاحب المکتوب انه مهندس طائفة فرنسا وسماه رجب أو رجب خوجه . فما هذا السر ؟ هل الرجل مسلم كما يظهر من كلامه أو مسلم جغرافي (كما تقولون في المنار) يريد أن يتنفع من فرسة الحلاف بين السوسوي وفرنسا ؟

أوهو مسلم من مسلمي الجزائر وتونس موظف عند فرنسا ويريد أن يخدمها ويخدم سيده المهدي؟ وربما كان قوله « تم البحث » الخ إشارة إلى أنهم فقتشوا عليه لكونه جاسوساً من قبل المهدي أو متهماً بالنجس ، والذي حماني على هذا الظن قوله في آخر الجملة (سَأَمْتُ) . ويفيد قوله : (وتَسألُ خائفة سيدي المهدي) أن للمهدي خليفة مقياً في طرابلس الغرب . والذي يجعل في النفس ريبة من قول صاحب المكتوب هو قوله : « ولا يستخوش هي أبداً » وقوله : « ما هي أحوال الإخوان مع دولة الأتراك » الخ

أما نحن فنعلم أن للسيد المهدي السنوسي خلفاء في طرابلس وكل بلاد افريقية الشمالية والوسطى وصحاريها ونرجح أن المهندس صاحب المكتوب جاسوس فرنسي كما أنه مهندس ولذلك لم يجاوبه التاجر عن أسئلته

﴿ مسيح الهند والمنار ﴾

سبق لنا رد على القائم في الهند المدعي انه المسيح الموعود به وعلى كتابه الذي سماه معجزة المسيح ، وإن كان قوله كالريح ، وسجته دون سجع شق وسطيح ، وقد ترجمت رد المنار عليه الجرائد الهندية ، واذاغته في تلك الممالك القصية . فاستشاط أنرجل غضباً ، وملاً النواحي سباباً وصخباً ، والمؤمن ليس بسباب ، ولا بذي ولا صخات ، فهل يكون المرسلون والمسحاء ، من أهل السفه والبذاء ، وهل ينزل الوحي على أهل الألهام ، وتقام الحججة على الأنام ، بالسخرية والاستهزاء ، والقول الهراء ، والانتصار للنفس ، ومكابرة الحس ، والتفجع والتبجح ، والتجرم والتذقح ، كأفعل هذا المدعي في الكتاب الذي لفته في الرد على « المنار » ، فكان مجابة الحزبي والعمار وقد سماه « الهدى والتبصرة لمن يرى » ، ومانعت الهداية بشتم الوري ،

بعد أن أهدي لنا كتابه ، وارسل شتمه وسبابه ، كتب الينا أحد كبار علماء الهند من لاهور كتاباً يشكو فيه من انتشار البدع في الهند وقال فيه « الآفة التي لا تذكر ، والمأهة التي لا تخطر ، هي فتنة المسيح الدجال الهندي الشهير بـميرزا غلام أحمد القادياني ، فهي لا تنقطع كسير السواني ، وهو في زعمه الباطل مجدد مهدي ملهم محدث مسيح مرسل امام عند شردمة قبايلين . ملهم من دنيا ولادين ، والحق انه رجل ختال ختار ، بطال شطار ، يدعي الوحي والنبوة ، ويثبت للمسيح النبوة ، ويحرف

آيات القرآن بناويلات فاسدة ، ويتطع في أحاديث النبي بمخزوبات كاسدة ، ثم ذكر هذا العالم مجادته اماماء الهند وافحامهم اياه وانصرافه لدعوة العلماء في غير الهند ومنهم الفقير صاحب المنار وانتقل من هنا الى ذكر ردنا على كتابه (اعجاز المسيح) وذكر ان الجرائد الهندية نقته عن المنار ، وكان له شأن في تلك الديار ، آثار من ذلك المدعي اشجانه . وأطاق بالسب لسانه ، ثم رغب الينا في الرد عليه وقال : « فان لتحريركم وقماً في النفوس ، أشد من حرب البوس ، » .

نعم ان من وظيفة المنار الرد على أمثال هذا المدعي ، ولو لم يرغب الينا فيه ذلك العالم الألمي ، ولكن الرد انما يكون على الشبهات ، التي تساق مساوق الينيات . وليس لهذا المدعي شبهة يستند اليها . ولا تكأة يتوكأ عليها ، الاذناك المؤانف الذي هو حجة عليه ، بل سهام منه تصوب ليه . فقد ادعى انه معجز للبشر ، لا تأتي بمثله القوى والقدرة ، فما هو وجه الإعجاز فيه ، الذي جعله عمدة تحديه ؟ . ان قال ان العمدة . هي قصر المدة ، فاتي الفقه في سبعين ، ولا يقدر على مثل ذلك أحد من العالمين ، نقول : أولاً اننا لا نصدقك في هذا التحديد على انه طويل ، فهل ناك عليه من بنة ودليل ، وثانياً ان كثيراً من العلماء اتقوا كتباً طويلة . في مدة قليلة ، ولم يدعوا ان ذلك من المعجزات . لأنه ليس من خواص العادات ، فالتقاري الف شرحه على الايساغوجي في يوم من أقصر الأيام . ولم يجد به أحد من الأنام . وثالثاً اننا نطالب منه محكمين من أهل الانصاف . يرضى بهم كل منا ومنه للحكم في مواضع الخلاف ، وعند ذلك نظهر له أننا ليط كتابه في اللفظ والتجوى ، والماقية كما قال الله تعالى للتقوى . يعلم الناس أن تحدي النبوة والرسالة . لا يكون بالخطأ والجهالة ، وان ادناء اقامة الدين وتأييد الشريعة ، لا يكون بتقويض أركانها الرفيمة . وتشويه محاسنها السنية السنية ، وان اصلاح نفوس المسلمين . لا يكون بشتم العلماء والمرشدين ، وسنمجل قبل تعيين المحكمين باظهار بعض ما خالف فيه شريعة خاتم التبيين ، وموعداً الجزء الآتي أما الآن فالتنا نذكر بعض عباراته في الرد علينا ، وما وجه من الطعن الينا ، ليعلم القراء مبلغ آدابه ، وعساظته في خطابه ، قال بعد ما زعم أنه آثرنا بكتابه (اعجاز المسيح) على علماء الحرمين والشام والروم مانعه :

« ثم لما بلغ كتابي صاحب المنار ، وبلغه مما بعض المكاتب الاستفسار ، ما احتجني ثمرة من ثمار ذلك الكلام ، وما انتفع بمعرفة من معارفه العظام ، ومال الى الكلم والايذاء بالاقلام ، كما هو عادة الحاسدين والمستكبرين من الأنام ، وطفق يؤذي ويرزى

غير وان في الازراء والانتظام ، ولا لاولى الكرم والاكرام ، كما هو سيرة الكرام ،
 وعمدان بؤاني ويفضحني في أعين العوام كالانعام ، فسقط من المنار الرفيع والتي
 وجوده في الآلام ، ووطنني كالحصى ، واستوقد نار الذنن وحضي ، وقال ما قال وما
 آمن كأولى النهي ، وأخذ الى الارض وما استشرف كأولى التقى . وخر بعد ما علا ،
 وان الحرور شيء عظيم فما بال الذي من المنار هوى ، واشترى الضلالة وما اهتدى ،
 أم له في البراعة يد طولى ، سيهزم فلا يرى . نبأ من الله الذي يعلم السر وأخفى
 ثم قال : هـ وكنت رجوت ان أجد عندك نصرتي ، فقامت لتندد بهواني وذاتي ،
 وتوقعت ان يصلني منك تكبير التصديق والتقديس ، فأسمعتني أصوات التواقيس ،
 وظننت ان أرضك أحسن المراكز ، فخرحتني كالأكز والواكز . وذكرتني بالنوش
 والنهش والسبعية ، نبذاً من أيام الحصائل الفرعونية . واست في هذا القول كالمستخدم ،
 فان النضل لا يتقدم ، وكنت أتوقع ان يتسرى بمواخاتك همي ، ويرفض بمجندك كتيبة
 مني ، فالأسف كل الأسف ان الفراسة اخطأت ، (أى فلم يصدق عليه حديث
 الفراسة المؤمن فانه ينظر بنور الله ، لانه ينظر بظلمة غيره) والروية ما تحققت ،
 جدت بالمعنى المنعكس ربك ، (وهنا اشارة قبيحة تليق بقاهاها ولا تليق بزاهة من
 نظيمهم الله تعالى لمداية خلقه) فهذه نموذج بعض مزيالك ، (أنت النموذج وم
 مذكرا) وعلمت ان تلك الارض أرض لا يفارقها الاظى ، وتفور منها الى هذا
 نبت نار الكبر والعلو . فعنى (كذا) الله عن موسى ، لم تركها وما عفى ، (وهنا
 الأدب مع موسى الكليم ونسب اليه الخطأ والذنب والتقصير ، على ان تعبه
 نصر واهلاكها بيد الله لا بيده عليه السلام)

ثم قال بعد مكابرة في ردنا على كتابه ونسبته للباط والتكلف مانعه : وحيبتك
 حبيباً يريحني كنسيم الصباح ، قرأيت كمد وناكي (كذا) السلاح ، وخذت منك
 تهدر بصوت مبشر كالحمام ، فأريت وجهك المنكر كالحمام ، وأعجبني حديثك وشدتك
 من غير التحقيق (كذا) . فأخذني ما يأخذ الوحيد الحائر عند فقد الطريقي ، الكافي
 اسروت الامر وقلت في نفسي لعله تصحيف في التحرير . وما عمداً الى التوهين
 والتحقير ، وكيف قصد شراً لا يزول سواده بالمعاذير . وكيف يمكن الجهر بالسوء
 من مثل هذا التحرير ، (يذم ويمدح) ولما تحققت انه منك تقلدت اسلحتي
 للجهاد ، وقلت مكانك يا ابن الضاد ، وعلمت أنك ما تكلمت بهذه الكلمات ، الا



حسداً من عند نفسك لا لاظهار الواقعات ، (اتى لا أدعى المسيحية فاحسده على دعواها ولاشئ آخر يحسد عليه) فابتدرت قصداً ، ايلاً يصدق الناس حسداً ، فان علماء ديارنا هذه يستقرون حياة الازراء ، فيستنفزهم ويحجروهم علي كلما قلت للازدراء ، ولولا خوف فسادهم لسكت ، وما تفوهت وما تجلدت ، ولكن الآن أخاف على الناس ، وأخشى وسوسة الخناس ، وأن بعض الشهادات ، أباع من الضرب بالمرهفات ، فأخاف أن يجدد الاشتغال من كلمات النار ، ويسقط ميمه ويبقى على صورة النار .

ثم ادعى انه كان غالب علماء الهند وسرق سجعات من كلام الحريري وقال « فالآن أحبي الائم بعد الممات ، وشهد النار عضدهم بالخز عيبات ، (كذا) فأرى انهم يتصلفون ، يستأنفون القتال ، ويبغون النضال ويخدعون الجهال ، ورجعوا الى شرهم وزادوا شداً ، بما جاء النار شيئاً اذاً . وجاز عن التقصد جداً ، (كذا بلزاي والحريري استعملها بالراء من الجور) فأكبر كلمه حزب من العميين ، الخ

ثم ذكر انه كثير ، كان يغضي عن المعترضين والمزدرين وقال : « وأكن رأيت أن صاحب النار ، عظم في عين هذه الاشرار ، (كذا) وأكبر شهادته بعض زاملة النار ، وكانوا يذكرونها بالعمي والاسحار ، فباني ما يتخافتون ، وسرت على ما يسرون ويأتمرون ، وأخبرتهم أنهم يتضحكون علي وفي كل يوم يزيدون ، » — الى أن قال في صاحب النار ، : « بل أصر على الازراء في الجريده ، فأكل الحاسدون حصيده لسانه كالمصيده ، وتاقفوا قوله وجددوا الخصومة بعدما قطعوها كما هو من شيم القرائع البائده ، وحسبوا كلمه كالاساحة الجديده وأشاعوها في الأخبار (الجرائد) والجوائب الهندية . وكتبوا كلما يشق سماعها على الهمم البريئة المبرهه . وأذوا قباي كما هي مادة الرذل والسفاه ، وسيرة الأراذل من الأعداء . » ثم قال : « وما أتظن أن يكتب النار من معارف كعارف كتابي ، ويرى ريقاً كبريق ما في قرابي ، ثم مع ذلك تناجيني نفسي في بعض الاوقات ، ان من الممكن أن يكون مدير النار بريئاً من هذه الإلزامات ، ويمكن أنه ماعمد الى الاحتقار والتطرح كالعجاوات ، بل أراد أن يعصم كلام الله من سفار المضاعفات . وانما الاعمال بالنيات ، (وههنا حاشية في الاصل ذكر فيها انه يرض ان سبب غيظي منه حكمه بمنع الجهاد) فان كان هذا هو الحق فلاشك انه ادخرنا من هذه المنال ، كثيراً من الدرجات ، وأى ذنب على من سبني لحماية الفرقان ، لانا احتقار وكسر الشان ، » — الى ان قال : « ولكنني معتذر كمثل اعتذاره ، فان الفتن قد انتشرت من أقواله وأخباره » الخ الخ

توفى الحكمة من بقاء ومن يؤمن
الحكمة فقد أوفى خيراً كثيراً وما
يبقى إلا الأبرار الأتقياء

الجمعة
١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتقون أحسنه أو تلك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : ان للإسلام صوي و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الثلاثاء غرة جمادى الأولى سنة ١٣٢٠هـ - أغسطس (آب) سنة ١٩٠٢)

﴿باب المقارن من الامالي الرجيزة﴾

(الدرس ٣٦) محمد رسول الله وخاتم النبيين

الكلام في نبوة خاتم النبيين لا يتجلى للمقول كمال التجلي الا بعد بيان
مستلذين بجمالان مقدمة له - احدهما بيان حاجة البشر الى رسالته العامة
والثانية بيان استمداد الناس لها

(المسئلة ١٠١) حاجة البشر الى هداية عامة الحاجة الى بعثة النبي عليه

الصلاة والسلام في الجملة تعرف من البحث في حاجة البشر الى ارسال الرسل
كما تقدم في الدرسين ١٨ و ١٩ (راجع المنار ٩ و ١٤٠٠ - ٤) ولا يوجد في اعداء
الاسلام المؤمنين بالوحي والنبوة عاقل ينكر أن الرب كانوا في اشد
الحاجة الى بعثة رسول منهم ينتاشهم من تلك الوثنية، ويخرجهم من هاتيك
الجهالة والهمجية، وأن تأثير هداية محمد فيهم كان مثل تأثير هداية موسى
في بني اسرائيل او اعظم واظهر ولكن الذين ينكرون حاجة الناس كافة الى
هذه الهداية الالهية على لسان محمد عليه السلام كثيرون. وانما حال بينهم
وبين معرفة هذا الحق النبيين التقليد الاعمى. فالتقليد اعدى اعداء الحق في
الدين والعلم وفي كل شئ. لأن المتدليس له عينان فينظر في الدليل
والبرهان، بل ينكر الحسّ والعيان، ويكابر الوجود والوجدان، وإنما نكتب
ما نكتب ليزداد الذين آمنوا ايماناً وليمتبر اصحاب المقول المطلقة والافكار
الحرّة من غير المؤمنين

بيان حاجة جميع الامم الى الاصلاح المحمدي يتوقف على معرفة
تاريخ الامم قبل الاسلام لاسيما تاريخ اهل الكتاب الذين يدعون ان في

كتبهم ما ينفي عن هداية الاسلام واصلاحه . ولا يمكن سرد تاريخ الامم
تفصيلا في التمهيد لمسئلة من مسائل العقائد ولكن في الاجمال مع الاحالة
على كتب التاريخ غناء . وقد كتب استاذنا الامام نبذة في ذلك وافية بالمرام
في « رسالة التوحيد » التي هي حجة الاسلام في هذا الزمان وما بعده
الى من شاء الله وانا نقبسها هنا فانظر هذه البلاغة في الإيجاز ، التي تكاد
تبلغ به حد الإعجاز ، قال حفظه الله :

« ليس من عرضنا في هذه الورقات أن نلم بتاريخ الامم عامة وتاريخ
العرب خاصة في زمن البعثة المحمدية لئلا نسين كيف كانت حاجة سكان
الأرض ماسة الى قارعة تهز عروش الملوك وتزلزل قواعد سلطانهم الفاسم
وتخفف من أبصارهم المعقودة بعنان السماء ، الى من دونهم من رعاياهم
الضعفاء ، وإلى نار تنقض من سماء الحق على أدم الأنفس البشرية لتأكل
ما أعشوشبت به من الأباطيل القاتلة للعقول . وصيحة فصحي
ترجع الغافلين ، وترجع بالباب الذاهلين ، وتنبه المرؤسين ، الى أنهم ليسوا
بأبعد عن البشرية من الرؤساء الظالمين ، والهداة الضالين ، والقادة
الضالين ، وبالجملة تؤب بهم الى رشد يفهم الانسان على الطريق التي سنها
الله له ^(١) « إنا هديناه السبيل » ليلين بسلوكة كما له ، ويصل على نهجها الى
ما أعدت الدارين له ، ولكننا نستمر من التاريخ كلمة يفهمها من نظر فيما
اتفق عليه مؤرخو ذلك المهد نظر إيمان وإصاف

« كانت دولتنا العالم ^(٢) — دولة الفرس في الشرق ودولة الرومان

١٦٠ — أوردنا بالطريق فطرة الله التي فطر الناس عليها ٢٠ شروع في بيان الكلمة
المتعارفة قال في الدرس : وفاتني وقت الكتابة ذكر دولة الصين فإنها كانت أيضاً مزقة

في الغرب - في تنازع وتجادل مستمر . دماء بين العالمين مسفوكة ، وقوى
 منهوكة ، وأموال هالكة ، وظلم من الإحن حالكة ، ومع ذلك فقد كان
 الزهو والترف والإسراف والفتنة والنفن في الملاذ بالغة حد مالا
 يوصف في قصور السلاطين والأمراء والقواد ورؤساء الأديان من كل
 أمة وكان شر هذه الطبقة من الأمم لا يقف عند حد فزادوا في الضرائب
 وبالغوا في فرض الأتاوات حتى أثقلوا ظهور الرعية بمطالبهم وأثروا على ما
 في أيديها من ثمرات أعمالها وانحصر سلطان القوي في اختطاف ما بيد
 الضعيف . وفكر العاقل ، في الاحتمال لسبب العاقل ، وتبع ذلك أن استولى
 على تلك الشعوب ضروب من الفقر والذل والاستكانة والخوف
 والاضطراب لتفقد الأمن على الأرواح والأموال .

نمرت مشيئة الرؤساء ارادة من دونهم فماد هؤلاء ، كأشباح اللاعب
 يديرها من وراء حجاب ، ويظنها الناظر اليها من ذوي الالباب ، فقد
 بذلك الاستقلال الشخصي وظن افراد الرعايا أنهم لم يخلقوا الا لخدمة
 ساداتهم وتوفير لذاتهم كما هو الشأن في العجاوات مع من يقتتها . ضلت
 السادات في عقائدها وأهوائها وغلبيتها على الحق والمدل شهواتها ولكن
 بقي لها من قوة الفكر أروبا بقاياها فلم يفارقها الخذر من أن بهيص النور
 الألهي الذي يخالط الفطر الانسانية قديفتق الفلف التي أحاطت بالقلوب ،
 ويحرق الحجب التي أسدلت على العقول ، وتهدي العامة الى السبيل ،
 ويشور الجم التقير على السدد القليل ، ولذلك لم ينفل الملوك والرؤساء أن
 ينشئوا سحبا من الأوهام ، ويهيؤوا كسفا من الأباطيل والخرافات ،

بالحروب الأهلية والحرب مع الزكمان وسند كرها في طبعه ثانية ان شاء الله تعالى

ليقتفوا بها في عقول العامة فيملظ الحجاب ويمظم الرين ويمختق بذلك نور
القطرة ويتم لهم ما يريدون من المغلوبين لهم . وصرح الدين بلسان
رؤسائه انه عدو العقل وعدو كل ما يثمره النظر الا ما كان تفسير الكتاب
مقدس . وكان لهم في المشارب الوثنية يتابع لا تنضب ، ومدد لا ينفد ،
هذه حالة الاقوام كانت في معارفهم ، وذلك كان شأنهم في معايشهم ، عبيد
أذلاء ؛ حيارى في جهالة عمياء ، اللهم الا بعض شوارد من بقايا الحكمة
الماضية ، والشرايع السابقة ؛ أوت الى بعض الأذهان ومعها مقت الحاضر ،
ونقص العلم بالنابر ، نارت الشبهات على أصول المقائد وفروعها بما انقلب
من الوضع ، وانعكس من الطبع ، فكان يرى الدنس في مظنة الطهارة ،
والشره حيث تنتظر القناعة ، والدعارة حيث ترجى السلامة والسلام ؛ مع
قصور النظر عن معرفة السبب وانصرافه لأوّل وهله الى أن مصدر كل
ذلك هو الدين . فاستولى الاضطراب على المدارك وذهب بالناس منذهب
الفوضى في العقل والشريعة مما . وظهرت مذاهب الإباحيين والدهريين
في شعوب متمددة وكان ذلك وبلا عليها فوق ما رزئت به من سائر الخطوب .
« وكانت الأمة العربية قبائل متخالفة في النزعات ، خاضعة للشهوات ،
نغز كل قبيلة في قتال أختها وسفك دماء أبطالها ، وسبي نسائها وسلب
أموالها ، تسوقها للمطامع ، الى المدامع ، ويرين لها السيئات ، فساد الاعتقادات ،
وقد بلغ العرب من سخافة العقل حدًا صنعوا اصنامهم من الحلوى ثم عبدوها ،
فلما جاعوا أكلوها ، وبلغوا من تضعف الأخلاق وهناقتوا فيه بناتهم
مخلصا من عار حياتهن ، أو تنصلا من نشات مبيشتن ، وبلغ الفحش
منهم مبلغا لم يعد معه للمفاد قيمته . وبالجملة فكانت رُبط النظام الاجتماعي

قد تراخت عقدها في كل أمة ، وانفصمت عراها عند كل طائفة
« أفلم يكن من رحمة الله بآولئك الأقوام أن يؤدبهم برجل منهم يوحي اليه
رسالته ، ويمنحه عنايته ويمدده من القوة بما يتمكن معه من كشف تلك الغمم ،
التي أظلت رؤس جميع الأمم ، نعم كان ذلك وله الأمر من قبل ومن بعده اه
فعلم مما أورده الاستاذ الامام ان فساد الامم كان من فساد رؤساء
الدين ورؤساء الدنيا وهم الملوك والأمرء وان قصارى سير التريقين كان
محصورا في اطفاء نور القطرة الالهية وهدم ركني السمادة البشرية وهما
استقلال الفكر واستقلال الارادة . فاذا قيل انه كان في الدنيا دينان
سماويان أي دين اليهود ودين النصارى وكتابان الهيان وهما التوراة والانجيل
فكان يعني عن بمثة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم إلهام الله تعالى رؤساء
الدينين وجملة الكتاين أن يقيا أصولهما ويسيرا على صراطهما ويدعو الناس
الى ذلك . نقول في الجواب ان دين اليهود كان خاصا بشعب اسرائيل وهم
المخاطبون بالتوراة دون - واهم لهم الله تعالى ان هذا كتاب يصلح لهدايتهم
وحدهم في الزمن الذي أنزل فيه وبمده الى أجل مسمى . وبمده ذلك أفسد
بنو اسرائيل في الارض فسلط الله عليهم الوثنيين فسبوهم وخربوا ديارهم
وأحرقوا كتابهم . ثم ان كتابا منهم اسمه (عزرا) كتب لهم بعد زمن
طويل ما يحفظه من كتابهم وشريعتهم باذن الملك الوثني ومنها الاسفار
الحجة التي يسونها التوراة وهي تحكي عن موسى بضمير الغائب وفيها ذكر
وفاته وليس ذلك مما أوحى اليه . ولولا ان الله أخبرنا في كتابه بأن اليهود
نسوا حظا مما ذكروا به لا جميع ما ذكروا به ولولا انه احتج عليهم بعدم
العمل بالتوراة والحجة تقوم ببعض كلام الله كما تقوم به كله - لما صدقنا

كلمة واحدة من كتبهم ولا وثقنا بحكم واحد من أحكام شريعتهم . وحاصل القول ان الله تعالى لم يجعل التوراة منذ شرعها هداية عامة مرشدة للجميع البشر الى كمال النظرة فكيف تصاح لذلك بعد ما طرأ عليها وعلى الناس ما طرأ وأما السيد المسيح عليه السلام فإنه لم يأت بدين جديد وإنما ديانته اليهودية وشريعته التوراة ولكنه كان مصلحاً لأن اليهود جمدوا على ظواهر الشريعة حتى صاروا كالماديين فأرسله الله الى خراف اسرائيل الضالة « ليهديهم الى الروحانية ويبلغ فيها بمقدار ما بالغوا في الظواهر والماديات ليكون ذلك تمهيداً لدين الفطرة الذي يجمع بين مصالح الروح والجسد . وأما الديانة البولسية التي انتشرت في أوروبا بتعليم بولس ثم مساعدة قسطنطين ومن بعده من الملوك والراعيهم الناس بها فهي لا تنطبق على ما قلناه سابقاً في وجه حاجة البشر الى ارسال الرسل لهدايتهم الى سمادة الدنيا والآخرة بتربية الروح والجسد وليس فيها قاعدة واحدة من قواعد الفطرة وإنما هي عبارة عن شيء واحد وهو الايمان بالمسيح على الوجه الذي يقولونه وانه لا حاجة مع هذا الايمان الى العمل بالشريعة . والظاهر من نصوص كتب العهد الجديد ان المسيح خلص العالم كله من المذاب من آمن به ومن لم يؤمن وإنما يفضل المؤمن به غيره بأنه يحل فيه روح القدس . قال يعقوب في رسالته « وليس من أجل خطايانا فقط بل من أجل خطايا العالم كله » . وقد ظل أهل أوروبا على هذا الدين عدة قرون يخبطون في دياجير الاوهام والجهالات حتى دخل عليهم الاصلاح الاسلامي من بلاد الاندلس والشرق كما سنينه

(م ١٠٢) الاستعداد للعموم البعث : حاجة الناس الى الشيء تولد فيهم

الاستعداد له فاذا استدللنا بالملة على المعلول فلنا أن نستنبط استعداد الأمم لمصلح عام يرسله الله تعالى لهداية الأمم من شدة حاجة الأمم الى ذلك الاصلاح واذا استدللنا بالمعلول على الملة فالدليل أوضح لانه ههنا وجودي مشهود لانظري مستنبط وهو قبول الأمم على اختلافها في الاديان واللغات والمواقع هذا الاصلاح الروحي الاجتماعي الذي جاء به محمد عليه الصلاة والسلام بالوحي الالهي والالهام فقد انتشر الاسلام في المشرق والمغرب بسرعة لم يعرف التاريخ مثلها حتى كان ملك الاسلام بعد ثمانين سنة من ظهوره أوسع من ملك الرومان بعد ثمانمائة سنة والرومان أعظم أمم التاريخ الماضي في الحروب والفتوحات .

هذا هو الاصلاح الذي غير هيئة الارض وبدل نظام الاجتماع الانساني في السياسة والحرب والمدنية والعلوم والآداب على أيدي أمة كانت قبل الاسلام أبعد الأمم عن السياسة والمدنية والنظام والعلم وهي الأمة العربية . ألم تر أن نور الهداية القطرية ماخبا بعد الاسلام من مكان الا وأومض أو تالق في مكان آخر وان دعائم العمران ماتداعت في مملكة الا وشيدت في غيرها وان غرس العلم والفلسفة ماذبل أو تهوَّح في أرض الا ونما وترعرع في سواها - كل ذلك كان ينتقل مع الاسلام فكما ظهرت قوة الاسلام في مكان ظهرت بها ومهما هذه الاشياء حتى اذا ضعف الاسلام والمسلمون في الشرق والغرب ضعف العلم والعمران والمدنية في العالم كله ولكنه لم يذهب من العالم فيحتاج العالم الى مصلح آخري يبي له قواعد الاجتماع على أصول العلم الصحيح وبين الكون اذ لو حصل ذلك لما كان محمد خاتم النبيين . ولكن تلك القواعد انتقلت

من مسلمي الاندلس ومسلمي الشرق الى اوروبا مع تلامذة ابن رشد وفي الكتب التي أخذها الصليبيون من المسلمين .

من عجيب أمر استمداد العالم لهذا الاصلاح العام سرعة انتقال العلم من قطر الى قطر ومن خافق الى خافق أيام مدينة العرب لأول عهدا مع صهوبة المواصلة بين الحافقين فقد كان المؤلفون من الاندلس وبلاد البربر ينقلون من كتب المؤلفين الماصرين في العراقين من المشرق كما كان هؤلاء ينقلون عن أولئك في كل عصر فكانت تلك الهمم الكبار، تفنيمهم عن الكهرواء والبخار، وآية أخرى من آيات هذا الاستمداد حفظ العلم والتاريخ فقد كان الكتاب يوجد قبل الاسلام في الامم ثم يذوب ويضعحل كأن لم يكن شيئا مذكورا

أرأيت الاسرائيليين على غلوهم في دينهم كيف مرت عليهم السنون والاحقاب وليس عندهم من كتاب شريعتهم الا نسخة واحدة حتى اذا فقدت ذهبت الثقة بمجموع ديانتهم الا ما كانوا يحفظون ويميلون . وقس بهم العرب الأميين وانظر كيف حفظوا كتابهم في الصدور والسطور .

وكيف رأوا في الصدر الاول أن يرسلوا بالمصاحف الى الاقطار لتكون أصولاً يكتب بها بصفة رسمية لأن مصحفاً يرسله خليفة رسول الله بمشاوره أصحاب رسول الله واتفاقهم له حكم النقل المتواتر المجمع عليه ولولا ذلك لكان نقل المصاحف مقصوراً على الافراد الذين كانوا يحملونها . واذا اشتبه في هذه الحال بكلمة اختلف فيها ناقل مع ناقل أو حافظ تقع الخيرة في الترجيح لعدم وجود أصل مجمع عليه أو عدد كثير من المصاحف مأخوذة عن ذلك الاصل أو عدد مثله من الحفاظ . ولكن ذلك لم يقع فلا خلاف بين المسلمين في كلمة ولا في حرف من حروف القرآن العزيز

من آية استعداد الأمم للإصلاح الإسلامي على الطريقة الأولى
(الاستدلال بالملة على المملول) النظر في أصول هذا الإصلاح فمنها حاجة
البشر الطبيعية الى رابطة عامة بين الأمم المختلفة في الجنس واللغة والدين
فقد كانت هذه الروابط خاصة تجمع طائفة محصورة ليمش أفرادها مميثة
اجتماعية ولكنها تجعلهم أعداء للطوائف التي ترتبط برابطة أخرى والاسلام
جاء لجمع كل الأمم كما سنبينه بعد . ومنها إقامة قواعد العمران والاجتماع على
سنن الكون التي تعرف بالاختبار . ومنها تهديد سلطة رؤساء الدين والدنيا
وجعل مصالح الأمم شورية بين أهل الرأي منهم وأصحاب الحل والعقد
المرضيين عندهم ومنها جعل أحكام الشريعة دائرة على درء المفاسد وحفظ
المصالح وتحكيم العرف . وكل الأمم الراقية انما ارتقت بمثل هذه الاصول
التي وضعها الاسلام سواء لقبتم بلقب الإسلام أم لم تلق به
ومن آية ذلك على تلك الطريقة أيضاً ما أثبتته علم الاجتماع من ارتقاء
الانسان بالتدريج فبعد ان كان في ظلمات من بحر الوثنية العجي من فوقه
. ورج من فوقه سبحانه لا يكاد يرى شيئاً من نور النطرة ارتقى في الوثنية من
الاعتقاد بتأثير مظاهر الطبيعة التي لا يفهم معناها من جناد ونبات
وحوان وإنسان الى الاعتقاد بأن تلك المعبودات لا تؤثر بنفسها وإنما
تقرب من يخضع لها من واجب الوجود وتشفع له عنده في قضاء الحوائج .
بما الاستعداد اصطنع الاسلام بالتوحيد جرائم الوثنية من جزيرة العرب
ثم انتشر التوحيد الخالص في العالم . وبدأ بالملم فلم ينجب . مصباحه في مكان
الا وأشرق في غيره . فأكثر أهل أوربا اليوم . وحدثون لا يمتقدون
بسلطة ولا تأثير في الكون الا لمدير الكون الذي وضع سننه ونواميسه

« وخلق كل شيء فقدره تقديرا » ولقد كان النبي قبل الاسلام يمث بالتوحيد فيؤمن به النفر أو القوم فلا يمضي عليهم زمن الا ويعودون الى الوثنية ويلتسبون لها الدلائل من الدين فيدعي التوحيد بالمرة . ولكنه لم يبع بمد ظهور الاسلام وان دبت الوثنية الى بعض المسلمين وصفت عندهم بصنفة الدين لغروب من التأويل والتحريف . وسنوضح مسألة الاستمداد بما قاله الاستاذ الامام في ارتقاء الامم بالدين وبسبب ظهور الاسلام في العرب الاميين فانظر ذلك في الدرس الآتي

القسم العمومي

(الزواج وشبان مصر وشوابها)

أكثر الجرائد اليومية الحوض في هذه الايام في مسألة اجتماعية ذات بال وهي ميل كثير من الشبان المصريين الى التزوج بالأوربيات وإحجام كثير منهم عن التزوج بالمرأة وزعم بعض الباحثين ان السبب في الامرين هو عدم وجود بنات مصريات « متريات » يصلحن لشبان مصر « المترين » وهما شرح بعض الكتاب سوء حال تربية البنات ووصف من جهلن وأطبن في التنفير عنهن . وكنت أحب أن يكتر الكتاب البحث في تربية البنات في معرض غير معرض تفضيل الزواج بالأوربيات والترغيب عن الزواج بالوطنيات

المسئلة كبيرة وفروعها متشعبة ولطريق البحث فيها نواشط كثيرة وكأني بهذه النواشط قد تمثلت أممي فلا أدري أي نواشط اختارني ابتداء السير لأصل منه الى الطريق الاعظم . واكتني أقول قبل كل قول : إن

الذين تزوجوا بالأوربيات أو يفضلون التزوج بهن هم أبعد المصريين عن التربية الصحيحة النافعة . وان أكثر الذين يترشون بالزواج يتربصون الظفر بزواج غنية لا بزواج مهندبة متربية .

ثم أقول انه لا تربية عندنا للفتيان ولا للفتيات وان الاناث يقربن من الذكور في الاخلاق والآداب والمادات والرغبات ولكن الفرق بين الفريقين في التعليم فالتعلمون أكثر من المتعلمات ولكن أكثر هذا العلم مما لا يصح النفاضل فيه لانه قليل التأثير في الحياة المنزلية والحياة القومية والحياة المالية . ولو ارتقى المتعلمون في شؤون الحياة لاصحوا بيوتهم ورأس إصلاح البيوت تربية البنات فكما يريد الرجال يكون النساء لأنهم القوامون عاينهم والقوة بأيديهم فهم يسيرون العمران كيف شاؤوا .

ورب متفرنج غبي ينتفض رأسه اذا سمع قولنا : كما يريد الرجال يكون النساء . ويقول ان هذا قول من لا يعرف الحقائق فان الاوربيين يقولون : كما يريد النساء يكون الرجال . ويذكرك أيها الفر المتفرنج ان في كلمة سادتك شيئاً من المبالغة وان كان نساؤهم وصلن الى درجة من الاستقلال والعناية بالتربية بسمي الرجال صار لهم بهاشان في تربية الاحفال يصح معها ان تقال هذه الكلمة فيهن ولكن شأن بلادنا ونسائنا مبان لشؤونهن

التربية شي والتعليم شي آخر - التربية هي تماهد القوى الجسدية والنفسية ومساعدتها على الوصول الى الكمال المستعدة له في أصل الفطرة حتى يكون المرئي إنساناً كاملاً سوياً في خلقه . هذباً في خلقه نافعاً لنفسه ولقومه والمعلم إبداع صور المعلومات في ذهن المتعلم . وقد وجد في مدارس مصر شي من التعليم الناقص ولكن التربية لم توجد في المدارس ولا في البيوت فما

بقي في الامة من الاخلاق الفاضلة والآداب الصحيحة فهو على قلته، ن - وورما تركه
 السلف الصالح من التراث وأشد الناس جناية عليه واتلافاً له هؤلاء المتعلمون
 الذين اتفقوا بالتعلم الجديد فصاروا ينفمون أنفسهم وأمتهم قليلون
 جداً وإنما ساعدتهم على الانتفاع استمداد قوي في الفطرة وبعض الاخلاق
 والآداب الموروثة ولذلك يمد نجاحهم شذوذاً لا نتيجة طبيعية لهذا التعليم
 الناقص في المدارس . وهؤلاء لا ينصحون اشبان أمتهم ان يتزوجوا
 بالاوربيات ، وإنما ينصحون لهم أن يربوا ويعلموا البنات ، واذا اشتكوا
 فأنما يشتكون من جهل الاغنياء ويخلمهم إذ لا يسمحون بشيء من فضل
 ما لهم لانشاء معاهد أهلية للتربية والتعليم

اما تلك الحثالة من سائر المتعلمين وهم الاكثرون - على انهم قليل في
 مجموع الامة - فانها لم تستفد من التعلم الا رطانة لثة اوربية بها يتمكنون
 من معاشره بنايا الافرنج مسالحت أو متخذات أخذان . وان عقائل
 نساء الافرنج ليرفن ويستنكمن ان يعاشرن هؤلاء الغلمان السفهاء الاحلام
 بلة الاقتران بهم وقبولهم بموالة لمن فهذا التبجح الذي يتبججه شباننا في الجرائد
 بعلمهم أمامه والتبجح بتفضيل البنايا الاجنبيات على المحصنات الوطنيات

لولا هؤلاء المتعلمون لما راج سوق القمح في مصر . لولا هؤلاء
 المتعلمون لما نشأ داء الزهري في البلاد . لولا هؤلاء المتعلمون لما فشا
 السكر في القطر . لولا هؤلاء المتعلمون لما عرف الميسر والقمار في وادي
 النيل . لولا هؤلاء المتعلمون لما قتن الناس بزخرف الاثاث والرياش
 والماعون التي تجلب من أوروبا فذهب بثروة البلاد . لولا هؤلاء المتعلمون
 لما خربت تلك البيوت العاصرة التي ورثت الثروة والمجد عن أب وجد .

لولا هؤلاء المتعلمون لما انتهكت حرمة الدين وتركت فضائله وسنته .
فبإذا يفنخر هؤلاء المتعلمون المغرورون على البنات الاغرار الجاهلات
ولماذا يرفعون عليهن مع ان جهلن لم يحن على الامة والبلاد بمض ماخناه
علم اولئك المتبجحين المترفين

البت الجاهلة تربي في بيت زوجها تربية جديدة لأن المدراء
لا تستقر أخلاقها وعاداتها على شيء الا بعد الزواج كأنها قبل ذلك ترى كل شيء
موقفاً غير ثابت لأنها في طور غير ثابت تنظر في كل يوم الانتقال الى
الطور الذي بعده الذي حكمت الفطرة بان تقضي حياتها فيه وهو كونها
زوجاً لرجل ثم أما الولد . فليت شعري كم عدد المتعلمين الذين تزوجوا
من هؤلاء المداري واشتغلوا بتربيتهم ليعيشوا معهن عيشة راضية ؟ كم عدد
الذين أحصنوا بالزواج فرضوا بازواجهن حتى لا يفسدوا الواخير ولا يوت
السر ؟ ويا ليت شعري كم عدد البيوت التي كان فيها هؤلاء المتعلمون
صالحين صالحين وأزواجهن فاسدات فاسدات ؟؟ أظن بل أوقن أن الرجال هم
الذين يفسدون النساء بسوء المعاملة وقبح السيرة الا ما جاء على سبيل الاستدوذ .
فما بال تلك « الفئاة النميمة » التي أرادت الدفاع عن اخوتها التحيسات
ظنقت تدمهن وتهجون في مقالاتها التي نشرتها في المؤبد توسلا الى
كلمة تسترضي بها الشبان في آخرها بأنهم مقصرون وبان في البنات
الآن من التملات من يليق بهم

التميزة الكبرى في تربية بنات مصر هي أنهن يكمن هؤلاء الشبان
المغرورين ويماشرنهم وهذه الفئة فاشية في المتعلمين والتملمات أكثر من
فسوها في الجاهلين والجاهلات والذنب في هذه التميزة على الشبان فمنهم

بدأت الثنته واليهم تمود لانهم هم الذين يترضون لاغواء البنات . وقد
حدثني غير واحد منهم بأنه لا يكاد يوجد تلميذ الا وله خلية من البنات .
ولكن لا تكاد توجد بنت بدأت شاباً بالمنازلة والمناغاة . فاذا كان هذا
حظ شباننا المتعلمين من البنات فماذا ينعمون عليهم من فساد التربية :
أينتم بعضهم على من يحبها انها لا تحسن الرطانة بلغة أوربية : كيف وهو
أوسع مادة في المسائل التي يكلمها بها بلغته العرفية منه باللغة الاجنبية لانها
لا يتكلمان الا باللغو والهذيان الذي يناسب المشاق الذين لا تربية لهم
ولا تهذيب . يوهنا بعض الكتاب ان هؤلاء المتعلمين يود أحدهم أن
تكون له زوجة تعلمت . مثلما تعلم لتكون حياته معها إنسانية بالمذاكرات
العامة والادبية لحيوانية محضة مقصورة على التمتع البهيمي . وياليت هذا
كان صحيحاً ولكن محزننا ويحزننا أنه غير صحيح فان موضوعات حوارهم ،
في أنديةهم وسماهم ، دون ما يقتضيه علمهم الناقص كأن فساد التربية
حال بينهم وبين الانتعاع بالعلم . ومنذ الذي يطلب العلم ليميل به أوليكم ؟
كلنا نعرف علة طلبهم للعلم . هي أخذ الشهادة التي تقدم لوظائف الحكومة
والترضى من وظائف الحكومة الاكل مع الراحة لما جيلوا عليه من الكسب .
نرى أحدهم يجد ويكد قريحته باختمظ مدة الدراسة حتى اذا ما نال ورقة
الشهادة التي سماها بعض الأوربيين (جلدة الحمار) قال : ذهب دور التعب
والعناء وجاء دور التمتع . على أنه لم يكن في طور الدراسة مصروفاً عن
التمتع فترك البحث والمذاكرة في كل مائمه الا اذا كان رزقه منه
كالمهندسين والاطباء وقليل ما هم
ان من يدرس العلم لحاجة كرشه وفرشه كالثور الذي يدرس ليأكل

بل ربما كان الثور أنفع منه لأنه يأكل ويأكل غيره من عمله بدرس
الخطبة ولكن أكثر الذين يدرسون العلم عندنا لا يأكلون ولا يأكل أحد
من عمرة دراستهم وهم الذين قال فيهم الشاعر :

و درس ثورين قد شدنا الى قرن أفتى وأنفع من تدريس حبرين
أين أثر علم هؤلاء المتفجيين في التأليف أو العمل ؛ أين الأندية
والسار الأدبية ؛ أين الجمعيات العلمية ؛ أين الشركات الصناعية ؛ أين الاعمال
التجارية ؛ أين التأليف النافعة في العلوم النظرية أو العملية أو الأدبية أو الدينية .
أخرت ذكر الدين لان أكثر هؤلاء المتعلمين ، أجمل به من العامة المؤمنين ،
ولا يخفى ان الكلام كله في المجموع لاني عموم الافراد فان من التلامذة من
يرغب في العلم لتفضله ونفمه ومنهم من أحسن أهله أدبه وتربيته

فيا معشر المتفجيين بالعلم - وان كان الجهل خيرا منه - اذا فتنتم بالاوربيات
أو استغنيتم بالسفاح عن الزواج الشرعي أو كنتم ترجؤون الاقتران ليظفر أحدكم
بامرأة غنية يتنم بها لان المدرسة ربه على الترف والكسل . ما فأنتم عليكم
بالشرف الذي تذكرونه ؛ والوطن الذي توههونه ؛ بل أقسم عليكم بالله
الذي تمبذونه ، أن لا تمتدروا عن ذلك بتميزة اخواتكم ؛ والاوزراء
بامراتكم ؛ ومن كان منكم يغار على قومه وبلاده فليجتهد بتربية نفسه ثم
تربية الاقرب فالاقرب . واعلموا انه لو وجد عندنا تربية وتعليم لوجد
عندنا رجال واذا وجد الرجال توجد النساء كما يريد الرجال ويوجد المال
ويوجد الاستقلال فالرجال هم الذين عملوا كل شئ في الماضي وهم الذين
يملكون كل شئ في المستقبل وخير لهم ان يكون نسائهم عون لهم من ان
يكونوا كلاً عليهم والسلام على من علم وعمل

الاجتماع الخامس لجمعية أم القرى

(في مكة المكرمة يوم الاحد الحادي والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦)
 في الوقت المعين من هذا اليوم تكامل الاجتماع واستمدت الهيئة لهذا كره والسمع
 وقرأ كاتب الجمعية ضبط الجلسة السابقة حسب القاعدة المرعية
 قال (الاستاذ الرئيس) مذبح بعد يومين في وضع قانون للجمعية الدائمة والتي
 أرى أن نفوض للجنة منا من الذين سبق لهم دخول في جمعيات علمية أو الذين
 لهم وقوف على مباني الجمعيات القانونية ولا سيما القريبة المروفة باسم (أكاديميات)
 لتنظر لنا هذه اللجنة سائحة قانون نضعها تحت البحث في الجمعية
 والتي أ كلف بهذه اللجنة اخانا السيد القرآني ليقوم بكتابتها وأخانا السيد
 الانكليزي ليفيد اللجنة عما يعلمه عن الأكاديميات وعن مجربات جمعيات ليفربول
 ورأس الرجا واخواننا المسلمة المصري والصاحب الهندي والمدقق التركي وهذا
 برئهم لانه أسهم الأوهؤلاء خمسة أعضاء فهل تصوب الجمعية ذلك وترى فيه
 الكفاية والكفاءة أم تستدرك شيئاً

ثم ابتدر (السيد الانكليزي) للمقال مخاطباً الاستاذ الرئيس فقال اننا مسلمي
 (ليفربول) حديثو عهد بالاسلام ولنا اشكالات مهمة تتعلق ببحث اليوم أعني بطريقة
 الاستهداء من الكتاب والسنة لان أكثرنا قد اهتدينا والحمد لله الى الاسلامية منتقلين
 اليها من (البروتستانية) أي الطائفة الانجيلية لا من الكاثوليك أي الطائفة التقليدية
 فقبل طبعاً لاتباع الكتاب والسنة فقط ولا نشق بقول غير ممصوم فيما ندينه وقد
 تركنا دين آبائنا وقومنا لتبغ دين محمد نبي الاسلام عليه الصلاة والسلام لا لتبغ الحنفي
 أو الشافعي أو الحنبلي أو المالكي وان كانوا نفاة ناقلين

ولنا جمعية منتظمة لها شعبتان في امريكا وجنوب افريقيا ونحن راغبون أن نسمى
 سميّاً حثيثاً في الدعوة للدين السامي الاسلامي المين والاقوام الذين ندعوهم غالبهم
 متدينون أي افكارهم متورة بالعلوم والمعارف وأكبر أملنا ممقود بهداية فثنين
 اثنين الاولى البروتستانت والثانية الزنادقة .

أما أملنا في البروتستانت فلأنهم منقلبون حديثاً من الكاثوليكية انقلاباً ناشئاً عن

ترجيحهم الاعتقاد على الإنجيل ومجموعة الكتب المقدسة متوناً فقط أى باهال الشروح والتفسيرات والمزيدات التي لا يوجد لها أصل صريح في الإنجيل . والبروتستان في أوروبا وأمريكا يزيدون على مائة مليون من النفوس كلهم . فطورون على الدين قليلو العناد في الاعتقاد . — استمدون لقبول البحث والاعتقاد للحق بشرط ظهوره ظهوراً عقلياً ولا سيما إذا كان الحق ملائماً لأسباب هجرهم الكاثوليكية من نحو انكارهم الرياسة الدينية والرهابية والتوسل بالتهديسين وطلب الشفاعة منهم واحترام الصور والتماثيل والدعاء لأجل الأموات وبيع المفران والقول بأن البطارقة قوة قدسية وقوة تشريسية وان لا بابا صفة العصمة عن الخطأ في الدين وأن للاساقفة ومن دونهم من القسيسين مراتب مقدسة الى غير ذلك مما يتج في النصرانية سلطة دينية وتشديدات تصدية لا يوجد لها أصل في الإنجيل .

وقد يشبه هؤلاء البروتستان في رأيهم فئة قليلة من اليهود تعرف باسم القرابين وهم الآخذون بأصل التوراة والمزامير النابذون للناموس أي لتفسيرات ومزيدات الاحبار والحاخامين الأقدمين .

أما الفئة الثانية فهم الزنادقة المارقون من النصرانية كلياً اعدم ملائمتها للعقل وهؤلاء في أوروبا وأمريكا كذلك يزيدون على مائة مليون من النفوس غالبهم . استمدون لقبول ديانة تكون معقولة حرة سمحة تريحهم من نصب الكفر في الحياة الماخضرة فضلاً عن المذاب في الآخرة .

ومن غريب نتائج التدقيق ان افراد هذه الفئة كلما بدوا عن النصرانية نفورا من شركها وخرافاتها وتديباتها هربون طبعاً من التوحيد والاسلامية وحكمتها وسماحتها . فتنة على هذا الحال وهذه الآمال ترى جمعية (ليفر بول) أهمية عظيمة لتحرير مسألة الاستهداء من الكتاب والسنة وتصوير حكمة وسماحة الدين الاسلامي للعالم للمتمدين فأرجو حضرة الأستاذ الرئيس أن يسمح لي بتفهم مسألة الاستهداء على اسلوب المحاوره والمساجلة مع بعض الاخوان الافاضل في هذا المحفل العلمي العظيم .

فاجابه (الأستاذ الرئيس) بقوله له ساجل من شئت وخاطب من أردت فالاخوان كلهم علماء أفاضل حكماء

فقال (السيد الانكليزي) مخاطباً العالم التجمدي انك يامولاي قد صورت في مقدمة خطابك في التوحيد من هو المسلم والزمنه العمل بالكتاب والسنة فأرجوك

أن تعرفني أولاً ماهو الكتاب وما هي السنة .

قال العالم النجدي : أما الكتاب فهو هذا القرآن الذي وصل إلينا بطريق لا شبهة فيه لإجماع الكلمة واتفاق الأمة عليه وتناقلها إياه جيلاً عن جيل حفظاً في الصدور وضبطاً من السطور مع الحرص العظيم على كيفية أدائه لفظاً وعلى هيئة أملاؤه كتابة ومع الاعتناء الكامل في تحقيق أسباب النزول ومكانه ووقته ومع حفظ اللغة العربية المفضرة القرشية التي نزل بها بإتقان لا مزيد عليه . وبقاء القرآن محفوظاً من التعريف والتغيير وهو حبات الرب إلى الآن هو أحد وجوه اعجازه حيث جاء مصداقاً لقوله تعالى فيه « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون »

أما السنة فهي ما قاله الرسول عليه الصلاة والسلام أو فعله أو أقره ولم يكن صدر منه ذلك على سبيل الاختصاص أو الحكاية أو العادة وقد اعتنى الصحابة ولاسيما التابعون ، تابعوهم رضي الله عنهم بحفظ السنة حديثها وآثارها وسيرها غاية الاعتناء وتسفلوها بالرواية والسند المتسلسل متحررين الوثوق متسهي مراتب التحري والتثبت وقد حازت بعض مدونات السنة وثوقاً تاماً وقبولاً عاماً في الأمة فوسات إلنا بكمال الضبط خصوصاً منها الكتب الستة .

قال (السعيد الانكليزي) لايشك أحد حتى تمدد المعاند في أنه لم تبغ ولن تباع أمة من الأمم شأنو المسلمين في اعتنائهم بحفظ القرآن الكريم وضبطهم التاريخ النبوي أي السنة وكذلك يقال في اعتنائهم باللغة العربية التي هي آلة فهم الخطاب .

وبالنظر إلى ذلك كان يجب أن تحرر الشريعة الإسلامية أحسن تحرير فلا يوجد فيها ما وجد في غيرها بسبب عدم ضبط أصولها من اختلافات ومباينات مهمة بين العلماء الأئمة فارجوك أن تبين لي ما هو منشأ هذا التشتت الذي نراه في الأحكام .

أجاب (العالم النجدي) ان الاختلافات الموجودة في الشريعة ليس كما يظن شاملة الأصول بل أصول الدين كلها والبعض من الفروع متفق عليها لأن لها في القرآن أو السنة أحكاماً صريحة قطعية اثبتت قطعية الدلالة أو ثابتة بإجماع الأمة الذي لا يجوز العقل فيه ان يكون عن غير أصل في الشرع (١)

١٥ - المنار - هذا القول غير مسلم اذ يجوز العقل ان يقول المجتهدون في زمن من الأزمان قولاً مبنيّاً على خطأ في الاجتهاد لاسيما اذا كانوا قليلي العدد كما هو الواقع بهد المصدر الاول . وقد حصل مثل هذا في جميع الملل والذي لا يجوز هو الذي لا يمكن أن يقع

أما الخلافات فانما هي في فروع تلك الأصول وفي بعض الاحكام التي ليس لها في القرآن أو السنة نصوص صريحة بل بعض علماء الصحابة رضي الله عنهم وفقهاء التابعين ومن جاء بعدهم من الأئمة المجتهدين أخذوا تلك الاحكام التي اختلفوا فيها إما تلقياً من بعض الصحابة فكلّ قلده من صادف «١» وإما استنبطوها اجتهاداً من نصوص الكتاب أو السنة بالمدلول المحتمل أو بالمفهوم أو بالاقضاء أو من قرائن الحال أو قرائن القال أو بالتوفيق أو بالتخريج أو التفريع أو بالقياس أو باتحاد الصلة أو باتحاد النتيجة أو بالتأويل أو الاستحسان وهذه الاحكام الخلافية كلها ترجع الى دلائل اما قطعية الثبوت ظنية الدلالة أو ظنية الثبوت ظنية الدلالة . ولكل واحد من المجتهدين أصول في التطبيق وقوانين في الاستنباط يخالف فيها الآخر ومنشأ معظمها الخلافات التحوية والبيانية .

ثم ان أكثر الخلافات هي في مسائل المساملات وعلى كل حال جاحدها لا يكفر باتفاق الأئمة بل المتخالفون لا يفسق بعضهم بعضاً اذا كان التخالف عن اجتهاد لاعن هوى نفس أو تقصير في التبع الممكن للمقيم في دار الاسلام (مرحى)
قال (السعيد الانكليزي) اني اشكرك على ما أجمت وأوضحت غير انك لم تذكر في حجة أسباب الأختلاف في اعتبار النسخ والمنسوخ بين آيتين أو حديثين أو آية وحديث واني أظن ان ذلك من أعظم أسباب الاختلاف في الأحكام .
أجاب (المسلم النجدي) ان نواسخ الأحكام قليلة ومملومة والخلاف فيها أقل لأن النسخ في زمن التشريع لم يحصل إلا عن حكمة ظاهرة كالتدريج في منع السكر كانهي عنه حالة الصلاة ثم تميم منه . وكتمير مقتضى التوارث بالإخاء وهو القطيعة التي حصلت بين المهاجرين وذوي أرحامهم في بدء الأمر ثم لما تلاحقوا بمد فتح مكة نسخ ذلك وجعل التوارث بالتب . وكالدعوة في أول الاسلام الى التوحيد والدين بمجرد الوعظة بدون جدال ثم به بدون صدع ثم به بدون قتال ثم به في أهل جزيرة العرب فقط ثم بتعميمه مع قبول الجزية والحراج من غيرهم (٢) «مرحى»

«١» وهذا أيضاً غير صحيح فان هؤلاء الأئمة ما كانوا مقلدين للصحابة
«٢» شرع الاسلام أو السيف خاصاً بأهل جزيرة العرب بقصد احكام الوحدة السياسية في الوحدة الجنية لا كما يتوهم الطاعنون في الاسلامية انها لم تقم الا بالسيف
اهم من الأصل وما ذكره في الدعوة وفي تحريم الخمر ليس بالنسخ في شيء

قال « السيد الانكليزي » ان ما وصف من أصول الاجتهاد وقوانين استنباط الأحكام قد أنتج خلاف ما يأمر الله به في قوله تعالى « اقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » وخلاف ما تقتضيه الحكمة فهل من وسيلة سهلة لرفع هذا التفرق .
أجاب « العالم النجدي » اني لا أهتدي لذلك سبيلاً^١ ولعل في الإخوان من يتصور وسيلة لهذا الأمر المهم

فابتدر « العلامة المصري » مخاطباً السيد الانكليزي وقال : ان رفع الخلاف غير ممكن مطلقاً ولكن يمكن تخفيف تأثيراته . وذلك انه لما كان معظم الاختلاف كما قرره اخوتنا العالم النجدي في الفروع دون الأصول وفي السنن والندوبات والصفار والمكروهات دون الشعائر والواجبات والكبائر والمنكرات وكان أكثر الامامة هم الامامة الذين لا يقدرون أن يميزوا بين الواجب والسنة والندوب وبين النفل والمباح أو يفرقوا بين الكفر والحرام وبين الكبيرة والصغيرة والمكروه تنزيهاً والتقوى بل تنقسم الأحكام كلها في نظرهم الى نوعين أحابين فقط مطلوب ومحظور وبتعبير آخر الى حلال وحرام وكانت أحكام الشريعة كثيرة جداً فالامامة يجدون أنفسهم مكلفين بما لا يطيقون الإحاطة بمعرفة فضلا عن القيام به ويرون ان لامناص لهم من التهاون في أكثره أو بعبارة أخرى فيقوم أحدهم بالبهض دون البهض فيأتي بالنفل ويتهاون بالواجب ويستبيح المكروه ويقدم على الحرام وذلك كما قلنا لاستكثاره الأحكام وجهاته بمراتبها في التقديم والتأخير « ٢ »

بناء على ذلك أرى لو أن فقهاء الأمة كما فرقوا مراتب الاحكام على المسائل يفرقون المسائل أيضاً على المراتب في متون مخصوصة . فيمقدون لكل مذهب من المذاهب كتاباً في العبادات ينقسم الى ابواب وفصول تذكر في كل منها الفرائض والواجبات فقط وتنطوي ضمنها الشرائط والأركان بحيث يقال ان هذه الأحكام هي هذه المذاهب هي اقل ما يجوز به العبادة .

١٥٠ الاديان والمذاهب كلها مصابة بالانشقاق فهذه البرتستانية تفرقت في مدة مائتي سنة الى ما يزيد على مائتي فرقة . وهذه أحكام الأحوال الشخصية من نكاح ونحوه في النصرانية مختلف فيها بين الكنائس أو بين رؤساء كل كنيسة اختلافاً لا يهتدى منه الى نتيجة . اهـ من الأصل « ٢ » كالآثار التي يتعمون بالسنن والمكروهات أكثر من الواجبات والمنهيات اهـ من الأصل

وبقاء كتابنا آخر ينقسم الى عين تلك الأبواب ، انفسول تذكر فيها السنين
حيث يقال ان هذه الأحكام ينبغي رعايتها في أكثر الأوقات . ثم كتاباً ثالثاً مثل
الأولين تذكر فيه سنن الزوائد بحيث يقال ان هذه الأحكام رعايتها أولى من تركها .
وعلى هذا النسق يوضع كتاب للمنهايات يقسم الى ابواب وفصول تعقد فيها
المكفرات والكبائر وكذا الصفائر والمكروهات ومثل ذلك تقسم كتب المعاملات على
طبقات من الأحكام الإجماعية او الاجتهادية او الاستحسانية .

فيمثل هذا الترتيب يسهل على كل من العامة ان يعرف ماهو مكلف به في دينه
فيمثل به على حسب مراتبه وامكانه وبهذه الصورة تظهر سماحة الدين الخفيف وبصير
المسلم مطمئن القلب مثله كمثل تاجر له دفاتر وقیود وحسابات وموازنات منتظمة
فيمثل مطمئن الفكر وكم بين هذا التاجر وبين تاجر آخر حساباته في اوراق
منتثرة ومعاملاته مشتتة متزاحمة في فكره لا يعرف ماله وما عليه فيمثل عمره مرتبك
البال مضطرب الحال «مرحى»

باب في بيان ما ينبغي ان يكون عليه

الشجرة السابعة صه بهيرة رأسم (*)

﴿ رويا منام * أرجوان تحفة لنا الايام ﴾

رأيتني متطياً جواداً أسبح في بلاد مجهولة لأدري ان كانت من الدنيا القديمة
أو الجديدة ولكني بحسب ما بدالي من ظواهرها أرى انها لا بد أن تكون واقعة على
تخوم بلاد الألدورادو (١) أو الأوتوبيا (٢)

(*) معرب من باب تربية الياقوت من كتاب اميل القرن التاسع عشر
[١] الألدورادو كلمة اسبانية معناها بلاد الذهب وتطلق على بلاد يزعم الناس
ان ضابطاً من مدينة بزارا اكتشفها في أمريكا الجنوبية وانه كان يوجد بها من الذهب
وخيرات الارض شيء كثير ثم أطلقت هذه الكلمة على بلاد الرخاء والنعيم [٢] الأوتوبيا
كلمة يونانية تطلق على بلاد وهمية جرت أمورها على أحسن ما يتخيل من النظام
وصفها كاتب اسمه توماس موريس في كتاب له

بصرت في طريقي بحظائر مسيجة بامسيجة خضراء فيها قطمان من البقر والنعم وغيرها من الحيوانات المجترة التي لا توجد قط في مراعينا تسوم آمنة لا كلب يحرسها ولا راعي يراقبها ولا حظت في انتظام طرق الري في هذه البلاد وحسن توزيع الماء بين جهاتها على نحو يثير الاستحسان ويدعو الى الاعجاب انه كان من مزاياه امتلاء جوف ريفها بالنسيم البارد المنمض على مافيه من حرارة النهار وشاهدت سلاسل من الهضات مكللة بالاشجار كأنها في تتابعها واتصال بعضها ببعض تمخط للرياح والسحاب طريقهما. ضرب الغنى سرادقه حول قرى هذا الريف وظهرت على أهله آثار التعمه والاعتباط نساؤه حسان وولداه أسوياء أسماء الابدان ينشرون حكومتهم بانهم سيكونون نسلا قويا باسلا

ثم رأيت حواضر هذا القطر فإكن لرؤيتها اقل مني دهشا لرؤية قراء ومحا أرشدت اليه في احداها بنان كأنها أقبا في عصر يسميه أهلها الآن عصر الهمجية احدها سجن والثاني ماوى للمساكين وقد أصبعا من أهلها خلاء لعدم اللصوص والبؤساء ومعهم ما لم تبق لوجودها فائدة حفظهما القائمون على شؤون المدينة ليكون للاجانب فيهما ذكرى لتاريخهم .

حدد في هذه البلاد ما للناس وما عليهم من الحقوق والفروض وما للحكومة وما عليها من ذلك وامتاز بمضه عن بعض امتيازاتنا ولهذا تجد الرعايا لا يولون حكاهم من شؤونهم الا ما ليس من صلاحتهم ان يتولوه بأنفسهم وحقيقة الامر ان القوانين فيها على قلبها جدا وصدورها عن رأي من اختارهم الأمة نواباً عنها لا ميل لها الاعلى ما كان من الاعمال متعلقاً بالحكومة ولما كان الناس جميعاً هم الذين قدسوا أنفسهم هذه القوانين لحماة كل منهم كانت مخالفتها وعدم الرضوخ لاحكامها حمقا وسخفا على انهم يؤملون تمديها والتقليل من سلطانها بترقية العلوم وبث اضواء المرفان

رأيهم هو حاكمهم المطاع أمره النافذ قوله ولم يمهذ أن ملكا من الملوك الممتنعين في صياصهم الممتزين بخصونهم كان له من المعامل والتاريس ما يعادل ما يحيط به ذلك الحاكم من ضروب الكفالة وأنواع الضمان المؤبدته القائمة على اعزازة فالتقوم أحرار يتفكرون في كل ما يكتبون ويكتبون كل ما يتفكرون وانه ليدعشهم كثيراً على ما أرى أن يطمحوا أن فوق الأرض انما في قدرتها ان تستسلم لحاكم وتلقى بنفسها في قبضة ظالم لاقت في هذه المدينة شيخاً لا أذكر ابرين ولا كيف لاقته وقع التعارف بيني وبينه

فأخذ على نفسه أن يشرح لي نظام حكومتهم ويديفوني على المعاهد المدة للمنافع العامة لأنني لم أرى في المدينة قصوراً بنيت لبعض الأفراد توفية لاسباب لذاته ولا مساح ولادور للجيش ولا مواخير للفحش .

لمرافقني ما شاهدته قلت للشيخ هل لك ان تخبرني باسم تلك الواضع الكبير الذي سن لكم هذه القوانين .

فتبسم ضاحكاً من قولي وقال أراك آتياً من عالم آخر فأعلم أن قوانيننا ليست من وضع البشر واتي أراي الآن مضطراً الى أن أقص عليك تاريخنا في كلمات قلائل فاستمع لما أقول : اننا قبل اليوم بنحو قرنين لم نكن أحسن حالاً من غيرنا من الأمم و آخر ملك تولى علينا ولا نذكر منه شيئاً حتى اسمه (لان النسيان أحسن عقاب للمسيئين الأشرار) خلع من عرشه بعد حكم أسخط عليه جميع رعاياه وألهم على نبد طاعته والمروج عليه ثم عرض الثأرون بعد خلمه صوراً مختلفة وأشكالاً متنوعة للحكومة وكادوا يقتلون على اختيار حاكم لولا ان آباءنا بما كان لهم من الحكمة والدرابة قد تراجعوا وقال بعضهم لبعض ان الأولى لنا ان نرجي الفاصل فيما شجر بيتنا وأن نترك لأعدائنا النظر لأنفسهم فيما هو خير لهم فانه لاخير في أحسن الأوضاع ولا في أعدل القوانين ان لم نجد في اخلاق الناسين وسيلة لاستبقائها وحينئذ اتفق القوم على أن يبقوا من قوانينهم القديمة أكثرها مطابقة لحكم العقل حيناً من الدهر وأن ينشؤا الحيل الجديدة في هذه الفترة على حب الحرية والاخذ بها ثم لملك لم تر مدرستاء انها أصل نظامنا السياسي فهياً بنا إليها .

أخذني الى مكان على مقربة من المدينة فما هو الا أن تجلي الخري في اسمع الله .
المشرفة فسر أو هيكل فوق ربوة شجراد قد عطلت اساسه وأنفصاح ارجائه ماله من الفخامة والجلال لو أردت أن اصف لك جعلته لميت بذلك . بني كل قسم من أقسامه الداخلية على طريقة حديثة في فن العمارة وبلغ من الازديان بما وضع فيه من التماثيل والصور وآثار الفنون الى حيث ان جدرانها كانت تكاد تكفي أن تكون وحدها طريقة من طرق التعاليم يكون ما حوته يتقش على اذهان التلامذة ومشاعرهم وينقسم هؤلاء الى عدة أئم يمثل كل منها جيلاً من أجيال الانسان وقد وقع ذلك البناء في وسط مشاهد تأسر القلب وتأخذ باللب بما فيها من ضروب التباين ووجوه التخالف فتجد حوله الآجام والصخور وما قاط الماء ونحته البحر .

وقفت على إحدى حانات الدروس فإذا بنا ان يفسون أنواعاً مختلفة من الرياضات البدنية كالسايعة والمسدو والرماية بتميز واكثر من هشت له في هذه الحانته أن معلميها كانوا من هنود امريكا الأصليين كما تبين ذلك من لوانهم ونواقيع أعضائهم وما كان على شعورهم من مواد الزينة الوهمية قال لي الدليل ان هذه القبيلة الموحشة لم تات الى بلادنا الا من عهد قريب انما جذبها الى حدودها حسن اخلاق قومنا ورفقة طباعهم فالتنا لم نعتبرهم اعداء لنا كما يفعل غيرنا بل دعوناهم الى مشاركتنا في نعم الحضارة وأرشدناهم الى ما تحصى لنا من الفوائد ونزايالهم من مداررجحانها على البداوة ولما كنا لا نجهل ما لهم من اله أهب المدنية التي نحن محرومون منها قد عرضنا عليهم معاوضة المنافع ومباداة المرافق فقبل فريق منهم ذلك منا وما هم الا الآن يرون اننا على احتمال الآلام الجسدية نغير معتندين من جباههم وعلى استعجاب ابيصارهم واسماعهم في احتساب ما ينصب لهم من الجوائز والاطلال انما يكاد يخافهم من الكبتد ويعودونهم على التبسالة في قبي اعتنائهم وانسواءهم ساطان الارادة وعلى تعرف اخلاق الحيوانات وعوائلها في حالتها الموحشية

وفيما نحن نحول داخل هذا المكان الذي هو منقسم كما قلت الى دارات مختلفة بتربية والتعليم شهدت أحداثاً عباد التي تقام في هذه الدارات التاريخية او العلمية من حين الى حين نخل لي أننا في آتنا (خاصة بلاد اليونان) ان لم اكن واهما ابصرت قائمها بل بالاقرب وبول شاخصة امامي على صخرة يعملوها مبد وتمثيل والهة صنعت من النحاس الاحمر والرمس ورأيت في الجانب الغربي لهذه القلعة دهاليزها التي اقامها بريكليس (١) و كانت اشبه طوائف من القرب في انزيه يونانية يتسبحون اليونان في اطوارهم واحوالهم تشخيصاً يقرب من العظرة ويتكلمون بلغتهم ويتلونهم في نزههم في المدينة او غدوهم الى مرافق بيريه (٢) ومونجي (٣) وقالير (٤) فاستغربت ما رأيت مع قلة استغراب الحالم واقسمت بأنيه بروماخوس لاكتهن هذا السر فاما رأي صاحبي شدة ولهي بمعرفة حقيقة ما رأته قال لي ان الامر في غاية السهولة ذلك اننا لما تبين لنا بالاختيار ان التاريخ في تلميذه للاحداث يمر باذهانهم

(١) بريكليس احد رجال حكومة آتنا الاقدمين (٢ و ٣ و ٤) بيريه ومونجي

وقالير كلها مدن يونانية فيها مرافق

مسور الغال غير نارك له فيها آنا رآينة احمرنا في ان نعمل له جنبنا نجاد فيها سورته
فقرى تلامذتنا لا يتفهمون في معلمه على معطامه ما كان في المصور الخالية بل انهم
يمشون في تلك المصور .

فقلت له لا بد ان تكون جمهوريتكم قد بانتم من النزوة ثابها حتى تقوم بتفقات
هذه المعاهد فكل جوابها غيبة امارتها في طرق الكسب والناها هي التي تدبر
تفقاتها بنفسها على اني ارجو ان لا نتخدع بما تراد فان ما نطلبه بذلا للمال واسرافاً فيه
هو في الحقيقة تدبير له وتوفير ولومح وانسمه عن أوروبا القديمة لكان ما تنفقه انما
على حكوماتها في جانب التبذير وما تنفقه على التعليم العام في طرف التفتير وأما نحن
فأمورنا تجري على خلاف ذلك فحكومتنا لا تكافنا اولاً تكاد تكلفنا شيئاً وتفسق
كل ارزاقنا على سارنا فكان لنا بالسير على هذه السفن ما يسمى في عرف التجارة
صفقة رابحة والله طريقنا في التربية فالتنا ببركتها استغنيا عن أخذ جيش دائم وكهوت
وغيرها من الانتقال التي توقع الحكومات في هوانة الفاقة وتودبها الى الحراب

هذه الامة التي نزل عن الآن اسمها لا تقصد في تربية عقول ابناءها وتقوم
بطلبهم اعدادهم لان يتيموا في مستقبلهم نظاماً مقررأ كئناً ما كان بل انها عقدت
الثية على ان تقل ما يدج من التربية الحرة المؤسسة على نواميس الكون واصول العلم
من الثرات فبعثها اقدمها على ان تمهد بمستقبل بلادها الى معارف الاجيال الجديدة
وعلمهم فهي تعتبر المدرسة امة في سبيل نشأتها لها قوانينها كما ان للحكومة قوانينها
وترى تلك القوانين كاتها مقدمة لهذه وتبكر بتعليم التلامذة ممارسة ما يحلى به الرجال
من الفضائل القومية .

ليس للمعلمي المدرسة على التلامذة أدنى سبيل الى التأديب ولكنهم لا يسلمون عليها
بما يتفرونه من مخالفة قوانينها وعواندها بل انهم يعاقب بعضهم بمعناً على ما يقع منهم
من المخالفات فالمخالفون يحاكمون الى محكمة يتنخب اعضاؤها من اخوانهم لمدة معلومة
ومن معالجة هؤلاء الاعضاء ان يمدلوا في احكامهم وان لا يطبخوا فيها دواعي الهوى
والغرض املهم ان الاعتداء على حقوق الناس قد يمود عليهم ضرره في الحال او
في المال ويقوم امام هذه المحكمة محاميان احدهما من جانب المدعي والثاني من
جانب المدعى عليه فيبينان لها وقائع الدعوى بالرزانة والوقار ثم يصدر الخلفون المتطوعون
احكامهم وهي واجبة الاحترام على الدوام وما يحكم به من الجزاء يصير على كونه غاية



في الحفاة من الأبرهات والبرهان الذي لا يترك في أي فرع من فروعها من العلوم
حريمها إلا من معصية فقط .

يقوم المسائل التعليمية بأداء دورها في التعليم من حيث فهم المصطلحات والعمليات
يحضرن معهم في تعريف التعليم بمنهج علمي دقيق فإني في شهرنا

قال لي الشيخ أننا نعول كثيراً في مدارسنا على ما ألفنا من المنهج
المضوي في القوس فهو اللاني نهدينا في توزيع الجوانب والتخالفات على المنهج
فترى المهرة من هؤلاء في الرياضيات الذين يفترون أنفسهم إمامهم في ساحاتها منظر
الحركات التي هي مظاهر البأس والقوة والمستعرب منهم من يأنوا وحيداء التمسك
بمأشرون من أيديهم على من المدرسة ويحبهم من يأنوا في ميدان التعليم
والبلاغة حرباً عواناً كل ذلك في سبيل ارتشاهن وهيج العندين وإنما كل التمسك
فبين أنهن مساببات الرأي سريبات الحكيم في مواد الفنون كان معاه والندرة تطيب
أنهم يتركون إلى رأيهم نجره حقائق التمسك وتصوره في تصورهم فلا يصرون بحكمت
في الدفوف أعان حسان الأعمال ووهن مسندهم ويوحنا مع التمسك من المظاهر
كذلك يمتاد أحداثنا على أن يفترون في مدارسهم ويأنوا في ميدان التعليم
وجداهم لحسن أعمالهم في زيارتهم من من من دلائق استجوابهم
الأعمال بتلقيا بالاعتدال والبساطة ويأنوا في ميدان التعليم في ميدان التعليم
تتم لهم فيها الفروض التي كتب عليهم أدائها

لا يزال صدق الكلمات الأخيرة التي سمعتها من ذلك الشيخ حين في أنني إذ
قال لي في نهاية حديثه لوطال زمن مكثك يتناشاهت من مستجداتنا ملاً أشك
في أنه كان يبين في تلك الأيام والليوم في ميدان التعليم في ميدان التعليم
ما كان يربطنا بهما من قيود التمسك والتسرب التي كانت سكتناج جهوداً
وبرودة ونفياً لحرارة الحياة وأن تعرف أن الأمم الحرة إنما تنشأ برجالها الأحرار
وأن آباءنا لم يخلصوا في أن يخلصوا في وجدان كل إنسان أقوى كما سر على الاستبداد
لاعتقادهم أن أحسن الحكومات أفعالها وجوداً فتراهم قد فضلوا أن يفتشوا في
شعور الأحداث وجدان العدل والحق الذي لا تغيره الحوادث ولا تمحوه الكوارث
على أن يدونوا لهم قانوناً نظامياً في كتاب ربما أن يباح التمسك ومعواصف الثورات
الداخلية كانت صرقة من زمن بعيد وجهة القول أن الحكومة عندنا ليست هي التي
تدير المدرسة بل المدرسة هي التي توجدنا ونشأها . اه

أنا في علم الحديث

الهدايا والتقاريف

(تأسس النظر) كتاب وجيز صنفه الفقيه الأصولي أبو زيد عبيد الله بن عمر ابن عيسى الدبوسي الحنفي في علم الخلاف وهو أول من صنف في خلاف الأئمة في الفقه . وعلم الخلاف نافع لمن يريد معرفة مدارك الأئمة ودلائلهم ووجوه الترجيح فيها شعير بينهم من الاختلاف في الأحكام فهو فرع من علم أصول الفقه . وقد سمي في طبع هذا الكتاب الشيخ مصطفي القباني دمشقي كما هو شأنه في السمي بإظهار كتب الأئمة والنافعة ونشرها . طبعه على نفقة ونفقة محمد أفندي أمين الحنفي على أجود الورق التاسع الموجود في مصر . وكنت أود أن يقف على تصحيحه أحد المشتغلين بالفقه والأصول . ولا أسرف كتاباً طبع في علم الخلاف غيره فمسي أن يقبل أهل العلم على مطالعته وقد طبع في آخر الكتاب رسالة (الأصول التي عليها مدار كتب الحنفية) وهي نحو أربعين أصلاً وضعتها الإمام أبو الحسن الكرخي من فقهاء القرن الثالث ووضع لها لأمثلة والشواهد الفقهية عمر السنوي سنة ٥٢٧ ونحو نورد بعض أمثلتها عبرة لتتفكرين قال : « الأصل أن كل آية تخالف قول أصحابنا فإنها تحمل على النسخ أو على الترجيح والأولى أن تحمل على التأويل من جهة التوفيق » وباليت ذكراً : جهأ آخر وهو الرجوع عن قول أصحابهم إلى الآية الكريمة ولو عند عدم ظهور وجهه وجهه في التأويل . ومنها قوله : « الأصل أن كل خبر (أي حديث صحيح) يبين في الخلاف قول أصحابنا فإنه يحمل على النسخ أو على الترجيح . وبارض بمثله ثم صار إلى دليل آخر أو ترجيح فيه بما يحتاج به أصحابنا من وجوه الترجيح أو يحمل على التوفيق . وإنما يفعل ذلك على حسب قيام الدليل فإن قامت دلالة النسخ بحمل عليه وإن قامت الدلالة على غيره صرنا إليه » أي أنه لا بد من تصحيح قول فقهاءهم والمحمل به على كل حال . ونحن نقول كما يحمل نسخ الآية أو الحديث بحمل رجوع ذلك إليه عن قوله فالنسخ قليل جداً ولكن الأقوال التي رجوع عنها العلماء أكثر من أن تحصى . يقابل هذا بذاك وتبقى وجوه أخرى للمحمل بالآية أو الحديث منها أنهما أصل الدين فإن قبل قول الفقيه فأنما يقبل لاستنادهما إليهما أو حدهما ولو ظنا فاذا تمارض الأصل والفرع يصحل بالأصل . ومنها أن الثقة نقل الكتاب والسنة أعظم . ومنها أن خطأها محال وكل إمام وفقه عرضة للخطأ . ومنها

انها أسح وأفسح الكلام فقهه بما أسهل وبينهما أعظم والله الهادي وهو أعلم وأحكم
 (نهضة الأسد) قصة تاريخية تشرح حوادث الثورة الفرنسية الشهيرة ووقعت ثمانها
 ونسبها وهي من تأليف الصحفي الشهير لسكندر زخاس الكبير، وقد عملها صديقنا
 الفاضل فرح أفندي أنبلون صاحب مجلة الجامعة بمناسبة ونشرها تباعاً في ذيل مجلته
 جميعاً في أربعة أجزاء واسم الثالث منها (وئسة الأسد) والرابع (فريسة الأسد) وهي
 أفضل القصص المعربة فيما ألحن لأن مطالعة حوادث الانقلاب في الأمم هي أكبر المبر
 وأولى الناس بالاقبال على قراءة هذه الأخبار من دبت فيهم نسمة الحياة الاستقلالية،
 واستمدوا لأن يكونوا أمة حية؟ فسي أن يرغب باننا وشوابنا عن مطالعة القصص
 الغرامية الصحفية الى مطالعة مثل هذه القصة التي تفوق تلك لذة وتزيد على الفائدة،
 (مجلة المجالات العربية) نرى صديقنا الفاضل محمود بك حبيب صاحب هذه
 المجلة بما وفق له من زيادة ألقائها وتكثير فوائدها فقد صدر آخر جزء منها يزيد
 على ما تقدمه في الفوائد العلمية والأدبية وكثرة الرسوم الجميلة التي لم تسبقه إليها
 مجلة عربية. فسال الله أن يزيد مجاته بكماله كلاً، ويوفق الناس لأن يزيدوا عليها اقبالاً،
 والحجاج بن يوسف قصة تاريخية غرامية تتلو قصصاً نشرت قبيلها في التاريخ
 الإسلامي ويتلوها غيرها في فهي الحاتمة السادسة من سلسلة وفيها خبر حصار مكة
 على عهد عبد الله بن الزبير وفتحها ومقتل ابن الزبير والكلام في أخلاق أهل الحرمين
 وعادتهم. مؤلف هذه القصص صديقنا المؤرخ الشاب جرحى أفندي زيدان صاحب
 مجلة الهلال الفراء. وقد اشتهرت هذه القصص بنشرها في الهلال بل زاد اشتهار
 الهلال وانتشاره بها لما فيها من الالفة والفائدة ومازالت أتي تقي بمطالعة هذا القصص
 من أولها بحالمة تأمل والتفاد ولنا يتح لي ذلك

وقد رأيت من المسلمين من يتقد هذا الوضع من وجهين أحدهما ان من شأن
 القصص ان تكون فيها أخبار كاذبة فيسببه على القارئ الحق بالباطل وثانيهما انتقال
 نسبة المشق والغرام الى رجال سلفنا الكرام. وقد كان بعض هؤلاء المتقدين
 كتب رأيه في جريدة المؤيد ورد عليه المؤلف بما عرف واشهر. وقد تصفحت
 ورقات من هذه القصة فالتفت ان الحوادث الغرامية لم تسند الى احد من رجال السلف
 المطام، والائمة الذين يجلون عن الاشتغال بالمرام، وأما مسألة الاشياء فقد رأينا في
 مقدمة هذه القصة ما يكشف عن الحقيقة فيها وهو قول المؤلف: «فالمدة في رواياتنا
 على التاريخ وإنما تأتي بحوادث الرواية تدويراً للمطالعين. فبقي الحوادث التاريخية على

حالمًا وندمج في خلالها قصة غرامية تشوق المطلاع الى استتمام قراتها. فيصح الاعتماد على ما يجيء في هذه الروايات من حوادث التاريخ مثل الاعتماد على أي كتاب من كتب التاريخ من حيث الزمان والمكان والأشخاص الامتقضية القصة من التوسع في الوصف مما لا تأثير له على الحقيقة هاهنا والثقة بالمؤلف الفاضل بأنه لا يكتب عن الإسلام والمسلمين الا ما يمتقده وان لم يكن مسلماً لأنه من أبعد خلق الله عن التمسب الديني وأحسنهم انصافاً فان فرط منهما أوجب الانتقاد أو يوجه فهو عن غير سوء قصد. ولا شك أن قراءة هذه القصص مفيدة فمن يرى من المتقدين أن فيها تقصيراً فليصنف ما هو خير منها. واننا لا نحزب لصديقنا بما لا نمتد واذ أصبح لنا مطالعة هذه القصص أو بعضها وظهر لنا فيها خطأ فانه انبه عليه ان شاء الله تعالى. ونحن النسخة من هذه القصة عشرة قروش وأجرتها في البريد قرشان وتطلب من مكتبة الهلال بمصر.

(مسامرات الشعب) قصص مختصرة يؤلفها أو يعربها بمض المشتغلين بالكتابة والادب لمكتبة الشعب ومطبعها فطبع وتشر على نفقة صاحب المكتبة والمطبعة الهمام ويصدر في كل شهر قصتين وجمل ثمن القصة قرشاً اميرياً وقيمة الاشتراك الى ستة عشر قرشاً. وقد ذكر في مقدمتها انه يقصد بفتح هذه القصص التهذيب وخدمه الوطن. وانما يتحقق هذا اذا جمعت هذه القصص حكايات عن أخلاق الشعب وعاداته مع استحسان الحسن واستهجان المستهجن ولم أر أعلق بهذا القصد من القصة الرابعة واسمها (الحال والمآل) فقد أودعها كاتبها أحمد حافظ أفندي عوض بيانا في كيفية عشق الناشئين والناشئات، وما يتبع ذلك من الفساد والتكرات. وستكم عنها في جزء آخر

بَابُ الْإِسْتِخْرَةِ وَالْإِسْتِغْنَاءِ

(الوباء والمدوى والوقاية)

ظهرت الهيضة الوبائية في بلدة موشة التابعة لمديرية أسيوط وانتقلت الى القاهرة ثم ظهرت في عدة بلاد وقد اعتنت الحكومة بالوقاية منها واهتم رجال الصحة بمنع انتشارها بقدر الامكان ولا أظن ان العناية في غير القاهرة مثلاً فيها وان كان متيسراً. على ان حفظ الماء من القذارة في الارياض عشر جداً والزلم بالناس بالنظافة هناك

أعسر . ومما يزيد الوباء فتكرا عدم مساعدة ذهابي الحكومة فيما تعله لوقايتهم لانهم
لجباهم يتوهمون ان الحكومة تسمى في اهلاكمهم وتريد اهلانهم ونشرهم حتى ان
الاكثرين يمتدون ان اطباء الحكومة يسفون انصاين التذوية السامة ليمتوهم
ولا شك ان هذا الوهم فاسد وان الحكومة خير لهم في هذه الحال من اهلهم ومن
انفسهم لانها تجهد في وقايتهم قبل ان يصابوا وفي ممالحتهم بعد ذلك اسلام ومعرفة
وانما يخدمهم برجالهم وتنفق عليهم اموالهم المحفوظة عندها

ونحن لا نتقد على الحكومة الا بعدم الاعتناء بالتنظيف حيث يسكن الوطنيون
كاعتنائها به حيث يسكن الاجانب . فقد استغاثت الجرائد بمصلحة الصحة طالبة
تنظيف بعض الجهات القذرة التي اتخذها الناس مناصع (والمناصع هي المواضع التي تخلى فيها
للبول والغائط) كشارع الخايج من جهة باب الحلق . فكان الواجب على الحكومة
ان تأمر بجمع التخلي هناك وفي أي شارع لا تخلى فيه مصاب فيحمل الذباب جراثيم
الداء من برازه الى البيوت المجاورة . وشي آخر لا يزال منتقداً من رجال الصحة
وهو معاملة الناس بالغاظة والخشونة عند اداء وظائفهم وهم يعلمون ان الناس معذورون
بالجهل ولعل هذه المعاملة لعظمت بعد امر جناب مستشار الداخلية بالانطاف في المعاملة
ومن أسباب انتشار الوباء جهل الأهالي بصحة المدوى وهي ثابتة شرعاً وعادياً
واختباراً بالشاهدة . وأما المدوى المنفية بالحديث فهي ما كان يمتد في الجاهلية من
حصول ذلك بعلمه من غير قدرة الله تعالى وفي روايات الحديث ما يدل على ذلك .
أخرج أحمد والبخاري من حديث أبي هريرة : « لاعدوى ولا طيرة ولا هامة
ولا سفر وفر من المجدوم كما نفر من الأسد » فبعد ان نوق ما كانت تعتقده الجاهلية
من سبب انتقال الوباء من الجذوم . وسرع الحافنة ابن حجر وغيره من شراح البخاري في
حديث المجدوم بن العلماء الحسين لاسباب الشافية قاوا باثبات المدوى على انها سبب
من الاسباب العادية التي قام بها نظام الكون . وأخرج البخاري ومسلم من حديث
أبي هريرة : « لاعدوى ولا هامة ولا سفر . ولا يحل للمرض على المصح ولا يحل
المصح حيث شاء » قيل ولم ذلك يا رسول الله قال « لأنه أذى » وهذا أصح من
من الأول في اثبات سببية المدوى . وأخرج أحمد والبخاري ومسلم عن أسامة بن
زيد وعبد الرحمن بن عوف والنسائي عن الأول وأبو داود عن ابن عباس ان النبي
صلى الله عليه وسلم قال « اذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوا عليه واذا وقع وأتم بأرض
فلا تخرجوا منها » فهذا الحديث الصحيح أصل في الحجر على المصابين ان يخرجوا

فيخالطوا الناس الأصحاء فتنقل اليهم بذلك المدوى . والأحاديث في هذا المعنى كثيرة
ومن أسباب انتشار الوباء الجهل بمداواة الصحة والوقاية من الأمراض . ولو
كان الناس يعملون بالأداب الشرعية لكان لهم فيها غناء فان أهم أركان الصحة النظافة
والاحتياط في الأكل والشرب . فأما النظافة فهي عند المسلمين من خصال الإيمان .
وقد اشترط في تطهير الأشياء وتنظيفها عند الشافية وأكثر أهل هذا القطر منهم
أن يكون للماء الطاهر وارداً على الشيء الذي يراد تطهيره لا موروداً وهذا الشرط
موافق للصحة . فان الثوب أو الموضو المتجسس اذا وورد على الماء ينتشر في الماء
ويكروب المرض واذا ورد الماء عليه يزيل النجاسة وما فيها من الميكروبات ، ولا يجوز
وضع النجاسة في الماء ولا اليد المتنجسة فيه على تفصيل في ذلك . ومما لا خلاف فيه
بين المسلمين أن كل ما علم ضرره بالاختبار أو بقول الطبيب الموثوق به فالواجب اجتنابه
وأما الاحتياط في الأكل والشرب فأحسن ما يذكر فيه الآن ما روي عن النبي
صلي الله تعالى عليه وسلم في بيان سبب عدم قبول الطبيب الذي أهدها اليه المقوقس
ملك القبط وهو « لانا كل حتى نجوع واذا أكلنا لا نشبع » ولا أذكر من خرجه
من المحدثين وهو مذكور في كتب السير . وهذا أصل عظيم في الوقاية من الهیضة
الوبائية فان جرائم الهیضة لا تضر الا اذا انتقلت من المعدة الى الامعاء في طعام
غير مهضوم . فمن يأكل عن جوع حقيقي ولا يكثر من الاكل فانه يهضم ماأكله
بسهولة فاذا وجد في طعامه أو شربه شيء من جرائم الهیضة الوبائية (الكوليرا)
فانه حينئذ يهضم ولا يضره . واذا كان مع هذا براعي النظافة في الطعام والماء
سراعياً فيه وصالبا الاطباء فذلك اكمل الاحتياط .

ولا يتوهم ان الحديث المذكور آنفاً يدل على ان الطبيب غير مطلوب شرعاً فقد وردت
الاحاديث الصحيحة والحسنه أن لكل داء دواء الا الموت وفي رواية الا الهرم وكثير
من الاحكام الشرعية بنى على قول الاطباء حتى في المبادات . فالاعتماد على قول
الطبيب المدل في ذلك واجب شرعاً وكذلك غير المدل ان صدقه فانا كثيراً ما نجزم
بصدق من لم توجد فيه صفات المدالة الشرعية كلها لاننا عرفنا صدقه وهارة بالتجربة

﴿ ابطال المولد الحسيني وغيره ﴾

أمرت الحكومة بابطال المولد الحسيني وغيره لأن الاحتياط الصحي يقتضي بتقليل
الاجتماع والازدحام في أيام الوباء لاسيما . مثل اجتماع الوالد المشتملة على الفحش والفجور

والإسراف في كل الأمور حتى يكثر شرب الخمر حتى يسهو الله تعالى كالمشركين الذين يسهو الله تعالى فيهم إلا إذا كان معه سجادة يعلي عليها . وامل الله تعالى يوفق المشركين على إبطان هذه الموالد بالمرءة إذا كان رجال الدين ليسمون بزلة المشركين نسبة منها . فإن زعم الزاعمون ان فيها منفعة تجارية فلتكن اسواقا تجارية لأصيغلة للدين فيها . وقد أرادت إحدى الجرائد تسمية الناس عن أبطال المولد الحسيني فقالت ان هذه الموالد ليست من أصول الدين ولكن التنافة . من أصول الدين كأنها تعني أن الموالد من فروع الدين وأن مراعاة الأصل مقدمة على مراعاة الفرع . ذلك جهول على جهل فأصول الدين عقائده والعقائده ليست منها وإنما هي من الفروع العملية . وأما الموالد فليست من الأصول ولا من الفروع بل هي من البدع التبيحة والاضاللات المشتعلة على كثير من الفواحش والمحرمات

﴿ الخمارة الإسلامية والاستهانة بالدين اعتماداً على الأولياء ﴾

فشا شرب الخمر في مساهمي مصر وجاهروا به حتى كأنه مباح أو مستحب ويقال انهم أكثر شرباً من القبط والافرنج لكنهم ظلموا مقدرين في هذا النوع من الفسق اذ لم يشتغلوا ببيع الخمر حتى أزال عنهم غار التفسير واحد منهم اتخذ له حانة يفتخر بأنها الحانة الإسلامية الوحيدة . وكان السكران في الحانة الإسلامية هم المتحمسون فيها يسميه الجهلاء في هذه الأيام لباب الإسلام وأظهر عجزات المساهمين . مثال من ذلك انني مررت من أمراء ايل افرايب على بابها رجال يباهون بالستين والكاس في يده وهو يصيح (ياسيد باب النبي) كأنه يعلم ان الذين يقدّمهم هو وامثاله في شرب الخمر يشربون على أسماء الكبراء والامراء والملوك وهو ما تسميه الجرائد الآن التخبط فأراد ان يشرب نخب السيد البيدوي . والا فهو يشيد باسمه لأجل أن يشفع له . فخطر لي ان أرمي كلمة أنهاه بها فقال : هل أمرك النبي بهذا فسألني عن سوته : هو ينزلي : هو نخب السيد . الله نخب النبي والسيد . النبي مررتي انما هو ركي . وقد علمت انه يمرض بدمي بكلمة ركي لأنه رأى ذبي كروي عالماً بالترك ، وكأني بمن معه قد اعتقدوا انه من الأولياء لأنه ذكر اسم الله والنبي والسيد على الخمر وان كان الفقهاء يمدون هذا استهانة بالدين ويحتوا في كفر صاحب

سبحان ما كتبه الخليل الأندلسي التمراني في فريد العلم والأدب السيرة العالمة من أئمة الكواكب في مجموعة تطبع في مصر من الأديب حسين رنجر . ولم ير المولى الربيعي منهم ان رسالوها عن قريب الى ادارة مجلة الأديب في مصر وطهر الشفاء والتقى

(ارجاءنا الكلام في مسيح الهند الى الجزء الآتي)

فبشر عبادة الذين يستمعون القول
 فينبغون أحسنه أولئك الذين هداهم
 الله وأولئك هم أولو الألباب

المحكمة

بوتن المحكمة من يشاء ومن يوت
 المحكمة فقد أتى خيراً كثيراً وما
 يذكر إلا أوله الألباب

١٣١٥

قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق

مصر في يوم الأربعاء ١٦ جمادى الأولى سنة ١٣٢٠ - ٢٠ أغسطس (آب) سنة ١٩٠٢

(الفيلسوف أبو الوائيد محمد بن رشد قاضي القضاة في الأندلس)

هذا الفيلسوف أشهر فلاسفة المسلمين وأكبر أساتذة أوروبا في العلم والفلسفة لأن فلسفته انتقلت من الأندلس (إسبانيا) إلى سائر بلاد أوروبا فكانت مبدأ نهضة الأوربيين الحاضرة . ولد سنة ٥٢٠ في قرطبة ، وتوفي سنة ٥٩٥ في بلاد المغرب . وقد نشرت مجلة الجامعة الفراء تاريخه وتكلمت عن فلسفته واستطردت إلى مسائل أخرى كذهب المتكلمين في الوجود والمقابلة بين الإسلام والنصرانية في اضطهاد العلم والفلسفة وعدمه . وقد وقع في تلك الترجمة غلط في هذه المسائل . والإنسان دائماً عرضة للخطأ والغلط فيما تعلمه وأتقنه فكيف يكون حاله فيما لم يتعلمه بالتلقي عن أهله إذا تكلم أو كتب فيه . وإن صاحب الجامعة الفاضل لم يتعلم علم الكلام الذي هو فلسفة العقائد الإسلامية لأنه ليس مسلماً ولا فلسفة اليونانيين لأنها قد نسخت بالفلسفة العصرية فلا شك عندنا أنه لم يعتمد تكفير القاضي ابن رشد ولا نسبة أئمة المسلمين في العقائد إلى إنكار ارتباط الأسباب بالمسببات . ولكن بعض الذين قرأوا تلك الترجمة في مجلته أسأوا الظن به واحتموا عليه ورغبوا إلينا في الرد عليه لأن من وظيفة المنار الدفاع عن العقائد الإسلامية وعن أئمة المسلمين وطلب بعضهم مثل ذلك من بعض أساتذتنا الاعلام ، الذين يرجع إليهم إذا احتكر من ليل الشبهات الظلام ، ولما رأينا ذلك الاستاذ وعد الطالبين بأن يكتب

في بيان حقيقة تلك المسائل التي وقع فيها الخطأ امسكنا نحن عن الكتابة لأنه هو الأجدر بالفصل بين الحق والباطل . والذي إذا قال لم يترك مجالاً لقائل ، وقد تفضل علينا وعلى الجامعة بما كتب فنشر في هذا الجزء مقالته في فلسفة ابن رشد ومذهب المتكلمين . وسنشر في الأجزاء التالية مقالاته في الاضطهاد في النصرانية والإسلام «
تمهيد لمقالة الأستاذ الحكيم : لا بد لفهم قراء النار هذه المقالة من ذكر ما قالته الجامعة في فلسفة ابن راشد لأن كاتب المقالة لم يذكر فيها الا مواضع النقد قالت الجامعة :

﴿ المادة وخالق العالم ﴾

« ان أعظم المسائل التي شغلت حكم قرطبة مسألة أصل الكائنات ، وهو يرى في ذلك رأى ارسطو . فيقول ان كل فعل يقضى إلى خلق شيء إنما هو عبارة عن حركة . والحركة تقتضي شيئاً لتحركه ويتم فيه بواسطة فعل الخالق وهذا الشيء هو في رأيه المادة الأصلية التي صنعت الكائنات منها . ولكن ما هي هذه المادة ؟ هي شيء قابل للانفعال ولا حد له ولا اسم ولا وصف . بل هي ضرب من الافتراض لا بد منه ولا غنى عنه . وبناء عليه يكون كل جسم أبدياً بسبب مادته أى انه لا يتلاشى أبداً لان مادته لا تتلاشى أبداً . وكل أمر يمكن انتقاله من حيز القوة إلى حيز الفعل لا بد له من هذا الانتقال والاحداث فراغ ووقوف في الكون وعلى ذلك تكون الحركة مستمرة في العالم ولولا هذه الحركة المستمرة لما حدثت التحولات المتتالية الواجبة لخلق العالم بل لما حدث شيء قط . وبناء عليه فالعامل الأول الذي هو مصدر القوة والفعل (أى الخالق سبحانه وتعالى) يكون غير مختار في فعله لأن الحرية والاختيار يقتضيان كونه محدثا والخالق نزه عن ان يكون حديثاً

﴿ اتصال الكون بالخالق ﴾

« هذا فيما يختص بخلق العالم ، وهو مذهب قريب جداً من مذاهب الماديين كما ترى . ولكن كيف يستولى العامل الأول على الكون ويديره
« لابن رشد في ذلك تمثيل يدل على حقيقة مذهبه في هذه المسألة الخطيرة . فانه يشبه حكومة الكون أى تديره بحكومة المدينة . فانه كما ان كل شؤون المدينة تتفرق وتوجه إلى نقطة واحدة وهي نقطة الحاكم العام فيها فيكون هذا الحاكم مصدرا لكل شؤون الحكم ولو لم تكن له يد في كل شأن من هذه الشؤون كذلك الخالق في الاكون فانه نقطة دارتها ومصدر القوات التي تديرها وان لم يكن له دخل مباشرة

في كل جزء من هذه القوات . فبناء على ذلك لا يكون للكون « اتصال » بالخالق مباشرة . وإنما هذا الاتصال يكون للعقل الأول وحده وهذا العقل الأول هو عبارة عن المصدر الذي تصدر عنه القوة للشكواكب . وعلى ذلك فالجاء في رأى فيلسوف قرطبة كون حتى بل أشرف الأحياء والساكنات ، وهي مؤانسة في رأيه من عدة دوائر يعتبرها أعضاء أصلية للحياة والنجوم والكواكب تدور في هذه الدوائر . أما العقل الأول الذي منه قوتها وحياتها فهو في قلب هذه الدوائر ولكل دائرة منها عقل أى قوة تعرف بها طريقها كما ان للانسان عقلا يعرف به طريقه وهذه العقول الكثيرة المرتبطة بعضها ببعض والتي تلى بعضها بعضاً محكومة بعضها ببعض إنما هي عبارة عن سلسلة من مصادر القوة التي تحدث الحركة من الطبقة الأولى في السماء إلى ارضنا هذه . وهي عالمة بنفسها وبما يجرى في الدوائر السفلى البعيدة عنها . وبناء على ذلك يكون للعقل الأول الذي هو مصدر كل هذه الحركات علم بكل ما يحدث في العالم .

(طريق الاتصال)

« وان قيل ماهى علاقة الإنسان بالخالق . فالجواب عن ذلك يأخذه ابن رشد أيضاً عن ارسطو من الفصل الثالث من كتابه « النفس » وخلاصة ذلك ان الكون عقلا فاعلا وعقلا منفعلا فالعقل الفاعل هو عقل عام مستقل عن جسم الإنسان وغير قابل للامتزاج بالمادة وأما العقل المنفعل فهو عقل خاص قابل للفناء والتلاشى مثل باقى قوى النفس وإنما يقع العلم والمعرفة بالآحاد هذين العقلين . ذلك ان العقل المنفعل يميل دائماً للآحاد بالعقل الفاعل كما ان القوة تقتضى مادة تنفذ فيها والمادة تقتضى شكلاً توضع به . وأول نتيجة تحصل من هذا الآحاد تدعى العقل المكتسب ولكن قد تتحد النفس البشرية بالعقل العام آحاداً أشد من هذا فيكون هذا الآحاد عبارة عن امتزاجها جد الامتزاج بالعقل القديم الأزلى . ولا يتم هذا الآحاد بالعقل الاكتسابى الذى تقدم ذكره فإتاما وظيفة العقل الاكتسابى ايصاله إلى حرم الخالق الأزلى دون أن يدغمه به . وأما ادغامه واتصاله به فذلك أمر لا يتم الا بطريق « العلم » فالعلم إذاً هو سبب « الاتصال » بين الخالق والخالق . ولا طريق غير هذا الطريق . ومتى اتصل الإنسان بالله صار مثله عارفاً بكل شئ في الكون ولم يعد يفته شئ . ولكن كيف يتصل الإنسان بالله ؟ يتصل به بان ينقطع إلى الدرس والبحث والتنقيب ويحرق بنظره حجب الاسرار التي تكتمف الكون فانه متى حرق هذا الحجاب ووقف على كنه الأمور وجد نفسه

وجها لوجه امام الحقيقة الابدية
« اما المتصوفة فانهم يقولون ان هذا « الاتصال » يتم بواسطة الصلاة والتأمل
والتجرد وليس العلم ضروريا له
« وبناء على ذلك تكون فلسفة صاحب الترجمة عبارة عن مذهب مادي قائده
العلم . والكون في رأيه كما مر بك إنما صنع بقوة مبادئ قديمة مستقلة محكومة
بعضها ببعض وكلها مرتبطة ارتباطاً شاملاً قهراً عليا ومن هذه المبادئ شيء يستولى
على العالم ويضع فيه العقل فهو عقل الانسانية . وهذا الشيء الذي يسميه عقلاً أيضاً
هو عقل ثابت لا يتغير أي انه لا يتقدم ولا يتأخر لا يزيد ولا ينقص . والناس
يشتركون فيه ويستمدون منه كميات متباينة . على أن من كان منهياً أكثر استمداداً
منه كان أقرب إلى الكمال والسعادة »

(الخلود)

ثم تسكمت الجامعة بعد ما تمخضت عن رأي ابن رشد عن خلود النفس فقالت بعد
كلام ما نصه : « قال : ان العقل الفاعل العام الذي تقدم ذكره من صفاته انه
مستقل ومنتقل عن المادة وغير قابل للفناء . والملاشاة ، والعقل الخاص المنفصل من
صفاته الفناء مع جسم الانسان ، وبناء عليه يكون العقل العام الفاعل خالداً والعقل
المنفصل فانياً ، ولكن ما هو العقل الفاعل للعام الذي هو خالد في رأي ابن رشد ؟
ان هذا العقل الخالد هو العقل المشترك بين الانسانية فالانسانية اذاً هي خالدة وحدها
دون سواها ، وبناء على ذلك لا يكون بعد الموت حياة فردية ولا شيء مما يقوله العامة
عن الحياة الثانية » اهـ

(دفع وهم عن فلسفة ابن رشد والمتكلمين)

(لأستاذ حكيم ، وفيلسوف عليم)

قرأت ما نشرت الجامعة من ترجمة ابن رشد . مرت على ما نقلت من آراء
المتكلمين وآرائه بهير تدقيق لأنني أعرف آراء الفريقين من قبل ولم يكن لي قصد إلى النقد
وإنما أريد أن أستفيد جديداً . لهذا لم يهتف نظري لأول وهلة الاعلى ما حوته تلك الجملة
(الاضطهاد في النصرانية و الإسلام) قرأها بتروء وانتهيت منها إلى حكم من الجامعة يخالف ما اعتقد

ولا يلتزم مع ما أعرف ويصرف المارفون من الشواهد التاريخية ، عنه ذلك تحركت نفسي إلى كتابة سطور ، أشير فيها إلى كشف مستور ، أو إعادة ذكر مشهور على أسماع الجمهور .

لأقاني بعض قراء تلك الترجمة فرأيت الأثر في نفسه أشد ، ولسانه في العيب أحد وذكر أشياء في غير هذا الفصل من الترجمة ولقنتني إلى إعادة النظر فيها رجعت إلى الترجمة فوجدت فيها موضعين آخرين يعنيتان معنى الكلام عنهما ، وبأن أحاديث الجامعة فيهما ، لو كانت منزلة الجامعة من نفس منزلة غيرها من المجالات التي لا يعنى كاتبها إلا بنقل ما يقع تحت أنظارهم ، أو تحجير ما يمبر عن أهوائهم وأفكارهم ، من دون عناية بتقرير الحقيقة ، ولا رعاية لامتقادات القراء - لوجدت من شواغل عملي ما يصرقني عن ذكر ما عرض فيها ، لكنها من المجالات التي لو أهملت مباحثها من إنعام النظر وجعلتها في جانب مما تستحقه من النقد لبحستها حقها ، ونبوت بها عن موضعها .

لهذا رأيت أن أذكر لها ما رأيت في ذينك الموضعين وأبين حقيقة الأمر في الثالث . أما الموضعان فهما : (فلسفة المتكلمين وآراؤهم في الوجود) و (فلسفة ابن رشد وآراؤه في خلق العالم واتصال الكون بالخالق وطريق اتصال الإنسان به والخلود) وهما موضوع كلامي اليوم

« فلسفة المتكلمين وآراؤهم في الوجود »

قالت الجامعة « فلسفة المتكلمين هذه (أي في وجود العالم) مبنية على أمرين . الأول حدوث المادة في الكون أي وجودها بتخلق خالق . والثاني وجود خالق مطلق لا يشرف في الكون ومنفصل عنه ومبهور به

وبما أن الخالق مطلق التصرف في كونه فلا تسأل إذاً عن السبب إذا حدث في الكون شيء لأن الخالق نفسه هو السبب وليس من سبب سواء. إذاً فلا يلزم عن ذلك قطعياً أن يكون بين حوادث الكون روابط وعلائق كأن ينتج بعضها عن بعض لأن هذه الحوادث تحدث بأمر الخالق وحده. وفي الإمكان أن يكون العالم بصورة غير الصورة المصوّر بها الآن وذلك بقدره هذا الخالق. ثم ذكرت في الجملة التي تلي ما تقدم أن هذه فوضى، وأن روحاً جديداً أخذ يدخل شيئاً من النظام فيها^(١).

حدوث المادة عند المتكلمين ليس معناه أن تكون يخلق خالق فإن الخلق في اصطلاحهم هو الإيجاد وكون المادة صادرة عن موجود لم يختلف فيلتكلم والفيلسوف الإلهي. فأرسطو يقول إن المادة قد استفادت وجودها من وجودها وهو الواجب. وواسطة فيض الوجود عليها هو العقل الفعال على ما سيأتي بيانه وإن كان لأول لوجودها وإزاء حدوث المادة عند المتكلمين هو وجود الأجسام وعوارضها بعد أن لم تكن موجودة بحيث يفرض لوجودها بداية زمانية تنتهي إلى انبساطها من جانب الماضي. ولا يجوز أن يوصف بالأزلية إلا الله وحده. صفاته عند القائلين بأنها وجودية. وقبل هذه البداية التي لا يمكن تحديدها لم يكن وجود سوى وجود خالق الكون ثم إنه أوجد الإيجاد الكون فأوجده من المدمم البحت. هذا هو بناء مذهب المتكلمين وهو مذهب أهل النظر

(١) ذكرت الجامعة الغراء أن مذهب هذا الروح النظامي في مجلة المنار واستشهدت لذلك بالتفسير الذي نقلته من دروس الأستاذ الإمام كبير رجال النهضة الإسلامية الحاضرة

من المسيحيين واليهود أيضاً فلم يخالف فيه ملى من أهل الملل الثلاث .
 أما كون هذا المذهب وحده هو الذي يصح أخذه من القرآن أو
 أنه يجوز أن يتفق مع معاني القرآن رأى آخر بل هو الذي يظهر منه فذلك
 بحث آخر لسنا بصدده الآن فإن كلامنا في تصوير مذهب المتكلمين .
 الأصل الثاني - وهو وجود خالق مطلق التصرف - لازم للأصل
 الأول لأن هذا العالم إذا كان موجوداً بفعل موجود فوجوده هو خالقه
 وهو مطلق التصرف بمعنى أنه يختار ما يخلق على الوجه الذي يخلق .
 والمتكلمون وإن اتفقوا على أن خالق العالم مختار انقسموا إلى فريقين
 عظيمين فالقدرية منهم ويسمّون بالمعتزلة أيضاً قالوا : إن الخالق وضع
 للكون نظاماً تنطبق أصوله على مصالح المخلوقين وأودع في المخلوقين
 قوى أو قُدراً تصدر عنها آثارها بطريق التوليد والسببية أو بطريق
 الإرادة والاختيار . فهذا فريق من المتكلمين لا يخالف الفلاسفة في قولهم
 بلزوم الآثار لمصادرهما أو تأثير قدر المخلوقين في أفعالهم . وقد بقى من
 أهل هذا المذهب إلى اليوم طائفة الشيعة الإمامية والزيدية فإنهم لا
 يخالفون المعتزلة في هذه الأصول . فإذا حدث في الكون حادث سأل
 صاحب هذا المذهب عن سببه المباشر له وإن كانت جميع الأسباب تنتهي
 إلى مصدرها الأول وهو الخالق كما يسأل الفيلسوف بلافرق .
 والفريق الآخر الذي عنته الجمامة وهو الذي يرى إسناد الآثار إلى
 الخالق مباشرة لم يقطع الملاقة بين الأسباب الظاهرة ومسبباتها بل قال
 إن الله يُصدر وجود المسبب عند وجود السبب فلا يقال : إن الأكل
 (مثلاً) هو الذي يحدث الشبع بل الشبع شيء يحدثه الله عند الأكل ولكنه

لا يحدّثه عند الخوى إلا إذا أراد أن يخرق النظام الذي جرت به سنته
 لأمر عظيم يريد توجيه النفوس إليه وحمل هذا الفريق على هذا القول
 إنكاره نسبة الإيجاد ومنح الوجود إلى شيء مسوي واجب الوجود وقالوا
 في الأفعال الاختيارية إن الله يوجد لها عند تعلق كسب العبد بها ولهم في
 تصوير معنى الكسب كلام طويل لا يليق بهذا المقال استيفاءً وقالوا
 إن الأسباب والآلات لا بد منها في صدور الأثر إلا أن الذي يعطيه
 الوجود عند استكمالها هو الخالق، ولهذا اتفق جميع المتكلمين على أن
 التكليف بالأحكام الشرعية يعتمد التمكن من الإتيان بالمكلف به من
 حيث حال المكلف وصرحوا بأنه لم يقع تكليف بشيء إلا إذا تيسرت
 أسبابه وارتفعت الموانع منه، غير أنهم يقبون هذه الأسباب بالمادية لأنه
 ليس من الواجب على الخالق أن يلتزمها مع اعتقادهم بأنه قررها وجرى
 سنته بها ولقبوا ما يحدث في العالم مخالفاً لها بخارق المادة وليس كل
 غريب عندهم خارقاً للمادة بل الخارق هو الذي لا يدخل في مكنة قوة حادثة
 ولا يقدر على إحداثه إلا نقاد على مخالفة النظام الذي سنه وهو الله
 هذا الفريق من المتكلمين يستند في إثبات صفة العلم لله تعالى إلى ما
 هذا العالم من النظام وإلى ما حواه ذلك النظام من الأسرار والحكم وهل
 يتأتى هذا الاستناد منهم إن لم يقولوا بوجود العالفة بين الأسباب ومسبباتها
 كان من هذا الفريق أئمة تناول بحشمتهم كثيراً من الفنون كالطب وعلم
 المواليد والثلاث الحيوان والنبات والمعدن منهم الأئمة الرازيون كفضل الدين
 الرازي وأبي بكر الرازي ومحمود الرازي وأمثالهم ومهم مثل الإمام
 أبي بكر الباقلائي. وكيف ينيسر نقائل أنه لا علاقة بين الأسباب

والمسببات أن يبرع في فنون بناؤها على الارتباط بين الآثار وما يقارنها في العادة مما هو مصدر لها في بادية النظر.

فإذا حدث في الكون حادث سأل صاحب هذا المذهب عن سببه الذي جرت سنة الله بأن يكون معه وإن شئت قلت سأل عن السبب الذي أصدر الله وجوده عنده . وهل يمكن أن يقول المتكلم أنه لا علاقة بين وجود الولد ووجود والديه أو بين جودة العمل وعلم العامل أو بين غزارة الثمر وخدمة الشجر ؟ هذا شيء لم يقل به قائل منهم قط وإلا لما قرأ واحد منهم كتابا ولا خبط في صحيفة سطر إلا أنه لا علاقة بين المطالعة والفهم ولا بين التحرير والأفهام .

فإن شئت أن تقول إنه مذهب مع ذلك غامض يكذب الذهن في فهمه فلك أن تقول وأن تنعم النظر حتى تفهم مبانيه وأصوله وأن تناقش بالدليل الدليل . وعلى الله قصد السبيل .

القول بنفي الرابطة بين الأسباب ومسبباتها جدير بأهل دين ورد في كتابه أن الإيمان وحده كاف في أن يكون للمؤمن أن يقول للجبل تحول عن مكانك فيتحول الجبل^(١) يليق بأهل دين يمد الصلاة وحدها إذا أخلص المصلي فيها كافية في إقداره على تغيير سير الكواكب وقلب نظام العالم المنصرى . وليس هذا الدين هو دين الإسلام دين الإسلام هو

(١) المنار - يشير إلى ما جاء في أنجيل لوقا من الباب ١١ « ٢٣ » لاني الحق أقول

لكم ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن ان ما يقوله يكون فمهما قال يكون له ٢٤ لذلك أقول لكم كلما تطلبونه حينما تصلون فآمنوا أن تنالوه فيكون لكم «

الذي جاء في كتابه «وقل اعملوا فسيرى الله عملكم» الآية «وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل» الخ «سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا» وأمثالها «ان في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار» الآيات . فلا يمكن لاهل هذا الدين وهو هو أن يقطعوا كل علاقة بين الأسباب في هذا العالم والمسببات ولهم أن يتبها على أرباب ذلك الدين الآخر بأن دينهم لم يوضع أسامه على دعوت من الخوارق لا يلبث أن يخسف بالسالك فيه إذا سال عليه سبل الدليل ، وإنما وضع على مستقر من الحقائق لا يتزلزل بالقائم عليه مهما عظم القال والقبل ، وليس من الممكن لمسلم أن يذهب الى ارتفاع ما بين حوادث الكون الترتيب في السببية والمسببية الا إذا كفر بدينه قبل أن يكفر بعقله .

نم طرأ فساد على عقائد بعض المنتسبين الى ائمة ذلك المذهب وأسأوا الظن بالقدرو وتظاهروا وابتترك الأسباب في أقوالهم ، وان كانوا أشد الناس تمسكاً بها في ردائل أعمالهم ، وتعلقوا من الخوارق بجبل وهن ميلا إلى أهواء من جاورهم من الممال فظن الناظرون في قذائف أفواههم ، ان هذه الأوهام مما نبى عليهم اعتقاد اسلامهم ، فلا يفترون بعد ذلك مفترئاً يظن أولئك الناظرون ولا بما يتوهمه هؤلاء الواهمون « سبحان رب العزة عما يصفون » . هذا ما يتعلق برأى الجامعة في مذهب المتكلمين أو فلسفتهم وانتقل الآن إلى روايتها مذهب الفيلسوف ورأيا فيه .

﴿ فلسفة ابن رشد ورأيه في المادة وخلق العالم ﴾

المادة وخلق العالم قالت الجامعة: إن المادة «ضرب من الافتراض لا بد

منه» الافتراض يراد به عند الإطلاق الفرض وهو في اصطلاح

الفلاسفة مالا وجود له والمادة عندهم موجودة كما قالت الجامعة فيما قبل ذلك التحريف وفيما بعده .

ثم قالت : « وبناء عليه فالمعامل الأول الذي هو مصدر القوة والفعل (أي الخالق سبحانه وتعالى) يكون غير مختار في فعله لأن الحرية والاختيار يقتضيان كونه محدثا والخالق ينزه عن أن يكون حديثا . » وقالت بعد هذا بسطرين : « وهو (أي مذهب ابن رشد) مذهب قريب جدا من مذاهب الماديين كما ترى » ثم ذكرت أن الفيلسوف يشبه حكومة الكون بحكومة المدينة وأن المباشر للتصرف في الكون هو العقل الأول وحده وأن السماء كون حي مركب من عدة دوائر والعقل الأول في قاب هذه الدوائر ولكل دائرة عقل أي قوة تعرف بها طريقةها الخ أما مسألة نفي الاختيار فقد ذكرت عليها إبهاما يوأدى ذكرها كذلك إلى استنتاج ان مذهب ابن رشد قريب من مذهب الماديين وليس الأصرف في حقيقته كذلك .

يلزم كل ناظر في مذاهب فلاسفة اليونان أنهم كانوا فريقين إلهيين وماديين والأولون فريقان مشاؤون وإشراقيون واشتهر أتباع أرسطو باسم المشائين وأتباع أفلاطون باسم الإشراقيين .

وأول مميز للإلهيين عن الماديين أن الأولين يقولون بوجود واجب يرى من المادة والمديات بوجود عقول مجردة عن المادة وغواشيها وبأن الواجب علما بذاته وبجميع ما يصدر عنه وعن آثاره وان للمعقول المجرد عقلا علما بذواتها وببديتها وبما يصدر عنها . والماديون لا يقولون بشيء من ذلك البته فالتحريف بينهما قريب بين النقيضين . وابن رشد من

مقررى منصب أرسطو فهو من الإلهيين .

وتشبيه الفيلسوف لتدبير الكون بتدبير المدينة اكبر دليل على مفارقة الماديين كما يفارق المجرد والمادة وقد شرطوا في هذا التشبيه ان المدبر خارج عن المدبر مفارق له منزّه عن مخالطته .

أما العقل الأول فليس كما تقول الجامعة . فإن العقل الأول جوهر مجرد عن المادة وهو أول صادر عن الواجب وقد صدر عنه الفلك التاسع المسمى عندهم بالفلك الأطلس ونفس ذلك الفلك تدبير كانه الحزبية وعقل آخر هو العقل الثاني وعن هذا الثاني صدر الفلك الثامن المسمى عندهم فلك الثوابت ونفسه والعقل الثالث وهكذا الى أن صدر عن العقل التاسع فلك القمر ونفسه والعقل العاشر وهو المسمى عندهم بالعقل الفعّال او العقل الفياض وعن هذا العقل صدرت المادة المنصيرية واليه يرجع ما يحدث في عالمها . ولا يكون العقل الأول ولا غيره من العقول في قلب تلك الدوائر عند أحد من هؤلاء الفلاسفة الإلهيين بل هو مفارق لها كما ان نفوسها جواهر مفارقة أيضاً ولها تعلق باجسادها كتملق أنفسنا بأبداننا على ما سيأتي بيانه

والذي حمل الإلهيين على ذلك مبالغتهم في تنزيه الواجب وقولهم انه واحد من جميع الوجوه وزعمهم أن الواحد من كل وجه لا يصدر عنه إلا الواحد فيلزم أن لا يصدر عن الواجب إلا واحد وهو العاقل الأول . ولما تعددت وجوه العاقل في ذاته والنسبة بينه وبين مصدره الماقلة لذاته وعقله لم يوجد صح أن يصدر عنه متعدّد . ولهم في الاستدلال على حياة الأفلاك مقدمات لا حاجة إلى ذكرها لأن الكلام في تصوير مذهبهم

لا في تقريره أو إبطاله

فالمقول عند الفيلسوف ليست مخالطة للمادة ولا يفشاهاشيء من ظلماتها وليس العقل الأول بمدير الكون وإنما هو مصدر الفلك الاطلس ومفيض نفسه عليه وخزانة مقولاته . وهكذا الأمر في كل عقل مع الفلك الذي صدر عنه وتدير العالم المنصرى وهو ما دون فلك القمر راجع الى العقل العاشر وهو العقل الفعال .

قال الفلاسفة الإلهيون: ولا يجوز أن تكون لأفعال الله غايات وانغراض تبعثه على إصدارها وان ما يصدر عنه إنما يفيض بمحض الجود المطلق عن غنى مطلق وقد صرح ابن رشد في تهذيبه لإلهيات أرسطو وبذلك وهذا مبالغة منهم في نسبة الكمال إلى الله على أن ما يصدر عنه إنما يصدر عن علم فالذي ينفي عنه إنما هو الاختيار بمعنى التردد بين الغايات ثم ترجيح إحداها أما الاختيار بمعنى أن الفعل صدر عن علم العالم بدون إكراه عليه فذلك لا ينفيه أحد منهم . والمليون من متكلمين ولا هو تبيين وان لم يصرحوا بذلك قالوا بما يؤول اليه والتزموه فقد ذهب جمهورهم والممول على رأيه عند قومه منهم أن علم الله محيط بالكليات والجزئيات أزلاً وأبداً وقد تعاقبت إرادته بتخصيص كل كائن بما هو عليه على حسب علمه وعلمه لازم لذاته أزلياً بأزلية ذاته وكل ما يكون في الكون لا بد أن يقع على وفاق مع علمه الأزلي جل شأنه فلا تردد عنده بين الغايات بل ما يصدر عنه اليوم كان لا بد أن يصدر عنه . والأسباب والمسببات وارتباط بعضها ببعض مما انتظم في علمه فهي تصدر عنه على حسب ترتيبها في العلم . وسواء كان القول غامضاً أو غير غامض وسواء توجه عليه من النقد ما يصب الجواب عنه

إذا روعيت بقية الأصول أو لم يتوجه كل ذلك لا يدفع عنهم أنهم قالوا بنفي الاختيار بالمعنى المعروف عند الناس وإن ثبت الاختيار بالمعنى الذي يليق بكمال الله تعالى فالفلاسفة وجمهور المتكلمين واللاهوتيين على وفاق في حقيقة المسألة وإن اختلفت العبارات فإن رشد رحمه الله لم يخرج في آرائه عن المليون فلا يصح أن يكون مذهبه مذهب الماديين ولا قريباً منه .

﴿ طريق الاتصال ﴾

يتوهم الناظر في هذا العنوان في الجامعة مع مراعاة الفصل الذي تقدمه فيها أنه عنوان لرأي ابن رشد في طريق اتصال الكون بالخالق فإذا استمر في قراءة ما بعد العنوان إلى آخر الفصل علم أن المراد طريق اتصال الإنسان وحده بخالقه وعثر في آخر البحث على هذه العبارة: « وبناء على ذلك تكون فلسفة صاحب الترجمة عبارة عن مذهب مادى قاعدته العلم » : أما ما بين العنوان وهذه العبارة فهو مما لا يمكن أن يتحصل له معنى مفهوم في مذهب الفيلسوف . واني ذاكر لك رأيه في اتصال الإنسان بالله أي قربه منه وسماذته به وفي طريقة تكميله لنفسه حتى يسمد لذلك القرب وبذلك تعرف أن ما جاء في الجامعة ليس بالذي تصح نسبتة إليه خصوصاً بعد قولها إنه أخذ مذهباً في ذلك عن أرسطو من الفصل الثالث في كتابه (النفس) وما قاله أرسطو في ذلك الكتاب معروف مشهور .

أثبت أرسطو وتبعه ابن رشد وجل فلاسفة الإسلام أن نفس الإنسان التي هو بها إنسان وهي ما يلقبونها بالنفس الباطنة -- جوهر مجرد عن المادة لاهو جسم ولا حال في جسم وإنما له علاقة بالجسم يديره ويصرفه وشبهوا هذه العلاقة بملاقة الملك بالمدينة وهو خارج عنها وهذه

النفس آلة في الجسم بها يكون التدبير
وقالوا ان انطباع المحسوسات والمغاني الجزئية في الحواس الظاهرة
والباطنة على ما فصلوه يُمدّ النفس لقبول الكليات ويهيئها لتلقى
المعقولات عن مفيضها عليها وهو العقل الفعال الذي سبق لنا ذكره
وجعلوا مراتب النفس في استحصائها كالمغالي والمغالي وبلوغها ذروتها
اربعا (الأولى) العقل الهولاني وهو قوة استمداد النفس نحو المعقولات
وتسميته عقلا تسمية مجازية و(الثانية) العقل بالملكوهي القوة التي تحصل
للنفس عند حصول المعقولات الأولى مثل الجزء والكل ومثل الحكم
بأن الأول أصغر من الثاني ومثل النفي والاثبات والحكم بأنهما لا يجتمعان
في محمول واحد لموضوع واحد . وكذلك كل ما خلاص من محسوس وهو
لا يحتاج في تخليصه إلى فكر ، والنفس تنهياً بهذه القوة لاكتساب
المعقولات الثانية إما بالفكر . وإما بالحدس وليس الحدس هو الظن كما
هو في المشهور بل هو سرعة انتقال النفس من المبادئ إلى المطالب أو
انتقال النفس من المعلومين إلى الوسيط الذي يصل بينهما ومن ذلك إلى
معلوم ثالث بلا تجشم نظر ولذلك جعل مقابلا للفكر الذي هو النظر
بمعينه ؟ و (الثالثة) قوة تسمى العقل المستفاد وهي أن تحصل المعقولات
الثانية بالعقل متمثلة كالأولى مشاهدة في الذهن . والرابعة قوة تسمى
(العقل بالفعل) وهي ما به تتمكن النفس من استحضار المعقول
المكتسب المفروغ منه متى شاءت من غير افتقار إلى اكتساب
قالوا والذي يرقى بالنفس في هذه المراتب هو العقل الفعال وهو ذلك
العقل العاشر المصروف للمادة المنصرفة لعقل الإنسانية العام كما تقول الجامعة

فإن أرسطو وابن رشد لا يقولان بعقل يسمى عقل الإنسانية العام بل كان ذلك من مزاعم أفلاطون التي عني أرسطو بإبطالها وتبعه ابن رشد وغيره في نفيها . فالمقل الفعال هو الذي يخرج النفس من العقل الهيولاني إلى العقل بالملكة ومن العقل بالملكة إلى العقل المستفاد ومنه إلى العقل بالفعل ولما كان العقل الفعال جوهرًا عقليًا بالفعل كانت المعقولات بأسرها حاصلة له بالفعل أما فهو منافهي عقول بالقوة ولكنها إذا استمدت استعدادًا خاصًا للاتصال بذلك العقل أي بالإقبال عليه وتوجيه وجهتها نحوه ارتسم منه فيها الصور العقلية الخاصة بذلك الاستعداد الخاص لأحكام خاصة . وإدراك المعاني الجزئية بواسطة الحواس وحركة النفس في المعقولات الأولى والبحث والتجربة والدرس وما ينبج هذا النحو كل ذلك من محصلات الاستعداد لقبول المعقولات في الموضوعات التي كان الاستعداد فيها . فإذا أعرضت النفس عن العقل الفعال والتفتت إلى جانب الحس أو إلى صورة أخرى غير التي حصلت لها بذلك الاستعداد انجى الممثل الذي كان أولًا كأن المرأة التي كان يجاذى بها جانب القدس ، قد أعرض بها عنه إلى جانب الحس ، أو إلى شيء آخر من الأمور القدسية .

قالوا : وهذا الاتصال الذي يفيض به العقل الفعال على النفس ما استمدت له من المعقولات له علة وعاتة قوة بعيدة هو العقل الهيولاني وقوة كاسية هي العقل بالملكة وقوة تامة الاستعداد لها أن تقبل بالنفس جهة الإشراق متى شاعت عنك متمكنة وهي المسماة بالعقل بالفعل

ثم إن الفيلسوف وأتباع مذهب أرسطو ذكروا آراء بعض الفلاسفة ممن لا يعتد بقولهم وفيها ما يشبهه ما نسبتها الجامعة لابن رشد منها أن الجوهر

المائل إذا عقل صورة عقلية صار هو إياها . واستدلوا على استحالة هذا القول بأنه يلزم عليه أن تصير النفس جميع المنقولات التي تحصل لها وتصير المنقولات كلها مقولاً واحداً بل يلزم عليه اندام النفس ووجوه ما عقلته أو استحالة النفس إليه وهو محال وخلاف الفرض . وتقلوا عن فرقوريوس أنه قال : إن النفس الناطقة إذا عقلت شيئاً فإنما تعقل ذلك الشيء باتصالها بالمقل الفعال وهو حق في رأيهم ولكنه قال إن معنى اتصالها بالمقل الفعال أن تصير هي نفس المقل الفعال لأنها تصير المقل المستفاد والمقل الفعال يتصل نفسه بالنفس فيكون المقل المستفاد . وقد أبطلوا هذا القول بأنه يستلزم أن يكون المقل الفعال متجزئاً فديتصل منه شيء دون شيء وهو مجرد لا يتجزأ أو تتصل به النفس اتصالاً واحداً تكون به النفس كاملة واصله إلى كل مقول وهو ليس بحاصل في جميع الأحوال وقالوا إن دعوى اتحاد شيء بشيء آخر على معنى استحالة الأول إلى الثاني قضية شرعية غير مقولة فلا يصح النظر فيها . أما استحالة النفس إلى المقل الفعال فلم يقل به أحد .

فقد عرفت من هذا أن اتصال النفس بالمقل الفعال ليس بممناه التناء فيه أو الاندغام كما عرفت الجامعة بلا ممناه أن ترتفع النفس بقواها عن ظلمة العزيمة عما يكون لها من الاستمداد وتنجذب نحو العالم الأعلى فتشرد فيها المعلومات بمحاذاتها لمطالع ذلك النور الأجل ، فهل مع هذا يصح أن يدعى إلى الفيلسوف ما عده غير مقول ؟

قال أرسطو فهو شبيهة إن النفس الناطقة التي هي موضوع التصورة المحسوسة غير منتظمة في جسم تقوم به بل هي جوهر حقيقي ذو آلة بلطيمية

فاذا امتدح الجسم عن أن يكون آلة لها وحافظاً للملاقة معها بالموت لم
 يضر ذلك جوهرها بل تكون باقية بما هي مستفيدة الوجود من الجواهر
 العقلية . فالنفس بعد مفارقتها للبدن باقية على استقلالها لا تدم شخصيتها
 بالفناء في شيء سواها لا عقل فمالم ولا وجود واجب وهي تسعد بكاملها
 العلمى والأدبى الذى حصلته مدة تعلقها بالبدن . وجوز الفيلسوف أن تملق
 بعد فراقها للبدن بجسم آخر من عالم آخر تتخيل فيه ما هو لذتها . وتشقى
 بجملها وردامة ملكاتها . فالنفس عند الفيلسوف باقية خالدة . خلودها
 خلود اشخصها المتميز من كل شيء سواها سواء كان عقلاً ذملاً أو غيره
 فهل بعد هذا يمد الفيلسوف مادياً ومذهب مذهباً مادياً قاعدته
 العلم ؟ لا بل هو إلهى ومذهبه مذهب إلهى قاعدته العلم قائل بخلود
 النفس وموادتها وشقاؤها وعذابها ونعيمها كما رأيت .
 بقى علينا أن نشير إلى ما نقله فلاسفة أوربا عن الفيلسوف الجليل ابن
 رشد في مبدء العالم ومبدا وجوده . قالوا لم يكن يعرف العلم والفلسفة
 عند الأوربيين إلا في مدارس المسلمين في اسبانيا فكان يقصد تلك المدارس من
 طلاب العلم من كل ناحية . كان يجلس في درس الفيلسوف عند عظيم الم
 تات نهاية القرن الثانى عشر (الميلادى) إلا وقد انتشر بين المشتملين
 بشيء من العلم رأى زعم طاماً ندوة الكبرياء وأقرب القابضين على مفاسيح
 القلوب بذلك الوقت الموافقين على أوامرها بأذون الحكام من المقائد
 والأفكار أن يدخل فيا ويطردهون عنها ما لا يؤا ذلك إلا أى الذى أخذ
 يتسرب إلى تقويم ربه سبحانه عن أن يكون أجمع برمع في وجوده
 إلى واحد هو حياة الكلى وهو روح يسوم به كل جزء منه . وقالوا إن

الذي نشر هذا المذهب بين الناس هم تلامذة ابن رشد ففهم بعض علماءهم من ذلك أن ابن رشد كان يقول إن مبدأ العالم هو أصل عرضته له صور العالم أو روح ظهر في مظاهر الكائنات كما يقول الصوفية أو نحو ذلك، واستتبع هذا رأياً آخر وهو أن كل صورة من صور الموجودات إذا بطأت فإنما تعود إلى أصلها وهو الوجود المطلق وظن الواهم أن الأرواح تعود عند مفارقة الأجسام إلى مشرقها العام، وتفقد امتيازها فيه، وذلك كله وإن ذهب إليه بعض النظار من الأوربيين غير ما يقول ابن رشد. أما ما يقول ابن رشد فهو كما ترى:

قال ابن رشد وكل من تابعه على رأيه ولم يخالفوا في ذلك أرسطو أن الممكن لا وجود له في ذاته وإنما يستفيد الوجود من غيره وقد كانوا قالوا إن جميع ما في الكون ماعدا واجب الوجود المبرأ من المادة وغواشها فهو ممكن فكل ما في العالم فهو مستفيد الوجود من غيره فذلك الغير إن كان ممكناً فكيف يسطى الوجود وهو لا وجود له إلا من غيره فإذا استمد منه مستمد فإنما يستمد من فضل ذلك الوجود الذي جاءه من موجدته إلى أن ينتهي إلى الوجود الأول. فكل وجود سطع على الممكنات فهو فائض من وجود الواجب فلا وجود إلا من وجوده أو كل وجود فهو شماع لضياء وجوده فإذا حرر المعنى من هذا على وجه أمكن عند العقل وجدته يرجع إلى ما قاله السيد الشريف من أنمة أهل السنة وغيره وهو إن الممكن ليس بشيء في ذاته ثم يكون شيئاً بالإيجاد. والإيجاد لو حقيقته أمر اعتباري انتزاعي له منشأ في الواقع وذلك المنشأ هو ذات الموجد وماهية الوجود الممكن التي صارت شيئاً بتلك العملية الاعتبارية

حيثما يوجد في هذا العالم وهي ما يسمونه تطلق القدرة بالقدور. وما هيبة الممكن ليست بوجودها ولا الوجود أمر موجود قائم بها. فإذا ليس من وجود نفس الأمر إلا وجود الواجب فكان الوجود الحقيقي واحداً ومصدر ما يسمى وجوداً أو موجوداً فإنما ينال ذلك بالإضافة إلى الوجود الحقيقي وأولى بالتسمية أن تكون مجازية من أن تكون حقيقية.

مع ذلك لا يزال صاحب هذا القول يعتقد بتجرد الواجب عن المادة والمدة إلا أن من تلقفه منه توسع فيه حتى كان من ذويه رأي القائلين بأن الموجد الأول روح سار في العالم وإليه يرجع كل أشخاصه لفتاء شخصيتهم فيه وما هو برأي ابن رشد ولا يرفقه

على أن الصوفية وهم المصرحون بوحدة الوجود المبرون بالشهود أولاً والفتاء آخر الأناطون في ذلك بما لم ينطق به أحد سواهم لم يقولوا بزوال هويات النفوس زوالاً حقيقياً بل قالوا: إنها خالدة بعد مفارقة الأبدان ولكنها تسعد في مخلوقها باستفراقها في شهودها، وذو لها من كل ما يخلها عن مصدر وجودها، فهي غنية برفاهة عن معرفتها بنفسها وهو ما يجر منه بالفتاء ولقائه، والمحو ونهجه، وهو معنى تقصر دون إنقاصه البارز، وإن كنى في ترفقه لأهل أخى الإشارات.

ولعل الجامعة لا تصب على الكاتب فيما كتب، وفيما أبا ب به من طلب، فقد وفي عقلا لها لو أعظم علمها بالقدرة عليه. لحق لها أن توجه المتباليه هذا ما أروها إيجاز القول فيه متعلقاً بفلسفة التكلمين ورأى الفيلسوف وشيخه بمقال آخر فيما حكمت به الجامعة من الكلام، على

تمة الاجتماع الخامس لجمعية أم القرى

قال (الحدث اليمني) اتنا معشر أهل اليمن ومن يلينا من أهل الجزيرة كما اتنا لم نزل ببيدين عن الصنائع والفنون فكذلك لم نزل على مذهب السلف في الدين بيدين عن التفتن فيه ومسلكتنا مسلك أهل الحديث وأكثرنا يخرج الأحكام على أصول اجتهاد الإمام زيد بن طلي بن زين العابدين أو أصول الإمام أحمد بن حنبل واني أذكر للاخوان حالتنا الاستهدائية عسى ان الذكرى تنفع المؤمنين . وعسى أن يعلم المسلمون ولا سيما الأتراك ومن يحكمون أئامن أهل السنة لا كما يوهمون أو يتوهمون فأقول ان المسلمين عندنا على ثلاث مراتب العلماء والقراء والعامه .

فالطبقة الأولى (العلماء) وهم كل من كان متصفاً بخمس صفات

(١) أن يكون عارفاً باللغة العربية المضرية القرشية بالتعلم والزاولة معرفة كفاية لفهم الخطاب لا معرفة إحاطة بالمفردات ومجازاتها وقواعد الصرف وشواذه والنحو وتفصيلاته والبيان وخلافاته والبديع وتكلفاته مما لا يتيسر إتقانه إلا لمن يفنى ثلثي عمره فيه مع أنه لا طائل تحته ولا لزوم لأكثره إلا لمن أراد الأدب .

(٢) أن يكون قارئاً كتاب الله تعالى قراءة فهم للمتبادر من معاني مفرداته وتراكيبه مع الاطلاع على أسباب النزول ومواقع الكلام من كتبها للدونة للأخوذة من السنة والآثار وتفسير الرسول عليه السلام أو تفاسير أصحابه عليهم الرضوان ومن المعلوم أن آيات الأحكام لا تجاوز المائة والخمسين آية عدداً (١)

(٣) أن يكون متضلماً في السنة النبوية الدونة طلي عهد التابعين وتابعهم أو تابعي تابعهم فقط بدون قيد بمائة ألف أو مائتي ألف حديث بل يكفي ما كفي مالكاً في موطنه وأحمد في مسنده ومن المعلوم أن أحاديث الأحكام لا تجاوز الألف وخمسة حديثاً أبداً (٢)

(٤) أن يكون واسع الاطلاع على سيرة النبي وأصحابه وأحوالهم من كتب السيرة القديمة والتواريخ المعتبرة لأهل الحديث كالحافظ الذهبي وابن كثير ومن قبلهم كابن جرير وابن قتيبة ومن قبلهم كمالك والزهري واضرابهم .

(٥) أن يكون صاحب عقل سليم فطري لم يفسد ذهنه بالمنطق والجدل التعليميين (٣)

(١) قد أحاط بها التفسير الأحمدي الهندي (٢) وقد أحاط بها الإمام الشوكاني

اليمني (٣) قد حقق القرينيون ان لا ثمرة من المنطق كليا فأهلواوه مع أنهم يهتتون بالبحث عن وسائل تفاهم العجاوات ا ه من الأصل . ولعله يريد بما أحاط به الشوكاني

والفلسفة اليونانية والإلهيات الفيثاغورية وبإبحاث الكلام وعقائد الحكماء ونزاع
المعتزلة وإنغرايات الصوفية وتشديدات الخوارج وتخرجات الفقهاء المتأخرين وحشويان
الموسومين وتزويقات المرائين وتخرجات المدلسين (مرحى)

فأهل هذه الطبقة يستهمون بأنفسهم ولا يقلدون إلا بعد الوقوف على دلائل من
يقلدون فإذا وجدوا في المسألة قرآناً ناطقاً لا يتحولون عنه لغيره مطلقاً وإذا كان
القرآن محتملاً لوجوه فالسنة قاضية فيه مفسرة له . ثم ما لم يجدوه في كتاب الله
أخذوه من صحيح سنة رسول الله سواء كان الحديث مستفيضاً أم غير مستفيض عمل
به أكثر من واحد من الصحابة المجتهدين أم لم يعمل به إلا واحد فقط ومتى كان
في المسألة حديث صحيح لا يعدلون عنه إلى اجتهاد ثم إذا لم يجدوا في المسألة حديثاً
يأخذون بإجماع علماء الصحابة ثم يقول جماعة من الصحابة والتابعين ولا يتقيدون
بهم دون قوم فإن وجدوا مسألة يستوى فيها قولان رجحوا أحدها بمرجع يقوم
في الفكر لا يتبعون فيه أصولاً موضوعة غير مشروعة أو طرقاً مقررة غير مشروعة .
وأهل هذه الطبقة عندنا ينزرون أدهانهم بأصول استدالات الإمام زيد رضي الله عنه
أو غيره من الأئمة في تخريج الأحكام واستنباطها من النصوص بدون تقيد بتقليد
أحدهم خاصة دون غيره . لأنهم لا يجوزون اتباع إمام إذا رأوا ما ذهب إليه في المسألة
بعيداً عن الصواب فلا يقلدون أحداً تقليداً مطلقاً كأنه نبي مرسل

والطبقة الثانية هم (القراء) وهم الذين يقرأون كتاب الله تعالى فراءد فهم
بالإجمال مع اطلاع على جملة سالحة من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهؤلاء
يستهدون في أصول الدين بأنفسهم لأنها بنية غالباً على قرآن ناطق أو سنة صريحة
أو إجماع عام مفسر لغير الناطق والصرح

وأما في الفروع فيتبعون أحد العلماء الموثوق بهم عند السني من الأقدمين أو
الماضين بدون ارتباط بمجتهد مخصوص أو عالم دون آخر مع سماع الدليل والميل
إلى قبوله كما كان عليه جمهور السنيين قبل وجود المذاهب

والطبقة الثالثة هم (العامة) وهؤلاء يهتدون بالعلماء مع أن الدليل يقتضد الإجماع
فالعلماء عندنا لا يحسرون على أن يفتوا في مسألة مظانها ما لم يذكرها معها دليلها من

كتاب متفق الأخبار الذي سرحه وهو ليس له . وأما الذين لم يهتدوا بالمنطق وإنما
خرجوا به عن الطريق المحنة

الكتاب أو السنة أو الإجماع ولو كان المستفتى أعجمياً أمياً لا يفهم ما الدليل وطريقتهم هذه هي طريقة الصحابة كافة والتابعين عامة والأئمة المجتهدين والفقهاء الأولين من أهل القرون الأربعة أجمعين (مرحى)

والتزام علمائنا هذه الطريقة مبنى على مقاصد مهمة أعظمها تضيق دائرة الجراءة على الافتاء بدون علم وفي هذا التضيق على العلماء توسعة على المسلمين وسد لباب التشديد في الدين والتشويش على القاصرين ولهذا الحكمة البالغة بالغ الله ورسوله في التكبير على المتجاسرين على التحليل والتحرير والمستسلمين لمحض التقليد

فالعلم عندنا لا يستطيع أن يجيب إلا عن بعض ما يسأل ولا يأقن أن يقف عند «لا أدري» بل يحذر ويحاف من غش السائل وتفريره إذا أجابه بأن فلاناً المجتهد يقول إن الله أحل كذا أو حرم كذا لأن السائل لا يعلم ما يعلم هو من أن هذا المجتهد الذي ليس بمعصوم كثيراً ما يخالف في قوله من هو أفضل منه من الصحابة والتابعين ومن أنه يتردد في رأيه وحكمه كم اجتهد وكم رجع ومن أن أكثر دلائله إما ظنية الثبوت أو ظنية الدلالة أو ظنيتيها ومن أنه لم يدون ما قاله ولكن نقله عنه الناقلون وكم اختلفوا في الرواية عنه بين سلب وإيجاب ونفي وإثبات وكم زيف أصحابه اجتهاده ورأوا غير ما رآه ومن أنه أي المجتهد إنما اجتهد لنفسه وبلغ عذره عند ربه وصرح بعدم جواز أن يتبعه أحد فيما اجتهد وتبرأ من تبعه الخطاء

فهذا (الإمام مالك) رضى الله عنه يقول ما من أحد إلا وهو مأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونقل المؤرخون أن المنصور لما حج واجتمع بمالك أراد على الذهاب معه ليحمل الناس على الموطن كما حمل عثمان الناس على المصحف فقال مالك لا سبيل إلى ذلك لأن الصحابة افترقوا بعد وفاة النبي عليه الصلاة والسلام في الأمصار يريد أن السنة ليست بمجموعة في موطنه الذي جمع فيه مرويات أهل المدينة

وحكى في الإديات والجواهر أن (أبا حنيفة) رضى الله عنه كان يقول لا ينبغي لمن لا يعرف دليلى أن يأخذ بكلامى وكان إذا أفتى يقول هذا رأى النعمان بن ثابت يعنى نفسه وهو أحسن ما قدرناه عليه فمن جاء بأحسن منه فهو أولى بالصواب

وروى الحاكم والبيهقي أن (الشافعى) رضى الله عنه كان يقول: إذا صح الحديث فهو مذهبي. وفي رواية إذا رأيتم كلامى يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامى الحائط وأنه قال يوماً للمزني يا إبراهيم لا تقلدنى فيما أقول وانظر في ذلك

لنفسك فانه دين وكان يقول لا حاجة في قول أحد دون رسول الله صلى الله عليه وسلم وروى عن (أحمد بن حنبل) رضى الله عنه أنه رأى بعضهم يكتب كلامه فأنكر عليه وقال تكتب رأياً لعلى أرجع عنه وكان يقول ليس لأحمد مع الله ورسوله كلام وقال لرجل لا تقلدنى ولا تقلد مالكاً ولا الأوزاعى ولا الحنفى ولا غيرهم وخذ الأحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة وأسس مذهبه على ترك التأويل والترقيع بالرأى واتباع السير فيما فيه طريق العقل واحد

ونقل النقاة أن (سفيان الثورى) رضى الله عنه لما مرض مرض الموت دعا بكتبه ففرقها جميعاً

وروى عن (أبى يوسف وزفر) رحمهما الله تعالى أنهما كانا يقولان لا يحل لأحد أن ينهى بقولنا ما لم يعلم من أين قلنا وقيل لبعض أصحاب أبى حنيفة أنك تكثر الخلاف لأبى حنيفة فقال لأنه أوتى من الفهم ما لم نؤت فأدرك ما لم ندرك ولا يسعنا أن ننهى بقوله ما لم نفهم دليله ونفنع

(مرحى)
ثم قال أيها الإخوان الكرام قد أطلت المقال فاعذرونى فانى من قوم الفوا ذكر الدليل وإن كان معروفاً مشهوراً وقد ذكرت طريقة علماء العرب فى الجزيرة منوها بفضليها لا بفضليهم على غيرهم كلابل غالب علماء سائر الجهات أحد ذهننا وأدق نظرا وأغزر مادة وأوسع علماً ولذلك لم نزل نحن فى تعجب وحيرة من نظر أولئك العلماء المتبحرين فى أنفسهم العجز عن الاستهداء وقولهم بسد باب الاجتهاد

نعم لم يبق فى الإمكان أن يأتى الزمان بأمثال ابن عمر وابن العباس أو النخعى وداود أو سفيان ومالك أو زيد وجعفر أو النعمان والشافعى أو أحمد والبخارى رضى الله عنهم أجمعين ولسكن متى كلف الله تعالى عباده بدين لا يفقه إلا أمثال هؤلاء النوابغ العظام أليس أساس ديننا القرآن وقد قال تعالى عنه فيه (إنا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون) وقال تعالى (كتاب فصلت آياته قرآناً عربياً) وقال تعالى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) وقال تعالى (ولقد أنزلنا إليك آيات بينات) وقال تعالى (أفلا يتدبرون القرآن) فما معنى دعوى العجز والتشليل بمن قالوا (قلوبنا غلفت) حمانا الله تعالى

(مرحى)
أما السنة النبوية أفلم تصل إلينا مجموعة مدونة بهمة أئمة الحديث جزأهم الله خيراً الذين جابوا الأقطار والبلاد التى تفرق إليها الصحابة رضى الله عنهم بسبب الفتوحات والفتن فجمعوا متفرقاتها ودونوها وسهلوا الإحاطة بها بما لم يتسهل الوقوف عليه لغير

أفراد من علماء الصحابة الذين كانوا ملازمين النبي عليه السلام .
وكذا يقال في حق أسباب النزول ومواقع الخطاب ومعاني الغريب في القرآن
والسنة فان علماء التابعين وتابعيهم والناسجين على منوالهم رحمهم الله لم يألوا جهداً
في ضبطها وبيانها .

وكذلك الأئمة المجتهدون والفقهاء الأولون علمونا طرائق الاستهداء والاجتهاد
والاستنباط والتخريخ والتفريع وقياس النظر على النظر فهم ارشدونا إلى الاستهداء
وما أحد منهم دعانا إلى الاقتداء به مطلقاً (مرحى)

نم اننا إذا أردنا ان ندقق النظر في مرتبة علم أولئك المجتهدين العظام لانجد فيهم
علماً وهيباً أو كسبياً خارقاً للعادة فهذا الإمام الشافعي رحمه الله وهو أغزرهم مادة
وأول وأعظم من وضع أصولاً لفقهاء نجله قد أسس مذهبه على اللغة فقط من حيث
المشترك والمتباين والمترادف والحقيقة والمجاز والاستعارة والكناية والشرط والجزاء
والاستثناء المتصل والمنفصل والمنقطع والعطف المرتب وغير المرتب والفور والتراخي
والحروف ومعانيها إلى قواعد أخرى لا تخرج عن علم اللغة واتبع أبا حنيفة في إدخاله
في أصول مذهبه بعض قواعد منطقية مثل دلالة المطابقة والتضمن والالتزام ومعرفة
الجنس والنوع والفصل والخاصة والعرض والمقدمين والنتيجة والقياس والنتيج. واتبعه
أيضاً في قياس ما لم يرد فيه قرآن أو حديث على ما ورد فيه وهكذا فتح كل من أولئك
الأئمة العظام لمن بعده ميداناً واسعاً فجاء اتباعهم ومدوا الأطناب وأكثر من الأبواب
ونفتنوا في الأشكال وتنويع الأحكام وأحدثوا علمي الأصول والكلام . وهذا التوسع
كله ليس من ضروريات الدين بل ضرره أكثر من نفعه وما أشبه الأمور الدينية
بالأمور المعاشية كلما زاد التأنيق فيها بقصد استكمال أسباب الراحة انسلبت الراحة

والقول الذي فيه فصل الخطاب ان الله سبحانه وله الحكيم لم يرض منا ان نتبع الا علم
الأفضل بل كلفنا بان نستمدى كتابه وسنة رسوله على حسب امكاننا وطاقتنا وهو يرضى منا
بجهدنا حيث قال تعالى (لا يكلف الله نفساً إلا وُسْعها) فنسأل الله التوفيق لسواء السبيل.

قال (الأستاذ الرئيس) إني أحمد الله تعالى على توفيقه إيانا إلى هذا الاجتماع
البارك الذي استفدنا منه ما لم نكن نعلمه من قبل عن حالة إخواننا وأهل ديننا في
البلاد المتباعدة ولم يكن يسمع بعضنا عن بعض شيئاً إلا من السياح المنكدين الجهلاء
الذين لا يعرفون ما يصفون أو من أهل السياسة والعلماء المتشيمين لهم الذين ربما
يموهون الحق بالباطل بقصد تفريق السكامة ومنع الائتلاف (مرحى)

ثم قال هذا واليوم قد انسحب ذيل الظل وقرب الزوال وأذن لنا الوقت بالانصراف .

باب التربية والتعليم

(الأزهر والأزهريون - د. فاضل هندي)

إلى السيد الحكيم الفاضل محرر مجلة النوار الفراء

لست في حاجة إليها السيد الحكيم لأن أسباب لكم القول في فضل الانتقاد والمنتقدين وما لهم من الأيادي في ترقية الامم فان العوان لا تعلم الحجرة ، وهذا مناركم الاشر لا يكاد يقف على رأس كل سنة حتى يكون قد ذكر فصولا ضافية في الانتقاد . وانه المقوم لما اعوج من اعمال الامم والرافع لما حمل من شأنها والآخذ بيدها على مدارج الرقي والكمال . وعلم الله انه لا حامل لي على أن أوجه بسطوري هذه اليكم آملا في نشرها على صفحات مناركم إلاعظيم الثقة ووطيد الامل بانكم لا تخشون في الله لومة لائم وأنه لا يوقهكم عن السير في سبيل الاصلاح غرض لبيان أو هتات مما يكتب في صدر فلان .

خرجت ذات يوم إلى منتزه الجزيرة لأبدد ما تراكم بصدرى الحرج من الهموم والاكدار في تلك الرياض الفسيحة وذلك الفضاء الممتد حتى إذا كنت على قيد اذرع من رأس المنتزه الجديد حيث تقف هناك مركبات الكهرباء القادمة من الأهرام فالجيزة إذا أنا باحد صبية الفلاحين وقد أخذت ناحية عن أعين الناس وهو قابض على كثير من الأوراق المكتوبة يتصفحها واحدة واحدة وبعضها يتناثر من بين يديه إلى حيث تتلاقفها ايدي الرياح فتمت بها اضعاف عبثه من قبل فاهويت إلى واحدة منها وقد جرى بها الريح إلى ما تحت قدمي فاذا بها كلام عربي فتقدمت نحو الغلام وتلظفت في طلبها منه وأمرته ان يذهب فيجمع لي ما فرقته يد الهواه في متابلة فاس اعطيته إياه ففعل شاكراً ودعب طيب الخاطر راضى الناس بهما ان كنت منه أنه عثر عليها وقد لقت في خلاف على طريق الكهرباء، فيما بين الجزيرة والجزيرة واخذت أنا طريقى الأول إلى حيث أشجار اللبخ القائمة على حافة النيل الغربية فجلست هناك في ظلها الوارف وكان الوقت اصيلا وصوت اقلها واحيل فيها النظر واطيل الفكر حتى تكشف لي امرها بمد طويل إيمان واهمال روية انها صحنانف سودها بهن افاضل امند المواهب باليونان من د الاسلام اللذين من لانه يمالها (الله أباد) وعلمت من مجموعها ان الرجل احدوا اسر وجاتم اخطار وجواب

اقتدار من حيث لا صاحب له إلا همة يحاول أن يظاً بها قمة العيوق ونفس تنزع به إلى ذرى شرف لا تتناول إليه الاعناق وقد تجلى لي من رسائل كانت ترد إليه أن الرجل سيد بلدته، وأشرف بني جلدته، قدم هذه الديار سائجاً متجولاً كجال في كثير غيرها من بلدان المسلمين ولا هم له التنقيب عن ادواء الأمة الاسلامية وأسباب انحطاطها وقد عاهد صديقاً له في (حيدرآباد) على أن يوافيه برسائل متتالية يصف له بها كل ما يراه من ادواء الاسلام وعوامل ضعفه وأسباب تأخره ولقد قلبت في الاوراق كثيراً وقد كتب بعضها بالأوردية والبعض بالعربية على احد فيها ما يشير إلى الرغبة في كتابتها وصورها عن أنظار غيره فلم يظهر لي إلا عكس ذلك فقد وجدت في أولى رسائله عبارة صريحة يأذن لصاحبه فيها بنشر ما كتب ويكتب لكل من أحب . وأهم ما رأيت في تلك الرسائل ثلاثاً بعث بها إلى صاحبه في حيدرآباد يصف له فيها الأزهر والأزهريين بعبارة لا تسلم من العجمة ولكن لم يركب بها مخارم الاغراب ولم يتدل إلى حبيبتين العامية المبتذلة وقد نحى في انتقاداته خشن القول وغلظ الكلام حتى جاء كلامه أكرم انتقاد واعفه واكفه واحله . لذلك احببت ان ابث بها إلى أعظم مجلة إسلامية وارسخها قدماً في الاسلام وأحبها لنشر فضائل رجاله وأحرصها على رأب صدعهم ومداواة دأهم وقد تصرفت بالعبارة تصرفاً لا يمس شيئاً من المعنى راجياً أن لاتضيعوا إلى املاء . والله لا يضيع أجر من احسن عملاً، وهذه صورة الرسالة الأولى

(من القاهرة إلى حيدرآباد)

سلام عليك أيها الأخ الفاضل امد الله في حياتك ولا حرمني إخوانك واسبح على رداً خلاصك . وبعد فقد ورد إلى كتابك الكريم أحوج ما كنت إليه فاستعذبت وحسن موقعه من قاي وما ذكرت ايها الاخ من استبطاء المراسلة واشفاقك من أن يصرم النعد جبل الود ويظفي غلة الشوق والوجد ويضرب على ما سبق به الوعد فأنا استغفر لك الله في ذلك وهو العليم بمالك في فؤاد أخيك مهما شطت به دار الغربة وبعدت به النجعة . وما كان لي وأنت موضع ثقتي ومكان اخلاصي وبك أعتضد وعليك اعتمد ان اظهر قولك زورة طيف أو انس وعذك لحة طرف وإنما هي الاسفار أو رثنتي من الضعف والشحوب والانضاء ، مالو رأيتك لاصبحت عذري فيما ارتكبت من الابطاء، ويعلم الله اني اكتب لك ما اكتب وأنا نضو سفر قد الحفني من وعثائه جلياباً، وقل اطرفة ضربت على من رواقها قبايا ، ولقد كان الاجدر بي أن لا اكتب لك

كلية حتى أتريد من الراحة أياماً واسترد بعض ما فقدت من القوة لولا ما أخشاه من جرح صدرك وتغير فؤادك - فأما ما ذكرتني به وآخذتني على تأخيريه وسألتني إنجازَه من زيارة مدرسة الأزهر الإسلامية الهائلة واستجالي لزيارتها إن لم أكن فعلت ثم بالكتابة إليك بما استبان لي من أمرها وطريقة التعليم بها وأن أسهب لك القول فيما أجده بها من مواضع النقد والملاحظة . فقد صادف جميع ما ذكرت سابقاً رأي مني فيه . وإن منسة يزيد عدد طالبها على تسعة آلاف من المسلمين ما بين مصريين وسوريين وروسين وعرب واثراك وبربر وهنود لجديرة بأن لا أنساها في سياحتي بل جدية بأن تكون زيارتها ودرس أحوالها جل ما أنا قاصده من تجوالي في ربوع الإسلام غير أن كتابك قد ورد علي وأنا لم يمش لي غير يومين في القاهرة وقد مضى يومان آخران من تاريخ وروده وأنا لم أزر تلك المدرسة إلا زورة واحدة لما ذكرت لك من الضعف واللغوب وسأكتب نموذجاً بما وقع لي منها في تلك الزورة مسجلاً التفصيل والأسباب لغيرها من الرسائل ولا غرو أيها الفاضل إن أتت رسالتي هذبة مختصرة في الوصف مقتصرة على ما ذكرت لك على وجه الجملة شأن من كان غريب الدار غريب اللغة فأقول :

كثيراً ما كنت أسمع من اخواني في الهند إذا حدثتهم في شأن الأزهر كلمة مقولة وهي (الأزهر أكبر مدرسة إسلامية على سطح الكرة الأرضية) فكنت اهتز لذلك من الارتياح والظرب « كما اهتزت تحت البارج الغصن الرطب » . ما ظننا كان يقع في أذنني إذ ذاك أنه على كثرة طالبيه وتمدد معانيه قليل النظام مختلف طريقة التعليم عقيم النتيجة ولكن ما كان ذلك لينزع من قلبي تلك الهزة وذلك الإعجاب به وبكثرة طلابه وما كان أيؤسني من أن أجده فيه إذا دخلته قليلاً من النظام وبعض الترتيب ولقد بت ليلة قدومي إلى القاهرة من الوجد لزيارته بـإيلة المنسوع . حتى إذا كنت من صباح القد وبلغت الساعة . . . أسرعت بركوب عربة إليه ودخلت فإذا ساحة مترامية الأنحاء لأفرش فيها إلا الغبراء ولا غطاء عليها إلا السماء غير أنها تخلو من جمال هندام في جدرانها وكال هندسة في شكلها واتقان صنعة فيما يحيط بها من الأبواب والنوافذ ورأيت بها والفصل كما تعلمون شتاءً أناساً كثيرين ينشمسون وقد اشتغل البعض بتلاوة القرآن والبعض بالمذاكرة في كراسة بيده وآخرين ما بين

مستلق على ظهره ومنكب على وجهه ومن بينهم من التفوا حول أدون المسائل
ياكلون فيها بشهوة النهوم فألقى في روعي لأول الأمر أنها ساحة يستريح بها الطلبة
في أوقات معلومة بعد طول المطالعة والدرس ، وإجهااد القوة ونصب النفس ، فعذرتهم
إذ ذلك على استلقائهم وانسكابهم وتراحمهم على المسائل لتعويض ما اندثر من أدمغتهم
عقب الجهد والتحصيل ، والاشتغال الطويل ، غير أني لم ألبث هنيهة حتى أخبرني
صاحب إلى جانبي من الطلبة السوريين — وكنت قد اصططحبته لمثل هذه الحال —
بأن تلك الساحة قطعة من المدرسة نفسها وان ما أراه إنما هو نظامهم في الطلب
والتحصيل فكنت أن أنصعق إذ ذاك وتلبد فكري بغيوم الكدر والحزن حتى
أوشكت أهالك أسي وغماً — ولقد كنت أرى في تلك الساحة الرجل وقد كبرت
سنه حتى خارت قوته وورق عظامه فأحنى ظهره ، وضعف عضده ، حتى رعشت يده ،
وكل بصره حتى لا يبصر إلا شفاً وأنه على ذلك كاه ليجلس وإلى جانبه فتى حديث
السن غنى الشباب ماظر له شارب ولا خط له عذار وكلاهما يدرس ويتفاهم مع
الآخر على أنه من أضرابه في الطلب ومناقسيه في التحصيل ويجلس كل منهما في حلقة
درس واحد ، ثم اخترقت تلك الساحة وأنا مدهوش العقل ذاهل اللب لما أراه من
اجتماع الأضداد والمتناقضات وولجت من باب هناك إلى المقصورة المعدة للتدريس
وقد كنا قبيل الظهر فإذا محل فسيح الأرجاء ذو سقف يقوم على نحو أربعمائة
عمود بحال بل منه شكلها أنها نقلت إليه من المعابد والهياكل القديمة تميد بها تلك
الألوف ميداناً وهم على مثال من رأيت في صحن المدرسة من اختلاط الحابل بالنابل
وتلاشي النظام والترتيب إلى حد ظننت معه أنهم مأمورون بذلك وان من قوانين التعليم
هناك استئصال حب النظام من الصدور كما يستأصل الخلق السيء . وأعجب ما رأيت بين
الطلبة من سلطان العادة على النفوس أن الطالب هناك لا تحملو له المذاكرة ولا يروق
التحصيل إلا إذا رفع صوته بأقصى ما في إمكانه فيتألف من مجموعهم دوى يصم أذن
القادم عليهم فاخترق بي صاحبي السوري الجموع حتى انتهى بي إلى محل هناك يقال له
(رواق الشوام) فصعد بي على مدارجه إلى غرفة هناك استرحت بها قليلاً وكان قد
أذن الظهر فقال لي الصاحب هلم نمر بالدروس وهي منتظمة أما الدوى فلا يلبث أن
يسكن لاشتغال الطلبة بالسباع من معلمهم فلم أعمالك نفسي علم الله من البكاء
على أثر قوله انتظام الدروس وقلت ومبهجتي تذهب من ألسني فتحدثت من عيني

دموعاً : يا حبذا ذلك الدوي لو كان زججرة رعد تبشر بسقوط غيث العلم من سماء
 علي صدور الطالبين ، فثبت ما يقوم بشفاء داء الإسلام والمسلمين .
 ثم قمت وقام صاحب حتى إذا كنا في واسطة الدرج أخذت أرسم له كيف
 ينبغي بي الدروس وذلك أن يبدأ بدرس أول كتاب يدرسه في النحو ثم ينتقل
 بالتدريج حتى درس آخر كتاب اصطلاحوا أن يكون خاتمة الطلب في الفن فعمل وكان
 أول درس وقتت عليه درس الكتاب الأول وأول كلمة سمعتها فيه قول المعلم « واختلف
 في الجار والمجرور هل هو متعلق بظرف أو بفعل؟ » فالتفت إلى صاحبي وقلت أوتبرأ
 في ياهذا. ألم أقل لك أن تذهب إلى أول كتاب فقال : لم أهزء بك والشيخ إننا يقرأ
 أول كتاب في النحو ويقرر ثانياً درس في الكتاب. فقلت لن يثبت ما تقول في نفسي
 حتى تربي آية ذلك فأشار إلي غلام يليه من الدرس فسأله ماذا يقرأ الشيخ بصاحبي؟
 قال الكفراوى. قلت أنا والكفراوى ماذا. قال أول كتاب يقرأ في النحو. فأخذت
 بيد صاحبي إذ ذاك وأنا خجل من اتهامى إياه وقلت اذهب بي توا إلى الدروس الثانوية
 حتى أرى ماذا يقرأون .. ولا أريد أيها الأخ أن أطيل لك القول في هذه الرسالة
 بتفصيل ما رأيته بعد ذلك لي أحمل لك فيه القول إجمالاً . وجدت معلم الكتاب الثاني
 يشتغل بتعريف المركب عند المناطقة طويلاً ثم لوى زمام الكلام إلى تعريفه عند
 اللغويين فالبيانين فالتحيين إلى فنون أخر ذهب عن أسمائها وحفظ تعاريف
 واضعها . أما الدرس الثالث فكان الشيخ فيه منهمكاً في تعريف الرثة واختلاف
 الأطباء الأقدمين فيها وما قالوه في تكييف الصوت إلى كلام طويلاً . وكان ذلك كله
 استطراداً من قول النحاة اللفظ صوت متمم على بعض الحروف. وعلى ما ذكرت لك
 كان الحال في بقية الدروس حتى إذا انتهيت إلى درس آخر الكتب كان يخجل لي أن
 الشيخ إنما يلفظ رطابة لا يفهمها وإنما لأنهم لا وأنت تعلم قدر المعاني بالعربية
 وشدة شغفي بها أنه لم يعلق بذهني من كل ما سمعته إلا كلمتين إحداهما قوله بين أجزاء
 كل جملة وعلى رأس كل كلمة «قان الشيخ رحمه الله تعالى» والثانية ذكر سبب تسمية
 سيويه من أن سيباسم الراثة بالفارسية وويه اسم للتفاح. هذا ما رأيته وأقول لك
 على الجملة في مدرسة بعيدة الصيت طايرة الشهرة في كل قطر من بلاد المسلمين حتى كاد
 بعضهم أن يعلق بها الأمل في نجاح كل عمل .

ومما هو جدير بي أن أحمل لك فيه القول في الرسالة ان سنى الطلب يشغل
 أن تكون من خمس عشرة سنة إلى ما يحتمل أن يعمر إنسان والطالب يشتغل

هناك بالكتاب الأول في السنة الأولى ثم بالكتاب الثاني في الثانية ثم بالثالث والرابع والخامس والسادس في خمس سنين ثم ينتقل من النحو ويكون قد حضر ما يقابله من كتب الفقه إلى علوم البلاغة ثلاث سنين ثم بصرف ما بقي في تلقي كتاب كبير في الأصول وفي خلال هذه المدة يكون قد حضر في أوقات غير منبذولة ولا منتظمة علوم التوحيد والمنطق والتفسير وبعد أن يأتي على ذلك كله درساً يكون يكون على خيار من أن يتقدم لشهادة الدراسة أو يرجع إدراجه إلى تلك الكتب والفنون فيلتزمها درساً درساً ويؤمنون ذلك فيما بينهم - إعادة المذهب . وقد ضمنى مجلس مع أحد المترشحين لشهادة الدراسة وكان ممن أعادوا المذهب فرأيت منه رجلاً وقوراً صالحاً على رأس الخامسة والأربعين من عمره غير أن بلسانه حبسة وعياً قصمت إلى أن أعرف مبلغ علمه بالكتابة فقدمت إليه بلطف طلب ورقة سؤالاً راجياً أن يكتب لي ما تيسر من إنشائه ولما لم أفلح أكرت عليه من الإلحاح والإلحاف في الطلب فاكتمى بأن أخرج لي كتاباً كان قد حرره لأخ له من أبيه أصغر منه سنًا يرتزق من الملاحة والزرع يرجو منه إرسال شيء من التمود والزراد ويشره بقرب نيل الشهادة أحببت أن أبعث به إليك بعد أن أقسم لك بالله قسماً حقاً لا آتما فيه ولا حاشاً أنه على أصله ما تحونت منه حرفاً واحداً وهو كما ترى قد قبضت من أسطره روح البلاغة وانظماً منها نور البيان وجفت منها غضاضة الدوق في التعبير ولقد كانت النفس تجدها بعض السلوى وتلمس لكتبتها شيئاً من العذر لو لم تكن الرسالة محشوة بالأغاليط الصرفية والامحفات النحوية كما يظهر ذلك لأول نظرة فيها - والله حكمة خافية في ثمانين سنوات مضت في درس النحو والصرف - هذا ما أذكره لك في رسالتي هذه إجمالاً وسترى فيما يتلوها إن شاء الله تعالى وأسباباً شافياً والسائم عليك ورحمة الله (الإمضا)

وسأوفي حضرات قراء الدر الأغر بالرسالتين الباقيتين اللتين أرسلهما لصاحبه من هذه وهما كما قلت غاية في آداب الانتقاد والاعتدال مما يستميل قلوب العقلاء إليه ويستند إلى حجة القراء العلماء عليه .

عبد المزين عثمان العريشي

بالأزهر

(المترجم) نعم لنا هذه الرسالة نفسيّاً لكتابتها الأديب وبياناً لكيفية التعليم في الأزهر يعرف ذلك بالتفصيل من لا يعرفه من أهل الأفطار الإسلامية ومنتظر أن تكون الفائدة في رسالتي الهندي الأخرين أنهم بما فيه هذه الرسالة .

آثار علمية أدبية

« أفكوهة أدبية للشاعر المجيد مصطفى أفندي صادق الرافعي »

يا طير ما للنوم قد طارا وما قضينا منه أوطارا
 كأن هذا السهد لا يأتي يطلب من أجفاننا نارا
 إن كنت ظمآن فذى أدمى تفجرت في الأرض أمهرا
 أو كنت ذا مسغبة فالتقط حبة قلبي كيفما صارا
 أو كنت مشتاقاً فكن مثلنا على النوى يا طير صبارا
 وجارني إن كنت لي صاحباً فان خير الصحب من جاري
 يا طير كم في ليل من ساعة يزيد فيها العمر أعمارا
 إن قلت تلميحاً بها فكرة جرت على الأفكار أفكارا
 أو قلت أنساها اقام الهوى من حرها في القاب تذكارا
 والصب ما ينفك في حيرة تزيده حزناً وأكدارا
 مالي أرى الأطيوار نواحة كأنما فارقني أطيوارا
 وما لأعصان الربى تلتقى كأنما استودعن أسرارا
 فاسأل نسيم الصبح إن مر بي هل حملته الغيد أنسارا
 واسأل عن الدار وما لي أزور يوماً هذه الدار
 كأنها الجنة لكى أبطنت من وحديها النارا
 مماؤها مظلمة أنحما وأرضها تطلع أقمارا
 وكم بها من أكل إن رنا سلت لك الأجنان ديتارا
 وإن مشى نخطر في تيهه هزت لك الأعطاف خطارا
 لا أنكر السحر وذا طرفه أصبح بين الناس سحارا
 يا فاتن الصب على رغمه والمرأ لا يمشق مختارا
 طوراً بنا هجر وطوراً نوى أهكذا تخلق أطوارا
 لو شهبوا بدر السما درهما لشهبوا وجهك دينارا
 وكم درار فيك نظمها تجل أن تحسب أشعارا
 لو أن بشارا حكى مثلها أعطت لواء الشعر بشارا

﴿ الهدايا والتقاريف ﴾

(حبر الكلام ، في القراءة خلف الإمام - وقرة العينين ، برفع اليدين)
 كتابان مختصران للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن اسماعيل البخاري صاحب
 الجامع الصحيح جمع في الأول ما رواه من الأحاديث النبوية الدالة على وجوب
 القراءة خلف الإمام في الصلاة وفي الثاني ما رواه في إثبات رفع اليدين عند الركوع
 وسد الإمام . ومن شهيد الأول . والأحاديث في المسائل كثيرة . وقد تذكرت
 الآن التي سمعت أستاذنا الفقيه المحدث الشيخ محمود نسابه الطرابلسي الأزهرى
 (رحمه الله تعالى) قال وهو يقرأ لنا شرح البخاري في أوائل طلبنا للعلم ان البخاري
 روى رفع اليدين عن خمسين صحابياً وله فيه كتاب ومن ذلك اليوم تميت أن أرى
 هذا الكتاب الذي اثبت البخاري المسئلة فيه بالتواتر حتى رأيت مطبوعاً في هذه
 الأيام . وكنت أعجب لترك الناس هذه السنة حتى الدين اثبتها أئمتهم كالشافعية .

الحنفية يتركونها لأن شيوخهم قالوا إنها مكروهة لأنها لم تثبت عند إمامهم وان
 كان كل من شم رائحة علم السنة منهم موقن بأنها ثابتة عن رسول الله صلى الله
 عليه وسلم ثبوتاً لو وقع مثله لإمامهم لما تركها مرة واحدة وأما الشافعية فانهم قد
 يتركونها مسaire للحنفية . صلى كاتب هذه السطور إماماً بأستاذه الشيخ حسين أفندي
 الجسر فرقت يدي عند الركوع والقيام منه ومن التشهد الأول كما هو دأبي فلما
 فرغنا من الصلاة قال لي أحد الشيوخ من الشافعية وكان حاضراً الصلاة : هلا تركت
 رفع اليدين أدباً مع أستاذك ؟ فقلت ما علمني أستاذي أن أترك السنة أدباً معه ولا أرى
 أن الأدب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ينافي الأدب معه . فقال ذلك الشيخ : ان
 إمامك الشافعي ترد القنوت في الصبح أدباً مع الإمام أبي حنيفة عند ما زار قبره .
 فقلت معاذ الله أن يترك الإمام السنة لأجل أحد من الناس وقد أول العلماء هذه
 الحكاية على تقديم ثبوتها (وما هي بثابتة) بأن الإمام ترك القنوت تشبهه عرضت له
 في رايه نعمت أجهاد وقتل . فصدقني الأستاذ وقال نعم هكذا أولوها

فأبغض المشركون بهؤلاء الشيوخ الذين يؤمنون بترك السنة مساهمة لأهل الجاه
 من الأحمق وتسمية لأهل الشبهة من الاموات . ومثل هؤلاء الشيوخ الذين يرجعون
 الدين إلى أدبهم العاصي يتجأون على النقاد أئمة العلماء والمصلحين من المعاصرين
 ويخافون من عيبهم وسمعتهم لهم أشد الخلق في حصرتهم والمامة بغيرهم إذا

درسوا وخطبوا فيزيديونها غروراً

الكتابان اللذان نحن بصدد ترميزهما طبعاً معاً في المطبعة الخيرية على نفقة صاحبها المهام السيد عمر الحشاش وبيعان في مكتبته فنحن بحمى السنة السنية على عطايتها والعمل بهما « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب » (الروضة الانيقة . في بيان الشريعة والحقيقة) كتاب يدل اسمه على مساهم من تصنيف العالم الصوفي الشيخ عبد العزيز الديريني المتوفى سنة ٦٩٧ رجمه الله تعالى . وفي الكتاب مسائل نافعة يصح ان يجعل حجة على الذين يدعون التصوف ويتكبرون حرمان الدين . ويدعون انهم أولياء الله وأحبائه . من ذلك انه عقد باباً للإنكار على مشايخ الطريق الذين يجتمعون بالنساء ويزعمون انهم يرشدونهن واستشهد لذلك بعدم مصافحة النبي صلى الله عليه وآله وسلم للنساء عند مبايعتهم على الايمان وغير ذلك وقال انه لا يصلح لتعليم النساء الا الراسخون في العلم والدين بشرط عدم الحلاوة وعدم اظهار الزينة . على ان المرأة انما تتعلم من الأجنبي ما يجب عليها إذا لم يكن لها محرم يعلمها . وقد ختم المؤلف هذا الباب بفصل قال فيه :

« وقد زاد قوم فزعموا ان اجتماعهم بالنساء والشبان وتعاطى هذه الأمور مما تحصل به البركة فان قرب المرأة أو الشاب من الرجل الصالح سبب لحياة القلب فان النور يسرى من القلب إلى القلب وأشياء هذه الزخارف الباطلة . فؤلاء قهوم تشبهوا بالشياطين فان الشيطان يسول للجاهل أموراً محرمة ويزينها بصور باطلة . فهذه جيلة فسق وحيبة مكر وخديعة كذب . فليت هؤلاء ، حيث وقعوا في هذه الصباغ لم يضيفوا إليها ما هو أقيح منها فان العاصي المعترف بمصيبته أخف أمماً وأقل جرماً ويجب على من له أمر أن يردع هؤلاء بالتعزير الشافي والزجر الكافي ومن لم يقدر على ذلك فليتهم نهياً كافياً فان لم يقبلوا وجب الإنكار عليهم بالقلب كما قال الله تعالى « ذرهم يأكلوا ويتمتعوا » الآية اهـ

وقد وضع ناشر الكتاب في آخره قواعد جميلة منها هذه القاعدة الثابتة . قال : إذا حقق أصل العلم وعرفت مواده وجرت فروعها ولاحت أصوله كان الفهم فيه مبذولاً بين أهله . فليس المتقدم فيه بأولى من المتأخر وإن كان له فضيلة السبق . فالعلم حاكم ونظر المتأخر أتم لأنه زائد على المتقدم . والفتح من الله مأمول لكل أحد . والله در ابن مالك رحمه الله حيث يقول : إذا كانت هذه العلوم منحاً إلهية ومواهب اختصاصية فغير مستبعد ان يدخر لبعض المتأخرين ما عسر على كثير من

التقديمي ، نعوذ بالله من حسد يسد باب الإنصاف ، ويصد عن جميل الأوصاف . انتهى وهو تعجب) والكتاب مطبوع طبعاً حسناً على ورق جيد ومكتوب عليه (ايأيا سنة ١٣٢٠) فإنه ينتشر بين أهل الطريق فينتقموا باعتداله (الحلال والثال) قصة وضعها أحمد حافظ أفندي عوض كما ذكرنا في تقريرط (فصص مسامرات الشعب) شرح فيها كيفية عشق الفتيان والفتيات أو التلامذة والتلميذات في مصر وكيف يعوى بعض البيات المتعلات بعضاً وقد علمنا انه لم يذكر الا بعض الواقع بالاختصار . القصة أنفع القصص التي ألفت لمكتبة الشعب أو أنفع ما ألفت الشبان المصرون من هذه القصص وان كانت في عبارتها دون ما كتب حافظ من قبل لأنه كان في وجل من طروق هذا الباب الذي يظهر من وراءه سوء التربية في قومه وفي حذر واشفاق من عند الماذلين ، ولوم اللاميين ، فلم ينطلق قلبه بحرية تامة وله الفضل ان طرق هذا الباب من أبواب الجيد

موضوع القصة بنت اسمها (اسماء) نشأت (ولا أقوم تربت) في حجر الدلال ثم وضعت في المدرسة فصاحت فيها بنت أحد الأعداء من المصريين المتفرنجين حتى صارت تركب معها احياناً إلى بيت ابيها فتدبى فيه الأثاث والرياش وكيفية المعيشة على الطريقة الافرنجية فحقت عادات بيت ابيها الشرقية وفي هذا المقام إلام بكيفية الانتقال من العادات الشرقية إلى العادات الغربية في شؤون المعيشة .

امتدت المعاصرة بين البلدين حتى ركبنا يوماً للزهة فلتسبهما في الطريق احد الشبان المتعلمين الذين قال حافظ في وصفهم « كان مبلغ ما تعلموه من المدارس وما تلقنوه من دروس الحياة مقصوراً على العناية بملابهم وتنسيق هئامهم ووضع طرايبهم المائلة إلى جهة الأذن على شعر لامع مدهون بكذا وكذا . . . وياقة مرتفعة ورباط رقبة فيه ديبوس من الماس ولباس (أي - سراويل) ضيق وخواتم من الذهب ومنظار بسلسلة ذهبية وحذاء أصفر رفيع براق » وكان هذا الشاب عشيق الفتاة المصرية فكشفت أسماء بعشقتها وسألها عن العشق ولما عرفت انها لا تعرفه بذاتها بلقب السكنة . ثم أقبل الشاب وصالحهما مسلماً ولما صافح اسماء اضطربت من الحجل لأنها لم تعود فقالت لها رفيقها : « سألني أراك قد خجلت وهل في الحديث والتسليم على الشبان عيب ؟ إنما العيب ان لا ينظر إلينا أحد ولا ينظر إلى محاسننا إنسان » ثم رغبها في قراءة القصص الغرامية واعطتها واجدة منها ففتنت أسماء بأخبار العشق والغرام ، وشغلت عن الدرس والنمام ، فتغير حالها حتى تنهت والدتها لذلك

التغير وسألها عن سببه فكذبت في الجواب . قال المؤلف « وليس الصدق صفة محترمة عندنا معاشر المصريين بل يكاد الإنسان أن لا يعرف له منزلة . بل ان شئت قول إنا تعلم الكذب في بيوتنا من آباءنا وأمهاتنا » ثم إن أسماء تعلمت العشق فمشقت شاباً مهذباً

ثم إن المصنف ذكر ان البنيتين اسماء ونجدة حضرتنا احتفال عرس صديفة للثانية ووصف فيه ماهو جار في مصر الآن من مغازلة النساء المترنات للرجال من التوافذ والكوى وهن شرب النساء الخمر حياً ، وذكر ان اسماء تعلمت في تلك الليلة من البنات الشرب عى أنه من « التمدن والنودة » فلما علمت مع صديقتها قادت إلى التوافذ كغيرها فابصرت كل منهما من نخب وكاتتا على موائد منهما وأشارتا إليهما بالانتظار فلما التقى الإزمة حصل التعارف بين الجميع (كذلك العادة بين الأحداث من العاشقين والعاشقين في مصر كما أخبرنا المحدثون) ثم ذكرت اسماء مع عشيقها في مركبته كما ركب عشيق نجدة معها في مركبها واطلقوا إلى الجزيرة . ولكن ساء صاحب اسماء سكرها وتهتكها الذي تعلمته من نجدة وعشيقها على ذلك فوعده أن تكون كما يحب وهيات ذلك فان السائر في طريق الرذيلة كمن يتدهور من حاله لا يقف حتى يبلغ الفرار كما أشار إليه المصنف . ثم ان عاشق اسماء يأس من صلاح حالها فتركها ثم قضى أهلها عليها بالبروج بأحد أولاد العمدة الأغنياء فربذت كارهة وعامت زوجها أقبح المعاملة لاحتقارها إياه أنه لا يعرف الفرسوية وفنون التخث والنهتك وكان أولاد محبها ومحمل إهانتها حتى عيل صبره فأبغتها وعلق بالراقصات وعرف البغايا وشرب الخمر واعتزلها بالمره . فشكت يوماً إلى صديقتها القدعة فأشارت عليها بأن تعلمه بالملل فتقدم منه بالبغاء ففعلت فأصيبت بذلك الزهري وانتقل المرض منها إلى ولدها بالعدوى . عاث فيها المرض فتفرح بدنها واقامات سحتها وتحول ذلك الجمال إلى قببح تشعمر منه الجلود وانتهى بالجنون ثم بالموت

هذا هو الوباء السارى في حياة مصر الادبية وما وصف كاتب القصة الابعض من علم فهل يوجد في مصر قوم يفارون على الملة والأمة فيسمعون في تربية الناشئين والناشئات تربية دنيئة تصادم هذه الشرور ، وتثقل من هذا الفجور ،؟ الآباء مهمالون والامهات جاهلات فاذا يفعل البنون والبنات ؟

إذا كان رب البيت بالطبل ضارباً فلا تلم الاولاد فيه على الرقص
الرجال هم الذين يغيرون أحوال الأمم الاجتماعية وليس عندنا رجال . نعم إن خير

رجال مصر هم الذين أسسوا الجمعية الخيرية الاسلامية ولكن عملهم للامة لا يزال ناقصاً
فإذا استطاعوا ان يوجدوا مدرسة كلية في مكان بعيد من المدن بل عن الناس ربون فيها
طائفة من الناشئين حتى يكونوا رجالا عاملين فذاك باب النجاح دون سواه وان
لم يستطيعوا فمستقبل مصر مظلم جداً والله أعلم بمصير الأمور

﴿ قصص (روايات) مجلة الهلال ﴾

جاءنا من بعض فضلاء القراء ما يأتي بجرؤفه

« رأيت في مجلة المنار الصادرة في غرة جمادى الأولى سنة ١٣٢٠ تقيظاً
للا رواية الاخيرة من روايات حضرة محرر مجلة الهلال التي عنوانها (الحجاج بن يوسف)
وقد ألتقم فيه إلى ما انتقد به على المؤلف حينما ظهرت رواية (عذراء قريش) وقد
ظهر لبعض القراء أن حضرتكم لا تنتمون على هذه الروايات لما قدمتموه من الاعذار
عما يشوبها من الاكاذيب التي هي من لوازم وضعها مع ان منها نسبة العشق إلى مثل
محمد بن أبي بكر رضي الله عنهما مع شهرته في التاريخ بصد ذلك وتشبه عذراء قريش
بالرجال ووقوفها في مجمع الصحابة ترشدكم إلى حقائق الدين وتوبخهم على ما حصل
منهم في بدء الفتنة المشهورة ولا يخفى حضرتكم أن مثل مقدمته التي نقلتموها لا يرى
الكاتب مما يأتي به مخالفاً لحقائق التاريخ كما هو مبدأ الاسلام في كراهة الكذب على
أية حال . واني متيقن انكم لو كنتم اطلعتكم على هذه الرواية لما قلتم كلمة واحدة في
تقيظها . وما كنا نهتم لو جاء هذا المدح في غير مجلة المنار التي هي المجلة الدينية
الموثوق بها فيما تبديه من الآراء في احكام الدين فمعظم القراء يطلبون من حضرتكم
الافصاح عما ترون فيها لأن المسألة عظيمة إذ اساسها تاريخ الاسلام والصحابة الذين هم
الاسوة الحسنة في اعمالهم وهم نقلة الحديث وهم الثقات فيما يروون وأنا واثق أن
كلمة منكم ليست ككلمة من غيركم فنسأل الله لنا ولكم التوفيق إلى الحق والسلام »
(المنار) قد صرحنا في تقيظ القصة الاخيرة بأننا لم نقرأ القسم التي
ينشئها صاحب الهلال في التاريخ الاسلامي فتعجب لها أو عليها . وانما تذكرنا اننا
قرأنا في المؤيدتة اعلمنا أن بعض الفضلاء ناقلين من مؤلفها لأنه وصف
بعض رجال السلف الكرام بالعشق الذي لا يليق بمقامه . وقلنا في القصة الاخيرة
اننا رأيناها خالية من هذا العيب وهذا دليل على انصاف المؤلف وعمله بما يقتضيه

تقد الناقد برجوعه عن نسبة العشق إلى الصحابة وأئمة السلف رضی الله عنهم .
والحاصل أن ما انتقد به هذه القصص أمران أحدهما عدم حفظ كرامة السلف بان
ينسب إليهم ما لا يليق بهم وقد كان المؤلف وقع في هذا تقليداً للأفريج الذين لا يتحامون
مثله ويظهر أنه رجح عنه ارضاء أمراء ما يكتب من المسلمين . وثانيهما اشتباه الحق
بالباطل في سرد وقائع التاريخ ممزوجاً بأخبار الغرام الكاذبة ونحن نرى أن المقدمة التي
تقلناها عنه تبرئه من هذا النقد إلا أن تكون غير صادقة . فإذا كان يقول أن كل ما عدا
الحكاية الغرامية من القصة هو من التاريخ المنقول فلا سبيل إلى تخطئه إلا ببيان أن
بعض ما في تلك القصص وراي الحكاية الغرامية التي تتخللها غير صحيح أو أن هناك
اشتباهاً بين الحكاية والتاريخ . فعلى المنتقد الشواهد والبيئات إذا ادعى هذا وعلينا
أن نشره ونبين رأينا فيه والله يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضيه

البدع والخرافات

والتقاليد والعادات

(مسيح الهند)

بلا شك أن هذا الرجل المدعى المهدي والمسيحية الدنيا صراخاً واثراً الكتب والرسائل
الناطقة بدعواه في الهند تم في سائر الأقطار الإسلامية . ولكن لا يفهم أحد حقيقة
مراده والأصول التي يدنو إليها كتبه ورسائله كملها سجع كسجع السكبان بل هو
أقل وأضعف فإن صبر الإنسان على قراءته ليفهم مراده يرجع إلى ذهنه بعد القراءة
فلا يجد فيه إلا إطراد هذا المدعى أو المدعى نفسه والإغراق في الشناء عليها ودم الذين
لا يؤمنون به ولا يجيبون دعوته . وربما يجد في الكتاب الطويل كلمات في دينه الجديد
لا يعقل أحد لها فائدة إلا تزلفه للانكباب لتركوه وشأنه يتمتع بلقبه الذي زعم أن الله
منحه إياه (المسيح) كمنسجته حكم الجهاد وتحريمه على المسلمين وكدهج الانكليز
والدعاء لهم لأنهم محمونه

ليخبرنا هذا المسيح الدجال أن المسلمين المشتغلون بالجهاد فيجعل ركن دعوته
وأس إصلاحه ارجاعهم عنه . ألم ير أن معظم بلادهم ذهبت من أيديهم لاهلهم

أمر للدافعة عنها؟ أم ير أن الأجاب الذين يعيبونهم بأنهم أمة حربية قد سبواهم في
الفنون الحربية حتى سادوا عليهم؟ فهل نزل عليه الوحي من أوربا بأن الحرب عار
على المسلمين، وفضيلة للمسيحيين، فصدق الوحي الأوربي وقام يدعو إليه قومه
ليهديمهم ويلم شهرهم ويرأب صدعهم

يرغم أن الأخبار الواردة في نزول المسيح كلها تصدق عليه. الأخبار ناطقة
بنزول عيسى ابن مريم فآين عيسى عليه السلام، من غلام أحمد القادياني عليه اللام.
الأخبار ناطقة بأن المسيح ينزل من السماء بين ملكين فآين الهند من السماء؟ وآين
للاكلمة من أتباعه البنداء؟ الأخبار تصف المسيح بما لا ينطق عليه مهما تنطع في
التأويل. وزخرف الأباطيل. يقول ان ظاهر القرآن يدل على أن المسيح قد توفي
وأمرهم اكتشفوا قبره. تقول إذا سلمنا لك أنه مات لأنه هو ظاهر القرآن فهل يدل
موته على أنك أنت المراد بالأخبار الواردة في نزوله؟ كلا. فإما أن تؤول الأحاديث
تأويلاً مقبولاً وإما أن تقول إنها غير صحيحة متسا وإن صحت سنداً لأن القرآن متواتر
قطعي وهو كلام الله تعالى فكل قول خالفه فهو باطل إذا كان لا يتفق معه بالتأويل

يدعى هذا الدجال أنه جاء بخوارق العادات لأنه ألف كتاباً عظيماً في عيته
وحقير! في أعين الناس، لما فيه من الهديان والوسواس، فإذا كان التأليف السخيف
دليل الهدية والمسيحية. فهل يكون التأليف الذي يستحسنه جميع العقلاء دليلاً على
الآلوهية؟ أظن هذا العاقل أن القرآن كان معجزة للنبي صلى الله تعالى عليه وآله
وسلم لأنه كتاب مؤلف؟ كلا إنه معجزة لأنه اشتمل على أعلى العلوم الإلهية والاجتماعية
التي اهتدى بها الناس وصلحت عقائدهم وأخلاقهم وقد ظهر مع ذلك بلسان أمي لم يتعلم
شيئاً. فهذا هو الوجه الأعلى في إعجازه. ومن وجوهها أنه وصل من البلاغة إلى
حد عجزت عن بلوغه البلغاء مع أن الجأني به لم يكن معروفًا بالبلاغة. ومن بلغ
الأربعين ولم يعرف له امتياز بالشيء فلا يقل أن ينتقل مرة واحدة إلى درجة يفوق
بها جميع الناس بذلك الشيء، إلا بإمداد من يده خرق العادات، والمؤيد من شاء
بالآيات البينات. وأما زعمه أن الفاتحة تدل على مسيحيته وإن لفظ الرحمن الرحيم
يدل على محمد خاتم الأنبياء وعلى مسيحه أحمد القادياني فهذا أجمع تلاعب بالقرآن
ويمكن أن يستدل صاحبه بكل كلام على كل شيء لأنه لا يتقيد بلغة ولا عقل ولا فهم
فحسب أن يرجع هذا القادياني إلى رشده، ونرى الجزر قلل من طغيانه ومدته.

﴿ مثال من أمثلة طفولية الأمة - إبطال مدرسة فرجلى ﴾

نحس حسين بك فرجلى واحتمى على نظارة المعارف المصرية منذ أربع سنين لأنها لم تقبل بعض أولاده في مدارسها ورسول له يحمسه أن ينشئ مدرسة ينسبها إلى نفسه تكون حجة على « وطنيته » وزلفى يترلف بها إلى أميره وسلطانها لأنها ضد المحتلين فأوحى إلى الجرائد أن تنوه به فتوهت وساعدناها نحن على تنويرها لأن إنشاء المدارس الأهلية هو أفضل عمل يعمله الأهلون لأمتهم وبلادهم والرياء قنطرة الإخلاص كما يقول الصوفية . ومما تبجح به وافتخر أن مدرسته تزيد على مدارس الحكومة بتعليم التركية إثباتاً لجنسيته ، وتعليم الدين خدمة للأمة . وقد كان أول دليل على انفراج زاوية الحلف بين القول والعمل أن اللجنة التي عقدها في داره لانتخاب المعلمين للمدرسة عرض عليها فيمن عرض من المعلمين رجل اعترفت اللجنة بأنه أقدر المعروضين على تعليم الدين والعربية ، ولكن فرجلى بك ومستشاريه من الأحداث الذين يسمون أنفسهم « الشبيبة المصرية الحقة » ويمتازون بكثرة اللفظ بالوطنية المهمة لم يقبلوا هذا المعلم لأنه ليس مصرياً . فلم تشفع لذلك الرجل عنده هؤلاء الوطنيين ديانته الإسلامية . ولا جنسيته العثمانية

مع هذا كنا ندعو أن يثبت هذا الرجل في عمله حياً في المحمدة ولكن بلغنا في هذه الأيام أنه لم يتم على اجازة المدرسة الصيفية الشهر حتى أرسل إلى معلمها يحيرهم بهزلم وإبطال المدرسة واختار هذا الوقت ليحرم الأساتذة من أجورهم مدقة الاجازة . الأمة في طفولية وسقوط الطفل ليس بمعجب وإنما العجيب ثباته فإذا سقطت مدرسة فرجلى فإن من ذوى المدارس الأهلية من هم أقوى عزيمته منه ولذلك ثبتت مدارسهم كالمدرسة العثمانية وكمدرسة الماجدى وغيرها . فلا نياش إذا سقط قوم ونهض قوم ما دمنا نرى الأمة متحركة لطلب العلم والعمل على أننا نرجو أن يثوب لفرجلى بك رشده وينثنى عن عزمه الأخير والله الموفقى وهو نعم النصير

(الوباء والعدوى) ثبت بالمشاهدة أن في المصاب بالهيفة الوبائية وبراذه مادة سامة حية تنمو وتزيد في الجوف الذى تدخله . فالعدوى التى تقولها الأطباء هى انتقال هذه المادة السامة من شخص إلى آخر كما ينتقل السوس والبقي والثعابين . إلا أن الفرق بين حبة الوباء وغيرها أن الأولى لا ترى إلا بالنظارة فلاحتياط الصحى هو ما يمنع انتقال حبة الوباء من مريض إلى صحى والدواء الذى يطهرون به أمتعة المصاب كالدواء الذى يقتل البقي والسوس . فما معنى إنكار هذه العدوى باسم الدين عن لا يعرفون ديناً ولا دنياً؟

يؤتى الحكمة من بناء ومن يؤتى
الحكمة فقد أوتي خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

الملك

١٣١٥

فبشر عباده الذين يستمعون القول
فيتوبون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الخميس غرة جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ - ٤ ستمبر (ايلول) سنة ١٩٠٢)

الاضطهاد في النصرانية والإسلام

(المقالة الثانية لذلك الأستاذ الحكيم والفيلسوف العليم)

ذكرت الجامعة في الجزء الثامن من السنة الثالثة في سياق الكلام على ما جرى لابن رشد ان للناس آراء في: هل الدين المسيحي أوسع صدراً في احتماله مجاورة العلم والفلسفة او ان الدين الاسلامي هو الارحم خلقاً والاوسع حلماً من الدين المسيحي في قبول أهل النظر في التكون اذا نزلوا بداره ، ولا ذوا بجواره ، و ذكرت أن للقائلين بتسامح الدين المسيحي مع العلم وأهله دون الدين الاسلامي أن فولثير وديدرو وروسوورنان قالوا فيما يضاد الدين ما قالوا ولم يصابوا بضرر وابن رشد لم يقل شيئاً سوى أنه قرّر ما قال أرسطو ووضحه مع تصريحه بسلامة اعتقاده ومع ذلك اهين وبصق على وجهه . وللقائلين بسعة حلم الاسلام ان الاسلام لم يحكم بأحراق احد لجرّد الزيف في عقيدته وكم حكمت المسيحية بذلك

ثم جعلت أهل الرأي الأول آخر من يتكلم وقالت: « فيرث عليهم
الأولون بقولهم: هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط أم مع
القريب والغريب معاً: ثم الا تذكرن الحروب والفتن التي قامت بين
شعوب المسلمين وحكامهم بسبب الاعتقادات الدينية فأضمت امتهم،
وفرقت كلمتهم، فلي يجوز ان تسوا محاربة شخص واحد وإيداعه (محاربة
للإنسانية) ولا تسوا كذلك محاربة شعب اشعب وأمة لأمة » اهـ

ثم قالت الجامعة إنها لا تفصل بين القوانين، ولكنها فصلت فيهما فصلين،
الأول في قولها: « إنا نرى ان السلطة المدنية في الاسلام مقرونة بالسلطة
الدينية بحكم الشرع لأن الحاكم العام هو حاكم وخليفة مما وبناء على ذلك فان
التسامح يكون في هذه الطريقة أصعب منه في الطريقة المسيحية فان الديانة
المسيحية قد فصلت بين السلطين فصلاً بديعاً بدلالة المسيل المختارة الحقيقية
وتمدن الحقيقي وذلك بكلمة واحدة: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله » وبناء على
ذلك فان السلطة المدنية في هذه الطريقة اذا بركت للسلطة الدينية مجالا
للضغط على حرية الأفراد من أجل اعتقاداتهم الخصوصية فضلاً عن قيام
وسق الارض بدمائهم البريئة فانها تجني جنابة هائلة على الإنسانية وعلى ذلك
لا يكون في هذه الطريقة من التسامح أكثر مما في تلك اذا بدا منها نقص
ولو كان هذا النقص أخذ من نقص شقيقتها لانه لا نقص أعظم من نقص
التسار على التمام » والتفصل الثاني في قولها: « ان العلم والفلسفة قد تمكنا
الى الآن من التغلب على الاضطهاد المسيحي ولذلك نماخر سهما في تربة اوربا
وأينع وأثمر التمدن الحديث ولكنها لم يتمكنا من التغلب على الاضطهاد
الاسلامي وفي ذلك دليل واقعي على ان النصرانية كانت أكثر تسامحاً » اهـ

﴿ الجواب الاجمالي ﴾

وإني أعجل في الجواب بما يلاقي هذين الحكمين اجمالا . أما الأول
فإن كان الإنجيل فصل بين السلطتين بكلمة واحدة فالقرآن قد أطلق القيد
من كل رأي بكلمتين كبيرتين لا كلمة واحدة . قال في سورة البقرة
« لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي فمن يكفر بالطاغوت
ويؤمن بالله فقد استمسك بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم »
وقال في سورة الكهف « وتال الحق من ربكم فمن شاء فليؤمن ومن شاء
فليكفر »

وأما الثاني فأسأل الجامعة في جوابه : أين الاضطهاد الواقع على العلماء
اليوم عند المسلمين ؟ وأين أولئك العلماء المضطهدون ؟ وأريد بالعلماء أولئك
الذين يساؤون من ذكرتهم من فواتير وديدر وروسو و أمثالهم . وكيف
ساع لها ان تقول ما تقول وهي في ارض مصر ومصر بلاد اسلامية
وحلها كما ترى ؟ فاذا أرادت شاهدة على حال المسيحية والعلم فلتمر بنظرها
اليوم على أسبانيا وانتقف برهة من الزمان ثم لتحكم . يمكنها ان تعد من
طلبة الملوم المسلمين مئين في مدارس المسيحيين من جزويت وقرير
وأما كان وهي مدارس دينية خصوصا مدارس الجزويت . فهل يمكنني ان
أجد طالبا واحدا مسيحيا في مدرسة دينية اسلامية يباح الدخول فيها لكل
طالب علم من أي ملة ؟ لا نجد الا قليلا منهم في مدارس الحكومة لعلمهم
انها مدارس رسمية لم يتم بناء تعليمها على الدين . فهل سمع ان والدا اضطهد
لانه بعث بولده الى مدرسة مسيحية يديرها قسوس مسيحيون ؟ الا بعد
هذا من تسامح الاسلام مع العلم اليوم ؟

لولا ان موضوع كلامي محدود باعتبار التسامح بالنسبة الى العلم والفلسفة
 وحدهما لذكرت لصاحب الجامعة أن يوجد في بلاده طائفتان تمد آحادها
 بالألوف وتزعم كل منهما ان لها نسبة الى الاسلام وهي تعتقد بما لا ينطبق
 على أصل من أصوله حتى أصل التوحيد والتنزيه عن الحلول ولا تقول
 بفرض من فروضه المعلومة منه بالضرورة . وأجمع فقهاء الأمة على انها
 من قبيل المرتدين والزنادقة لا تؤكل ذبائح افرادها ولا يباح لهم أن
 يتزوجوا من المسلمات وإنما اختلفوا في قبول توبة من تاب منهم ومن
 العلماء من قال لا تقبل توبته . وهم مع ذلك عاشون بجوار المسلمين ومضى
 عليهم ما يزيد على تسعمائة سنة وقد كانوا تحت سلطان المسلمين والاسلام
 في أوج القوة . دخلوا في حكم الأتراك وهم أيام كان ملك فرنسا يستنجد
 بملكهم وكانت عساكرهم على أسوار فينا . كان أولئك الذين يراهم المسلمون
 قد خرجوا من دينهم وأسرؤا عقيدة تناقض عقيدتهم قد ظهروا بأعمال تضاد
 أعمالهم وهم جيرانهم ومحت أيديهم وفي مكنيتهم محوهم ومع ذلك عاشوا الى
 اليوم ولهم أحبة وأصدقاء بين المسلمين . وللمسلمين بينهم مصافون وأوداء
 فهل عهد مثل ذلك عن المسيحيين ؟

غير ان موضوع قولي محدود كما قلت فلا أخرج عنه وأراني نظمت
 فيه بكلامي المجمل . واكن لا يكفي لبيان ما عرضت به الجامعة في قولها
 « هل يجب ان يكون التسامح مع القريب فقط او مع القريب والغريب
 الخ » ولا لتحقيق الحق فيما حكمت به في حكمها الا تفصيلا تعرض فيه
 حالة الدينين مع العلم تحت نظر القارئ على وجه يمكن معه الحكم عن
 فهم ، ولا تلبس فيه الحقيقة بالوهم

الجواب التفصيلي -

أرى الجامعة جاءت في كلامها باربعة أمور آتى بها على حسب ترتيب النسق في تميرها . (الأول) ان المسلمين قد تسامحوا لأهل النظر منهم ولم يتسامحوا مثلهم من أرباب الأديان الأخر (الثاني) ان من الطوائف الاسلامية طوائف قد اقتلت بسبب الاعتقادات الدينية (الثالث) ان طبيعة الدين الاسلامي تأبى التسامح مع العالم وطبيعة الدين المسيحي تيسر لاهله التسامح مع العلم (الرابع) ان إيناع ثمر المدنية الحديثة إنما تتمتع به الأوربيون بركة التسامح الديني المسيحي . فلا بد لي من الكلام على كل واحد من هذه الأمور الأربعة وابتدى منها بالثاني لقلة الكلام عليه

في القتال بين المسلمين لأجل الاعتقاد

لم يسمع في تاريخ المسلمين بقتال وقع بين السلفين (الآخذين بعقيدة السلف) والأشاعرة مع الاختلاف العظيم بينهما ولا بين هذين الفريقين من أهل السنة والمعتزلة مع شدة التباين بين عقائد أهل الاعتزال وعقائد أهل السنة سلفيين وأشاعرة - كما لم يسمع بان الفلاسفة الاسلاميين تألفت لهم طائفة وقع الحرب بينها وبين غيرها . نعم سمع بحروب تعرف بحروب الخوارج كما وقع من القرامطة وغيرهم وهذه الحروب لم يكن مثيرها الخلاف في العقائد وإنما اشعلتها الآراء السياسية في طريقة حكم الأمة . ولم يقتتل هؤلاء مع الخلفاء لأجل أن ينصروا عقيدة ولكن لأجل أن يغيروا شكل حكومة . وما كان من حرب بين الأمويين والهاشميين فهو حرب على الخلافة وهي بالسياسة أشبه بل هي أصل السياسة نعم وقعت حروب في الازمنة الأخيرة تشبه أن تكون لأجل العقيدة

وهي ما وقع بين دولة إيران والحكومة العثمانية وبين الحكومة العثمانية والوهابيين ولكن يتسنى لباحث بأدني نظر ان يعرف انها كانت حروبا سياسية ويبرهن على ذلك بالولاء المتمكن بين الحكومتين اليوم مع بقاء الاختلاف في العقيدة وبين الحكومة العثمانية وابن الرشيد أمير الوهابيين اما الحروب الداخلية التي حدثت بعد استقرار الخلافة في بني العباس وأضعفت الأمة وفرقت الكرامة فهي حروب منشأها طمع الحكام وفساد أهوائهم وجبهم الاستئثار بالسلطان دون سواهم . ومصدر ذلك كله جهلهم بدينهم وارتخاء حبل التمسك به في أيديهم . واكبر داء دخل على المسلمين في همهم وعقولهم انما دخل عليهم بسبب استيلاء الجبهة على حكومتهم . أقول « الجبهة » وأريد أهل الخشونة والفظرة الذين لم يهذبهم الإسلام ولم يكن لمقائده تمكّن من قلوبهم . ولو رزق الله المسلمين حاكما يعرف دينه ويأخذهم بأحكامه لرأيهم قد نهضوا والقرآن الكريم في إحدى اليدين وما قرر الاولون وما اكتشف الآخرون في اليد الاخرى ذلك لا خرتهم وهذا الدنيا هم وساروا يزاخمون الاوربيين فيزخمونهم

مالنا وللحكام نمرض لهم ؟ الذي عليّ ان أقول ولا أخشى منازعا : انه لم تقع حرب معروفة بين المسلمين للحمل على عقيدة من العقائد أو على تركها . على ان هذا الأمر الذي جاءت به الجامعة والجائنا الى الكلام فيه خارج عن الموضوع بالمرّة لأن الكلام في التسامح الديني مع العلم لا في تسامح عقيدة مع عقيدة أو دين مع دين وإلا لأوردنا لها من حروب الطوائف المسيحية بعضها مع بعض وحروبها مع غيرها ما يستغرق أجزاء الجامعة بقية هذه السنة اذا أوجزنا ما استطعنا . هل أذكرها بما كان يقع

في الفيلسوفية من سنك الدماء بين الارثوذكس والكاثوليك على عهد
 القياصرة الرومانيين ؛ هل أذكرها بحادثة برتلمي سنهالير التي سفك
 فيها الكاثوليك دماء إخوتهم البروتستانت وأخذوهم في بيوتهم على غمرة
 وقتلوهم نساء ورجالاً وأطفالاً ، بماذا أذكر الجامعة من أمثال هذه الوقائع
 التي أسود لها لباس الانسانية ، وتسأبت لحدوثها البشرية ؛ هل يمكن
 لأحد أن يروي حادثة مثابا وقعت بين شعوب المسلمين بعضهم مع بعض
 بخلاف في العقيدة مها عظم الاختلاف

أهل المسلمين مع أهل العلم والنصر من كل ملة

ثم أرجع الى الأمر الأول من الأمور الأربعة لأن الكلام عليه
 أول منه على الأمر الثالث ، وانني لا أستدل على رعاية الإسلام للحكام من
 المثل في المسألة بقول كاتب مسلم وإنما أرجع في جميع ما أذكر الى كتب
 المؤرخين والفلاسفة من المسيحيين وأذكر أسماء جماعة من المسيحيين وغيرهم
 بانفوا من الخلفاء عند الخلفاء وعناية المسلمين وخاصتهم بالم يأنه غيرهم
 قال المسير درابر أحد المؤرخين وكبار الفلاسفة من الاميركان :
 « ان المسلمين الأولين في زمن الخلفاء لم يقتصروا في ماملة أهل العلم من
 النصارى النسطوريين ومن اليهود على مجرد الاحترام ، بل فوضوا
 اليهم كثيراً من الاعمال الجسام ، ورفقوهم الى المناصب في الدولة حتى ان
 هارون الرشيد وضع جميع المدارس تحت مراقبة حنا مسنيه » (هو يوحنا
 ابن اسويه الشهير) وقال في موضع آخر : « كانت ادارة المدارس مفوضة
 مع نبل الرأي وسعة الفكر من الخلفاء الى النسطوريين تارة والى اليهود
 تارة أخرى . لم يكن ينظر الى البلد الذي عاش فيه العالم ولا الى الدين

الذي ولد فيه بل لم يكن ينظر الا الى مكانته من العلم والمعرفة. قال الخليفة
 العباسي الاكبر المأمون: « ان الحكماء هم صفوة الله من خلقه ونخبته
 من عباده لأنهم صرفوا عقولهم الى تيل فضائل النفس الناضجة وارتفعوا
 بقواهم عن دنس الطبيعة هم ضياء العالم وهم روض قوائمه ولولاهم لسقط
 العالم في الجهل والبربرية ». وقال في موضع آخر: « ان العرب قد حذر
 بجيش من أطبايهم اليهود ومؤيدي أولادهم من النسطوريين ففتحوا من
 مملكة العالم والفلسفة ما أتوا على حدوده بأسرع مما أتوا على حدود مملكة
 الرومانيين ». ولست في حاجة الى ذكر ما أسس الخلفاء والملوك من
 المدارس وأقاموا من المراسد وما حشدوا من الكتب الى المكاتب لأن
 هذا خارج عن بحثنا الآن وسيرد عليك شيء منه فيما بعد.

- في طائفة من الحكماء والعلماء الذين حظوا عند الخلفاء بتميز

أذكر ممن اشتهر من الحكماء بالخطوة عند الخلفاء جيورجيس ابن
 ميخائيل الجنديسابوري شبيب المنصور كان فيسوقا كبيرا أعنت منزلته
 عند المنصور لأنه كانت له زوجة عجوز لا تشي به فيفق عليه المنصور فنفذ
 اليه ثلاث جوار حسان فردهن وقال: ان ديني لا يسمح لي بأن أتزوج
 غير زوجتي ما قدمت حية. فأبى ملكته حتى على وزيرة. وقد عرض
 أم المنصور بحمله في دار الماء فخرج به ماشيا يسأل من حده فاستدعاه
 الحكيم في راحته الى بده يدفن مع بقية عرض عليه أن يتركه في
 حانة فلان. رضيت أن تكوني زوجتي في حية أو كرم ويطهر ذلك المنصور
 وأم خيريزه ووصف منسوقا أنما في حية أو كرم ويطهر ذلك المنصور
 بالامساك وكثرة اليد أو موسى من معه حية أو كرم ويطهر ذلك المنصور

مدفن آباؤه كما طالب . ثم سأل عن يخلفه عنده فأشار الى عيسى بن شهبان أحد تلامذته فأخذه المنصور . كان جيورجيس فطوق يؤذي القسوس والبطارقة ويهددهم بمكانه عند الخليفة لينال منهم رغبته فشر الخليفة بذلك فطرده ومن حظي عند المنصور نوبخت النجم وولده أبو سهل وكانا فارسين على مذهب الفرس ثم كانت فرية مسامة لأبي سهل وكانوا جميعاً نجسين لهم شهرة في علوم الكواكب فافقه

ومن حظي بالمسكنة العليا عند الخليفة المهدي يوفيل بن توما النصراني النجم وكان على مذهب الموارنة من سكان لبنان . وله كتب في التاريخ جلييلة ونقل كتاب أميروس الى السريانية بأفصح عبارة . ومن ارتفع شأنه عند الرشيد من الفلاسفة بختيشوع الطيب وجبريل ولده ويوحنا بن ماسويه النصراني السرياني . ولده الرشيد ترجمة الكتب القديمة طيبة وغيرها وخدم الرشيد . ومن بعده الى المتوكل . وكان يعقد في داره مجلساً للدرس والمناظرة ولم يكن يجتمع في بيت للمذاكرة في العلوم من كل نوع والآداب من كل فن مثل ما يجتمع في بيت يوحنا بن ماسويه . ومن علاقته في زمن المأمون يوحنا البطريق . وولى المأمون أقامه كذلك أميناً على ترجمة الكتب من كل علم من علوم الطب والفلسفة . وكذلك ارتفع شأن سهل بن سابور وسابور ابنه وكانا نصرانيين . وولى سابور بن سهل بيارستان جندي سابور

وكان سلمويه بن بنان النصراني طبيباً عند المعتصم ولما مات جزع عليه جزعا شديداً وأمر بأن يدفن بالبخور والشموع على طريقة النصارى وكان بختيشوع بن جبريل عند المتوكل يوماً فأجلسه بجانبه وكان

عليه دراعة حرير رومية بها فتق فأخذ المتوكل يحادثه ويمبث بالفتق حتى وصل الى النيفق (هو ما اتسع من الثوب) ودار الكلام بينهما حتى سأله المتوكل : بماذا تعلمون أن الموسوس (المصاب بنجل في عقله) يحتاج الى الشدة؟ فقال مجتثشوع: اذا عبت بفتق دراعة طيبه حتى بلغ النيفق شددناه . فضحك المتوكل حتى استلقى

وفي أيام المتوكل اشهر حنين بن اسحق النصراني المبادي وهو من أشهر المترجمين لكتب ارسطو وغيره وامتنحن المتوكل صدقه فظهرت له عزيمته لا تفل فأفطمه اقطاعات واسعة . وكان قد عرف بفصاحة العبارة وحسن الترجمة في زمن المأمون وهو في فكلفه بترجمة الكتب وكان يعطيه وزن ما يترجم ذهباً . وكانت بينه وبين الطيفوري النصراني محاسنة أفضت الى طلب الحكم على حنين في مجلس الاساقفة بالحرم من الكنيسة فمات نهماً لا يضطهاد أهل طائفته له مع عزيمته وعلو قدره عند الخليفة وهذا الطيفوري أيضاً كان من المقربين عند الخلفاء

ومن ارتفع شأنه عند الخلفاء والخاصة والمامة في زمنه أيام خلافة الراضي متى بن يونس المنطقي النصراني النسطوري كان متفناً في جميع العلوم العقلية أخذ عنه أبو نصر الناراني ونهت اليه الرياسة في بغداد وكان من أهل دير قتي ونشأ في مدرسة مارماري وقرأ على روفائيل وبنيامين الراهبين اليمقويين .

ومن المقربين عند الخلفاء قسطا البصابكي من فلاسفة دراه الاسلام وهو نصراني طلبه الخلفاء لي بغداد لأجل الترجمة ثم نجح بن عدي بن حميد بن زكريا المنطقي انتهت اليه الرياسة ومعرفة العلوم الحكمية في وقته

وقرأ على متى بن يونس وعلى أبي نصر الفارابي
ومنههم أبو الفرج بن الطيب فيلسوف عالم . قالوا كان كاتب الجاثليق
ومتميزا في النصارى ببغداد وكان يقرى صناعة الطب في البيمارستان العضدي
وكان معاصراً للشيخ الرئيس ابن سينا والرئيس يمدح طبه ولا يحمد فلسفته
وله كلام فيه

ومن كانت له المكانة الرفيعة عند الخلفاء والخاصة والعامّة ثابت بن
قرة الحرّاني الصابي من طائفة الصابئين المعروفة وتربى في بيت محمد بن
موسى بن شاكر الفيلسوف المشهور وبلغ في علوم الفلسفة مبلغاً لم يدانه فيه
غيره وله تأليف كثيرة في المنطق والطب والرياضيات وبلغ عند المعتضد
مقاماً تقدم فيه عنده على وزرائه . وولد ثابت هذا سنة احدى عشرة
ومئتين بجرّان . ثم كان ابناه ابراهيم وسنان على قدم أبيهما . ومن خلفته
أبو الحسن ثابت بن قرة . وكان ثابت وابراهيم وسنان صابئين ولهم من
المنزلة ما علمت ومدحهم كثير من شعراء المسلمين وهم صابئة

ماذا أعدد للجامعة من الفلاسفة والحكماء من الملل المختلفة الذين
وسمهم صدر الاسلام . ولم يرض عليهم بالرعاية والاحترام . هل تريد أن
أتم لها الكلام بذكر كثير من فلاسفة الاسلام المسلمين الذين نالوا السمي
الدرجات وأعلى المقامات عند الخلفاء والملوك . هل أنا في حاجة الى ذكر
فيلسوف الاسلام أبي يوسف يعقوب الكندي وهو بصري الاصل .
ابن الامير اسحق الذي كان أميراً للمهدي والرشيدي على الكوفة وهو من
ذرية الاشعث بن قيس أحد أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان
عالماً بالطب والفلسفة والهيئة والحساب والموسيقى واشتغل بالترجمة كما اشتغل

غيره بها فترجم كثيراً من كتب الفلسفة وأوضح الغامض منها وكانت له
المكانة العليا عند المأمون والمنتصم وولده احمد . هل أنا في حاجة الى ذكر
نبي موسى بن شاكر محمد وأحمد والحسن الذين اشتغلوا في مساحة الكرة
الأرضية ومعرفة محيطها وقطرها وما كان لهم من المنزلة عند الامراء
والخلفاء؟ أذكر ابن سينا ومنزلته في قومه ووصوله الى مسند الوزارة
عند شمس الدولة؟ أم أذكر الفارابي وما كان له من المكانة عند سيف
الدولة بن حمدان .

لا ريب ان أبا العلاء الميري يصلح ان يكون رجلاً ممن تعنى الجامعة
بنشر تراجمهم وقد قال ما لم يقل بمثله فولتير وروسو وقد مات مع ذلك على
فراشه وقبره اليوم مزار يرحل اليه في بلده .

أظن انه سهل بعد سرد ما عددناه ان يعرف قراء الجامعة ان الاسلام
كان يوسع صدره للغريب كما يوسع القريب بميزان واحد وهو ميزان
احترام العلماء للعلم . ويسهل علي ان التمس المنذر للجامعة بأنها عندما كتبت
ما كتبت تمثلت لها بعض حوادث قيل انها حدثت للدين وما حدثت له .
بل كان سبب حدوثها اما سياسة خرقاء . أو جهالة عمياء . أو تأريث بعض
السنهاء . لا أطيل خوف الاملال . وانتقل الآن الى الامر الثالث وهو
المقابلة بين طبيعة الدين وهو أهم مما سبق ومما سيلحق

طبيعة الدين المسيحي وأصوله

(تمهيد) ظنت الجامعة ان الدين المسيحي فصل بين السادة الدينية
والسلطة المدنية ولذلك كان في طبيعته التسامح . أما الدين الاسلامي فمن
أصوله ان السلطان ملك وخليفة ديني وذلك مما يصعب معه التسامح في رأيها

ليس هذا بكاف في بيان طبيعة كل من الدينين واستعدادها للتسامح مع العلم أو مع أية عقيدة تخالفها بل لا بد من بيان أركان الدين وأهم أصوله التي ترجع إليها جميع الفروع ومنها تصدر الآثار الحقيقية عند النظر في أي دين للحكم له أو عليه في قضية من القضايا يجب أن يؤخذ مخصصاً مما عرض عليه من بعض عادات أهله أو محدثاتهم التي ربما تكون جاءتهم من دين آخر . فإذا أريد أن يحتج بقول أو عمل لا يتبع ذلك الدين في بيان بعض أصوله فليؤخذ في ذلك بقول أو عمل أقرب الناس إلى منشأ الدين ومن تلقوه على سذاجته التي ورد بها من صاحب الدين نفسه . وانني أوجز القول في إيراد الأصول الأولى التي وردت في الأناجيل المروفة الآن في أيدي المسيحيين . وجاءت في كلام أئمتهم الأولين . ثم إيراد ما جبر إليه الأخذ بتلك الأصول بحكم طبيعة الدين

- ❦ الاصل الاول للنصرانية الخوارق ❦ -

أول أصل قام عليه الدين المسيحي وأقوى عمادله هو خوارق العادات . تقرأ الأناجيل فلا تجد للمسيح عليه السلام دليلاً على صدقه إلا ما كان يصنع من الخوارق وعددها في الأناجيل يطول شرحه . ثم انه جمل ذلك دليلاً على صحة الدين لمن يأتي بعده فجعل لأصحابه ذلك كما تراه في الإصحاح العاشر من انجيل متى وغيره . وإذا تبعت جميع مآثر الأهلون من أهل هذا الدين تجد خوارق العادات ، من أظهر الآيات على صحة الاعتقادات . ولا يخفى أن خارق المادة هو الأمر الذي يصدر مخالفاً لشرائع الكون ونواميسه . فإذا ساغ أن يكون ذلك لكل من علا كعبه في الدين لم يبق عند صاحب الدين ناموس يعرف له حكم مخصوص

زاد الإنجيل على هذا ان الإيمان ولو كان مثل حبة خردل كاف في خرق نواميس الكون كما قال في الاصحاح السابع عشر من متي : « فالحق أقول لكم لو كان لكم إيمان مثل حبة خردل لكنتم تقولون لهذا الجبل انتقل من هنا الى هناك فينقل ولا يكون شيء غير ممكن لديكم » وفي الحادي عشر من مرقس « ٢٣ لأنني الحق أقول لكم ان من قال لهذا الجبل انتقل وانطرح في البحر ولا يشك في قلبه بل يؤمن ان مايقوله يكون فمماقال يكون له ٢٤ لذلك أقول لكم كل ماطلبونه حينما تدلون فآمنوا ان تنالوه فيكون لكم »

فكل بحث يؤدي الى أن للكون شرائع ثابتة وان للعالم والشرائع أو الاسباب أو الموانع أحكاما في معلولاتها أو ماشرطت فيه أو ما تسبب عنها أو ما استحال وجوده لوجودها كان مضافا لهذا الاصل في أي زمن وقد كان كل علم من علوم الاكوان لا بد فيه من هذا البحث فكل علم مضاف لهذا الاصل . ثم ان صاحب الاعتقاد بهذا الاصل لا يحتاج الى البحث في الاسباب والمسببات لأن اعتقاده في الشيء ان يكون وارادته لأن يكون كافيان في حصوله فهو في غنى عن العلم والعلم عدو لما يعتد فما أصعب احتماله اذا جاء بزاجحه في سلطانه

عن الأصل الثاني للنصرانية سلطة الرؤساء

وبعد هذا الأصل أصل آخر وهو السلطة الدينية التي منحت للرؤساء على الرؤسيتين في عقائدهم وما تسكنه ضميرهم . وقد أحكم هذه السلطة ماورد في ١٦-١٩ من انجيل متي : « أعطيتك مفاتيح السموات فكل ما تربطه على الأرض يكون مربوطا في السموات وكل ما تحله على

الأرض يكون محلولاً في السموات» وفي ١٨ - ١٨ منه «الحق أقول لكم كل ما تربطونه على الأرض يكون مربوطاً في السماء . وكل ما تحلونه على الأرض يكون محلولاً في السماء»

فإذا قال الرئيس الكهنوتي اشخص انه ليس بمسيحي صار كذلك وإذا قال انه مسيحي فاز بها فليس المعتد حراً في اعتقاده يتصرف في معارفه كما يرشده عقله بل عيناً قلبه مشدودتان بشفتي رئيسه فإذا اهتزت نفسه الى بحث أوقفها قابض على تلك السلطة . وهذا الأصل ان نازع فيه بعض النصارى اليوم فقد جرت عليه النصرانية خمسة عشر قرناً طوالاً

﴿ الأصل الثالث للنصرانية ترك الدنيا ﴾

يؤيد هذين الاصلين أصل ثالث وهو التجرد من الدنيا والانقطاع الى الآخرة . تجدد هذا الأصل في الانجيل وفي أعمال الرسل وكلمات في الكتب الأولى عشرت به . وتجدد الأمر الصادر بالانقطاع الى ملكوت السموات من عالم الملك صريحة في الاصحاح السادس والعاشر والتاسع عشر من انجيل متى . فما جاء في السادس : « لا تقدر ان تأخذوا الله والمال » لذلك أقول لكم لا تهتموا بحياتكم بما تأكلون وبما تشربون ولا لأجسادكم بما تلبسون ألبست الحياة أفضل من الطعام والجسد أفضل من اللباس (الى أن قال) ٣٣ ولكن اطلبوا أولاً ملكوت الله وبره وهذه كلها تزاد لكم ٣٤ فلا تهتموا للفناء ان الغديتهم بما لنفسه يكفي اليوم شره » وقال في التاسع عشر : « ٣٣ الحق أقول لكم انه يسر ان يدخل غني ملكوت السموات ٣٤ وأقول لكم أيضاً ان ضرور حمل من ثقب إبره يسر من أن يدخل غني الى ملكوت الله » وفي العاشر : « لا تقنوا

ذهباً ولا فضة ولا نحاساً في مناطقكم ١٠ ولا مزوداً للطريق ولا توبين
ولا أحذية ولا عصا الخ »

وحت على الرهبانية وترك الزواج وفي ذلك قطع النسل البشري قال
في (١٩ من متى :) « ويوجد خصيان خصوا أنفسهم لاجل ملكوت
السموات من استطاع أن يقبل فليقبل » . ثم ان ملكوت السموات
قد نيط أمره بالايمان المجرد عن النظر في الاكوان فاذا يكون حظ
صاحب الاعتقاد بهذا الاصل من النظر في أي علم والعلم لا دخل له في شؤون
الآخرة والدنيا قد حرمت عليه . لا ريب ان همه يكون في الصلاة وصراف
القلب بكنيته الى العبادة دون سواها وليس الفكر في الحليقة من العبادة
عنده فان عبادة الانجيل ليست شيئاً سوى الايمان والصلاة

الأصل الرابع للنصرانية الايمان بغير المعقول

وبعد هذه الأصول أصل رابع وهو عند عامة المسيحيين أصل
الأصول لا يختلف فيه كاثوليك ولا ارتوذكس ولا بروتستانت وهو ان
الايمان منحة لا دخل للعقل فيها وان من الدين ما هو فوق العقل بمعنى
ما يناقض أحكام العقل وهو مع ذلك مما يجب الايمان به . قال القديس
السيمون : « يجب ان نعتقد أولاً بما يمرض على قلبك بدون نظر ثم اجتهد
بعد ذلك في فهم ما اعتقدت » فليس الايمان وهو الوسيلة الفردة الى النجاة
في حاجة الى نظر العقل والكون وما فيه لا يهم المؤمن ان يجيل فيه نظرة .
ويقول القديس « ثم اجتهد بعد ذلك في فهم ما اعتقدت » نوع من التفضل
على النزعة البشرية الى الفهم وعلى الميل الفطري الى تصور ما يتعلق به الاعتقاد
والا فجرد الايمان كاف في الخلاص . ثم الويل كل الويل لطالب الفهم اذا

أدى اجتهاده في شيء يخالف ما يتعلق به إيمانه فكان مني الفهم ان يحتاج
 المؤمن لنفسه ما يسلي به نفسه على إيمانه بغير المفهوم
 (الأصل الخامس لتفسيرانية الكتب المقدسة حاوية كل ما يحتاج اليه البشر في العاش والمعاد)
 ثم ينضم الى الأصول الأربعة خامس وهو ان الكتب المعروفة بالمهد
 القديم والمهد الجديد تحتوي على كل ما يحتاج البشر الى علمه سواء كان متعلقاً
 بالاعتقادات الدينية والآداب النفسية والاعمال البدنية مما يؤدي الى نيل
 السعادة في الملائكوت الأعلى أو كان من المعارف البشرية التي يتأتى للمعتدل
 الانساني ان يتمتع بها . قال تيرتوليان (وهو أفضل من وصف الاعتقاد
 المسيحي في نهاية القرن الثالث قبل ان تمرض عليه البدع الكثيرة) : « ان
 عقائد المسيحية أسست على الكتب السماوية ودليل صحة هذه الكتب
 قدمها وكونها أقدم من كتاب أميروس وأقدم من أقدم أثر معروف عند
 الرومانيين وأقدم من تأسيس الحكومة الرومانية نفسها والزمن ناصر
 الحقيقة ثم تحقق النبوءات التي وردت فيها » ثم قال : « ان أساس كل علم
 عندهم هو الكتاب المقدس وتقاليد الكنيسة وان الله لم يقصر تعليمنا
 بانوحي على الهداية الى الدين فقط بل علمنا بالوحي كل ما أراد ان نعلمه من
 الكون فالكتاب المقدس يحتوي من العرفان على المقدار الذي قدر للبشر ان
 يتلوه . » جميع ما جاء في الكتب السماوية من وصف السماء والارض وما فيها
 وتاريخ الالام مما يجب تسميته مرها ضارب العقل أو مخالف شاهد الحس
 فعلى الناس ان يؤمنوا به أولاً ثم يجتهدوا ثانياً في حمل أنفسهم على فهمه أي
 على تسميته أيضاً كما ترى وقال بعض فضلائهم : انه يمكن ان يؤخذ من الهادئ
 بأكثره من الكتاب المقدس

الأصل السادس النصرانية التفريق بين المسيحيين وغيرهم حتى الأقربين ﴿٣٤﴾
 ينظم تلك الأصول كلها أصل سادس وهو آخرها فيما أرى . ذلك
 الأصل هو الذي ورد في الإصحاح المباشر من إنجيل متى وهو: « لا تظنوا
 أنني جئت لألقي سلاماً على الأرض ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً ٣٥
 فاني جئت لأفرق الانسان ضد أبيه والابنة ضد أمها والكنة ضد حماها
 ٣٦ وأعداء الانسان أهل بيته . » وقد صرح في عدة مواضع من الإنجيل
 ان الإخلال بشيء من محبة المسيح أو بالانقياد الى جميع ما أوصى به موجب
 للهلاك وان كان قد جاء في مواضع كثيرة ان الايمان وحده كاف في الخلاص
 غير ان روح الشدة التي جاءت في قوله « لا تظنوا أنني جئت لألقي سلاماً بل الخ »
 هي التي بقي أثرها في نفوس الاولين من المعتقدين بالدين المسيحي وعفت
 على آثار ما كان يصح ان تستشعره النفوس من بعض الوصايا الأخر

نتائج هذه الأصول وآثارها ﴿٣٧﴾

من هنا أعرض المسيحيون الأولون عن شواغل الكون وصدوا
 عن سبيل النظر فيه اظهاراً لاغنى بالايمان والمعبادة عن كل شيء سواها
 وحجروا على هم النفوس ان تهض الا الى الدعوة الى ذلك الايمان وتلك
 المعبادة ووسائل الدعوة هي الايمان والمعبادة كذلك فاذا نزلت العقول الى
 علم شيء من العالم وضعوا امام نظرها كتب المهدي القديم وحضروا العلم بين
 دفتها استغناء بالوحي عن كل عمل للعقل سوى فهمه من عباراته وليس
 يسوغ لسكنى ذي عقل فهمه بل انما يتلقى فهمه من رؤساء الكنيسة خوفاً
 من الزيف عن الايمان السليم (البروتستانت رأوا أنه يجوز تفسير الكتاب
 لغير الكنيسة)

ثم ان لقاء السيف ووضع التفريق بين الاقارب والاحبة انما جاء حافظاً لذلك كله فاذا خطر على قلب أحد خاطر سوء يرمي الى موارضة شيء من أمور الايمان المقررة وجب قطع الطريق على ذلك الخاطر ولم يجز في شأن صاحبه هوادة ولا مرحمة كما أفهمه المسيح بعمله على حسب ما ورد في الانجيل فقد قيل له: «٤٧» أمك وأخوتك واقفون خارجاً طالبين أن يكلموك ٤٨ فأجاب وقال للقائل له من هي أمي ومن هم اخوتي ٤٩ ثم مديده نحو تلاميذه وقال لها أمي واخوتي . ونحو ذلك مما يدل على وجوب المقاطعة بين من يعتقد بالدين المسيحي ومن يحيد عن شيء من معتقده ولا يخفى ان الشيء يكون بزرة ثم نباتاً ثم شجراً فانظر الى ما صار أمر هذه البدايات بحكم الطبيعة . وقر في نفوس المسيحيين ان السلامة في ترك الفكر والأخذ بالتسليم وتقرر عند القوم قاعدة «ان الجهالة أم التقوى» (وكثير من أهل الأديان مسيحيين ومسلمين لا يزالون يجرون على هذه القاعدة ببركة ما ورثوا عن أبناء الزمن الغابر) فحصروا التعليم في الأديار ومنعت الكنيسة ان ينشر التعليم بين العامة الا ما كان دعوة الى الصلاح وتقرير الايمان على وجه ظاهر . وبقي غير القسيسين في جهالة حتى بأمور الدين وحقائقه وأسراره . ظهرت ذات الذنب التي تنسب الى هالي في سنة ١٦٨٢ فاضطربت لظهورها اوربا ولجأوا الى البابا واستجاروا به فاجارهم وطردوا من الجوفولت في الفضاء مذعورة من لعنته ولم تعد الا بمدخس وسبعين سنة !!

لم يكن يسمح لأحد أن يبدي رأياً يخالف صريح ما في الكتاب وعندما أظهر بلاج رأيه في أن الموت كان يوجد قبل آدم أي ان الحيوانات كان يدركها الموت قبل ان يخطئ آدم بالأكل من الشجرة قام لذلك

ضوضاه وارتفعت جلبه وانتهى الجدل والجلاد الى صدور أمر امبراطوري
بقتل كل شخص يمتد بذلك . يقول المؤرخ : وهكذا اعتقاد بأن
الموت كان يزور الاحياء قبل آدم جريمة على الملك

أحرقت كتب البطالسة والمصريين بالاسكندرية على عهد جول قيصر
ثم ان تيوفيل بطريك الاسكندرية اتحل اذنى الاسباب لاثارة ثورة في
المدينة لاتلاف ما بقي في مكتبة البطالسة بعضه بالاحراق وبعضه بالتبديد .
قال اوروسوس المؤرخ انه رأى ادراج المكتبة خالية من الكتب بعد
ان نال تيوفيل الأمر الامبراطوري باتلافها بنحو عشرين سنة

ثم جاء بعد تيوفيل ابن اخته سيريل وكان خطيباً مفوها له على الشعب
سلطان بفصاحته وكان في الاسكندرية بنت تسمى هيباتي الرياضية تشتغل
بالعلوم والفلسفة وكان يجتمع اليها كثير من أهل النظر في العلوم الرياضية
وكان لا يخلو مجلسها من البحث في أمور أخر خصوصاً في هذه المسائل
الثلاث : من أنا والى أين اذهب وماذا يمكنني ان أعلم . فلم يحتمل ذلك
القديس سيريل مع ان البنت لم تكن مسيحية بل كانت على دين آبائها
المصريين فأخذ يثير الشعب عليها حتى قعدوا لها وقبضوا عليها في الطريق
وهي سائرة الى دار ندوتها وجردوها من ثيابها وأخذوها الى الكنيسة
مكشوفة المورة وقتلوا هناك ثم قطع جسمها وجرد اللحم عن العظم وما
بقي منها ألقى في النار . يقول المؤرخ راوي هذه القصة : ولم يسأل سيريل
عما صنع بهيباتي ولم تنظر الحكومة الرومانية فيما وقع عليها وامل ذلك كان
أول ما تقررت تلك القاعدة : « الغاية تشفع للوسيلة »

ما من عقيدة ظهرت في المسيحية وأريد تقريرها من فريق ونازع فيها

فريق الاوقد سالت لها الدماء فليراجع التاريخ لتشتمل أرض مصر مصبوغة بدماء المسيحيين من فريقين مختلفين عندما أريد تقرير عبادة العذراء وأخذها لله أمأه. كان ذلك في طبيعة الدين : ان من لم يتبع المسيح فهو هالك والهالك لا يستحق الحياة . ألم ترى الاصحاح الخامس من الأعمال الى قصة الرجل الذي باع جميع ما عنده وعندما اجاء الى بطرس أعطاه الثمن وادخل نفسه شيئاً أخفاه عنه فاطاع بطرس على حقيقة الأمر ووبخ الرجل وتصرف فيه بسباب حياته من طريق المسخرة ثم جاءت امرأته وكان لها اطلاع على ما أخفى بها ولم تكلمه فوبخها بطرس وأخبرها بموت زوجها فماتت هي أيضاً . فإذا كان الله يسلب حياة جزاء على اختلاس الرجل شيئاً من مال نفسه يقدمه هدية للرسل فكيف تكون الحياة من حقه اذا خالف خلقاء الله في الارض وتأبذهم فيها يعتقدون

قال البابا أنوسان الثالث عند الكلام في معرض الدين يخالفون الحقيقة الكاثوليكية . « لا يجوز أن يترك لأولاد البنانيين سرى حيرة وترك الحياة لهم من « وحسان » فلم ينصر الجزاء على الجاهلين والجهل عماد انى اولادهم وعند ترك الحياة لأولادهم يمتنون بها ضرباً من الانسداد عليهم لأنه لا حق لهم ان يعيشوا وقد جحد آباؤهم .
مقاومة النصرانية للعلم

لا أجد في التاريخ ذكر الأمل والتسعة بعد ظهور المسيحية في مشهور القوة ليهود السطنتيين وما بعده الا في أثناء المنازعات الدينية التي كان يحصل فيها نارة بسططان الملوك وأخرى بجميع الجماع وثالثة بسفك الدماء فتضمد شعلة العلم وينتصر الدين المحض . وإنما الذكر كل الذكر لما كان بين

المسيحية وما جاورها من المال الأخرى من الحروب الدينية لا حمل على
المقيدة بما كان يمتد المسيحيون وما كان يقع بين ملوك أوروبا من التسافك
في الدماء باغراء رؤساء الكنيسة وأمر ذلك معروف عند من له إلمام
بالتاريخ وليس من موضوعنا الكلام فيه

ولكن أرى شبه نزاع بين العلم والدين ظهر في أوروبا بعد ظهور
الإسلام واستقرار سلطانه في بلاد الأندلس واحتكاك الأوربيين
بالمسلمين في الحروب الصليبية

رجع الآلاف من الغزاة الصليبيين إلى بلادهم وحملوا إلى الناس
أخباراً تناقض ما كان ينشره دعاة الحرب من رؤساء الكنيسة من أن
المسلمين جماعة من الوثنيين غلبوا على الأرض المقدسة وأجلوا عنها دين
التوحيد ونشروا منها كل فضيلة وإخلاص وهم وحوش ضارية وحيوانات
مفترسة فلما قتل الغزاة إلى ديارهم قصوا على قومههم أن أعداءهم كانوا أهل
دين وتوحيد وصرورة وذوي ود ووفاء وفضل مجاملة

ثم كان الخليفة الحكم الثاني جعل من بلاد الأندلس فردوساً كما قال
الفيلسوف الأميركي وكان اليهود والنصارى يتلاقون في تلك البلاد تحت
ظلال الأمن والحرية . قال بطرس المحترم الشهير أنه رأى كثيراً من
العلماء يأتون إلى تلك البلاد لتلقي العلوم الفلكية حتى من بلاد انكلترا
وأولئك الذين يسمون إلى طلب العلوم من أي بلاد جاؤا كانوا يجدون
فيها رحباً وسعة وكان قصر الخليفة يشبه أن يكون مصنفاً للاكتب -
نسخ وتذهيب وتجليد الخ ما قال

ثم انتشرت صناعة الورق التي اخترعها العرب ثم اكتشفت المطبعة

وسهل على الناس ان ينشروا آراءهم بعد أن تبهت أفكارهم بما جلب اليهم
 رسل العلم الذين حملوه اليهم عن أهالي اسبانيا ومن حملوه مما جاورها . ثم
 انساب الى العقول شي مما سماه الاوربيون فلسفة ابن رشد . عند ذلك
 اهتمت المسيحية بالأمر وأخذت تحارب كل ما يظفر على السنة الناس
 أو يرد على أسماهم مما يخالف ما في الكتب المقدسة وتقاليد الكنيسة .
 قال دي رومنيس : ان قوس قزح ليست قوساً حربية بيد الله ينتقم بها
 من عباده اذا أراد بل هي من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء . فجاب
 الى روما وحبس حتى مات ثم حوكت جثته وكتبه فحكم عليها وألقيت في
 النار . وقيل في علة الحكم : انه أراد الصلح بين كنيسة روما وانكترا .
 وأي ذنب أعظم من هذا الصلح ؟ هو أضخم بلا ريب من ذنب القول بان
 قوس قزح من انعكاس ضوء الشمس في نقط الماء

مراقبة المطبوعات ومحكمة التفتيش

انشئت المراقبة على المطبوعات وحتم على كل مؤلف وكل طابع ان
 يعرض مؤلفه أو ما يريد طبعه على القسيس أو المجلس الذي عين للمراقبة
 وصدرت أحكام المجمع المقدس بحرمان من يطبع شيئاً لم يعرض على المراقب
 أو ينشر شيئاً لم يأذن المراقب بنشره . وأوعز الى هذا المراقب أن يدقق
 النظر حتى لا ينشر ما فيه شي يومي الى مخالفة العقيدة الكاثوليكية ووضعت
 غرامات ثقيلة على أرباب المطابع يعاقبون بها فوق الحرمان من الكنيسة
 (كأن الحكومة العثمانية على ما تنشر بعض الجرائد أخذت نسخة من
 قرار المجمع المقدس لتجري عليه مراقبة المطبوعات ولكن للسياسة لا للدين)
 انشئت محكمة التفتيش لمقاومة العلم والفلسفة عند ما خيف ظهورها

يسمي تلامذة ابن رشد وتلامذة تلامذته خصوصاً في جنوب فرنسا وإيطاليا.
 انشئت هذه المحكمة الغربية بطلب الراهب توركاندا
 قامت المحكمة بأعمالها حق القيام في مدة ثماني عشرة سنة - من
 سنة ١٤٨١ الى سنة ١٤٩٩ - حكمت على عشرة آلاف ومئتين وعشرين
 شخصاً بأن يحرقوا وهم أحياء فأحرقوا وعلى ستة آلاف وثمانمائة وستين
 بالشنق بعد التشهير فشهروا وشنقوا وعلى سبعة وتسعين ألفاً وثلاثة وعشرين
 شخصاً بعقوبات مختلفة فنذت ثم أحرقت كل توراة بالعبرية

ماذا كانت وسائل التحقيق عند هذه المحكمة « المقدسة » ؟ وسيلة
 واحدة هي ان يجلس المتهم ويجري عليه أنواع المذاب المختلفة بالآلات
 التعذيب المتنوعة الى أن يعترف بما نسب اليه وعند ذلك يصدر الحكم
 ويعقبه التنفيذ . قرر مجمع لاتران سنة ١٥٠٢ ان يامن كل من ينظر في
 فلسفة ابن رشد . وطقق الدومينكان يتخذون من ابن رشد ولعنه ولمن
 من ينظر في كلامه شيئاً من الصناعة والعبادة لكن ذلك لم يمنع الامراء
 وطلاب العلوم من كل طبقة من تلمس الوسائل للوصول الى شيء من
 كتبه وتحلية العقول ببعض أفكاره

اشتدت محكمة التفتيش في طلب أولئك المجرمين طلاب العلم والسعاة الى
 كسبه ونيط بها كشف البدعة والحكم فيهاها اشتد خفاؤها - في المدن .
 في البيوت . في السرايب . في الأنفاق . في الخازن . في المطابخ . في المغارات
 في الغابات . وفي الحقول . فوفت بما كلفت به مع البهجة والسرور اللاتقين
 بأصحاب النيرة على الدين عملاً بالقول الجليل « ما جئت لالقي سلاماً بل سيفاً »
 كان يؤخذ الرهبان في صوامعهم ، والقسوس في كنائسهم ،

والاشراف في قصورهم ، والتجار بين بضائعهم ، والصناع في مصانعهم ،
والعامة في بيوتهم ومزارعهم ، وحيثما وجدوا ، وانما ثقفوا ، ويوقفون
أمام المحكمة وتصدر الأحكام عليهم يوم اتهامهم

قرر مجمع لاتران ان يكون من وسائل الاطلاع على أفكار الناس
الاعتراف الواجب أدائه على المذهب الكاثوليكي أمام القسيس في
الكنيسة (أي الاعتراف بالذنوب طلباً لغفرانها) تذهب البنت أو الزوجة
أو الأخت لاجل الاعتراف بين يدي القسيس يوم الأحد فيكون مما
تسأل عنه عقيدة أبيها أو زوجها أو أخيها وما يبدر من لسانه في بيته
وما يظهر في أعماله بين أهله. فإذا وجد القسيس متلقي الاعتراف شيئاً من
الشبهة في طلب العلم غير المقدس على من سأل عنه رفع أمره الى المحكمة
فينتض شهاب التهمة عليه فإذا سأل عن الشاهد الذي عول عليه في اتهامه
لايجاب وإتمام التعذيب مقام شخص الشاهد وهو من أهله حتى يعترف
أوقمت هذه المحكمة المقدسة من الرعب في قلوب أهل أوروبا ما خيل
لكل من يلعب في ذهنه شيء من نور الفكر إذا نظر حوله أو التفت وراءه ان
رسول الشؤم يتبعه وان السلاسل والأغلال أسبق الى عنقه ويديه ، من
ورود الفكرة المليمة اليه ، وقال باغلياديس ما كان يقوله جميع الناس لذلك
العهد : « يقرب من المحال ان يكون الشخص مسيحياً ويموت على فراشه »
حكمت هذه المحكمة من يوم نشأتها سنة ١٤٨١ الى سنة ١٨٠٨ على
ثلاثمائة واربعين ألف نسمة منهم نحو مائتي ألف احرقوا بالنار أحياء

اضطهاد المسيحية للمسلمين واليهود والعلماء طامة

لما كان ابن ربه هو الينبوع الذي تفجر منه ماء العلم والحرية في

اوربا على زعم القسوس وكان ابن رشد استاذاً يتعلم عنده كثير من اليهود وقد اتهموا بنشر افكاره وآرائه ثم هو مع ذلك مسلم صب غضب الكنيسة على اليهود والمسلمين معاً فصدر الأمر في ٣٠ مارس سنة ١٤٩٢ بأن كل يهودي لم يقبل المهودية في أي سن كان وعلى أي حال كان يجب ان يترك بلاد اسبانيا قبل شهر يوايو (تموز) ومن رجع منهم الى هذه البلاد عوقب بالقتل وأبيع لهم ان يبيعوا ما يملكون من عقار ومنقول بشرط ان لا يأخذوا في الثمن ذهباً ولا فضة وإنما يأخذون الأثمان عروضاً وحوالات . ومن ذا الذي يشتري اليوم ثمن ما يأخذه بعد ثلاثة أشهر بلا ثمن ؟ (يعني ان أموال اليهود تكون مباحة بعد جلائهم الذي يتم في يوليو) . و صدر أمر توركاندو ان لا يساعد أحد من سكان اسبانيا في أمر من امورهم . وهكذا خرج اليهود تاركين كل ما يملكون ناجين بارواحهم على انه لانجاة لكثير منها فقد اغتالها الجوع ومشقة السفر مع الدم والفقير وفي فبراير (شباط) سنة ١٥٠٢ نشر الأمر بطرد أعداء الله المغاربة (المسلمين) من أشيلية وما حولها - من لم يقبل المهودية منهم يترك بلاد اسبانيا قبل شهر ابريل (نيسان) وأبيع لهم أن يبيعوا ما يملكون على الشرط الذي وضع لليهود . ولكن وضع للمسلمين شرط آخر وهو أن لا يذهبوا في طريق يودي الى بلاد إسلامية ومن خالف فجزاؤه القتل . فمؤلاء المساكين نفوا جميعاً الى القتل ان لم يكن قتل الجزاء عند الرجوع فالموت ملاقيهم بالتمب مع المرى والجوع الا يجب القارى اذا رأى ان برونو يحرق بالنار حياً بعد حبس طويل سنة ١٦٠٠ لأنه قال بقول الصوفية في وحدة الوجود وقال ان

هذا العالم يحتوي على عوالم كثيرة . الحمد لله رب العالمين
 ظهر القول بكروية الأرض - ذلك الأمر الذي عرفه المسلمون
 وصار رأياً لهم في أول خلافة بني العباس ولم تتحرك له شعرة في بدن -
 فأحدث اضطراباً شديداً في عالم النصرانية ولا يسع هذا المقال ما وقع
 من الحوادث في شأنه

هل يصدق القارىء ان مقصده كريستوف كولب من السفر في
 المحيط الاطلانطي لعله يكتشف ارضاً جديدة كانت من الأمور التي
 اهتمت لها الكنيسة وحكم مجمع سلامك بأنه مخالف لأصول الدين ثم
 أعيد النظر فيه وعرض على أقوال الآباء من كريزيستوم واوغستين
 وجيروم وغريغوار وبازيل وانبرواز وعلى رسائل الرسل والأنجيل
 والنبوات والزبور والاسفار الخمسة ولم ينتج هذا العرض شيئاً . ولكن
 ساعده على مقصد بعض الملوك رغم الكنيسة كما هو معلوم . قال
 كريستوف كولب ان الذي أوحى اليه هذا القصد النبيل هي كتب
 ابن رشد . من هنا نفهم لم قامت له الكنيسة وقعدت .

ما أشد تمسك الكنيسة بهذا الأصل الجليل « السلطة للقسوس
 والطاعة على العامة » كل رأي لم يصدر عن ذلك المصدر الديني الذي يربط
 ويحل في الأرض والسماء فهو باطل يجب مقاومته بكل ما يستتبع . لهذا
 حكم على غاليلي الذي ذهب الى ان حركة الكواكب هي على النظام
 المعروف عند الفلكيين اليوم

مقاومة الكنيسة للحقن تحت الجلد : هل تدري ماذا حصل من المقاومة

لادخال الحقن تحت الجلد بمادة المرض ؟ اكتشفت هذه الطريقة

الطبية عند المسلمين في الاستانة ثم نقلها الى اوروبا امرأة تسمى ماري مونتاجو سنة ١٧٢١ فقامت قيامة القسوس وعارضوا في استعمالها واحتج في تمضيدها الى التماس المساعدة من ملك انكترا وعادت هذه الشدة في المعارضة عندما اكتشفت طريقة تطعيم الجدري

مقاومة تسهيل الولادة: أي مقاومة لم يلاقها اكتشاف مخدير المرأة عند الولادة حتى لا تحس بألم الطلق. اكتشاف أميركاني رأته حضرات القسوس فيه انه يخلص المرأة من تلك اللعنة أو تلك العقوبة التي سجلت عليها في سفر التكوين (إذ جاء في الاصحاح الثالث منه: « وقال للمرأة تكثيراً اكثر اتعاب حملك بالوجع تلدين اولاداً »)

مقاومة السطة المدنية وحرية الاعتقاد: نشر البابا منشور في سنة ١٨٦٤

جاء فيه لمن كل من يقول بجواز خضوع الكنيسة لسطة مدنية او جواز ان يفسر أحد شيئاً من الكتب المقدسة على خلاف ما ترى الكنيسة أو يمتقد بان الشخص حر فيما يفتقد ويدين به ربه . وفي منشور له سنة ١٨٦٨ ان المؤمنين يجب عليهم أن يفدوا نفوذ الكنيسة بأرواحهم وأموالهم وعليهم أن ينزلوا لها عن آرائهم وافكارهم ودعا الروم الارثوذكس والبروتستانت الى الخضوع للكنيسة الرومانية على هذا الوجه

في سنة ١٨٧١ كان النزاع بين حكومة بروسيا والبابا في عزل استاذ في إحدى الكليات رأى رأياً لا يروق للحزب الكاثوليكي فخرمه البابا وطلب من الحكومة عزله وكانت إحدى المضلات السياسية غير ان عزيمته بسمارك نصرت مدينة القرن التاسع عشر على سلطان الكنيسة وأبقت الاستاذ وجمعت التعليم تحت السطة المدنية

مقاومة الجمعيات العلمية والكتب : لا أذكر الجمعيات العلمية (الأكاديميات) التي النيت والاجتماعات التي عطلت لالشيء كان فيها سوى هداية البشر الى منافعهم وتنوير بصائرهم بكشف ما احتجب عنهم من سر الخليقة بالبحث النظري ومن الطريق العقلي من غير استشارة المسيطر الالهي وهو الكنيسة . ولكن أذكر شيئاً واحداً وهو ان الكردينال اكسيمينس أحرق في غرناطة ثمانية آلاف كتاب بخط القلم فيها كثير من ترجمة الكتب المعول عليها عند علماء أوروبا لذلك العهد

البروتستانت او الاصلاح

ربما يقول قائل ان هذا الذي ذكرت هو عمل الكنيسة الرومانية الكاثوليكية واماكن قد قام في المسيحية مصلحون يرون إرجاع الدين الى أصل الكتب المقدسة ويبيحون لعامة أهل الدين ان ينظروا فيها ويفهموها وقد رفعوا تلك السيطرة عن الضمائر والمقول ومن عهد ظهور الاصلاح والرجوع الى أصول الدين الأولى بزغت شمس العلم بالمغرب وبسط للعلم بساط التسامح وذلك لا يمكن أن يكون الا جرياً مع طبيعة الدين لا أذكر في الجواب عن ذلك الا ما ذكر البروتستانت أنفسهم في تاريخ الاصلاح : استمرت عقوبة الموت قانوناً يحكم به على كل من يخالف معتقد الطائفة وقد أمر كلفان^(١) باحراق سيرفيت في جنيف لأنه كان يعتقد ان الدين المسيحي كان قد دخل عليه شيء من الابتداع قبل مجمع نيقة . وكان يقول : ان روح القدس ينمش الطبيعة بأسرها . فكان جزاؤه على هذا ان شوي على النار حتى مات وهكذا أحرق فايي في تلوز سنة ١٦٢٩

(١) كلفان هو الزعيم الثاني للبروتستانت ولوتر الأول

كان لوتير أشد الناس أنكاراً على من ينظر في فلسفه ارسطو وكان ذلك المصلح يلقب هذا الفيلسوف بالخبزير الدنس الكذاب ونحو ذلك من الألقاب التي لا بأس بها اذا صدرت من أهل الفيرة على الدين في طريق الدفاع عنه !! وكان كلفان أقل شأماً للفيلسوف من لوتير لكنه لم يكن أحسن ظناً به ولا أوسع صدرًا لمن يطلع على شيء من كتبه . وكان علماء المسلمين يقبون هذا الفيلسوف «المعلم الاول» فتأمل الفرق بين الفريقين !!

قالوا : البروتستانت قاموا يطالبون بالحرية في فهم الكتب المقدسة وبإبطال السلطة على غفران الذنوب والتجارة ببيع الثواب والسعادة الاخروية وإبطال عبادة الصور . ولكنهم لم يغيروا شيئاً من الاعتقاد بان الكتب المقدسة هي نبراس الهداية في طريق العلم البشري كما انها منبع نور الإيمان بالدين الالهي وأنه لا يباح للعقل أن ينساق في نظره الى ما يخالف شيئاً مما حوته وأنه لا حاجة الى شيء من العلم وراء ما ورد فيها . وبالجملة انهم لم يبطلوا أصلاً من الأصول الستة التي تقدمت إلا أنهم قالوا بمنع غلوة الرؤساء في سلطتهم المبنية على الاصل الثاني في سابق قوائمنا

قالوا : ولهذا لم يكن مذهب الاصلاح اخف وطأة على العلم ولا أفضل معاملة له من الكاثوليك لان كلا المذهبين يرجع الى طبيعة واحدة (وهي القائمة على الاصول الستة) ولم يكن لاهل النظر العقلي جزاء في كلا المثلين الا القتل وسفك الدم

لو كنت ممن يجب الجدل في الدين لمددت فيما ذكرته من عناصر الدين المسيحي ما تضمنه قول بعض الناقدين عند الكلام على الحروب المسيحية واضطهادات الكنيسة « ما أهون الدم على من يمثل في عبادته اكل

الدم وعلى من يعتقد ان خلاص العالم الانساني من الخطيئة انما كان بسفك
الدم البري على يد الممتدي الاثيم» لكنني في بحثي هذا لا أريد ان استعمل
قوة الخيال، ولا أن أذكر ما يمد من قبيل الجدال، وانما آتي بما هو حكاية
حال، ليس للناظر فيها مقال،

الفصل بين السلطين في المسيحية

بقي علينا الكلام فيما جعلته الجامعة أساساً للفصل بين السلطين
الدينية والملكية وبه كانت طبيعة الدين المسيحي ادعى الى التسامح مع العلم
في نظرها. لو سلمنا أن في تلك العبارة معنى انفصل كما قالت الجامعة وقال
كثير غيرها ممن أرادوا مقاومة السلطة الدينية فماذا يفيد الفصل اذا كان
دين الملك نفسه يقضي عليه بمعادة العلم؟ أفلا يغيب اعتقاد الملك وما يملك
نفسه مما فيه نجاته الروحية على مطالب الملك؟ وكم من ملك جعل مصالح
مملكته قربانا لسلطان عقيدته. هب ان مصالح الملك تكون دائماً أغلب
على النفس من حكم العقيدة وقاهر الايمان والوجدان وقد أقام الدين
سلطين منفصلتين احدهما تحمل وتربط في الأرض وفي السماء فيما هو من
خاصة الدين والأخرى تحمل وتربط في الأرض فيما هو من خصائص
الدنيا. أفلا يكون هذا الفصل قاضياً بتنازع السلطين وطلب كل واحدة
منهما التغلب على الأخرى فيمن تحت رعايتهما معاً؟ وهل يسهل على السلطة
الدينية أن تدع رعاياها تتصرف في أبدانهم وأموالهم بل وفي عقولهم أيدي
الملوك بما تقتضيه مصالح الملك الثاني اذا كان ذلك التصرف مخالفاً لما جاء
في كثر المعارف وهو الكتب السماوية وتأويل الرؤساء الروحانيين وسننهم
فاذا هت هذه السلطة بالمعارضة أفقصر الأخرى؟ هذا هو الذي وقع

في العالم المسيحي منذ ظهرت سلطة الدين
كيف يتسنى للسلطة المدنية أن تتغلب على السلطة الدينية وتقف بها
عند حدها والسلطة الدينية إنما تستمد حكمها من الله ثم تمد نفوذها بتلك
القوة إلى أعماق قلوب الناس وتديرها كيف تشاء. والملك لا قوة له إلا بأولئك
الناس المغلوبين للسلطة الدينية؛ لا يتأتى للملك أن يغالب تلك القوة إلا بعد
أن يتناول من الوسائل ما لا يد لإضعاف سلطتها. نعم هذا الفصل يسهل
التسامح لو كانت الأبدان التي يحكمها الملك يمكنها أن تأتي أعمالها على حدة
مستقلة عن الأرواح التي تحيا بها والأرواح كذلك تأتي أعمالها بدون
الأبدان التي تحمل قواها

ثم هل هذا هو معنى قول الإنجيل؛ القصة على ما جاء في الإنجيل
أن بعض المرائين أراد أن يتسقط المسيح ليأخذ عليه ما يحم به فسأله:
أيجوز أن نعطي جزية لقيصر؛ فأجاب لم تجربوني اثتوني بدينار لا أنظر
إليه. فأتوه بدينار فقال: لمن هذه الصورة والكتابة؛ قالوا له لقيصر
فقال: أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله. فبينما الظاهر من سياق القصة
أن صاحب السكة التي تعاملون بها إذا ضرب عليكم أن تدفعوا منها شيئاً
فادفعوه له أما قلوبكم وعقولكم وجميع ما هو من الله وعليه طابع صنفته
فلا تعطوا منه لقيصر شيئاً. والعلم ليس مما عليه طابع فيصر بل عليه طابع
الله فلا يمكن أن يكون العلم تحت سلطة غير السلطة الروحية الدينية.
فأي تسامح مع العلم في هذا

- اعتقاد المسلمين في المسيح والمسيحية -

هذا الذي عرضناه من طبيعة الدين المسيحي وأوردناه من مشاربه

فما بعد نشأته وما وقع من حوادث أهله مع طلاب العلم ورواد المعارف في كل زمن الى ما يقرب من أيامنا هذه كل ذلك مأخوذ من تاريخهم الذي كتبوه عن أنفسهم ومن نصوص كتبهم الدينيه التي يتوكلون عليها فيما ذكرنا من سيرتهم وأعمالهم

أما رأيي ورأي أهل العقيدة الصحيحة من المسلمين في المسيح عليه السلام ودينه فهو على غير ما رآه القارىء . انا نعتقد ان المسيح روح الله و كلمته ورسوله الى بني اسرائيل بعث مصداقاً لما بين يديه من التوراة وجاءهم من الدين بما فيه هدى لهم وارشاد في شؤون معاشهم ومعادهم ولم يطالبهم بتعطيل قوّة من قواهم التي وهبهم الله تعالى إياها بل طالبهم بشكر الله تعالى عليها ولا يشكر حق الشكر الا باستعمالها جميعها فيما أعدّها الله له . والعقل من أجلّ القوى بل هو قوّة القوى الانسانية وعمادها والكون جميعه هو صحيفته التي ينظر فيها وكتابه الذي يتلوه وكل ما يقرأ فيه فهو هداية الى الله وسبيل لاوصول اليه . وكل ما صح عندنا عن السيد المسيح لا يخالف شيء منه هذا الذي نعتقد . فان صح عنه شيء يكون في ظاهره مخالفة لهذه الأصول أمكننا تأويله حتى يرجع معناه اليها أو وكلنا الامر فيه الى الله وقلنا « لا علم لنا الا ما علمتنا » .

الدين دين الله وهو دين واحد في الاولين والآخريين لا تختلف الا صورته ومظاهره . وأما روحه وحقيقته ما طول به العالمون أجمعون على السن الانبياء والمرسلين فهو لا يتغير — إيمان بالله وحده وإخلاص له في العبادة ومعاونة الناس بعضهم لبعض في الخير وكف أذاهم بعضهم عن بعض ما قدروا . وهذا لا ينافي الارتقاء في الدين بارتقاء عقول البشر

واستمدادهم لكمال الهداية . ونفقده ان دين الاسلام جاء ليجمع البشر
كلهم على هذه الأصول ومن أهم وظائفه ازالة الخلاف الواقع بين أهل
الكتاب ودعوتهم الى الاتفاق والاخاء والمودة والائتلاف وهذا ما عمل عليه
المسلمون قرناً بعد قرن بحسب قوة تمسكهم بالاسلام

فاذا سأل سائلٌ إذا كان ذلك الذي قدمت فيما سبق هو اعتراف
فضلاء الأوربيين أنفسهم في منافاة طبيعة الدين للملم واشتداده في موادته
فما هذا الانقلاب الذي حصل في أوروبا وما هذا التسامح الذي يتمتع به الملم
اليوم في أقطارها؟ فجوابه في الكلام على الامر الرابع مما ذكرت الجامعة
وهو يكون بمد عرض طبيعة الدين الاسلامي وما يليق أن يكون له مع العلم
وما انجر اليه الحال بمقتضى تلك الطبيعة وما عرض عليها مما سترها وحال بينها
وبين أثرها في أخريات الأيام؛ وسنوجز القول فيه كما أوجزناه فيما مضى

باب الاسئلة والاجوبة

(١س) غممة التصوفة من الشيخ عبد الله عبد الرحمن بالقنات : قال بمد كلام
يعرض فيه بعلماء التقليد وعدم الثقة بهم ويثني فيه على المنار ما نصه
« ما يرى سيدي فيمن نطق بالشهادتين أو بطلاق امرأته أو بأي عقد يحتاج
في اعتباره الى صراحة اللفظ نطق به كما تصنع هذه الفرقة (التصوفة) في ذكرهم
وأريد غممتهم . اهو إسلام صحيح ، أو طلاق صريح ، أو عقد ممتبر شرعا؟
فان قائم بصحته كلية فما هذا الذي ينكره الناس على هذه العائفة؟ وان رأيت
غيره فأني نبي هو؟ أفؤ من الكلام ، لا يثبت به إسلام ، ولا يعطي ما يعطيه اللفظ
الصريح من المعاني »

(ج) انغممة هي النطق لا بيان فيه وأصلها أصوات الثيران عند الذعر وتقع
من الناس اضطراراً يقال : غمخ الأبطال عند الكفاح في الحرب . وهذا هو الذي

يلتزم النبي الحقيقي . فلذا غم الانسان مخلاًراً كما يكون لاجباً وهاولاً فلذا جاء في
 مره بكلمة الشهادة فلا يتدبها ظلمراً ولا يظلم . أما عدم الاعتداد بها في اللحن
 فلأن الله بأصل الدين سخرة ومزه وهو مزيد في الكفر فكيف يحصل به
 الايمان ؟ وأما عدم الاعتداد بها في الظلم فلا لأنها غير ظلمة وربما لا يعرف غير
 اللحن أنها وقت في غمته . ولأن قرينة المزم والسخرة تصرف الكلام عن ظلمه
 ومثل هذا يقال في الطلاق لأن التقهاء من الحنفية والشافعية يتبرون منزل الطلاق
 جداً فلذا اعترف بأنه في غمته نطق بصفة الطلاق المتبرة فرعاً بحكم القاضي عليه
 بما تخلف تلك الصفة في متعبه . وإذا كان للحنيم يتقد تلك فهو يسئل به أيضاً
 والسائل يسئل ان العقود التي من ثلتها أن يحكم فيها الحاكم تكون البيرة فيها يظلم
 القبول ويظلم وأما البيادات فالبيرة فيها لا ورد في الكتاب العزيز واللة الصحيحة
 مع الاخلاص في القلب ومحبة التوجه الى الله تعالى . فكل من ينكرون على التصورة
 للتصديق في الذكر أنهم اجتمعوا لاتهم عبادة لم يأتوا بها الله تعالى في كتابه ولا على
 لسان رسوله صلى الله عليه وآله وسلم فيقول لهم قوله عز وجل « أم لهم شركاء شرعوا
 لهم من الدين ما لم يأذن به الله » ويصدق عليهم قوله تعالى « اتخذوا دينهم هزواً وليلياً »
 ولكل مسلم الحق في انكار كل عبادة لم ترد في الكتاب واللة في ذاتها أو سورتها فقد
 أخبرنا الله تعالى في كتابه بأنه « أكل لنا ديتلوا تم علينا به نمت فكل من يزد فيه شيئاً
 فهو مردود عليه لأنه مخالف الآية الشرعية والحديث الصحيح » كل من أحدث في
 أمراً ما ليس منه فهو رد .

كل بدعة في الدين فهي ضلالة كما ورد في الحديث وأما البدع التي منها حسن ومنها
 سي فهي الاخرجات المنفعة بأمور الناس ووسائلهم ومقاصدهم وهي الراد بقوله صلى
 الله عليه وآله وسلم « من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها الى يوم القيامة »
 ومن سن سنة سيئة فله وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة » ولو لا ذلك لكان
 لنا أن نزيد في ركعات الصلاة أو سجداتها والله أعلم

(ص ٧) خرافة الشجرة محمد ائدى علي السمره بيولاق : أرجوكم الكندي
 عن (الشامرة) وهي ان تدخل امرأة تحمل عقداً من اللؤلؤ على احدى النساء
 الواضعات فيكون أثر ذلك في الواضعة أنها لا تحبل بعد ذلك أبداً إلا أن تأتي بتقدم
 اللؤلؤ فضعه في الماء بشكل مخصوص فأنها بعد ذلك تحبل وقد أثبت كثرة التجارب
 كثيراً من هذا فهل ورد عنه شيء في النسخ المشرف

(ج) الشرع أباح للناس أو أرشدهم الى البحث عن منافعهم الدنيوية ليستفيدوا مما ثبت لهم فائدته ويجتنبوا ما ثبت لهم مضرته فلو فرضنا ان التجارب التي ذكرها السائل صحيحة محققة لكان حكمها في الشرع أنه يحرم على المرأة أن تدخل على النساء بعقد من الأوثان لأنها تضرها بمنع الحمل نائية لاسيما اذا كان العقد خفياً أو كانت النساء لا تعرف العلاج أو لا تقدر عليه . وانه يجوز لمن منع حباها بذلك ان تعالج نفسها بوضع عقد من الأوثان في الماء اذا أرادت ازالة المانع

أما نحن فلا نعتد بتجارب العامة ولا سيما النساء ولا نرضى للسائل أن يصدقهن بهذه المزاعم وكم هن من أمثالها كبر عمهن في الزار . العاقل يشك في مزاعم هؤلاء الجاهلات اذا كانت في ذاتها قريبة في نظر العقل فكيف يصدقهن فيما يكون بعيداً من النظر كسألتنا فان العقل لا يتصور علاقة لعقد الأوثان بأمر الرحم والتناسل لاسيما في صورة الانفصال والبعد

باب الرد على شبهات المسيحيين

(ايمان المسلمين وأعمالهم)

جاء في الجزء ٨ من مجلة بشارت السلام نبذة تحت هذا العنوان ما خصها أنه يجوز على مذهب أهل السنة . ان يؤمن أحد بالاسلام ايماناً حقيقياً وتبقى أعماله شريرة . واعترض الكاتب على هذا اعتراضين احدهما . ان الايمان الذي لا ينشئ في صاحبه توبة وعمل صالحاً بل يتركه وسيئاته تفوق حسناته . ومضاره تزيد عن منفعه . . . فهو ايمان باطل عديم النفع يحط من كرامة الخالق ويزيد في شقاوة المخلوق . . . ثانيهما . عجز الايمان المحمدي عن الخلاص التام . وقد أورد الكاتب بعد الاعتراض الأول كلمات من كتب المهديين تدل على أنه يطاب من الانسان أن يكون كافراً ولكنها لا تدل على أن المؤمن يكون معصوماً من الذنوب . وأورد بعد الثاني كلمات تدل على أن الايمان بالمسيح كاف للخلاص ولكن لم يشترط مع الايمان عملاً صالحاً

لو كان هؤلاء المعترضون يعتقدون بما يقولون لكانت هدايتهم قريبة واقناعهم أقرب ولكنهم يلوكون الكلام ويلوون أسنتهم بالكتاب ليفتوا به عامة المسلمين الجهلاء ولا يبايئون ان كان الكلام حجة عليهم . عهدهم الجديد ناطق بان البر والعمل بالناموس الالهي لا يبعثان عن الانسان شيئاً وانما يعني عنه الايمان بالمسيح فقط وبذلك

يخبر ويرث المالكوت وإن كان شر الأشرار ، وأفجر الفجار ، والقرآن لا يكاد يذكر الإيمان إلا مقروناً بذكر العمل الصالح ، وورد في السنة الصحيحة أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالجنان وعمل بالأركان . وهذه السنة مؤيدة بخمس وسبعين آية من القرآن . وهذا ما عدا الآيات التي ذكر فيها العمل الصالح بدون ذكر الإيمان

قال تعالى « وإني أفتن لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى » وقال عز وجل « ليس بأمانتكم ولا إني أهدى أهل الكتاب . من يعمل سوءاً يجز به ولا يجذله من دون الله ونيابوا نصيراً . ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون فيها شيئاً » وقال جل ذكره « إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة وما رزقناهم بنفقون أولئك هم المؤمنون حقا » وقال تقدمت أسأؤده « والمعصية أن الأندلس في خبر الأ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر » فهذه السورة القصيرة أجمع تفضائل وأبلغ في الهداية من جميع الكتب التي في العالم سماوية كانت أو غير سماوية وهي كافية لتكون ديناً مستقلاً لقوم يتقرون

أن الشبكة التي يصيد بها الجاهلين هذا الكتاب وأمثاله إلى المسيحية هي أن خلاص الإنسان محصور في أن يؤمن -- أي يقول وإن لم يعقل -- أن الإله مركب من ثلاثة أصول كل واحد منها عين الآخرين الثلاثة واحد وإن أحد الثلاثة وهو الابن حل في جسم إنسان بواسطة آخر وهو روح القدس فصار هذا الإنسان الإله وابن الإله وإنساناً وابن الإنسان وصار هو الله ثم أنه ساطع أعداءه على نفسه فضلبوه واحتمل الألم واللغة الإلهية لأجل خلاص الناس من ذنب أبيهم آدم وذنوبهم لأنه لم يجد غير هذه الطريقة لخلاص عباده

لا يطلب هذا الكتاب وأمثاله ممن يدعوهم إلى دينه إلا هذا القول الذي لا يعقل ولا يحمل النفس على عمل صالح بل يجرحها على جميع المعاصي والجاهل يجب أن تباح له المعاصي ويكون ناجياً بكلمة يقوها . فإذا كان دعاة النصرانية قد بداهم أن يشترطوا مع هذه الكلمة التي يسمونها إيماناً ترك المعاصي والأعمال الصالحة فأية مزية لديهم غير تلك الكلمة التي لا تعقل ولا تفهم ؟ إلا يعلم أنه إذا دعا مسلماً إلى دينه وطالبه بترك المعاصي وبعمل الصالحات فإنه لا يستطيع أن يصيده مهما كان جاهلاً لأنه يقول إن هذا يكلفني بمنزل ما يكلفني به ديني ويزيد علي ثقلاً آخر وهو الإيمان بما لا أعقله ولا أفهمه

وهو أن الواحد ثلاثة والثلاثة واحد وان الله عجز عن أنحاء الناس بدون أن يهين ذاته العلية بالحلول في أحدهم وبالتمام وبلعن نفسه

المسلمون يمتقدون أن الإيمان يهذب الاخلاق ويصاح الاعمال وأنه يجوز مع ذلك ان تغاب على المؤمن شهوته أو غضبه فيعمل شراً لاسيما اذا لم يترب على أعمال الإيمان من النشأة الأولى ولكنه يرجع ويتوب عن قريب قال تعالى « ان الذين اتقوا اذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فاذا هم مبصرون » وقال سبحانه « انما التوبة على الله للذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب فأولئك يتوب الله عليهم » ومن التوبة أن يعمل صالحاً يكفر سيئته « ان الحسنات يذهبن السيئات » فاذا قصر فهو تحت مشيئة الله

فتبين مما ذكرنا بالاختصار أن الإيمان عند المسلمين يثمر الاعمال الصالحة وان العمل لاقيمة له في ايمان النصارى . أما قول مجلة بشار السلام في نتيجة الاعتراض الاول : « وبناء على ما تقدم كل ايمان لا يكون الكمال غايته والتقوى ثمرته فهو اما ايمان كاذب بالإله الحق كإيمان النصارى بالاسم واليهود بالاسم أو ايمان صادق لكنه باطل خيالي قائم على الاوهام » . فهو مسلم ولقد أنصفت فيما كتبت عن ايمان النصارى ولم يكن من شأنها ذلك فان ايمانهم ليس الا أسماء سموها وأقوالا لا تعدو القم لان العقل ينكرها ، ولا يستطيع أن يتدبرها . وأما قولها بعد ذلك « وأظنك لم تنس ذكر القوم الذين هم على الاسلام بالاجماع وهم مع ذلك من أهل العصيان والفجور بحيث يحكم عليهم بالسجر في جهنم مدة لاتقص عن تسعمائة سنة ولا تزيد عن سبعة آلاف » الخ . فهذا التحديد فيه لم يصح في كتاب ولا سنة فهو لا يستد به عند المسلمين وان ذكر في بعض الكتب فكم في الكتب من أحاديث موضوعة وأقوال مكتوبة ولا حجة علينا الا في القرآن الكريم والاحاديث الصحيحة . وأما كلام المؤلفين في أمور الآخرة فلا يستد به سالم يكن منقولا على أنه لا يجب الايمان فيما يتعلق بعالم الغيب كحوال الآخرة الا بالقرآن والاحاديث المتواترة وهي قليلة جدا . وهذا الذي قلناه هو الاصل المعمول عليه عند المسلمين

وأما قوله تعالى « وان منكم الا واردها » فليس خطابا للمسلمين كما زعم الكاتب لان الآيات التي قبلها كلها في الكفار فقل ان الخطاب لهم خاصة وقيل انه عام والمراد ب ورود المؤمنين حينئذ المرور عليها والجلوس عندها قبل دخول الجنة وبذلك يعرفون مقدار نعمة الله تعالى عليهم بدخول الجنة

(كلمات) أختم هذا الرد بكلمتين أولاهما للمسلمين الذين يرسلون إلينا هذه الجرائد لنزد عليها : لا يحزنكم أيها المسلمون هذا الاعتداء الذي لم تتأدوه ولا تمدوه من سيئات حرية المطبوعات فهو من حسناتها لأن هذا الاعتداء على الطمن بدينكم هو الذي يوقظكم من نومكم ويبعث فيكم شعور البحث والاستدلال ويحيي فيكم روح الغيرة الملحة والمباراة القومية حتى تعرفوا حقائق دينكم بالبراهين والدلائل والبحث لا يزيد الحق الا ظهوراً

والكلمة الثانية للنصارى المصترضين ، الذين يسمون أنفسهم مبشرين ، وهي : انا نعتقد انكم تظنون بدين الاسلام الذي لولاه لا اثبت دين في هذا العصر المنير مأجورين لا معتقدين بما تقولون وما تكتبون . ولذلك يترك أحدكم التبشير اذا عزل من الجمعية ومنع عنه الراتب الذي كان له . ولو كنتم تعتقدون بالدين لعلمتم ان دين الله واحد وهو تزيه الباري وتوحيدوه والاخلاص في عبادته وترك الشرور وعمل البر ونفع العباد . وكنتم ترون ان الاسلام قد خدم العالم الانساني بهذا الاصلاح المنقح وانه هو دين الانبياء اجمعين ظهر في اكمل ارتقاء وأخرج أهل الكتاب من الخلاف والمشكلات ولكن الهوى يصدكم عن هذا فاعملوا على مكانتكم انا عاملون ، وانتظروا انا منتظرون .

باب اوروبا والاراء

المصريون في أوروبا وسوء التقليد

لما ولع أمراء المصريين وكبرائهم بالاصطياف في أوروبا دب فساد التقليد في نفوس الطبقات المتوسطة المتصلة بهم فصار الكثيرون منهم مهاجرون الى أوروبا بالتبذير الاموال ، واقتباس أسوء الخلال ،

وقد علمنا أن شيخاً من هؤلاء استدان مبالغاً من المال وسافر به الى باريس وقد أنحف بتأله في المدرسة السنية برقمة بريدية مصورة (كرت بوستال) أرسلها اليها في البريد . ولوعم القراء ما هي الصورة التي عليها لكان لهم عبرة في هذا التقليد الضار ولا يكون التقليد الاضارا

تلك الصورة هي صورة أشهر بغي من مواسم باريس وقد صورت على الرقمة عارية لترغيب الفساق بالأقبال عليها وكتب تحت الصورة ووصف مكانها وكتب الشيخ المصري ابنته تحت تلك الكتابة الفرنسية أنظري يا فتى ما أجل هذه العادة

الباريسيه !!! فماذا نرجو من رجال يربون بناتهم هذه التربية وكيف نقول ان البنات ملومات على فساد أخلاقهن وأديهن ؟ ولو أن ناظرة المدرسة السنية اطلمت على هذه الرقعة مع البنت لطردتها من المدرسة وأتت لها بالاطلاع عاها . ولايتوهن أحد أن هذا الشيخ الجاهل هو من شيوخ السلم أوشيوخ الطريق . كلا انه من التعممين الذين ليس لهم لقب أفندي أو بيك

﴿ ابن الرشيد وابن سعود في نجد ﴾

قد استولى ابن سعود على القسم الجنوبي من بلاد نجد الى حدود بلاد اليمن فصار في يده نصف البلاد أو يزيد ، والباقي في يد ابن الرشيد ، ويود جميع الاهالي لو خالصة الامارة لابن سعود لأنه أعلم وأرحم ، وابن الرشيد أجهل وأظلم ، والاميران الآن في شبه هدنة لان ابن الرشيد يتوقع اعانة الدولة العلية وامدادها اياه بالرجال والسلاح وهذا دليل على معرفته بعجزه . وعندنا ان الحكمة في عدم دخول الدولة العلية في هذا الامر بالنم لآن عاقبة ذلك وخيمة جداً . والخطر متوقع على كلا الحائزين الآتين — اذا خالصة الامارة لابن سعود من غير أن تخاربه الدولة فإنه يكون موالياها وخاضعا لامرها كابن الرشيد أو أشد ولاء وخضوعاً . واذا غاب على أمر البلاد مدد مناهاة من الدولة فيختبئ أن يسقط نفوذها من قلب البلاد العربية وبهذا احد الخطرين . وأما الخطر الثاني وهو أشدهما فهو ما يتخبر من احتفاء ابن سعود بدولة انكارترا اذا جردت الدولة عاياه جيشا لا قبل له به . ولو لا أن وصل الى آذاننا شيء من الهمسات الخفية التي يتناجى بها سماعة الفتن في بلاد العرب لما كان يخطر في بالنا أن يكون شيء من هذا وقانا الله وبلاد العرب من عواقب هذه الفتن لهذا قلنا ان من الحكمة أن لاتسيء الدولة العلية أحد الخصمين بالفعل ولا شك ان العاقبة الحسنة تكون لها اذا اتقت هذين الخطرين (والعاقبة لامتقين)

—•••••—

(غلط في الجزء ١٥) في السطر ٦ من الصفحة ٣٧٥ كلمة دعمت والصواب (وعث) وهي الأرض التي تقيب فيها الأقدام لئنها . وفي السطر ١٣ منها بجبل والصواب (بجبل) . وفي س ٢٥ من ص ٣٨٥ كلمة من وحوابها (في) وفي البيت ١٧ من ص ٣٩٢ (دبنارا) والصواب (بنارا) وفي البيت ٢٢ منها (ينارا) والصواب (دبنارا) فليصحح

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أتى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أوامر الآيات

المعاني

١٣١٥

فبشر عباده الذين يستمعون القول
فيؤمنون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الآيات

(قال عليه الصلاة والسلام: ان الاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الجمعة ١٦ جمادى الثانية سنة ١٣٢٠ - ١٩ ستمبر (ايلول) سنة ١٩٠٢)

— الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية —

وهو المقال الثالث لذلك الامام الحكيم . والاستاذ العظيم

طبيعة الاسلام مع العلم بحكم أصوله

(تمهيد الاصل الاول) للاسلام في الحقيقة دعوتان -- دعوة الى الاعتقاد

بوجود الله وتوحيده ودعوة الى التصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم .
فأما الدعوة الاولى فلم يعول فيها الا على تنبيه العقل البشري وتوجيهه الى
النظر في الكون واستعمال القياس الصحيح والرجوع الى ما حواه الكون
من النظام والترتيب وتماقد الاسباب والمسببات ليصل بذلك الى أن
لا يكون صانعاً واجب الوجود عالماً حكماً قادراً وان ذلك الصانع واحد
لوحدته النظام في الاكوان . وأطلق للعقل البشري ان يجري في سبيله
الذي سنته له الفطرة بدون تقييد فنهيه الى أن خلق السموات والأرض
واختلاف الليل والنهار وتحريك الرياح على وجه يتيسر للبشر أن يستعملها

في تسخير الفلك لمنافعه وإرسال تلك الرياح لتثير السحاب فينزل من السحاب ماء فتحي به الأرض بعد موتها وتنبت ماشاء الله من النبات والشجر مما فيه رزق الحي وحفاظ حياته - كل من آيات الله عليه أن يتدبر فيها ليصل منها الى معرفته

ثم قد يزيد تنبيهاً بذكر أصل للكون يمكن الوصول الى شيء منه بالبحث في عوالمه فيذكر ما كان عليه الأمر في أول خلقه السموات والأرض كما جاء في آية: «أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقا ففتقنهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون» ونحوها من الآيات . وهو إطلاق لعنان العقل ليجري شوطه الذي قدر له في طريق الوصول الى ما كانت عليه الأكوان . وقد يزيد التنبيه تأثيراً في إيقاظ العقل ما يؤيد ذلك من السنة كما جاء في خبر من سأل النبي صلى الله عليه وآله : أين كان ربنا قبل السموات والأرض فاجابه عليه السلام : « كان في عمامة تحته هواء »^(١) والعماء عندهم السحاب . فترى القرآن في مثل هذه المسألة الكبرى لا يقيد العقل بكتاب ، ولا يقف به عند باب ، ولا يطالبه فيه بحساب ؛ فليقرأ القارئ القرآن يعني عن سرد الآيات الداعية الى النظر في آيات الكون - « أولم ينظروا في ملكوت السموات والأرض وما خلق الله من شيء » . « وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون » - « ومن آياته خلق السموات والأرض واختلاف ألسنتكم وألوانكم » وأمثال ذلك ، فلو أردت سرد جميعها لأتيت

(١) رواه ابن جرير والطبراني وابو الشيخ في العظمة عن أبي رزين السائل (رض)

بأكثر من ثلث القرآن بل من نصفه في مقالي هذا .
 يذكر القرآن إجمالاً من آثار الله في الأكوان تحريكاتاً للعبارة ؛ وتذكيراً
 بالنعمة ؛ وحفظاً للفكرة ؛ لا تقريراً لقواعد الطبيعة ؛ ولا إزاماً باعتقاد
 خاص بالخلقة ؛ وهو في الاستدلال على التوحيد لم يفارق هذا السبيل ،
 انظر كيف يقرع بالدليل ، « لو كان فيها آلهة الا الله لفسدتا » « ما اتخذ الله
 من ولدٍ وما كان معه من إلهٍ إذا لذهب كل إله بما خلق ولعلنا بعضهم
 على بعضٍ سبحانه الله عما يصفون »

فالإسلام في هذه الدعوة والمطالبة بالإيمان بالله ووحدايته لا يعتمد
 على شيء سوى الدليل العقلي ؛ والفكر الإنساني الذي يجري على نظامه
 الفطري ، (وهو ماسميه بالنظام الطبيعي) فلا يدهشك بخارق للمادة ،
 ولا يفشي بصرك بأطوار غير معتادة ، ولا يخرس لسانك بقارعة سماوية ،
 ولا يقطع حركة فكرك بصيحة آلهية ، وقد اتفق المسلمون الا قليلاً ممن
 لا يعتد برأيه فيهم على ان الاعتقاد بالله مقدم على الاعتقاد بالنبوات وأنه
 لا يمكن الإيمان بالرسول الا بعد الإيمان بالله . فلا يصح ان يؤخذ الإيمان
 بالله من كلام الرسل ولا من الكتب المنزلة ^(١) فإنه لا يعقل ان تؤمن
 بكتاب أنزله الله الا اذا صدقت قبل ذلك بوجود الله وبأنه يجوز ان ينزل
 كتاباً أو يرسل رسولا .

وقالوا كذلك ان أول واجب يلزم المكلف أن يأتي به هو النظر

١٥ النار - أي لا يؤخذ منها بالتسليم بناءً على أنها من الله ولا ينافي هذا أن يؤخذ
 الإيمان بالله من كلام الرسل وكتبهم بما يقيمون من البرهان على ذلك لا بمجرد التسليم
 ولا باعتبار أنهم رسل الله ثم بعد الإيمان بالله وبهم يكمل إيمانه بالأخذ عنهم

والفكر لتحصيل الاعتقاد بالله لينتقل منه الى تحصيل الايمان بالرسول
وما أنزل عليهم من الكتاب والحكمة

وأما الدعوة الثانية فهي التي يخرج بها الاسلام بخارق العادة وما أدراك

ماهو الخارق للعادة الذي يعتمد عليه الاسلام ، في دعوته الى التصديق

برسالة النبي عليه السلام ، هذا الخارق للعادة هو الذي تواتر خبره ، ولم

ينقطع أثره ، هذا هو الدليل وحده وما عداه مما ورد في الأخبار سواء

صح سندها او اشهر او ضعف او وهي فليس مما يوجب القطع عند

المسلمين . فاذا أورد في مقام الاستدلال فهو على سبيل تقوية العند لمن

حصل أصله ، وفضل من التأكيد لمن سلمه من أهله . ذلك الخارق الذي تواتر

المعول عليه في الاستدلال لتحصيل اليقين هو القرآن وحده . والدليل

على انه معجزة خارقة للعادة تدل على ان موحيه هو الله وحده وليس من

اختراع البشر هو انه جاء على لسان أمي لم يتعلم الكتاب ولا يحارس العلوم

وقد نزل على وتيرة واحدة هادياً للضال مقوماً للمسرف كائناً بنظام عام

لحياة من يهتدي به من الأمم مشتدلاً لهم من خصم ان كذب فيه ومهلك

كانوا أشرفوا عليه . وهو مع ذلك من بلاغة الأساليب ما لا يرتقى

اليه كلام سواه حتى لقد دعي الفصحاء والبلغاء ان يعارضوه في ذلك . فمما

فمجزوا وجأوا الى الحجارة بياسوف وسنك السماء واضطرب المؤمنون به

الى ان الجأهم الى الدفاع عن دينهم وكان من أمرهم ما كانت من انتهاء

الحق على الباطل وظهور شمس الاسلام تمشد ظلها بأضوائها ، وتفسر

أنوارها في جوائها ،

وهذا الخارق قد دعا الناس الى النظر فيه بمؤمنهم وطولبوا بان يأتيوا



في نظرهم على آخر ما انتهى اليه قوتهم فأبوا وجدوا طريقاً لا يبطال إعجازه أو كونه لا يصلح دليلاً على المدعى فعملهم ان يأتيوا به . قال تعالى : « وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله » وقال : « أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » وقال غير ذلك مما هو مطالبه بمقاومة الحججة بالحجة ولم يطالبهم بمجرد التسليم على وغم من العقل

معجزة القرآن جامع من القول والعلم ، وكل منهما مما يتناوله العقل بالفهم ، فهي معجزة عرضت على العقل وعرفته القاضي فيها وأطلقت له حق النظر في أحنائها ، ونشر ما انطوى في أثنائها ، وله منها حظه الذي لا ينتقض . فهي معجزة أعجزت كل طوق ان يأتي بمثلاً ، ولكنها دعت كل قدرة ان تتناول ما نشاء منها ، أما معجزة موت حي بلا سبب معروف للموت أو حياة ميت أو إخراج شيطان من جسم أو شفاء علة من بدن فهي مما ينقطع عند العقل . ويجوز تشييد عليهم ، وإنما يأتي بها الله على يد رسله لإسكات أقوام غلبهم الوهم ، ولم تضيء عقولهم بنور العلم ، وهكذا يقيم الله بقدرته من الآيات ، للأمم على حسب الاستعدادات ،^(١)

ثم ان الاسلام لم يتخذ من خوارق العادات دليلاً على الحق لتغير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ولم ترد فيه كلمة واحدة تشير الى ان الداعين اليه يمكنهم ان يغيروا شيئاً من سنة الله في الخليقة ولا حاجة الى بيان ذلك فهو أشهر من ان يحتاج الى تعريف

(١) راجع الصفحة ٣٧١ من مجلد المنار الرابع وانظر الكلام في الآيات الكونية

بالحجج الأصل الأول للإسلام النظر العقلي لتحصيل الإيمان

فأول أساس وضع عليه الإسلام هو النظر العقلي . والنظر عنده هو وسيلة الإيمان الصحيح فقد أقامك معه على سبيل الحجّة وقاضاك الى العقل ومن قاضاك الى حاكم فقد أذعن الى سلطته فكيف يمكنه بعد ذلك ان يجور أو يثور عليه .

بلغ هذا الأصل بالمسلمين أن قال قائلون من أهل السنة إن الذي يستقصي جهده في الوصول الى الحق ثم لم يصل اليه ومات طالباً غير واقف عند الظن فهو ناج . فأي سعة لا ينظر اليها الحرج أكل من هذه السعة

بالحجج الأصل الثاني للإسلام تقديم العقل على ظاهر الشرع عند التعارض

أسرع اليك بذكر أصل يتبع هذا الأصل المتقدم قبل أن أنتقل الى غيره : اتفق أهل الملة الاسلامية الا قليلا من لا ينظر اليه على انه اذا تمارض العقل والنقل أخذ بما دل عليه العقل وتقي في النقل طريقان طريق التسليم بصحة المنقول مع الاعتراف بالمعجز عن فهمه ، وتفويض الامر الى الله في علمه ، والطريق الثانية تأويل النقل مع المحافظة على قوتين اللغة حتى يتفق معناه مع ما أثبتته العقل . وبهذا الأصل الذي قام على الكتاب وصحيح السنة وعمل النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم هدت بين يدي العقل كل سبيل ، وأزلت من سبيله جميع العقبات ، واتسع له المجال الى غير حد ، فإذا عساه يبلغ نظر الفيلسوف حتى يذهب الى ما هو أبعد من هذا ؛ وأي فضاء يسع أهل النظر وطلاب العلوم ان لم يسهم هذا القضاء ؛ ان لم يكن في هذا متسع لهم فلا وسعهم أرض بجزالها ووهادها ، ولا سماه بأجرامها وأبعادها ،

﴿ اصل تلك من أصول الاحكام في الاسلام البعد عن التكفير ﴾
 هلاً ذهب من هذين الاصلين الى ما اشتهر بين المسلمين وعرف
 من قواعد احكام دينهم وهو : اذا صدر قول من قائل يحتمل الكفر من
 جهة وجه ويحتمل الايمان من وجه واحد حمل على الايمان ولا يجوز حمله
 على الكفر . فهل رأيت تسامحاً مع أقوال الفلاسفة والحكماء أوسع من
 هذا؟ وهل يليق بالحكيم أن يكون من الحق بحيث يقول قولاً لا يحتمل
 الايمان من وجه واحد من جهة وجه؟ اذا بلغ به الحق هذا المبلغ كان
 الاجدر به أن يذوق حكم محكمة التفتيش البابوية ويؤخذ بيديه ورجليه
 فيلقى في النار .

﴿ اصل رابع في الاسلام الاعتبار بسنة الله في الخلق ﴾
 يتبع ذلك الأصل الاول في الاعتقاد - وهو أن لا يعول بعد الانبياء
 في الدعوة الى الحق على غير الدليل وأن لا ينظر الى العجائب والغرائب
 وخوارق العادات - أصل آخر وضع لتقويم ملكات الأنفس القائمة على
 طريق الاسلام وإصلاح أعمالها في معاشها ومعادها . ذلك هو أصل العبادة
 بسنة الله فيمن مضى ومن حضر من البشر وفي آثار سيرهم فيهم . فما جاء
 في الكتاب العزيز مقروراً لهذا الأصل « قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ سُنَنٌ فَسِيرُوا
 فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ - سَنَةٌ مِنْ قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ
 مِنْ رُسُلِنَا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا - فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا سُنَّةَ الْأُولَىٰ وَلَنْ تَجِدَ
 لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَحْوِيلًا - أُولَٰئِكَ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا
 كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ » الخ
 في هذا يصرح الكتاب بأن الله في الأمم والأحوال سناً لا يتبدل

والسنن الطرائق الثابتة التي تجري عليها الشؤون وعلى حسبها تكون الآثار وهي التي تسمى شرائع أو نواميس ويصبر عنها قوم بالقوانين ، مألوا ولا اختلاف البارات ، الذي ينادي به الكتاب ان نظام الجحيم البشرية وما يحدث فيها هو نظام واحد لا يتغير ولا يتبدل ونبي من يطلب السعادة في هذا الاجتماع ان ينظر في أصول هذا النظام حتى يرد إليها أعماله ويبنى عليها سيرته وما يأخذ به نفسه ، فإن غفل عن ذلك غافل فلا ينتظرن الا الشقاء وان ارتفع الى الصالحين نسبه ، أو اتصل بالمقربين سببه ، فهما بحث الناظر وفكر ، وكشف وقرر ، وأتى لنا باحكام تلك السنن ، فهو يجري مع طبيعة الدين ، وطبيعة الدين لا تتجاني عنه ، ولا تنفر منه ، فلم لا يعظم تسامحها معه ؟

جاء الاسلام لمحو الوثنية العربية كانت أ يونانية أو رومانية أو غيرها في أي لباس وجدت ، وفي أي صورة ظهرت ؛ وتحت أي اسم عرفت ؛ ولكن كتابه عربي والقرية لانه أولئك الوثنيين ، أعدائه الاقربين ، وفهم معناه ، وموقوف على معرفة اوضاع الاسان ولا تعرف أوضاعه حتى تعرف مواضع استعمال كله وأساليبه ، ولن يكون ذلك الا بحفظ ، والاطاق به العرب من منظوم ومثور وفيه من آدابهم وعاداتهم واعتقاداتهم ما يورد عند الناظر في كلامهم صورة كاملة من جاهليتهم وما فيها من الوثنية وأطوارها . هكذا صنع المسلمون الأولون — ركبوا الاسفار ، وأنفقوا الامهار ، وبنوا الدرهم والدينار ، في جمع كلام العرب وحفظه وتدوينه وتفسيره توسلاً بذلك الى فهم كتابهم المنزل فكروا ان يكون ذلك ضرباً من ضروريات العبادة ، يرجون من الله فيه حسن المثوبة ، فكان من طبيعة الدين ان لا يحقر العلم للدين الذي ولد هو فيه . بل قد يكون من الدين علم ما ليس ، منه متى حسنت النية

في تناوله . وهذا باب من التسامح لا يقدر سمته الا أهل العلم به . أما المسيحيون الاولون فقد هجروا لسان المسيح عليه السلام سريانياً كان او عبرانياً وكتبوا الانجيل باللغة اليونانية ولم يكتب في العبرية الا انجيل متى فيما يقال . الاتري أن اسم الانجيل نفسه يوناني؟ كل ذلك كراهة لليهود الذين كان ينطق المسيح بلسانهم ويعظم بلغتهم . وتخرج من النظر في دواوين آدابهم ، وما توارثوا من عاداتهم

﴿ الأصل الرابع للإسلام قلب السلطة الدينية ﴾ - « ١ »

أصل من أصول الإسلام انتقل اليه وما أجله من أصل - قلب السلطة الدينية والإتيان عليها من أساسها . هدم الإسلام بناء تلك السلطة ومحاثرها حتى لم يبق لها عند الجمهور من أهله أسم ولا رسم . لم يدع الإسلام لأحد بعد الله ورسوله سلطاناً على عقيدة أحد ولا سيطرة على إيمانه (علي ان الرسول عليه السلام كان مبلغاً ومذكراً لا مهيناً ومسيطرآ . قال تعالى « فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ») ولم يجعل لأحد من أهله أن يحل ولا أن يربط لافي الارض ولا في السماء . بل الايمان يعتق المؤمن من كل رقيب عليه فيما بينه وبين الله سوى الله وحده ، ويرفع عنه كل رقب الا العبودية لله وحده ، وايسلم معها علاكمه في الإسلام على آخر مهما انحطت منزلته فيه الا حق النصيحة والارشاد . قال تعالى في وصف الناجين : « وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ » وقال : « وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ

(١) هذا الأصل هو ضد الأصل الثاني من أصول النصرانية (راجع ص ٤١٤)

الْمُفْلِحُونَ» وقال : « فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة لينفقها في الدين
 ولينذروا قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون » فالسلفون بتناصحون ثم
 هم يقيمون أمة تدعو الى الخير وهم المراقبون عليها يردونها الى السبيل السوي
 اذا انحرفت عنه . وتلك الأمة ليس لها فيهم الا الدعوة والتذكير ، والانذار
 والتحذير ، ولا يجوز لها ولا لأحد من الناس أن يتبع عورة أحد . ولا يسوغ
 لقوي ولا لضعيف أن يتجسس على عقيدة أحد . وليس يجب على مسلم أن
 يأخذ عقيدته أو يتلقى أصول ما يعمل به عن أحد الا عن كتاب الله وسنة رسوله
 صلى الله عليه وسلم . لكل مسلم أن يفهم عن الله من كتاب الله وعن رسوله
 من كلام رسوله بدون توسيط أحد من سلف ولا خلف . وإنما يجب عليه
 قبل ذلك أن يحصل من وسائله ما يؤهله لفهم كتواعد اللغة العربية وآدابها
 وأساليبها وأحوال العرب خاصة في زمان البعثة وما كان الناس عليه زمن النبي
 صلى الله عليه وسلم وما وقع من الحوادث وقت نزول الوحي وشي من
 النسخ والمنسوخ من الآثار . فان لم تسمح له حاله بالوصول الى ما يمدّه
 لفهم الصواب من السنة والكتاب فليس عليه إلا أن يسأل العارفين بهما .
 وله بل عليه أن يطالب المحيب بالدليل على ما يجيب به سواء كان السؤال في
 أمر الاعتقاد أو في حكم عمل من الاعمال . فليس في الاسلام ما يسمى عند
 قوم بالسلطة الدينية بوجه من الوجوه

السلطان في الاسلام

لكن الاسلام دين وشرع فقد وضع حدوداً ورسم حقوقاً . وليس
 كل منتهى في ظاهر أمره بحكم يجري عليه في عمله . فقد يئلب الهوى .
 وتحكم الشهوة . فينمط الحق . أو يتمدى المتعدي الحد . فلا تكمل الحكمة

من تشريع الاحكام الا اذا وجدت قوة لاقامة الحدود . وتنفيذ حكم القاضي بالحق . وصون نظام الجماعة . وتلك القوة لا يجوز ان تكون فوضى في عدد كثير فلا بد ان تكون في واحد وهو السلطان أو الخليفة

الخليفة عند المسلمين ليس بالمعصوم ، ولا هو مهبط الوحي ، ولا من حقه الاستئثار بتفسير الكتاب والسنة . ثم شرط فيه أن يكون مجتهداً أي أن يكون من العلم باللغة العربية وما معها مما تقدم ذكره بحيث يتيسر له ان يفهم من الكتاب والسنة ما يحتاج اليه من الاحكام حتى يتمكن بنفسه من التمييز بين الحق والباطل . والصحيح والفاسد . ويسهل عليه إقامة العدل الذي يطالبه به الدين والأمة معاً .

هو على هذا — لا يخصصه الدين في فهم الكتاب والعلم بالأحكام بمزية ، ولا يرتفع به الى منزلة ، بل هو وسائر طلاب الفهم سواء ، إنما يتفاضلون بصقل العقل ، وكثرة الاصابة في الحكم ، ^(١) ثم هو مطاع مادام على المحجة ونهج الكتاب والسنة ، والمسلمون له بالمرصاد ، فاذا انحرف عن النهج أقاموه عليه ، واذا اعوج قواموه بالنصيحة والإعذار اليه ، ^(٢) « لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق » ^(٣) فاذا فارق الكتاب والسنة في عمله ، وجب عليهم ان يستبدلوا به غيره ، ما لم يكن في استبداله مفسدة تفوق المصلحة

(١) المنار — من شواهد ذلك ارتفاع قدر العلماء على الخلفاء الذين قصروا عنهم في الفهم والعلم . ألم يأتك نبأ الامام مالك مع الخليفة هرون الرشيد (رحمهما الله) وكيف أنزل الامام الخليفة عن المنصة وأقعده مع العامة عند لقاء الدرس لأنه في رتبة المستفيد (٢) من شواهد ذلك قول الخليفة الأول رضى الله عنه في خطبة (وان زغت قوموني) راجع ٧٣٤ من مجلد المنار الرابع (٣) حديث رواه البخارى ومسلم وغيرهما (راجع ٧٣٢ من مجلد المنار الرابع)

فيه .^(١) فالأمة أو نائب الأمة هو الذي ينسب إليه ، والأمة هي صاحبة الحق في السيطرة عليه ، وهي التي تخالعه متى رأت ذلك من مصلحتها ، فهو حاكم مدني من جميع الوجوه .

ولا يجوز لصحيح النظر أن يخلط الخليفة عند المسلمين بما يسميه الافرنج (تيوكراتيك) أي سلطان الهي . فان ذلك عندهم هو الذي ينفرد بتلقي الشريعة عن الله وله حق الأثرة بالتشريع ، وله في رقاب الناس حق الطاعة لا بالبيعة وما تقتضيه من المدل وحماية الحوزة بل بمقتضى الأيمان فليس للمؤمن مادام مؤمناً أن يخالفه وان اعتقد انه عدو لدين الله ، وشهدت عيناه من أعماله مالا ينطبق على ما يعرفه من شرائعه ، لأن عمل صاحب صاحب السلطان الديني وقوله في أي مظهر ظهر اهود دين وشرع . هكذا كانت سلطة الكنيسة في القرون الوسطى . ولا تزال الكنيسة تدعي الحق في هذه السلطة الى اليوم كما سبقت الاشارة اليه

كان من أعمال التمدن الحديث الفصل بين السلطة الدينية والسلطة المدنية فترك للكنيسة حق السيطرة على الاعتقاد والأعمال فيما هو من معاملة العبد لربه . تشرع وتفسخ ما تشاء ، وتراقب وتحاسب كما تشاء ، وتحرم وتعطي كما تريد ، وخول السلطة المدنية حق التشريع في معاهدات الناس بعضهم لبعض . وحق السيطرة على ما يحفظ نظام اجتماعهم ، في معاشهم لان في معادهم ، وعدوا هذا الفصل منبعا للخير الأعم عندهم . ثم هم يهيمون فيما يرمون به الاسلام من انه يحتم قرن السلطين في شخص واحد .

(١) مثال ذلك ان يكون له عصبية أقوى من الأمة يخشى ان ييدها بها . در .

ويظنون ان معنى ذلك في رأي المسلم ان السلطان هو مقرر الدين وهو واضع أحكامه وهو منفذها والايان آلة في يده يتصرف بها في القلوب بالإخضاع ، وفي العقول بالإقناع ، وما المقل والوجدان عنده الامتاع ، وينون على ذلك ان المسلم مستعبد لسلطانه بدينه . وقد عهدوا ان سلطان الدين عندهم كان يحارب العلم ، ويحمي حقيقة الجهل ، فلا يقيس للدين الاسلامي ان يأخذ بالتساعح مع العلم مادام من أصوله ان إقامة السلطان واجبة بمقتضى الدين . وقد تبين لك ان هذا كله خطأ محض وبُعد عن فهم معنى ذلك الأصل من أصول الاسلام . وعلمت ان ليس في الاسلام سلطة دينية سوى سلطة الموعظة الحسنة ، والدعوة الى الخير ، والتنفير عن الشر ، وهي سلطة خوفاً لله لا دني المسلمين يقرع بها أنف اعلام ، كما خوفاً لاعلام يتناول بهامن أدنام ، ومن هنا تلم « الجامعة » ان مسألة السلطان في دين الاسلام ليست مما يضييق به صدره ، وتخرج به نفسه عن احتمال العلم ، وقد تقدم ما يشير الى ما صنع الخلفاء العباسيون والأمويون الأندلسيون من صنائع المعروف مع العلم والعلماء . وربما أتينا على شيء آخر منه فيما بعد يقولون : ان لم يكن للخليفة ذلك السلطان الديني أفلا يكون للمناضي أو المفتي أو شيخ الاسلام . وأقول : ان الاسلام لم يجعل لهؤلاء أدنى سلطة على العقائد وتقرير الأحكام . وكل سلطة تناولها واحد من هؤلاء فهي سلطة مدنية قررها الشرع الاسلامي . ولا يسوغ لواحد منهم ان يدعي حق السيطرة على إيمان أحد أو عبادته لربه أو ينازعه في طريق نظره

الأصل الخامس للإسلام حماية الدعوة لمنع الفتنة عن المسلمين

قالوا : إن الدين الاسلامي دين جهادي شرع فيه القتال ولم يكن

شرع في الدين المسيحي ففي طبيعة الدين روح الشدة على من يخالفه وائس
 فيها ذلك الصبر والاحتمال اللذان تقضي بهما شريعة المسألة وهي الشريعة
 التي وردت في كثير من الوصايا المسيحية « من ضربك على خدك الايسر
 فادر له خدك الايمن من سخرك ميلا فسرعه ميلين » ونحو ذلك . حتى
 لقد طلبت فيها محبة الاعداء وإن كانت محبة العدو مما لا يدخل تحت
 الاختيار بل ولا محبة الصديق وإنما الاختياري العدل بين الاعداء والاولياء .
 لكن في ملكوت الله كل شيء مستطاع ولا شيء فيه بمستحيل . قلنا : لكن
 انظروا هل دفع الشر بالشر عند القدرة عليه وعند عدم التمكن من سواه
 خاص بالدين الاسلامي أو هو في طبيعة كل قادر يُعذِرُ الى خصمه ؟ . ليس
 القتل في طبيعة الاسلام بل في طبيعته العفو والمسامحة : « خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ
 بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ » ولكن القتال فيه لرد اعتداء المعتدين
 على الحق وأهله الى أن يأمن شرهم ويضمن السلامة من غوائلهم . ولم يكن
 ذلك للإكراه على الدين ولا للانتقام من مخالفيه . ولهذا لا تسع في تاريخ
 الفتوح الاسلامية ، ما تسمه في الحروب المسيحية ، عند ما اقتدر أصحاب
 « شريعة المسألة » على محاربة غيرهم من قتل الشيوخ والنساء والاطفال .
 لم تقع حرب إسلامية بقصد الإيابة كما وقع كثير من الحروب بهذا
 القصد بأيدي المسيحيين . وإنما كان الصبر والمسألة دينا عندما كانت القدرة
 والقوة تعوزان الدين . وغاية ما يقال إن العناية الاطية منحت الاسلام
 في الزمن القصير من القوة على مدافعة أعدائه ما لم تمنحه لغيره في الزمن
 الطويل . فتيسر له في شيبته ما لم يتيسر لغيره الا في كهولته أو شيخوخته .

مقابلة بين الاسلام الحربي والمسيحية السلمية

الاسلام الحربي كان يكتفي من الفتح بادخال الارض المفتوحة تحت سلطانه ثم يترك الناس وما كانوا عليه من الدين يؤدون ما يجب عليهم في اعتقادهم كما شاء ذلك الاعتقاد . وإنما يكلفهم بجزية يدفعونها لتكون عوناً على صيانتهم والحفاظة على أمنهم في ديارهم وهم في عقائدهم ومبادئهم وعاداتهم بعد ذلك أحرار لا يضاهقون في عمل ولا يضامون في معاملة . خلفاء المسلمين كانوا يوصون قوادهم باحترام العباد الذين انقطعوا عن العامة في الصوامع والاديار لمجرد العبادة كما كانوا يوصونهم باحترام دماء النساء والاطفال ، وكل من لم يعن على القتال . جاءت السنة المتواترة بالنهي عن إيذاء أهل الذمة وبتقرير ما لهم من الحقوق على المسلمين (لهم مالنا وعليهم ما علينا) و (من آذى ذمياً فليس مناً) واستمر العمل على ذلك ما استمرت قوة الاسلام . ولست أبالي اذا انحرف بعض المسلمين عن هذه الاحكام ، عند ما بدأ الضعف في الاسلام ، - وضيق الصدر من طبع الضيف - فذلك مما لا يلصق بطبيعته ، ولا يخلط بطيبته ،

المسيحية السلمية كانت ترى لها حق القيام على كل دين يدخل تحت سلطتها ترأف أعمال أهله وتمنحهم دون الناس بضروب من المعاملة لا يمتثلها الصبر مها عظم . حتى اذا تمت لها القدرة على طردهم بعد العجز عن إخراجهم من دينهم وتعميدهم أجنتهم عن ديارهم ، وغسلت الديار من آثارهم ، كما حصل ويحصل في كل أرض استولت عليها أمة مسيحية استيلاء حقيقياً . لا يمنع غير المسيحي من تعدي المسيحي الا كثرة العدد ، أو شدة العصد ، كما شاهد التاريخ وكما يشهد كتابوه . ذلك كله لأنه ما جاء ليلقي

سلاماً بل سيفاً ولأنه جاء ليفرق بين البنت وأما والابن وأبيه^(١) والاسلام يقول كتابه في شأن الوالدين : « وإن جاهدك على أن تُشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أناب الي » فهو في اشتداده على المهتدين لأمنه لا يقضي بالفرقة بين أب وابن ولا بين أم وبنت . بل يأمر الأولاد المؤمنين ان يصحبوا آباءهم المشركين بالمعروف في الدنيا مع محافظتهم على دينهم

(١) تقدم نص انجيل متى في هذا . ومثله قول انجيل لوقا ١٥ - ٢٥ و ٢٦ (وقال لهم يسوع) ان كان احد يأتى الي ولا يبغض أباه وأمه وامرأته وأولاده واخوته واخواته حتى نفسه أيضاً فلا يقدر ان يكون لي تلميذاً . وفي الباب ١٩ من هذا الانجيل مانصه (٢٧) أما أعدائي أولئك الذين لم يريدوا أن أملك عليهم تأتوا بهم الي هنا واذبحوهم قدامي) . وأما أسفار التوراة فقد جاء فيها نحو ذلك في القسوة مع الاهلين الخائفين ومع سائر الحجارين . قال في ١٣ : ٦ - ٩ من تسمية الاشتراع (وإذا اغواك رآ أخوك ابن أمك أو ابنك أو ابنتك أو امرأة حضانك أو صاحبك الذي مثل نفسك قائلاً نذهب ونعبد آلهة أخرى لم تعرفها أنت ولا آباؤك من آلهة الشعوب القريبين منك أو البعيدين عنك من أقصاء الأرض الى أقصاها فلا ترض منه ولا تسمع له ولا تشفق عينك عليه ولا ترق له ولا تستره بل قتلا قتله : الخ)

وفي سفر التثنية أيضاً (٢٥ : ١٥ - ١٦) مانصه (حين تقرب من مدينة لتجاربها الى الصلح فإن أجبتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك لاسخير ويستعبد لك . وان لم تسالمك بل عملت معك حرباً فأحصرها وإذا دفعها الرب آهلك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف وأما النساء والاطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها فقتلها بنفسك وتأكل غنيمتها الذي أعطاك الرب آهلك . وهكذا تفعل بجميع المدن البعيدة جداً منك التي ليست من مدن هؤلاء الائم هنا . وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيك الرب آهلك نصيباً فلا تستبق منهم نسمة ما)

فانت ترى الاسلام من جهة يكتفي من الأمم والطوائف التي ينساب على أرضها بشي من المال أقل مما كانوا يؤدون من قبل قلبه عليهم ويأن يعيشوا في هدوء لا يعكرون منه صنو الدولة ولا يخلون بنظام السيادة العامة. ثم يرخي لهم بعد ذلك عنان الاختيار في شؤونهم الخاصة بهم لا رقيب عليهم فيها الا ضمائرهم. ومن جهة أخرى ينهى أفراد المؤمنين عن مقاطعة ذوي قرباهم من المشركين ويطلبهم بحسن معاملتهم. في طبيعته ان يكل أمر الناس في سرايرهم الى ربهم، وفي طبيعته ان يجير من لا يعتقد عقيدته، ويحبي من لا يتبع سنته، وان كان في عمى من الجهالة؛ وخبل من الضلالة؛ أقرى انه يصعب عليه بعد ذلك ان يحتمل العلم والعلماء؛ ويضيق به حلمه عن صنع الجميل بالفضل والفضلاء؛ ممن ينفق عمره في تقرير حقيقة؛ أو كشف غامض أو تبين طريقة. ككلام كلاً، فمن بحث ونقب، وسبر وقر، أو شق الأرض، أو ارتقى الى السماء، فهو في أمن من ان يعرض الاسلام له في شيء من عمله الا أن يحدث شعباً، أو يفسد أدباً، فتند ذلك تمتد يد الملك لرد كيد الكائد، وإصلاح الفاسد، بسماح من الدين

الاصل السادس مودة المخالفين في العقيدة (١)

المصامرة - أباح الاسلام للمسلم أن يتزوج الكتابية نصرانية كانت أو يهودية وجعل من حقوق الزوجة الكتابية على زوجها المسلم أن تتمتع بالبقاء على عقيدتها، والقيام بفروض عبادتها، والذهاب الى كنيسها أو بيتها، وهي منه بمنزلة البض من الكل، وألزم له من الظل، وصاحبه في العز

(١) هذا الاصل الاسلامي هو ضد الاصل السادس للتصيرية (راجع ص ٤١٨)

والذل ، والترحال والحل ، بهجة قلبه ، وريحانة نفسه ، وأميرة بيته ، وأم بناته وبنيه ، تتصرف فيهم كما تتصرف فيه ، لم يفرق الدين في حقوق الزوجية بين الزوجة المسلمة والزوجة الكتابية . ولم يخرج الزوجة الكتابية باختلافها في العقيدة مع زوجها من حكم قوله تعالى : « وَمَنْ آيَاتِهِ أَنْ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ » فلها حظها من المودة ، ونصيبتها من الرحمة ، وهي كما هي . وهو يسكن إليها كما تسكن إليه ، وهو لباس لها كما أنها لباس له ، أين أنت من صلة المصاهرة التي تحدث بين أقارب الزوج وأقارب الزوجة وما يكون بين الفريقين من الموالاة والمناصرة على ما عهد في طبيعة البشر . وما أجلى ما يظهر من ذلك بين الأولاد وأخوانهم ؛ وذوي القربى لو الدتهم ؛ أيعيب عنك ما يستحكم من ربط الألفة بين المسلم وغير المسلم بأمثال هذا التسامح الذي لم يعهد عند من سبق ولا فيمن سبق من أهل الدين السابقين عليه ^(١) ولا يخفى على صحيح النظر أن تقرير التسامح على هذا الوجه في نشأة الدين مما يمود القلوب على الشعور بأن الدين معاملة بين العبد وربّه ؛ والعقيدة طور من أطوار القلوب ؛ يجب أن يكون أمرها بيد علام الغيوب ؛ فهو

(١) المنار - يقول بعض النصارى : إذا كان الإسلام أباح للمسلم أن يتزوج بالكتابية ليعلم البشر التألف والعاطف ، مع النابن في العقيدة والتخالف ، فلماذا لم يسمح للكتابي أن يتزوج بالمسلمة لهذا الغرض ؟ والجواب أن الرجال قوامون على النساء لأنهم أقوى منهن فليس من العدل ولا من الرحمة أن يسمح لقوي يفرق دينه بينه وبين زوجته الضعيفة ويأمره ببغضها وببغض أولاده ووالديه إذا خالفوا عقيدته أن يتزوج بامرأة مخالفة . أباح الإسلام ذلك لمن يعمل بما أمر من العدل والرحمة وهو المسلم

الذي يحاسب عليها ؛ أما المخلوق فلا تطول يده إليها ؛ وغاية ما يكون من العارف بالحق أن يذبه المافل ؛ ويعلم الجامل ؛ وينصح للغاوي ؛ ويرشد الضال ؛ لا يكفر في ذلك نعمة العشير ؛ ولا يسلك به مسالك التعسير ؛ ولا يقطع أمل النصير ، ولا يخالف سنة الوفاء ؛ ولا يجتهد عن شرائع الصدق في الولاء ، ماذا ترى في الزوجة الكتابية لو كانت من أهل النظر العقلي وذهبت مذهباً يخالف مذهب زوجها ؛ أفينقص ذلك من مودته لها ؛ أو يضعف من شعور الرحمة التي أفاضها الله بينه وبينها ، فإذا كان المسلم يتعود الاحتمال بل يتعود المحبة والنصرة لمن يخلفه في عقيدته ؛ ودينه وملكته ؛ ويألف مخالطته وعشرته ؛ وولاياته ونصرته ؛ أترأه لا يحتفل أن يرى بجواره من يعمل نظره في نظام الخليفة ليصل منه إلى اكتشاف سر أو تقرير أصل في علم أو قاعدة لصناعة وإن كان قد يخالف ظاهراً مما يمتد ؛ أو يميل إلى رأي غير الذي يجد ؛ أفلا يسمع هذا ما يسمع المجاهر بالخلاف ؛ وهو منه على ما رأيت من الائتلاف ؟؟

لو ذهبت أعدائي طبيعة الإسلام من عناصر وأركان كلها تؤلف مزاج الكرم ؛ وتكون حقيقة المسامحة مع العلم ؛ لأطلت على القارئ أكثر مما أطلت . ولهذا أرى من الواجب علي أن أختم القول بذكر أصل أشرت إليه ولا غنى لما نحن فيه عن ذكره

﴿ الأصل السابع للإسلام الجمع بين مصالح الدنيا والآخرة ﴾ (١)

الصحة الحياة في الإسلام مقدمة على الدين ، أو امر الحنيفية السمحة إن كانت

تختطف المبدأ إلى ربه ، وتملاً قلبه من ربه ، وتطم أمله من ربه ، فهي مع ذلك لا تأخذه عن كسبه ، ولا تحرمه من التمتع به ، ولا توجب عليه تقشف الزهادة ، ولا تجشمه في ترك اللذات ما فوق المادة ،

صاحب هذا الدين صلى الله عليه وسلم لم يقل « بع ما ملكك وأتبعني » ولكن قال لمن استشاره فيما يتصدق به من ماله « الثالث والثالث كثير إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تدعهم عالة يتكففون الناس »^(١)

الرخص - فرض الصوم على المؤمنين لكن إذا خشي منه المرض أو زيادته أو زادت المشقة فيه جاز تركه بل قد يجب إذا غلب على الظن الضرر فيه . الوضوء والغسل من شروط الصحة للصلاة إلا إذا خشي منه الضرر أو عرضت مشقة في تحصيل الماء . القيام مما لا تصح الصلاة إلا به إلا إذا أصابت المصلي مشقة فيه فيسقط ويصلي قاعداً . السعي إلى الجمعة واجب إلا إذا كان وحل غزير أو مطر كثير أو ما يوجب تعباً ومشقة فيسقط . وهكذا تجد القاعدة قد عمت : « صحة الأبدان مقدمة على صحة الأديان »

فقرى الدين قد راعى في أحكامه سلامة البدن كما أوجب العناية بسلامة الروح

الزينة والطيبات - أباح الإسلام لأهله التجميل بأنواع الزينة والتوسع في التمتع بالمشتريات على شريطة القصد والاعتدال وحسن النية ، والوقوف عند الحدرد

(١) المنار - يشير الكاتب إلى حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه وقد رواه البخاري ومسلم وأصحاب السنن الأربعة . كان سعد مريضاً في حجة الوداع فماده النبي صلى الله عليه وسلم وكان عازماً على الصدقة بثاني ماله وفي رواية بماله كله فسأله النبي عما ترك لولده فقال هم أغنياء . وفي رواية الجماعة أنه لم يكن له الابنت . وفي رواية أحمد والنسائي أنه أمره أولاً بان يتصدق بالمشر . والحاصل أنه ما زال يراجه حتى رضي صلى الله عليه وسلم بالثلث وحرّم الزيادة بالحديث

الشرعية، والمحافظة على صفات الرجولية، جاء في الكتاب العزيز: « يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ . قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ؟ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ تَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ . قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّي الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَالْإِثْمَ وَالْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ » (سورة الأعراف)

ثم عد الله النعيم والجمال والزينة من نعمه علينا التي يذكرنا بها فضله، ويهيج بها نفوسنا لذكره وشكره، كما قال: « وَالْأَنْعَامَ خَلَقْنَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَافِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ . وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَى بَلَدٍ لَمْ تَكُونُوا بِالْفَيْهِ إِلَّا بِشِقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ . وَالخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ »

ثم قال: « وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتسخر جوامينه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » (سورة النحل).

الاقتصاد - ووضع قانوناً للانفاق وحفظ المال في قوله: « إن المبدرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان إرباً كفوراً . ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوماً محسوراً، (سورة الإسراء)

الهي عن الفلو في الدين - وخشي على المؤمن أن يغلو في طلب الآخرة

فيهلك دنياه وينسى نفسه منها فذكرنا بما قصه علينا أن الآخرة يمكن
نيلها مع التمتع بنعم الله علينا في الدنيا إذ قال : « وابتغ فيما آتاك الله الدار
الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ
الفساد في الأرض إن الله لا يحب المفسدين »

فترى أن الإسلام لم يخس الحواس حقها ، كما أنه هيا الروح لبلوغ
كمالها ، فهو الذي جمع للإنسان أجزاء حقيقته واعتبره حيواناً ناطقاً لا
جسماً بصرافاً ، ولا ملكوتياً بحتاً ، جملة من أهل الدنيا كما هو من أهل
الآخرة . استبقاه من أهل هذا العالم الجسداني ، كما دعاه إلى أن يطلب
مقامه الروحاني ، ليس يكون بذلك وبما بينه في قوله : « هو الذي يخلق
لكم ما في الأرض جميعاً » قد أطلق القيد عن قواه ، لتصل من رفاه الحياة
(مع القصد) إلى منتهاه ، والنفوس مطبوعة على التنافس قد غرر فيها حب
التسابق فيما تعتقده خيراً ، أو تجده لذيذاً أو تظنه نافعاً

وليس في التفرقة الإنسانية أن يقف بها الطالب عند حدٍّ محدود ،
أو ينتهي بها السعي إلى غاية لا مطلع للارغبة وراءها ، بل خصها الله بالملكة
من الرقي في أطوار الكمال من جميع وجوهه إلى ما شاء الله أن ترقى
بدون حدٍّ معروف .

فإذا جمع سائق الأنفس ومزجها ، ومرشدها وهاديها ، بين شاحذين
شاحذ التمتع بمتاع الحياة الدنيا ، وشاحذ الرغبة في النعيم الدائم في الآخرة ،
فقد جمع لها كل ما يسو بها عن الرضاء في الدنيا بالدون ، وفي الآخرة

بعذاب المهون ، قترى كل نفس تمضي مع استعدادها ، بشهامة فؤادها ،
 مضاه الزميع ^(١) لا تخشى العثرة بالوعيد ، ولا تقعد عن مطلبها قعدة
 الرعد يند ^(٢) فتطلب منافمها ، من هذا الكون الذي وُجدت فيه ووجد
 لها ، فتسير في مناكب الأرض ، ولا تكتفي عن السكل بالبعض ، وتبحث
 في تربتها ، ولا يقف بها ظاهرها عن باطنها ؛ ولا يحجبها ظهرها ؛ عن مديديها
 الى ما في جوفها ، ولا تجد ، ايضاً عنها عن النظر في الهواء ، والبحث في
 الماء ، والاهتداء بنجوم السماء ، بعد معرفة مواقعها ، وحرركاتها في مداراتها ،
 واستقامتها وانحرافها ، وظهورها وخنوسها ، وبالجملة فكل مستعد لوجه
 من وجوه النظر ، او الولوج في باب من أبواب العلم ، ينطلق الى حيث
 يبلغ به استعداده إما للنجاة من ضرورة ، وإما لاستتمام منفعة او استكمال
 لذة ، لا يجد من نواهي الدين ما يصدّه عن مطلب ، ولا ما يكف يده
 عن تناول رغبة ، أين هذا من ذلك الذي لا يرى الخلاص الا في مجافاة
 هذا العالم ولذائذه ويجد ان الغنى والثروة من الحجب التي لا تحرق تحول
 بينه وبين ملكوت السموات

كيف يتسنى للمسلم ان يشكر الله حق شكره ، اذا لم يضع العالم
 بأسره تحت نظر فكره ، لينفذ من ظاهره الى سره ، ويقف على قوائمه
 وشرائمه ، ويستخدم كل ما يصلح لخدمته في توفير منافمه ، كيف يشكر
 الله اذا توانى في ذلك وقد ارشده الله في كتابه وبسنة نبيه الى أن عالمه إنما خلق
 لأجله ، وقد وعده الله تحت تصرف عقله ، انظر الى لطف الاشارة في الاية

(١) هو الخنزير القوي العزيمة يرمع على الأمر فيمضي فيه ولا يتنهي والحيد الرأي المقدم

(٢) الرعد يد الجبان الكثير الارتعاد

المتقدمة « قل من حرم زينة الله » الخ حيث قال : « كذلك تفصل الآيات لقوم يعلمون » فأهل العلم هم الذين يعرفون مقدار نعم الله تعالى فيما يرفه به معيشتهم ، ويجعل به هياتهم ، ويجلي به زينتهم ؛

المسلمون مسوقون بنابل من دينهم الى طلب ما يكسبهم الرفعة والسؤدد ؛ والفزة والمجد ؛ ولا يرضيهم من ذلك بما دون الغاية ؛ ولا يتوفر شيء من وسائل ذلك الا بالعلم ؛ فهم محفوزون أشد الحفز الى طلب العلم وتلمسه في كل مكان ، وتلقيه من أية شفة وأي لسان ، فاذا لاقاه المالم في أي سبيل ، أو عشروا به في أي جيل ، أو ظهر لهم من أي قبيل ، هشوا له وبشوا ، ونصبوا اليه وكمشوا^(١) ، رشدوا به أو اصرهم ، وعقدوا عليه خناصرهم ، ولا يباليون ما تكون عقيدته ، اذا نفتهم حكمته ، « الحكمة ضالة المؤمن فحسب وجدها فهو أحق بها »^(٢) ألم يأتيهم عن ربهم : « يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ » ألم يسموا في وصفهم قوله : « الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه » ذلك شأن المسلم مع العلم اذا كان مسلماً حقاً . وذلك ما تنجر إليه طبيعة دينه . وحديث اطلبوا العلم ولو بالصين^(٣) ان كان في سبيل

(١) لعل نصبوا من نصب السير وهو ان يسير طول يومه سيراً لينا . وكمش الرجل كان سريماً ماضياً . وكمش كمشة شجع واسرع (٣) النار - حديث رواه

الترمذي عن أبي هريرة ، ورواه غيره بألفاظ أخرى والمعنى واحد . ومنه رواية موقوفة على ابن عمر رضي الله عنهما « خذ الحكمة ولا يضرك من أي وعاء خرجت » وفي

رواية عن علي كرم الله وجهه « الحكمة ضالة المؤمن فخذ الحكمة ولو من أهل النفاق

(٣) رواه ابن عدي في الكامل والبيهقي في شعب الإيمان والمدخل وابن عبد البر في العلم والخطيب في الرحلة والديلمي في مسند الفردوس وغيرهم وله طرق كثيرة يقوي بعضها بعضها

لفظه الى النبي صلى الله عليه وسلم مقال فسنده معناه متواتر فانه سند القرآن نفسه
 فان الله يفضل العلم وأهل العلم بدون قيد ولا تخصيص ، فالمسلم مطالب بطلب
 العلم ولو في الصين ولم يكن في الصين مسلم على عهد النبي صلى الله عليه وسلم
 لا شيء ينقلب عند النفس الانسانية لذته بنفسه وان كان في أول أمره مطلوباً
 لغيره مثل العلم . تطلب العلم أولاً لحاجتك اليه في تقويم معيشة . أو ترفيه
 حال . أو دفاع عن نفس وملة . ثم لا تلبث اذا أوغلت فيه أن تجرد اللذة في
 العلم نفسه فتصير اللذة بتحصيله والوصول الى دقائقه غاية تقصد بنفسها .
 وتضمحل فيها كل غاية سواها . وعلة ذلك ظاهرة فان العلم مسرح نظر
 العقل والمقل قوة من أفضل القوى الانسانية بل هي أفضلها على الحقيقة
 قد وضع لها العليم الحكيم لذة كما منح لكل قوة سواها نمياً ولذة . ولست
 في حاجة الى تمديد لذة البصر أو السمع أو الشم أو الذوق أو اللمس فالحيوان
 يمر فها بله الانسان . وكلما عظم اختصاص القوة بالنوع عظمت لذته باستعمالها
 فيما وجهت له فيمكنك ان تستنتج من ذلك ان لا شيء عند الانسان الذم من
 كشف المجهول . وإحراز المعقول . وقد سمع الاسلام للمسلم ان يتمتع في
 هذه الحياة الدنيا بما يلذ له مع القصد والاعتدال . أفلا يكون من لذائذه
 ومتممات نميمه أن يسبح في مملكة العلم ليمتع عقله ، كما يسبح في بسيط
 الأرض ليكسب رزقه ويقيم أهله ، على ان العلم كان من ضروريات معيشة
 المسلم أو حاجياتها كما ذكرنا فاذا طفق يستنبط ماء للضرورة ، ويستجلي
 سناؤه للحاجة ، فلا يلبث أن يصير هو حاجة نفسه ، وشاغله عن حاجات
 حسه ، حتى يدخله في رسمه ، كما وقع لكثير من المسلمين . قال امام جليل
 من أئمتهم « طلبنا العلم لغير الله فأبى أن يكون الا لله » (له بقية)

باب الترتيب والتعلم

السورة الثامنة منه هيرورة اسم (*)

تجلي العلم في العمل

زرت بالأمس أنا وه اميل ه ولولا مسبك قصدير في بازناس واقع على ضفاف خليج الجبل ولست أقضي المعجب من منطف هذا الخليج الذي كأنه في عظامه وجماله صدر تيتيس (١) أحاطت به السكة الحديدية فجعلت له من شريطها قبالدة ه يوجد المسبك تجاه الخليج ويتألف بناؤه من أما كن قديمة تقوم على أعمدة من الخشب تقطها سقف من البلاط الاسود لا يتردد الناظر اليها في أن يحسبها سقائف لانخفاضها وانفراجها للرياح من كل ناحية

رأينا في احدي هذه السقائف أ كواماً من تراب أسمر يسمى بمعدن الحجر جمعت فيها ووزعت على غير نظام وتحصّر أعمال المسبك في احالة هذا التراب القسطنطيني اللون (كنا) الى ممدن يطلبه التجار كثيراً

كانت زيارتنا للمسبك في نحو الساعة التاسعة من المساء أي بعد غروب الشمس بزمن طويل في ليله ظلماء كان يتخلل ظلامها بصيص نار الافران التي بنيت بالآجر وجعل لكل منها باب من حديد في وسطه ثقب مستدير كأنه حدقة من نار

يصهر القصدير ويعد مكابته محناً مختلفة تجرد عما كان متمزجاً به من المواد المكدره لصفائه وهي الحما والكبريت والنحاس فاذا تم ذلك جاء وقت صبه وهي الساعة المشهورة ه يخرج هذا المعدن الثقيل الصافي من ثقب في أسفل الفرن وقد بلغ من الحرارة درجة اليافض ويسقط في حثاية من الحديد المصبوب فيذكر الناظر ساعة باستدارة سطحه ولما نه القمر في احدي ليالي الصيف أبيض ساطعاً

اذا صب القصدير في الحثاية آخر مرة (ولابد من اذابته أكثر من مرة) ألقيت عليه أغصان من الشجر الأخضر خصوصاً أغصان التفاح فتفوره وتبرجه

«مرب من (باب تربية الياق) من كتاب اميل القرن التاسع عشر في التربية والتعليم

(١) تيتيس حثية من جنات أساطير اليونان

وويل حينئذ للعمال أو الناظرين الذين لا يبادرون بالابتعاد عنه ليتقوا عوادي هذا المعدن النضبان. ذلك أن فقايق الهواء التي تنفصل منه ترتفع معها قطرات محرقة تسمع لها نشنشة تبجس من كل ناحية انجاس الشرر من باقة نار الزينة

لاجرم أن «اميل» ولو لا لم يدركا السر الكيماوي في جميع هذه الاستحالات التي تصورت معدن الحجر قبل صيرورته قصديراً بل انهما ربما لم يحصل في ذنهما من مجموع ما حصل من الاعمال الامعى في غاية الابهام ولكن قد شاقهما من هذا المنظر جدته فانهما رجواني أن آخذها الى المسبك مرة أخرى

أرى أن القائمين على تربية الناشئين قد أفرطوا في التفريق بين العلم وبين ما يربطه بالصناعة من الروابط ومع كوني لا أنكر أن ما في المدارس من العوامل الكيماوية والمجموعات التعليمية والدروس العامة هو من المساعدات العظمى على التعميم واقصد قصداً أكيداً أن أستمع به على تعليم ولدي في مستقبله تراني أفضل الآن أن اختلف به الى معهد آخر تمثل فيه امامه الاعمال ونراهى له الوقائع

زرنا معاً متحفاً من متاحف الدفائن الأثرية في بانزاس وهي ليست كثيرة في بلاد كرنواي والكثير فيها انما هو المعادن المفيدة كالرصاص والقصدير والنحاس وغيرها من المعادن الحجرية الغربية فلم يلفت ذهن «اميل» ما في خزائنه من قطع هذه الدفائن للرتبة الا قليلاً وأما دولوريس فأخص ما استرعى نظرها ما يوجد فيها من فلذ البلور وبعض الحجارة التي لو تناولتها يد الصناعة لصارف من مواد الزينة الجميلة

ثم أخذنا طريقنا بعد ذلك بأيام الى متحف كبير يمتد مكشوقاً على ضفاف المحيط بين جبال من الصوان بمجتها يد الانسان فكان مرآه في نظر الفلاحين أحسن من جميع متاحف الدنيا

ففرق عند الطفل بين أن يرى من وراء الزجاج معادن حجرية رتبت في رواق ترمياً خالياً من دواعي التأثر وبين أن تمثل أمامه الصخور في وضعها الطبيعي ويشاهد الأرضين وقد شاء وجهها وانقلبت ظهراً لبطن وكتل البلاط الاسود والرخام السماقي في جسامتها المربعة وقد تناوبها المصدع وبارود المدفع فأوسعاها صدعا وأشبعها كسراً وقد هاج شوق «اميل» منظر أعمال النحت هييجاً شديداً فطفق يخاطب النحاتين ولا بدع فالانسان في سنه لا يستكف أن يخاطب كل من

يراه لأن قلبه حينئذ لا يكون قد أفسده الكبر وقد استفاد من محاورته مهم فلم
تذهب عليه عبثاً

ان فني إيهوسياً اسمه هوج ميلار صار من أشهر العلماء في بريطانيا العظمى
ببركة تكسيره الاحجار ونحتها من منحت حجر رملي قديم واستولى استيلاء المالك
على اقليم ذلك المنحت الحافل بالدقائن الآرية وأصبح اسمه كأنه علم له

ربما احتذى « اميل » مثال هذا العالم اذا زرنا معا اقليم ديقونشاير فاعتضد
المطرفة وحمل التحاف فاني أراه مدفوعاً على ذلك بسائق الطبع لأنه يشتهي كغيره
من آرايه أن يهجم على ما يلاقيه من العقبات فيدمره ويزيله ولأن الدقائن الآرية
التي يستخلصها الانسان بنفسه من الصخرة أعلى في نظره كثيراً مما يجده منها صريباً
في التاحف ذلك لأن آثار الاجسام المضوية تصكون غالباً من الاحتباء في باطن
الحجر بحيث انه لا بد قبل استخلاصها من تمييزها منه بل ربما صح لي أن أقول انه
لا بد من تخمين وجودها بما يبدو من تحت غطائها الجافي من سمة تدل عليها أو
طرف من أطرافها ثم ان الصخرة تارة تكون صلبة فتقاوم منحات المناحت وتحمته
وطوراً تكون هشة فتلاشي وتفتت وفي كلتا الحالتين يهدم الخرق والخطأ بنقرة
واحدة عمل الدهر في قرون كاملة وما أكثر ما يتعلم الطفل في هذا الجهاد. نعم ان
« اميل » سيخضع فيه غير مرة وسيتفق له أن يحسر لقطائه أو يعيبها على حين
اعتقاده انه حصل عليها سالمة من كل نقص ولكن لاشي في هذا فان مثله من
اليافعين اذا غلبته العقبات للحادية وجد عليها وبسه ذلك على الانتقام لنفسه منها فلا
يلبث أن يتظفر بها

كأن مشاهدة المناحت واسطة ينتقل بها الذهن من علم طبقات الارض الى
فن العمارة فسيذكر « اميل » اذا عرض له في طريقه ما في المدن من الابنية
الفخيمة ان حجارها نحتت من قاع البحار القديمة واذا رأى المعابد والقصور فان
نوع حجارها سيحضر في ذهنه الصخرة التي نحتت منها والحلوقات المضوية القديمة
التي صارت هذه الصخرة رسماً لها.

العلم الذي يحصله الانسان بمرق جينه ربما لا يكون واسعاً ولكنه يكون متيناً
واسعاً خذ لذلك مثلاً الزهرة التي تجنى من غور بعد اقتطاع ما كان دونها من
العقبات يكون لها في ذاكرة جانها آثار أقوى مما يكون لزهرة رآها بلا غناء مجهزة

محفوفة في إحدى صحف المجموعات النباتية. وما يجمعه المرأ بنفسه من الحمار والصدف على شاطئ البحر يدرب بصره على ادراك ما يميزه من صفاته الظاهرة أكثر مما يدربه على ذلك ما يوجد منه مرتباً ومفوضاً في رواق معد له فالبحث يكسب البصر واليد دربة ومرآة

أنا لأشك في ان التجارب الكيماوية والطبيعية مفيدة لمن منحوا السبل الى التعلم ولكني أرى أن عامة الاطفال قد يبدون من الارتياح الى العلم معولابه في الصناعة ومن الانفعال بما يرونه من آياته فيها أكثر مما يبدونه لمثل هذه التجارب وقلما يوجد معلم من المعلم الكيرة الأ وهو أيضاً مدرسة كبرى للعقل فما أبهر ما يرى فيه من قوى الطبيعة مقيدة ومطلقة و(كل) مؤلف من عجلات وأسنان تسحق الحجر سحقاً وتمضع الحديد مضعاً وتقطع الخشب قطعاً وآلاف مؤلفة من أباض البخار الذي يحرك جسيم هذا الكل وانسان استبدل باعضائه هذه الاعضاء الصلية في كده وكده فحلت محله وحجرت على مقتضى إرادته وقام هو عليها يلاحظ مجاهداتها العجيبة بيمين قريرة ساكنة . نعم ان هذا للمشهد لا يأخذ أول الأمر الابصر اليافع ولكنه متى كان فيه شيء من الشوق الى العلم لا يلبث ان يسأل عن سبب هذه الحركات الاستقلالية وعما للمواد بعضها على بعض من التأثير المتناوب وبالجملة عن سر الطرق التي تحيل المادة الفطرية الى محاصيل صناعة

ليس أحقر الأشياء بأقلها دائماً في صنعه أثاره للشوق ولا ملاحظته بأقل جدوى في التعليم فعملية الكبريت والديوس والشمة (كما ينه فاراداي (١) حق البيان) لها بعلمي الطبيعة والكيمياء تعلق يدركه كل واحد من الناس ويعرفه لأول نظرة أنا أعلم أن تحصيل علم عدة من الصناعات والاحتصاص به يقتضي أن يعيش الانسان اضعاف عمره ولذلك لا أرجو مطلقاً أن « اميل » اذا رأى غيره يشتغل بحرفة يحيط خبراً بأسرار العمل فيها . على أن الشبان أقل حاجة الى الوقت من غيره فلو أن القائمين على التعليم احسنوا في توجيهه الى غايته ما شككت ابداً في ان الطفل الذي بين الثانية عشرة والثالثة عشرة من عمره يتعلم في المعلم شيئاً كثيراً وجملة القول ان لدينا في جميع المدن الكبرى بل وفي القرى كثيراً من معاهد

(١) فاراداي عالم انكليزي من أشهر علماء الطبيعة اشتهر بتأليفه في الكهربية

العامل التي لو اختلف الطفل اليها لأدرك بالعيان والحس بعض قوانين المادة وتعلم حب العامل وتمظيمه ولكانت اقل فائدة له من ذلك ملاحظة طرق الصناعة او الزراعة ان لم يباشر شيئاً من اعمالها بيديه وتلك منزلة اخرى له قايت شمري هل يصح في نظر العقل ان تغفل هذه الينابيع المتدفقة للعرفان وتجنس حقوقها من الضاية وتكون دراسة الالفاظ هي موضوع الاهتمام والرعاية اه

أنا وعلم المسيحية

﴿ مثال من أمثلة تسامح الإسلام وضيق صدر المسيحية ﴾

تعرض صاحب مجلة الجامعة للكلام في علم العقائد الاسلامية وهو لاشك جاهل به لانه لو عرفه لكان مسلماً او لو كان مساماً لعرفه فزعم ان علماء الكلام (وهو العلم الذي وضع لاثبات العقائد ورد الشبه عنها) ينكرون ارتباط الاسباب بالسبب وان كان القرآن يثبتها . وتعرض للكلام في طبيعة الدينين الاسلامي والمسيحي فزعم ان طبيعة الاسلام تنافي العلم والحكمة دون طبيعة المسيحية ولذلك ارتقت العلوم في اوربا وماتت في البلاد الاسلامية يعني ان طبيعة الاسلام حكمت على المسامين بالجهل والغبوة والبعد عن المدنية ونتيجة هذا انهم لا يرتقون الا اذا تركوا هذا الدين وصاروا نصارى «ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبّع ملتهم قل ان هدى الله هو الهدى» وتعرض للكلام في تاريخ بعض حكماء الاسلام فأورد عنه ما يقتضي كفره وهو غير صحيح . كل هذا في جزء واحد من أجزاء مجلته وهو أعظم جنابة جناها على قارئها من المسلمين لانه يشكك غير العالم الراسخ في دينه والشك في الدين كفر قامت قيامة من اطلع على هذا الجزء من أذكاء المسلمين وعدوا هذه المجلة أضر عليهم من المجلات النصرانية الدينية التي تطعن في الاسلام طعناً صريحاً لأن مجلة الجامعة تكلمهم بلسان العام المحبوب عندهم بطبيعة دينهم فيخشى أن يفتر الغافل بما فيها وتلك المجلات والجرائد تقابلهم بالمدون الظاهر فينفرون منها . وقد عام القراء ان المستأئين رجعوا اليها والى امام من أئمتنا راغبين في الرد ورأوا ان ذلك الامام كتب في بيان الحقيقة كتابة أتى فيها على صاحب الجامعة وعلى مجلته على ما كان منه

وان تلك الكتابة كانت مثال الأدب والكمال الذي يليق بصفة صدر الإسلام وتسامحه مع المخالفين ، وان كانوا طاعنين وقادحين ، والتمس له العذر على طعنه بالدين القيم وبأعظم علمائه وحكمائه

ورأوا أيضاً ان المنار قد حسن الظن فيه واعتذر عنه وبرأه من سوء القصد . ولكن صاحب الجامعة لم يرض بذلك كله وأثبت لنا في الجزء الأخير انه متمم لذلك الظمن ومصرّ عليه . وقد قابلنا على الاعتذار عنه بالسب والشتم

أما شتمه لنا فلاننا قلنا انه قال ما قال لأنه لا يعرف علم الكلام الاسلامي فنسبنا الى الجهل بمعتقد ديننا مكافأة لنا وقال ان تلك المقدمة تنتج هذه النتيجة . يعني ان « الفضيلة والحقيقة والضمير » التي ياهج بأسماها تقضي علينا ان نقول انه لا يعرف اللغة الفرنسية اذا هو قال اننا لانعرفها . وأما شتمه للإمام صاحب الرد فلم ينتحل له سبياً والسبب معروف وهو تأثير النصرانية في عدم التسامح وحملها على الشدة مع المخالف بقدر الاستطاعة . وفي مصر الآن من الحرية ما يسمح للضمير ، ان يتسامى ويتساق للظمن في الكبير ، وربما زين الغرور اصاحبه ان كلامه الوضيع في الرفيع هي الطريقة المثلى للانتقال من الضمة الى الرفعة لذلك ترى أكثر المتطفلين على انشاء هذه الجرائد التي تبرز كل حين في مصر ثم تخفى كفقاقيع الماء يستهلون جرائدهم بالنيل من الجرائد الغنية المنتشرة توها انها تهتم بالرد عليهم فيكونون سواء ، ويتلون مانال أولئك من الشهرة والثراء . ولا نرضى هذه الخطة للجامعة وصاحبا

قال بعض الناس الذين رأوا الجامعة الأخيرة للإمام : رأيت ما كان من صاحب الجامعة الذي أثبت عليه وعلى مجلته حتى رفعتها الى أعلى منزلة للمجلات . . . فقال الامام : « لا خسارة في حسن الأدب » ولم يزد على ذلك شيئاً

فهل يتوهمن الرصيف المحترم صاحب الجامعة أن صاحب هذا الأدب الباهر يتنازل تواضعاً الى تصحيح مقاله والفتاة بارشاده بعد العلم بأنه لا قابلية فيه لذلك ولا استمداد ، ولا يعرف قيمة هذا الارشاد ، أم يتوهمن ان أحد تلامذته يحفل برد سفسطة الجامعة وتحررفها الكلم لأجل تصحيح أغلاطها . اماما تفننت به على المسلمين وتقولاه على اعتقادهم فاننا نبين الحق فيه لا بصفة رد أو مناظرة بل بحمله في باب رد شبهات المسيحيين وحبج المسلمين لأن الجامعة التي كان اسمها (الجامعة العثمانية) ثم صار اسمها « الجامعة » فقط قد صارت « الجامعة النصرانية » ولا نعيب صاحبها

بخدمة الدين الذي ينتسب إليه ولكننا ننصح له بالتروي والاعتدال
« النار » مجلة مليه كما أنها علمية أدبية وهي مع ذلك لا تعرض للدين المخالفين الأردنا
على ما يعتدون به على الإسلام. والجامعة لا تعترف بأنها مجلة مليه مسيحية وهي مع ذلك
تطعن في الإسلام والمسلمين ابتداءً، وتفتخر الكلام في ذلك اقتحاراً، فهي في ظاهرها
عامية أدبية صحيحة كالمقطف والهلل وفي باطنها دينية مليه كراية صهيون وبشار الإسلام
والشرق ونحب لها ان يكون ظاهرها كباطنها،

قلنا ان صفار التلامذة لا يحفلون برد سفطة الجامعة التي سمتها رداً فان القيد
الذي خلقته لتصحيح زعمها انكار المتكلمين للاسباب « وهو أنهم ينكرونها كما يفهم
الفلاسفة) لا يفيد شيئاً . فان قولها الأول بالانكار كان مطاقاً وحكم المطلق ان
يجري على اطلاقه كما هو معلوم . وقولها ان ابن رشد كفر الأشعرية وقال بضلالهم
لأمر نسبها اليهم منها انكار الاسباب الضرورية . واستدلالها بذلك على ان المتكلمين
ينكرون الاسباب كما يفهمها الفلاسفة هو حجة عليها لأن ابن رشد يرد على الأشعرية
بذلك رداً دينياً— وهو من علماء الدين الراشدين— لأنه بنى عليه التكفير والتضليل
والفلاسفة لا يسمون مخالفهم كافراً فكان ابن رشد يقول ان من انكر الاسباب فهو
عند المسلمين كافر اوضالاً لأن من اصول الإسلام التي يشهد بها القرآن وتنطبق على
سيرة السلف والخلف المهتمين « ان الاسباب مبروطة بالمسيبات وان للكون سنناً وناميس
مطرودة » قال الله تعالى فيها « ولن نجد لسنة الله تبديلاً ولن نجد لسنة الله تحويلاً »

وأما زعمه ان المعتزلة ليسوا من المتكلمين فكل طالب علم يعرف نقوله فيه على
المسلمين . فالتكلمون منهم المعتزلة ومنهم الأشاعرة ومنهم الماتريدية . وكذلك الفقهاء
منهم الحنفية والشافعية والمالكية . وكما اختلف هؤلاء في بعض المسائل الفقهية وكلهم فقهاء
اختلف أولئك في المسائل الكلامية وكلهم متكلمون . والجميع مسلمون من اهل القبلة .
ومن أعجب المزاعم زعمه أن الاعتقاد بوجود التواميس (اي سنن الكون) والاعتقاد
بتغيرها نقيضان لا يجتمعان . وهو يعلم ان الفلاسفة انفسهم يقولون بان مكان تغير
التواميس بل يقولون بأن التغير حدث ويحدث بالفعل وهو ما يصبرون عنه بفئات
الطبيعة . فان احتاج الفلاسفة الى تأويل هذه الفئات فالسلمون احوج لأن اساس
هذه الفلسفة كلها قوله تعالى : « ولن نجد لسنة الله تبديلاً »

وما يضحك صفار التلامذة استدلاله على معاداة الإسلام للعلم والعقل بكلمة

جارية على السنة العاهة لا يعرف قائلها وهي « من تنطق زندق » ويفهمون منها ان من تعلم المنطق صار زنديقاً هذه الكلمة لعامياً مجهول في شخصه وفي ملته ودينه والدليل على كونه عاميان معنى « تنطق » لبس المنطقة وليس معناها انه تعلم المنطق خلافاً لما يوهمه المصباح ، يستدل بهذه الكلمة صاحب الجامعة الذي لا يراعي في قوله الا « الحقيقة والضمير » على ما ذكره ينسى او يتناسى انه لا يوجد طالب عام في المسلمين لم يقرأ المنطق وان الازهر لا يعطي شهادة العالمية الا لمن يؤدي الامتحان في علم المنطق ومثله جميع المدارس الاسلامية . ومن كلام حجة الاسلام « من لا يعرف المنطق فلا ثقة بعلمه » لا يبعد ان يكون صاحب الجامعة قد كتب ما ذكرنا عنه وهو يعتقد انه ممنوع .

ويقرب ان يكون مغترباً بما اجاب به عن تخطيطه في تخصيص فلسفة ابن رشد لأن سنده في هذا الجواب ثلاثة امور (احدها) زعمه ان النساخ من العرب كانوا يحدفون من كتب ابن رشد المواضع المهمة او يبدلون فيها فراراً من الملام والاضطهاد . اي ان اولئك النساخ كانوا علماء بالفلسفة وبعلم الدين ومكلفين بأن يتصرفوا بما يتقلونه بحسب معارفهم حتى يكون الكتاب مشتملاً على فلسفة النساخ لا فلسفة المؤلف . فاذا خالفوا لامهم من استأجرهم للنسخ او اضطهدهم !!

ثانياً ان الفيلسوف رنان — الذي نزهته الجامعة عن التعصب والذي علمنا عنه انه كان اشد التمسكين على الاسلام حتى ان السيد جمال الدين الافغاني والشيخ محمد عبده ناظراه في باريس وارجعاه عن كثير من خطئه — قال ان العرب اخطأوا في فهم فلسفة اليونان وثقافتها . ومنهم ابن رشد .

ثالثاً انه « لامناص للكاتب المرابي اليوم من اخذتلك الفلسفة عن الافرنج انفسهم ولا يشترط في هذا الاخذ سوى حسن اختيار المؤلف اي ان يكون ثقة ومنصفاً غير متعصب لفريق دون فريق » وهذا ما توخته الجامعة « اه بنصه

ولا احتمال اغترار الكاتب بهذه المقدمات التي صحح بها قوله بنشره بأنها لا روج عند احد طلاب العلم لأمور . (احدها) ان العرب قد اعتنوا بأمر النقل والرواية اعتناء لم يسبقهم به سابق ، ولم ياحقهم فيه لاحق ، ومن آثار ذلك انهم نقلوا فلسفة اليونان ، بغاية الدقة والإتقان ، وقد تعلموا اليونانية ولهم فيها قواميس . وقد اعترف لهم الافرنج المنصفون بذلك وفضلوهم به على انفسهم ومنهم سيديو المؤرخ الشهير .

(ثانياً) ان الافرنج برعوا في علوم التجربة ولكنهم لا يوثق بهم في علوم النقل

فكتبهم طائفة بالكذب على الاسلام والمسلمين في دينهم وتاريخهم . قال سيديو في
مبحث اشتغال العرب بالعلوم الرياضية : « وايس للعرب مجرد نقل كتب اليونان
حرفيا كما زعم بعض الافرنج » ثم ذكر انهم زادوا عليها ما اخترعوه في هذه الفنون .
وقال في أول المبحث الذي عقده « في عدم اقتصار العرب على شرحهم فلسفة
ارسطو ما نصه مبريا : « زعم الافرنج انه لم يكن فلسفة عربية وما ذاك الا لجهاهم
بأشغال العرب فان جميع الدروس بمدارس أوروبا في القرون المتوسطة مستمدة من
تآليف العرب الفلسفية » الخ وقال غير ذلك بمناه

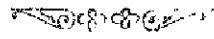
(نائبها) غير معقول ان الذين كانوا يستسخون الكتب الحكيمية كانوا يرضون بأن
يغير النسخ فيها وغير معقول ان النسخ كانوا يستطيعون التصرف في تلك الكتب
ويعملون بتلك الاستطاعة .

(رابها) ان ما نقلته الجامعة عن الافرنج غير موثوق به لأن صاحبها غير عالم
بالفلسفة فيستطيع نقلها من لغة الى لغة لأنه اذا كان لم يفهم فلسفة المتكلمين بالعربية
فكيف يفهم فلسفة ابن رشد واليونان من الفرنسية ؟ ولو فرضنا انه أحسن
الفهم فلا يسهل علينا ان نفرض انه حسن القصد لظهور نصيبه على الاسلام
والمسلمين . وإصراره على هذا التعصب ومماراته ومكابرتة فيه بعد بيان الحق له
بالتي هي أحسن . وقد زعم في هذا الجزء ان المسلمين كاليهود والنصارى يعتقدون ان
العالم وجد منذ بضعة آلاف من السنين وليس هذا من اعتقاد المسلمين في شيء . فما
يدرينا ان كل نقله من هذا القليل

وأما كلام الجامعة فيما سمته الأمور الجزئية فحسبها فيه الخلط بين الاصطلاحات العلمية
ومعاني الكلم اللغوية . وزعمها ان ما قاله الامام في علاقة الانسان بالخالق غير صحيح لأن
رنان أفرد فصلا لهذا البحث استمان فيه بكلمات ارسطو اليونانية . وهل يقول عاقل
ان قول فلان غير صحيح لأن فلانا خالفه فيه . وما يدري صاحب الجامعة ان
ما قاله الامام هو الصحيح وما قاله رنان هو الخطأ ان صح نقلها عن رنان هذا وان
الامام مطلع على ما كتب رنان وغيره من الافرنج وقد كتب ما كتب

(الخاتمة) نشكر في ختام القول للجامعة ولصاحبها هذا التحامل على الاسلام
والمسلمين لأنه كان السبب في تصدي ذلك الامام العظيم الى بيان هذه الحقائق التي
تجبي الشهور الإسلامي في نفوس المسلمين وتبعثهم الى العمل بما يرشد اليه دينهم

القويم من الرغبة في العلم والحكمة ، وإِعْلَاهُ شَأْنُ الأُمَّةِ ، ومطابقتها للمخالفين بالمحاشنة ، وان ظهروا بمظهر المحاشنة ، وليس في كلام الإمام ، الا برد الهمدون والسلام ، الداعي الى حسن الائتام ، فلا يخشين الرصيف منه اِنارة الخصام ، وان كان هو يجب الموااة ويدعو اليها فإيدع الكلام فيما يتعلق بالاسلام . فانه ليس من موضوعه ولا يمتيه . ولا علم له بظاهره ولا خفيه ، وهذا القدر يكفيه .



جاءنا من الاستاذ الفاضل صاحب التوقيع ما يأتي بنصه :

﴿ بماذا دفع العلماء نازلة الوباء ﴾

دفعوها يوم الأحد الماضي في الجامع الازهر بقراءة متن البخاري موزعاً كراريس على العلماء وكبار المرشحين لتدريس في نحو ساعة جزئياً على عادتهم من اعداد هذا المتن أو السلاح الحبري لكشف الخطوب وتفريغ الكروب فهو يقوم عندهم في الحرب مقام المدفع والصارم والأسل وفي الحريق مقام المضخة والماء وفي الهيضة مقام الخيطة الصحية وعقاقير الاطباء وفي البيوت مقام الخضر والموال الشرطة وعلى كل حال هو مستزل الرحمات ومستقر البركات

ولما كان العلماء أهل الذكر والله يقول « فاسألوا أهل الذكر ان كنتم لا تعلمون » فقد جئت أسألم بلسان كثير من المسترشدين عن مأخذ هذا الدواء من كتاب الله أو صحيح سنة رسول الله أو رأي مستدل عليه لأحمد المجتهدين الذين يهتدون بهم ان كانوا قد أتوا هذا العمل على انه ديني داخل في دائرة المأمور به . والافمن أي حذاق الأطباء تلقوه ليتين الناس منه أو من مؤلفاته عمل تلاوة متن البخاري في درة الهيضة عن الامة وان هذا داخل في نوايس الفطرة أو خارج عنها خارق لها . واذا كان هذا السر المعجيب جاء من جهة أن المقروء حديث نبوي فلم يخفى بهذه الزية مؤلف البخاري ولم لم يحجز في هذا موطناً مالك وهو أعلى كعباً وأعرق نسباً وأعزراً علماً ولا يزال مذهبه حياً مشهوراً . واذا جروا على أن الامر من وراء الاسباب فلم لا يقرؤه العلماء لدفع ألم الجوع كما يقرؤونه لازالة المنغص أو التقي والإسهال حتى تذهب شخضاء الجراية من صدور كثير من أهل العلم وعلى هذا القياس يقرأ لـ شي مادامت العلاقة بين الشيء وسببه مفصومة

فان لم يستطيعوا عنوه هذا الدواء الى نطاق الاطباء سألنا للعلم منهم بالتسارخ

أن يرشدنا الى من سن هذه السنة في الاسلام وهل قرئ البخاري لدفع الوباء قبل هذه المرة قلنا نعم انه قرئ للعرايين في واقعة التل الكبير فام يلبثوا أن فشلوا ومزقوا شرمزق ونسلم انه يقرأ في البيوت لتأمين من الحريق والسرقة ولكن بأجر ليس شيئاً مذكوراً في جانب أجر شركة التأمين المعروفة مع أن الناس يتسابقون اليها تسابقهم على شراء الدواء اذا نزل الداء ويمدلون عن الوقاية التي نحن بصددنا وهي تكاد تكون بالجمان ويجدون في نفوسهم اطمئناناً لتلك دون هذه

فان لم يجد العلماء عن هذه المسألة اجابة شافية خشيت كما يخشى العقلاء حملة أهل الاقلام عليهم حملة تسقط الثقة بهم حتى من نفس العامة وحينئذ تقع الفوضى الدينية المتوقعة من ضعف الثقة واتهام العلماء بالتقصير وكون أعمالهم حجة على الدين، هذا — وقد هج الناس بآراء على أثر الاجماع الهضي الازمري .

فن قائل : ان العلماء المتأخرين من عادتهم أن يهربوا في مثل هذه التوازل من الاخذ بالأسباب والاصطبار على تحملها لمشقتها الشديدة ويلجؤون الى ما وراء الاسباب من خوارق العادات لسهولته ولا يهتم العامة انهم مرتبطون بعالم أرقى من هذا العالم المعروف النظام فيكسبون الراحة والاحترام مما فيظهرون على الأمة ظهور اجلال ويمتلكون قلوبهم ويسيطرون على أرواحهم ولهذا تمكثوا حتى فترت شررة الوباء فقرءوا تيممهم ايوهوا ان الخطر انما زال ببركة تيممهم وطالع يئهم

ومن قائل : انهم يخدعون أنفسهم بمثل هذه الاعمال بدليل ان من يصاب منهم لا يعالج مرضه بهرارة كرامة من ذلك الكتاب بل يعتمد على الحجرات من التبرع والحل وماء البصل وما شابه أو يلجأ الى الطيب ولا تلتفت نفسه الى الكرامة التي يعالج بها الأمة فهنا يدل على ان القوم يعملون على خلاف ما في وجدانهم لهذه الأمة خادعين أنفسهم بتسليم اعمال سلفهم .

ومن قائل : ان عدوا من أعداء الدين الاسلامي أراد أن يشكك المسلمين فيه فدخل عليهم من جهة تعظيمه فارحى الى قوم من متعاليه السابقين أن يعظموا من شأنه ويرفخوا من قدره حتى يجعلوه فوق ما جاءت به الاديان فيدعون كشف نوائب الايام بتلاوة أحاديث خير الأنام ويروجون ما يقولون بأنه جرب وأن من شك فيه فقد طعن في مقام النبوة حتى اذا رسخت هذه العقيدة في الناس وصارت ملكة دينية راسخة عند العوام وجربوها فلم تغلح وقصوا والعياذ بالله في الشك واصابهم دوار الحيرة كما حصل ذلك على أثر واقعة التل الكبير من كثير من الذين لم يتدققوا الدين من المسلمين حتى كانوا يسألون عن قوة البخاري الحربية ونسبته الى البوارج ساخرين

منه ومن قارنيه وإولاد وقوف أهل الفكر منهم على أن هذا العمل ليس من الدين وأن القرآن يقول: **هو أعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل الخاضلوا وأضلوا** وقد جرى هذا الأمر غير المسلمين على الخوض في الدين الإسلامي وإقامة

الحجة على المسلمين من عمل علمائهم ولا حول ولا قوة إلا بالله

ويقول قوم: إن التقيد بانح العلماء مبلغاً حرم على العقول النظر في عمل السلف وإن كذبت العيان. وخالف الحس والوجدان، ويقول آخرون عن لاخيرة لهم بهمة العلماء في مثل هذه الكوارث: أما كان ينبغي لهم أن ينبشوا في المساجد والاندية والولائم حاثين الناس على الوقاية من العدوى معضدين الحكومة في تسكين سورة الأهلين مفاوضين الصحة في فتح المساجد وتعهدها بالنظافة فإن هذا يرتبط بهم أكثر مما يرتبط بوقد أعيان القاهرة جزاء الله خير الجزاء

فإن أعوزهم البيان وخبب القلوب بذلاقة اللسان فلا أقل من أن يؤلفوا رسالة في فهم ما ورد متشابهاً في موضوع العدوى حتى يعلم الناس ان الوقاية من الداء أمور بها شرعا وعقلا وسياسة فيكون كل فرد عارف عضداً للحكومة ولو طلبوا من الصحة طبع ما ألفوا وتوزيمه على المصالح والنواحي لبنت ذلك شاكرة وكان لهم الأثر النافع هذا ما يقوله القوم في شأن علمائهم رفعة اليهم ليكونوا على بينة منهم لا يختلطون بالناس نائياً إلا في الولائم والآنم وان اختلطوا فعلمنا يناقشونهم في شيء محرزا من حديثهم في المناقشة ورهيم مناظرهم لأول وهلة بالزنج والزندقة فلذلك يجاملونهم ويوافقونهم خشية إهجر والمائدة. أما أنا فإني لا أزال الخ في طلب الجواب الشافي عن أسئلة دفع الوباء بقراءة الحديث وعن منح متن البخاري مزية لم يمنحها كتاب الله الذي نعتقد أنه متعبد بتلاوته دون الحديث ولو كان هذا العمل من غير العلماء الرسميين انضربت عنهم وعن عمائم صفحاً ولما خطت كلمة ولكنه من علماء لهم مراكز رسمية يزاهمون بها مراكز الامراء فيجب أن يؤبه لهم وان ينظر لعلمهم بأزاء مراكزهم من الأمة التي يسألون عنها والله ولي التوفيق (متصح)

بَابُ الْوُفْيَارِ وَالْوُدَّاءِ

﴿الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية﴾

قد نشرنا من هذا الكتاب مقالين أحدهما اضطرهاد النصرانية للعلم بمقتضى

أصولها نشر في الجزء الحادي عشر الماضي وأقيسته جريدة المؤيد . وثانيتها أصول الإسلام الفاضية بالتسامح مع العلم أينما وجد وأكرام العلماء من أي ملة كانوا نشر في هذا الجزء . وبلي هذا مقال آخر في نتائج هذه الأصول الإسلامية المذكورة في هذا الجزء وأثارها في ترقية العلم والعمران . وإيجاد مدينة فاضلة للإنسان ، وسينشر في الجزء الآتي هويداً بالشواهد التاريخية ، وشهادات المؤرخين والفلاسفة من الأمم الأوربية ، ويتبع هذا مقال رابع في شرح حالة المسلمين في هذا العصر ، وما نكبوا به في كل قطر ، ويحتم الكلام بمقال خامس في كيفية معالجة الداء ، وبيان النجاة من البلاء ، بحسب رأي هذا الطيب الروحاني ، والامام الرباني ، لا زال ذخراً للإسلام ، ومرشد الأنام ، وسينشر ذلك سباعاً في المنار وربما وقفنا للتعجيل ببعض الاجزاء وأصدارها قبل وقتها اكراماً للقراء ، فقد رأينا منهم اقبالا على ما نُشر و إعجاباً به لم نر ما يشابهه الا إعجابهم بالرد على هوسيو هاتو . ولا غرو فهذه الحكم متدفقة من ينبوع واحد ، لا ينكره مكابر ولا حاسد .

﴿ عبرة وتنبية • في موت وجيه ﴾

كتب الينا من بومباي (الهند) انه توفي فيها « حسني بك نائب سفير الدولة العلية » فيها فاحتفل المسلمون بتشييده احتفالاً عاماً وغلقوا الدكاكين وتركوا جميع الأعمال عامة يومهم . وسيرسلون كتاباً يعزون به أهله في الاستانة العلية والاعتبار في الخبر من وجوه — أحدها شدة تعاق مسلمي الهند بالدولة العلية ، لأنها أقوى الدول الإسلامية ، وهذا أثر من آثار هداية الإسلام الذي من مقاصده جعل البشر كاهم إخوة . ولولو وجد في الهند مثما يوجد في مصر من أحداث السياسة وخطبات الفتنة الذين يحثون قومهم على بغض كل من لا يمكن له نسب عريق في بلادهم ويسمّون هذا وطنية ما بقي لحب الدولة العلية في قلوبهم عرق بغض ، ولا لحقوق المسلمين حكم بفرض ، (وثانيتها) ان آمال المسلمين لا تزال مهلقة بالسياسة ورجالها ، والحكومات وأعمالها ، وإيتهم ينظرون أولاً الى انفسهم وأعمالهم ، ويصمدوا بعد الله على كفاءتها واستقلالهم . (وثالثها) حرية الحكومة الانكليزية فلو ان أهل جاوه ارادوا أن يعملوا عملاً كهذا لتصدت لهم الحكومة الهولندية وصدتهم عنه . فيا ليت المسلمين الذين هب عليهم نسيم الحرية المنعش للأرواح يعرفون كيف تكون به الحياة الطيبة ويعملون بما يعلمون ولا يحفلون بما يلفظ به الناشون الذين يتبحون لهم نعمة الحرية بذم مصدرها

﴿ السيد محمد المهدي السنوسي ﴾

نمت الينابريقات اوريا في الشهر الماضي هذا الرجل العظيم الذي اشتهر بالعلم والعمل والدعوة الى الله تعالى والارشاد الى طريق الرشاد فارتبنا في صحة الخبر وبرهنا به التكذيب فما كان الا ان أكدته الجرائد القريبة تأكيداً وتبعها غيرها .

وقد اطمانا اليوم قبل طبع على كتاب من طرابلس الغرب لأحد التجار جاء فيه مانصه :
« وردت مكاتيب مشعرة بوفاة الاستاذ المهدي وبالتحقيق لم يثبت ذلك الى الآن »

أصلاً بالكلية بل المتحقيق انه انتقل الى جهة من الجهات مجهولة .

« محاربة الفرنسيين بالأقطار السودانية لم يحصل على خبر منها الى الآن وقد كان في تلك المحاربة رجل من الجزائر أتى الى قسطنطينة إحدى الممالك الجزائرية وأرسل إلينا جواباً يفيد انه قادم الى طرفنا وعند وصوله نفهم منه حقيقة الواقع تفصيلاً واجالاً وما الذي سيضغه الفرنسيون بخصوص ما ذكر ونعرفكم بذلك والسلام »

وسأني البحث في ذلك وقول من يكذب خبر المحاربة فيما نشره من ترجمته

(الترجمة) جمع هذا الرجل من الصفات والحلال ، ما يندر أن يكون لأحد من الرجال .

— الشرف والعلم والزهد والارشاد وسيادة المصيبة فهو الرجل الذي الوحيد الذي

كانت تلهج بذكره الجرائد الأوربية وتستقري أعماله وتقع حركاته وسكناته وبني

علمها الآراء السياسية بل كان على زهده وانزوائه في زاويته أشبه بملك عظيم أو قائد

باسل مستعد لكفاح الأقران ، وقتوح البلدان ، وكان الناس في أوروبا وفي الشرق

مختلفين في أمره ، وهائمين في أودية الظنون من شأنه ، والأكثرون يعتقدون أن

طريقته جامعة بين الدين والسياسة ومن أصولها الاستمداد للمدافعة والمقارعة عند الحاجة

الى ذلك . واشتهر بين الناس في هذه البلاد وغيرها ان أتباعه كانوا يعتقدون انه

المهدي المنتظر . وقد عرفت أحد دروايشه الصالحين من صحراء طرابلس الغرب

واستفدت منه فوائد كثيرة عن السنوسيين فكان مما قاله لهم يعتقدون ان شيخهم هو

المهدي المنتظر وأنه سيحج ويبيع في حرم مكة وفي عرفة والشك « في » وقال :

اذا ذهب سيدي المهدي الى الحجاز فلا تخلف احد من المغاربة عن الحج في تلك

السنة الا لعجز مقعد . وكان يقول أيضاً : ان من اصول الطريقة احياء الارض

وغرس الاشجار واقتناء السلاح . ونحن نعلم ان للسنوسيين أتباعاً في مصر يكتمون

كل ما يعرفون من أمرها بل يكتمون في الغالب كونهم من أهلها

مثل هذه الأخبار وذلك الاحتمار ، هو الذي أثار في النفوس عندنا ما أثار ،

وأما الأوربيون فمثلاً نوهامهم وأخلاقهم في السنوسيين حراند فرنسا وكسها (راجع صفحة ١٧٨ وما بعدها من محلل المنار الأول بحديثه القول التي تؤيد هذا) . وقد باننا أن الحكومة الفرنسية قد خصصت مئة ألف فرنك في كل سنة لمقاومة سلطة أصحاب الطريق في الجزائر وما يابها ويتصل بها وان الذين يأخذون هذا المال هم الذين كانوا يعظمون أمر التيجانية ثم صاروا يعظمون أمر السنوسية بما يكتبونه في الجرائد والكتب والله اعلم بالحقيقة . وانما غرضنا من هذه الجملة كلها بيان اختلاف الناس في أمر السنوسية وعذرهم في هذا الاختلاف

وقد كتب في جريدة (الحاضرة) التونسية مقالة بتوقيع (محمد الحشايشي) في بيان الطريقة السنوسية وترجمة صاحبها . قال الكاتب انه كتب عن عام وروية لانه ساح في الصحراء الكبرى وما جاورها من البلاد المجهولة واختبر السنوسيين الاختبار التام وكتب في ذلك رحلة سماها الرحلة الصحراوية . والملخص من مقالته المفيد لانها اوسع ما كتبه المسلمون في هذا الرجل الكبير فنقول

ساق اولاً نسبة الى سيدي ادريس بن عبدالاله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن علي من فاطمة الزهراء عليهم السلام . ثم قال ان صاحب الترجمة من مدينة مستغانم بمماله وهران (التابعة لجزائر) من قبيلة الحطاطبة - ارحل والده الى مدينة فاس في سنة ١٢٢٩ بعد ان حفظ القرآن بالروايات السبع وكان ابن ثمان فاجتمع بالشيخ أحمد التيجاني شيخ الطريقة التيجانية الشهير وتلقى هناك العلوم حتى برز فيها ثم ارحل الى المشرق سنة ١٢٤٥ قاصداً أداء فريضة الحج . وظهرت له كرامات عديدة في طريقه فأقام بمكة المشرفة سنين عديدة ونشر في أثناءها طريقته المستمدة من نفس الطريقة الحمديدية التي أخذ احازتها عن سيدي أحمد بن ادريس . فانتشرت الطريقة في الحجاز واليمن الى ان باقت العراق وفي سنة ١٢٥٩ انتقل الى الحيل الأخضر من وطن درنه وبنغازي (من ولاية طرابلس الغرب) وتصدى الارشاد . وولده صاحب الترجمة سنة ١٢٦٥ بالزاوية البيضاء فرباه التربية الدينية في مهد العام والارشاد . حفظ القرآن في الثامنة ثم حفظ الكثير من المتون الفقهية وغيرها واشتغل بطلب العلم على الاستاذ الحافظ لشيخ أحمد الربيعي بعد ما قرأ القرآن على مؤديه الشيخ هاشم الصفاقي والحافظ الشيخ مدين وأخذ عامي التفسير والتجويد عن والده وعلوم الادب عن الشاعر الأديب الشيخ محمد أبو سيف وعامي الحديث والأصول عن الشيخ أحمد الربيعي . جميع هؤلاء من علماء المغرب بعضهم من الاقصى وبعضهم من الأدنى

مصر في يوم الذي يستمعون القول
بعبودية أحسنه وأحسن الذين هداهم
وأولئك هم أول الألباب

المعراج

١٣١٥

المعراج هو رحلة النبي صلى الله عليه وآله
صلى الله عليه وآله وسلم من مكة إلى
السموات السبعين في ليلة القدر
التي هي ليلة العشر الأواخر من
شهر رمضان المبارك

(قال عليه الصلاة والسلام: إن الإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الجمعة غرة رجب سنة ١٣٢٠ - ١٣ أكتوبر (تشرين) سنة ١٩٠٢)

﴿ الإسلام والنصرانية • مع العلم والمدنية ﴾

(وهو المقال الثالث لذلك الامام الحكيم • والاستاذ العظيم)

(نتائج هذه الاصول وآثارها في المسلمين)

الى م أفضت طبيعة الاسلام بالمسلمين ؟ وماذا كان أثرها في اسلافهم
الأولين ؟ - فتح عمرو بن العاص رضي الله عنه مصر واستولى بحيشه
على الاسكندرية بعد لحاق النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بالرفيق
الاعلى بست سنوات في رواية وتسع سنوات في رواية أخرى والاسلام
في طلوع فجره ، وتفتح نوره ، فكان من بقايا ما تركت الازمان الأولى
رجل مسيحي من يعقوبيين اسمه يوحنا النحوي كان في بدء أمره ملاحاً
يبهر الناس بسفينته وكان يميل الى العلم بطبيعته فاذا ركب معه بعض أهل
العلم أصغى الى مفداكرتهم • ثم اشتد به الشوق فترك الملاحة واشتغل بالعلم

وهو ابن أربعين سنة فبلغ فيه ما لم يبلغه الناشئون فيه من طفوليتهم وقد أحسن من العلم فنونا كثيرة حتى عدّ من فلاسفة وقته وأطبائه ومناطقته يقول كثير من مؤرخي الفريين ومؤرخي المسلمين ان عمرو بن العاص سمع به فاستدناه منه وأكرمه لعله ووقعت بينهما محبة ظاهر أمرها واشتهر حتى قال أحد فلاسفة الفريين : « ان المحبة التي نشأت بين عمرو بن العاص فاتح مصر ويوحنا النحوي ترينا مبلغ ما يسمو اليه العقل العربي من الأفكار الحرّة والرأي العالي . بمجرد ما أعتق من الوثنية الجاهلية ودخل في التوحيد المحمدي أصبح على غاية من الاستعداد للجولان في ميادين العلوم الفلسفية والأدبية من كل نوع »

خالط المسلمون أهل فارس وسوريا وسواد العراق وأدخلوهم في أعمالهم ولم يمنعهم الدين عن استعمالهم حتى كانت دفتارهم بالرومية في سوريا ولم تغير بالعربية الا بعد عشرات من السنين فاحتكت الأفكار بالأفكار وأفضت سماحة الدين الى أن أخذ المسلمون في دراسة العلوم والفنون والصنائع

❦ اشتغال المسلمين بالعلوم الأدبية ثم العقلية ❦

وبعد عشرين سنة من وفاته عليه الصلاة والسلام أخذ الخليفة علي ابن أبي طالب كرم الله وجهه يحضّ على تعليم الآداب العربية ويطلب وضع القواعد لها لما رأى من حاجة الناس الى ذلك . وأخذ المسلمون يتحسّسون نور العلم في ظلام تلك الفتن استرسالا مع ما يدعوم اليه دينهم وتبّتهم لطلبه شريعتهم . وان كانت الحروب الداخلية التي اشتعلت نارها في أطراف بلادهم للنزاع في أمر الخلافة قد شغلتهم عن كل شيء من من مصالحهم فانها لم تشغلهم عن تلمس العلوم والتناول منها بالتدريج على

سنة الفطرة . فالبراعة في الآداب من علم بوقائع العرب وتاريخهم وقول
الشعر وإنشاء البيع من النثر قد بلغت في خلافة بني أمية مبلغاً لم تبلغه أمة
قط في مثل مدتها . وكان الخلفاء الأمويون يعلمون منزلتها ويرفعون
مكانات الشعراء والخطباء والعلماء بالسير . ثم ظهرت آثار العلوم العقلية في آخر
دولتهم وترجمت جملة من الكتب العقلية والصناعية قبل نهاية القرن الاول .
نقل الخلفاء الأمويون دار الخلافة من المدينة الى الشام ولم يسيروا
في الزهد سيرة الخلفاء الراشدين فقد جاء رسول من الفرس الى عمر بن
الخطاب رضي الله عنه فلما سئل عنه ذل عليه فذهب اليه فاذا هو نائم على
الارض تحت نخل البقيع بين الفقراء وجاءت رسل الملوك الى معاوية
رحمه الله فاذا هو في قصر مشيد محلي البنيان بأجل ما يكون من الصنعة
العربية مزين بالجناات والرياض وينابيع الماء مفروش بأحسن الفرش يرى
الناظر فيه أنحر الأثاث والرياش . ولم يكن معاوية في ذلك قد خالف
الدين أو حاد عن طريقه وإنما تناول مباحاً وتمتع برخصة آتاه الله إياها ولا
يخفى ما في ذلك من ترويح فنون الابداع في الصنعة على اختلاف ضروبها
﴿ اشتغالهم بالعلوم الكونية في أوائل القرن الثاني ﴾

انقضت دولة بني أمية والناس في ظلمات من الفتن كما قلنا ودالت
الدولة لبني العباس واستقرت في نصابها من آل بيت النبي قرب نهاية الثلث الاول
من القرن الثاني للهجرة (سنة ١٣٢) ثم نقل المنصور عاصمة الملك الى بغداد
فصارت بمد ذلك عاصمة العلم والمدينة أيضاً . وأخذ المنصور ينشي المدارس
للطب والشريعة وكان قد جعل من زمنه ما ينفعه في تعلم العلوم القلكية
وأكل حفيده الرشيد مasherع فيه وأمر بأن يلحق بكل مسجد مدرسة

لتعليم العلوم بأنواعها . وجاء المأمون فوصلت به دولة العلم الى أوج قوتها ، ونالت به أكبر ثروتها ، ويقال انه حمل الى بغداد من الكتب المكتوبة بالقلم ما يمثل مئة بمير . وكان من شروط صلحه مع ميشيل الثالث أن يمطيه مكتبة من مكاتب الأستانة . فوجد مما فيها من النفائس كتاب بطليموس في الرياضة السماوية فأمر المأمون في الحال بترجمته وسموه بالمجسطي . ولايسهل على كاتب إحصاء ما ترجم من كتب العلوم على اختلافها في دولة بني العباس أبناء عم الرسول صلى الله عليه وسلم

عن إنشاء دور الكتب العامة والخاصة

وقد أخذت دول الاسلام تعني بديار الكتب عناية لم يسبقها مثلها من دول سواها حتى كان في القاهرة في أوائل القرن الرابع مكتبة تحتوي على مئة ألف مجلد منها ستة آلاف في الطب والفلك لاغير . وكان من نظامها أن تعار بمض الكتب للطلبة المقيمين في القاهرة . وكان فيها كرتان سماويتان احدهما من الفضة يقال ان صانها بطليموس نفسه وإنه أنفق فيها ثلاثة آلاف دينار . والثانية من البرنز . ومكتبة الخلفاء في اسبانيا بلغ ما فيها ست مئة ألف مجلد . وكان فهرستها أربعة وأربعين مجلداً . وقد حققوا انه كان في اسبانيا وحدها سبعون مكتبة عمومية . وكان في هذه المكاتب مواضع خاصة للمطالمة والنسخ والترجمة

وبعض الخاصة كانوا يولعون بالكتب ويحملون ديارهم معاهد دراسة لما تحتوي عليه . يقال ان سلطان بخاري دعا طبيباً أندلسياً ليزوره فأجابته ان ذلك لا يمكنه لأن كتبه تحتاج الى أربعائة جمل لتحملها وهو لا يستغني عنها كلها . وكان حنين ابن اسحق النسطوري في بغداد ممن جعل

في داره مكتبة عامة يَفد إليها طلاب العلوم العقلية والرياضية وكان ينبوع
بمذاكرتهم فيما يريدون المذاكرة فيه .

نشأة انشأهم المدارس للعلوم وكيفية التدريس

عُطي بسيط المملكة الإسلامية على سعتها بالمدارس . تقول « على
سعتها » لأنها زادت في السعة على المملكة الرومانية بكثير . فكنت تجد
المدارس في كل الاقطار - في المنول . في الناز من جهة المشرق . في
مراكش . في فاس . في اسبانيا من جهة المغرب .

كانت طريقة الاساتذة في التدريس أن كل مدرس يُعِدُّ درسه
ويكتب في الموضوع الذي يلقي الدرس فيه ما يريد ان يكتب ثم يلقيه على
التلامذة وهم يكتبون عنه ثم تكون هذه الدروس كتباً وأمالٍ تُنشر بين
الناس في كل علم . وهنا نبادر الى القول بأن المؤرخين قد أجمعوا على
ان جميع المقالات والكتب كانت تُنشر ويتداولها الناس بدون أدنى
مراقبة ولا حجب ولا نقص شيء مما كتب صاحب الكتاب غير ان مؤرخاً
واحداً رأته ذكر أنه قد وضع قانون في بعض الممالك الإسلامية لنشر
كتب العقائد مقتضاه ان لا يُنشر منها شيء الا باذن . على أنني لا أعلم شيئاً
من ذلك وقع في الممالك الإسلامية أيام كان الاسلام إسلاماً

نرجع الى الكلام في المدارس الإسلامية . يقول جيون في كلامه
على حماية المسلمين للعلم في الشرق وفي الغرب : « ان ولاية الأقاليم والوزراء
كانوا يناقسون الخلفاء ، في اعلاء مقام العلم والعلماء ، وبسط اليد في الانفاق
على إقامة بيوت العلم ومساعدة الفقراء على طلبه . وكان عن ذلك ان ذوق
العلم ووجدان اللذة في تحصيله قد انتشرا في نفوس الناس من سمرقند

وبخارى الى فاس وقرطبة . انفق وزير واحد لأحد السلاطين (هو نظام الملك) مائتي ألف دينار على بناء مدرسة في بغداد وجعل لها من الربيع يصرف في شؤونها خمسة عشر ألف دينار في السنة . وكان الذين يُفندون بالعارف فيها ستة آلاف تلميذ فيهم ابن أعظم المظالم في المملكة وابن أفقر الصنائع فيها . غير ان الفقير ينفق عليه من الربيع المخصص للمدرسة وابن الغني يكتبني بمال أبيه . والمعلمون كانوا يُنقدون رواتب وافرة . اهـ

انقسمت الممالك الإسلامية في زمن من الأزمان الى ثلاثة أقسام وتنازع الخلافة ثلاث شيع . كان المباسيون في آسيا (الشرق) والامويون في الأندلس من أوروبا (الغرب) والفاطميون في مصر من أفريقيا (الوسط) . ولم يكن تنافس هذه الدول الثلاث قاصراً على الملك والسلطان ولكن كان التنافس أشد التنافس في العلم والادب . وكان مرصد سمرقند قائماً في ناحية المشرق يشير الى ما كان عليه المشرقيون من العناية برياضة الافلاك ، ومرصد جيرالد في الأندلس يجيبه بأن أهل المغرب ليسوا بأحط منهم في الادراك ،

جميع المدارس في البلاد الإسلامية أخذت نظام الامتحان في المدارس الطبية عن مدرسة الطب في القاهرة وكان من أشد النظمات وأدقها . ولم يكن لطبيب أن يمارس صناعته الا على شريطة أن تكون بعد شهادة بأنه فاز في الامتحان على شدته . وأول مدرسة طبية أنشئت في قارة أوروبا على هذا النظام المحكم هي التي أنشأها العرب في ساليرن من بلاد ايطاليا . وأول مرصد فلكي أقيم في أوروبا هو الذي أقامه العرب في أشيلية من بلاد اسبانيا

ولع المسلمون بالعلوم الكونية على اختلافها، والفنون الأدبية بجميع أنواعها، حتى القصص والاساطير الخيالية، في الأحوال الاجتماعية، وابتدأوا بأخذ العلم عن اليونانية والسريانية، وأخذوا ينقلون كتب الأولين من تلك اللسان إلى اللغة العربية بالترجمة الصحيحة. وكان مترجمهم في أول الأمر مسيحيين وصباثين وغيرهم ثم تعلم كثير من علماء المسلمين اللسان اليوناني واللاتيني وكتبوا معاجم في اللسانين. وذلك كله ليأخذوا العلوم من أصولها، وينقلوها إلى لسانهم على حسب ما يصل إليه علمهم فيها، وكان المعلومون لأبناء المظالم في أول الأمر من المسيحيين واليهود ثم انشئت المدارس الجامعة وكان المدرسون فيها من كل ملة ودين. كل يعلم العلم الذي عرف هو بالبراعة فيه

حجج علوم العرب واكتشافهم

كان علم العرب في أول الأمر يونانياً لكنه لم يلبث كذلك إلا دون قرن واحد ثم صار عربياً. ولم يرض العربي أن يكون تلميذاً لأرسطو وأفلاطون أو أقليدس أو بطليموس زمناً طويلاً كما بقي الأوربي كذلك عشرة قرون كاملة من التاريخ المسيحي

قالوا إن باكون هو أول من جعل التجربة والملاحظة قاعدة للعلوم المصرية وأقامها مقام الرواية عن الاساتذة والتمسك بأراء المصنفين وأطلق العلم من رق التقليد. ذلك حق في أوروبا. أما عند العرب فقد وضعت هذه القاعدة عندهم لبناء العلم عليها في أواخر القرن الثاني من الهجرة. أول شيء تميز به فلاسفة العرب عن سواهم من فلاسفة الأمم هو بناء معارفهم على المشاهدات والتجريات وان لا يكتفوا بمجرد المقدمات العقلية في

العلوم ما لم تؤيدها التجربة حتى لقد نقل جوستاف لوبون عن أحد فلاسفة
الاوربيين : أن القاعدة عند العرب هي « جرب وشاهد ولاحظ تكن
عارفاً » وعند الأوربي الى ما بعد القرن العاشر من التاريخ المسيحي « اقرأ في
الكتب وكرر مايقول الاساتذة تكن عالماً » . (فلينظر المصريون وغيرهم
من الشرقيين كيف انقلب الحال ، وماذا أعقب من سوء المآل)

قال ديلا مبر في تاريخ علم الهيئة : « اذا عددت في اليونانيين اثنين
أو ثلاثة من الراصدين امكنك ان تمد من العرب عدداً كبيراً غير
محصور » . أما في الكيمياء فلا يمكنك ان تمد مجرباً واحداً عند اليونانيين
ولكنك تمد من الجريين مئين عند العرب ولهذا عدت الكيمياء
الحقيقية من اكتشاف العرب دون سواهم . وقد كانوا يمدون الهندسية
والفنون الرياضية من الآلات المنطقية ، يستعملونها في الاستدلال على
القضايا النظرية ، وهي من أصدق الأدلة في الايصال الى المجهولات
كما هو معروف

العرب هم أول من استعمل الساعات الدقيقة للدلالة على أقسام الزمن
وهم أول من اتقن استعمال الساعات الزوالية لهذا الغرض . وقد اكتشفوا
قوانين لثقل الأجسام جامدها ومائعها حتى وضعوا لها جداول في غاية
الدقة والصحة كما وضعوا جداول للأرصاء الفلكية وكانت تلك الجداول
معروفة يطلع عليها الناظرون في سمرقند وبنداد وقرطبة حتى لقد وصلوا
بتلك القوانين الى ما يقرب من اكتشاف الجاذبية

لا يمكنني في مقالتي هذا ان أعد ما اكتشف العرب ولا ما زادوه في
العلوم على اختلاف أنواعها فذلك يحتاج الى سفر كبير . وقد أحصى ذلك

أهل المعرفة والانصاف من فلاسفة الأوربيين ومؤرخيهم . وربما يتيسر
لأبناء الأمة العربية أن ينشروا ذلك لأخوانهم حتى يعرفوا ما كان عليه
أسلافهم .^(١) ولكني أذكر كلمة قالها بعض حكماء الغربيين^(٢) : « تأخذنا
الدهشة أحياناً عند ما ننظر في كتب العرب فنجد آراء كنا نعتقد أنها لم
تولد الا في زماننا كالرأي الجديد في ترقى الكائنات العضوية وتدرجها
في كمال أنواعها فان هذا الرأي كان مما يعلمه العرب في مدارسهم وكانوا
يذهبون به الى أبعد مما ذهبنا فكان عندهم علماً يشمل الكائنات غير
العضوية والمعادن . والأصل الذي بنيت عليه الكيمياء عندهم هو ترقى
المعادن في أشكالها . قال الخازني : اذا سمع الشعب الجاهل ما يقال بين
العلماء ان الذهب قد تقلب في الأشكال المختلفة حتى صار ذهباً ظن من
هذا أنه مرّ في صور معادن أخرى فكان وصاصاً ثم قصديراً ثم صفراً ثم
فضة ثم صار بعد ذلك ذهباً ولا يعلم ان الفلاسفة اذا قالوا ذلك فاعلموا
يقصدون منه ما أرادوه من قولهم في الانسان انه وصل الى حالته الحاضرة
بالتدريج ومن طريق الترقى وهم لم يبنوا بقولهم هذا انه تقلب في صور
الأنواع المختلفة كأن كان ثوراً ثم حميراً ثم فرساً ثم قرداً ثم صار بعد ذلك
إنساناً اه ويقول الفيلسوف كوستاف لوبون : « ان العرب أول من علم
العالم كيف تنفق حرية الفكر مع استقامة الدين »

وهنا أنكر على بعض فلاسفتهم ما نقلوه عن ابن رشد من أنه ذهب
في حرية الرأي الى نقض أصل الدين وقال إن الروح لا بقاء لها بعد فناء

(١) قد نشرنا جملة صالحة من ذلك في مقالات (مدينة العرب) في المجلد

الثالث (٢) هو الفيلسوف دراير الامبركاني

الجسد وإنما الذي يبقى هي أرواح الأنواع . فإن هذا خطأ عرض لهم من سوء فهم كلامه في بيان بقاء الأنواع دون الأشخاص فانه قال كما قال ارسطو وغيره : ان الأشخاص توجد وتفتى وأما الأنواع فهي باقية لا تزول . وهذا باب آخر يفاير بالمرّة ما استنتجوا منه (وقد سبق الكلام في بيان رأيه من وجه آخر) ^(١) كما أخطأوا في قولهم عنده إنه كان يعتقد بأن الله روح العالم يظهر في صورته والشكل يرجع اليه بمعنى انه يقنى في ذاته ولا يبقى في العالم باق آخر وهو يقرب من قولهم السابق . فان ابن رشد كان مسلماً وكان يعرف ان الاسلام لا يتأفي العلم وإنما يتأفي هذا الضرب من الوهم الذي لم يسقط فيه أحد الا من عثره في طريق العلم أو الاسترسال مع الخيال . وكثير ممن سكروا بهذا الرأي أفاقوا منه . ولكن كتب ابن رشد التي بين أيدينا بعد بنا عن نسبة هذا الرأي اليه كما سبق بيانه ^(٢) ولكني لا أنكر نسبته لو نسب الى ابن سبطين وهو ممن أخذ عن تلامذة ابن رشد فان في كلامه ما يدل على ذلك

ويقول فيلسوف آخر : « ان العلوم التي تلقاها العرب عن اليونانيين وغيرهم وكانت ممتدة بين دقات الدفاتر مقبورة بين جدران المكاتب أو مخزونة في بعض الرؤس كأنها أحجار ثمانية في بعض الخزائن لاحظاً للإنسانية منها سوى النظر اليها - صار عند العرب حياة الآداب ، وغذاء الارواح ، وروح الثروة ، وقوام الصنعة ، ومهازاً للقوى البشرية يسوقها الى كمالها الذي أعدت له . وليس في الاوربيين من درس التاريخ وحكم العقل ثم ينكر ان الفضل - في إخراج اوربا من ظلمة الجهل الى ضياء العلم وفي تعليمها

(١) و (٢) قد سبق ذلك في المقالة الاولى التي رد بها الكاتب على الجامعة

كيف تنظر وكيف تتفكر وفي معرفتها ان التجربة والمشاهدة هما الاصلان اللذان يبني عليهما العلم -- انما هو للمسلمين وآدابهم ومعارفهم التي حملوها اليهم وأدخلوها من اسبانيا وجنوب ايطاليا وفرنسا عليهم . وكان من حظ العلم العربي والأدب المحمدي عندما دخل الى ايطاليا ان البابا كان غائبا لأن كرسيه كان انتقل الى فرنسا في أفنيون نحو سبعين سنة فدب العلم الى شمال ايطاليا واستقر به القرار هناك . ان شوارع باريس لم تفرش بالحجارة الا في القرن الثاني عشر وقد رصت بالبلاط على نحو مارصت به مدن اسبانيا . اهـ

ويقول آخر : « لا أدري كيف أعطانا الاسلام في مدة قرنين عدداً من الفلكيين يطول سرد أفرادهم وان الكنيسة تسلطت على العالم المسيحي اثنى عشر قرناً في اوربا ولم تمنحنا فلْكياً واحداً »

هذا النماء والزكاء العلمي لم يكن خاصاً بطائفة دون طائفة بل كان الناس في التمكن من تناوله سواء . وانما كان التفاضل بالجد والمعمل . والفضل في ذلك كله لحلم الخلفاء وعمالمهم وسماحة الدين ويسره وسهولته على أهله وأهل ذمته . قال بعض فلاسفة الغربيين قولاً يعرفه الحق وثبته المشاهدة : « ان شعوب الأرض لم تر قط فاتحاً بلغ من الحلم هذا المبلغ (يريد فاتحي الاسلام على اختلافهم) ولا ديناً بلغ في لينه ولطفه هذا الحد »

﴿ أخذ الخلفاء والأمراء . بيد العلم والعلماء ﴾

ان الخلفاء الذين يقال عنهم انهم رؤساء دين وحكام سياسة معاً كانوا هم بأنفسهم المتعلمين للعلوم الداعين الى تعلمها . كانوا العالمين الماملين . كان خليفة كالمأمون يضطهد أحياناً أعداء الفلسفة وقد عرف التاريخ كثيرين من أرباب الشهرة الذين قضوا في سجنه الشهور أو السنين لأنهم كانوا

يعادون الفللفة ظناً منهم ان منها ما يدعوى على الدين فيفسده . هل رأيت في غير الاسلام رئيساً دينياً يضطهد أعداء العلم وجفاة الفلسفة ؟ لملك لا يتجده أبداً كان أهل العلم والأدب عامة يجدون من الاحترام عند الخلفاء والأصراء والخاصة ما يليق بهم كيفما كان حالهم . وسأضرب المثل بالشيخ أبي الملاء المرعي لشهرته بين الناس بما يشبه الزندقة : يذكر علي بن يوسف القعطي أن صالح بن مرداس صاحب حلب خرج الى المرة وقد عصى أهلها عليه فنازلها وشرع في حصارها ورماتها بالمنجنيق فلما أحس أهلها بالقلب سمعوا الى أبي الملاء بن سليمان وسألوه ان يخرج ويشفع فيهم فخرج ومعه قائد يقوده فآكرمه صالح واحترمه ثم قال : ألك حاجة ؟ قال : الأمير أطال الله بقاءه كالسيف القاطع لان مسه وخشن حده ، وكانهار البالغ قاط وسطه وطاب برده ، « خذ العفو وأمر بالمعروف وأعرض عن الجاهلين » فقال له صالح قد وهبتها لك . ثم قال له انشدنا شيئاً من شعرك لترويه فانشده على البديهة أبياتاً فيه فترحل صالح . فانظر كيف وهب الأمير بلدآ عصى أهله لفيلسوف معروف بما هو عنه معروف . ولو ذكرت مانال العلماء والفلاسفة عند الأصراء والخلفاء لطلال بي المقال أكثر مما طال وفيما سبق كفاية لمكتف

﴿ إزالة شبهتين وبيان حقيقة الاضطهاد ﴾

قد يتوهم قوم ان الاضطهاد قد يظهر في مقت العامة وخلقهم ما يخلقون من المفتريات على أهل العلم والفكر الحر وهمس بعضهم في آذان بعض وتفاضلهم على أهل الفضل ولزمهم إياهم بالألقاب بل واحقارهم في بعض الأحيان وهذا النوع منه عند المسلمين بلا تكبير . وهو خطأ ظاهر لأن

هذا النوع مما يكره أهل العلم لا تخلو منه أرض ولا تطهر منه بلاد مها بلغ أهلها من الحرية ومما بلغ ذوق العلم من نفوس أهلها فان القائم على عتيدة الكاثوليك الى اليوم في أرض فرنسا نفسها يعتقدون الفلاسفة الذين يظهرون بمعاداة الكنيسة ويكتبون ما يوهن قواعدها وقد يخلق عليهم أحزاب الكاثوليك ما لم يقولوه ويرون ان النظر في كتبهم لا يجوز في شريعة الدين . ونحن لانرتاب في ان نحو هذا كان عند المسلمين أيام كانت سوق الفلسفة رائجة عندهم ولكنه ليس من الاضطهاد في شيء وإنما هي نفرة الانسان مما لا يعرف مع ترك صاحبه وشانه يمضي في سبيله الى حيث يشاء

يقول آخرون : ان التاريخ يروي لنا ان بعض أرباب الأفكار قد أخذوا السيف لفلوّه في فكره فلم يترك له من الحرية ما يتمتع به الى منتهى ما يبلغ به وليس يصح أن ينكر ما صنع الخليفة المنصور وغيره بالزيادة وأقول : ان كثيراً من الفلّوا اذا انتشر بين العامة أفسد نظامها وأضرّ بأمنها كما كان من آراء الحلاج وأمثاله^(١) فتضطرب السياسة للدخول في الأمر لحفظ أمن العامة فتأخذ صاحب الفكر لا لأنه تفكر ولكن لأنه لم يرد أن يقصر حق الحرية على شخصه بل أراد أن يقيد غيره بما رآه من الحرية لنفسه مع أن غيره في غنى عما يراه هو حقاً له وتخشى الفتنة اذا استمر مدعي الحرية في غلوائه فلماذا يرى حفاظ النظام أن أمثال هؤلاء يجب أن ينقئ منهم المجتمع صوتاً له عما يزعمه أركانه . ونحن نرى الفلسفة

(١) المنار — ذكر امام الحرمين في كتابه (الشامل) في اصول الدين انه كان بين الحلاج والجنابي رئيس القرامطة اتفاق سري على قلب الدولة وان ذلك هو السبب في قتل الحلاج

اليوم تضطهد الدين هذا الضرب من الاضطهاد . ألم تقض الحكومة الفرنسية على الراهبين والراهبات أن تكون جمعياتهم ومدارسهم تحت سيطرة الحكومة وان لا ينشأ شيء منها الا بإذن من الحكومة ومن لم يخضع لذلك تحل جمعيته وتقتل مدارسه بقوة السلاح . وقد ينق من البلاد كما نفي كثيرون في سنين سابقة ؟ ولكن هل يسمى هذا اضطهاداً ؟ كلا ولكن الاضطهاد حق الاضطهاد هو اضطهاد محكمة التفتيش واضطهاد رؤساء الاصلاح بعدها في أول نشأتهم

ماذا يقول القائلون ؟ ان التعليم عند المسلمين كان غريباً أمره ، يكاد يكون خفياً سره ، مسجد أو مدرسة تابعة لمسجد يجلس فيها للتدريس الفقيه والمتكلم والمحدث والنحوي والمتأدب والفيء وف والملكى والمهندس ؛ ينتقل الطالب من بين يدي الفقيه ليجلس بين يدي الفيلسوف ومن مجلس الحديث الى مجلس الأدب . واذا وقعت مذاكرة بينهم في مسألة من المسائل أخذت الحرية مأخذها في الإقناع والإلزام وسقطت قيمة الفلوة في التعبير وأخذ التسامح بينهم مأخذها . كان عمرو بن عبيد رئيس المعتزلة وأشدهم صلابة في أصول مذهبه ومع ذلك هو من مشايخ الامام البخاري صاحب الصحيح وكانت له منزلة عند المنصور تملو كل ذي منزلة عنده حتى قال له يوماً وهو خارج من بين يديه : « رميت لكل الناس حباباً فلقطوا الا أنت يا عمرو بن عبيد » فانظر كيف كان لامام من أئمة السنه أن يصل سنده في الحديث برئيس من رؤساء المعتزلة ولا يرى في ذلك بأساً

اذا عدّ عادّ بعض رجال العلم الذين أخذتهم القسوة في الاسلام وقتلهم حماقة الملوك باغراء الفقهاء وأهل الفلوة في الدين فما عليه الا أن ينظر

في أحوالهم فيقف لأول وهلة على ان الذي آتار أولئك عليهم ليس مجرد المصيبة للدين وأن ليست الفيرة عليه هي الباعث لهم على الوشاية بهم وطلب تنكيلهم . وإنما مجرد الحسد هو العامل الأول في ذلك كله والدين آلة له . ولهذا لا ترى مثل ذلك الأذى يقع الا على قاضي قضاة (كان رشداً ورجوع الحاكم الى المنفوع عنه وإنزاله منزلته دليل على ذلك) أو وزير أو جليس خليفة أو سلطان أو ذي نفوذ عظيم بين العامة . وهذا كما يقع من الفقهاء مثلاً لا يذاه الفلاسفة يقع من الفقهاء بعضهم مع بعض لا هلاك بعضهم بعضاً كما يشهد به العيان ويحكي لنا التاريخ فليس هذا كذلك معدوداً من معنى اضطهاد الدين الفلسفة لأن التحاسد أكثر ما يقع بين من لا دين لهم على الحقيقة وان لبسوا لباسه . وإنما ذلك الاضطهاد هو الذي يحمل عليه محض الاختلاف في العقيدة أو ظن المخالفة للدين في شيء من العلم أو العمل لضيق الدين عن ان يسع المخالف بجانبه وهذا لم يقع في الاسلام . اللهم الا أن يكون حادث لم يصل الينا

هذه طبيعة الدين الاسلامي عرضت عليك في أهم عناصرها ومقومات مزاجها . وهذا كان أثرها في العالم الشرقي والغربي . وهذه سعة فضل الدين وقوته على احتمال مخالفته وتيسيره لأولئك المخالفين ان يحتسبوا به متى رضوا بأن يستظلوا بظله . هل في هذا خفاء على ناظر ، وهل يرضى لبيب لنفسه أن ينكر الضوء الباهر ، أفلا يبسم الاسلام عجباً وهو في أشد الكرب لمقوق أنبائه ، من أديب لم يكن يعده من أعدائه ان لم يحسبه في أحبابه ، عند ما يراه يستدسه سهمه اليه ، ويجور كما يجور الجائرون في حكمه عليه ، ؟؟

﴿ الاسلام اليوم - او الاحتجاج بالمسلمين على الاسلام ﴾

المقال الرابع لذلك الامام الحكيم ﷺ

ربما يسأل سائل فيقول : سلمنا ان طبيعة الاسلام تأتي اضطراراً العلم بمعناه الحقيقي وأنه لم يقع من المسلمين الأولين تمذيب ولا إحراق ولا شقنق لحملة العلوم الكونية ، ومقومي العقول البشرية ، لكن أليس العلماء من المسلمين اليوم أعداء العلوم العقلية ، والفنون العصرية ، أو ليس الناس تبعاً لهم ؟ أفلا يكون للأديب عنده فيما يراه ويسمعه حوله ؟ ألم يسمع بأن رجلاً في بلاد اسلامية غير البلاد المصرية كتب مقالا في الاجتهاد والتقليد وذهب فيه الى ما ذهب اليه أئمة المسلمين كافة . ومقالا بين فيه رأيه في مذهب الصوفية وقال انه ليس مما انتفع به الاسلام بل قد يكون مما رزى به أو ما يقرب من هذا وهو قول قال به جمهور أهل السنة من قبله . فلما طبع مقاله في مصر تحت اسمه هاج عليه حملة العائم ، وسكنة الاثواب العباغب ، وقالوا انه مرقق من الدين ، أو جاء بالإفك الميين ، ثم رفع أمره الى الوالي فقبض عليه وألقاه في السجن . فرفع شكواه الى عاصمة الملك وسأل السلطان أن يأمر بنقله الى العاصمة ليثبت براءته مما اختلق عليه بين يدي عادل لايجور ، ومهيمن على الحق لا يحيف ، الخ ما يقال في الشكوى . فأجيب طلبه لكن لم ينفعه ذلك كله فقد صدر الأمر هناك أيضاً بسجنه ولم يعف عنه الا بعد أشهر مع انه لم يقل الا ما يتفق مع أصول الدين ولا ينكره القارىء والكاتب ، ولا الآكل والشارب ،

ألم يسمع السامعون ان الشيخ السنوسي (والد السنوسي صاحب الجنوب) كتب كتاباً في أصول الفقه زاد فيه بعض مسائل على أصول

المالكية وجاء في كتاب له ما يدل على دعواه أنه ممن يفهم الاحكام من الكتاب والسنة مباشرة وقد يرى ما يخالف رأيه مجتهد أو مجتهدين . فعلم بذلك أحد المشايخ المالكية (رحمه الله تعالى) وكان المقدم في علماء الجامع الأزهر الشريف فحمل حرية وطالب الشيخ السنوسي ليطعنه بها لأنه خرق جريمة الدين ، واتبع سيدلا غير سبيل المؤمنين ، وربما كان يجترئ الأستاذ على طعن الشيخ السنوسي بالحرية لو لاقاه وإنما الذي خلص السنوسي من الطعنة ، ونجى الشيخ الأرحوم من سوء المغبة ، وارتكاب الجريمة باسم الشريعة ، هو مفارقة السنوسي للقاهرة قبل ان يلاقيه الأستاذ المالكي .

هل غاب عن الأذهان ما كان ينشر في الجرائد من نحو ثلاث سنين بأقلام بعض علماء الجامع الأزهر من المقالات الطويلة الأذيل الواسعة الأردان في استهجان إدخال علم تقويم البلدان (الجغرافيا) بين العلوم التي يتلقاها طلبة الجامع الأزهر ؛ وكان كتاب تلك المقالات يعرضون عن أشار بإدخال هذا العلم وغيره بين تلك العلوم وأنه إنما يريد النقص من علوم الدين . أم لم تنشر في العام الماضي فصول بأقلام بعضهم تشير الى الطعن في عقيدة البعض الآخر وإرادة التشهير به مع أنه لم يجهر بمنكر ولم يقل قولاً يبعد من الكتاب والسنة ؟

ألم تحمل الينا الرواة ما عند علماء الأفغان والهند والمعجم من شدة التمسك بالقديم ، والحرص على ماورثوا عن آباءهم الأقربين ، وإقامة الحرب على كل من حاول ان يرحزهم أصبغاً عما كان عليه سلفهم ، وان كان في البقاء عليه تلفهم ، وما عليه الحال اليوم في حكومة المغرب من الفلّو في التعصب والمعاقبة بقطع بعض الأعضاء في شرب الدخان أو بالقتل

في كلمة ينكرها السامعون ، وان أجمع عليها المسلمون الآخرون ،
 ثم الأيتخيل المؤمل انه يسمع من جوف المستقبل صحباً ولجياً وضوضاء
 وجلبة ، وهيئات مضاربة ، اذا قيل انه ينبغي لطلبة الأزهر ان يدرسوا
 طرفاً من مبادئ الطبيعة او يحصلوا جملة من التاريخ الطبيعي ؛ ألا تقوم
 قيامة المتقين ، ألا يصيحون أجمعين أكتعين أبتعين ؛ : هذا عدوان على
 الدين ، هذا توهين لعقده المتين ، هذا تقرير بأهل المساكين ، ولا يزالون
 يشيرون بهذا الى ان لا يبقى شيء عرف له اسم في اللغة الا الصقوه بهذه
 البدعة في زعمهم

هل هذه الحال جديدة على المسلمين حتى يقال إنها عارض عرض
 عليهم ، أو مرض من الامراض الوافدة اليهم ، ؛ لا يسرل على من يعرف
 أحوال المسلمين تحت نظره من قرون متعددة أن يظن ان هذه الحال
 من العلال الطارئة على أمرجة الأمم خصوصاً عند ما يجد الوحدة في الصفات ،
 والشمول في جميع الاعتبارات ، فلو أخذ مسلماً من شاطيء الاطلاق
 وآخر من تحت جدار الصين لوجد كلمة واحدة تخرج من أفواههما وهي :
 « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مهتدون » وكلهم أعداء لكل
 مخالف لما هم عليه وإن نطق به الكتاب واجتمعت عليه الآثار . اللهم الا فئة
 قليلة زعمت أنها رفضت خبار التقليد وأزالت الحجب التي كانت تحول بينها
 وبين النظر في آيات القرآن ومتون الاحاديث لتفهم أحكام الله منها .
 ولكن هذه الفئة أضيق عطناً وأخرج صدراً من المقلدين وان أنكرت
 كثيراً من البدع ونحت عن الدين كثيراً مما أضيف اليه وليس منه . فانها
 ترى وجوب الاخذ بما يفهم من لفظ الوارد والتقليد به بدون التفات الى

ما تقتضيه الاصول التي قام عليها الدين ، واليه كانت الدعوة ، ولاجلها منحت النبوة ، فلم يكونوا للعلم أولياء ، ولا للمدينة السليمة أحياء ، هل يمكن ان ينكر أحد جود النجباء ووقوفهم عند عبارات المصنفين على تباينها واختلافها واضطراب الآراء في فهمها واذا عرضت حادثة من الحوادث ولم يكن لمصنف معروف رأي فيها اجتمعا عن إبداء الرأي واجتهدوا في تحويلها عن حقيقتها الى أن تتفق مع قول معروف في كتاب من الكتب حتى لقد جاء طالب علم من بلد من بلاد الدولة العثمانية وأراد الالتحاق بأحد الأروقة في الجامع الأزهر فوقع الشك هل بلده مما لأهله استحقاق في ذلك الرواق على حسب نص الواقف . فقال قائل لشيخ الواقف : ان كتب تقويم البلدان تشهد بأن البلد داخل في شرط الواقف فقال : إني لا أفنع بما في تلك الكتب وإنما الذي يصح ان آخذ به هو ان يكون فيه (ممن مات) قال : ان هذا البلد من قطر كذا وهو الذي وقف الواقف على أهله . واذا قيل لأحدهم : إن الأئمة أنفسهم لم يمينوا مواقع البلدان ولم يضعوا لنا جدولاً لبيان ما يحويه كل قطر وبيان الحدود التي ينتهي اليها وإن أصول ديننا تسمح لنا بأن نأخذ بأقوال العلماء في هذه الفنون (وهم منا) وتواتر الاخبار وما أشبه ذلك من البسيطات قال : انما أريد نصاً فقهياً ، لا دليلاً عقلياً ،

واذا قيل لهم : اختلفت الشؤون ، وفسدت الملكات والظنون ، وساءت أعمال الناس ، وضلت عقائدكم ، وخوت عباداتهم من روح الاخلاص ، فوثب بعضهم على بعض بالشر ، وغالت أكثرهم اغوال الفقر ، فتضعفت القوة ، واخترق السياج ، وضاعت البيضة ، وانقلبت

المزة ذلة ، والهداية ضلّة ، وساكنتم الحاجة ، وانفتكم الضرورة ، ولا تزالون
تألون مما نزل بكم وبالناس ، فهلا نهبكم ذلك الى البحث في اسباب ما كان
سلفكم عليه ، ثم علل ما صرتم وصار الناس اليه ، قالوا : ذلك ليس اليانا ،
ولا فرضه الله علينا ، وإنما هو للحكام ينظرون فيه ، ويبحثون عن وسائل
تلافيه ، فان لم يفعلوا ولن يفعلوا فذلك لأنه آخر الزمان وقد ورد في
الأخبار ما يدل على انه كائن لا محالة وان الاسلام لا بد ان يرفع من الارض
ولا تقوم القيامة الا على لكم ابن لكم . واحتجوا على اليأس والقنوط
بآيات وأحاديث وآثار تقطع الأمل ، ولا تدع في نفس حركة الى عمل ،
رأي رنان في الاسلام : هذا الجود - الذي لو أردنا بيان ما امتد اليه

من طبقات الأفكار وثبات الوجدان لكتبتنا فيه كتاباً - هو الذي حمل
الموسيو رنان الفيلسوف الفرنسي المشهور ان يقول في عرض كلام له في
تساهل المذاهب الدينية مع العلم نقلته عنه الجامعة : «على أنني أخشى ان يثبت
الدين الاسلامي وحده في وجه هذا التسامح العام في العقائد ولكتني
أعرف ان في نفوس بعض الرجال المتمسكين بأداب الدين الاسلامي
القديمة وفي بضعة من رجال الاستانة وبلاد الفرس جرائم جيدة تدل
على فكر واسع وعقل ميال الى المسئلة . الا أنني أخشى ان يمتنع هذه
الجرائم بتعصب بعض الفقهاء فاذا اختتمت قضي على الدين الاسلامي . ذلك
انه من الثابت الآن أمران - الأول ان التمدن الحديث لا يريد إيمانه
الأديان بل مرة لأنها تصلح أن تكون وسيلة اليه . والثاني انه لا يطبق ان
تكون الأديان عشرة في سيده . فعلى هذه الأديان ان تسالم وتلين والا كان
موتها ضربة لازب » اه كلام رنان بتصرف لفظي قليل

فن أين يكون هذا الجمود العام الذي سمح للطاعنين ان يحكموا على الاسلام بأنه عثرة في طريق المسلمين يسقط بهم دون ان ينالوا فلاحاً في سعيهم ، أو نجاحاً في أعمالهم ، من أين يكون هذا الجمود ان لم يكن من طبيعة الدين ؟ ومن أين يكون ما سردناه من الحوادث إن لم يكن ناشئاً من أصول الدين ؟ فان لم تسلّم بأن هذا اضطهاد وان الاضطهاد من لوازم الدين الاسلامي فعليك ان تسلّم بأنه عداوة للعالم أو اشمئزاز منه ، أو استهجان له أو احتقار لشأنه ، وأحد هذه الأمور كاف اذا عم بين المسلمين في ان ينفر بهم عن كل مجد ، وأن يجرمهم كل نفع ، وان يحقق فيهم ما تنبأ به رنان وغيره فما قولك في هذا ؟؟ (له بقية)

(المنار) سيأتي الجواب في الجزء الآتي وفيه بيان حقيقة هذا الجمود وأسبابه وكونه لا بد ان يزول ان شاء الله تعالى فانتظر العجب العجيب

الاجتماع السادس لجمعية أم القرى

يوم الاثنين الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦

في الضحى الأول من اليوم المذكور تألفت الجمعية حسب معتادها وقرى الضبط السابق واستعدت الأذهان لتاتي ما يفوضه الله على السنة أهل الإيمان من الإخوان قال (الأستاذ الرئيس) مخاطباً (الشيخ السندي) انك يا مولانا لم تشاركنا في البحث الى الآن فترجوك أن تتكرم على إخوانك ببذرة من عرفانك تنور بها افكارنا وترجوك أن لا تحتشم من التعلم في بعض التعبيرات اللغوية لغاية المعجمة عليك فان لك أسوة بالفيروز آبادي والسعد والفخر وغيرهم .

فقال (الشيخ السندي) انكم ايها السادة الاخوان سراء افاضل الزمان ، وسباق فرسان كل ميدان ، قد اقدمتم وأجدمتم ولم تتركوا القائل من مجال ، ولا مثلي غير الإصفاء والامثال ، وإني احب ان اذكر لكم حاتي وفكرتي قبل هذه الاجتماعات وما

أثره في هذه المفاوضات . فأقول : اني من خلفاء الطريقة النقشبندية واذ كان والدي
المرحوم هو ناقل هذه الطريقة للأقاليم الشرقية والجنوبية في الهند فقد صرت بسد
والدي مرجعاً لعامة خلفائها ثم جرت لي سياحات مكررة في تلك الأرجاء وفي أيلات
كاشغر وقازان حتى سيريا وتلك الأسماء . وبسبب حرصنا على تعميم طريقتنا صار لها
شروع مهم وانتشار عظيم بين مسلمي هاتيك الديار .

ومن العلوم ان طريقتنا من أقرب الطرائق للاخلاص وأقلها انحرافاً عن ظاهر
الشرع وهي مؤسسة على الذكر القلبي وقراءة ورد خواجكان ومراقبة المرشد
والاستمداد من الروحانيات واني لم أكن أفكر قط في أن الذكر وقراءة الورد على
وجه راتب فيه مظنة البدعة أو الزيادة في الدين ولا أن المراقبة والاستفاضة والاستمداد
من أرواح الأئمة والصالحين فيها مظنة الشرك الى أن حضرت هذه الاجتماعات المباركة
فسمعت وفتحت وأقلمت والحمد لله .

على اني عنيت أيضاً على أن أتلف في الأمر بالنصيحة والموعظة الحسنة عسى
ان أوفق لهداية جماهير النقشبندية في تلك البلاد الى تصحيح وجهتهم بأن يذكروا الله
قلباً ولساناً بدون عدد مخصوص معين قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم بدون هيئة أو كيفية
مينة متى شاؤوا وأرادوا بدون وقت مرتب فرادى ومجتعين بدون تداع . وان يتركوا
المراقبة ويستعينوا عنها بالدعاء بالفقران والرحمة لكل من الشيخهء الذين النقشي
مرشدهم الأعلى وخليفته مرشدهم الأدنى الذي هم مابعوه .

وقد فتح الله عليّ بركة جميتنا هذه فهم أسباب ميل المسلمين في هاتيك البلاد
صالحهم وفاسقهم للانتساب الى احدى الطرائق الصوفية وكنت قبلاً أحمل ذلك على
مجرد اخلاص المرشدين والآن اتضح لي أن السبب هو ان السادة الفقهاء عندنا من
الحنفية والشافعية قد ضيقوا على المسلمين العبادات تضيقاً لا يعلم ان الله تعالى يطلبه
من عبادته وكثروا الاحكام في المعاملات تكثيراً ضيع الناس وشوش الاقتاء والقضاء
حتى صار المسلم لا يكاد يمكنه أن يصحح عبادته أو معاملته ما لم يكن فقهاً .

فتوصيح الفقهاء دائرة الاحكام أنتج تضيق الدين على المسلمين تضيقاً أوقع
الامة في ارتباك عظيم ارتباكاً جعل المسلم لا يكاد يمكنه أن يعتبر نفسه مسلماً ناجياً
لتنذر تطبيق جميع عباداته ومعاملاته على ما يتطلبه منه الفقهاء المتشددون الآخذون
بالغزائم فبذلك أصبح الجمهور الأكبر من المسلمين يعتقدون في أنفسهم التهاون

اضطراراً فيهن عليهم التهاون اختياراً كالغريق لا يحذر البلل . لأنه كيف يطمئن الخفي العمي حق الاطمئنان في الاستبراء لتصح طهارته وكيف يحسن مخارج الحروف كلها وقد أفسدت المعجمة لسانه لتصح صلاته . وكذلك كيف يصحح الشافعي العمي نيته على مذهب امامه في الصلاة أو يعرف شدات الفاحشة الثلاث عشرة ويتنبه لإظهارها كلها ليكون أدى فريضته

بل أي عمي يعرف وصف الكلام ومعنى الاستواء وتأويل الوجه واليد واليدين وتعيين الجزء الاختياري وإضافة الأعمال له أو لله إلى غير ذلك ليكون عند الحنفية المازيدية والشافعية الأشاعرة مسلماً مقلداً يرحى له قبول الإيمان؟ ومن من العامة يحيط عاماً بكل ما ثبت بالنص القاطع حتى صفة بقرة بني اسرائيل مثلاً لكيلا يعتقد خلافه فيكفر فيحبط عماله ومن جملته انفصاح نكاحه . وم من مسلم يحكم عليه الفقيه الشافعي بأنه نسل سفاح ومقيم على السفاح وراض لمحارمه بالسفاح إلى غير ذلك مما ينافي سماحة الدين ومزينة الدين به في الدنيا قبل الآخرة .

فهذا التضييق صار المسلم لا يرى لنفسه فرجاً إلا بالالتجاء إلى صوفية الزمان الذين يهونون عليه الدين كل الهوين . (مرحى) وهم القائلون : ان العلم حجاب و : بامحة تقع الصلحة . و : بنظرة من المرشد الكامل يصير الشقي وياً وبنفخة في وجه المرید أو تفلته في فمه تطيعه الأفي وتخرمه العقرب التي لدغت صاحب الغار عليه الرضوان (١) وتدخل تحت أمره قوانين الطبيعة . وهم المقررون بأن الولاية لا ينافيها ارتكاب الكبائر كلها إلا الكذب وان الاعتقاد أولى من الانتقاد وان الاعتراض يوجب الحرمان أي ان تحمين الظن بالفساق والفجائر أولى من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إلى غير ذلك من الأقوال المهونة للدين والأعمال التي تجعله نوعاً من اللهو الذي تستأنس به نفوس الجاهلين .

على ان الناس لو وجدوا الصوفية الحقيقيين — وأين هم — لقروا منهم فرارهم من الأسد لأن ايس عندهؤلاء الاتوسل بالاسباب العادية الشاقة لتطهير النفوس من أمراض الإفراط في الشهوات وتصفية القلوب من شوائب الشره في حب الدنيا وحمل الطبائع بوسائل القهر والتعزير على الاستئناس بالله وبعبادته عوضاً عن الملاهي المضرة وذلك طلباً للراحة الفكرية والعيشة الهنية في الحياة الدنيا والسعادة الأبدية

(١) المتار — المنقول ان الصديق لسعته حية لا عقرب ولم يصح

في الآخرة . وأين التهورين السانف البيان الصوفية الزمان من هذه المطالب التهذيبية الشاقة ومن حقائق العرفان المعنوية التي لا يعرفها ويتأيس بها إلا من وفقه الله وكشف عن بصيرته . وذلك نحو العرفان عن يقين وإيمان ان من أعز كلمة الله أعزها الله ومن نصر الله نصره الله ومن توقع الخير أو الشر جازماً نال ما توقع ومن تصفوا نفسه بأنهم رسله ومن اتكل على الله حقاً كفاه الله ما أهمه ومن دعا الله مضطراً أجاب دعائه الى غير ذلك من الحقائق المقتبسة من القرآن وأسرار حكمة سيد ولد عدنان صلى الله عليه وسلم (مرحى)

قال (الأستاذ الرئيس) قد أحسن أخونا الشيخ السندي توصيفه المنفحة المتشدة والتصوفة المحنفة واني ملحق تقريره بما يناسب ان يكون مقدمة تاريخية لبحث التصوف فأقول :

قد كان التنسك في المسلمين شيمة لأكثر الصحابة والتابعين ثم ان التوسع في الدنيا قلل عدد المنتسكين فصار لأهله حرمة مخصوصة بين الناس وصار بعض المتفرغين يقصدون نيل هذه الحرمة بالتأيس بالنسك والزام النفس بالتمرن عليه وإذ كان من لوازم استحصال تلك الحرمة اظهار التقشف اتخذوا التصوف دائرة واسم الفقر شعاراً فقلب عليهم اسم الصوفية واسم الفقراء ثم ان بعض العلماء من هؤلاء المتمرين بالتنسك أحبوا التميز بالرياسة أيضاً فصاروا يدعون الناس الى التنسك ويرشدونهم الى طرائق التمرن عليه ومن هنا جاء اسم الإرشاد واسم الطريق .

وإذ كانت ارادة الاعتراف بالدين ارادة حسنة لإن فيها اعزاز لكلمة الله فلا يؤخذ بشيء على المرشدين الاواين ولا على البعض النادر من المتأخرين ولو من أهل عهدنا هذا كالسادات السنوسية في صحراء أفريقيا .

أما دخول الفساد على التصوف واضرارده بالدين وبالمسلمين مما ذكره أخونا الشيخ السندي وغيره من الإخوان الكرام فقد نشأ من أن بعض المرشدين من أهل القرن الرابع لما رأوا توسع الفقهاء في الشرع وتفنن المتكلمين في العقائد فهم كذلك اقتبسوا من فلسفة فيثاغورس وتلامذته في الإلهيات قواعد وانتزعوا من لاهوتيات الكتابيين والوثنيين جملاً وألبسوها لباساً إسلامياً فحملوه علماً مخصوصاً ميزوه باسم علم التصوف أو الحقيقة أو الباطن . وهكذا بعد ان كان التصوف عملاً تعبدياً محضاً حملوه فناً نظرياً اعتقادياً بحتاً .

ثم جاء منهم في القرن الخامس وما بعده بعض غلاة دهاة رأوا مجالاً في جهل

أكثر الأئمة لأن يحوزوا بينهم مقاماً ك مقام النبوة بل الألوهية باسم الولاية والقطبانية أو الفوئية وذلك بما يدعون من القوة القدسية والتصريف في الملكوت فوسموا فلسفة التصوف بأحكام تشبه الحكم بنوها على زخرف التأويلات والكشف والتحكمات والمثال والخيال والأحلام والأوهام وأنفوا في ذلك الكتب الكثيرة والمجلدات الكبيرة محشوة بحكايات مكذوبة وتقريرات مخترعة وقضايا وتركيبات لا مفهوم لها البتة حتى ولا في محيلة قائلها كما ان قارئها أو سامعها لا يتصورون لها معنى مطلقاً وان كان بعضهم يتظاهر بحالة الفهم ويتلمظ بان للقوم اصطلاحات لا تدرك الا بالذوق الذي لا يعرفه الا من شرب مشربهم

وبعض هؤلاء الغلاة قتلوا كفراً ومع ذلك شاعت كتبهم ومقالاتهم وحازوا المقام الذي ادعوه بمدعاتهم لأن في تعظيم شأنهم ترويج مقاصد المقتفين لآثارهم كالأباحين . وبعضهم لم يكن من الغلاة ولكن أخلافه اعظاماً لأنفسهم في نظر حتى الأمة نسبوا اليه الغلو وعزوا اليه كتباً ومقالات لا يعرفها ونهم الأفاعيون يفعلون ذلك حتى في عهدنا هذا ولا حول ولا قوة الا بالله (له بقية)

(المنار لقد بانح الرجل رحمه الله في التقديوان للقوم في مجموعهم حسنات لم يذكرها كما ان لهم سيئات وقد بينا ما لهم وعليهم من قبل

باب الوسيلة والاهلية

(س ١) الاستمطار بالكهربائية ومفاتيح الغيب -- محمد افندي كامل الكاتب بمحكمة أسبوط : رأيت في بعض المجلات أن علماء الطبيعة في اليابان أمكنهم أن يستحدثوا سحبا ويستمطروها حسب أهوائهم . ورأيت في مجلة أخرى أنهم في بلاد الانكليز يستمطرون السحب الطبيعية . وقد ورد في القرآن الشريف للإعجاز أن الخالق جات قدرته هو الذي ينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام الخ . وورد أيضاً أن الغيث ينزل بقدر معلوم وان الله تعالى هو الذي يرسل السحاب حيث يشاء . فهل ما ذكر عن الانكليز واليابان ينافي الإعجاز الوارد في القرآن وما حدده من علم الانسان بالكائنات؟

ترجو البيان وتفسير الآية « نفصنا الله والمسلمين بغزارة علمكم . . . » اهاباختصار

(ج) ان الأمة الاميركية هي السابقة الى ادعاء إمكان الاستمطار بالعمل وذلك بارسال مقدار عظيم من الكهرباء في الجو تنتشر في السحاب فتجتمع بها دقائق

البخار فتكون ماء فينزل مطراً . ويقال أنهم حربوا ذلك فتجح بهض الزجاج ولكنه لم يأت على حسب المراد ، ويعبر خاضعاً لكسب الإنسان يفعله متى أراد ، والذي نههم الى هذا الملاحظة حدوث المعر عقيب الحرب حيث تطلق المدافع فتحدث في الجو تعبيراً عظيماً .

وليس من المحال عقلاً ولا شرعاً أن يصل علم الإنسان بسنن الله في الخلق الى حد يستمطر به السحاب متى شاء فان الله تعالى لم يجعل لعلم الإنسان بالكائنات حداً معيناً بل تشير آيات القرآن باطلاقها الى أنه لا حد له كقوله تعالى « وسخر لكم ما في السموات وما في الارض » ولا ينافي ذلك ان حصل كون الله تعالى هو الذي ينزل الغيث وكونه ينزله بقدر معلوم فان ما بيناه الانسان بسعبه وكسبه لا يخرج عن قدرة الله تعالى وعلمه ولم يرد ذلك الا بمجاز . رأيت هذه الينابيع التي تفجرها ، والآبار التي تحتفرها ، أهي تخرج بك من سلطان القدرة الإلهية . وتحتجب بسمينا عن عامه المحيط بالبرية ، كلا

أما قوله تعالى : « إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدري نفس ماذا تكسب غداً وما تدري نفس بأي أرض تموت » فليس نصاً في في كون علم الإنسان لا يصل الى معرفة شيء من هذه الأمور . ولكن يشبه على الناس تفسير قوله تعالى « وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها الا هو » بهذه الخمس المذكورة في الآية كما في حديث أحمد والبخاري . وقد قال الإمام الرازي وغيره أن المراد مفاتيح خزائن الغيب أي فلا يعلم جميع ما في خزائن الغيب الا من بيده مفاتيحها وهو الله تعالى . وقد ظهر لي في أيام طلب العلم وقراءة التفسير وجه دقيق لجعل هذه الخمس مفاتيح للغيب ولم أر أحداً من المفسرين تعرض لذلك . وقد عرضت هذا الوجه يومئذ على أستاذنا الشيخ محمود نشابه وعلى شيخنا القاوجي (رحمهما الله تعالى) فاستحسناه وكتبته في كتابي (الحكمة الشرعية) وهو :

ان المفاتيح جمع مفتاح بفتح الميم أو كسرهما بمعنى الخزائن أو المفاتيح والغيب ما غاب عن الناس وهو عالم الآخرة وعالم البرزخ بين الدنيا والآخرة وبعض عالم الدنيا وهو النبات الذي لم يفت والحوان الذي لم يولد وما تكسب النفس في المستقبل . فالساعة مفتاح عالم الآخرة والغيث مفتاح عالم النبات وما في الارحام مفتاح عالم الحيوان وقوله تعالى « وما تدري نفس ماذا تكسب غداً » ظاهر في مفتاح الكسب والاعمال التي ستحدث . وكذلك كون الموت مفتاح عالم البرزخ ظاهر في باقي الآية . اه وفي الكتاب

تصوير لمعنى الآية بصورة أخرى . ولك أن تسمى الموت برزخاً ولا تجعل البرزخ عالمًا
(س ٢) الأعطار الأفرنجية - اه ز غ ه في السويس : أرجو الافادة عن
المطر المسمى (بالوندا) ونحوه أطاها ام نجس الخ

(ج) هو طاهر كما بيناه بالأداة في الصفحة ٥٠٠ من المجلد الرابع فليراجعه السائل
(س ٣) الخطباء والموضوعات - اه ع بالازهر : صلينا آخر جمعة من جمادى
الثانية في الازهر الشريف فسمنا الخطيب ذكر في الخطبة الحديث الذي كنتم ذكرتم
في المنار انه موضوع وهو من صام يوه من رجب فله كذا الخ فاذا كان ما نقلتم عن
المحدثين من وضعه هو الصحيح الثابت فكيف تجرأ خطيب الازهر على اسناد
الاحاديث المكنوبة على النبي صلى الله عليه وسلم اليه وهو بخطب على رؤس أشهر
علماء الدين في المسلمين . وهل يجب منع امثال هؤلاء الخطباء من ذلك ام لا

(ج) جاء في فتاوي ابن حجر المكي الحديثية أنه سئل عن خطيب يرقى المنبر
في كل جمعة ويروي احاديث كثيرة ولم يبين مخرجها ولا روايتها . فذكر في الجواب اشتراط
معرفة الحديث في جواز ذلك أي أن يكون الخطيب محدثاً يروي ما صح عنده أو
ينقله من كتب الحديث المعتبرة . قال : « واما الاعتماد في رواية الاحاديث على مجرد
رؤيتها في كتاب ليس مؤثقه من أهل الحديث أو في خطب ليس مؤثقا كذلك فلا يحل
ذلك ومن فعله عزير عليه التعزير الشديد . وهذا حال أكثر الخطباء فانهم بمجرد
رؤيتهم خطبة فيها احاديث حفظوها وحفظوا بها من غير أن يعرفوا أن لتلك الاحاديث
أصلاً أم لا . فيجب على حكام كل بلد أن يزجروا خطباءها عن ذلك ويجب على حكام
بلد هذا الخطيب منعه من ذلك إن ارتكبه ، اه ولا يخفى أنه ليس عندنا في هذا العصر
حفاظ ولا محدثون فيا ليت مدير الاوقاف يلزم الخطباء بتخريج الاحاديث من الكتب
الصحيحة وعزوها في الخطبة الى مخرجها كالبخاري ومسلم وغيرها من الحفاظ

والذي ساق الخطباء الى اختيار الاحاديث الموضوعه والواهيه هو التزامهم انشاء
الخطب في مدح الشهور والمواسم المبتدعة . واذ لم يجربوا حديثاً صحيحاً ولا حسناً في
صوم رجب ذكروا المكذوب والواهي . أكثر المشتغلين بالعلم جهلاء بالحديث ومن
كان منهم عالماً به في الجملة فهو غير عامل فلا ينهي عن المنكر ولا يأمر بالمعروف ولذلك
استمرت هذه المنكرات حتى كاد يهدمها العامة من ضروريات الدين ، ألا تراهم يختلفون
بصلاة الرغائب في دار الساعنة وغيرها وهي كما نص الفقهاء والمحدثون بدعة مذمومة
(راجع بدع رجب في المجلدين الثاني والثالث)

(س ٤) القراءة على القبر — الشيخ احمد حامد بدوي بالازهر: قرأت في رواية «عذراء قريش» لحضرة جرجي انندي زيدان «انه لما اشتد الخلاف على عثمان رضي الله عنه دخل علي بن أبي طالب كرم الله وجهه عند قبر رسول الله عليه الصلاة والسلام وشكا اليه حال الأمة ودعا لها ثم قرأ الفاتحة» ونحن نعتقد أن قراءة القرآن لأتيجوز على القبور مطلقاً فحسبنا بهذه السطور لسؤال المتأهل ما نعتقد صحیح أو مجوز قراءة القرآن كما فعل الامام علي بن أبي طالب رضي الله عنه (كما قاله صاحب الرواية) وللإسلام منكم مزيد بفضل والشكر

(ج) ان الأخبار والآثار التي يفتخ بها شرعاً لا تؤخذ من القصص ولا من كتب التاريخ وإنما تؤخذ عن المحدثين الذين يبنون أسانيدها ليحتمل بها أم لا . فالأثر المنقول في الرواية غير صحيح ولو صح لجاء فيه الخلاف في الاحتجاج بعمل الصحابي ثم يقال بعد هذا ان العلماء مختلفون في جواز القراءة عند القبر ولا بد أن يكون اعتقاد السائل بالتحقق مبنياً على عدم الاعتماد بما ذكره المجتهدون من الدليل فكيف يعتد بعد هذا برواية في قصة لمن ليس من أهل الحديث؟ وقد ذكرنا رأينا في المسئلة من قبل فلا نصيده فإيراجع المسائل الجزء الرابع من هذه السنة والمجلدات السابقة

باب الاخبار والآراء

أرجأنا تمة ترجمة السنوسى الى الآتي

(الاسلام والدولة البريطانية)

لهج بعض الجرائد في هذا الايام بمقالة لكاتب انكليزي اسمه (مسترد . ج . كوربت) نشرت في الجزء الخامس من كتاب انكليزي كبير في الدولة الانكليزية ومستعمراتها . عنوان هذه المقالة (الاسلام والدولة البريطانية) وقد ارسلها كاتبها الي بعض الجرائد الاسلامية ومنها جريدة المؤيد وطلب منها رأيها فيها وقد عبرتها جريدة المؤيد ونشرت التعريب في ستة أجزاء فكان له وقع عظيم عند المسلمين . ونحن نلخص عيون المقالة في اربع مسائل

(١) انكلترا أكبر دولة اسلامية يقول الكاتب في اثبات هذه المسئلة ان المسلمين الذين يحكمهم الدولة العثمانية ستة عشر مليوناً وثيقاً بحسب الإحصاء الرسمي والذين يحكمهم دولة الصين ٣٢ مليوناً والذين يحكمهم روسيا ستة ملايين . وهذه الدول الثلاث أكثر الدول تابعاً من المسلمين بعد انكلترا التي تحكم ١٠٧٠٧٦٨٠٤

مسلمين . وقد بين الكاتب ذلك بالتفصيل في ثلاث جداول احصائية . واستدركت عليه جريدة المؤيد قائلة ان هذه الجداول مأخوذة من احصاء ١٨٩١ وقد زاح عدد المسلمين في المستعمرات الانكليزية في العشر الاخير زيادة عظيمة فقد كان عدد مسلمي الهند في العشر الماضي ٥٧ مليوناً وصار عددهم بحسب الاحصاء الاخير ٨٧ مليوناً بل ٨٩ مليوناً و ١٢٥ الفاً . وبالجملة ان المؤيد قدر عدد المسلمين الحاضرين الانكليز ١٣٨٠٧٠٦٧٤٠ وقال ان هذا المجموع أقل من الحقيقة بكثير

(٢) معاملة الانكليز للمسلمين : يقول الكاتب ان المسلمين في المستعمرات الانكليزية يتمتعون بالحربة الدينية ويرتقون في معارج الحياة الاجتماعية ويزدادون بالتدرج ثروة وعلماً وأدباً وستكون الهند مصدراً لمدينة آسيا ومصر منبعاً للحياة ما يجاورها من آسيا وأفريقيا . ثم انه مع هذا ينسب الى قومه الانكليز التقصير في القيام بمصالح المسلمين ويثبت لهم ان مستقبل بريطانيا العظمى مرتبط بمستقبل المسلمين ومصالحهم مقرونة بمصالحهم . ويقول ان الانكليز ارتكبوا هفوات مع المسلمين جهلاً وغروراً ونقل عن الدكتور ايتنر الذي وصفه بأنه حجة ثقة جملة جاء فيها أن الصلة انقطعت بين الانكليز والمسلمين في الهند بابطال محكمتي الصدر الديواني ونظام عدالت

قال الدكتور « وان أحكام محاكمنا (أي الانكليزية) صارت بعيدة عن الغرض المقصود لجهل قضائنا باللغة العربية التي لا يمكن أن يكون لأحد مع المسلمين نفوذ بدون معرفتها لارتباطها بالشرعية المحمدية ارتباطاً انفكاً له . » وينقل الكاتب عن هذا الدكتور أيضاً القول بوجوب رد الانكليز المرتبات والهيئات التي منعت عن المسلمين بغير حق ليستنبوا بها على « التربية الدينية والأدبية اللازمة للأمة المحمدية » . ويقول اذا اتبعنا نصيحة الدكتور فاننا نكفر عن سيئاتنا الايدارية وغلطتنا السياسية التي وقعت من بعض حكام الهند قديماً خصوصاً اقفال ابواب المدارس العليا في وجوه الناشئة الاسلامية وما تبع ذلك من التضيق عليهم في وظائف الحكومة . ويعترف الكاتب للسيد احمد خان بأنه كان هو السبب في تقرب الانكليز من المسلمين وانهم خطوا بسعيه خطوات واسعة ويمدح مدرسته التي كانت مساعدة على هذا التقرب وازالة سوء التفاهم بين الفريقين . ويوجب على الانكليز مساعدة المدارس التي تربي الناشئة على الاستقلال ومحاسن الاخلاق وصفات الرجولية كمدرسة احمد خان

(٣) ارتباط مصلحة الانكليز بالمسلمين : قال يجب علينا وراء التكفير عن سيئاتنا ومساعدة اخواننا المسلمين على الترتي أن نزيل ماعاق بأذهان بعضنا من سوء فهم

الدين الإسلامي فإن نتيجة هذا الجهل جعلهم أعداء لنا . ثم نقل أن المسلمين دعوا الله تعالى في مساجد الهند بأن ينصر الإنكليز على البور واستدل بهذا على إخلاصهم لحكومتهم وعلى وجوب جذبهم اليها لكيلا تصيبهم السموم التي ينشأ عنها أعداؤها . وذكر الأفغان وما يكون لهم من الشأن إذا حاربت روسيا الإنكليز في الهند وانتقل إلى أفريقيا وذكر قوتالستوسيين فيها وازدياد نفوذهم وأنها ستكون وبالأعلى الإنكليز إذا هم لم يجذبوا المسلمين إليهم فانهم لا يلومون في المستقبل إلا أنفسهم .

قال : « الواسطة الوحيدة لتمكين سلطتنا في آسيا وأفريقيا هي أن نبذل جهدنا في إقناع المسلمين أن مصالحها الدينية والسياسية مرتبطة بمصالحنا وأنهم بخدمة مصالحهم يخدمون مصالحنا ونحن كذلك » ويلزم المسلمين لذلك أن يعلموا أن كثيرا من معتقداتهم التي يحسبونها من الدين ليست منه ولا جاء بها كتابه . يقول القاضي سيد أمير على أحد علماء المسلمين : « إن سبب تأخر المسلمين وبقائهم على ما هم عليه من التأخر يرجع في الغالب إلى ما رسخ في أذهانهم من أن لا حق لهم في استعمال عقولهم في فهم دينهم لأن ذلك قد انتهى بانقراض المجتهدين الأولين فصار الاجتهاد بدمهم محرما . وأن المسلم لا يكون مسلما حادقا إلا إذا كان مقلداً للذهب من المذاهب المعروفة . فيترك المسلم ما يعتقد وما يفهم ويمسك بأراء أهل القرن التاسع من المفسرين والفقهاء غير ملتفت إلى الآراء والأفكار التي وصل إليها العالم في القرن التاسع عشر » .

وقد ختم الكتاب كلامه بذكر حركة العالم الإسلامي الآن للترقي وحث على الإنكليز مساعدة هذه الحركة والاستفادة منها وعلق الأمل في ربط الألفه بين الفريقين بمساعي إفريقيا (٤) دين الإسلام دين مدنية : انتهى الكتاب على الإسلام بناء من فهمه ورد على المعارضين عاينهم وعقل ونقل اقوال ثقات الحكماء والعلماء الغربيين في مدحه واجاب عن الاعتراضات المشهورة بأجوبة حسنة . وربما نأخذ تلك الاقوال والمدائح بعد . وان لنا كلاما في الوفاق الإسلامي الإنكليزي نذكره في الجزء الآتي

﴿ مثال من أمثلة طفولية الأمة — جمعية مكارم الاخلاق ﴾

سرف قراء المنار أن جمعية وجدت في القاهرة سميت (جمعية مكارم الاخلاق الاسلامية) ثم وجد لها فروع في الزقازيق والاسكندرية وغيرها . وقد أقبل الناس في القاهرة على الجمعية حتى صار أعضاؤها يعدون بالمئين أو تجاوزوها وأنشأت الجمعية مجلة سمها باسمها بلغ عدد المشتركين فيها بعد أشهر من ظهورها زهاء أربعة آلاف

مشترك . وكان الفرع الذي تفرع منها في الزقازيق اكبر الفروع نفماً وأعزها نفراً
فانه أنشأ مدرسة وعال بعض الفقهاء . ولكن الجمعية الكبرى لم يثبت أن انحلت وابطالت
بجائتها بعد مرض عرض على ادارتها وغول غال مالياتها . وظلت جمعية الزقازيق بعد
سقوط أمها قائمة على طريقها حتى جاءنا في هذه الايام خبر سقوطها وابطال مدرستها
وبيع ادواتها وأثاثها واقتسام الاعضاء له

يعلم الله أننا نكتب هذا بمذاد الاسف والامتعاض . ويعلم اهل الفضل والمروءة
من افراد الجمعية بعض ذلك متناجحتنا ايها على احياء الجمعية في القاهرة وتعيين رئيس
لها صالح للإدارة يخدم الجمعية للجمعية . واننا لم نياس من همة هؤلاء الفضلاء
فإن كان النهوض بعد السقوط عسراً فهو اذا حصل أجدر بالثبات واحرى بالدوام
ويسر نابقاء فرع الجمعية في الاسكندرية ثابتاً وقد احدث للمجلة مطبعة واعاد نشرها .
ولاشك ان اهل الاسكندرية أرقى في الحياة الاجتماعية من أهل الزقازيق واكثرهم
ايسوا في مجموعهم بأرقى من اهل القاهرة فامل هؤلاء بحمقون رجاءنا فيهم ولا يقنطهم
سقوط الطفل قبل فطامه ، من نهوضه وقيامه

(تصحيح) في السطر ٥ من الصحيفة ٤٠١ كلمة (الارحم) وصوابها (الارجح)
وفي س ١٨ و ١٩ من ص ٤١١ : (بصري الاصل . ابن الامير) والصواب (بصري
الاصل ابن الامير) وفي س ١٢ ص ٤٣٢ (مجربوني) والصواب (مجربونتي) .
وفي س ٤ ص ٤٤٣ (بالحايقة) والصواب (في الحايقة) وفي س ٣ ص ٤٤٤ (بها)
والصواب (فيها) وس ٢١ ص ٤٤٤ ايضاً (دعا) والصواب (دُعي) وفي س ١٨
ص ٤٤٧ (وان نجد لسنتنا) والصواب (ولا نجد لسنتنا) وفي س ٧ ص ٤٤٩
(الاصل الرابع) وصوابه (الاصل الخامس) وايصح ما بعده من الاصول على الترتيب .
وفي س ١ من هامش ص ٤٥٦ (لوقا ١٥٥ — ٢٥ و ٢٦) والصواب (لوقا ١٤ — ٢٦)

﴿ محادثة بين صاحب جريدة الحاضرة ورئيس تحرير جريدة فرنسوية ﴾

اجتمع صاحب جريدة الحاضرة العربية الوحيدة في تونس بموسيو تريدون
رئيس تحرير جريدة الديس تونزيان وتكلما في موضوع التعليم الذي يغييه فرنسا
بتونس . فرأينا أن ناخص ما دار بينهما لما فيه من العبرة للمسلمين الذين استعمر
بلادهم الاوربيون أو احتلوها باسم الحماية أو غير ذلك ،

(الصحافي الفرنسي) : ما قولك أيها الرصيف في المقالة التي نشرت اليوم في

جريدتنا تحت عنوان (ماهي النسبة التي علينا أن نعلمها) أي التونسيين (عابها)
جواباً على مقالة في هذا الشأن نشرت في التوتوزي فرانس تحت تلي حرمان
التونسيين من نعمة التعليم العالي الموصول الى النتائج الفكرية النافعة من طب و هندسة
وخصام (لذا و لعله يريد الحقوق) و تبرير إذ رأى محرر هذه الجريدة ان نظام
الحماية قاص بأبقاء التونسي دائماً في ديار الجهل حتى لا يهتدي الى تصورات و افكار في
الفكري سيلا و بماملته كما تامل البهائم حتى لا يطمح الى الاستقلال و لا يتوصل
الى انكار ما يلحقه من الأذى و الظلم

(الصحافي التونسي) بعد جملة في مدح العلم : هل تنكرون ان فرنسا احتلت
عنا القطار لبث أنوار العرفان و نشر راية المدنية بين أهالي المملكة فكيف يمكن
الجمع بين هذه التوتوي و بين قضية حرمان شبان التونسيين من التعليم

(الفرنسي) : نحن لم نقل بحرمان التونسي من كل تعليم بل زدنا على السماح له
بالتعلم الابتدائي ان اجزنا ان يتعلم بعض الأفراد العلوم العالية بصفة استثنائية خاصة
لا عامة لأن انتشار العلوم العالية يتقف العقول و يفتح البصائر و يولد الطمع بالاستقلال
في نفوس المسلمين لما هم عليه من صفات الرجولية و الشجاعة و حب الحلال و المحافظة
على شعائرهم بخلاف اليهود فانهم لا وطن لهم ولا مطامع سياسية و هم بكثرة تقليد
و ميلهم لمجانسة الأوربي كادوا ان يكون على صبغته فحقن على خلاف رأي التوتوزي
فرانيس ترى تقييد نشر العلوم العالية و تخصيصه ببعض الشبان لا حرمان جميع
الأفراد منه بالرة

(التونسي) : لعلكم سلكتم هذا المسلك مصانعة لأصحاب الاسهم من التونسيين
(وفي الاصل مراعاة لحاظر أصحاب الاسهم)

(الفرنسي) : ربما كان ذلك من جملة الاسباب ولكن هذا هو رأينا الخاص
(التونسي) : كيف يسوغ ذلك التقييد و العلم نور ساطع لا يمكن إخفاده و في
محاولة حجبه عن الناس خصوصاً القادرين منهم على اقتباسه بأنفسهم من إيقاظ
الصدور و حجاب البغضاء ما لا يليق بدولة حرة هي قدوة الأمم في ترقى الفكر

(الفرنسي) : لقد ضيق الانكار من قبل دائرة تاتي الشبان المصريين للعلوم
المالية في مدارس الحكومة

(التونسي) : لكنهم لم يتمكنوا من منع النهضة المصرية التي أعتت الأمة عن



والتي لا تتوقف عند حد بل تتعدى ذلك لتشمل جميع المدارس في تونس
وعندنا عن هذه السياسة في مساهمة الفلاس حيث أقام أشراف القوم وسرناهم المدارس
الكثيرة للعلوم العالية من قسبة وحديثة وذلك لأنهم رأوا هذه السياسة أكفل
أولادهم وتماق وعلمهم

فإننا نرى في هذا لا تشكك أذهان التونسيين بآفة العلوم العالية وأن لا يخرجوا
فيكونوا أسامة قائلين على النفع والانتفاع بحضياتهم حتى تأمين مقادهم فلا يسلكوا
من ذلك الذي كيون في التحامل على الحكمة و المنظمات التونسية

التونسي : هذا كلام فيه نظر فإن كمال التمام بقي الكمال من الخنوح الى
البطل ويملك به طيق الجد والعمل النافع له ونقومه ويزن تطرف المكي كيون من
ثمرات التعليم الابتدائي انتاقص الذي تجيزه

(الفرنسي) : لو تجنس كل نابغ في العلوم العالية بالجنسية الفرنسية لما أوجنا
منه خيفة لأنه حينئذ يكون عضوا فرانيا يؤدي واجب الخدمة العسكرية من عهد الشبية
(التونسي) : هل يتساوى بهذه الجنسية التونسي والفرنسي في جميع الحقوق
والمصالح ؟ اننا رأينا من خواص الفرنسيين من لا يرى هذه المساواة مطلقاً ويعيب
بجانسه بجدانة التجنس

(الفرنسي) : ذلك لأنهم مع التجنس وبعد أداء الخدمة العسكرية في الجيش
يعودون الى عوائدهم كلبس الطربوش وربما ايسوه عثمانيا وارتداء لباس البادية
والإقبال على الصلوات والأذكار !!!

(التونسي) : لعلكم تصدون بالتجنس ترك شعار الدين وتغيير الأزياء ولو
شاطركم المتجنس في اعتر الامتيازات الوطنية كمشاطرة اليهود لكم في الامتيازات
الوطنية كمشاطرة اليهود لكم في الحقوق والمصالح الحيوية بتغييراتهم الصورية ؛ فهل
المخاص لكم من يزيًا بازياكم مع العلم بان ايس الزنار لا يقتضي التهرب ؛ وهل
تنطبق هذه الأفكار على حرية (الندين) ان لم تقل ترك الدين ؟ الا بعد هذا لو صدر
من مسلم من التعصب الذميم والتفالي للمقوت في عرف مدينة هذا العصر الذي ضيقت
الحكومة فيه على مدارس الرهبان ؟

(الفرنسي) : انما نقصد نحن امتلاك القلوب ولذلك نود أن يتنازل لنا المسلم عن
أحكام دينه الذاتية كالأ نكحة والوارث مما هو مصداق الحالة الشخصية

(التونسي) : اذا كان القصد من التجنس هو تغيير الدين وأصوله الأساسية بما يخرج المسلم عن دائرة دينه وملكته فهو مما لا يرغب فيه مسلم ذو مروءة لأن المارق من دينه ممقوت عند الله وعند الناس ولو كان دخيلاً فيهم . ثم ان في التجنس بهذه الصفة قلب الهيئة الاسلامية بتغيير الأنساب والنسب في الموارث وحقوق الزوجية في التصرف اذ المرأة عندنا حرة لا يتوقف تصرفها على اذن زوجها الى غير ذلك من مسائل الارحام والأنساب التي جاءت بها أحكام الشريعة الاسلامية المنزلة . فلماذا لا تتغير أحكام القانون الفرنسي الى الاحكام الاسلامية ؟

(الفرنسي) : الحق لكم في هذا البحث فان نسبة الموارث مقصودة لأجل ابقاء الميراث بيد الذكور أعمدة البيوت وهو ما تصده الانكليز من احكامهم في هذا الباب . على انه لا مانع من البحث عن طريقة للتوفيق بين مصالح الهياتين الاهلية والفرنسية لدوام الالفة وحسن المعاشرة في هذه الاوطان

(التونسي) : ذلك أحسن مرغوب تنجيه اليه القلوب وترتاح له النفوس ويا حبذا لو سعت الجرائد المحمية في تحقيقه . غير اني اقول بالاجمال : ان اكفل وسيلة لبلوغ هذه الامنية هي توزيع الفوائد والمنافع وتقسيم المنافع المادية بصورة عادلة توفر الاهالي حظاً من فوائد القطر ومنافعه حسية كانت او منوية كالوظائف والمساعدات المادية والادبية والحث على الترقى الفكري الذي هو ثمرة للمدينة . (قال) ثم وادعنا رصيفنا الموصى اليه قائماً بما ونحناه له من الخطاب . اهـ

(النار) نقلنا هذا الخطاب بتصريف لفظي قليل لا يغير شيئاً من المعنى ولا نستنبط منه شيئاً بل ندعه للقارئ يفهم منه ما يفهم . ونعرف رصيفنا الفاضل صاحب المحاضرة بأن الانكليز لم يحاولوا مقاومة التعليم الأهلي فيقال انهم « انهم لم يتمكنوا من منع النهضة المصرية » الخ وان المدارس التي حدث عنها لم تكن عن مدارس الحكومة ولا قاربتا في حسن التعليم ولو ان المصريين عرفوا قيمة حرية الانكليز في العلم والدين وكل ما يحتاجه من يتولون امورهم لكانت لهم مدارس كما وصف الرصيف ولكنهم رزوا باحداث ينفسون اليهم الانكليز واعمالهم ويمنونهم بأن فرنسا ستخرجهم من وادي النيل بهذين اولئك الاحداث وانقطعوا فاشتغلوا بهذا عن كل شيء حتى علمهم الزمان بموادته حقيقة ضرور الاحداث وتقريرهم والآن صار يرجي منهم النهوض الحقيقي والتعليم النافع فان فعلوا فان الانكليز يساعدونهم كما يساعدون اخوانهم في الهند والله الموفق

البدع والانحرافات وَالْبَقَالِيدُ وَالْعَجَائِلُ

﴿ مثال من أمثلة تمصّب النصرانية على العلم ﴾

صاحب مجلة الجامعة الذي يدعي أن النصرانية أكثر تسامحاً مع العلم من الإسلام ارتوذ كسي المذهب . وفي القاهرة جريدة لارتوذ كسي آخر تصدّت للانتصار له والتويه بخدمته وفلسفته وهذه الجريدة دينية اخبارية وان لم يكتب عليها (دينية) وقد نشرت في العدد الذي انتصرت فيه لصاحب الجامعة المحترم مقالة عنوانها (المدارس والاكليرس) يصح أن تكون مثالا أو ان يؤخذ منها مثل متعددة لتمصّب النصرانية على العلم حتى اليوم « من فك أدينك »

جاء في المقالة أن عاملين يتنازعان النجاح وعدمه في تعليم الاولاد « الأولن التمصّب الديني الذي يحمل الآباء على ارسال اولادهم الى مدارسهم الطائفة سواء كانت مفيدة أو غير مفيدة » الخ « والثاني النظر الى المستقبل » وذكر أن الناس يتراوحون بين هذين العاملين ثم قال مانصه بحروقه :

« وما زلنا نرى الناس في هذا التضعع نرى رؤساء الاديان مع الفئة الاولى التمصبة يسمون الى الضغط على الافكار وارغام الاهالي التابعين لهم على ارسال اولادهم الى مدارسهم كأن يقولون لهم اتركوا مستقبل اولادكم وحافظوا على صحة اعتقادهم لأن هاته المدارس ما فتحت في بلادكم الا لتسلب منكم اولادكم وتضطرهم الى ترك معتقدات آبلهم وأجدادهم

« وهذا مقاله أيضاً غبطة البطريرك المسكوني ونقله الينا البريد الأوربي فقد حله في جريدة التان لمكاتبها في الاستانة : « أصدر غبطة البطريرك المسكوني لاروم الارتوذ كسي في الاستانة منشوراً شديداً للهجة الى جميع المطارنة ضد المدارس الدينية الفرنسية حرض به أبناء الطائفة الارتوذ كسية أن لا يرسلوا اولادهم اليها » اه فهل سمع مثل هذا عن شيخ الاسلام في الاستانة أو شيخ الأزهر في مصر ؟ ليست المدارس الفرنسية ملأى بولاد المسلمين المخالفين لهم في أصل الدين لاني

مذهب من مذاهبه كالحلاف بين الكاثوليك والارثوذكس . نعم ان الاسلام ليس فيه سلطة دينية يحمل الملقب بشيخ الاسلام أو شيخ الازهر مسيطراً على الناس ولكن فيه وجوب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر واجدر الناس بالقيام بهذا الواجب ، هم الذين يرتقون الى مثل هذه المناصب ، ولكن تسامح الاسلام قد غلب حتى خرج عن كونه تسامحاً وتساهلاً وصار اهمالاً وتفريطاً

نسب صاحب هذه الجريدة ما نكتبه في الرد على صاحب مجلة الجامعة الى رجل صاحب منصب سام في المسلمين وما كان له ان يصرح بظنه لأن الحق يعرف بذاته لا بقائله والباطل كذلك ولأن آداب الصحافة تقضي بذلك فليس لي اذا رايت مقالة منتقدة في جريدة منسوبة لكتاب غير معين ان أنسبها لمظلم أحب غميرته والتيل منه او أحب ان اجعل نفسي مناظراً له ليتوهم الجاهلون بي وبه انني من نظرائه . ولم يكتب صاحب الجريدة المشار اليها بالنسبة المذكورة والمقارنة بين شاب من المتدينين في الكتابة من اهل مذهبه وبين هذا الشيخ الجليل الذي ذكره بل خرج عن الموضوع في عدد آخر (وهو العدد الأخير) واتى بجانب اسمه بما لا يليق أن يصدر من السوق . هذا وكل من قرأ الرد على الجامعة أعجب بزاهة الكلام وادبه لانه لا يشم منه رائحة تحقير احد فليس فيه ان صاحب الجامعة « اساء الفهم وبجاهل » ولا « انه حقر المسلمين » بل كل ما فيه سرد النقول من كتب الدين وكتب التاريخ وما يقادر الى الفهم منها مع الاعتذار عن المعارض على الاسلام والمسلمين والتناء عليه بما عده الناس فوق ما ينبغي . فما كان لمن عومل هذه المعاملة ان يعامل بضدها من عدوهم من الاصدقاء ، وهو ما مور بمحبة الاعداء ، ولا أن يستجد ابن مذهبه ليقول في الانتصار له مالا يقوله هو أو يرضى منه ذلك ليحقق التهور بل الذي اشار اليه وأرجف به وتبرأ من تيمته والقاهها على من رده عليه . تلك آداب دين التعصب والغلظة وهذه آداب صاحب الجريدة المنتصرة لدين المسامحة والمسائلة ومحبة الاعداء . أقام الله منهم ادلة على دعاويهم ، وأيد كلمة الحق بما تقذفه افواه متأدبهم ،

وبقي ان نقول ان فضلاء المسيحيين وأدباءهم قد قدروا الرد الذي نشره قدره وعرفوا قيمته اذ فهموا انه اباع ما كتب في اقناع المسلمين بوجوب حسن المعاملة مع المخالف في الدين ، ووجوب الأخذ باسباب الارتقاء الذي هو الوسيلة الوحيدة لسعادة الشرق والشرقيين ، ولو تأنى الرصيف المحترم صاحب الجامعة القراء وصبر حتى قرأ

الرد كله (ولم يحكم بأنه ٣٥ صفحة فقط ٠٠٠) لجاز ان يظهر له منه ما ظهر لعلماء
المسيحيين وكبار كتابهم من انها كبر خدمة خدمها الشرق ، والله الهادي الى سبيل الحق

﴿ سخافة بشارت السلام . في الجاهلية والاسلام ﴾

نشرت مجلة بشارت السلام الانجيلية في جزئها التاسع نبذة في الجاهلية والاسلام
زعمت فيها ان الاسلام في عقائده واعماله دون الجاهلية وقد توسمت في الكلام على
الركن الاعظم في الايمان وهو توحيد الله تعالى فرعمت أن الاسلام زاد الجاهلية وثنية
على وثنيها !!! واحتجت على ذلك بستة أمور (١) كون الايمان بمحمد محتما بعد الايمان
بالله تعالى فحملت هذا شركا بالله وما هذا الا الايمان بالوحي والرسول فان من ينكر نبوة
موسى أو عيسى كافر عند المسلمين كمن ينكر نبوة محمد عليهم الصلاة والسلام . فيظهر
أن الايمان بالوحي شرك ووثنية عند الكاتب الانجيلي . وتصيره بمقارنة الاسمين في
الشهادتين لا يزيد الشبهة قوة فان صيغة الشهادة المروية في الصحيحين هي « أشهد أن لا اله
الا الله وأشهد ان محمداً عبده ورسوله » فهل يكون العبد رباً وآلهماً ؟ وأما المقارنة في
الذكر قولاً وكتابة فهي لا تمتع الا اذا حرم ذكر الله تعالى ومنع بلرة ؟ الا يقول
الكاتب : رحم الله فلانا ونحو هذا ؟ وقد كبرت على الكاتب كلمة توجد في بعض كتب
المسلمين وهي ان كلتي الشهادة مكتوبتان على العرش قبل خلق السموات والارض .
القول بهذه الكتابة ليس من عقائد الاسلام فمن عاش ومات ولم يسمع بها أو سمع ولم
يصدق بأنها وردت في الحديث بلرة فلا يعد هذا ولا ذلك تقصاً لا إيمانه ولا نقصاً منه .
واذا قلنا ان هذه الكتابة ثبتت وصحت فأبي وثنية فيها والآله آله والعبد عبد ؟ نعم ان
ذلك يدل على التشریف . وهل يقول الكاتب ان جميع عباد الله سواء في معرفته
وعبادته ونفع خلقه وان تشریف بعضهم وتفضيله على الآخر شرك بالله . وان التوحيد
الحالص هو ان يعتقد الانجيلي بأن موسى كفرعون وابراهيم كنمرود بلا فرق ؟ هذا
هو فهم دعاة النصرانية في الدين ، وهذا ما ينقمون من المسلمين ، والحمد لله رب العالمين
(٢) زعم الكاتب ان المسلمين أنزلوا حديث النبي منزلة القرآن وجعلوها سواء في
أخذ الاحكام مع اعتقادهم بان القرآن كلام الله والحديث كلام محمد . وزعم ان الشيعة
تركوا الحديث فاسخطوا أهل السنة . وكل من الزعمين باطل فاهل السنة لا يقولون بان
القرآن والأحاديث سواء والشيعة لم يرفضوا الأحاديث . القرآن أصل الدين والسنة مينة
له قال تعالى « وأنزلنا اليك الذكر لتبين للناس ما نزل اليهم » وللقرآن خصائص ومزايا

ليست السنة كوجوب الايمان بجميع ما فيه وكالتعبد بتلاوته . وأما الأحاديث فلا يضر في الايمان انكار أي حديث منها (ومن ثبت عنده شيء بالتواتر لا يستطيع انكاره وان لم يكن حديثاً فلا يجبي الحديث التواتر هنا) وهي على أقسام فما كان منها متعلقاً بأمور الدنيا لا يجب الأخذ به ويجوز أن يكون خطأ كما في حديث تأبير النخل الصحيح وفيه أنه صلى الله عليه وسلم قال « أتم أعلم بأمور دنياكم » وما كان متعلقاً بأمر الدين فإما أن يكون عن اجتهاد وإما أن يكون عن وحي . أما اجتهاد الأنبياء فقد جوز علماء أهل السنة ان يقع فيه الخطأ ولكن لا يُقرّون عليه بل يأتهم بالوحي بيان الحق فيه كقوله واقعة أسرى بدر . وأما ما يقولونه عن وحي من الله فيجب الأخذ به . ويفرق المسلمون بين القرآن وبين الوحي الذي يبر عنه النبي بعبارة من عنده ويسمى عند المسلمين خبراً وحديثاً بما تقدم وبأنه اذا وقع تعارض بينهما ولم يمكن الجمع يعمل بالقرآن دون الحديث . فالحديث الصحيح في المرتبة الثانية لا يمكن ان يساوي القرآن ولذلك سأل النبي صلى الله عليه وسلم معاذاً عند ما ارسله الى اليمن بماذا يحكم فقال بكتاب الله وانه اذا لم يجد يحكم بالسنة فأجازده على ذلك . وهذا هو المروي عن ابي بكر وعمر وغيرهم من أئمة الدين اي انهم ينظرون في القرآن اولاً فان رأوا فيه حكم ما يطلبون قضاياه والابحوا في السنة وعملوا بها . فلينظر المسلمون كيف يخرج المسيحيون لهم اصولاً للدين ، ويننون عليها رميهم بالشرك المين ، فهذا هو تعصبيهم وهذا تساهلنا والحمد لله رب العالمين .

قال : « الثالث ذكر اسم محمد مع اسم الله في مواضع حجة من القرآن نظير شريك له في الأمر والنهي والحل والربط ووجوب الطاعة له والحمية » الخ وقال الكاتب انه لا يذكر الشواهد الا من سورة التوبة وحدها ولكنه ذكر ثلاث آيات اثنتان منهما من التوبة والثالثة من الأحزاب . وقد حرف الآيتين مع وضئهما بين علامات تدل على انه نقاهما بنضمهما فكتب « ان الله بريء مما يشركون ورسوله » والله تعالى يقول « ان الله بريء من المشركين ورسوله » وكتب « وما كان المؤمن او مؤمنة » الخ والله تعالى يقول « وما كان مؤمن ولا مؤمنة اذا قضى الله ورسوله أمراً » الآية . اما الجواب عن الشبهة فهو واضح وهو ان أحكام الله تعالى انما تؤخذ عن رسوله فكل ما يقضي به الرسول من أمر الدين فهو مبلغ له عن الله تعالى ويصح اسناده اليه كما يصح اسناد الحوادث الطبيعية الى اسبابها لأن الله تعالى جعلها مرتبطة بها ولا يسمى شيء من

هذا شركا • وكأني بالكاتب يقول ان دينه يحكم بشرك من يقول « ينبغي للانسان ان يستحي من الله ومن الناس » ونحو هذا لأنه قرن اسم الناس باسم الله في حكم واحد فينظر المسلمون الي ثقة دعاة النصرانية في النقل وليقابلوا بين ما ذكر من التحريف في الآيات والخطأ في المزو الي السورة وبين ما وقع لنا مع احد كبار العلماء وهو انه نهى الي وجوب التنيه على غلطة وقعت في النار نقلا عن الأنجيل وهي « لم تجربوتي » وقد حذفون الوقاية من الفعل بالطبع قطعت (تجربوتي) • ولينأمل المتصفون في نقله عن القوم وتعلمهم عنا للتمييز بين الصادقين والكاذبين ، والتزيل بين المتساهلين والمتصين ، والحمد لله رب العالمين ،

قال: « الرابع اتخذ المسلمون محمداً سيِّداً لهم » ثم استنبط من هذا ان المسلمين يمتقدون بأنهم عيد لمحمد وقال ان هذا هو الشرك الذي عناهه وجوابه ان المسلمين لم يوجبوا ان يقول احد عند ذكر النبي كلمة « سيدنا » ولم يرد الأمر بوصفه عليه الصلاة بذلك في الكتاب ولا في السنة • وقد ذهب بعض العلماء الي أن إضافة لفظ (سيدنا) على صيغة الصلاة الملحقة بالشهد مكروهة وقال بعضهم انها مستحبة لأن هذا اللقب من القاب التكريم التي اعتادها الناس مع الكبراء ومع الاقران • واما استدلال الكاتب على هذه السيادة التي تستعج الشرك عنده بأية « ان الله وملائكته يصلون على النبي » فهو غريب لأن الصلاة من الله الرحمة ومن غير الله الدعاء كما صرح بذلك العلماء • فلو كان كل من نطلب له الرحمة الهاً لنا وكل من مخاطبه بلقب السيادة الهاً لنا لكان لنا وللكتاب آلهة لا تحصى !!! نعم ان المسلمين يمتقدون ان محمداً افضل الأنبياء والمرسلين ويعبرون عن ذلك بالسيادة والانباء افضل نبي آدم فهو افضل نبي آدم وسيدهم ولكنهم ليس عبيداً له • اما وجه تفضيله فهو ظاهر بآثره وقد كتبنا فيه وسنكتب ايضاً ان شاء الله • فليأمل التاملون في تمحل هؤلاء الدعاة المسيحيين • واستنباطهم الذي يضحك المحزونين ، والحمد لله رب العالمين ،

قال: « الخامس مخالفة المسلمين في قدمية محمد الي ان قالوا انه نور كائن قبل البشر » الخ وتقول ان هذه المقالة ليست من الدين في شيء فلا توجد في القرآن ولا في كتب السنة الصحيحة ولا في كتب العقائد وانما توجد في كتب القصص والمواال التي لا اعتبار لها والدين ينهى عن القول بغير علم • على ان العامة الذين يروج عندهم هذا القائل لا يمتدقون في حدوث نبيهم وغيره من الانبياء فلا يصح ان يسمي القائل بذلك مشركا بوجه ما •

ولينظر الناظرون مبلغ علم هؤلاء الناس بالاديان التي يحكمون ببطلانها ويدعون أهلها الى تركها وليدلونا على مسلم يتكلم مثلهم بغير علم ، ويمتدي عليهم في الدعوى ثم في الحكم ، وحسبنا اننا من المسلمين ، والحمد لله رب العالمين ،

قال « السادس والآخر اتخاذ المسلمين محمداً شفيعاً » ثم قال « واتخاذ الخلق شفيعاً عند الله هو عين الشرك الذي كان عليه العرب في الجاهلية لا اكثر ولا اقل » ثم ذكر ان اتخاذ الجاهلية شفيعاً كثيرين اخف شركاً من حصر المسلمين الشفاعة في شفيع واحد . على ان المسلمين لم يحصروا ، والجواب ان الشفاعة عند المسلمين هي الدعاء . ولذلك يقولون في الصلاة على الميت « وقد اتيناك راعين اليك شفيعاً له اللهم ان كان محسناً فزد في احسانه » الخ فكل مسلم شفيع بل كل مؤمن بالله يدعو الله تعالى لنفسه وغيره والدعاء لاغير يسمى شفاعة . كأن الكاتب الانجيلي يقول ان دينه يحكم بشرك كل من يذكر ميتاً كوالده او غيره ويقول رحمه الله تعالى . فهكذا يفضل (دين التسهل) بفتات اهله على المخالفين ، واذا اجابوهم بالحق يدعونهم متعصين ، ولكن هذا لا يخرجنا عن تساهل المسلمين . والحمد لله رب العالمين ،

وان تعجب فعجب قول من اتخذوا نبيهم الهماً : ان الذين يقولون ان نبيهم عبد الله ولكنه افضل عباده لأنه تفجع خلقه افضل منقحة وهداهم بايته اكل هداية هم مشركون بالله لأنهم يعرفون فضل نبيهم ويسألون له رحمة الله تعالى ويطيعونه فيما يبلغه عن الله تعالى . قال الكاتب بعد ايراد ما يقدم : « ويرد على ذلك اتخاذنا نحن النصراني السيد المسيح شفيعاً وحيداً بين الله والناس على ما جاء في الانجيل . فأجيب اذا كنا معتقدين ان المسيح مخلوقاً (كذا) واتخذناه شفيعاً وحيداً او معه غيره نكون بلا شك مشركين ولكن اذا كان المسيح بالحقيقة كلمة الله الأزلي وهو الخالق وغير المخلوق الذي كان به كل شيء وقبره لم يكن شيء مما كان فلسنا مشركين بل نصد آلهما واحداً تبارك اسمه « !!! يعني ان الشرك هو اعتقاد ان نبيهم عبد الله وان شفاعته دعاء لله وان التوحيد الخالص هو اعتقاد الناس ان نبيهم الذي ولد منذ ١٩٠٢ هو الله القديم الأزلي الخالق لكل شيء مما كان قبله وما يكون بعده . وانه شفيع بمعنى انه واسطة بين الناس وبين نفسه يصلحها ويصلحها لا ينجاهم !! الخ يخ ما أحسن هذا التوحيد . هذه شبهات للمسيحيين المصلحين . فله الشكر والمنة ان جعلنا مسلمين ، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين ،

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فبشرهم من أحسنه أو تلك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

الجمعة

١٣١٥

بشر في الجملة من بشر وكون بشر
الجمعة فقد أوفى خبراً كثيراً وما
بشر الأبرار إلا بالآيات

(قال عليه الصلاة والسلام : ان الاسلام صوى و « ماراً » كمنار الطريق)

(مصرفي يوم السبت ١٦ رجب سنة ١٣٢٠ - ١٨ أكتوبر (تشرين ١) سنة ١٩٠٢)

— الإسلام والتصيرية . مع العلم والمدنية —

(تمة المقال الرابع لتلك الامام الحكيم)

« الجواب »

أقول هذا كلام فيه شيّة من الحق ، ولعمرة من الصدق ، أما ما نسمعه
حولنا من عيين من قال يقول السلف فليس : فاعمل عليه التمسك بالدين فان
حملة المهائم إنما حركهم الحسد لا التيرة . وأما صدور الأمر بالسجن فهو
من مقتضيات السياسة والخوف من خروج فكر واحد من حبس التقليد
فتنتشر عدواه فينتبه غافل آخر ويبتعه ثالث ثم ربما تسري العدوى من
الدين الى غير الدين — الى آخر ما يكون من حرية الفكر يعوذون بالله
منها . فان شئت أن تقول إن السياسة تضطهد الفكر أو الدين أو العلم فاما
ملك من الشاهدين . اعوذ بالله من السياسة ، ومن تعظ السياسة ، ومن

معنى السياسة ، ومن كل حرف يلفظ من كلمة السياسة ، ومن كل خيال
 ينخطر ببالي من السياسة ، ومن كل ارض تذكر فيها السياسة ، ومن كل
 شخص يتكلم او يتعلم او يجنُّ او يعقل في السياسة ، ومن ساس ويسوس ،
 وسائل ومسوس ، . بذلك على ان المقوية سياسة أن الرجل كان يقول
 بقول السلف من اهل الدين . لا تقل : إن هذه السياسة من الدين ، فاني
 اشهد الله ورسله وملائكته وسلفنا اجمعين ، ان هذه السياسة من أبعد
 الأمور عن الدين ، كأنها الشجرة التي تخرج في اصل الجحيم ، طلعتها كأنه
 رؤوس الشياطين ، فإنهم لا يكون منها فئاتون منها البطون ، ثم إن لهم
 عليها لشرباً من حميم ؛ ثم إن مرجعهم لا إلى الجحيم ، إنهم القوا آباءهم ضالين ،
 فهم على آثارهم يهرعون ،

جود المسلمين وأسبابه

واما ما وصفت بمد ذلك من الجود فهو مما لا يصح ان ينسب
 الى الإسلام وقد رأيت صورة الإسلام في صفاتها ونصوع بياضها
 ليس فيها ما يصح ان يكون اصلا يرجع اليه شيء مما ذكرت ولا مما تنبأ
 بنو عاقبة (رنان) وغيره . وإنما هي علة عرضت على المسلمين عند ما
 دخل على قلوبهم عقائد أخرى ساكنت عقيدة الإسلام في افئدتهم .
 وكان السبب في تمكثها من نفوسهم وإطفائها لنور الإسلام من عقولهم
 هو السياسة كذلك . هو تلك الشجرة الملعونة في القرآن عبادة الهوى
 واتباع خطوات الشيطان هو السياسة

لم ار كالا إسلام ديناً حفظ اصله ، وخلط فيه اهله ، ولا مثله سلطانا
 تفرق عنه جنده ، وخفي عهده ، وكفر وعيده ووعدده ؛ وخفي على الناظرين

قصده ، وإن وضع الناظرين رشده ، اكل الزمان أهله الأولين ، وأدال
منهم خُشارة من الآخرين ، لاهم فهموه فأقاموه ، ولاهم رجموه فتركوه ،
سواسية من الناس اتصلوا به ، ووصلوا فسبهم بسببه ، وقالوا نحن أهله
وعشيرته ، وحماته وعصبته ، وهم ليسوا منه في شيء إلا كما يكون الجهل
من العلم ، والطيش من الحلم ، وأقنُ الرأي من صحة الحكم ،
أنظر كيف صارت مزية من مزايا الاسلام سبباً فيما صار اليه أهله . كان
الاسلام ديناً عربياً ثم لحقه العلم فصارعوا عربياً بعد ان كان يونانياً ، ثم أخطأ
خليفة في السياسة فأخذ من سعة الاسلام سيلاً إلى ما كان يظنه خيراً له . ظن
أن الجيش العربي قد يكون عوناً لخليفة علوي لأن الملوين كانوا الصق بيت
النبي صلى الله عليه وآله وسلم . فأراد ان يتخذ له جيشاً اجنبياً من الترك والديلم
وغيرهم من الامم التي ظن أنه يستبدها بسلطانه ، ويصطنعها باحسانه ، فلا
تساعد الخارج عليه ولا تعين طالب مكانه من الملك . وفي سنة أحكام الاسلام
وسهولته ما يبيح له ذلك . هنالك استعجم الاسلام وانقلب عجيباً .
خليفة عباسي أراد ان يصنع لنفسه وتلقه وبش ما صنع بأمته
ودينه . أكثر من ذلك نجلد الاجنبي وأقام عليه الرؤساء منه فلم تكن
الاعشية او ضحاهما حتى تطلب رؤساء الجند على الخلقاء واستيدوا بالسلطان
دونهم وصارت الدولة في قبضتهم . ولم يكن لهم ذلك العقل الذي راضه
الاسلام والقلب الذي هدبه الدين . بل جاؤا الى الاسلام بمشونة الجهل
يحملون الروية الظلم . لبسوا الاسلام على أبدانهم ، ولم ينفعه منه شيء الى
وجدانهم ، وكثير منهم كان يحمل آله معه يبيده في خلوته ، ويصلي مع
الجماعات لتمكين سلطته ، ثم عدا على الاسلام آخرون كالنار وغيرهم

ومنهم من تولى أمره ، أي عدوّ لهُؤلاء أشد من العلم الذي يعرف الناس منزلتهم ويكشف لهم قبح سيرهم ؛ فالوا على العلم وصديقه الاسلام ميلتهم . أما العلم فلم يحنلوا بأهله ، وقبضوا عنه يد المعونة وحنلوا كثيراً من أعوانهم أن يندرجوا في سلك العلماء وأن يتربلوا بسرايله ليُمدّوا من قبيله ثم يضعوا للعامة في الدين ما يفض اليهم العلم ويبعد بنفوسهم عن طلبه . ودخلوا عليهم وهم أغرار من باب التقوى وحماية الدين . زعموا الدين ناقصاً ليكملوه ، أو مريضاً ليعالوه ، أو متداعياً ليدعموه ؛ أو يكاد ان ينقض ليقبوه ،

نظروا الى ما كانوا عليه من نخفة الوثنية ، وفي عادات من كان حولهم من الأمم النصرانية ، فاستعاروا من ذلك للاسلام ما هو برآء منه لكنهم نجحوا في إقناع العامة بان في ذلك تنظيم شامثه ، وتفخيم أو امره ، والفوغاه عوق الناشم ، وهم يد الظالم ، نخلقوا ناهذه الاحتفالات ، وتلك الاجتماعات ، وسنوا لنا من عبادة الأولياء والعلماء والمتشبهين بهم ما فرق الجماعة ، وأركس الناس في الضلالة ، وقرروا ان المتأخر ليس له أن يقول بغير ما يقول المتقدم وحنلوا ذلك عقيدة حتى يقف الفكر وتجمد المقول . ثم بشوا أعوانهم في أطراف الممالك الاسلامية ينشرون من القصص والابخار والآراء ما يتنع العامة بأنه لا نظر لهم في الشؤون العامة . وأن كل ما هو من أمور الجماعة والدولة فهو مما فرض فيه النظر على الحكام دون من عداهم ومن دخل في شيء من ذلك من غيرهم فهو متعرض للملا يمينه . وأن ما يظهر من فساد الأعمال ، واختلال الاحوال ، ليس من صنع الحكام وإنما هو تحقيق لما ورد في الاخبار من أحوال

آخر الزمان . وأنه لا حيلة في إصلاح حال ولا مآل . وأن الأسلم تفويض ذلك لله وما على المسلم الا ان يقتصر على خاصة نفسه . ووجدوا في ظواهر الألفاظ لبعض الأحاديث ما يمينهم على ذلك وفي الموضوعات والضعاف ما شد أزرهم في بث هذه الأوهام . وقد انتشر بين المسلمين جيش من هؤلاء المضلين وتماوت ولادة الشر على مساعدتهم في جميع الأطراف واتخذوا من عقيدة القدر مشطاً للعزائم وغلاً للأيدي عن العمل . والامل الأقوى في حمل النفوس على قبول هذه الخرافات إنما هو السذاجة وضعف البصيرة في الدين وموافقة الهوى . أمور اذا اجتمعت أهلكت . فاستتر الحق تحت ظلام الباطل ورسخ في نفوس الناس من العقائد ما يضارب أصول دينهم ويأينها على خط مستقيم كما يقال

هذه السياسة سياسة الظلمة وأهل الأثرة هي التي روجت ما أدخل على الدين مما لا يعرفه وسلبت من المسلم أملاً كان يخرق به أطباق السموات ، وأخذت به الى يأس يجاور به العجاوات ، فجُلُّ ما راه الآن مما تسميه إسلاماً فهو ليس بإسلام وإنما حفظ من أعمال الإسلام صورة الصلاة والصوم والحج وقليل من الأقوال التي حرفت عن معانيها . ووصل الناس بما عرض على دينهم من البدع والخرافات الى الجمود الذي ذكرته وعدوه ديناً . نموذبالله منهم ومما يفترون على الله ودينه . فكل . إعياب الآن على المسلمين ليس من الإسلام وإنما هو شيء آخر سموه إسلاماً . والقرآن شاهد صادق « لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد » يشهد بأنهم كاذبون ، وأنهم عنه لاهون ، وعمما جاء به معرضون ، وستوفي لك الكلام في مفساد هذا الجمود وثبت انه علة لا بد ان تزول

﴿ مفاسد هذا الجمود ونتائج ﴾

طالب أمد هذا الجمود لاستمرار عمل الممارسين في المحافظة عليه ،
 وولوع شهوراتهم بالدفاع عنه ، وقد حدثت عنه مفاسد يطول بيانها وإنما
 يحسن إجمال القول فيها . كان الدين هو الذي ينطلق بالمقل في سعة العلم
 ويسبح به في الأرض ويصمد به إلى أطباق السماء ليقف به على أثر من
 آثار الله أو يكشف به سرا من أسراره في خليقته ، أو يستنبط حكماً من
 أحكام شريعته ، فكانت جميع الفنون مسارح للمقول تقتطف من ثمارها
 ما تشاء وتبلغ من التمتع بها ما تريد . فلما وقف الدين ، وقعد طلاب اليقين ،
 وقف العلم وسكنت ريحه ، ولم يكن ذلك دفعة واحدة ولكنه سار سير التدرج
 أفاد الجمود للغة : أول جناية لهذا الجمود كانت على اللغة العربية وأساليبها
 وآدابها فإن القوم كانوا يُننون بها لحاجة دينهم إليها - أريد حاجتهم في
 فهم كتابهم إلى معرفة دقائق أساليبها ، وما تشير إليه هيئة تركيبها ، وكانوا
 يجدون أنهم لن يلبثوا ذلك حتى يكونوا عرباً بملكاتهم ، يساوون من
 كانوا عرباً بسلاطهم ، فلما لم يبق للمتأخر إلا الأخذ بما قال المتقدم قصر
 التحصلون تحصيلهم على فهم كلام من قبلهم واكتفوا بأخذ حكم الله منه
 بدون أن يرجعوا إلى دليله ولو نظروا في الدليل قرأوه غير دال له بل دالا
 لخصه بأن كان عرض له في فهمه ما يعرض للبشر الذين لم يقرر الدين
 عصمتهم لخطأ أو نظارهم وأعموا أبصارهم وقالوا: نعوذ بالله أن تذهب عقولنا
 إلى غير ما ذهب إليه متقدمنا وأرغموا عقابهم على الوقفة فيصيه الشال من
 تلك الناحية . فإي حاجة له بعد ذلك إلى اللغة العربية نفسها وقد يكفيه
 منها ما يفهم به أسلوب كلام المتقدم وهو ليس من أولئك العرب الذين

كان ينظر الأولون في كلامهم .
وهكذا كل متأخر يقصر فهمه على النظر في كلام من يليه هو غير مبال
بسلفه الأول بل ولا بما كان يحفّ بالقول من أحوال الزمان فهو لا ينظر
إلا اللفظ وما يعطيه فتسقط منزلته في تحصيل اللغة بمقدار بعده عن أهلها
حتى وصل حال الناس إلى ما تراهم عليه اليوم . جملوا دروس اللغة لفهم
عبارة بعض المؤلفين في النحو وفنون البلاغة وإن لم يصلوا منها إلى غاية
في فهم ما وراءها قد رست علوم الأولين وبادت صناعاتهم ، بل فقدت
كتب السلف الأولين رضي الله عنهم ، وأصبح الباحث عن كتاب المدونة
لمالك رحمه الله تعالى أو كتاب الام للشافعي رحمه الله تعالى أو بعض
كتب الامهات في فقه الحنفية كطالب المصحف في بيت الزنديق . تجد
جزءاً من الكتاب في قطر وجزءه الآخر في قطر آخر فإذا اجتمعت لك
أجزاء الكتاب وجدت ما عرض عليها من مسخ النساخ حائلاً بينك
وبين الاستفادة منها

هذا كله من أثر الجود وسوء الظن بالله وتوهم أن أبواب فضل الله
قد انغلت في وجوه المتأخرين ، ليرفع بذلك سنازل المتقدمين ، وعدم
الاعتبار بما ورد في الأخبار من أن المبلغ ربما كان أوعى من السامع^(١) وإن
هذه الأمة كالمطر لا يدري أوله خير أو آخره^(٢) وقلة الالتفات إلى أن
ذلك قد أضاع آثار المتقدمين أنفسهم ولا حول ولا قوة إلا بالله . لا ريب

(١) النار : يشير إلى حديث ابن مسعود عند الترمذي وابن ماجه وهو : سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : نضر الله أمرها سمع مني شيئاً فبلغه كما
سمعه فرب مبلغ أوعى له من سامع ، ورواه غيره عن غيره (٢) يشير إلى حديث

ان القارئ يحيط بمقدار ضرر هذه الجناية على اللغة . يكفيه من ذلك انه اذا تكلم بلغته لغة دينه وكتابه وقومه لا يجد من يفهم مايقول ، وأي ضرر أعظم من عجز القائل عن ان يصل بمعناه الى المعقول ،

افساد النظام والاجتماع : وأعظم من هذه الجناية جناية التفريق وتمزيق نظام الأمة وإيقاعها فيما وقع فيه من سبقها من الاختلاف وتفرق المذاهب والشيع في الدين . كان اختلاف السلف في الفتيا يرجع الى اختلاف أفهام الأفراد والكل يرجع الى أصل واحد لا يختلفون فيه وهو كتاب الله وماصح من السنة فلا مذهب ولا شيعة ولا عصبية . ولو عرف بعضهم صحة مايقول الآخرو لا أسرع الى موافقته كما صرح به جميعهم . ثم جاء أنصار الجلود فقالوا يولد مولود في بيت رجل من مذهب إمام فلا يجوز له ان ينتقل من مذهب أبيه الى مذهب إمام آخر . واذا سألتهم قالوا : « وكلهم من رسول الله ملتس » لكنه قول باللسان ، لا أصل له في الجنان ، ثم كانت حروب جدال بين أئمة كل مذهب لو صرفت آلاها وقواها في تبين أصول الدين ونشر آدابه وعقائده الصحيحة بين العامة لكنا اليوم في شأن غير ما نحن فيه . يجد المظلم على كتب المختارين من مطاعن بعضهم في بعض ما لا يسبح به أصل من أصول الدين الذي ينتسبون اليه . يضلل بعضهم بعضاً ويرمي بعضهم بعضاً بالبعد عن الدين وما المظنون فيه بأبعد عن الدين من المطاعن ولكنه الجلود ، قد يؤدي الى الجلود ،

كان الاختلاف في العقائد على نحو الاختلاف في الفتيا مخالف

أنس عند الترمذي وهو : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مثل أمي مثل المطر لا يدري أوله خير أم آخره » ورواه غيره

أشخاص في النظر والرأي، وكان كل فريق يأخذ عن الآخر ولا يبالي بمخالفته له في رأيه، مسجدهم واحد وإمامهم واحد وخطيبهم واحد، فلما جاء دور الجمود - دور السياسة - أخذ المتخالفون في التنطع، وأخذت الصلات تنقطع، وامتازت فرق وتآلفت شيع. كل ذلك على خلاف ما يدعو إليه الدين، وقد بذل قوم وسهرهم في تمييز الفرق تمييزاً حقيقياً فما استطاعوا وإنما هو تمييز وهمي، وخلف في أكثر المسائل لفظي، وإنما هي الشهوات وضروب السياسات اشعلت نيران الحرب بين المنتسبين إلى تلك الشيع حتى آل الأمر إلى هذه الفرقة التي يظن الناظر فيها أنها لا دواء لها.

قال قائل من عدة سنين: إنه ينبغي أن يعين القضاة في مصر من أهل المذاهب الأربعة لأن أصول هذه المذاهب متقاربة وعبارات كتبها مما يسهل على الناظر فيها أن يفهمها. وقال: إن الضرورة قاضية بأن يؤخذ في الأحكام ببعض أقوال من مذهب مالك أو مذهب الشافعي تيسيراً على الناس ودفعاً للضرر والفساد. فقام كثير من المتورعين، يحوقلون ويندبون حظ الدين، كأن الطالب يطلب شيئاً ليس من الدين، مع أنه لم يطلب إلا الدين، ولم يأت إلا بما يوافق الدين، وبما كان عليه العمل في أقطار العالم إلى ما قبل عدة سنين. فأن قول هؤلاء « وكلهم من رسول الله ملتس »؛ لكن هو جمود المتأخر على رأي من سبقه مباشرة وقصر نظره عليه دون التطلع إلى ما وراءه. أو هي السياسة تحمل ما نشاء وتحرم ما نشاء، وتصحح ما نشاء وتبطل ما نشاء، والناس متقادون إليها بأزمة الأهواء،

جناية الجمود على الشريعة: هذا الجمود في أحكام الشريعة جرّ إلى غسر حمل الناس على إهمالها. كانت الشريعة الإسلامية أيام كان الإسلام إسلاماً

سمحة تسع العالم بأسره . وهي اليوم تضيق عن أهلها حتى يضطروا إلى أن
 يتناولوا غيرها وأن يتسوا حماية حقوقهم فيما لا يرتقي إليها . وأصبح الاتقياء
 من حملتها يتخاصمون إلى سواها . صعب تناول الشريعة على الناس حتى رضوا
 بجعلها معجزاً عن الوصول إلى علمها فلا ترى العارف بها من الناس الا قليلاً لا
 يمد شيئاً اذا نسب إلى من لا يعرفها . وهل يتصور من جاهل بشريعة
 أن يعمل بأحكامها ؛ فوقع أغلب العامة في مخالفة شريعتهم بل سقط
 احترامها من أنفسهم لأنهم لا يستطيعون أن يطبقوا أعمالهم على مقتضى
 نصوصها . وأول مانع لهم ضيق الطاقة عن فهمها لصعوبة العبارات وكثرة
 الاختلاف . سألت يوماً أحد المدرسين في بعض المذاهب : هل تبيع
 وتشتري وتصرف النقود على مقتضى ما تجد في كتب مذهبك ؛ فأجاب
 أن تلك الأحكام قلما تخطر بباله عند المعاملة بالفعل وإنما يفعل ما يفعل
 الناس . هكذا فعل الجود بأهله ولو أرادوا أن تكون للشريعة حياة تحيي
 بها الناس لعملوا ولسهل عليهم وعلى الناس أن يكونوا بها أحياء
 تعلم ما وصل إليه الناس من فساد الأخلاق والانحراف عن الشريعة .
 لو سألت عن سببه في القرى وصغار المدن لوجدته أحد أمرين إما فقد
 العارف بالشريعة والدين وسقوط القرية أو المدينة في جاهلية جهلاء يرجع
 بعض أهلها إلى بعض في معرفة الحلال والحرام وليس المسؤول بأعلم من
 السائل والكل جاهلون . وإما معجز العارف عن تفهيم من يسأله لا اعتقال
 لسانه عن حسن التعبير بطريقة تفهمها العامة فهو إذا سئل يقرأ كتاباً أو
 يردد عبارة يصعب على السامع فهمها وعلى المتكلم إفهامها . وذلك للخرج
 الذي وضع فيه نفسه فلا يستطيع التصرف فيما يسمع ولا فيما يعلم . فاذا

قلت للمارف تعلم من وسائل التمييز ما يقدرك على مخاطبة الطبقات المختلفة من الناس حتى تنفع بملكك وأعل بنفسك إلى أن تفهم الغرض من قول إمامك فتجد لأصله انطباقاً على هذه الحادثة مثلاً وإن لم يأت ذكرها بنفسها في قوله أو قول من جاء بعده من أتباعه . قال : سبحان الله : هل فعل ذلك أحد من المشايخ ؟ يريد أن لا يأتي شيئاً إلا ما أتى به شيخه الذي أخذ عنه يداً بيد ولو أبعد بنظره لوجد قدما المشايخ قد فعلوه وبالموافق فيه حتى خالفوا من أخذوا عنه في بعض وأيه . ثم إذا حاجبته في ذلك لم يبعد من رأيه أن يمدك زنديقاً وأنت تدعوه إلى الخروج من دينه ولا يدري المسكين أنه بذلك يخالف نصوص دينه وأنه تهباً للخروج منه نموذ بالله تعالى

كان كلام بني وبين أحد المدرسين في أخذ الطلبة بالنصيحة وتذكيرهم بفضائل الأخلاق وصالح الأعمال خصوصاً عند إلقاء الدروس التمهيدية ودروس الحديث والتوحيد . فقال لي : أنه لا فائدة في ذلك قطماً وهو تعب في غير طائل . فقلت له : ذلك حق عليك أن تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وليس عليك أن ياتمر المأمور ولا أن ينهي المنهي . فقال : إذا تحققت استحالة المنفعة كان الأمر والنهي لغوا . فانظر كيف اعتقد استحالة الانتفاع بنصحه لبلوغ الفساد من النفوس غايته كما يزعم . ولم ينظر في الوسيلة لاقتلاع هذا الفساد مع أن الدين يدعو إلى ذلك وهو يعمل كل يوم عمله لتعليم من لا سبيل إلى إصلاحه . هذا كله لأنه لم يرفضه أهلاً لأن يتخذ وسيلة لم يتخذها من أخذ عنه أو لم يرشده إليها من تعلم هو بين يديه ولم يتذكر عند ذلك شيئاً من الأوامر الإلهية التي وردت في

النصيحة والتأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وأن اليأس من روح الله إنما يكون من القوم الكافرين أو الضالين

لا بل إذا قلت له ان هذا الضرب من ضروب التعليم عقيم لا ينجح المطلوب منه أو ان هذا الكتاب الذي تعود الطلاب قراءته قد يضر بقاريه وغيره أفضل منه . كاد يظن أن قولك هذا مخالفٌ للدين ورأى المدول عما تعودته نوعاً من الاخلال بالدين . وقد يقيم عليك حرباً يمتد نفسه فيها مجاهداً في سبيل الله اذا قلت له: ان دروس السنف كانت تقريراً للمسائل واملاءً للحقائق على الطلاب ولم يكن لأحد منهم كتاب يأخذه بيده ويقرئه تلامذته ولم يكن بأيدي الطلبة الا الأقلام والقراطيس يكتبون ما يسمعون من أفواه أساتذتهم . وقد يعترف لك بصحة ما تقول ولكنك يستمر في عمله اعتماداً على أنه وجد الناس هكذا يعملون . فهل يخطر ببال عاقل ان هذا الجود من الدين؟ وهل يرتاب من له أدنى ادراك في سوء عقابه على الدين وأهل الدين؟

حجاية الجود على العقيدة : ذلك جودهم في العمل وأشد ضرراً منه الجود في العقيدة . نسوا ما جاء في الكتاب وأيدته السنة من أن الايمان يعتمد اليقين ولا يجوز الاخذ فيه بالظن وان العقل هو ينبوع اليقين في الايمان بالله وعلمه وقدرته والتصديق بالرسالة وان النقل ينبوع له فيما بعد ذلك من علم الغيب كأحوال الآخرة وفروض العبادات وهياتها وان العقل ان لم يستقل وحده في إدراك ما لا يد فيه من النقل فهو مستقل لا محالة في الاعتقاد بوجود الله وبأنه يجوز ان يرسل الرسل فتأينا عنه بالنقول . نسوا ذلك كله وقالوا : لا بد من اتباع مذهب خاص في العقيدة

وافترقوا فرقا وتمزقوا شيعا كما قلنا . ولم يكنهم الا لزام باتباع مذهب
خاص في نفس المعتقد بل ذهب بعضهم الى أنه لا بد من الأخذ بدلائل
خاصة للوصول الى ذلك المعتقد فيكون التقليد في الدليل كالنقل في المدلول .
وكأنهم لذلك جعلوا النقل عمادا لكل اعتقاد وباليته النقل عن المصوم
بل النقل ولو عن غير المعروف . ففتررت لديهم قاعدة : ان عقيدة كذا
صحيحة لان كتاب كذا للمصنف فلان يقول ذلك . ولما كانت الكتب قد
تختلف أقوالها صار من الصعب أن يجد الواحد منهم لنفسه عقيدة قارة
صافية غير كدرة ولا مترعزعة . وقد سرى ذلك من قراء المتلدين الى أميهم
فترامهم يمتقدون بكل ما يقال وينقل عن معروف الاسم وان لم يكن في حق
الأمر من أهل العلم وتناقض عقائدهم على حسب تناقض مسوعاتهم
انجر التساهل في الاعتماد على النقل الى الخروج عما اختطه لنا السلف
رضي الله عنهم فقد كانوا يتقبون عن صفات من ينقلون عنه ويمتحنون
قوله حتى يكونوا على شبه اليقين من أنه موضع الثقة . ولكن جمود المتأخر
على ما يصل اليه من المتقدم صير النقل فوضى فتجد كل شخص يأخذ ممن
عرفه وضمن أنه أهل للأخذ عنه بدون بحث ولا تنقيب حتى شاع بين الناس
من الأقوال وموضوعات الأحاديث ما ترتفع الأصوات بالشكايه منه
من حين الى حين . وكل ما نراه من البدع المتجددة فنشأه سوء الاعتقاد
الذي نشأ من رداءة التقليد والجود عند حد ما قال الأول بدون بحث في
دليله ولا تحقيق في معرفة حاله وإهمال العقل في العقائد على خلاف ما يدعو
اليه الكتاب المين والسنة الطاهرة . دخلت على الناس لذلك عقائد يحنج
صاحب النيرة على الدين في اقتلاعها من أنفسهم الى عناء طويل وجهاد شديد

وسلاحه الكتاب وسلاح أعدائه أقوال بعض من تقدم من يعرف ومن لا يعرف . وما أكثر عدد من ينصر أعداءه اليوم وما أقلهم عدا إن شاء الله .
سأل سائل من الامتاز شيخ الجامع الأزهر عن حكم عمل من الأعمال الجارية في المساجد يوم الجمعة - ومنزلة الشيخ من الرياسة في أهل العلم بالدين منزله - فافتي بما ينطبق على السنة وما يعرفه العارفون بالدين وقال ان العمل بدعة من البدع يجب التزمه عنها . أظن ان المستفتي أمكنه العمل بمقتضى الفتيا ؛ كلاً . حدث قيل وقال ، وكثرة تسأل ؛ ودخلت السياسة ثم قيل ان الزمان ناصر الحقيقة وقد وجدنا الامر كذلك من قبلنا . سكت السائل وماذا يصنع المحيب . ثم هذا من شؤم ذلك الجلود فقد فصل بين العامة ومن يرجي فيهم تقويم ما أعوج منها ووكلاها الى أناس منها لا علم لهم بالدين ولا بالأدب وقد غرسوا في أذهان الدهماء شر الفرس ولا يجني الامم منه الا أخبث الشر . فلوقام العالم بالدين وأراد ان يبين حكم الله المصريح به في كتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم المجمع عليه عند السلف قاطبة انتصب له ناعر من العامة يصيح في وجهه « ما سمعنا بهذا في آباؤنا الاولين » ويريد من آباؤه الاولين من رآهم بعد ولادته أو ذكرت له أسماؤهم بلسان مضليه حتى صار ارشاد العامة اليوم من أصعب الأمور وأشقها على طالبه

ماذا يمكن ان أقول ؛ أصبح الرجل يرتكب في وسائل العبادة أقبح المنكرات في الدين واذا دعي الى ترك المنكر نهر وزجر ، وأبى واستكبر ، انظر ماذا يصنع الموسوسون ومن يقرب منهم في الاستبراء من البول على مرأى من المارة وفيهم النساء والاطفال وهم يظنون انهم يتقربون الى الله بما يفعلون

هذا هو شأن الغامة يرون ماليس بدين ديناً ويصمرون على حفاظ الدين ارشادهم بفضل جمودهم على ماورثوا من ملقنيهم بدون تعقل . فهدا معظم الامة تراه قد تخلص من أيدي منذريه ولو شاؤا لأقبل كل منهم على صاحبه وهو أيسر شي على حملة الشريعة وما هو إلا ان يرجعوا الى ما كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه من سعة الدين وسماحته ، ثم العمل على حفظه وحياطته ،

الجمود ومتعلمو المدارس النظامية

ثم ان الجمود قد أحدث لنا فريقاً آخر وهو فريق المتعلمين على الطرق الجديدة إما في مدارس الحكومات الاسلامية واما في المدارس الاجنبية داخل بلادهم أو خارجا عنها . لا أتكلم عن هذا الفريق في بلاد القرم أو القوقاس أو سمرقند وبخارى أو الهند فاني لا أعرف كثيرا من أحوالهم ومن رأيته منهم رأيت فيه خيراً وارجو أن يكون منهم لقومهم ما ينتظره الاسلام من المارفين به فقد رأيت أفراداً قليلين من هؤلاء تعلموا في البلاد الأوربية ودرسوا العلوم فيها درساً دقيقاً وهم أشد تمسكا بلب الدين الاسلامي وروحه من كثير ممن يدعي الورع والتقوى ولا يسمحون لأنفسهم بترك عادة صحيحة من العادات التي أورثها دينهم لقومهم فتم المتعلمون هؤلاء أكثر الله منهم

وانما أتكلم عن هذا الفريق من المتعلمين في مصر وسوريا وسائر بلاد الدولة العثمانية . ساحة الاسلام وسعة حلمه للعلم أباحت للمسلمين أن يرسلوا أولادهم ليأخذوا العلم في المدارس الرسمية وغير الرسمية عن أساندة فيهم المسلم وغير المسلم أو عن أساندة كاهن غير مسلمين بل في مدارس لم

تبين الاتروجيح دين غير الدين الاسلامي . وأباحث أمير آباء هؤلاء التلامذة أن
يسكنوا وان لا ينكروا عليهم عما هم مادامت العقيدة سالمة من الهدم والضممة
جود تلامذة المدارس الأجنبية : هؤلاء التلامذة ان كانوا في مدارس

أجنبية لا أثر لتعليم الدين الاسلامي فيها بل ربما يتعلم فيها دين آخر فقد
يسري الى عقائدهم شيء من الضمف وقد تذهب عقائدهم بالمرّة وتحتل
مكانها عقائد أخرى تناقضها كما شوهد ذلك مراراً . ولو كان آباؤهم على علم
بطرق الاستدلال الإقناعية لعقائد دينهم لدعموا من عقائد أبنائهم
وحفظوها من النزول أو الزوال . وكيف يكون لا أولئك الآباء شيء من
هذا العلم مع الجود على طرق قديمة لا يصل الى فهمها من ينقطع لتعلمها
فضلاً عن أولئك المساكين . بل لو كان هناك مرشدون على طريقة
يسهل فهمها لتيسر لهؤلاء التلامذة أن يهتدوا بهديهم ولكن الجود صير
كل شيء صعباً وكل أمر غير مستطاع

فهذه جناية من جنایات الجود على أبناء المسلمين الذين يتعلمون في
مدارس أجنبية يخرجهم من دينهم من حيث لا يشعرون . وباليتم يستبدلون
بالدين وادعاً آخر من الأدب والحكمة كما يرجو بعض المغرورين الذين
لا يعلمون طبائع هذه الأمم أو كما يروّجه بعض من لا يريد الحير بها .
ولكنه ترك أفئدتهم هواء خالية من كل زاجر أو دافع اللهم الا زاجراً
عن خير أو دافعاً الى شر فاتخذوا إلهم هواهم وامامهم شهوتهم فهلكوا
وأهلكوا . ومن هؤلاء ورثة الاغنياء الذين تصيح من شرور أعمالهم
لجرائد كل يوم . فالجهل خير مما يتعلم هؤلاء بدون ريبة وليت الاسلام
لم يرحب صدره لمثل هذا الضرب من التعليم والتعلم .

﴿ جود بلا ملة المدارس الرسمية والأهلية : ﴾ -

أما المتعلمون في مدارس رسمية أو غير رسمية للتعليم الديني فيها شيء من البقية . فهؤلاء ينشأون على شيء من المعارف في الفنون المختلفة وتقرر لهم حقائق في الوجود السماوي أو الأرضي أو في الاجتماع الإنساني ومن عرف شيئاً انطلق لسانه بالخوض فيه وقد يسمعه متطلع ممن يلبس لباس أهل الدين وهو جاهل على أفاظ سمها فلو سمع غيرها أنكره وظنه مخالفاً للمقيدة الصحيحة فيأخذ يلوم المتعلم ويوبخه ويرميه بالاروق من الدين . هذا والمتعلم لا يشك في قوة دليله وجهله بالدين يمتقد أن ما يقوله خصمه منه فينفر من دينه نفرة من الجهل . ولو قال له قائل : ارجع الى كتب الدين تجد فيها ما يسرك وينصرك على نفسك وخصمك . حار لا يدري الى أي كتاب يرجع ولم يسهل عليه فهم تلك العبارات التي ورثها القوم على ما فهم من تشييت وتمقيد وأبقوها كما ورثوها . فيعود الى النفور من الدين نفور طالب الفهم مما لا يمكنه فهمه

لهذا يمتدأ أكثر هؤلاء ان الدين شيء غير مفهوم بل قد يعده بعضهم خرافة « نعوذ بالله » فيأخذون عنه جانباً ويتركون عقائده وفضائله وآدابه ويلتصون لهم آداباً في غيره وقلما يجدونها فتراهم وقد فترت قلوبهم وقصرت همهم فلا يطلبون الا ما تطالبه المامة من كسب مميثة أو علو جاه ويسلكون الى ذلك أي طريق ولو أضروا بالعامية أو الخاصة « مادام الشرف محفوظاً » فاذا وجد بينهم من يدعي الوطنية أو الفيرة المليية أو نحو ذلك فأنما ينثر الالفاظ ثراً لا يرجع فيها الى أصل ثابت ولا الى علم صحيح ولهذا يطلب المصلحة لبلاده من الوجه الذي يؤدي الى التفسدة وهو يشعر

أولاً يشمر على حسب حاله . ومنهم من يصيح باسم الدين ولا تتحرك نفسه
لمعرفة حكم من أحكامه أو درس عقيدة من عقائده فشأنهم كلام في كلام
وليس ما يصنعون . ولولا هذا الجمود لوجدوا في كتب دينهم وفي أقوال
حملته ما يتبع به قلوبهم ؛ وتطمئن إليه نفوسهم ؛ ولذا قوا طمطم العلم ، وأدوماً
بالدين وتمكنوا من نفع أنفسهم وقومهم ولوجدت منهم طبقة مبروفة يرجع
إليها في سير الأمة وسياسة أفكارها وأعمالها الاجتماعية .

﴿ الجمود علة نزول ﴾

(المقال الخامس لذلك الامام الحكيم . وفيه بيان علاج الداء .)

تفصيل مضرات هذا الجمود وسيئاته يحتاج الى كتاب طويل فنكتفي
بما أوجزناه في النصفحات السابقة . ولكن يبقى الكلام في أنه عارض
يمكن زواله ان شاء الله تعالى .

قد عرفت من طبيعة الدين الاسلامي بعد عرضها عليك فيما سبق
أنها تسمو عن أن ينسب اليها هذا المرض الخبيث - مرض الجمود على
الموجود - وكم في الكتاب من آية تنفر من اتباع الآباء مهما عظم أمرهم
بدون استئمال العقل فيما كانوا عليه ولا حاجة الى إعادة ذلك . ثم اننا أشرنا
أيضاً الى بعض الاسباب التي جلبت هذا الجمود على المسلمين لا على الاسلام
وان محدثها إما عدو للمسلمين طالب لخنس شأنهم أو لاستعبادهم
والاستقلال أيديهم لحاصة نفسه . وإما عب جاهل يظن خيراً ويميل
شراً وهذا الثاني كان أشد نكابة ، وأعوز على النواية ، وهمل نزول
هذه العلة ويرجع الاسلام الى سمته الأولى وكرمه الفياض وينهض بأهله
الى ما ذكر لهم فيه ؟ ؟

جاء في الكتاب المين « إِنَّا نَحْنُ نُزِّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ »
 ذك الذك هو الذك الحكيم وهو القرآن الذي أحكمت آياته ثم فسلت
 من لدن حكيم خير، وهو كما قال « كِتَابٌ فُتِحَتْ آيَاتُهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا يُعَلِّمُونَ
 يَتْلَمُونَ » وعد الله سبحانه هذا الكتاب وقد أنجز وعده فلم تقال إليه يد
 غير متائل من قايده بحب جاهل، فبقي كما نزل ولا يضره عمل الفرقين
 في تفسيره وتأويله، فذلك مما لا يتسق به فهو لا يزال بين دفتي المصاحف
 ظاهراً تقيابرتاً من الاختلاف والاضطراب وهو إمام المتقين، ويستودع
 تدين، واليه المرجع إذا اشتد الأمر وعظم الخطب وسئمت النفوس من
 الشخبط في الضلالات، ولا يزال لأشعة نوره نفوذ من تلك الحجب التي
 أقام وما دونه ولا يد أن تمزق كل ما بأيدي أنصاره فيتباج ضيائه لأعين
 أوليائه إن شاء الله تعالى

هذا الضياء كان ولا يزال يلوح لأممه في حنادس الظلم لأفراد
 اختصاصهم الله بسلامة البصيرة فيهدون به إليه ويحمدون سراهم، بما عرفوا
 من نجاح مساهم، ولكن الذين اطبقت عليهم ظلم البدع، ووراث على
 قلوبهم ما كسبوا من التحزب للشيخ، وطمست بصرهم، وفقدت عقولهم،
 بما حشوها من الأباطيل، وبما عطلوها عن النظر في الدليل، هؤلاء في
 نهي عن نوره وقلوبهم في أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرة، يصبحون بأنهم
 عمي صم فلا يرون له سناء، ولا يسمعون له نداء، ويمدون ذلك من كمال
 الأيمان به ولبس ما رضوا لأنفسهم من السفه وطيش الحلم وهم يعلمون.
 هذا حال الجمهور الأعظم ممن يوصون بأنهم مسلمون ويحلبون البار على

الاسلام بدخولهم تحت عنوانه ، ويقعون حجج أعدائه في حربه بزعمهم
الاجتماع تحت لوائه ، وما هم منه في شيء كما قدمنا

هؤلاء لا بد أن يصيبهم ما أصاب الأمم قبائلهم فقد أتوا منهم شراً بشير
وذراعاً بذراع ونسبوا على أنفسهم بدخولهم في جحر النعب الذي
دخلوه ^(١) ومن أتبع سنن قوم استحق الوقوع تحت أحكام سنن الله فيهم
فإن مخلص مما قضى الله في عذابهم . فقد قص عليهم سير الأولين وبين لهم
ما نزل بهم عند ما انحرفوا عن سننه وحادوا عن شرعه ونسبوا كتابه
ورواه ظميراً ، أهل بهم النكاح ، وضرب عليهم المسكنة ، وأوتوا غيرهم
أرضهم وديارهم . فهل ينتظر المشركون سننهم ؛ السائرون على أثرهم ؛ أن
نعم الله بهم غير الذي صنع بسابقين . وقد قضى بأن تلك سننه . إن
جداساته بديلاً

لا تزال الشدائد تنزل بهؤلاء المنتسبين إلى الاسلام ولا تزال القوارع
تعمل بديارهم حتى يفيقوا (وقد بدأوا يفيقون من سكراتهم) ويفزعوا إلى
طلب النجاة وينسلوا قذى المحدثات عن بصائرهم ، وعند ذلك يجدون
هذا الكتاب الكريم في انتظارهم يُمدُّ لهم وسائل الخلاص ويؤيدهم في
سبيله بروح القدس ويسير بهم إلى منابع العلم فيعترفون منها ما يشاؤون
فيمرفون أنفسهم ويشهدون ما كان قد كن فيها من قوة فيأخذ بعضهم بيد
بعض ويسيرون إلى المجد غيرنا كلين ولا نخذولين . ولهذا أقول : إن
الاسلام لن يقف عثرة في سبيل المدينة أبداً ولكنه سيهنيها وينقيها من

(١) النار : في الكلام إشارة إلى حديث « لتبمن سنن من قبلكم شراً بشير
وذراعاً بذراع حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلموه » الحديث رواه الشيخان وغيرها

وضارها وستكون المدينة من أقوى أنصاره متى سرفته وعرفها أهله. وهذا الجود سينزل وأقوى دليل لك على زواله بقاء الكتاب شاهداً عليه بسوء حاله ولطف الله بتقيض أناس للكتاب ينصرونه ، ويدعون اليه ويؤيدونه ، والحوادث تساعدهم ، وسوط عذاب الله النازل بالجامدين ينصرهم ، هذا الكتاب المجيد الذي كان يبعثه العلم حينما سار شرقاً وغرباً بالأبد ان يعود نوره الى الظهور ويترق حجب هذه الضلالات ويرجع الى موطنه الاول من قلوب المسلمين ويأوي اليها - العلم يبعثه وهو خليه الذي لا يأنس الا اليه ، ولا يعتمد الا عليه ،

يقول اولئك الجاهلون الجامدون كما يقول بعض أعداء القرآن : ان الزمان قد انقلب على آخره ، وإن الساعة أوشكت ان تقوم ، وإن ما وقع فيه الناس من الفساد ، وما مني به الدين من الكساد ، وما عرض عليه من المال ، وما نراه فيه من الخلل ، إنما هو أعراض الشيخوخة والمهرم ، فلا فائدة في السعي ولا ثمرة للعمل ، فلا حركة الا الى المدم ، ولا يصح ان يمتد بصرتنا الا الى المدم ، ولا ان نتظر من غاية لأعمالنا سوى المدم ، (تموذ بالله) هؤلاء حنفته الجهل وأعوان الناس يهرفون بما لا يعرفون - ماذا عرفوا من الزمان حتى يعرفوا انه كاذب ينقطع عند نهايته ، ان الذي مضى بيننا وبين مبدأ الاسلام الف وثلاثمائة وعشرون عاماً وإنما هي يوم وبعض يوم أو بعض يوم فقط من أيام الله تعالى . وان آيات الله في الكون - وإن كانت تدل على أن ما مضى على الحقيقة يقدر بالدهور والدهارير ، - تشهد بأن ما بقي لهذا النظام العظيم يقصر عن تقديره كل تقدير ؛ « فالله هؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثه » . ان ما بيننا وبين مبدأ الاسلام لا يزيد

عن عمر ستة وعشرين رجلاً كل رجل يعيش خمسين سنة . فهل يعد مثل ذلك دهنراً طويلاً بالنسبة إلى دين عام كدين الاسلام ؟ ان زماناً كهذا لا يكفي - وقد تبين انه لم يكف - لاهتداء الناس كافة بهديه . ولم تقوم القيامة على الدين ولم تقم على شرهم وطمعهم ؟

قد وعد الله بأن يتم نوره وبأن يظهره على الدين كله فسار في سبيل التمام والظهور على العقائد الباطلة أعواماً ثم انصرف به أعداه عن سبيله وصاروا به إلى بايرون ونزى . ولن ينقضي المالم حتى يتم ذلك الوعد ويأخذ الدين بيد المم ويتأولاً ما على تقويم العقل والوجدان فيدرك العقل مبلغ قوته ، ويعرف حدود سلطته ، فيتصرف فيما آتاه الله تصرف الراشدين ، ويكشف ما مكنه فيه من أسرار المالمين ، حتى اذا غشبت سبجات الجلال وقف خاشعاً ، وقنل واجماً ، وأخذ أخذ الراسخين في العلم الذين قال فيهم أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) فيما روي عنه : « هم الذين أغنهم عن اقتحام السدد المضروبة دون القيوب ، الاقرار بمجمل ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب ، فمدح الله اعترافهم بالجزء عن تناول الغيب لئلا يفتروا على الله عز وجل ، ثم انهم يتسوقون في الميزان بالبحث عن شبهة من شبهة ، واعتبر بهد ذلك بقوله : « فافتخر على ذلك ولا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقاك فتكون من المالكين . هو القادر الذي اذا ارتمت الاوهام لتدرك منقطعاً ^(١) قدرته ، وحاول الفكر المبرأ من خطرات الوسواس ان يقع عليه في عميقات غيوب ملكوته ، وتولمت ^(٢) القلوب اليه لتجري في كيفية صفاته ، وغمنت مداخل العقول في حيث لا تبلغه الصفات لتناول علم ذاته ،

(١) المنقطع ما ينقطع عند النبي وهو آخره (٢) تولمت اشتد عشتها

ردعها وهي هوب - راوي - سدف^(١) النيوب متخاضة اليه سبحانه ، فرجبت
 إذجبت^(٢) معترفة بأنه لا ينال مجور الاعتصاف كنه معرفته ، ولا تخنلر
 ببال اولى الرويات خاضرة من تقدير جلال عزته .

هناك يلتقي (أى العقل) مع الوجدان الصادق (القلب) ولم يكن
 الوجدان ليدار العقل في سيره داخل حدود مملكته متى كان الوجدان
 سليماً ، وكان ما استثناء به من نبراس الدين صحيحاً ، إياك انت تمتد ما
 بمتقدم من السذج من ان فرقاً بين العقل والوجدان (القلب) في
 الوجهة بمتنسى الفطرة والفريزة . فاعلم يقع التخالف بينهما عرضاً عند
 عروض الملل والأمراض الروحية على النفوس . وقد أجمع العقلاء على
 ان المشاهدات باس الباطني (الوجدان أو القلب) من مبادي البرهان
 المتالي كوجدانك أنك موجود ووجدانك لسرورك وحزنك وغضبك
 ولذتك والملك ونحو ذلك .

منحنا العقل للنظر في الغايات ؛ والاسباب المسببات ؛ والفرق بين
 البسائط والمركبات ؛ والوجدان لإدراك ما يحدث في النفس والذات من
 لذائد وآلام ؛ وهلع واطمئنان ؛ وشماس وإذعان ؛ ونحو ذلك مما يدوقه
 الانسان ؛ ولا يحصيه البيان ؛ فها عينان للنفس تنظر بهما - عين تقع على
 القريب ؛ وأخرى تمتد الى البعيد ؛ وهي في حاجة الى كل منهما ولا تنفع
 باحدها حتى يتم لها الانتفاع بالأخرى . فالعلم الصحيح مقوم الوجدان ؛
 والوجدان السليم من أشد أعوان العلم ؛ والدين الكامل علم وذوق ؛
 عقل وقلب ؛ برهان وإذعان ؛ فكر ووجدان ؛ فإذا اقتصر دين على أحد

(١) السدف جمع سدفة كظلمة لفظاً ومعنى (٢) حيه ضربت جبهته ورد

الأمرين فقد سقطت إحدى قائمتيه وهيات ان يقوم على الأخرى .
ولن يتخالف العقل والوجدان حتى يكون الانسان الواحد إنسانين ؛
والوجود الفرد وجودين ؛

قد يدرك عقلك الضرر في عمل ولكنه تعمله طوعاً لوجدانك ؛
وربما أيقنت المنفعة في أمر وأعرضت عنه إجابة لدافع من سريرتك ؛
فتقول : إن هذا يدل على تخالف العقل والوجدان . ولكني أقول : إن
هذه حجة من لا يعرف نفسه ولا غيره . عليك ان ترجع الى نفسك
فتتحقق من أحد الأمرين -- إما ان يقينك ليس يقين وأنه صورة
عرضت عليك من قول غيرك فأنت تظنها علماً وما هي به . وإما ان وجدانك
وهم تمكن فيك ؛ وعادة رسخت في مكان القوة منك ؛ وليس بالوجدان
الصحيح وإنما هو عادة ورثتها عن حولك وظننتها شعوراً منبئه الغريزة
وما هي منه في شيء .

(نتيجة) : لا بد ان ينتهي أمر العالم الى تأخي العالم والدين ؛ على سنة
القرآن والذكر الحكيم ؛ وأخذ العالمون بمعنى الحديث الذي صح معناه (١)

(١) انبار - قال الثمالي : رواه ابو نعيم في الحية بالرفوع . - إسناد ضعيف
ورواه الاصبهاني في الترمذي والترغيب والترهيب من وجه آخر أصح منه . ورواه الطبراني
في الاوسط والبيهقي في الشعب من حديث بن عمر وقال : هذا إسناد فيه نظر . قلت
فيه الوازع بن نافع متروك . وقال الزبيدي في شرح الإحياء : قلت حديث ابن عمر
انظروا تفكروا في آلاء الله ولا تفكروا في الله . هكذا رواه ابن أبي الدنيا في كتاب
التفكير وأبو الشيخ في العظمة والطبراني في الاوسط وابن عدي وابن مردويه والبيهقي
وضمفه والاصبهاني وأبو نصر في الإبانة وقال غريب . ورواه أبو الشيخ من حديث
ابن عباس « تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق فانكم لا تقدرون قدره » ورواه
ابن النجار والرافعي من حديث أبي هريرة « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في

« تفكروا في خلق الله ولا تشكروا في ذات الله » وعند يكون الله قد أتم نوره ولو نكره الكافرون ؛^(١) وتبهم الجامدون القانطون ؛ وليس بينك وبين ما أعذك به الا الزمان الذي لا بد منه في تنبيه الغافل ؛ وتلميم الجاهل ؛ وتوضيح المنهج ؛ وتقوم الأوج ؛ وهو ما تقتضيه السنة الآلهية في التدرج « سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا » . « إنهم يرونه بعيداً ونراه قريباً » . « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » وهو خير الناصرين .

(الكلام بقية)

﴿ الوفاق الاسلامي الانكليزي ﴾

لقد أذن الله المسلمين أن يهبوا من رقاهم ، ويسترجعوا مجد أجدادهم ، وقد سبق لنا ان قلنا في مقالة نشرت في الجزء الرابع من المجلد الثالث ان مجد الاسلام قام على أساسين وأنه هدم بهدمهما وإنما يعود باقامتهما استقلال الفكر واستقلال الارادة أما الأول فاقامته بالاجتهاد في علوم الدين والدنيا وأما الثاني فاقامته بالقوة الخ مانهناك . وقد لاحظ من قرأ مقالة (مسترد . ج . كوربت) الانكليزي الذي عربها جريدة المؤيد ونشرتها في ستة أعداد و ذكرنا أقطاب مسانها في نحو صفحاتين من الجزء الماضي أن هذا الكاتب السياسي بنى دعوة قومه الى الاتفاق مع المسلمين على أمرين (أحدهما) ان دين الاسلام دين مدنية يمكن لتبعيه ان يتفقوا مع أمة راقية كالأمة الانكليزية ويسيروا معها في كل طريق من طرق العمران فننفع بهم وينفعوا بها . وهو يشترط في ارتقاؤهم ، ما يشترطه أشهر فضلائهم ، وهو إطلاق العقل من القيود والاعلال ، وتمتعه بنعمة الاستقلال ، والتربية الدينية ، التي تميد اليهم صفات

الله الخ . وتمدد هذه الروايات واجتماعها يكسبها قوة والمعنى صحيح كما قال الحافظ السخاوي في المقاصد . (١) الكافر من يرى الدليل فيصد عنه ولا ينظر فيه أو ينظر

فيعرف الحق ثم يماري فيه وينكره فتادا . اهـ من هامش الأصل

الرجولية ، و (تأيهما) ان للمسلمين قوتين و عددين آتيا وهي الأمة الافغانية .
 وأخرى في أفريقيا وهي الفرقة السنوسية ، وقد الكاتب ان الواجب على الانكليز
 أن يستينوا بمسئلة القوتين ، على تمكن ساعتهن في القارتين ، وذلك بجمل مصالحهم
 متفقة مع مصالح الأمة الاسلامية . ومساعدتها على العروج في معارج المدنية ، فلما أمة
 واحدة لاجنية فيها ولاوطنية ، (فليعتبر الأحداث الذين يفرغون بين المصري
 والشامي ، والمغربي والحجازي)

هل نحن في حاجة الى مساعدة دولة قوية حدية كالدولة الانكليزية ؟ وهل الدولة
 الانكليزية في حاجة لنا ؟ نعم ولكن فرقا بين الحاجتين . نحن نحتاج الى مثل الانكليز
 الذين لهم السلطان الرسمي وغير الرسمي على بحرنا لاجل التفاوض والقيام ، وهم
 يحتاجون لنا لاجل الثبات والدوام ، ونحن نحتاج اليهم في الحال ، وهم يحتاجون
 لنا لاجل الاستقبال . وهل يصدق الانكليز في مساعدتنا على التقدم والرفق اذا نحن
 صدقناهم ؟ نعم اذا قتلوا سدقوا ولن يقولوا حتى يستقدوا بأن المصلحة في ذلك وحتى
 يتقوا بنا . وقد رأينا هذا الكاتب منهم يحاول إقناعهم بالمصلحة ويكوننا أهلا لتلقه
 وقد سبقه الى ذلك غيره من كتابهم وعلماهم فهل وجد قينا من حاول إقناعنا بذلك
 مع أننا أخرج الى الوفاق منهم اذ من البديهي أن المحكوم الجاهل الضعيف أخرج
 الى مرضاة حاكمه العالم القوي . ولكن الجاهل بمنه الجهل ان يعلم المصلحة واذا
 علمها بمنه الضمف ان يدعو قومه اليها لأن الجاهلين إنما يتخاطبون بما يهونون لا بما
 ينتفمون . رأيت كيف كان السيد احمد خان ظنينا في قومه متبهما في بلاده عند ملقاه
 يدعو الى الوفاق بين مسلمي الهند وحكامهم من الانكليز ؟ لاجرم ان هذا هو شأن
 الجهل ولكن المسألة اننا نسلطونهم يو اذنا وننبتك لايلاقي من يجهز في مصر
 على دعوة لرسوم السيد احمد خان عشر مستار ما بقي من الضئمة وما عاثي من سراره
 الهمة وان كانت مصر ليست من الامبراطورية البريطانية كالمند

المسلمون في مصر عرفوا ما كان عليه اخواتهم مسلمو الهند أيام الجفاء بينهم وبين
 الانكليز وعرفوا نعمة دعوة احمد خان وثمرة مدرسته في حفظ حقوقهم ومصالحهم
 بالوفاق مع الانكليز واسترجاع ما كان سلب منها بالتدريج . وظهر لهم خذلان أحداث
 السياسة الذين جعلوا التماق بالتفكير من الانكليز منبعا للمال ومنبرا للجهل وعلموا أنهم
 فاشون خادعون ضالون مضلون فقيرت الأحوال وصار شيخ الجامع الازهر يزور عميد
 الانكليز في مصر وشاعر الحديو يمدح ملك الانكليز وينشر ذلك في الجرائد التي تسمى الى

الانكليزوايس هذا ولا ذلك عن تضطرم وظيقهم أو تخدي سياستهم بأن يفعلوا ماقتنوا
 نشا نلم مع هذا ان اكثر المسلمين يرتابون في تحقيق هذا الوفاق ولو عرفوا
 مصحتهم ومصحة القوم بالبرهان لما كان لهم أن يرتابوا . ان من مصحتنا التي
 لانك فيها ان تكون تربنا اسلامية دينية وزي الانكليز الداعين الى الوفاق يرون
 يننا في هذا . ان من مصحتنا ان نكون رجلا مستقلين في علومنا وأعمالنا وزي
 الانكليز يدعوننا الى ذلك ويقولون انه يساعد على الوفاق بيننا وبينهم . ان من
 مصحتنا احياء اللغة العربية لغة الكتاب والسنة واللغة الجامعة للأمة وزي الانكليز
 يواتقونا على ذلك . فهل ترتاب في ان شيئا من هذه الأمور هو من أهم مصالحتنا؟ كلا
 يقول قائل : ان كاتب المقالة وطائفة من الكتاب والسياسين الانكليز قالوا بهذا
 القول ولكن الدولة لم تقل به ولم ينتشر بعد فيصر رأيا للأمة البريطانية فتقول ان
 الحكومة تنضطر الى مجازاة الأمة . فهل نخدع لقول بعض الكاشين . وثق بمن
 لا يتفق معنا في لغة ولا جنس ولا دين ؟ وتقول في الجواب : قد قال مثل ما قال
 هؤلاء حاكم الهند العام الذي يحكم مئتي مليون من النفوس منهم نحو تسعين مليوناً من
 المسلمين أوزها خمسة أضعاف ما تحكمه الدولة العلية من المسلمين . وهب أنه لم يقل بذلك
 أحد من الحاكمين البريطانيين فانا سائلك : أي خدمة تقدمها أنت وقومك للانكليز
 جزاء على اعتقادك باخلاصهم في حب الوفاق معكم فتخاف ان تضع هذه الخدمة
 مع من لا يستحقها ؟ لو أن هذه الدولة محتاجة اليانا اليوم في عمل احتياري وهي
 تحطب ودادنا لخدمها به لكان لنا ان تقول : انه يجب علينا أن نأخذ بالأحياط
 ولا نخسر عملنا حتى نتق بصدق مجاملنا .

يقولون لنا بلسان طلم أو بلسان مقالهم : ربوا التربية الدينية . وانصعوا بصفات
 الاستقلال والرجولية . وتعلموا العلوم القنون . وحصلوا المال والثروة ونحن
 نساعدكم على ذلك . فهل من الأحباط ان لا نشتل بشي من ذلك لأن هذا ثقة
 بالقوم ولا ينبغي لنا ان نتق بهم الا بعد قيام البرهان على صدقهم . كيف يكون هذا
 وان ما يصدر عنهم هو عين البرهان على صدقهم .

يقول القائل : أنهم يخادعون بمثل هذه الأقوال أمير الافغان والسوملي ليكون الأول
 مهمهم على روسيا وليأمنوا من اغارة الثاني على السودان . ونقول ان هؤلاء الكتاب
 يخاطبون دولتهم وان حاكم الهند كان يخاطب رعيته المسلمين ومثله حاكم سيراليون (راجع
 صفحة ٧٠٧ من المجلد الرابع) فهل اتفق هذا وهو في غربي أفريقيا مع ذلك في شرقي

آسيا على مخادعة السنوبي الذي لا يسمع خعليهما ولا يقرأ الجرائد فيعرف خبرها ؟
 نعم ان أمير الأفغان يعرف أحوال الهند وما يقول حاكمها . ولكن حاكم الهند العام
 لا يقول للمسلمين : « انني لو كنت مسلماً لما أضمت من وقتي خمس دقائق من غير
 فكر في ترقية شأن الاسلام » ولا ينصح للمسلمين بأن يقيموا التربية الدينية ويمدهم
 بمساعدة الحكومة لهم لمجرد المخادعة فانه انما كان يخاطب قوماً جاهلين يخاطب رجال
 التربية الاسلامية في احتفالهم العام بمدرسة عليكده . فقوله هذا أكبر منشط لهم
 بالفعل . ثم ما كان لأمر الأفغان أن يتخضع بالأقوال . التي لا تنطبق على الاعمال .

يقول هذا القائل : ان هؤلاء الحكام يقولون هذا ليطمئن المسلمون الى حكومتهم
 وهم يعلمون ان المسلمين لا يعملون . وتقول : اذا كنت أيها المسلم أسوأ ظناً
 بقوله منك بالانكليز فلا تجمل الذنب على خير الفريقين ولكن اجمله على شرهما
 وهو من يقال له اعمل لنفسك فلا يعمل ثم يعتذر بأن من يقول له اعمل غير
 مخاص في قوله . واعلم ان عقلاء المسلمين لا يرضون لأنفسهم ما وصفتهم به وأن
 الانكليز لم يقولوا ولن يقولوا للمسلمين اعدوا ونحن نسئ لكم . وأنهم ان قالوا
 لرعاياهم : اعملوا ونحن لانعارضكم فاهم الشكر . فان زادوا وقالوا ونحن نساعدكم
 فاهم الفضل العظيم فان سار المستعمرين من الافرنج يمتعون رعاياهم ومن في حياتهم
 من غير اهل دينهم من التعلم . وكل وسائل التقدم .

هذا الوفاق يراه المصريون رأياً جديداً ويراه سائر العثمانيين قديماً فهو رأي أكثر
 وزراء الدولة وساستها واكثه كان وفاقاً انكليزياً تركياً . وكان عليه العمل بين الدولتين
 ولا تسمى مساعدة بريطانيا العظمى للدولة العلية في الحروب الروسية حرب القرم وما
 بعدها . ثم راخت عرى الصلة بينهما بعد احتلال انكلترا مصر وكادت سياسة المستر
 غلادستون التحمسية تقطع تلك العرى تقطياً بما ظهر من تعصبه على الدولة وعلى
 الاسلام في ابان الفتنة الأرمنية . وكان من أثر ذلك توثيق عرى الصلة بين السلطان
 وعاهل الالمان وضمف نفوذ الانكليز وكسدت تجارتهم في البلاد العثمانية حتى قال
 البرانس بسرك ما مضاه : ان المعلم غلادستون قد هدم بشقشقة الحمقى ما بنته دولته
 في نحو قرن . ولا يزال أكثر نيهاء العثمانيين يفضلون الانكليز على كل دولة أوربية
 وهذا كله مبني على قاعدة مسامة عندهم وهي انه لا بد للدولة من الاعتماد على دولة أوربية
 في سياستها الخارجية



انكسرتوا قلوبهم من سبب انبساطها وان طارت لها أذن جميع مسلمي مستعمراتها
 فاقبها فهي انبساطها في الوفاق الإسلامي الذي انبساطها في أكثر مما تشفق المسلمين الذين
 تحفظهم بها نفس فان كسرت أذن أو كسرت المسلمين بالخدمة التي لا يديدهم عن الذي
 في الاستقلال الذاتي الذي هو روح سياسة الاجتهادية كما بناء من قبله ويزيد عليهم
 في حفظ حكامهم لأنهم يرونهم مبالين الى حكومة أخرى . ومن شأن الضغط ان يفيد
 ولكن لا يفيد شيئاً لأن الضغط عليه لا يحاول التخلص من الضغط لاعباده على
 غيره وقد ثبت هذا بالتجربة المؤيدة للنظر . كان الوفاق انكليزياً تركيا فأصبحنا
 نعدت بوقاف إسلامي انكليزي وهو وفاق أشرف وأعلى وأعم وأرفع . كانت
 سياسة انكلترا في ذلك الوفاق مبنية على قاعدة : يجب أن لا تسقط تركيا ولا تقوم
 يجب أن لا تموت ولا تنحيا . وأما قاعدة هذا الوفاق فهي : يجب أن يعود للمسلمين
 استقلالهم الذاتي وان ينفخ فيهم روح الدين الإسلامي بفضائله وآدابه ليضمهم الى
 المدنية الحقيقية ولكن يشترط ان يكونوا هم العاملين والانكليز من الساعدين . فاذا
 صح هذا فهو أكبر أمنية يتمناها كل عاقل من المسلمين . ويرضى هؤلاء العقلاء
 من انكلترا بأن لا تكون على الدولة المليئة اذا لم تكن معها وبأن لا تدخل جزيرة
 العرب ولا تمكن دولة غير مسلمة من دخولها كيفما كان حال الدولة العلية
 لأن الجزيرة عند المسلمين معهد ديني كالسجد ومن أركان الوفاق إقامة دين الاسلام
 لاهدم مناره وتعطيل شعاره

الواقفون بدينهم من هؤلاء العقلاء يعتقدون بأن الامة الانكليزية الحرة اذا
 عملت بنصيحة ميستر كريت وأضرابه (ومنهم اسحق طيلر الذي نشرنا كثيراً من
 مقالاته في أجزاء من السنة الماضية والسنة الحاضرة) ودرست الاسلام درساً صحيحاً
 قائمته تدخل فيه أفواجاً . وقد سبق لنا القول بأن أمة أوربية كهذه اذا دخلت في الاسلام
 قائمته ملك بالمسلمين الشرق كله ولا يبعدان تلك بهم الغرب أيضاً فان أكبر قواعد الحرب في
 أوروبا قالوا انه سهل عليهم ان يفتحوا أوروبا كلها بمئة الف من جيوش المسلمين .
 أني لنا بصوت ندي من ذي برهان قوي . يبلغ قوماً مبلغ انتفاعهم من هذا
 الوفاق ويسلمهم كيف يقنسون الانكليز به ويمثلون له مصلحتهم فيه مندودة مع
 مصلحتنا في قرن . ان هذا من وظيفة الجرائد ووظيفة أهل الرأي في الامة . وقد
 علمنا من ذاكرناهم من عقلاء المصريين الارتياح لهذا الوفاق اذا وثقوا من رضاه

الدولة الانكليزية به ورأينا الجريدة السياسية الكبرى للمسلمين في مصر (المؤيد) موافقة عليه ولا يوجد في مصر جريدة سياسية غيرها يعتقد المسلمون برأيها في مصلحة المسلمين . الا أن هؤلاء يرتابون في انكليز مصر ان لم يرتابوا في انكليز الهند وحينهم في الارتباب ماذا ذكره المؤيد ويذكره جميع الناس من تصرف المستر دنلوب في المعارف تصرف من يريد اضافة اللغة العربية والدين الاسلامي في مدارس الحكومة . وانتقاد عمل المستر دنلوب بجمع عليه في مصر لا يختلف فيه مع المسلمين التبسط والاسوديون فهو منتقد في غير ما ذكرنا من أمر اللغة والدين . ولا ينسب عمله الا الى سياسة دولته . وان كان يجوز انه خطأ في ادارته .

والذي يكشف عن وجه الحق في هذه المسئلة وأشبابها هو أن يرجع بعض الوجهاء المقلاء الى من بيده أزيمة سياسة هذه البلاد وهو اللورد كرومر وبينوا له الضرر فيما يتقدونه ضاراً للبلاد أو للمسلمين في لغتهم أو دينهم فان أشكاهم وأزال الضرر فمليهم أن يمتدوا أن الانكليز لا يريدون بالمسلمين سوءاً وانما يحبون أن يتفهموا من بلادهم ويتفهمهم جزاء على ذلك . وأن تنين له الضرر وأصر على ابقائه فلمهم أن يسيؤوا الظن بدولته وأن يمتدوا أن هذه الأقوال التي تقال في الخطب والكتب والجرائد تقرير وتعميه . اما نحن فنظن انه لا يتسع منهم بمضرة الا ويزيلها قياساً على من كلفه في شأن ابطال التباية من الحاكم وبين له ان ذلك ضارٌ بالبلاد فكثرت قتل الاتفاق على ذلك بعد توكيده . وعلى من كلفه في مسئلة بيع الدائرة السنية وبين له مضرة الفلاحين فيه فقصص الاتفاق بعد ابرامه . ومثل ذلك كثير

وتحتم البحث بقول ينبغي أن نكرره دائماً وهو أن من لا يميل نفسه فلا يصح ان يطالب غيره بأن يميل له . ومن كان مقصراً في حفظ حقوقه فلا يلوم من غيره . اذا قصر فيه . ومن عرف نفسه وعرف مكانه ممن يميل معهم لا يُظلم ولا يهضم . ومن أعطي الحرية في العلم والعمل ، فليس له عذر في التقصير والكسل ومن لحرف قوة الرابطة الاسلامية لا يقطعها بمدية الوطنية فلولا أن المسلمين كالجسد الواحد كما ورد في الحديث لما طلب الانكليز الوقاف معهم ، ومن ظلم نفسه كان جديراً بأن يظلمه غيره .

اذا ما أهان امرؤ نفسه فلا أكرم الله من يكرمه

والسلام على من تدبر القول فحكم عليه لا على القائل ، وكان همه منه التمييز

بين الضار والنافع والحق والباطل .

أنا في عملك الشريف

﴿ الهدايا والتقاريف ﴾

(تاريخ التمدن الاسلامي) كتاب جديد يشغل بتأليفه صديقنا المؤرخ المتصف جرجي أفتدي زيدان صاحب مجلة الهلال الشهيرة « وهو يبحث في نشوء الدولة الاسلامية وتاريخ مصالحها الادارية والسياسية والمالية والجنديّة وسعة مملكتها وبيان ترونها وحضارتها وأهبتها وأحوال خلفائها ومجالسهم وقصورهم وكل ما يتعلق بهم وتاريخ العلم والصناعة والأدب والشعر والآداب الاجتماعية والعادات والأخلاق في ابان ذلك التمدن وعلاقته بالتمدن الحديث » وقد صدر الجزء الأول منه في هذه السنة وفيه من اللبّاحات المهمة (١) بحث (العرب والتمدن) وفيه ثببات ان العرب عريقون في التمدن وأولو استعداد له رأسخ فيهم . و (٢) عصر الجاهلية في الحجاز و (٣) حكومة العرب في الجاهلية و (٤) النهضة العربية قبل الاسلام أي استعداد العرب لظهور الاسلام فيهم بارتقاء عقولهم وآدابهم واحساسهم بالحاجة الى الاجتماع . و (٥) الدعوة الاسلامية . و (٦) الروم والفرس عند ظهور الاسلام ، وما كانوا عليه من الفساد والانقسام ، و (٧) انتشار الاسلام وأسبابه . ومثل هذه اللبّاحات يراها الجاهل طمناً في الاسلام لأنها تسين أنه قام على سنن الكون المحقولة والمسلم العالم يراها مؤيدة للاسلام ومينة لبعض حقائقه لأن من مقاصد هذا الدين ترقية العقل وهدايته الى سنن الله في الخلق ليسير عليها حتى يبلغ كماله وما هو بدين الغرائب والعجائب ومن مباحثه الكلام في الخلفاء الراشدين والفتوحات الاسلامية والدول العربية في الشرق والغرب . والكلام في الخلافة والولاية والوزارة والجند والسلاح ونظام الحرب والاساطيل أو بيت المال وموارده ومصادره والقضاء والحسبة . والكتاب مزين بالرسوم وصفحاته ٢٠٣

يرى القارئ ان هذا وضع في العربية جديد بهذا التريب والتبويب ومحكم بالأجمال قبل أن يراه بأنه وضع مفيد ، وان الأمة في افتقار اليه شديد ، وقد قدره الباحثون في التاريخ من المسلمين قدره اذ تصدى غير واحد منهم لاستقاده فكتبوا في المؤيد مقالات يظهرون فيها ما عده عليه من الخطأ في بعض المسائل وقد رد المصنف على بعض من كتب واعترف ببعض الخطأ وأشار الى سببه وأنه غير مهم . وقد

كنا شرعنا في قراءة الكتاب بالتدقيق لننقده بما يظهر لنا ولما رأينا شواغلنا
الكثيرة لانسمع لنا بما تمامه الا بعد عدة أشهر ورأينا المناقشة في أمره كثرت رأينا
من حقه علينا أن نبادر الى التنويه به والاعتراف بأنه مثال مفيد لقراء العربية ولكن
مسائله لا تؤخذ قضايا مسأمة فعلى من اطالع على النقد والرد ان يحكم الإنصاف وقواعد
العلم مع النقل وعلى من لم يطالع على ذلك ان يراجع الكتب فيما يراه محلا للتوقف .
أقول هذا وأنا واثق بأن مؤلف الكتاب لم يكتب الا ما اعتقده مع حسن النية
وصحة التصدد . وأوضح دليل على ذلك أحجج به من أساء به الظن من
المسلمين لانه غير مسلم هو أنه أثبت أن النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم قام
بالدعوة وهو موقن بأنه مرسل من الله تعالى وأنه لم يكن طالب ملك ولا مال ولا
جاه بل طالب إصلاح أئمة الله تعالى القيام به ولما نعود الى استقاد الكتاب بعد
إتمام مطالعته . أمثمنه فنعرون قرشاً وهو يطلب من مكتبة الهلال بالفعجالة

(المروءة والوفاء) أو الفرج بعد الضيق . قصة عربية جاهلية حدثت في الجزيرة
من العراق العربي بين الفريسيين قرب الحورنق والسدير على ضفة الفرات قبل
الاسلام في يوم يؤس النيمان بن المنذر . وقد نظماها ومدتها فيها ماشاء فقيد بيت
الأدب الشيخ خليل اليازجي بن الشيخ ناصيف اليازجي الشهير ومثلت في
بيروت على عهد الناظم . وقد طبع في هذه السنة بمطبعة المعارف الشهيرة بأقنان
الطبع . وقد قرأنا منها جملة فاذا شعر محرر . وهو على صاحبه لا ينكر ، وثمن
النسخة خمسة قروش وهو ثمن لا يذكر

(الهديب) . جريدة تهديبية أدبية علمية تاريخية دافية لطائفة الاسرائيليين
القرابين بمصر . يحررها الأديب الأصولي مراد افندي فرج المحامي . وهي تصدر
في شكل كراسة وقيمة الاشتراك فيها عشرة قروش تدفع الى (الحاخاخانة) أنشئت
الجريدة في العام الماضي وقد أهدانا جناب الحاخام الفاضل ورئيس اللجنة المالية المجلد
الأول منها فالفناء طامحاً بالباحث التاريخية والأدبية والدينية . وقد كنا نتعجب قبل العلم
بهذه الجريدة للشعب الاسرائيلي كيف لا تكون له جريدة علمية أدبية أو مليية في مصر
مع ارتفاع الاسرائيليين في العلم والأدب والثروة والرابعة المالية . وقد سرنا من هذه الجريدة
عدم تعريضها بما يسوء أحد الطوائف . ولا غرو فأدب الاسرائيليين المالية تقضي بذلك
(المعادة) مجلة نسائية علمية تهديبية تاريخية فكاهية تصدر في الشهر مرتين

صاحبها ونشأتها روحينا، وقد تصفحنا العدد الثامن منها الصادر في (١٥)
 أكتوبر) فاذنهم منتج ثلاثة في (الدفاع عن النساء) تناش فيها الرجال الجاهلين،
 الذين يرون حرمان الأخت من التعليم من الدين، ويلبها وصية من والده لابتها وهي
 وصية تدور على وجوب قيام المرأة بتدبيراتها بنفسها وإن كانت غنية ووجوب محبتها
 إلى زوجها حتى يرى سعادته مرتبطة بها . ويتلوها مقالة في المرأة لصاحب المطبعة
 التجارية بمدة بضعة أسطر غريبة في خبر غريب عنوانه « دير في سفينة » وهو أن رهبان
 جبل أئوس أخذوا لهم سفينة في البحر ديراً . ولعلمهم يتمنون فيها على الأعمال البحرية
 كما يتمنون في أديار الجبل المقدس على الأعمال الحربية . لأنهم كما يقال رهبان من اهل
 برشاد روسيا . وسيكون لهم شأن في مستقبلها مع تركيا .

هذا وإن المجلة مؤلفة من ثلاث كراسات وقيمة الاشتراك فيها حسون قرشاً
 مصرياً في مصر و١٦ فرنكاً في خارجها فمسي أن تلقى رواجاً ونجاحاً

(أسرار القصور) — قصة وضعية تحت عن ماهية الروح ومعالها من الجسد
 وعن التويم المغناطيسي الشائع بأوروبا وعن الزار والتدل بالاقطار الشرقية . مؤلفها
 محمد أفندي حسين محرر جريدة اليوسته وقد كتب في مقدمتها أنه نشر فيها رأياً له منذت
 سنين . وكان سنة ثلاثاً وعشرين ، وهو اليوم لهذا الرأي من المتقدين .

(المصري) « جريدة أسبوعية عامة مدرسية تصدرها جمعية التلامذة الإسلامية »
 ومحررها مدير الجمعية علي أفندي عبدالكريم . يظنوني في مصر كثير من هذه الجرائد
 الصغيرة ثم يرسب بل يبدو ثم يخفي ولا يذكر منها شيئاً لعلنا بأنها في حكم العدم .
 ولكن للتلامذة عندنا شأن كبيراً وباليت شأنهم عند أنفسهم كذلك . لهذا هؤل أنه
 يسرنا أن توجه نفوسهم إلى الأعمال الاجتماعية فيتكلموا باليتهم وأقلامهم عنها في
 وقت التعليم ليقوى استعدادهم ويكمل رشادهم . حتى إذا صاروا في سن العمل
 كانوا من العاملين . ويسرنا جداً أن ترضى جمعة التلامذة الإسلامية لنفسها
 إصدار جريدة تطبع على أردا الورق وتحوض في الموضوعات الحسنة والهزلية،
 والأشعار الحمرة والقرامية . فإن المرأ اللهدب يحفظ أحسن ما يسمع ويقول أحسن
 ما يحفظ وهو مع هذا يتساهل في القول سالا يتساهل في الكتابة التي يرض فيها عقله
 وأدبه وأخلاقه على الناس أجمعين . فمسي أن يتفتت من يصدر هذه الجريدة إلى قبول
 نصيحتنا باختيار الحسن من الكلام والورق حفظاً لكرامة التلامذة وقادتهم والله الموفق

﴿ الاحتفال بافتتاح مدرسة بني مزار ﴾

أنشئت في هذه السنة مدرسة خيرية اسلامية في بني مزار من مديرية النيا بتعاون أهل الخير والبر وقد أنيطت ادارتها بالجمعية الخيرية الاسلامية التي انشأتها بمساعدة الأهاليين فهي ليست كسائر مدارس الجمعية خاصة بأولاد الفقراء وخالية من اللغات الأجنبية بل هي كالمدراس الابتدائية الأميرة الاميرجي من زيادة العناية فيها بأمر الدين وتعلم فيها أولاد الأغنياء بأجرة قليلة. وقد كان افتتاحها في يوم السبت الماضي باحتفال رأسه الأستاذ الشيخ محمد عبده رئيس الجمعية الخيرية وحضره الوجهاء والفضلاء في مقدمتهم سعادة مدير النيا وقاضي المديرية ورئيس لجنة المدرسة حسن بك عبدالرازق المصوفي في مجلس شورى القوانين عن مديرية النيا. وقد كتب النا المحامي الفاضل حسن افندي عبد الرازق تفصيلاً عن هذا الاحتفال لحصنه بما يأتي

لما كل نظام المحفل قام الاستاذ الرئيس خطيباً فيبدأ بالبسملة وقائمة الكتاب والصلاة والتسليم، على النبي الهادي الى الحق والي طريق مستقيم، واعلن افتتاح المدرسة. ثم شكر للمتبرعين بإنشاء المدرسة غيرتهم وفضلهم ومما قاله لهم. انكم انفقتم في خير سبيل، وتاجرتم أربع متاجرة. فان هذه المدرسة ملككم لو أن العلم يملك وما الجمعية الخيرية الا نصيرتكم في عملكم وهي لاتي في معاوتكم باذن الله تؤمل ان تكونوا سوا عداها وأعضاها. ثم قال. ان ما فرض على التلامذة الموسرين من أجر التعليم (وهو ثلاث مئة قرش سنويا) ليس مما يضيق به صدر الكريم، وتعلمون أن نفقة التلميذ في المدارس الأخرى تبلغ ثمانية جنيهات في السنة أو تزيد ولو أنكم دفعتم في مدرسة لي لكم ضعف، تدفون في مدارس غيركم لكنتم الراجحين لان فرقاً بين من ينفق في بناء دار هي له ومن ينفق على دار مستأجرة

ثم قال ما يخصه: لا يريد ان يخاطب الموسرين الذين أغوتهم شررة الغنى وأسكرتهم خمره الشباب ففقدوا بأدوا لهم في هوة الضياع وصرقوا الطارف والتايد. فيما يضر وما لا يفيد. فأولئك كالأنام بل هم أضل. وانما يخاطب المقلاء من الاغنياء فنقول: اذا كنتم تهتدون اتوفروا من مالكم ما تتركون لاولادكم حتى لا يكونوا فقراء تصاه فقد سمعتم في طريق محمود. هذه الاسلام، ودعا اليه النبي عليه الصلاة والسلام، وان ما تصرفونه في سبيل العلم والتربية هو من هذا القليل أيضاً لأنه توفير لمادة الأبناء بل لا مساعدة بالمال اذا لم تصحبه تربية نافعة وعلم صحيح يهتدي بهما المتمول الى كيفية الانتفاع.

لا يكون الإنسان سعيداً إلا إذا كان ملتصقاً مع مربيين سعداء. هب أنك تركت ليد
بعض من البروة وهو في موطن حيث تلهي الجفوة، واستحوذت على أهل الصلاة، آراء
بين سعيداً بين الأستاذين، وعياً غيباً بين التفرقة، ولا تتداليه يد الفؤاد وتغلب عليه
بناجع السفهاء، وتستهويه شياطين الأهل، إلا أن المرأ بقربته ورجل الخبير
فيلتزم الضرور على خطر. ثم أتفق من ماله لتعلم والتربية فهو الذي يوطئ لذريته
أكتاف السعادة، ويوظف لهم دعائم الميعة الراضية، لأنه يصلح لهم عبادة يمشون في
ظلالها آمين.

ثم بين الأستاذ أسباب انقصار المدرسة في هذه السنة على تعاليم السنة
الأولى للتلامذة وعدم إنشائها فرقى من تلامذة السنة الثابتة وما بعدها مع أن في
طلاب التعلم من هم أهل لذلك، وذلك الأسباب هي ضيق المحل الذي استوجب
تلمذة إلى أن يتم بناؤها ولم يوجد غيره، وكون الوقت بين قبول الجمعية الخيرية
إدارة المدرسة وافتتاحها لم يكن كافياً لاختيار المعلمين الأكفاء والظفر بهم لقلة
عددهم في مصر، وشم سبب ثالث عام وهو أن السنة الإلهية في الترقى أن يبدأ التي
معتاداً ثم يترقى بالتدريج وأن الأمور التي تنشأ كبيرة فالغالب أن ينحل عقد نظامها
في القريب العاجل واليأذ بالله تعالى.

ثم تكلم الأستاذ الرئيس في مسألة سن التلميذ فقال: ان الجمعية الخيرية الإسلامية
لم تحدد سن التلميذ في نظامها عتياً ولا تقليداً ولكن حددته لفوائدها، تعلمون
بالضرورة أن ليس كل من دخل هذه المدرسة يكون محتواً الوظيف بل سيكون منهم
التاجر والزارع والصانع فإذا دخل التلميذ المدرسة في الثامنة وأتم التعليم في أربع سنين
أو خمس يخرج منها تلميذاً مهيناً للدخول في أي عمل شاء، وإذا تقدم في السن
ودخل المدرسة بعد العاشرة فقد ليس عوده، بل أن يلبس للأعمال الصناعية أو الزراعية
وربما يخرجه أبوه عن أعماله وهو عاجز عن الاشتغال بأعمال العاشرة فيضيع بين مخزبين
ثم ختم القول بشكر سمادة المدير لحضور الاحتفال واستهضه منه لتعميم المدارس
في المديرية وشكر لعيد الرحمن بيك فهمي وأمور مركز بنى منار سعيه في الأكتاب
لهذه المدرسة، ثم دعا للمدرسة الدعاء الصالح ونسبوا المدير المنظم فأثنى الحاضرون.
وقام في أثر المدير فشكر للرئيس فضله وسعيه ووجه أنظار الوجهاء الحاضرين لتدبير نصائحه
ثم تلاه حسن أفندي عبد الرزاق فبدأ قوله بخطاب الرئيس مثناً عليه بما هو أهل

مبتدئاً فحوىم القلوب عليه ، وتوجه نفوس طلاب الترقى إليه . ثم أتى على المتبرعين للمدرسة وخص بالذكر كرام المسيحيين الذين عرفوا قيمة الوطنية ، ف تبرعوا للمدرسة مع علمهم بأنها إسلامية ، ثم تلاه المأمور فأظهر السرور والابتهاج بالاحتفال وأتى على فضيلة الرئيس وسعادة المدير .

ثم خطب حسن بك عبدالرازق رئيس لجنة المدرسة فكان يعنى ما تقدم فأحسن وكان الختام مسكاً لجزى الله هؤلاء المحسنين خير الجزاء ، ووفق سائر الناس إلى حسن الأسوة والافتداء .

باب الأخبار التاريخية والزوار

﴿ تمة سيرة السنوسي المنشورة في الجزء ١٢ ﴾

وكان اعتناؤه منصرفاً إلى علوم القرآن والتفسير والحديث ، ولم يذكر كاتب المقالة السبب في هذا وما هو إلا النزعة الأجهادية التي كان عليها والده ورباه عليها ولذلك تولى تعليمه التفسير والحديث بنفسه ، وكان الأجهاد في الدين وفهم الأحكام من الكتاب والسنة صار معيماً عند المسامحين ولذلك حاول كاتب المقالة تكذيب ما أشيع من أن المهدي غير مالكي المذهب وزعم أن كل السنوسيين على مذهب الإمام مالك (رضي الله عنه) قال « ويبدلون في الصلاة ويقبضون أيديهم » لعله يريد أنهم لا يتركون المشهور من مذهب مالك إلا في بعض التبدولات ، والصواب أن السيد محمداً المهدي السنوسي لا يعمل إلا بما صح عنده في الكتاب والسنة كما كان والده من قبله

ثم نكلم الكاتب عن سياسته فقال أن السنوسيين لا يخوضون فيما لا يشيهم كالتسيات فذلك عندهم فالخرمات وما أشيع عن السنوسي من أنه مستمد فاحرب ويدخر الأسلحة المتقنة المجلوبة من أوروبا وأنه يشيد الحصون بالصحراء ويصنع البارود وله عسكر وخيول مسومة ويغض الأفرنج فهاته كلها خرافات وأراخيف لأصل لها وسيعرف الناس ذلك عندما تسمح الحال بالمواصلات بين أفريقيا الشمالية والجهات الصحراوية ، وكتب مستشهداً : ولا يفتك مثل خير ، ثم أظن الكاتب في تكذيب هذه الإشاعات ونسبها إلى ذوي الأغراض حتى كاد إطنابه يوقع في الظنة ، واحتج على صدق قوله بأن الرحالة (مونتاني) وصف السنوسي وإخوان طريقته بما يقرب مما قاله

قال الكاتب في رده على ما ذكره في بيان سيرة نشاطاتنا الفارة والاراء
 في اسم محمد السنوسي ، حرم من شيوخ رابع سلطان برنو الذي قتل في السنة الفارضة
 وكانت له اخت اسمها فاطمة في خاصمة وانح . تم وصف من ظلم هذا السنوسي
 الخبيد وعموه وذاكر ان بعض الكتاب الفرنسيين لما سمعوا بخبره طفقوا ينددون
 بالسنوسي صاحب الطريقة ثنائين أنه جاهرهم بالمدوان « وسرى هذا الفلظ الفاحش
 الى الطبقات العالية من أهل الصحف كالطان وغيره » وقال انه لا يوم على تلك
 الصحف في غلطها « لأن هذا الإيهام سرى أيضاً لبعض الصحف الإسلامية نفسها
 مثل مجلة المنار فقد ذكرت أن السنوسي المهدي له حرب مع الفرنسيين »

ثم قال ان الشيخ المهدي السنوسي رحل في سنة ١٣١٢ من بلد جنوب على
 حين تخلفه مع أهله وولده وبعض الاخوان قاصداً بلد الكفرة بالصحراء الشرقية في
 عرض ٢٥ درجة وطول ٢٠ درجة (من باريس) فوصل اليها بعد مسير أربعين
 يوماً وسبها بغداس الجديدة ولم يعلم السبب في ارتحاله والذي أظن هو ميله
 للانزواء وابتعاده عن الوسوس والمطامع الانكليزية اذ كان قدم عليه بعض سياح
 الانكليز في جنوب . وفي سنة ١٣١٧ ارتحل من الكفرة فتوجه الى نواحي كاتم
 ولا زال في تلك الأماكن على عادته المألوفة من عبادة ربه وعدم اشتغاله بما لا يعبه
 هو وطائفة من اخوانه الى أن بلغنا انتقاله الى الدار الآخرة في شهر جادى الأولى
 سنة ١٣٢٠ على طريق الصحف الاخبارية رحمه الله تعالى وجعل الجنة مثليه ومثواه .
 (المنار) : قد انتهى تلخيص ما كتب في جريدة الحاضرة . ونحن نقول : ان أمر
 موته لا يزال مشكوكا فيه فان السنوسيين الواردين من زوايا الصحراء على مصريكذبون
 ذلك ولا يبعد أن يكون تكذيبهم سببا على اعتقادهم بأنه للمهدي المنتظر . فان احتق
 أياماً فلا بد أن يظهر ، ولذلك نرى أنه يقتضي الشك في موته لا رجح عدمه

وأما خبر تناوشة الفرنسيين للسنوسيين فانما اعتمدنا فيه على مكاتبات السنوسيين
 أنفسهم لا على الاشاعة والاستنباط ، وليس حديث هذه التناوشة بالحديث وانما كان في
 العام الماضي فقد راجعنا بمد نشر مكتوب ذلك الطرابلسي مكتوباً آخر من أحد
 بطانة السنوسي مؤرخا في رمضان سنة ١٣١٩ وفيه ما نصه :

« الاخبار الواردة من جهة كاتم ان الفرنسيين لما سمعوا أن سيدي البراني
 توجه للزيارة قصدوا الزاوية مرادهم في هتك حرمة فوجدوا بها بعضا من الاخوان

وبعضاً من العربان وبعضاً من التوارق والتقوا عند طلوع الشمس ٢٦ رجب ثم انتسب بينهم الحرب من الصباح الى الزوال وقتل منهم جماعة وافرة وثلاثة من كبارهم والمقاتلون الذين بأيديهم السلاح ثمانية عشر رجلاً لان الناس متفرقة والكفار اتوهم على حين غفلة لكن نصر الله المسلمين وهزم المشركين واستشهد فيها من الاخوان أخونا سليمان بن اخ سيدي البراني وأخونا عبد الرزاق فقيه الزاوية وأخونا حسين بن الفضل . ومن المجاربة ثلاثة أخونا ابو علي الفخر وأخونا عبد الله بن موسى وأخونا مهدي بن شبيب واستشهد أيضاً الشيخ نعيث بن الشيخ عبد الجليل وابن عمر المضبوط المغربي وبعض من التوارق وأثنان من جماعة السلطان قورون كنا عند الاستاذ زائرين وواحد قطروني وابعوا نفوسهم لله كما قال عز وجل : « ان الله اشترى من المؤمنين أنفسهم واسموالهم بأن لهم الجنة » . ولما أتى الخبر الى الاستاذ رضي الله عنه وجه سيدي البراني والحاج محمد النبي ومعهم جيشاً من المجاربة وزويه لقتال أعداء الله ربنا ينصر المسلمين على أعداء الدين « اه باختصار قليل جداً

ومنه ومن أمثاله من الكتب (ومنها ما نشرناه في الجزء الثامن) يعلم القراء انه حصل شيء بين الفرنسيين والسنوسيين استمر قريباً من سنة ولا نعلم كيف انتهى لأن الاخبار الخصوصية انقطعت عنا من مدة طويلة واتنا نتوقع الخبر اليقين عن قريب . ومما ذكرناه يعرف القراء ان السنوسيين مستعدون للدفاع عن أنفسهم ولكنهم ليسوا أهل اعتداء فهم يمتثلون قوله تعالى « وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تفتدوا ان الله لا يحب المعتدين » وستكون هذه الآية الكريمة هي منتهى المنية في الحرب فان بقي صاحب المقالة المنتورة في الحاضرة في قريب بعد هذا فلتنا نذكر له في جزء آخر شيئاً من نفوس السنوسيين في . اذاي ونواحيها وتواقيهم للملوك وحلهم للمشكلات بينهم بذكر وقائع مينة بالاسماء والجهات ليعلم أننا نتكلم عن بصيرة . وقد كنا ذكرنا ذلك الخبر لثرايته بالنسبة الى المصريين وليس من موضوع المنار التوسع في هذه المسائل لانها اقرب الى السياسة منها الى التاريخ ولا غرض لنا بالسياسة

أما العبرة التاريخية في ترجمة السنوسي فهي في شيئين (أحدهما) اجتهاده في الدين وعدم تقيده بذهب من المذاهب وقد مهد له والده رحمه الله تعالى السبيل الى ذلك بكيفية تعليمه وبما ترك له من مؤلفاته التي بين بها الحجج على وجوب العمل بالكتاب والسنة وعدم الرغبة عنهما الى قول أي عالم أو امام . وقد اطلعنا على كتابه « بقية

المقصد . في خلاصة المراد « وهو مختصر كتاب المراد » وفي القدر الكافي من الاحتجاج على وجوب العمل بالكتاب والسنة . و (ثانيتها) تأليف عصية كبيرة بساطة الطريقة . و مما يفتقده على أصحاب هذه الطريقة أنهم غلوا في شيخهم كثر أهل الطريق مع شدة تمسكهم بالدين الذي ينهي عن الغلو وأنهم يمتقدون ابن شيخهم المترجم هو المهدي المنتظر وهذا الاعتقاد يضر في المستقبل عندما يتبين لهم كتمان لغيرهم عقبه وانما يرى عقلاءهم لا يمتقدون هذا الاعتقاد ويقولون ان شيخهم لا يرضاه والله أعلم بصير الأمور .



﴿ مشروع مجلة الجامعة الاقتصادية ﴾

كانت مجلة الجامعة تصدر في الشهر مرتين ثم جعلت في السنة الثالثة (الحاضرة) شهرية و جعلت عشر كراسات (ملازم) أو إحدى عشرة ويضاف إليها كراسات من القصة المبرية الملحق بها . فتمدر على منشئها إصدارها في مواعيتها على نشاطه واجتهاده حتى كان بين الجزء وما يليه أكثر من شهرين . ثم أنه شرع الآن في جعل المجلة خمس كراسات مع بقائها شهرية و جعل القصة التي يضيفها إليها كذلك تتوفر عليه تعريب ثلاث كراسات في كل شهر . ثم أنه يطبع من القصة الملحق بالمجلة نسخاً زائدة يربح منها مثل ربع المجلة أو أكثر . و نرجو ان يتمكن بذلك من إصدار المجلة في كل شهر مرة

وما كان له ان يسمي هذا العمل مشروعاً لأن الناس اصطالحوا على اطلاق لفظ المشروع على الأعمال الكيرة السومية الجديدة التي تعدها الحكومات والشركات والجميات ثم شرع في تنفيذها . و تعريب القصص ونحوها من الكتب لا يستحق هذا الاسم لاسيما اذا كانت منقمة الناس به تكون أقل مما كانت كما هو الشأن في هذا العمل فان مجلة الجامعة كانت صفحات مجموعتها السنوية تزيد على ألف صفحة بعد تجريد القصص الملحقه فصارت الآن تنقص عن خمسمائة . و انتقدنا على الرصيف أيضاً اختياره قصة بولس وفرجينى للتلخيص والحاقها بالجزء الأخير الذي ابتداء به مشروعنا و بيننا عليه ملاحظتنا . وذلك ان حسن هذه القصة في لغتها الفرنسية هو الإطناب في وصف العيشة البدوية فباختصارها زال هذا الحسن وايس في الموضوع فائدة أخرى تستحق المناية . ثم ان القصة عبرت بتمامها من قبل وطبعت . ثم أعاد تعريبها بمض الأدباء

وهو ينشرها تباعاً في جريدة التمدن القراء . فسي يكون اختيار الرصيف للأجزاء التالية أنفع من هذا الاختيار . هذا ما كتب للجزء الماضي من النار وقد تبين ان العجز مستمر لان المجلة لما تصدر . فسي ان يزول قريباً بزوال الضنك المالي . . .

(البراعة في الاعلان) كان صاحب مجلة الجامعة يرسل لكل جزء يصدر من مجلته اعلاناً الى جريدة المؤيد يتي فيه على الجزء ماشاء ويشترط ان يكتب في الاخبار المحلية بصفة تقرير وكافت ساحة الاسلام بحمل المؤيد على القبول . ثم انه محرش بصاحب الهلال ليسانته فيشوق قراءه الى الاطلاع على ما يجب به ولكن صاحب الهلال لم يرد عليه مطاعنه فيه حيا بالمسئلة التي هي طبع له . ولما ضاق ذرعه محرش بالاسلام ووطن فيه وفي أمته فصدنا للرد عليه لاننا كنا نعتقد فيه حسن التصد ولا نكره التويه بمجلته وانتشارها . ثم انه حيب ظناً فيه وأظهر انه متعمد للامن فحجبتنا لذلك حتى زال العجب لما علمنا انه أرسل كتاباً الى صديق له يقول فيه عن الوطن بالاسلام : قد عرفت انه اكتشف مهم للاعلان عن الجامعة وثكتير مشتركها وسترى قريباً في الجامعة بحثاً آخر عن الفزالي سيكون بصفة اعلان أشهر وبمثل ذلك تزول « عنى المسرات وينمحي الضنك » بفضل اقبال المشتركين من المسلمين حتى لم يبق جزء واحد في الادارة من هذه السنة . هذا ما كتب فعلنا ان خدمة « الحقيقة والضمير » هي خدمة المجلة لازالة « الضنك والمسرات » واننا نعلم علم اليقين ان المسلمين لا يقبلون على تعضيد من يظن في دينهم وأمتهم وانه لم يكتب الى بعض أصحابه ما كتب الا ليثيموا ذلك فيكون تيمة للاعلان . وتذكر الرصيف المحترم بمجريدة كبيرة منتشرة في القطر المصري انتشاراً لا تطمع فيه الجمعة نقلت لنا في الاسلام مرة فكادت تسقط لئدة اعراض المسلمين عنها مع قوتها ورتها فكيف تبت الجامعة امام هذه الماصفة على ضعفها وبشره بان المسلمين شموراً يمزون به بين ما يبى وما يسر ولا يمكن ان يعضدوا من يظن بدينهم مهما كانوا مقصرين في خدمته . فقدم الشهرة خير من الشهرة السيئة فليترك الفزالي وغيره ويتكلم بما يعلم . فهو أنفع وأسلم ، وهذا آخر نصائحنا له أو اعلاننا له .

(النقل أمانة) ترى بعض الجرائد في هذه الديار وغيرها تنقل عن النار ولا تنزرو اليه . ومن ذلك ان جريدة المأمون القراء تنقل المقالات الطويلة من مجلدات النار السابقة تغير عناوينها او تقسم المقالة الى مقالات تحمل اسكل عنواناتها وكثيراً ما تسند المقالة الى عالم مجهول فنكتبه قال بعض علمائنا فقد ذكرها بوجوب اسناد الشيء الى مأخذه لأن النقل أمانة

بوقى الحكمة من بقاء ومن يأت
الحكمة فقد أتى خيراً كبيراً وما
يذكر الأول الألب

الاجتهاد

١٣١٥

ففسر عبادة الذين يستمعون القول
فنبهون أحسنه أو تلك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان الإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم السبت غرة شعبان سنة ١٣٢٠ - ١ نوفمبر (تشرين ٢) سنة ١٩٠٢)

الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية

(حرية العلم في أوروبا الآن . ونسبها الى الماضي والحاضر في الإسلام)

(وهو المقال السادس لذلك الامام الحكيم)

لم يبق علينا من الكلام الامتلاق بالأمر الرابع مما ذكرته الجامعة^(١)
وهو « ان تمكن العلم والفلسفة من التغلب على الاضطهاد المسيحي في
أوروبا وعدم تمكنهما من التغلب على الاضطهاد الاسلامي دليل واقعي على
ان النصرانية كانت أكثر تسامحاً مع الفلسفة »

ليس من السهل على أن أعتقد أن أديباً كصاحب الجامعة يقول
هذا القول وهو ناظر إلى الحقيقة بكلماته مع معرفته بلسان الغربيين

(١) يذكر القراء ان كلام الجامعة في الطعن بالإسلام كان مبنياً على أربعة أمور

تقدم الرد على ثلاثة منها وفي هذا المقال الرد على الرابع

وإطلاعهم على ما كتبوا في هذه المسألة وهي من أهم المسائل التاريخية -
وإنما هي عين الرضى تناولت من حاضر الحال ومما انتهى إليه سير التاريخ
مأثولت ثم أملت على قلبه ما جرى به قلمه

هل يصح أن تُسمى الاستكانة للغالب تسامحاً؟ وهل يُسمى المعجز
مع التطلع للأزاع عند القدرة حلماً، أم يُسمى غلّ الأيدي عن الشر بوسائل
القهر كرماء؟ هل تعد مساكنة جناب البابا ملك إيطاليا في مدينة واحدة
واجتماع الكرسيين العظيمين كرسي الملكة الإيطالية والملكة البابوية
في عاصمة واحدة تسامحاً من قداسة البابا مع الملك؟ أليس الأجدد بالمنصف
أن يسمي ذلك تسامحاً من الملك مع البابا لأنه صاحب القوة والجيش
والسلطنة ويمكنه أن يسلب البابا تلك الثمالة التي بقيت له من السلطة
الملكية؟ كما أن الأليق به أن يسمي تلك الحالة التي عليها أهل أوروبا اليوم من
طوائفة العلم بينهم بجانب الدين تساهلاً من العلم مع الدين لا تسامحاً من الدين
مع العلم بعد ما كان بينهما من الحوادث ما كان وبمعد غلبة العلم واستيلائه
على عرش السلطان في جميع الممالك ورضاه الدين بأن يكون تابعاً له في أغلبها
(اقتباس مدينة أوروبا من الإسلام . وأسباب ظهورها التام)

السبب الأول الجميات : كان جلاديين العلم والدين في أوروبا وتآلفت
لنصرة العلم جمعيات وأحزاب منها ما اتخذ السرّ حجاً له حتى تقوى
ومنها ما ابتدأ بالمجاهرة . وكان الدين يظهر بالعلم كما سبق بيانه لكثرة أعوانه
وضعف أعوان العلم حتى أشرقت الآداب الحممدية على تلك البلاد من سماء
لأندلس وتبع إشراق تلك الآداب واشتغال الناس بهما سطوع نور العلم
لعربي من الجانب الشرقي كما ذكرنا . وقد وجد هذان النوران استعداداً

من النفوس للاستضاءة بهما في السبيل التي تؤدي بهما الى المدينة التي كانا يحملانها. هذا الاستعداد كسبته الانفس بما ضايقها من غلو رؤساء الدين في استعمال سلطاتهم واشتدادهم في استبعاد العقل والوجدان حتى ضاق ذرع الفطرة عن الاحتمال فأخذ الشعوب الإنساني يتلمس السبيل الى الخلاص وإذا لاح له هذان التوربان اتخذها له هداية واستقبلها بوجهه وكان بعد ذلك ما كان من تأثر الدين لأهل العلم وإحراقهم بالنيران، ونفيهم من الأوطان، ومقاومة رؤساء الدين للحكومات ولأهل الأفكار المستقلة في أدنى الأشياء وأعلاها حتى إنه عند ما شرع ملوك فرنسا في فرش شوارع باريس بالبلاط على الأسلوب الذي وجدوه في مدينة قرطبة وصدر الأمر بمنع تربية الخنازير في تلك الشوارع أغضب ذلك قسوس القديس أنطوان ونادوا بأن خنازير القديس لا بد أن تمر في الشوارع على حرمتها الأولى . وحصل لذلك شغب عظيم اضطر الحكومة أن تسمح بذلك مع صدور الأمر بأن توضع في أعناقها أجراس . وقالوا ان الملك فيليب السمين مات بسقطة عن فرسه عند ما انزعج الفرس من منظر خنزير وصلصلة الجرس في عنقه لقائل ان يقول : ان القسوس في ذلك الزمان كان يمكنهم أن يمتنعوا من وضع الأجراس في أعناق الخنازير فرضاهم بذلك بعد تسامحا عظيما مع العلم (أو الصناعة) ويسهل علي أن أوافق على ان مثل هذا الضرب من التسامح في أجراس الخنازير كان يظهر من حين الى حين الا أنه فيما ظن لا يكفي في تشييد هذه المدينة التي ينتخر بها الأوربيون اليوم ونحن لا نبخسها قدرها كذلك

السبب الثاني الضغط الديني : شدة الحاجة وغلو الرؤساء كانوا يوقدان الصيرة في قلوب طلاب العلوم فلم تفر لهم همة فنهزم أمرهم واكتشفوا كثيرا من

الحقائق التي نعت العامة ونسبت اليها قول الأئمة أخذوا يمدون بيدها وصارت الحروب بينهم وبين رؤساء الدين سجالات إلى أن سر دعاة الإصلاح (البروتستانت) فانضم دعاة العلم اليهم نظماً منهم أن سيكونون معهم من المجاهدين في سبيل العلم. وكان منهم إراسم الشيرفيلما انتصر طلاب الإصلاح ودالت لهم دولة استمروا يعاقبون بالموت على الأفكار التي تخالف ضاهراً ما يتقدون كما تقدم فاتفق إراسم ومن معه من حماة الحرية واستقلال الارادة الشخصية وترك المصلحين يشرقون شياً ويقتل بعضهم بعضاً وقال: ما كنت أظن ان دعاة الإصلاح يكونون كذلك أعداء العلم

هذه الطوائف التي تفرقت عقائدها في الإصلاح لم تنظر إلا أن تأمن عدوها العام وهو الكنيسة الكاثوليكية الرومانية فلما امتنها أخذ بعضها يصول على بعض واشتعلت نيران الحروب بينهم . قال أحد أفاضل مؤرخيهم : « وكما ارتفعت طائفة منهم إلى عرش القوة لوثت يديها بالجرائم في العمل لإفناء البقية حتى سئمت النفوس دوام تلك الحال ووجدت من توالي حوادث الانتقام وظهور مضارته في كل طائفة ان الأفضل لكل طائفة ان تمنح الأخرى من الحرية ما لا تستغني عنه واحدة منها . والعلم كان يعمل عمله في كشف الحقائق وترقية الآداب وكان من أقوى المنبهات إلى مضار الحروب ومفاسد المدوان على حرية الأشخاص من أي طائفة كانت . من هذا نشأ ذلك الأصل العظيم أصل التسامح والرضى بمجاورة المخالف في الرأي . نشأ من القهر والقسوة التي كانت كل طائفة تعامل بها الأخرى » انتهى كلام المؤرخ بالمعنى

السبب الثالث الثورة : ولا حاجة بي إلى ذكر ما جاءت به الثورة

الفرنسية وكيف كانت قيامتها على الدين ورؤسائه مما هو معلوم . وإنما
أبى القارىء الى الاعتبار بما تقدم من القول ، وبما يمكنه ان يقف عليه في
كتب القوم ، ليعلم ان الدين المسيحي في أوروبا لم يحتل العلم فضلاً
وكساً ، بل انقوت عليه أحزاب العلم فسامره استكانه وخضوعاً ، ولو
كان في ذلك ما يستطعم الى ذلك سيلاً .

والذي يلاحظه في المسيحية : رؤساء الدين المسيحي رجال ذوو عزيمة
وغيرهم ، على دينهم قلما يدانهم فيها رؤساء دين من الأديان . وهم مع
علوم في الدين وانتمادهم في استعمال سلطانهم على النفوس كانوا ولا يزالون
يتخذون كل وسيلة لتأييد دينهم . وهم أشد الناس حرصاً على تقويم أركانهم
ودفع الشبه عنه ولم يزد العلم الجديد الا وسائل وسبل لترويض عقائده
وآدابه ولم تقتر لهم شمة في نشره وتزيينه للقلوب . ومع ذلك كله ترى
ان رجال العلم وحملة المدنية يتألمون منه ، والامة من الشعوب في تخاذل
عنه ، والامة الفرنسية التي كانت تدعى بنت الكنيسة أصبحت من أشد
الناس عليه ، ورائت فلسفتها أن تحدد حرية أهل الدين في تعاليمهم
واجتماعهم . كل ذلك ومدارس اللاهوت لا تزال عامرة وطلاب اللاهوت
يعدون بالألوف . كل ذلك وكثير من الدول ترى من مزايها حماية
الدين المسيحي في أقطار الأرض . قال أحد رؤساء البروتستان في خطبة
من خطبه التي ألقاها في بعض البلاد الفرنسية سنة ١٩٠١ بعد كلام له في أن
المسيحية رومانية أوروبية فقدت خاصتها الدينية كما فقدت قائمتها
الاجتماعية مانسه مترجماً : « اذا كان الدين المسيحي ليس شيئاً سوى
الكنيسة المحتاجة الى الاصلاح (المذهب الروماني) أو الكنيسة التي دخلها



الإصلاح بالفعل (المذهب البروتستانتي) فالتقوى نوعي فالمشرك زائل من
الإنسان (لا يكون مسيحياً أبداً)

وقد جاء في كلام عماد الخطيب منبراً يشرح بأنه يريد أن يطلب
للمسيحية معنى آخر ينطبق كل الانطباق على اعتماد المسلمين فيها فإن
وفق للنجاح في سعيه زال الخلاف -- ان شاء الله -- بين تشيخ والعلم
بين بين المسيحية والاسلام

عود الى ساحة الاسلام : أخذ بيد القارئ الآن ، وأرجع به الى ما مضى

من الزمان ، وأقف به وقفة بين يدي خلفاء بني أمية والأئمة من بني
العباس ووزرائهم ، والعلماء والمتكلمون والمحدثون والأئمة المجتهدون من
حولهم ؛ والأدباء ، والمؤرخون والأطباء والفلكيون والرياضيون
والجغرافيون والطبيعيون وسائر أهل النظر من كل قبيل مطبقون بهم ؛
وكل من قبل على عمله فاذا فرغ عامل من العمل أقبل على أخيه ووسع يده
في يده يصادق النقيه المتكلم والمحدث الطيب والمجتهد الرياضي والناظم
وكل من يرى في صاحبه عونا على ما يستقل هو به ، وهكذا أدخل به بيتاً من
بيوت العلم فأجد جميع هؤلاء سواء في ذلك البيت بمحدثون وبقاضون
والامام البخاري حافظ السنة بين يدي عمران بن حطان الخارجي يأخذ
عنه الحديث وعمر بن عبيد رئيس المعزلة بين يدي الحسن البصري شيخ
السنة من التابعين يتلقى عنه وقد سئل الحسن بن عمار يسأل :
« لقد سألت عن رجل كان في أزمنة أدبته وكان لأبيه ربه إن علم بأس
فعد به وإن قام بأس قام به وإن أمر بشي كان الزم الناس له وإن نهى
عن شي كان أترك الناس له ما رأيت ظاهراً أشبه بأطمن منه ولا باطناً

أشبه بظاهر منه « بل أرفع بصري فأجد الامام أباحنيفة أمام الامام زيد ابن علي (صاحب مذهب الزيدية من الشيعة) يتعلم منه أصول العقائد والفقه ولا يجد أحدهم من الآخر الا ما يجد صاحب الرأي في حادثة ممن ينازعه فيه اجتهاداً في بيان المصلحة وهما من أهل بيت واحد - أمرٌ به بين تلك المنهوف التي كانت تختلف وجربها في الطلب وغايتها واحدة وهي العلم وعتيدة كل واحد منهم أن فكر ساعة خير من عبادة ستين سنة كما ورد في بعض الاحاديث (١)

الخلقاء أئمة في الدين مجتهدون وبأيديهم القوة وتمت أمرهم الجيش والتمهات والمحدثون والتكلمون والأئمة المجتهدون الآخرون هم قادة أهل الدين ومن جند الخلقاء. الدين في قوته والمقيدة في أوج سلطانها وسائر العلماء ممن ذكرنا بدمهم يتمتعون في اكنافهم بالخير والسعادة ورفه العيش وحرية الفكر لا فرق في ذلك بين من كان من دينهم ومن كان من دين آخر فهناك يشير القاري المنصف الى أولئك المسلمين ، وأنصار ذلك الدين ، ويقول : ههنا يطلق اسم التسامح مع العلم في حقيقته، ههنا يوصف الدين بالكرم والحلم ، ههنا يعرف كيف يشق الدين مع المدنية ، عن هؤلاء العلماء الحكماء تؤخذ فنون الحرية في النظر ، ومنهم تسيطر روح المسألة بين العقل والوجدان (أو بين العقل والقلب) كما يقولون

(١) النار: رواء أبو الشيخ ابن حبان في العظمة عن أبي هريرة بسند ضعيف . ورواه من طريقه ابن الجوزي في الموضوعات. ولكن له روايات أخرى منها رواية الديلمي في مستند القردوس عن ألس بلفظ (ثمانين سنة) وفي رواية موقوفة على ابن عباس « خير من قيام ليلة » ولشهرة هذا المعنى قال الخزالي وردت السنة بكنا

يرى القاري أنه لم يكن جلا د بين العلم والدين . وإنما كان بين
 أهل العلم أو بين أهل الدين شيء من التخالف في الآراء شأن الأحرار
 في الأفكار الذين أطلقوا من غل التقييد ، وعرفوا من علة التقليد ، ولم
 يكن يجري فيما بينهم اللز بالأتاب فلا يقول أحد منهم لآخر أنه زنديق
 أو كافر أو مبتدع أو ما يشبه ذلك . ولا تتناول أحداً منهم يد بأذى إلا
 إذا خرج عن نظام الجماعة وطلب الإخلال بأمن الإمامة فكان كالعضو
 المجدّم فيقطع ليذهب ضرره عن البدن كله

(ملازمة العلم للدين . وعدوى التصب في المسلمين)

متى ولع المسلمون بالتكدير والتفسيق ، ورُمي زيد بأنه مبتدع وعمر
 بأنه زنديق ، ؟ أشرنا فيما سبق إلى مبدأ هذا المرض ونقول الآن إن ذلك
 بدأ فيهم عند ما بدأ الضعف في الدين يظهر بينهم وأكلت الفتن أهل البصرة
 من أهله (تلك الفتن التي كان يثيرها أعداء الدين في الشرق وفي الغرب
 تخفض سلطانه ، وتوهين أركانه) وتصدر القول في الدين برأيه من ثم
 تترج روحه بروح الدين ، وأخذ المسلمون يظنون أن من البدع في الدين
 ما يحسن إحداه لتعظيم شأنه تقليداً لمن كان بين أيديهم من الأمم المسيحية
 وغيرها . وأنشأوا ينون ماضي الدين ومقالات سلفهم فيه ويكتفون
 برأي من يرونه من المتصدين المتعالمين ، وتولى شؤون المسلمين جهنهم ، وقام
 بإرشادهم في الأغلب ضلالهم ، في أثناء ذلك حدث الغلو في الدين واستمرت
 نيران المداوات بين النظر فيه وسهل على كل منهم لجهله بدينه أن يرمي
 الآخر بالمروق منه لأدنى سبب . وكلما ازدادوا جهلاً بدينهم ازدادوا غلوًا
 فيه بالباطل ودخل العلم والتفكير والنظر (وهي لوازم الدين الإسلامي) في

جملة ما كرهوه ، وانقلب عندهم ما كان واجباً من الدين محظوراً فيه
لا أكاد أخطئ القاري إذا زعم أن المسلم إنما استفاد اسم زندقة
وترندق ومترندق وزنديق من فضل ما عطفه جيرانه إذ كانوا يقولون :
هرطقة وهرتق وهو هرتوقي . أو ما يماثل ذلك . أو زعم أن قد فشت في
المسلمين سرعة التكفير بطريق العدوى من أهل الملل المتشددة وإن الذي
سهل سريان العدوى بتلك السرعة الشديدة هو ضعف الزاج الديني عند
المسلمين بمجهلهم بأصوله ومقوماته ومتى ضعف الزاج استعد لقبول
المرض كما هو معلوم .

إن المسلمين لما كانوا علماء في دينهم كانوا علماء الكون وأئمة العالم .
أصيبوا بمرض الجهل بدينهم فانهزموا من الوجود وأصبحوا كلة الآكل
وطعمة الطاعم ، هل وقف الجهل بالمسلمين عند تكفير من يخالفهم في مسائل
الدين أو يذهب مذهب الفلاسفة أو ما يقرب من ذلك ؟ لا بل عداهم الجهل
على أئمة الدين وخدمة السنة والكتاب فقد حُمِلت كتب الامام الفزالي
إلى غرناطة وبعد ما انتفع بها المسلمون أزماناً هاج الجهل بأهل تلك المدينة
وانطلقت السنة التتالمين من البربر بتسقيقه وتضليله فجمعت تلك الكتب
خصوصاً نسخ « إحياء علوم الدين » ووضعت في الشارع العام في المدينة
وأحرقت . قال قوم يعدون أنفسهم مسلمين في ابن تيمية - وهو أعلم
الناس بالسنة وأشدهم غيرة على الدين - : إنه ضال مضل . وجاء على
أثر هؤلاء مقلدون عملاًون أفواههم بهذه الشتائم وطبهم أمها وإثم من
يقفون بها إلى يوم القيامة

حفظ أهال آثار السلف وحال علوم الدين وطلابها

أهل المسلمون علوم دينهم والنظر في أقوال سلفهم حتى أنك لا تجد اليوم في أيديهم كتاباً من كتب أبي الحسن الأشعري ولا أبي منصور الماريني ولا تكاد ترى مؤلفاً من مؤلفات أبي بكر الباقلافي أو أبي اسحق الإسفرائيني . وإذا بحثت عن كتب هؤلاء الأئمة في مكاتب المسلمين أعيك البحث ولا تكاد تجد نسخة صحيحة من كتاب . كتبت على القرآن تفاسير كثيرة في القرن الثالث من الهجرة وما بعده إلى السادس منها تفسير الطبري وتفسير أبي مسلم الأصفهاني وتفسير القرطبي وتفسير الجصاص وتفسير النزالي وتفسير أبي بكر ابن العربي وكثير غيرها وفيها من آراء أولئك الأئمة ووجوه استنباط الحكم والاحكام ما لا غنى لطالب علم الدين عنه . فهل يجد الباحث المجدد نسخة من هذه الكتب الجليلة يمكن الوثوق بصحتها إلا بطريق المصادفة وحسن الاتفاق ؟ وهل يليق بأمة تدعي أنها على دين وأن لها فيه سلفاً صالحاً أن تهجر آثار سلفها وتدع ما كتبوا طيبة لثمت وفراشاً للتراب ؟ هل وقع مثل ذلك من المشتغلين باللاهوت المسيحي في زمن من الأزمان ؟

إن حالة طلبة العلوم الدينية الإسلامية أصبحت مما يرثي له في أكثر بلاد المسلمين فهم لا يقرأون من كتب الكلام إلا مختصرات مما كتب الآخرون يتعلم أذكاهم منها ما تدل عليه عباراتها ولا يستطيعون أن يتعلم البحث في أدلتها وتصحيح مقدماتها وتمييز صحيحها من باطلها وإنما يتلقاها كأنها كتاب الله أو كلام نبيه صلى الله عليه وآله وسلم يأخذ ما فيها بالتسليم . فإذا ناظره مناظر في بعض قضاياها وعجز عن تصحيحه قطع الجدال بقوله

هكذا قالوا وان لم يكن القول منفتحا عليه بل قد يكون القول مما لم يقل به سوى صاحب الكتاب الذي اشتغل به وربما كان صاحب الكتاب من لو رآه أحد من السلف لم يرضه تلميذاً يعني عنه ما يقول .

كاد ينقطع طلب العلوم الدينية في سوريا والحجاز وتونس والجزائر وقل جداً في المغرب الأقصى ولم يبق الاهتمام به الا في بعض الصحاري وذلك إما بصعوبة طرق التعليم واقتضاها الزمن الطويل وحاجات الناس مانعة لهم من إقناء أعمارهم في عمل لا يبد من حاجتهم . وإما لتفضيل الآباء تربية أبنائهم على الطرق الحديثة في أوروبا أو في المدارس الأخرى وليس فيها من الدين شيء وان كان فيها شيء منه فهو مما لا يعد تملياً دينياً ينظر إليه . وإما لانتور والحمود ، الذي نشأ عن التقليد والجمود ؛ وبذلك تجد المسلمين قد تولاهم الجهل بدينهم ؛ وأخذتهم البدع من جميع جوانبهم ؛ وانتشرت الصلة الحقيقية بينهم وبين سلفهم ؛ حتى لو عرض على الجمهور الاعظام من ما اتفق عليه السلف من الأحكام لا نكروه واستغربوه وعدوه بدعة في الدين وصح فيهم ما قال عمر الخيام في بعض أشعاره الفارسية مخاطباً للنبي عليه الصلاة والسلام : « ان الذين جاؤا بعدك زينوا لك دينك ووشوه ووزر كشوه حتى لو رأته أنت لا نكرته » فهذا الصنف من المسلمين وهو معظمهم قد أنكر دينه الحق وعباده ونقم على أهله القاعين بخدمته وإنما اصطفى لاعتقاده بعض أفراد لم يعرف عن السلف اختصاصهم بالثقة ولم يسمح الدين باختصاصهم بالتقليد . فاذا وقع عن هذا الصنف ما فيه أذى للعلم وأهله فربما يمد ذلك واقفاً من دين الاسلام دين محمد صلى الله عليه وسلم دين القرآن دين السنة الثابتة دين الخلفاء الراشدين ومن تبعهم من السلف الأولين ؟



متابعة العلم للإسلام ومبادئه : العلم والأدب والخير والحق في الدين

العلم والأدب ياداهم إلا من يوم انحرافهم عن شربهم وأخذهم في نصبتهم عنه
فكلما بعد عنهم علم الدين بعد عنهم علم الدنيا وحرمو ثمار العقل ، وكانوا كالتوسعة
في العلوم الدينية ، توسعوا في العلوم الكونية ، وضربوا الزمان بسوط من
الترفة ، أما غيرهم فكلما اتصلوا بالدين وجدوا في المحافظة عليه تكريم العباد
وتجربتهم ، وكفروا وجهه للقائم . وكلما بعدوا من الدين سلمهم العلم وبش في
وجوههم ، وتلك تصرحون بأن العلم من ثمار العقل والعقل لا يصح ان يكون
له في الدين عمل ، ولا أن يظهر منه فيه أثر ، والدين من وجدانات القلب ولا
علاقة بين ما يجد القلب وما يكسب العقل . فالفصل تام بين العقل والدين
ولا سبيل الى الجمع بينهما . سألهم الله فيما يسمونه تسامح مع العلم ، وهم يصرحون
بأنه عدوه الذي يستحيل ان يكون بينه وبينه سلم ،

هل عرفت السبب في اضطهاد المسلمين للعلم ؟ أقول اضطهاد ولا
أريد به ما كان عند الأمم المسيحية من الاشتداد في إيادة أهله والتكثير
بهم واختراع ضروب التعذيب والتقتن في صنع آلات الهلاك مع الأخذ
بالشبهة ، والاكتفاء في الإعدام بمجرد التهمة ، فان ذلك لم يقع عند المسلمين
لا أيام علمهم ، ولا في أزمنة جهلهم ، ولكن أريد من الاضطهاد الاعراض
عن العلم ورعي الألفاظ الضعيفة في وجوه أهله وقد فهم بشي من الشتام
مع الابتعاد عنهم . لا ريب أنك قد أيقنت بأن السبب في هذا الذي
يسيه الأديب اضطهاداً إنما هو جهلهم بدينهم . فالدواء الذي يجع
في شفائهم من هذا الداء لا يكون إلا ردهم الى العلم بدينهم والتبصر
فيه للوقوف على أسراره والوصول الى حقيقة ما يدعوا اليه . كان الدين

واسطة التعارف بينهم وبين العلم فلما ذهبت الوساطة تناكرت النفوس
وتبدل الأتس وحشة

الدعاة الى الاسلام: فهل قام بينهم دعاة للعلم حقيقيون، أو دعاة لأصل
الدين عارفون، ثم استعصت قلوب المسلمين عليهم، وجمعت نفوسهم عن الانقياد
لهم، وهل كثر أولئك الدعاة في أطراف بلاد المسلمين كثرتهم في أوروبا من
أواسط القرن السابع عشر من التاريخ المسيحي الى ان ظهرت قوة العلم في أوائل
القرن السابع عشر وفيما بعد ذلك؟ لا، إنما رأينا من الصادقين أفراداً يظهرون
متفرقين في عصور مختلفة ربما لا يجتمع أربعة منهم فإني في قرن واحد وبأخذون
في العمل لما وجهوا اليه ثم لا يكادون ينطقون ببعض الكلم فيحس الناس بهم فيأخذ
الاستعداد هبته لمفارقة ما كان عليه واتباعهم حتى تشر السياسة (نعوذ بالله منها) بما
عسى يكون من أمرهم فتخمد أنفاسهم، قبل ان يبلغوا من قلب واحد ما أرادوا
من غرس أفكارهم، فينطق النور، ويندلمم الدجور، فهل يعد الأديب هذه
الضربات من أيدي أرباب السياسة اضطهاداً للعلم لأجل حماية الدين؟ إنزله
كل أديب عن ان يظن ذلك وإنما هي صدمات تقع على الدين لا تختلف
عن أمثالها مما يصيبه منهم مباشرة فلا تعد حجة على الدين في نظر المنصف
المقلد دون المقلد: ربما يقول القائل: ان كان المسلمون قد أخذوا الجود
في التقليد والنفرة من العلم والاعتقاد بالعداوة بين الدنيا والآخرة وبين العقل
والدين وما أشبه ذلك مما هم فيه وورثوه عن الأمم السابقة عليهم خصوصاً
أقرب الأهل اليهم، فما بالهم لم يقلدوا المسيحيين في الحرص على نشر دينهم
والتوسع في علومه مديلاً بما أخذوه عنهم ولم يقسموا أنفسهم قسمين كما قسم
المسيحيون إخوانهم قسمين قسماً ينقطع الى الآخرة في الأديار والصوامع

وقسا يشغل بالدنيا ليقبث نفسه ويقتبث أهل القسم الأول ويحمي نفسه ويحميهم من المدوات ؛ وما لك ترى المسلمين خلوا وارنحت أعصابهم وشتموا النظر في علوم دينهم كما ذكرت ثم صاروا أبعد الناس من معرفة الطرق لتحصيل الفنى والثروة ، والقبض على ناصية القوة وصولجان العزة ، وطرحوا أنفسهم في تيار من القدر كما يقولون ، يجري بهم الى حيث لا يعلمون ؛ ثم هم مع ذلك أحرص الناس على حياة ؛ وأشدهم لهفناً على الخطام ، فلا ترى الجمهور منهم في شيء للدين ولا للدنيا فإهذا التناقض ؛

فأقول له : انك قد نسيت ان المقلد يكون دائماً أخطأ حالاً وأخس منزلة من المقلد . فالمقلد إنما ينظر من عمل المقلد الى ظاهره ولا يدري سره ولا ما بني عليه . فهو يعمل على غير نظام ، ويأخذ الأمر لا على قاعدة ، ولذلك سقط المسلمون في شر مما كان عليه مقلدوهم لاسيما انهم قد خلطوا في التقليد وأضافوا الى دينهم مالا يمكن ان يتفق معه فصاروا في مثل حال المتخبط الذي تنازعه عدة قوى يذهب مع كل منها آناً ثم ينتهي أمره بعد الخيبة بالتمسك الشديد فيستلقي الى أن يستريح فينهض الى العمل على هدى أو يموت . لما كان المسلمون عذاه كانت لهم عينان عين تنظر الى الدنيا والأخرى تنظر الى الآخرة فلما طفقوا يقلدون أغمضوا احدى العينين وأقعدوا الأخرى بما هو أجنبي عنهم ففقدوا المطلبين ولن يجدوها الا بفتح ما أغمضوا وتطهير ما أقعدوا

الاصلاح والمصلحون : لا تامل أن تقول : كيف تدني أن دعاة العلم والمدين

قليل بين المسلمين مع أننا نسمع أصواتهم تتلاقى في جوار مصر وسوريا وغيرهما من البلاد في هذه الأيام . كل يقول : ديني ملتي ؛ اسلام مسلموني ؛ قرآن سنة ؛

يجد الإسلام القديم ساقه الصالحون: تعلم تعليم: كتب قديمة كتب جديدة، وما
 يشاكل ذلك مما يظهر منه ان الداعين الى العلم أو المنهين الى الاخذ باصول الدين
 الاسلامي كثيرون ولا ترى مع ذلك من اغلب المسلمين الا اذا ناصموا وعينا
 غمياً وسدوا عما يدعو اليه هؤلاء، ويعتقدني أن أقول له: ان الصادق في هؤلاء
 ليس بكثير عنه، والجمهور منهم قلما يخلص قصده، وما نجد أكثرهم الا
 متعرجين بينه بكلمات، الكذب بعض شريهات: ويظهر لك ذلك من
 أنهم يلقون هذه الاسماء وقلما يدرسون شيئاً من مدلولاتها ايقنوا على
 الحقيقة منه وإنما يلقف بعضهم عن بعض ظواهر كأن لا تمكث في
 الارض، أما الصادقون على قلوبهم بقديداً بعض الناس يسمعون ما يقولون،
 ويطلبون الرشد مما يملكون، خصوصاً في أمر الدين والجمع بينه وبين
 مصالح الدنيا لاسباب في بلاد الهند وبين مسلمي روسيا. ولكن الإصلاح
 ليس ريمحاً تب فتمسح الأرض من الشرق الى الغرب في وقت قريب فانتظر
 قديقول القائل: لم تم يكثر هؤلاء كثرتهم بين الأوربيين فيما مضى
 حتى يغلبوا الظالمين من أهل السياسة ويستيلوا المادلين منهم اليهم،
 ونهضوا بالمسلمين من هذه الرقعة التي طال أمدها عليهم؟ ولم لا يزال
 أهل البصر منهم قليلين، تفرقتهم يهسون بالقول ولا يجهرون، وليس
 للعلم فيهم دعاء مليون؟، أليس ذلك سبيلاً لمواخذه الإسلام وحجة
 عليه؟ وأقول له: ان حظ المسلمين لا يصح ان يكون أسعد من حظ
 مقلديهم بل المتظر ان يكون أتمس وقد أقامت المسيحية ما يزيد على الف
 سنة قبل ان يظهر فيها العلم أو تنشأ الحرية الشخصية؛ أو تسري فيها الحركة
 العملية، الى ما فيه صلاح الجمعية الانسانية، مع توالي المنهات؛ وتواصل

الصددمات إثر الصددمات ، ولم يمض على المسلمين من يوم استحكت فيهم البدعة وأطبقت عليهم ظلم المحدثات ودخلوا ججر الضب الذي دخله من كان قبلهم الا أقل من ثمانمائة سنة فلم يمض عليهم وهم في بدعهم الجديد ذلك الزمن الذي قد يكون عمرا مثل هذه الحالة ثم تقضي نحبها في آخره . وما أظن ان يمر على المسلمين مثل تلك المدة قبل ان يبلغوا من صلاح الدين والدنيا ما هم أهل له

الفرق بين التعصين: وعلى كل حال لا يجوز في شريعة الانصاف أن يذكر المسلمون في جانب جمهور المسيحيين اذا ذكر الغلو في التعصب الديني فضلا عن ان يقال ان المسلمين أشد إفراطا فيه . والشاهد يدلنا على انه قد يكون للمسلمين في التعصب الفاظ وكلمات ، ولكن الذي يكون من جمهور المسيحيين إنما هو أعمال و ضربات في انما اسلات ؛ وما على طالب الحقيقة الا ان يسبح بفكره في المستعمرات الهولندية في الشرق ومثل مملكة الترنسفال قبل سقوطها وبلاد النانال في الجنوب ثم يرجع الى بعض بلاد روسيا في الشمال من قبل عشرين سنة ثم يرجع الى الجزائر وما يليها في جهة الغرب ليعلم كيف تكون الشدة في المعاملة مع غير أهل المذاهب المسيحية وكيف يبلغ التعصب من أهله حدا تنظر اليهم فيه الانسانية شزراً ، ولا تقبل لهم فيه المدينة عذراً

ما على الباحث الا أن ينظر فيما يكتبه الكتاب الفرنسيون ليعلم أنهم في حيرة من أمرهم مع المسلمين . يريدون أن تكون حكومتهم طمأنينة فيما ملكت من بلاد المسلمين ولكن حكومتهم لا تجد السبيل اليها مع ما اتخذته قاعدة لعملها وهو الشدة والافراط في القسوة على المسلمين خاصة

وخدم دون سواهم، وأرباب الأعلام يبحثون عن تلك الطمأنينة مع المحافظة على تلك القسوة ويأبى الله أن يشرهم على ما يبحثون عنه لأنهم يطلبون الجمع بين التدين في موضوع واحد وهو محال كما يقرره فلاسفتهم

رأى هانوتو الأخير في معاملة المسلمين

موسيو هانوتو أطلق لقلبه من سنوات أن يجري في البحث عن طريقة حكم للمسلمين وقاعدة لمعاملتهم في البلاد التي يحكمها الفرنسيون وجاء في فصول مقاله بما لا يزال يذكره القراء، ثم بعد أن قتل المسألة علماً ثلاث سنين رجع إلى موضوع البحث هذه السنة بإسنان غير الذي كان ينطق به ورأي غير الذي كان يصدر عنه، وإني ذاكر المخلص ما نقلته الجرائد من خطابه الذي ألقاه في المجمع الجغرافي في شهر مارس من هذه السنة متعلقاً بأفريقيا واقصر منه على ما يتعلق بما نحن فيه وهو بالمعنى: « أن التواعد الجديدة التي يجب أن يكون عليها العمل في أفريقيا هي مخالفة للتواعد القديمة التي كانت تجري عليها السياسة الاستعمارية فيما مضى من الزمان » (أي قبل ساعة وقوف الخطيب لالقاء خطابه) ثم بين هذه التواعد الجديدة التي يعامل بها المحكومون فقال لهم الأمان والسلام ثم قال: « إننا مدينون لهم بالعدل والسلام كما أننا مدينون لهم بالإنسان الذي ولست أشير إلى هذا الموضوع الخطير الذي له علاقة بكل ما يثير النفس البشرية إلا إشارة خفيفة فأقول: إن التمدن الأوربي يجد في طريقه في أفريقيا لاسيما في شمالها ذلك الدين القديم العظيم الذي هو دين الإسلام والذي هو في هذه الجهات (شمال أفريقيا) أكثر نشاطاً منه في غيرها، وهذا الدين يدعو إلى آله واحد ويجعل الإيمان بالتوحيد مصدراً لكل الفضائل

الذاتية والاجتماعية والسياسية التي تؤمن به استيلاء شديد على النفوس والنفوس على النفوس منه . فمن المروض علينا التساهل في مثلنا الشأن في التساهل بكاف وحده فمن الواجب ان ندرس هذا الدين ونبتل جهدها في فهمه . وعلينا ان نخذ الكلمة الاسلامية « لا إكراه في الدين » شعاراً لنا لا نخرج عن حدود معناها . وان نحترم الدين الاسلامي ونحميه من كل طارئ سوء . ولا بأس بذكر كلمة للأمير عبد القادر الجزائري في هذا المقام وهي : « إن أختاب الأديان الثلاثة يشبهون ثلاثة اخوة من ثلاث أمهات » انتهى محصل كلام هانوتو . قبل الكلام عليه أسأل القارئ هل سمع مثل هذه الكلمة ممن يمائل الأمير عبد القادر في نسبة الى الى صاحب الرسالة ومقامه في أهل دينه ومكانته من سلامة متبينة في في مذهبه ؟ أو سمع ما يقرب منها ممن لا يدانيه من أهل المال الأخرى ؟ ترى هانوتو يرشد أهله الى اتخاذ سبيل جديدة في سياسة المسلمين وهذا الجديد هو السلم والأمن والتساهل مع المسلمين في أن يستمر المسلمون واحترام حقوقهم وركم يعملون بدينهم ، وعد هذا مبدأ جديداً لم يسبق الجري على مثله ، وهل تجيب الحكومة الفرنسية بطلبه ؟ مسألة فيها نظر . فهل يليق بمنصف ان يذكر المسلم اذا ذكر التعصب مادام في الكون مثل هذه الدرجة منه ؟

﴿ سياسة الانكاز في التسامح ﴾

نم نحن لانكر ان بين الأمم الاوربية أمة تعرف كيف تحم من ليس على دينها وتعرف كيف تحترم عقائد من تسوسهم وعوائدهم وهي الأمة الانكازية فهي وحدها الأمة المسيحية التي تقدر التسامح حق قدره .

ولا يسمي علينا أن نقول : إن - نشأ ذلك أن أمراء عافى الحروب الصليبية وقواد جيشها كانوا من أشد الصليبيين علاقة بساطان المسلمين وأمراء جيشه . وقد امتاز الانكليز في ذلك الزمن المظلم بدرس عقائد المسلمين وعاداتهم فحماوا من ذلك شيئاً كثيراً إلى بلادهم ولم تحجبهم غشاوة التصيب عن إبصار ضوء الحق وظهور أثر ذلك في أفلام كثير من كتابهم مثل واتر سكوت وشيل وغيرهما قبل أن يظهر في أفلام الكاتين من غير الانكليز بأزمان طويلة . فلنا أن نقول ولا نخشى لاحقاً : إن هذه الخصلة الشريفة - خصلة إطلاق الحرية لأهل الدين يتمنون بأداء فرئضه مع احترام واحترام - هي من أجل الخصال وربها غير المسلمين عن المسلمين . وهل أجد من يأتي على القول بأن الاسلام السليم من البدع هو أستاذ الانكليز وعنه اخذوا هذه الخلة ؟ الا ترى ان نظامهم في ذلك يقرب من نظام المسلمين يوم كانوا مسلمين : يكتبون من الناس بالخضوع للقوانين واداء ما أمرض عليهم من الضرائب ثم يحفظون نظام العدل بينهم بقدر ما تسمح به السياسة لا يفرقون بين دين ودين . وهكذا كان حال المسلمين وان كان ذلك على قاعدة ابر وارحم

خاتمة : فان قال قائل : أليس لهذا المقال من آخر؟ أليس في طول الكلام مجلبة الملل ، وترويح الكسل ، قلت اني أوجه كلامي هذا الى أهل النهم الى الفهم ، وأرباب الشره الى المعرفة ، ولا أظن هؤلاء الا طالبين ما هو أوسع من هذا المقال وأطول منه اضمافاً مضاعفة لأن الموضوع جليل ، والكلام فيه . بها كثر قليل ، وأما القارئ الملول ، فعليه بدخول ، وعزمه منلول ، وفكره منلول ، وهو قصير الامة فيما يتيسر من باب الطول ، فلا

عليه في الملأ عينه من هذه الحسابات بعد ذلك و
بعد ذلك انما هو في حيزه من هذه الحسابات

البدع والمحدثات فيه والملأ التي نسبت بالمسلمين بسببها فرصة أخرى
وقبل أن أترك القارئ أنبهه إلى أن ما أجمل في هذه الفصول لم يقصد
به الطعن في حال أحد من الناس ولا طائفة من الطوائف كما يعرفه القارئ
نفسه من لباس المعاني وما يكسوها من الأدب والتزه عن كل كلمة تسم
منها رائحة الميب على آخره . وقد يعلم من هذه النزاهة ان هذا رأي طبخناه
لنطعمه بأنفسنا ، ونفق منه على من تلزمنا نفقته من أهنا ، ولم يكن يختر
بالنا عند ما أجدنا طبخه ان نبيض منه على غيرنا ، لكن اذا عشنا الساري
إلى ضوء نارنا ، وطلب القري منا فاسمنا ، والدينا ، وعرضنا عليه آخر من
نفس الحياة ، واهنا من خلق الأناة : ان شاء الله ، اه

(الدار) من عيب الاتقى أنه بعدنا كتب هذا المقالات ونشر بعضها
ظهرت تلك المقالة في كوريت الانكليزي التي نشرت في المؤيد جاءت
شاهدا مؤيدا لما كتب الكاتب في فضل الإسلام وفي صفات الانكليز
وسنلخص قوله في الإسلام بالمقالات التي كتبت على حمتها في كتاب بعنوان
القراء بان هذا الامام وعد بان يكتب مقالا آخر ملحقا بهذا في بيان ان ما نشر
على الإسلام من البدع وما لحقها من الجمود سيكون هو السبب في الرجوع
إلى الأصل وإعادة مجد الإسلام ولعلها تنشر في الجزء الآتي

وقد باع كتاب (الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) نحو مئتي صفحة
وسنزيد شهادة الكاتب الانكليزي ثم مقال الامام الموعود به . وقد طبع على
رزق جيد وجملنا منه مع هذا خمسة قروش صحيحة فقطار غبة في سعة انتشاره

﴿ باب الأسئلة والأجوبة ﴾

(حدوث العالم في نظر الإسلام والفلسفة)

(س ١) المولى رضاء الدين افندي قاضي القضاة وعضو الجمعية الإسلامية المامل في اوقاف (روسيا) : قد طال النزاع وقوي الجدل وكثر في هذه الأيام القليل والقال بين الناس في هذا القطر في مسألة حدوث العالم من جهةها الشرعية . فبعضهم يقول : ان الاعتقاد بالحدوث الزماني حسب ماقرره علماء الكلام من متأخري المسلمين فرض على العباد مثل الاعتقاد بوحدة الله تعالى وصدق رسوله وسائر الاعتقادات الواردة في القرآن الشريف . وبعضهم يخالفه ويقول : ان الاعتقاد بحدوث العالم حدوثاً زمنياً لا يكلف به الشرع ولا أخبر به النبي ولا نطق به القرآن الكريم بل هو من آراء أهل الكلام ويدعهم أخذوه من فلاسفة اليونان ولقنوه العوام باسم الدين وما هو من الدين أصلاً . بل هو من باب الدين بالرأي . وانما الواجب على المسلمين هو اعتقاد ان العالم مخلوق له تعالى من غير تعرض الى حدوثه بالزمان أو بالذات . وهو الذي نطق القرآن به في عدة مواضع . وبالجملة ان القول بالحدوث الذاتي أو الزماني انما هو من مسائل الفلاسفة لانماق له بالشريعة . ولما كانت جريدة المنار هي الجريدة الدينية الوحيدة جئنا الى حضرتكم نستفسر رأكم في هذه المسئلة ونشره أيضاً في أحد أعدادها ويكون هو ان شاء الله تعالى الفاصل بين الحق والباطل .

(ج) ان الصواب في الرأي الثاني . وما كان لدين الفطرة . مقرر الحثيفة السجدة . الذي ظهر في الامين ، ودعا اليه المتوحشين والمدمنين ، ان كل يكلف كل فرد في نصحيح الايمان ، بنظريات فلاسفة اليونان ، والخبير بين تلك الخلافات في الحدوث بالزمان والحدوث بالذات . ثم خلاقات الفلاسفة مع أهل الكلام ، في أصل وجود الزمان . فالتكلم يقول انه امر اعتباري ، والفيلسوف اليوناني يقول انه وجودي ، وانهم الممارك بحارب الباحث فيها غير عدو حتى اذا أعيان من مقارعة الدليل بالدليل ، ونفض عنه غير القال والقليل ، رجع الى أحد الأمرين — وقوف الحبرة أو دين الفطرة ، المقصد الاول من مقاصد القرآن الميين ، تقرير عقائد الدين ، ثم هو لم ينطق بكلمة من مادة الحدوث للاعيان ، لا بحسب الذات ولا بحسب الزمان ، فللناظر ان يقول : ان أطراد السنن الآلهية ، في العوالم العلوية والسفلية ، ووحدة النظام مع الاتقان ، في جميع هذه الاكوان . يدلان على ان لها خاتماً علياً . تدرأ حكماً .

حياً قيوماً ، لا إرادة لإرادته ، ولا معقب لحكمه وحكمته ، وأنه لا يدركه العلم ،
النظام المشهود ، في جرم الوجود ، وبهذا يكون مؤمناً بالبرهان ، وبه الطريق القرآني ،
وان لم يختار برأيه حدوث الذات ، حدوث الزمان ،

أما مسألة حدوث انفس في نظر الفلاسفة فالمتفق عليه عند فلاسفة المعتزلة ان كل ما وراء
ونحس به من هذه العوالم الأرضية والسماوية فهو حادث بمعنى أنه لم يكن كما هو الآن
ثم كان ، والكن عضلة المقدم عند المتقدمين والمتأخرين ، هي مسألة نشأ التكوين ،
وهم متفقون على ان الوجود المطلق قديم وان المدم المطلق لاحقة له ولا يتصوره
العدل وأنه لا يحدث شيء من الاشياء ، فالفلاسفة والمتفلسفون يحسمون ان مسألة
المسائل القطعية ، لا تطبق على الاديان وان سماوية ، ونحن نشود ، انها هي التي جرى
عليها القرآن ، فقررها الاسلام فليس في كتاب الله تعالى آية تدل على ان الوجود
الحقيقي ، صدر عن المدم الحيائي ، بل قال : « وخلق كل شيء فقدره تقديراً » وخلق
لعله القريب وهو لا يمكن في المدم ، بل في « ايام ير الذين كفروا ان السحاب
والارض كانتا رتقا ففتقنهما » وقال : « ثم اسنوى الى السماء وهي دخان فقال لهم
والارض انبثا لورا لورا فاستجابوا لها ففككتها سحابا » وعلت المسألة بغيرها
من الوجود الذي انما يمكن حدوثه وأنه صدر عن وجود واجب قديم
لانعرف حقيقة ولا كيفية صدره عنه وانما قام البرهان بأنه صدر بإرادة وهدرة
وعلم وحكمة ، وذلك ما ذكرناه من وحدة النظام والاحكام واطراد التواءيس والسفن .

دعوى كتابة النبي التركية . (ص ٢) ومعه : قال الفاضل الربيعي القرطبي

صاحب « ناطورة الحقي » في رسالته « مستفاد الاحبار » : ان حدثت ابي حريزة
المذكور في أسد الغابة لفظه مع بعض النصارى ص ٤ ص ١٤٠ . فع فيه عذرا عظاما
وقت طبعه والصواب ما في النسخة الخطية في زمان قريب من عصر المؤلف ابن
الأثير رضي الله عنه ، وهو هكذا : « وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب
امير ومن معه كتاباً تركياً ذكره . فان رواه نقاوه بالفاظ عربية وبدلوها وصحفوها
تركانها لذلك » . ولما لم يكن لدينا نسخة أخرى سوى المطبوعة المذكورة انقلبنا
رجونا من حضرتكم متابله النسخة المطبوعة مع الأصول المصححة خدمة للمعلم
والدين ثم بيانه لنا لتكون على بصيرة من ذلك وأجركم على الله .

(ح) ان يكن التحريف والتبديل في النسخة المطبوعة وانما كانا في رسالة

الفاضل القزاني « مستفاد الأخبار » فان ما كتبه عن النسخة الحطية هو عين ما في النسخة المطبوعة الا أنه صحف لفظ « تركنا ذكره » بقوله « تركنا ذكره » ولفظ (غريبة) بلفظ (عربية) فكان التبديل والتحريف ، من هذا التصحيف ، وسببه ان النسخة الحطية التي رآها غير منقوطة فأوقمت الفاضل فيما رأيت ، وما كان مثله أن يظن ان النبي صلى الله عليه وسلم يكتب لقوم من العرب كتاباً تركياً فان جاز أن يعرف هو التركية من طريق المعجزة فمن أين لم يعرف وقومه بني أسلم علم ذلك ؟ وما هو الداعي الى مخاطبة العرب بلسان المعجم ؟ ثم ما كان مثله أن يخفى عليه ان كلمة (ذكره) بمد كلمة (تركيا) لامعنى لها ولكن معناها ظاهر اذا كانت الكلمة (تركنا) وهو أن المصنف ترك ذكر الحديث لوقوع التحريف فيه وسبب التحريف وجود الالفاظ الغريبة التي لم يفهمها رواه . أما عبارة الكتاب فهي كما في ترجمة عمير بن أفضى الاسامي : « روى أبو هريرة قال قدم عمير بن أفضى في عصابة من أسلم فقالوا يا رسول الله انا من أرومة العرب فكافي المدو بأسنة حداد ، وأذرع شداد ، ومن ناوانا أوردناه السامة ، وذكر حديثاً طويلاً في فضل الانصار وان رسول الله صلى الله عليه وسلم كتب لعمير ومن معه كتاباً تركياً ذكره فان رواه نقلوه بالفاظ غريبة وبدلوها وصحفوها تركها لذلك أخرجه أبو موسى اه وقد قابلنا النسخة المطبوعة بنسخة خطية في مكتبة الحكومة المصرية كتبت في سنة ٧٢٢ أي بمد وفاة ابن الأثير بأقل من قرن فالفيناها مطابقة لها

السلام على غير المسلم : (س ٣) الشيخ بسطوي سي بركات بالمحلة الكبرى : قال الله تعالى « وَإِذَا حُيِّتُمْ بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنِهَا أَوْ رَدُّوْهَا » وقال تعالى « وَلَا تَقْرَبُوا إِنَّ أَلْتَى إِلَيْكُمْ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا » وقال « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَتَسَلِّمُوا عَلَى أَهْلِهَا » الآية . فهل هذا الإطلاق في الآيات الكريمة يشمل المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب وغيرهم من بني آدم أم هو خاص بالمسلمين قيدت إطلاقه عليهم أحاديث صحيحة صريحة ؟ وهل قوله صلى الله عليه وسلم فيها معناه : ان من حق المسلم على المسلم إفتاء السلام . يعتبر من قيود الإطلاق لفهم البعض سقوط حق غير المسلم أم لا ؟ واذا قيل انه عام فهل ينبغي شيوعه بين الطوائف حتى يصير عادة مألوفاً أم لا ؟

(ج) إن الاسلام دين عام ومن تماسده نشر آدابه وفضائله في الناس ولو

بالتدريج وجذب بعضهم إلى بعض ليكون البشر كلهم أخوة . ومن آداب الإسلام التي كانت فاشية في عهد النبوة إقباء السلام إلا مع المحاربين لأن من سأم على أحد فقد أمنتَه فإذا فك به بعد ذلك كان خائناً ما كنا نعهد . وكان اليهود يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم فيرد عليهم السلام حتى كان من بعض سفهائهم تحريف السلام بلفظ (السَّام) أي الموت فكان النبي صلى الله عليه وسلم يجيبهم بقوله « وعليكم » وسميت عائشة واحداً منهم يقول له : السَّام عليك . فقالت له : وعليك السام واللغة . فأنهرها عليه الصلاة والسلام میناً لها أن المسلم لا يكون فاحشاً ولا سيئاً وإن الموت علينا وعليهم . وروى عن بعض الصحابة كابن عباس أنهم كانوا يقولون نادى : السلام عليك . وعن النبي من أئمة السلف أنه قال انصرتني سام عليه : وعليك السلام ورحمة الله تعالى . فقيل له في ذلك فقال « أليس في رحمة الله بيمس » وفي حديث البخاري الأمر بالسلام على من تعرف ومن لا تعرف . وروى ابن المنذر عن الحسن أنه قال « فحيوا بأحسن منها للمسلمين » أو ردوها « لأهل الكتاب . وعليه يقال للكتابي في رد السلام عين ما يقوله وإن كان فيه ذكر الرحمة

هذه لمة مما روي عن السلف ثم جاء الخلف فاختفوا في السلام على غير المسلم فقال كثيرون أنهم لا يبدأون بالسلام لحديث ورد في ذلك وحلوا ما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما على الحاجة أي لا يسلم عليهم ابتداءً إلا الحاجة . وأما الرد فقال بعض الفقهاء أنه واجب كرد سلام المسلم وقال بعضهم أنه سنة وفي الحانية من كتب الحنفية ولو سلم يهودي أو نصراني أو مجوسي فلا بأس بالرد . وهذا يدل على أنه . إجماع عند هذا القائل لا واجب ولا مستحب مع أن السنة وردت به في الصحيح أما ما ورد من حق المسلم على المسلم فلا ينافي حق غيره فالسلام حق عام ويراد به أمران مطلق التحية وتأمين من تسلّم عليه من الغدر والإيذاء وكل ما يسيء . وقدرى الطبراني والبيهقي من حديث أبي أمامة : « إن الله تعالى جعل السلام تحية لأمتنا وأماناً لأهل ذمتنا » . وأكثر الأحاديث التي وردت في السلام عامة وذكر في بعضها للمسلم كما ذكر في بعضها غيره كحديث الطبراني المذكور آنفاً

أما جعل تحية الإسلام عادة فنصدي أن ذلك مطلوب وقد ورد في الأحاديث الصحيحة أن اليهود كانوا يسلمون على المسلمين فيردون عليهم فكان من تحريفهم ما كان سيئاً لأمر النبي صلى الله تعالى عليه والسلام بأمر المسلمين أن يردوا عليهم

بإفظ « عليكم » حتى لا يكونوا مخدوعين للمحرفين . ومن مقتضى القواعد أن الشيء يزول بزوال سببه . ولم يرد أن أحداً من الصحابة نهى اليهود عن السلام ، لأنهم لم يكونوا يحفظوا على الناس آداب الإسلام ، ولكن خالف من بعدهم خالف أرادوا أن يتموا غير المسلم من كل شيء بما به المسلم حتى من النظر في القرآن وقراءة الكتب لئلا تتعلم على آياته وظنوا أن هذا تعظيم للدين ، وصون له عن المخالفين ، وكما زادوا بعداً عن حقيقة الإسلام زادوا أيضاً في هذا الضرب من التعظيم ، وأنهم يشاهدون التصاري في هذا العصر يجتهدون بشردنيهم ويزعون كثيراً من كذب على الناس مجانباً ويملكون أولاد المخالفين لهم في مدارسهم ليقربوهم من دينهم ، ويجتهدون في تحويل الناس إلى عبادتهم وشمارهم ليقربوا من دينهم حتى أن الأوربيين فرحوا فرحاً شديداً عندما وافقهم خديو مصر الأسبق على استبدال التاريخ المسيحي بالتاريخ الهجري وعدوا هذا من آيات الفتح . ونرى القوم الآن يسعون في جعل يوم الأحد عيداً أسبوعياً للمسلمين يشاركون فيه التصاري بالبطالة . ومع هذا كله ترى المسلمين لا يزالون يحبون منع غيرهم من الأخذ بأدابهم وعاداتهم ويزعمون أن هذا تعظيم للدين ، وكأن هذا التعظيم لانهائية له إلا حجب هذا الدين عن العالمين ، إن هذا هو البلاء المين ، وسير جمعون عنه بعد حين ،

باب التوسل بالتعلم

الأزهر والأزهريون . وقاضل هندي

(الرسالة الثانية مما وعده الشيخ عبدالعزى المريني الأزهرى والأولى نشرت في الجزء ١٠)

(من القاهرة إلى حيدرآباد)

إليك أيها الأخ سلام صديق طبع قلبه على الإخلاص لك ، وارتبط بأسباب محبتك ، وشكوى شوق قد برح في برحها . لا أستطيع له شرحاً ، وبمد فقد ذكرت لك في رسالتي السابقة طرقاً من نظام مدرسة الأزهر وطرق التعليم بها على وجه الجملة والآن أريد أن آتي لك بمباراة أوسع وتفصيل أشنى على كل ما رأيت من نظام طلابها وسلوكهم مناهج التحصيل مقتفياً أثر الطالب في كل دور من أدوار طلبه من إبان

دخوله فيها حتى يترشح لنيل شهادتها ميئاً لك قوته وما حصل عليه في كل دور منها
 زرت أيها الاخ تلك المدرسة من تاريخ الرسالة الأولى حتى اليوم زورات متعددة
 في أوقات مختلفة وقفت فيها على تلك الدروس وقفة العاشق الذهب على الربيع الحليل
 وهو يبكي لأناس عاهدوا الرحيل على أن لا يعللوا التذميل

فكانت نتيجة ذلك البحث الدقيق والتقرير المتواصل ان ظهر لي ما عليه تلك
 المدرسة الواسعة الكثيرة العدد ووقوفها على مواضع خللها وسوء نظامها على ما أنا
 عليه من القرية وبعد الدار ورأيت أن أجعل كل موضوع رأساً مستقلاً بنفسه
 أذكر فيه كل ما استبان لي من التقدير كما سيربك ان شاء الله

انتظام الطلبة : وأول أمر رغبت في كشف سره وبيان سببه من أمور هذه المدرسة
 هو سبب كثرة طلابها حتى بلغوا التسعة آلاف أو يزيدون وأغلبهم من المصريين كما
 قدمت لك في رسالتي السابقة فكان غاية ما وقفت عليه من ذلك ما سمعته هنالك من الخ
 ثقة خير قال : لا يكاد يمر الانسان ببلدة من البلدان المصرية أو قرية من قرىها حتى
 يرى مئات من شبان المصريين حلقاء القرية وضيق ذات اليد وهم يطاردون الجوع
 بالقمح والمحراث وتمضية يومهم الطويل في الحقول وللزراع والتعب والتصب تحت شمس
 مذيب بوجهها رأس الضب . ومن بينهم أفراد لا يكاد يخلو منهم بلد من البلدان أو قرية
 من القرى معطلون عن كل عمل يطلقون عليهم تارة لقب الفقهاء أو الوعاظ وطوراً اسم
 المأذونين يرى الواحد منهم في جبة وقباء وعمامة مجرأياً كل جيب ساعات نهاره ما متر بما في يده
 خالياً من كل عمل أو قاعداً في إحدى الزوايا ينثر من فيه على بسطاء أهل الفلاحة
 ما يسمونه وعظاً وارشاداً وما هو الا أقاصيص أو لغو في حكمها يدعوا الناس به الي
 حب التواكل والبطالة حتى اذا أتى على آخر الدرس لبث مكانه منتظراً ما تدبر به
 أيدي أولئك العملة الساكنين الذين لم يحصلوا على الدرهم الا طراداً ولم ينالوا
 اللقمة الا جهاداً . ومن ذلك يتألف هؤلاء المظلمين عيشة لانصب فيها ولا نصب فاذا
 رزق الله أحد الفلاحين الفقراء ولداً وقع بين تارين ما أن يدعه يشتغل بما يشتغل
 هو به فيعيش عيشة البؤس والخصاصة وإما ان يدفع به الى الأزهر ويثابر على أن يقسم
 له ما يناله من الأجر على أعماله حتى يمضي عليه عدد من السنين فيخرج منه وقد
 ترشح لأن يأكل من أوساخ الناس ويميش عالة على العباد متوسداً الراحة من
 عناء كل عمل . فاذا ترجع عنده الامر الثاني دفع به الى الأزهر وأخذ يجري عليه

من النفقة ما يقطعها من قوت يومه الضروري . لذلك لانكاد نجد في المائة واحداً من الطائفة من البيوتات الشريفة التي يعمل أهلها لمستقبل شريف كالتضاء والافتاء . فانت اذا سرت في ساحة تلك المدرسة فاعما تشق أجساماً تنبوعاً عن رؤيتها النفس وهم مختلفون متبثرون ليس لهم نظام ولا ترتيب . ويفلب ان يكون سن الطالب عند اندراجه في سلك الازهرين . ما بين الخامسة عشرة الى التساين . وقد كان امتحان الدخول في هذه المدرسة بسيطاً قاصراً على معرفة القراءة والكتابة اما اليوم فهم يشترطون مع ذلك حفظ جميع القرآن للكفيف ونصفه لغيره .

ولأجل ان تمكن من أن أبين لك ادوار الطلاب هناك وأوقفك على قوته في كل دور منها اقسماً الى ثلاثة ادوار كل دور ثلاث سنوات فيكون المجموع اثني عشرة سنة . وهي أقل مدة أمكن بعض الطلبة نيل الشهادة فيها

الدور الاول : يتقدم الطالب الانتظام في الازهر وهو في السن الذي قدمت لك فان كان من الفلاحين (وهو الاغلب) رأى نفسه قد استقل طرفة من بين رعاه الشاء، الى حلقات المدرسين ومجالس العلماء، وان كان من البيوتات الكبيرة والأسر الخاصة (وقليل مامهم) انتقل المسكين وثبة في يوم واحد من نعم العيش وحسن الحال الى عيش الشظف والحشونة وبذل في ساعة واحدة بروية أهله وهم على ما عهد من النظافة وجمال الهندام رؤية أولئك الذين ذكرت لك . وسواء كان الطالب من العامة أو من الخاصة فانه يتساوى مع غيره في الطلب وطرق التحصيل

يدخل الطالب تلك المدرسة وهو لا يدري كيف يحضر ولا ماذا يقرأ ولا على من يتلقى دروسه ولا على أي وجه يسير فيها ولا ما هي الكتب تشرى لتلك الفرض من حيث لا ناظر له هناك ولا رقيب عليه يأمره بشراء كتاب معلوم والاختلاف الى درس مخصوص بل يمكث هناك المسكين أياماً يجول في أركان الازهر وهو على ما ذكرت من البساطة والسذاجة ويأخذ كل يوم في التطواف بحلقات الدروس يتسائل من الطلبة المتقدمين عن كتاب يشتريه، ودرس ينتظم في سلك طالبه ، حتى اذا تيسر له ذلك بمد الذي تقدم من الحيرة والتعب وضياع الوقت وحضر احد الدروس أخذ يقرب طرفه فيما بين يديه، ويحدد اذنيه لسماع ما يلقي عليه، فلا ينظر الا تقوشاً لا مقدرة له الا على النطق بها دون أن يعقل لها أقل معنى . ولا تقع في أذنه الا ألفاظ هي أنتبه بالرطانة منها بما يتكلم به الناس فيظل سنت الاولي وهو يروح الى الدروس كما يغدو اليها خالياً من الفائدة مجرداً من

فهم أي شيء مما يتلوه عليه معلمه اللهم إلا أن يحفظ بعض كلمات مثل : ضرب زيد .
وقوله بكر عمراً : وتأبط شراً : وقال رحمه الله تعالى : الخ .. هذا مبلغ ما يصل إليه
الطالب من اختلافه إلى دروس النحو في سنة الأولى - وأريد قبل أن أسلك
بالكلام إلى دروس الفقه أن أقول كنت أود أن أطلعك على جميع ما يشتغل به
الطالب من الكتب على المذاهب الأربعة إلا أنني لا أرى في استقصائها كبر فائدة بل
الأحسن أن أفصل كتب مذهب واحد واخترت أن يكون الحنفية لأنه الأشهر .
وإن لم يكن الأكثر ، ثم أنت تقيس ما بقي من الكتب في المذاهب الأخرى عليه
لما بينها من المشاكلة التامة في صناعة التأليف وأسلوب التحرير .

وما حصل عليه في سنة الأولى من النحو يحصل على ما يشاكله في الفقه . وأول
كتاب في النحو بسمونه الكفراوي وما يقابله من الفقه يسمى مراقي الفلاح . أما الكفراوي
فقد وضعه صاحبه شرحاً لمن صغير اسمه الأجرومية مشروحاً للمبارة مختصراً جداً .
وأما مراقي الفلاح فهو كتاب يقتصر من الفقه على العبادات فقط وهو على
ذلك مجلد ضخم سلك به مؤلفه مسلك الإسهاب والإطناب . على أنه على ما به من
التطويل يعد أحسن كتاب في الفقه هناك . وتصاري القول أن الطالب يقطع شهور
سنة الأولى كلها ولا يعلق بذهنه ما يستحق أن يذكره لك . وإنما هي كلمات يسميها
قمر عليه من الخيال الناري - ثم يدخل في سنة الثانية وهو على هذه الخاطفة كل
أيامها وهو بالحيرة والذهول لقصور ذهنه عن إدراك أي شيء مما يسمع أو يقرأ .
وكثيراً ما يلحق الطالب أو أهله القنوط من التجاح فيخرج من هناك ليحترف . ولا
كتب يحضرها في سنة الثانية على الغالب إلا ما أمضى فيها سنة الأولى وسيره فيها
لا يميز عن السنة الفاشة إلا بكونه وصل إلى أن يعرب جملاً بسيطة معلومة حفظ
اعرابها حفظاً على غير فهم ولا تفكير . ويعرف بعض أسماء الأئمة وشيء من الأسطلاحات
الفقهية في الفقه . ثم يتدرج من هاتين السنتين إلى السنة الثالثة وفي أولها يكون قد أُر
في ذهنه كثرة ما يرد عليه من تعقيد الجمل وتشويش المبارات تأثيراً يحملة على الجملد
والنصب على تلك الأساليب وربما فهم اذذاك بعض الجمل بعد أن ينصب نفسه ويستمع
فكره كل الثب ويتقل حينئذ من الكفراوي إلى كتاب يسمونه (الشيخ خالد)
وهو كتاب أصغر في الحجم من الكفراوي وأسهل منه عبارة ولكن يظهر أن
سهولته لم ترق للاشياخ هناك فانبرى له بعضهم وعلق عليه حواشي من المفروض

تلقى الطالب الأزهري أن يكتب ذهنه في فهمها ولم أر - علم الله - كتاباً يكبد الفكر
 ونبغ الفخري في فهم عباراته المشوشة المضطربة مثل ذلك الكتاب . ويقابل هذا
 الكتاب من الفقه في هذه السنة كتاب (العناني) أخو تلك الحاشية في فساد العبارة
 وسماحتها وقبح تحريرها ركب به مؤلفه أسلوباً لم أر ما يشاكله في كل ما وقع لي من
 مؤلفات العرب فهو يحذف ما يلزم أسبأه ويكتب ما من حقه الحذف ويؤخر ماله
 التقديم ويقدم ما من شأنه التأخير .

وأعجل اليك قبل أن أرتقي إلى ذكر الكتب الفقهية الكبيرة بيان أن هذا
 الطالب الضعيف يفاجأ في هذه المدة بتلك الأبواب الطويلة المشوشة بالخلاف وتضارب
 آراء الأئمة فيما لا يسود بأقل فائدة على التلميذ ولا ينتظر أن تكون منه فائدة لغيره
 مثل أبواب التتق والرق الخ وهناك أبواب أخرى فتحها نافع ولكن توسعتها ضارة
 لأن مؤنني تلك الكتب خرجوا بها عن دائرة التشريع إلى بيده واسعة من الخيال
 المحض فلا تكاد تنظر في باب من أبواب الطلاق مثلاً حتى ترى الكثير من الصور
 الغريبة الناتية عما يقصد الشرع في كتاب الله الحكيم وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم
 وما جرى عليه أصحابه وأئمة السلف في الصدر الأول من الإسلام .

على ما قدمت ينهي التلميذ من دوره الأول ولو أتى بسلام سائم الفطر إلى معلم
 حكيم في التعاليم وأخذ يمل عليه كل يوم قليلاً من النحو والفقه ويفهمه أيام حق التفهيم
 بلغ في ثلاثة شهور من التحصيل إلى أضعاف ما يبلغه طالب الأزهري في ثلاث سنوات .

الدور الثاني : إذا خرج الطالب من هذا الدور وهو على ما سر بك وأخذ يدخل في
 الدور الثاني كان أول شيء يبدأ به أن يضم إلى درسي النحو والفقه درساً أو درسين في
 التوحيد أو المنطق أو البلاغة أو العروض واختيار الطالب أي فن من هذه الفنون
 أمر موكلول إلى المصادقات التي تسوقه إلى أي فن منها وكثير من الطلبة لا يجد عينه
 إلى تلك العلوم إلا بعد مضي ست سنوات ولا أريد أن أذكر لك الآن ماهي هذه
 الكتب وما يستفيده الطالب منها بل ادع ذلك لفرصة أخرى وآتي لك قبل ذلك
 عن وصف ما يستعمل به من الكتب في العلمين الأسليين عندهم الفقه والنحو
 وأول كتاب يفتحون به السنة الرابعة في الفقه كتاب يقال له (متلامسكين) يقضي
 فيه الفهم على الطالب سنتين و متلامسكين هذا كتاب ما تقدم من الكتب محشو
 بالخبر عن غير جدوى والتعمق في فروع تقضي الأعمار ولا تقع ولا

يحتاج إليها غير أنه يمتاز عن تلك الكتب بالحطأ فيها يورده من تقول أئمة المذاهب الأخرى في معرض الرد عليهم وتزيين أقوالهم . وهو ما لا يكاد يخلو منه كتاب أو باب من الأبواب . بعد أن يتم المسكين (منلا مسكين) يأخذ في تلقي كتاب بعده يقال له (الميني) وهو كتاب بلغ به صاحبه حد النهاية من الحطأ والفاط والتسحل في تزيين مذهب الامام الشافعي واختراع الصور الفقهية ولا يكاد يأتي الطالب على آخره وفي صدره شيء من جوهر العلم اللهم الا تلك الصور الذهبية والمسائل الخيالية والمباحكات اللفظية وحفظ أسماء أغلب من اشتغلوا بهذا الفن لكثرة ما يرد من أسماهم في صدد الخلاف . وان تعجب فموجب بل ألف عجب اتفاقاً أكثر جماعة الأزهر وجل مشايخه على استحسان هذا الكتاب وامتداح كل من حذا حذوه في صناعة التأليف . رندي ان ذلك كاف لبيان ما هم عليه من الذكاء والنبل وما وصلوا إليه من العلم والفضل . ويشغل الطالب فيما يقابل ذلك من النحو في الدور الثاني ثلاثة كتب - الأزهرية والقطر والشذور . أما الأزهرية فكتاب سهل العبارة أقصر من النحو على الميادي الا أنه مبتلى كاخواته بحاشية نط فيها مؤلفها في أغلب المواضع عما هو بصدده . وأما كتابا القطر والشذور فكلاهما درة متلازمة بين اطمار بالية الفهما ابن هشام رحمه الله غاية في حسن العبارة وانسجام الاسلوب لم يترك قاعدة يحتاج إليها الطالب الا أني عليها في هذين الكتابين . ولو أقصر الأزهريون على قراءتهما تاجراً من الحوائثي والتقارير لحصل الطالب منهما على الغرض المقصود من النحو . ولكن الأمر على عكس ذلك فقد وضع بعض الأشياخ على كل كتاب حاشية لم يقع طرفي حتى اليوم على عبارة أبرد ولا اسجع من عبارتها وقد سلك بها طريق التسلف والتعقيد حتى صارت سجفاً يحول بين الطالب وما توخى بيانه المؤلف رحمه الله . ومن غرائب الاتفاق ان وقت في يدي اليوم حاشية القطر فكانت أول جملة وقع طرفي عليها من غير قصد ما كتبه صاحبها تطبيقاً على بيت اورده المؤلف وهو :

(الا يا أسلمي يادارمي على البلى ولا زال منها ليجر طامك القطر)

(قال المحشي) الاحرف استفتاح واسلمي فعل امر ورمي اسم امرأتها البلى مقصور مكسور المراد به الاندرايس والفاء هي اسلمي وان كنت قد بليت . ثم قال بعد كلام واعتراض على الشاعر أنه لم يجترس لأن دوام المطر يخرب الدار . واجب بأنه قدم الاحتراس في قوله اسلمي وبأن ما زال تقتضي ملازمة الصفة للموصوف مذ كان قابلاً

لما على حسب قبايلها ثم قال وقد ضمن بعضهم هذا البيت حيث قال
 إليك اشتياقي يا كنانة زائد فإني غناء عنك كلا ولا صبر
 فلا زلت أكلني كل يوم و ليلة . ولا زال منهلاً بجزعك القطر
 (والكنافة) انتهى الحلو للمصريين . هذا ما يشتغل به الطالب هناك في مدة
 ست سنوات من النحو والفقه وأقسامها الآخر اني لم أر حتى ساعى هذه ممن بلغ
 السنة السادسة وحضر تلك الكتب في النحو من يحسن أن يكتب سطرأ واحداً او
 يقرأ جلتين بغير لحن وغلط وأريد أن أختم هذه الرسالة الآن مقتصراً على ما ذكرت
 وفي الرسالة الآتية ترى البقية الباقية والسلام عليكم ورحمة الله

أنا علي بن الحسين

﴿ رسالة الكسائي في لحن العوام ﴾

ظفر بها الباحث الألماني (بركن) وطبعها في ألمانيا وأهدى نسخة منها الى
 صديقنا أحمد زكي بك الكاتب الثاني لأسرار مجلس النظار فرأينا أن نشرها في المنار
 لما فيها من الفائدة للكتاب والطلاب وهي :

بسم الله الرحمن الرحيم . وبه نستعين . اللهم صل على محمد وآله الطاهرين .
 هذا كتاب ما لحن فيه العوام مما وضعه علي بن حزة الكسائي للرشيد هرون
 ولا يد لأهل الفصاحة من معرفته .

تقول خَرَصَتْ بفلان بفتح الراء . قال الله عز وجل « وما أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ
 خَرَصَتْ بِمُؤْمِنِينَ » ولا تقول تَحْرَصُ بفتح الراء . قال الله تعالى « إِنَّ تَحْرِيصَ عَلَى
 هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ » . وتقول ما قَمَّتْ مِنْهُ إِلَّا عَجَلْتَهُ بفتح القاف
 لا يقال غيره قال الله عز وجل « وما أَقَمُّوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ » . وتقول دعه
 حتى يَسْكُتَ مِنْ غَضَبِ بَأْتَاءٍ وَلَا يُقَالُ بِالْتُونِ يَسْكُنُ (١) قال الله عز وجل « ولما

(١) تر من عدى سكت الغضب بمن ولم يشهد له وإنما الشاهد في الآية
 معدي بن . وقد فسر (سكت) الزجاج وغيره بسكن . وقيل إن الكلام على القلب
 أي سكت موسى عن الغضب . وذكر الزمخشري الحرف في مجاز الأساس فقال :

سكت عن موسى الفضبُ . . . وتقول قد تَقَدَّ المَالُ والطَّامُ بكسر الفاء قال تعالى
 « قل لو كان البحرُ مدادًا لكلماتِ رَبِّي لَنَفِدَ البحرُ » . . . وتقول عجزت عن الشيء
 بفتح الحيم ومنه قوله تعالى ذِئْبُهُ « أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا النَّعْرَابِ »
 وتقول كسرت ظفر زيد بضم الفاء والظاء جميعاً (١) قال الله تعالى « وعلى الذين
 هَادُوا حَرْمًا كُلُّ ذِي ظْفَرٍ » وتقول قد صرفت فلاناً وقد صرف وجهه بغير
 ألف ولا يقال أصرفت فلاناً قال الله عز وجل « ثم انصرفوا صرفاً الله قلوبهم »
 وتقول قد أصرفت الكلبة إذا طلبت الماطلة . . . وتقول قد استندت البطانة بكسر
 الباء (٢) قال الله جل ذكره « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ »
 وتقول لنا على المضي إلى فلان (٣) بتشديد الياء قال الله تعالى « فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا
 وَلَا يَرْجِعُونَ » . . . وتقول شكرت لك ونصحت لك ولا يقال شكرتك ونصحتك .
 وقد نصح فلان لفلان وشكر له . . . هذا كلام العرب قال الله تعالى « واتكروا لي ولا
 تكفروا » . . . ولا ينفعكم نصحي إن أردت أن أنصح لكم . . . وتقول عسيت
 أن أكلم زيداً بفتح السين قال الله عز وجل « فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ
 تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ » . . . وتقول قد أربت فلاناً موضع زيد ولا يقال أوريتهُ فإنه خطأ
 قال الله تعالى « وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ آيَاتِنَا كُلَّهَا » وقال أيضاً « رَبِّ ارْنِي أَنْظُرَ إِلَيْكَ »
 وتقول قد أوريت النار إذا أشعلتها بلاواو وقال تعالى « أَفَرَأَيْتُمْ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ »
 وقال عدي بن زيد في شاهد ذلك :

وُطِفٌ حَدِيثَ السُّوءِ بِالصَّمْتِ إِنَّهُ مَتَى تُورِ نَارًا لِلْعَتَابِ تَأْجِجًا (١)

« وسكت عنه الفضب والحزن وكل ما له أثر ناطق » ففهم وجه السجوز وقال السكاكي
 أنه استمارة تبعية . . . وقرأ معاوية بن قررة في الشواذ (سكن) بالنون فهو ليس خطأ
 (١) هذه هي اللغة الفصحى ويقال ظفر بضم الظاء وكسرهما مع سكون الفاء .
 (٢) في اللسان السدد القصد في القول والوفيق والإصابة وقد تدلله واستد . . . وبطانة
 الإنسان خاصته الذين يفضي إليهم بأسراره مأخوذ من بطانة الثوب (٣) الجملة غير ظاهرة
 ولما هي في الأصل استفهام (١) كذا ضبط (طف) في الأصل والمعنى يقتضي أنه من
 المهموز والمعروف أظفأ النار . . . ثم رأيت اللسان والتساجر ورواه (وأطف) وتأججا
 أصله تأجج مجزوم وحذف التاء قياس

وبئال وقع القوم في صَعُودٍ وهَبُوطٍ وَحَدُورٍ مَفْتُوحَاتٍ أَوَّالِيٍّ وَكَذَلِكَ السَّحُورُ سَهُورٌ
الصَّامُ (١) وَالْفَطُورُ أَيْضاً عَلَى مِثَالِ قَوْلِ قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ سَاءَ مَا رَحُمَهُ صَعُودًا وَكَذَلِكَ
الرَّكُوبُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا رَكُوبُهُمْ ۝ وَتَقُولُ شَدَّ ثَوْبَكَ وَشَدَّ عَلَيْهِ بَضْمُ الشَّيْنِ
قَالَ تَعَالَى فَشُدُّوا الوَثَاقَ ۝ وَتَقُولُ ذَرُّهُ وَدَعَّهُ وَذَرَّ الأَمْرَ وَلَا يُقَالُ: وَذَرْتَهُ وَلَا
وَدَعْتَهُ قَالَ اللَّهُ ذَرَّهُمْ يَا كَلُوا وَتَمَتُّوا ۝ وَلَا يُقَالُ مِنْهُ فَعَلْتَهُ وَلَكِنْ تَرَكْتَهُ ۝ وَتَقُولُ
جَاهَدْتَ بِهٖ كُلَّ الجُهْدِ وَالجِسْمِ الأَوَّلِيِّ مَفْتُوحَةٌ وَالتَّائِيَةُ مَضْمُومَةٌ قَالَ اللَّهُ ۝ وَالَّذِينَ
لَا يَجِدُونَ الأَجْهَدَ لَهُمْ ۝ وَتَقُولُ دَمَعَتْ عَيْنِي بِفَتْحِ المِيمِ وَبِحَصْرِ عَيْنِهِ بِالْفَتْحِ وَلَا يُقَالُ
بِحَصْرِ بَالِيْنِ (٢) إِنَّمَا البَحْسُ وَالتَّقْصُصُ أَنْ تَقْصُصَ الرَّجُلُ حَقَّهُ ۝ وَتَقُولُ وَدِدْتُ أَنِّي فِي
مَنْزِلِي بِكسر الدال الأوَّلِيِّ قَالَ بَعْضُ الأَعْرَابِ :

أَحَبُّ بُسَيْتِي وَوَدِدْتُ أَنِّي حَفَرْتُ لَهَا بَرَايَةَ قَبِيرًا (٣)

﴿ الهدايا والتأريظ ﴾

(الصراط المستقيم) كثرت شكوى الباحثين في الإصلاح — ورأسه إصلاح التربية
والتعام — من كتب القرون الوسطة وما بعدها ووعورة مسالكها وضمورة أسلوبها
وعدم وافقها للتعليم فقيض الله تعالى لهم من أنفسهم من يسي في إحياء كتب
السلف ليستمان بها على إحياء اللغة والدين، ومن يشتغل بتأليف كتب جديدة يستعان بها
على التربية والتعليم، فينا جمية إحياء العلوم العربية تشتغل بطبع المخصص وتسمى
بإستساخ مندونة الامام مالك وكتاب الأم للإمام الشافعي لطبعهما ومندوبي هذه
الجهة يشتغل بطبع (دلائل الإعجاز) بعد طبع (أسرار البلاغة) إذا بالشيخ أحمد زاتي
ناظر مدرسة القبة الحديوية وأستاذ العربية والدين فيها يؤلف الكتب القريبة التناول
في التعليم القوية التأثير في علم الدين
وأكبر مؤلفاته فها، وأحسنها صنفا، كتاب في علم الدين سماه الصراط المستقيم؛
وقد جعله ثلاثة أقسام قسم في العقائد وقسم في العبادات وقسم في الآداب ۝ وفي

(١) السحور ما يؤكل وبالضم فعل الأكل وقت السحر ۝ ومثله الفطور (٢) أنكر
البحر بمعنى الفوق الأزهرى والمصنف وأبته الأصمعي وقال إنه لغة كالبخر
(٣) كذا ضبطها الطابع ولا يصح ولعلها تصغير قبر ۝ وفي هامش النسخة المطبوعة
لفظ (خفيرا) وهو بمعنى القه

كل قسم فصول في الواجبات الاعتقادية والعملية والأدبية . يتدنى الفصل بالآيات الكريمة الواردة في الواجب الذي يتكلم عنه فيه ثم يأخذ احكام مما تهدي اليه مع بيان معناها . فهكذا يجب أن تكون صكيب الدين لتطمئن بها القلوب ، وتؤثر في النفوس ، وقد ألزم في الكتاب بيان أسرار العبادات والآداب الدينية ، ومانعها الدنيوية والأخروية ، وبمسد فراغ المؤلف من كتابه مرضه على الأمير الصاس أيداه الله تعالى فسر به وأمر بأن يطبع على نفقة الخاصة الحديوية قطع في المطبعة الأميرية طبعاً متخماً على ووق جيد وجعل في جانب كل صفحة منه جدولين يذكر في أحدهما بإزاء الآيات القرآنية التي اقتضت بها الفصول اسم السورة وفي الثاني عدد الآية ولو كان هذا البيان عامّاً لجميع الآيات القرآنية في الكتاب لكان النفع أمّ .

وصفحات الكتاب ٤٠٠ وثمنه ١٢ قرشاً صحيحاً

(الهداية الى الصراط المستقيم) اختصر المؤلف كتاب الصراط المستقيم بكتاب سماه بهذا الاسم وهو مثل الأول في ترتيبه وأسلوبه الا ان حجمه نصف حجمه والغرض من الاختصار ان يكون المختصر كتاب تعليم يرتقي منه التلميذ الى الطول ويتدنى بتلقي هذا دراسة الى فهم ذلك بنفسه . وقد طبع الكتاب الثاني على نفقة الخاصة أيضاً وفقى الله مولانا الأمير ، الى ما فيه احياء العلم والدين . وثمنه ثمانية قرّوش صحيجة فنحت كل من يطلب فهم الدين على مطالعة الكتابين

(حجج القرآن) كتاب من أجل ما كتب علماء الاسلام في خدمة الدين للامام أبي الفضائل أحمد بن محمد بن المظفر بن الخنار الرازي جمع فيه الآيات القرآنية التي تختج بها الفرق المفرقة من الاسلام في المسائل المختلف فيها بينهم ليعلم الناظر في الحجة بجمعة لديه ، ممثلة أمام عينيه ، أيها الحق بالقبول ، وأدل على المدلول ، وقد ذكر في فاتحة ان أصل الفرق ثمان — الخيرة وفي مقابلتها القدرية . والمرجئة وفي مقابلتها الوعيدية . والصفانية وفي مقابلتها الجبهية ، والشيعية وفي مقابلتها الخوارج . قال : ومن هذه الفرق الثمان نصبت الفرق الثلاث والسبعون ، أي التي ورد بشأنها الحديث المشهور . وابواب الكتاب ثلاثون باباً في كل باب فصول كثيرة جمعت المسائل المهمة المختلف فيها . وأنا لتمقداته يصر على كل عالم ان يفهم الحق في هذه المسائل بدون ان يطلع على هذه الآيات التي يجمع بها كل فريق على رأيه ولا نفرها مجموعة في غير هذا الكتاب . فلذا نقول ان احياء هذا الكتاب خدمة جليلة للاسلام .

جزى الله الشيخ أحمد عمر المحمدي الأزهرى خير الجزاء ان طبعه ونشره بين

الناس ثمن بنحس وهو قرشان صحيحان ، ومن طلبه من الخارج فليرسل مع الثمن قرشاً لأجرة البريد . وهو يوجد في ادارة المنار بمصر وفي مكتبة هندية ومكتبة المليبي ومكتبة الرافي ومكتبة المؤيد ومكتبة الهلال

(حياتنا الناسلية) أو « دليل العازب وطيب المتزوج » كتاب يدل اسمه على موضوعه مؤلفه الطيب سميد ابو جرة الذي تلقى الطب في المدرسة الكلية ببيروت وأتمه في كلية (ماربون سس) في الولايات المتحدة . هو يبحث عن اعطاه التناسل في الذكور والآنث وما يمرض لها من العلل والأمراض قبل الزواج وبصده . وعبارته سهلة يفهمها كل قارئ ولاغنى لقارئ عنها فان أكثر الناس عرضة للأمراض والأدواء التي تتولد في هذه الأعضاء أو في البدن كله من استمالها فيما يحرمه الدين والطب (وكل ما ثبت ضرره طبياً فهو محرم شرعاً) ومن ذلك المادات الضارة التي تكون من الشبان في حال الافراد ويحسبونها هينة وما هي بئس العلة العلل للأدواء والأمراض القاتلة . ولو علم الناس ما وراها لأعلم العلم على مغالبة الشهوة ، ومحاربة اللذة ، لأنه هو الركن الركين . بعد تربية الدين ، وأين التربية الدينية من قوم يذكر أطباؤهم ومرشدوهم بحجاب صنع الله تعالى وحكمه وآياته في الآفاق وفي أنفسهم فيسندونها الى شيء مجهول يسمونه « الطبيعة » ولا يسندونها اليه جلّت قدرته كما فعل صاحب كتابنا هذا . واننا لا نرى في هذا الكتاب غير هذا الميب . ونقول على كل حال أنه ينبغي لأهل كل بيت اقتناء هذا الكتاب ومطالعة والاستعانة به على تربية الاولاد . وهو مطبوع في مطبعة الهلال وعدد صفحاته مئتان وثيف وثمانون ١٢ قرشاً مصرياً ويطلب من مكتبة الهلال بمصر (نيل الأربي في موسيقى الافرنج والمرب) الموسيقي فن من الفنون الحسينية يرتقي في الامم بارتقاء المدنية والحضارة ويتبدل بتدليهما . والميل اليه طبيعي في الانسان بل الميل الى حسن توقيع النغم وهو في الحيوان الأعجم . ولقد كان العرب حفظ منه أيام مدنيتهم فذهب بذهابها . ولما دالت الحضارة الى الامم الغربية ارتقى عندهم هذا الفن حتى صار ركناً من أركان الفنون الحربية ، كما انه ركن من أركان التربية النفسية ، وكان من موضع العجب أن المصريين اشتغلوا بتقليد الافرنج من زمن طويل وأخذوا عنهم كثيراً من علومهم ولكنهم لم يضموا لنا كتاباً مصنفاً أو مترجماً في فن الموسيقى حتى ظهر هذا الكتاب في هذه السنة لمؤلفه احمد افندي امين الديك . ومن عرف المؤلف محكم بأنه انما ألف هذا الكتاب بباعث طبيي وشعور بأن قومه في حاجة الى هذا الفن وانه

أراد أن يكون البادي بسد هذه الحاجة، وإنما قلنا هذا لأنه شاب بيد من التفرغ ومذاهبه متمسك بالدين عملاً وأدباً على أن الشائع في قومه أن الموسيقى من الفنون المذمومة في الدين، وما المذموم في الدين إلا هذا التخت الشائع عندهم في الغناء، أما الموسيقى فهي نافعة في الحرب والآداب والأخلاق، وهذا وأنا لا نحكم على الكتاب من الجهة الفنية لأننا نعرف مع الرجل أننا لا نعرف الفن، والكتاب مطبوع بالرسوم وأشكال (النوتة) بالمطبعة الأميرية وثمة خمسة قروش.

(الأمجاد بالنساء) هي القصة العائرية من (روايات عينا صبرات الشب) المصرية بقلم حسن اقدني توفيق المرحوي من ضباط البوليس ومرب كتاب (التربية الحديثة) وقد صدرت القصة صاحب مطبعة الشعب بكلمة الصحافة المصرية يطالبها فيها بانتقاد هذه القصص التي تصد بتشرها خدمة الأمة، وينتقد تعريف الجرائد بمدح كل كتاب أو قصة تشر وتعي الروايج لها.

الانتقاد واجب وإن كان يسيء ناشر في الكتب كاجريتنا، وإذا لم يضح وقت أصحاب الجرائد وكتابتهم إقراء الكتاب كله أو بعضه فلا يجوز لهم تعريفه لأن التعريف حكم لا بد فيه من العلم بالمحكوم عليه، وأقد طالما قصة الأمجاد بالنساء هذه ظناً منا أن الذي جعل ناشرها على تبريضها للنقد هو ثقته بأنها تعلمو عليه لما فيها من الإرشاد النافع فالفيناها مشجونة باخبار الفسق والفحش والكيد ومنفك الدم والانتقام، ومثل هذه الحوادث التي تشرحها القصة يؤثر الكلام عنها في النفس أسوأ تأثير ويكون غذاءاً دنيئاً للنفوس المستعدة للشور لأنها لم تترب تربية صالحة، وأين التربية الصالحة في هذه البلاد؟ محتج ناشر وأمثال هذه القصة بأنها لا تخلو من بيان سوء طاقة المجرمين، ونحتج عليهم بأن الكتابة في مثل عواقب الجرائم والمآثم يشترط فيها أن يكون ما يكتبون فيه شائماً فيمن يكتبون لهم بحيث تفيدهم الكتابة عظة وعبرة ولا تزيدهم علماً بوجوه المنكرات وطرق السيئات، لأن ما لا شبهة فيه أن كل قارئ يوجه فكره إلى ما يناسب طباعه ودرغائه من الكلام ويفضل عن غيره، والجرائم المشروحة في هذه القصة إشارات على الشرط بخلاف قصة (الحال والمآل) التي قرئناها من قبل فلما سجدت على الشرط لأنها ذكرت منكرات معروفة قائماً في مصر ويئت سوء عاقبة ذلك أننا علمنا أن أكثرنا على هذه ولعل كلاً من في الموضوعين يكون طاملاً على الرغبة عن الضار إلى الرغبة في النافع والله التوفيق.

(روايات الحدان) أحسن القصص التي تشر في مصر لهذا العهد عبارة ماعسة

تفيد التبحر في نحيب أفندي الحدان وقد اجديت إليها بيان منها منذ أشهر مضت

أحداها واستعار الأخرى أحد اصدقائنا ولم بعدها فكنتنا هذه الكلمة للتأنيدهم
المودي أننا غفلنا فحربنا أحبا فأبجحه

باب الأخبار والآراء

(ألقاب التعظيم) سرت إلى الكتابة العربية وإلى أهل العربية عادة من عادات
الأعاجم المفضولة وهي إضافة الألقاب التعظيم والتعجيل إلى أسماء الأشخاص عند ذكرهم
في القول والكتابة . ولقد أسرف الناس في هذه الألقاب حتى ألحقوا بها المنفصول
بالباضل ، وساءوا العالم بالجاهل ، وأنا كنا نألم لاتباع عادة الجرائد في ذلك على
تجربتنا القصد فيها ورثى النفس تنزع إلى اتباع سلفنا فيه ولكننا رجعنا ذلك حتى كان في هذا
الجزء أن كتبنا تبذره من رسالة الكسائي وذكرنا في رجبها اسم طابها واسم المهتمة إليه
مقروين بألقاب التعظيم المألوفة ثم لم نلبث أن نقلنا اسم الكسائي وهو من أئمة العلم
وهرون الرشيد وهو من أعظم الخلفاء بعد الراشدين ولم نرها مقروين بلقبه
فلمنت النفس إلى ما كانت تنزع إليه وأمرت بتبريح تلك الألقاب التي كانت كتبت
فرومجت . ونحن بعد اليوم لا نذكر مع اسم أحد الألقاب الذي يمتدحه في نفسه
أو صنفه كالشيخ والبك والأفندي . ومن كان غير معروف للقراء نعرفه بجملة خبرية
لا بالألقاب مفردة يمتد بها لغنا ، وتنظم مع اسمه عقداً ، ويدخل في هذه القاعدة
أستاذنا وأستاذنا فإذا نقلنا قولاً عن أستاذنا الأكبر (ولفظ الأكبر هنا بيان للواقع)
نقول : قال الشيخ محمد عبده أو مفتي الديار المصرية . وإذا كان الكلام عن الجملة الخبرية
نقول : قال رئيس الجمعية . ولكننا إذا استدنا إليه قولاً من غيرنا ذكر اسمه فقلنا أشهر
إليه بلقبه الذي أشهر وهو (الأستاذ الامام) بالترريف . وأما سبق لنا تعريفه بلقبين
لأن لفظ (الأستاذ) وحده ينصرف في كتب الكلام والأصول إلى الشيخ أبي إسحق
الإسفرائيني وألفظ (الامام) وحده ينصرف إلى نضر الدين الرازي وألفظ (الشيخ
الامام) أطلقه تاج الدين السبكي في كتبه على والده الشيخ تقي الدين . فمتسداً استقر
رأينا على أن نجعل لأستاذنا الذي يكثر نقلنا عنه لقباً مختصراً يعني عن ذكر اسمه ووظيفته
اخترنا هاتين الكلمتين لأنه لا يشتهر بهما أحده . وقد عرف ذلك قراء المنار في جميع
الاقطار لذلك نقره بشرطه

(كلمة في المنار) قد كتبنا صرات متعددة على غلاف المنار بأنه لاحق للمشارك
أن يطلب جزءاً من المنار لم يصل إليه بعد صدور ما بعده . ثم رأينا بعضهم يخرج

بأنه إذا تأخر جزء يتوهم أنه لم يصدر فلا يعرف أنه قد صدر الأبد وصول ما بعده إليه . لذلك رأينا أن نمدّ في الوقت فنجعله عشرين يوماً في القطر المصري . فن طلب الجزء الذي يصدر في أول الشهر مثلاً في الحادى والعشرين منه فما بعده فطلبه ان يرسل ثمنه ٢٥ ، لهما سواء كان قد صدر الجزء الذي بعده أم لا . ومن وصل إليه الجزء فأضاعه أو وهبه فلا يجوز له ان يطلب بدله الا باليمن . وربما يمدّ بعض القراء هذا تشديداً في موضع التساهل ولكنه اذا علم أن الطالبين للاجزاء المفقودة كثيرون جداً وان كل جزء يرسله يضيع علينا مجموعة سنة كاملة فانه يمددنا الاحالة

(سكة الحديد الحجازية) أخبرنا من شاهد العمل في هذه السكة واختبره بنفسه أن الهمة البذولة فيه عظيمة وان الآلات والأدوات الحديدية والحشية التي في بيروت والشام كافية لإيصال الخط الى مكة المكرمة وأن مهندساً ألمانياً هناك قال : ان هذا الخط أتم وأحسن من خطوط الحديد في انكلترا . ومع هذا كله لا بد لإتمام العمل من أربعة ملايين جنيه . وهو مبلغ لا يرجي له الا سخاء صاحب المشروع الذي يتخذ له تمامه على يديه أشرف الذكر وهو مولانا السلطان وفقه الله تعالى لما فيه خير الأمة والدولة . وما ينتقده جميع الذين شاهدوا العمل أمر التضييق على الصكر المشغلين به فانهم لا يجدون ما يكفيهم من الغذاء والدواء وهم يمسكون بمجدوثات حير المهندسين الأوربيين واولافدين المتفرجين . وقد علمنا أن الرئيس الذي يدير العمل من خير الناس فمضى أن يوفق للمحافظة على صحة اولئك الجنود المساكين . (الأذان السلطاني) بائنا أن شيخ الجامع الأزهر أنكر في جامع القلعة هذا الأذان في الليلة السابعة والعشرين من رجب التي احتفل فيها بقراءة قصة المعراج . وكاشف بائنا نكاره . ففي الديار المصرية واتفقا على النهي عنه فيها فمضى ان يؤثر ارشادها في محو هذه البدعة السيئة

﴿ نصيحة للقارئات ومن يسمع من الأميات ﴾

ان من خلأقى الأتى وسجاياها ما هو عون للسفهاء على اغوائها وهو انها تحب دائماً ان تكون موضع الاعجاب والاستحسان . ولذلك يفتاق اليها المصبصون ويخادعونها بالمدح « والفواقي يفرهن التناء » حق يستميلوها اليهم ويهينوا شرفها بالمغازلة على الأقل . ومن الضعف في الأتى ان تعتقد ان كل من يرمي بعصره اليها يكون مستحبناً لها . ناهيك بصاحب التعديق ونظر التزيق وهو نظر العاشق المستهتر

مادة والمبصيص المتملق اختلافاً وخذاعاً فانه يفر الفناة الفير ويقع من قلبها موقع السهم ،
الذي سقي بالسهم ، وقد ورد في الحديث ، النظره سهم مسوم من سهام ابليس فمن تركها
خوفاً من الله آناه الله ايماناً يمجّد حلاوته في قلبه ، رواه الحاكم وصححه اسناده .
بلغ النساء عندنا من الضرور بتطاع السفهاء البهن انك تجمّد نساءنا يتلفتن في
الاسواق ماشيات ، وينحن وهن في المركبات ، وقد يكن مع هذا من المحضات
الزيبات ، وان هو الاحب توجيه الا نظار ، واحجاب النظار ، و ترى نساء الافرج
يمشين قاصرات الطرف ، مستقيمت المطف ، تحسبن في ادبهن الظاهر من الملائكة
المقرين ، وان كان فيهن من هن اغوى من الشياطين ، وما ذلك الا لانهن تربين على
ادب الاجتماع ، وتعلمن ما يبمدهن عن سرعة الانخداع ، وان الظهور في المنكر
ليزيد في ضرره لما فيه من اغواء الناس وتسهيل سبله على من لا يعرفه ولذلك ورد
في النسخ ان المصيبة الصغيرة تكون كبيرة بالمجاهرة و ترى القوانين الوضعية عند
الأمم كلها تحظر الجهر بما ينافي الآداب حتى ما يبيحه منه في السر
السبب في هذا التبرج والتفتيح ، والتشوف والتقصص ، والانتاء والانحاء ،
الذي يزيد في فساد السفهاء ، هو حب الانثى لان تكون زينة في الاعين وشغلا
للقلوب . وانها تكون كذلك في جميع الاعين وجميع القلوب اذا ظهرت بمظهر
الكمال والهيأة ولم تلتفت لكلام المبصين ولم تكلمهن اذا تعرضوا لمكالمها
فان هذه الامايج التي تسمها منهم تنقلب الى ضدها بمد ان تبعد عنهم فلا تسمع
ما يقولون ، فان سفهاء الناس وغوغاهم لا يزالون يرفون قيمة الفضيلة ويحترمون اهلها
هذا الدين في العطف والخضوع في القول قد اطمع اصحاب القلوب المريضة في
كل امرأة تمر في الطريق فلا تسكاد تلم من سفهم او عبتهم امرأة ولا يهد مثل
هذا المنكر في مدينة ولا قرية مثلما يوجد في هذه البلدة الظالم اهلها . وانا تعجب
من ضعف غيرة الرجال التي اباحت لهم التساهل مع نساءهم حتى اباحوا لهن كل هذا
اننا ليسو منا جداً ان ترى البنات ينشأن على مثال امهاتهن وعماتهن في هذا الدين
المذموم لافرق بين المتعلمات منهن والجاهلات ، وانا ليحزننا ان ترى التلامذة الذين
هم محل الرجاء ، مستميين بسنة اولئك السفهاء ، حتى انك لاتسكاد تجمّد فرقا بين من نشأ
في المدارس ومن نشأ في الطرق والشوارع . رايت من ايام تلميذاً يمضي مع اخوانه
في السوق خارجين من المدرسة فر باسراة فوضع يده على وجهها وعبت بيرقمها ولم
ار مثل هذه الوقاحة من غوغاه الحشاشين ، فهل يفر البنات تطلع امثال هذا التلميذ

اليمن . وتضديه لاغواهن ؟ وهل كان مغرماً بتلك المرأة التي عبت بيرة لها فكان الغرام هو
 الحامل له على اهانتها في الودق ؟ وهل مثل هذا الغرام - اذا فرض - تبارز فيه ؟
 ان ما تقدم من القول هو مقدمات النصيحة التي اقدمها للفقارات والنتيجة
 المقصودة هي ان الانسان يؤخذ دائماً من جهة ضعفه ومن الضعف في الانبي الامتداد لمن
 يظهر لها الحب والاحسان . وان الرجال دائماً يخادعون النساء حتى ان احدهم اثبت
 على النظار بالحب زمناً طويلاً ليصدق . فيجب على الفتاة المتعلمة ان لا تصدق احداً
 من هؤلاء الشبان الذين يظهرون لها الحب والغرام فان احدهم ليخاتل كل فتاة يراها
 بمثل هذه الخاتلة . ولو كان صادقاً فيما يظهر من الإعجاب بحاسنها والرغبة في
 الاقتران بها وكان اهلاً لذلك لكان يغار عليها من نفسه ومن غيره فلا ياملها بهذه
 المعاملة . من البصيرة والمنازلة . ولكنه يزيد على هذه الاهانة التي تكون منه في
 كل طريق . بان يحدث بها كل صديق ورفيق .

(الحسود المعتم) كتب ذو عمامة الى صاحب الجامعة يضره بالظمن في صاحب
 مقالات (الاسلام والنصرانية مع العام والمدنية) لأن صاحب العمامة حين صاحب هذه
 المقالات على ما اوتيه من سعة العلم وقوة التأثير وعلو المكانة فحاول ان يطلق نار حسده
 بذنوب من ذنوب ذلك الظمن الذي امر به . ولكن صاحب الجامعة اعقل من صاحب
 العمامة وأعلم منه بقيمة تلك المقالات . وان انكر من فآتمها ما عرف حكمته في انائها
 وخاتمها ، وإيه ليحلم ان مثل صاحب العمامة منعه كمثل الشيطان اذ قال للانسان
 اكفر الخ فهو لا يراه الا بعين النقص ولا يعتقد فيه الا ما يليق به في رقة عقله ودينه .
 ولا يرضى لنفسه ان يكون مع صاحب العمامة كما كان صاحب الحمارة . على ان الظمن
 في مثل هذه الحال ، على مثل ذلك المقال ، لا يزيد المظنون فيه الاحترام واجلالاً
 ولكنه يسلي الحسود لأن عقله صغير ، وفكره قصير .

(مفكرة مطبعة الموسوعات) . اخترع الافرنج هذه الدفائر التي بسمونها
 المفكرة او المذكرة لاصحاب الاشغال الكثيرة من الحكام والتجار والمجتمين . ولما
 رأَت مطبعة الموسوعات ان المصريين يشترون هذه الدفائر الافرنجية ويتمون في
 كتابة التاريخ في كل صفحة منها بالعربية اصدرت في هذه الايام (مفكرة) عربية
 لسنة ١٩٠٣ وضمت التاريخ الهجري في كل صفحة منها الى التاريخ المسيحي . رجعت
 في آخرها جداول لتحويل النقود سخايات خيراً من المفكرات الافرنجية وجمعت
 عن النسخة ١٢ قرشاً ونصفاً جميعاً فهي ارخص من المفكرات الافرنجية وتطلب
 من المطبعة المنتظر ان تصادف رواجاً عظيماً

توقى الحكمة من بقاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما
يسرى إلا أولو الألباب

المعراج

قبر هادي الدين يستعملون القول
فيثبون أحنه أو تلك الذين هدام
الله وأولئك هم أولو الألباب

١٣١٥

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام سوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر في يوم الاثنين ١٦ شبان سنة ١٣٢٠ - ١٧ نوفمبر (تشرين ٢) سنة ١٩٠٢)

المستقبل للإسلام

(بقلم صاحب السماحة السيد الشيخ محمد توفيق البكري شيخ مشايخ الصوفية (١))

—* { الفصل الأول في رأس مال الإسلام } *—

(المكان والسكان)

ان مستقبل الأمم يتوقف في الحقيقة على أمرين طبيعيين هما كثرة السكان وخصب
المكان فاذا استوفت الأمة حظها من هذين الأمرين عظم مستقبلها بقدر ذلك مهما
حرمت في الحال من الأسباب الأخرى البكمية كالعلم والأخلاق والقوانين والحكومة
وغير ذلك فان هذه جميعها تأتي بها دور الزمان ، وان آخرتها آتية طوارق الحدثان ،
ولذلك قال (مونتوريو) و (تين) وغيرهما أن مستقبل الصين أكبر من مستقبل أية
دولة أخرى ، ومن شاهد رُقي اليابان وما كانت عليه روسيا منذ ثلاثة قرون وما هي
عليه الآن من ضخامة السلطان لا يشك في صواب ذلك القول المتقدم ، وقد أشار ابن

(١) من قراء المنار في الاقطار الثانية من لا يعرف البكري هو من ميونخ الحبيب
والمجدوقد انخر في صنفه بتاتي العلوم في مدارس أوروبا المالية وينيل رتبة قاضي محكم من
الدولة العلية ، وهو في المربية خزنة الأدب ، ولسان العرب ، يشهد له بذلك شخص
فحل ، ونثر جزل ،

خلدون الى شيء من هذا حيث قال ان اتساع نطاق الدولة يكون بقدر اتساع عصيتها في الاصل وقال الشاعر : وانما العزلة كآثر ، فاذا تقرر ذلك علمنا ان مستقبل الاسلام كبير وشأنه خطير . فان حظه من هذين الأمرين وافر ، ونقسطه متمكراً ، واليك البيان اذا تأمل المسلم في مظهر الجغرافية يجد ثلاثة عوامل قد قسمت الارض وهي العالم الاسلامي في الوسط والعالم المسيحي عن يساره والعالم الوثني عن يمينه على هيئة قلب وجناحين ، ويرى ان قسط العالم الاسلامي من هذا الاقسام عظيم ، ونصيبه جسيم فهو يمتد في فسحة من الارض بدوها بحر الأطلنطيق ، ونهايتها رسيف الباسيفيك آخذة من حواشي سيبيريا شمالاً الى جزر المحيط جنوباً . أقاليم متصلة ، وأقطار غير منفصلة ، وأنهار متاخمة ، وأخفاف متلاحمة ، وبين ذلك قصور وخيام ، ودور وأطام ، ووبر ومدبر ، وبدو وحضر ، بقاع هي أطيب المعمور رقعته ، وأسرعه نجمة ، فيها النيل والفرات ، وسيحون وجيحون ، فيها أوداء مصر ، وسهول الهند وميطان الصين وسواد العراق ، وبطاح الأناطول وجبالها ، وريف فارس ورمالها ، فيها مرقد النبي العربي الهاشمي ، ووطن المسيح بن مريم ، ومبعث موسى الكليم ، ومهبط الوحي على جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، الى غير ذلك من هواء طاق ، وماء عذب ، وجو هجو ، حسنات وراء حسنات ، تقصر دونها الأعمار ، وتموت حسرة عليها الأقطار ، ذهب بعض بحوس الهند الى لوندرة فقال له بعض أهلها كيف أنتم تصيدون الشمس ؟ فقال الجيوني : وأنتم لو رأيتموها لمبدهمها



ثم ان هذه السمة في الارض والبسطة في الخصب التي رزقها الصالح الاسلامي أصل كبير في نمو أفرادهم وحسن حالهم اذ ارتباط المكان بالسكان في السعادة والشقاء والقلّة والكثرة امر مقرر في علم الاجتماع الانساني . قال (لوبون) : « ما دامت الارض القابلة للزراعة كافية للسكان يتأتى هؤلاء ان يزيدوا عدداً فيكثرون وينمون بالفعل فان تمادات موارد الأرض وعدد السكان يتي هؤلاء على حالتهم لا يزيدون ولا ينقصون فان زاد عددهم عن موارد الأرض وقموا في افرة الشدائد والضيق وتواترت عليهم المصائب والأزمات الى ان تأتي حروب جارفة او اوثة قاشرة فتسدل الكفتين » . هذه حقائق بسيطة ومع ذلك قد تغيب من افهام كبار الخواص واشهر الكتّاب فلا يفتأون يطلبون كل يوم زيادة السكان بأية وسيلة كانت بلا مراعاة لما

تقدم وقد وقع في مثل هذا الخطأ (جول سيمون) وزير المعارف فرنسا السابق على سعة علمه حيث قال في خطاب ألقاه على مجمع المعارف سنة ١٨٦٨ : « ان من يمكنه ان يزيد سكان فرنسا مليوناً من النفوس يفيدنا أكثر ممن يزيد حدودها بعض فراسخ من الأرض بواسطة الحرب والدم بألف ضعف ، وهذا كلام خلو من الصواب لأن من يزيد مساحة فرنسا يكثر مواردها فيجمل الزيادة في السكان محتمة ، ومن شك في هذه الحقيقة احتناه على قول استاذ لا يشق له غبار في هذا المضمار وهو (بيليج) الشهير قال : « قد اقتضت الحال زيادة السكان في بلدان أوروبا زيادة كثيرة غير طبيعية حتى اختلفت النسبة بين عديدهم وبين غلات تلك البلاد فلا يمضي غير حقبة من الزمن حتى تعجز الأرض عما يفي بحاجتهم مهما انهكوا قواها بمختلف الأسمدة وعندها لا يحتاج الى نظريات علمية او قياسات فنية لإيضاح التاموس الطبيعي الذي يأمر الانسان بان لا يففل عن المحافظة على ابواب رزقه وبعاقبه العقاب الأيم عند مخالفة ذلك ، ولا يكون عمة للامم الاوربية من حيلة ولا مخلص الا ان تتفاني لتبقى فترى اذن امثال مجاعات سنة ١٣١٦ و سنة ١٣١٧ وحروب بعد ذلك تليها حتى يحمل الأمهات جيف القتلى لاطعام اطفالهم كما وقع ذلك في (حروب الثلاثين سنة) المروفة فكل ذي دربة وروية دقق النظر في امر ممالك أوروبا ومستقبلها مجدداً غير قائمة على اسس متينة بل على أسنة الأبر » اهـ

هذا : وربما ذهب بعض العارفين الى أن طبيعة أرض الشرق مفسدة للهمم ، مقعدة للآمم ، فلا تكون اذن هذه الأرضون من النعم بل من النقم ، وهذا رأي تفنده الأقيسة الصحيحة ، والآراء النافذة ، قال (فولتر) في دحضه مانصه : « نسال من يذهب الى أن طبيعة الأجواء يتوقف عليها حالة الأمة وأخلاقها لما قال الامبراطور (جوليان) ان الذي اعجبه من أهل باريس هو متان أخلاقهم وأجذهم بالجد والصلابة والسكون في طباعهم ، وهاهي أجواء باريس كما هي وأهلها فيها الآن أخف احلاماً وطباعاً من فراشة . أطفال في زي رجال ، وصغار وان كانوا كباراً . وهؤلاء المصريون الذين يصفهم لنا المؤرخون بقوة الغزائم ومثانة الطباع وعظم الفتوح أصبحوا الآن امة رخوة ضعيفة الغزائم ، طعماً لكل آكل ، ولم لا يوجد الآن في أيما مثل (أناقريون) و (اوستطاليس) و (زوقسيس) ، ولم استعاضت روحاً عن (شيشيرون) وعن (قاطون) وعن

(تليفت) قوماً بهنا لا يحسنون أن يقولوا ولا أن يعملوا . أعظم أمانهم ينحصر في أن يكون الزيت وخص الثمن لديهم . وقد كان من عادة (شيشيرون) الخطيب الروماني أن يهزأ بالانكليز ويقنادير عليهم حتى أنه كتب مرة في رسالة لآخيه (أفانتوس) الذي كان ضابطاً مع قيصر في غزواته التي غزاها بانكلترا يسأله مستهزأ أن كان وجد ثمة فلاسفة كباراً أو رياضيين عظاماً . فهلا علم (شيشيرون) أنه نشأ بعده فيها أعظم فلاسفة العالم ورياضيه تحت تلك السماء المظلمة بعينها . هذه كلها أمثلة تدل أن ليس للأقليم أثر يذكر في ارتفاع الام وانخفاضها بل العوامل الأخرى مثل الحكومة أو الدين تفعل في ذلك أكثر منها بمائة ضعف .



كأن الله سبحانه وسعدانه أراد أن لا تنزع هذه البلاد الجلمية من أيدي المسلمين إذا أعجزهم الضعف يوماً ما عن صونها حتى يؤوبوا إلى القدرة على حفظها بفعلها شبه وقف عليهم وذلك ان جعل وسطها الطبيعي غير صالح لأن تعيش فيه الأمم المتغلبة الآن وهي الأمم الأوربية وليان هذا نقول :

قد تقرر في الطبيعيات أن الحيوان أو النبات أو الانسان اذا نشأ في وسط طبيعي لا يعيش في وسط آخر غير مماثل له وأقيم على ذلك هناك البرهان . وعندهم انه كما لا يمكن للسمك أن يعيش في اليباء ، ولا للناقة أن تدوم في الماء ، ولا للذخلة أن تنبت بين صخور الجليد ، لا يمكن للانكليزي أن يستوطن الهند ، ولا لابن اللمان ، أن ينبت في السودان ، قال (لويون) في كتاب الفسيولوجي : « ذكر بعض المؤلفين أن الانسان يمتاز عن الحيوان بكونه يعيش في كل جوف وعلى كل أرض . وهذا خطأ عظيم ، وهم كبير ، فقد أثبت التاريخ مراراً أن أهل الشمال لا يمكنهم العيش في أرض الجنوب . انظر إلى البربر من أهل الشمال وبلاد الجليد الذين فتحوا أرض الرومان وسكنوا أقاليهمها الحارة كيف لم يمض قرن واحد حتى أفنأهم الموت وأتى عليهم الفناء فلم يبق من الغوطيين واحد في ايطاليا . وهذه مصر حكمتها عشرون أمة فأكلتهم وبقى الفلاح المصري كما هو على أرضه . وكذلك عجز الرومان عن أن يستوطنوا أفريقية مع أنهم استوطنوا أسبانيا وأرض الجول حتى جعلوها بلاداً لاتينية بجمته . ولا ريب أننا سنلاقي في الجزائر ما لاقاه فيها الرومان في سابق الزمان فهلك هذه الأرض ذراري فاتحها مالم يفهم و كما يفعل الانكليز في الهند من ارسال أبنائهم ليتربوا في أوربا . وبالجملة إن الانسان

إذا اختلف وسطه الطبيعي هلك وخصوصاً إذا جاء من الشمال إلى الجنوب ، اهـ .

* *

* *

جميع ما تقدم متعلق بالمكان أي مواطن الإسلام وبلاده . أما السكان وهم الأمم المسلمة فحدث ولله الحمد عن حصص البطحاء ، ورمال الدهناء ، وأنجوم السماء ، كثرة آحاد ، ووفرة أعداد ، فمن هؤلاء في أفريقية ما ترى :

في مرآكس	٩ ٠٠٠ ٠٠٠
» الجزائر	٤ ٥٠٠ ٠٠٠
» تونس	١ ٥٠٠ ٠٠٠
» طرابلس	١ ٤٠٠ ٠٠٠
» مصر	١٠ ٠٠٠ ٠٠٠
» السودان المصري	٦ ٠٠٠ ٠٠٠
» الصحراء الكبرى	٤ ٠٠٠ ٠٠٠
» السودان الذي تحت حماية فرنسا	١٣ ٠٠٠ ٠٠٠
» السودان الذي تحت حماية انكلترا وفي النيجر	٩ ٠٠٠ ٠٠٠
» السودان الاوسط كواداي وباجرمي ونحوهما	٥ ٠٠٠ ٠٠٠
» الكونغو	١ ٥٠٠ ٠٠٠
» توبوقامرون	٤ ٠٠٠ ٠٠٠
» الأوغنده	٣ ٠٠٠ ٠٠٠
» الأريطرا والحبشه	٣ ٥٠٠ ٠٠٠
» موزمبيق ومدغشقر والكامبال والزنجبار وأبولك وأفريقيا الوسطى	٣٠ ٠٠٠ ٠٠٠
مجموع ما في أفريقيا	١٠٥ ٤٠٠ ٠٠٠
وفي أوروبا ما ترى	
» في تركيا أوروبا	٢ ٥٠٠ ٠٠٠
» البوسنه والمهرسك	٧٠٠ ٠٠٠
» البلغار والروماني الشرقي	١ ٠٠٠ ٠٠٠
» رومانيا	٦٠ ٠٠٠
المجموع	٤ ٢٦٠ ٠٠٠

في الصرب	٢٠٠٠٠
» الجبل الأسود	١٠٠٠٠
» اليونان	٣٠٠٠٠
» روسيا أوروبا والقفقاس	٢٥٠٠٠٠٠
مجموع ما في أوروبا	٦٨٢٠٠٠٠
وفي آسيا ما ترى	
في الأناطول	٧٠٠٠٠٠٠
» أرمينية	٤٠٠٠٠٠٠
» العراق	٢٥٠٠٠٠٠
» الشام	٢٠٠٠٠٠٠
» جزيرة العرب	١٢٠٠٠٠٠٠
» المعجم	١٢٠٠٠٠٠٠
» روسيا آسيا	١٠٠٠٠٠٠٠
» أفغانستان	٩٠٠٠٠٠٠٠
» بلوچستان	٥٠٠٠٠٠٠٠
» الهند	٩٠٠٠٠٠٠٠٠
» سيام	١٠٠٠٠٠٠٠
» الهند الصيني	٢٠٠٠٠٠٠٠
» الصين	٤٥٠٠٠٠٠٠٠
مجموع ما في آسيا	١٩٧٠٠٠٠٠٠٠
وفي الأقيانوس ما ترى	
في فيلين	٥٠٠٠٠٠٠٠
» سوماطرا	٤٠٠٠٠٠٠٠٠
» الجاوا	٣٧٠٠٠٠٠٠٠٠
» بورنيو	٥٠٠٠٠٠٠٠٠
» ماليزيا وغيرها من الجزائر	٩٠٠٠٠٠٠٠٠٠
مجموع ما في الأقيانوس	٥١٠٠٠٠٠٠٠٠

فهذه ثلاثمائة وستون مليوناً من النفوس خلف لفلان الذين يقول الله سبحانه فيهم « مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَرَزَعٍ أُخْرِجَ شَطْرُهُ فَأَزْرَهُ فَأَسْتَفْظَ فَاستوى على سَوْقِهِ يُحِيبُ الزُّرَّاعَ لِيَفِيضَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا »

وهذه الأمة الكريمة ان حرمت الآن كثيراً من أسباب العلم والعمل فإنهم يزل في أمر جنبها آثار شريفة وصفات قويمه من أثر دينها وارث سالفها تمتاز به على كثير من الأمم. قال القسيس (اسحاق طيلر) « ان الاسلام يمتد في أفريقيا وتسير الفضائل معه حيث سار الكرم والعفاف والنجدة من آثاره، والشجاعة والأقدام من أنصاره، ومن الأسف ان السكر والفحش والقمار ينشر بين السكان بانتشار دعوة المبشرين » وقال (كونتنن) : « يمتاز المسلمون في الصين على مواطنيهم من الوثنيين برفعة في السجايا وشرف في الاخلاق قد طبغته في نفوسهم ونفوس آبائهم وصايا القرآن بخلاف الوثنيين فانهم في سقوط تام من حيث ذلك »

ومن أهم الثموت التي يمتاز بها المسلم عزرة النفس فهو سواء في حال بؤسه ونعيمه لا يرى العزة الا لله ولرسوله وله. وهذه الصفة التي غرسها الدين في نفوسهم اذا توغرت معها الوسائل كانت أعظم دافع لها الى التسابق الى غايات المدنية ورقبات السكال. وان أردت فالملح بقلبك حال قوم فقدوا هذا اليقين ماذا يجد من فتور في حركاتهم وقصور في همهم وخصوصاً اذا بنى عليهم الجهل فظنوا أنهم أدنى الملل كطائفة الذهبير وما لك .

ثم ان هذه الأمم الاسلامية وان اختلفت بهم البلدان وتباينت البقاع والميطان، وتنوعت الاجناس وافترقت الألسنة فقد وحدتهم وحدة الاسلام وجمعتهم جامعة الدين وهي جامعة كبرى تتلأهني أمامها الجامعات الصغرى وتلقى الفروق فيكون حين المسلمين بها اخوة. قال تعالى : « انما المؤمنون إخوة » وقال صلى الله عليه وسلم « ليس منا من دعا الى عصبية » فوطن المسلمين هو مجموع الأمة الاسلامية في الدين

وهو الذي قيل فيه : حب الوطن من الإيمان . (١) وأيس المراد به حب التربة والمسكن والأهل والعشيرة ولو كان كذلك لما كانت الهجرة في الإسلام ، ولما نطق الكتاب بالحك عليها والأمر بها . قال الله تعالى : « وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرَافِقًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ » فمن قال من المسلمين في أية بقعة من الأرض (وطني) فقد قال (ديني) وقال تعالى : « إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً » وقال سبحانه : « وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا » ولهذا يرى المسلمين مهما تباعدوا أو تباغضوا الاتزال تعمل هاته إلى الجامعة عملها فيها يسرون اسرور بعضهم ويحزنون كذلك وان افرقت بهم البلدان ما بين المشرق والمغرب . وقد عظمت الصلابة في هذه الجامعة الدينية والرابطة الاسلامية حو سهاها غيرهم الآن (تعصبا) (٢)

على ان التعريف بالوطن على هذا النحو هو غاية ما رقى اليه الامم ، وتنبعث نحو الهمم ، قال آدمون ديولان : والمهاجر من الانكليز السكسونيين بشعر دائم بأنه انما يرحل عن بلده مستصحباً لوطنه اذ هو يرى الوطن حيث يعيش المرء حر ثم قال : « والنصر كل النصر للامم التي وطدت أركان نظامها على دعائم هذه الوطنية والتعريف بالجامعة أيضاً على مثال ما تقدم سير مع سنة العمران وذلك ان أوا اجتماع الانسان كان على شكل جميات صغيرة جامعتها النسب كبنى دار وبني أسب وبني شيان الخ ثم ارتقى الى جميات أكبر من الأولى جامعتها الجنسية وهي التي عليها الامم الآن ويقول العلماء انه سيرتقى الى جنسيات كبرى واحدة جامعتها الانسانية

- (١) المنار - اشهر ان هذه الكلمة حديث وقد نهبنا غير مرة على أنه موضوع
 (٢) ان في مصر من أحداث السياسة من يكتب ويخطب لينسخ هذه الآيات الكريمة ويفرق هذه الجامعة بكلمات سخيفة مثل «الوطنية الحقة» و«الدخلاء» فهذه الوطنية الباطلة لا ترضى الاسلام والمسلمين ولا غيرهم من وطنيين و«مهاجرين» لأنها هضمت كل حق . أما الجامعة الاسلامية فانها تعطي كل ذي حق حقه « لهم مالنا وعليهم ما علينا » وان وجد شيء من التعصب في بلاد المسلمين فامسا وجد بتراخي مصرى هذه الجامعة المعادلة كما ينادى صرارا

وترى الأمم تقرب من تلك الغاية الهائية بتأليف الأجناس المتقاربة الى جنس
أعم كسبي الجرمان والسكسون والسيلاف واللاتين في ذلك الآن . فإذ اتين هنا
كانت الجامعة الإسلامية التي أسست بل لاقت جنمات الأجناس ونقلها الى جامعة
عظمى يكون فيها كل مسلم الروم يبارك من ٣٦٠ مليوناً خطوت كبرى في السير نحو تلك
الجامعة التي ستضم أفراد الانسان والتي يسمى ورثتها الاسلام من ثلاثة عشر قرناً (١)
فإن الجامعة الإسلامية أشبهت بحال الجامعة الأمريكية التي تضم الأجناس المختلفة فيها
شرقاً وغرباً بالتأييد عبداً (مورويه)

ولا يقول بعض جيراننا من المسيحيين ان التثبث بالجامعة الإسلامية يفقد
الساميين الارتباط بهم فانهم لو صدقوا في هذا القول لفقد المسلمون بذلك عشرة
ملايين نفس من كل المسيحيين الذين في بلاد الاسلام وكسبوا ٣٦٠ مليوناً من
أخوانهم . على ان الامم ليس كذلك فان رابطة التهمة تقوم مع هؤلاء المسيحيين مقام الدين
فلا يحرم الفريقان من التعاون والتعاقد فعمل وقد أمر القرآن بمزيد الحسنى معهم
قال تعالى : « لا ينهناكم الله عن الذين آمنوا بقاؤكم في الدين ولتم يخرجوكم
من دياركم ان تبرؤوهم وتسلموا اليهم ان الله يحب المفسجين »

هذا وان الاسلام أخذ في الازدياد والنمو في اكناف الارض بكيفية تستوقف
البصر ، ونحير الفكر ، بل هو كما حزبه الاعداء ، وضايقه الأواء ، اربى في الجناء ،
كالشجر اذا شذب متبه زاد ، او الأتي اذا شدد طريقه ففرق البلاد . وقد حزم
المعارفون وفي أولهم عاملاء الافرنج انه لا يمضي حرس من الدهر حتى يربو على جارية المسيحي
والوثني وعدد الأول الآن (٤٢٠) مليوناً والثاني (٥٠٠) مليون . وذلك لأن نسبة
الزيادة فيه والزيادة فيما مختلفه جداً حتى تكاد تكون كالفارق ما بين المئتي وراكب
الهملاج . كان سكان مصر سنة ١٨٨١ ستة ملايين فاصبحوا سنة ١٨٩١ نحو عشرة
ملايين وكان مسلموا الهند سنة ١٨٩٢ (٥٧) مليوناً فصاروا سنة ١٩٠١ (٩٠) مليوناً
وعلى هذا فقس مسلمي الصين والسودان وغيرهم . وهذا شيء لا يوجد مثله في الأمم
الأخرى . قال ديمولان : يتضاعف عدد سكان فرنسا في ٣٣٤ عاماً وسكان المانيا

(١) المنار : تراجع القراء مقالة (الجنسية والدين الاسلامي) في المجلد الثاني من المنار (ص
٣٢١) ومنها يعلم ان الاسلام هو الذي جاء لجمع البشر كلهم فهم يسمون اليه ولا يعلمون
(٧٧ - المنار)

في ٩٨ عاماً وانكلترا في ٩٣ عاماً واستريا في ٦٢ عاماً
والاسباب في انتشار الاسلام وازدياده في كل صقع وقطر من أحشاء افريقية
الى ميطان الصين الى جزر المحيط كثيرة نذكر بعضها فنقول

(السبب الاول) — سلامة العقيدة الاسلامية وسهولتها . فأت مرة لسيد جمال
الدين الافغاني ما هو دين المستقبل؟ فقال لي هذه الآية من كتاب الله : « ان الذين آمنوا
والذين هادوا والصابغون والنصارى والصابغون من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم
أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون » . وقال لي كاستري في مؤلفه عن
الاسلام : « هكذا جذب الاسلام قسما عظيما من العالم بتأودع فيه من اعلاء شأن النفس
بتصور الذات الالهية على صفات فوق صفات البشر تذكرها خمس صلوات في كل
يوم وبما اشتمل عليه من الترفق بطبيعة البشر حيث اباح للناس شيئا مما يشبهون . واعظم
عامل في انتشار الاسلام خصوصا عند الأمم الزنجية (السود) بساطة مذهبه وسداجة
تمامه وهو سبب موجود في القرآن نفسه فهو بذلك يلائم الطباع . دين لا اسرار فيه
وكلمة (اي كلمة الشهادة) يمتاض عنها عند الاحتضار باشارة تدل عليها كرفع السبابة
الى السماء اشارة الى وحدانية الله تعالى فكلمتا وجد الرجل الجاهلي امامه دينين
متحدتين في حقيقتين وحدانية الله وخلق الروح — وهما الاسلام ودين عيسى — تراه يختار
الدين الذي لا يزيد شيئا على دينك الحقيقية ويمتنق الاسلام بلا محالة وهي قوة يفضل
بها القرآن الديانة المسيحية في الانتشار وكانت معروفة عند أهل القرن السابع عشر لذلك
تقرأ في كتاب القس (ماراشي) الذي سماه (الرد على القرآن) : « ولا يعين عن ذهن
القارئ ان تلك الطائفة . . . لا تزال حافظة لكل ما في الدين المسيحي من الامور
الظاهرة الواضحة القريبة التصديق مضافا اليه ما يوافق نظام الكون وقانون النشأة
الدينيوية فقد أبعد عنه احاجي الإنجيل التي نحاها في أول الامر غير صحيحة لا تدركها
المقول كما انه جرد تعاليمه من كل قاعدة يشد بها الخناق على البشر مما جاء في ذلك
الكتاب وبهذه الوساطة تمكن من دفع العقبتين اللتين يحسن كل واحد منا بينهما
الحاجز ينسب وبين الدين الحق الصحيح وهما عقبة الروح وعقبة الجسم وهذا هو
السبب في أن الوثنيين الذين يريدون ترك دينهم في أيامنا هذه يمتاضون عنه بالاسلام
دون الديانة المسيحية » اه

وقال (اسحق طيلر) : « ايس أمر المسيحية واقفاً عند المعجز عن إحداه

مواطئ جديدة لأقدامها فقط ولكن المقام الذي هي فيه قد تعجز عن حفظه أيضاً. أن دين الإسلام قد انتشر آنفاً من مراكش الى جاوا ومن زنجبار الى الصين وهو الآن ينتشر في افريقية بسرعة لا يأتي عليها الوصف واننا نرى الإسلام أوفق ما يكون لتهديب الأمم المتوحشة وترقيتها. أما الديانة المسيحية فلا نالها عقولهم وبذا قد دفع الإسلام المدنية أكثر مما تفعلها المسيحية. اذا دخلت الديانة المحمدية في قبيلة زنجية تحت عبادة الأوثان وأبطلت كل لحوم البشر ووأد الأطفال وأنشأت فيهم النظافة وعزة النفس والوقار وكرم السجايا فصير قري الضيف بمنزلة الفريضة الشرعية ويندر السكر والقمار والمراقص الحزبية وتعد العفة في الأنث من خلائق التقوى ويفشو التناسخ بالاحسان والأخوة بالوجدان *)

(السبب الثاني لانتشار الإسلام) — موافقة أحكامه للفطرة الانسانية وابتنائها على الحكمة العقلية. قال (لوشاتليه) في كتابه المسمى (الإسلام في القرن التاسع عشر): «إن نمو الإسلام في الهند أمر لا ينكر وسببه في الغالب حكم المساواة بين الناس الذي سنته الشريعة الاسلامية وذلك ان أهل الهند بحسب مذاهبهم القديمة ينقسمون الى طوائف لا ينبغي لطائفة منها أن ترقى الى الطائفة التي فوقها فمن ولد منهم في طائفة دنيا لا يجد له مخلصاً الارتقاء الى العلاء والحلوص من قيد الطائفة الاعتراف الاسلام» وقال (لودوفيق دو قنتاسون) في كتابه المسمى (النصارى والإسلام): «لا يصل أهل الهند الى أن تكون لهم حكومة وطنية مستقلة الا اذا ذهب من بينهم التخالف في المذاهب والطوائف والاجناس ولا يكون ذلك الا اذا ساد فيهم الإسلام الذي يبيد جميع هذه الفروق ويقيم اركان المساواة والإخاء والحرية التي هي من قواعد الديانة الاسلامية» (١)

(السبب الثالث) — وهو أهم الأسباب حذق دعاة الإسلام وهم الصوفية. الصوفية جمعية في الأمة الاسلامية مرتبة النظام، منظمة الهندام، يبالغ عددها مائة مليون من النفوس فهي أكبر جمعية في الدنيا لا يضارعها البوكسر في الصين ولا الطوائف الدينية في

(*) تراجع مقالات اسحق طيلر وخطبه في المنار (١) إن من أحداث السياسة في مصر من يحاول إبطال هذه المزايا الاسلامية بضمه وقلبه لغواً بالوطنية ويزعم مع ذلك أنه يخدم مصر والإسلام !!!

أوروبا وغيرها وقد قامت هذه الجمعية بالدعوة الإسلامية مقاماً محيياً (١) ، قال بعضهم : « ان العالم الإسلامي وقف عن التقدم والفتاب أمام الدول الأوروبية من مدة مديدة فاستطاعت هذه الدول على الممالك الإسلامية وغالب للكثير منها بالقوة

(١) للصوفية (علم وعمل) أما العلم فهو العقائد والقواعد والاحكام المعروفة في كتب التصوف كالفتوحات ، والفصوص ونحوها وأما العمل فهو ارشاد المسامحين ودعوة غير المسلمين الى الاسلام .

والناظر في هذه الايام من بعض متهمي الكتاب انكاراً وتثريباً على عقائد الصوفية وطلباً للتلاشي هذه الجمعية من بين المسلمين بسبب ذلك قال بعضهم : ان هذا المذهب دخل الى الاسلام من القرن الثاني مع ما دخله من المذاهب اذ ذاك وانما نقل اليه من الفرس بدليل ان مشائخه الاولين كلهم اطاحم كالجنيد النهاوندي وأبو يزيد البسطامي وابراهيم ابن ادهم البلخي وشر الحافي المروزي وسهل التستري الخ وبدليل انهم جعلوا سند الطريق الى علي رضي الله عنه دون غيره ولا يفعل ذلك الا للفرسين الذين هم شيعة . وبدليل انه كان مدوناً في كتب الفرس واشعارها قبل الاسلام وقد نقله الفرس عن اليونان اذ كان عندهم مذهباً للحكام الاشراقيين . وأخذته اليونان من الهنود الاقدمين اما بواسطة فتوح الاسكندر أو قبلها . قال ابو الريحان البيروني في كتاب الهند عند ذكر اعتقاد الهنود في الموجودات العقلية والحسية مانصه : (ان قدماء اليونانيين قبل ظهور الحكمة فيهم بالسبعة المسمين اساطين الحكمة وتهذب الفلسفة عندهم كانوا على مثل مقالة الهند وكان فيهم من يرى ان الاشياء كلها شيء واحد (وحدة الوجود) ثم من قائل في ذلك بالكون ومن قائل بالقوة وان الانسان مثلاً لم يتفصل عن الحجر والجماد الا بالقرب من العلة الاولى بالرتبة والا فهو هو ومنهم من كان يرى الوجود الحقيقي للعلة الأولى فقط لا استغناء بذاتها فيه و حاجة غيرها اليها وان ماهو مفتقر في الوجود الى غيره فوجوده كالتخيال غير حق والحق هو الواحد الأول فقط . وكانت هذه الآراء آراء (الصوفية) أي الحكماء فان سوف باليونانية معناها الحكمة وبها سمي الفيلسوف أي محب الحكمة ولما ذهب في الاسلام قوم الى قريب من رأيهم سموهم باسمهم ولم يعرف اللقب بعضهم فذهبهم بالتوكل الى الصفة وأنهم اصحابها في عصر النبي صلى الله عليه وسلم وصيره بعضهم من الصوف وعدل أبو الفتح البستي عن ذلك احسن عدول في قوله :

العقلية والمادية ولكن الذي أحجزها وضاعت معه قوتها وحياتها هم الصوفية . فالصوفية هم في الحقيقة القوة الدالة على الحيوية والنماء في العالم الاسلامي فتراهم في افريقية

تنازع الناس في الصوفي واختلفوا قدما وظنوه مشتقاً من الصوف
ولست أحل هذا الاسم غير فتي صافي فصوفي حتى لقب الصوفي
وكذلك ذهبوا الى أن الموجود شيء واحد وان العلة الأولى تترامى فيه بصور
مختلفة وتحل قوتها في أبعاضه بأحوال متباينة توجب التغير مع الاتحاد (الحلول
& الاتحاد) وكان فيهم من يقول ان المنصرف بكليته الى العلة الأولى متشبهاً بها على
غاية امكانه يتحد بها عند ترك الوسائط وخالف الملائق والموائق (الرياضة والتجرد) .
وكانوا يرون في الأنفس والأرواح أنها قائمة بذواتها قبل التجسد بالابدان
ممدودة مجندة تتعارف وتتناكر وأنها تكتسب في الأجساد بالخيرورة ما يحصل لها به
بعد مفارقة الابدان الاقترار على تصاريف العالم ولذلك سموها آلهة وبنوا الهياكل
بأسماؤها وقرَّبوا القرابين لها كما يقول جالينوس في كتاب الحث على تعلم الصناعات
(أحباب الكرامات) اه كلام البيروني

قالوا والوصول الى المعرفة عند الصوفية ليس من طريق النظر والتجربة بل
من طريق الرياضة وكل ما يفضله الصوفية الآن من الاهتزاز الشديد في الذكر ونحوه
هو لتخليص النفس من الحس حتى تجلي لها المعرفة بقدر ذلك ولا شك ان هذه
جميعها عقائد وقواعد يجب الفاؤها لأنه لم يجبيء بها كتاب ولا سنة . اه

أقول هذا تهور وخطل وبعد عن الصواب اذ كيف يجوز لمسلم أن يطلب ايلاف
الحركة التي يعترف الافرنج أنفسهم بأنها الحركة الحية الوحيدة الباقية الآن في الاسلام
والتي فتحت للاسلام الآن قدر ما فتحت سيوف الفاتحين الأولين أما الطريقة لأصلاح
حال الصوفية ونفي الضر عنها وإبقاء النافع فيها فهي ان نجعل (العلم) عندهم هو
علم الشرع الاسلامي بلا زيادة ولا نقص و (العمل) يبقى موضوعه على ما هو عليه
فيكون عبارة عن ارشاد المسلمين الى الشريعة المطهرة ودعوة غير المسلم الى الاسلام
وبهذا يكون التصوف عبارة عن (علم بالشرع وعمل به) ويقوم مشايخ الصوفية
اذن بركني التعليم والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر اللذين حث عليهما الكتاب
السكريم قول تعالى (واتمكم منكم أمة يدعون الى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون
عن المنكر) وقال تعالى (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا

وفي الصين والهند وأواسط آسيا بل في جزائر المحيط يدعون إلى الإسلام ويدخلون الأفواج فيه كل يوم حتى أن الخطوط التي ترسم في أفريقية لبيان حدود الإسلام وراء خط الاستواء تنقل متقدمة إلى الجنوب في كل عام من أثر فتوحات مشايخ الطرق في مجاهل أفريقية . وما دخل الفرنسيس قرية في الكونغو إلا وجدوا الصوفية قد سبقوهم إليها وزرعوا بغض الناس لهم فيها . ومن اطلع على المؤلفات الكثيرة الأوربية التي تؤلف في هذه السنين في أوربا عن أحوال الصوفية وتاريخ الطرق وكيفية سير أهلها في الدعوة علم أن مسألة الصوفية هي المسألة الشاغلة للباحثين عن حالة الإسلام الماضية والمستقبلية

وقد بلغ من العناية بهم أن والي الجزائر كلف جمعية برئاسة (اوكتاف دويون) عن البحث في أحوال الصوفية فعملت وطبعت أعمالها في مؤلف ضخمة ورسمت خريطة عامة يتبين منها ما يوجد من الطرق والتوائف في كل بلد من بلاد الإسلام بإعلامات مخصوصة حتى تستقصى منها حركاتها وتنقلاتها في الأقاليم اهـ

وقال دي كاستري : « قد فطن المسلمون إلى ما أحقق بهم من الأخطار و أرادوا تمكين الجامعة وتوحيد الروابط بينهم وهي عند المسلمين أشد قوة منها لدى غيرهم من الأمم التي تدين بدين واحد لأن القرآن شريعة دينية وقانون مدني وسياسي ومن ذلك وجدت حركة في النفوس غايتها مقاومة النصرانية بجميع الوسائل الممكنة وعلى الخصوص مفايلة التمدن الجديد باسم الإيمان . قال القائد (رين) وتأتي قوة هذه الحركة الإسلامية من تعدد الطرق الصوفية التي وجدت من أول هذا القرن وعظم شأنها في جميع الأنحاء وصار لها تأثير شديد في قلوب الناس ولهم رسل ومرشدون يطوفون البلاد الإسلامية التي لاحد لها وغير الإسلامية كمشربين أو مستمطين أو قاصدين للحج ويصلون بهذه الكيفية بين الأقطار من مكة إلى جنجوب إلى القسطنطينية وبغداد إلى فاس وتبكتو إلى القاهرة إلى الخرطوم إلى زنجبار ثم كلاكتا وجاوه ومنهم التاجر والمهجم وطالب العلم والشحاذ والمجنوب وكلهم يلاقون صدوراً رحبة وهنزة كريمة بين المؤمنين اهـ

قومهم إذا رجعوا إليهم لعلهم يحذرون . وتكون جمعية الصوفية في الدنيا أشبه بمدرسة عظمى فيها المشايخ والخلفاء أساتذة والمرشدون من الكافة تلامذة قد وضعوا أنفسهم تحت التعلم ومراقبة العمل به مدى العمر اهـ مؤلف الرسالة

وقال (كونتاسون): ترى حركات كثيرة واعمالاً كبيرة يقوم بها المهديون أو الامراء في العالم الاسلامي ثم نزول كأن لم تكن . اما العمل الثابت الدائم فيه فهو عمل الصوفية فالفضل لهم في انتشار الاسلام شرقاً وغرباً شمالاً وجنوباً. وقال (شاتليه) بعد ان اطال في وصف انتشار الاسلام في الدنيا وعزاه لمساعي مشايخ الطريق: «والخلاصة ان الاسلام مدين بكل فتوحاته السامية وانتشاره في الافطار لجماعة الصوفية . فمشايخ الطريق هم في الحقيقة الذين يدرون حركة الاسلام الحية . ولا يخفى ما في عملهم هذا من الخطر على المصالح الأوربية»

(السبب الرابع) تعدد الزوجات وهو الاسر الذي به يتفق للمسلم الواحد ان ينسل خمسمائة نسمة وفي الحديث «تناكحوا تكاثروا فاني مباح بكم الامم يوم القيامة» (١) وقال تعالى في حكاية دعاء ابراهيم واسماعيل: (رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمِينَ لَكَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَكَ)

قال دي كاستري أيضاً: «ومن الوسائل الناجحة في المسامحة لانتشار الاسلام الزواج فان سلاطين السودان يتزوجون من العائلات الوثنية لهذه الغاية ولا تمكث النساء وأولادهن حتى يصير الكل من أقوى الاسباب لانتشار الدين الاسلامي وقد أشار موسيو (رونان) الى ذلك في بعض كتبه حيث يقول (من الصعب ان يصم المرء أذنه اذا تقدمت اليه النساء والاطفال ومد كل يديه اليه وطلب منه ان يعتقد بمن نعتقد) على ان الزواج هو السبب في وجود انصار الاسلام الاولين»

(السبب الخامس) — بغض الامم الوثنية للمسيحيين وميلهم الى المسلمين بالفتنة قال (كونتاسون): ان مما اعلى كعب الاسلامية على النصرانية في الصين عناية ملوك الصين بالمسلمين من قديم فهم يمنحونهم على الدوام من المراتب والاقاب والمنح ما يذمونه النصارى. وقال بعض الكتاب: «قدمت الأوربيون بلاد الصين بجماهير المرسلين من كل ملة ونحلة وسهلوا لهم سبل التملك ووعدهم بالمساعدة فأدخل هؤلاء المرسلون بعضاً من أهل الصين في دينهم بعد ما وعدوهم بالحماية الأجنبية. من كل ساطة للقانون فجرأهم ذلك على ارتكاب ما محرمة القوانين والاعتداء على أهل البلاد فنجم عن هذا معظم الاسباب التي أوجبت كره أهل الصين للمسيحيين كرها يشبه التمهيب

(١) المنار: رواء عبدالرازق في مصنفه من حديث سعيد بن أبي هلال مرسلًا بسند ضئيف. ولكن ورد بمناه في مكاررة النبي الأمم والأنبياء بأتمه ما يقويه

وبالجملة إن الأروبيين القائلين بالساواة يعاملون اللون الأبيض من نبي الإنسان معاملة الأخ لأخيه واللون الأصفر معاملة الرجل لحادمه واللون الاسمر معاملة السيد لمبده ويطلقون الرصاص على ذي اللون الأسود كما يطلقونها على الوحش الضاري فالإنسان كلما مال لونه الى السواد كان نصيبه من هؤلاء الخذلان وفاحش الامتهان . ولهذا كان كره الأمم الشرقية لهم متكاثراً وحقدهم عليهم عظيماً .

وقال (فيليكس مارتان) في كتابه عن اليابان مانعه : « وقد استأصل أهل اليابان جميع النصارى فلم يبقوا مبشراً الا شرودوه ولا قسيساً الا قتلوه وكان قد تسعر من أهل اليابان ٣٧ الف نفس فاعدموهم قاطبة » . وقال أيضاً : « ان الصبغة التي تعطي كل مشكلة أو نورة في اليابان الآن لتجملها مقبولة من الناس هي الحركة ضد الافرنج » .

وقال أيضاً : « كل من زار اليابان من الأوربيين يعلمون بان الحلة اليوم كما كانت في الأزمنة السابقة وان الافرنج في اليابان كأنهم في دار حرب أو بلد عدو وأنه لو كشف العطاء عن الياباني الحالي وزخرفته لوجد انه ذلك (الساموري) القديم الذي يغلي دمه بعداوة الافرنج عداوة وراثية فيهم لافرق فيما بين الكبير والصغير والامير والحقير » . وقال هانتو وزير خارجية فرنسا سابقاً في مقاتته عن الاسلام : « وقد انبعثت شعبية منه في بلاد الصين فانتشر فيها انتشاراً هائلاً حتى ذهب البعض الى القول بأن العشرين مايو نأمن المسلمين الموجودين في الصين لا يلبثون أن يصيروا مائة مليون (١) فيقوم الدعاء لله مقام الدعاء (لسا كياموني) وليس هذا بالأمر الغريب فانه لا يوجد مكان على سطح المعمورة الا واجتاز الاسلام فيه حدوده منتشراً في الآفاق ، فهو الدين الوحيد الذي يمكن اعتناق الناس له زمراً وأفواجاً وهو الدين الوحيد الذي تفوق شدة الميل الى التدين به كل ميل الى اعتناق دين سواه . ففي البقاع الافريقية ترى المرابطين وقد أفرغوا على أبدانهم الحلل البيضاء يحملون الى الوثنيين من العيد العارية أجسادهم من كل شعار قواعد الحياة ومبادئ السلوك في هذه الدنيا كما ان أمثالهم في القارة الآسيوية ينشرون بين الشعوب الصفراء الألوان قواعد الدين الاسلامي ثم هو — أي هذا الدين — قائم الدعائم ثابت الاركان في اوربا عينها . أعني في الاستانة — حيث عجزت الشعوب المسيحية عن استئصال جرثومته من هذا الركن المنيع الذي يحكم على البحار الشرقية ويفصل الدول الغربية عن بعضها شطرين »

(١) المنار : جاء القاهرة في هذه الأيام تاجر بلوحي مسلم ذهب الى الصين مراراً فأكد القول بان مسلمي الصين يبلغون ٨٠ مليوناً وان عامائهم يوزأون بقول الأوربيين أنهم ٤٠ مليوناً

وقال آخر : ان الاسلام في الصين أربعين مليوناً من النفوس وان للمسلمين عند أهل الصين منزلة عالية قال موسيو (وازيليف) وهو من الذين اشتغلوا بالاسلام في تلك النواحي : ان مصيره القيام مقام مذهب (ساكياوني) (١) وان لمسلمي المملكة السماوية اعتقاداً جازماً بأن الاسلام لا بد أن يسود حتى تزول به تلك الديانة القديمة وهي مسألة من أهم المسائل اذ الصين أهلة بثاث العالم او تزيد فلو صاروا كلهم مسلمين لاوجب ذلك تغييراً عظيماً في حالة تلك البلاد باجمعها فيمتد شرع محمد من جبل طارق الى المحيط الأكبر الهادي ويخشي على الدين المسيحي مرة أخرى ومعلوم ان أمة الصين أمة عاملة وان هدأت أخلاقها وجميع الأمم تستفيد الآن من عملها فلو جاءها التعصب الاسلامي ذو البأس القوي لحشيت بقية الأمم من السقوط تحت سلطانها (٢) وقال موسيو (مونتبط) لقد صار من المحقق ان الاسلام ظافر لا محالة على غيره من الأديان التي تتنازع البلاد الصينية «

وقال شاتليه (ان من تأمل حال الاسلام في الفطرين اللذين هما أهل أقطار آسيا بل أقطار العالم - الهند والصين - يجد أن الاسلام وحده يتقدم وينمو على حين يرى غيره من الديانات القديمة تداعي وتضعف والمسيحية لا تكاد تثبت)

وقال آخر بعد ان وصف فتوح الاسلام في الديانات الأخرى وعجز الآخرين عن الفتوح فيه : (ولم يرالمبشرون في طريقهم بلداً قامت في وجههم سدوده وأقفلت دونهم أبوابه مثل بلاد الاسلام ومن الصعب أن يكيف الانسان حالة مسلم يريد أحد المسيحيين أن ينصره حتى لو شربناه بمسيحي مستنير يريد وثني أن يميل به الى عبادة الاصنام وكان التثبيد ناقصاً)

وقد ملأت هذه الفتوحات الاسلامية قلوب الامم الأخرى وبلبلت بلبالبهم حتى عدوها من الخوارق وبنوا أسبابها على ما وراء الطبيعة

(١) هو احد ملوك الصين تخلى عن الناس في التاسعة والعشرين من عمره وعكف على العلوم حتى برع فيها وسمى نفسه (بودا) ومعناه العالم او المتنور ووضع المذهب الذي اتخذته الصين والهند ديناً وكان ظهوره في القرن الحادى عشر قبل المسيح وقيل في القرن السابع وهو الأرجح (٢) راجع كتاب موسيو دابرى المسمى الديانة المحمدية في الصين وتركستان الشرقية المطبوع في باريس سنة ١٨٧٨ هـ من هاشم كتاب الاسلام لدي كاستري

قال دي كاستري : « هذه هي أهم الأسباب في انتشار الإسلام ولست أدري ان كانت تكفي لإدراك سر هذا الدين في انتشاره أو انه يجب البحث معها عن أسباب سماوية غير ان الإسلام خرج من ذرية اسماعيل وسرى في الأرض كما خرجت المسيحية من ذرية اسحق وقد بارك الله في أبناء الخادمة كما بارك في أبناء السيدة

« ونحن نعلم ان يهوذا قال لابراهيم عن اسماعيل انه سيبارك فيه ويكثر من نسله كثيراً وكرر له ذلك بقوله انه سيبارك له في ابن الخادمة فتخرج من صلبه أمة كبرى لكونه من أولادك وأعاد يهوذا هذه البئسرى مرة ثالثة لوالدة ذلك الطفل الذي نجاني الصحراء حيث رمي لموت عطشاً وقصة ظهور الملك الى هاجر من أجل الروايات ووصف بادية الظماء وهلف الام على ولدها من ألطف ما يقال (نضب الماء في الزق ورمت هاجر الطفل تحت شجرة وابتعدت قليلاً ثم جلست أمامه على مسافة مرمى النبل وقالت لست أصبر ان أرى ابني يموت ثم رفعت صوتها بالبكاء فهو قد كان بكاء الطفل سبقها الى السماء فاجابها الملك من قبل الله : مالك يا هاجر لا تخافي فقد سمع الرب صوت الطفل من المكان الذي وضعته فيه فقومي وساعديه على القيام والبشرد ساعدك على حمله فيكون من ذريته أمة كبرى)

« ولقد ارتعشت يدي عندما مددتها لأزيل الغطاء عن الكتاب المقدس كي أنقل الآيات التي سطرتها ولولا ما قاله الاب بروغلي من أن تقدم الإسلام أمر مندرج تحت ماشر به أبو المؤمنين لما تجرأت ان أطبق تلك الآيات على الإسلام ولا ذهبت الى أن في انتشار هذا الدين سرأ من الأسرار الربانية » اهـ

هذا ما أردنا بيانه في هذا الفصل ومنه يعلم أن حفظ الإسلام من الأرض أوفر حظ وان أرضه له لا يمكن أن ينزعها منه غيره وان عدد المسلمين كثير وان صفاتهم الفطرية قوية، وجاءتهم الدينية عظيمة، وانهم يزيدون زيادة تستوقف الأبصار، وتثير الأفكار، وانه لا يتسنى لغيرهم أن يجاريهم في هذا المضمار، واذا كان الأمر كذلك كان رأس مال الإسلام من الأصليين الطيبين الضروريين استقبال الأمم كبرا في الحال، أكبر من غيره في الاستقبال، ولا ينقصه الا الامور الكسبية والاسباب الوضعية التي لا بد أن تدفعه طبيعة العمران لتحصيلها شاء أو أبى. فيصل الى ما قدره له الله من السعادة والعلاء والمجادة والله در انقائل:

لى في ضمير الدهر سر كامن لا بد أن تستلته الاقدار

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في أسباب الانحطاط)

« الجهل »

اختلف العلماء وأفترق العقلاء في أسباب انحطاط الأمم وارتقائها وانقسموا في ذلك الى فريقين وهما

(الفريق الأول) — يرى هذا الفريق ان الأمم في ارتفاعها وانخفاضها أشبه بالإنسان في أدوار عمره لا تكبره الإرادة ولا تضمره الصنعة فهو اذا جاء زمن المشي مضى وحده واذا جاء زمن النطق نطق كذلك. وان الجماعات الإنسانية مسيرة بناموس طبيعي كالناموس الذي يسير الكواكب في أفلاكها . وان الجميعة الحالية هي نتيجة ضرورية لماض طويل الأمد ، وأنها حاملة معها جميع بذور التحولات والأطوار التي لابد لها من المرور عليها في رقيها وانحطاطها . وأنه بذلك تكون الجميعة كالشخص لا يبلغ سنًا مالم يمر بالأدوار التي تفصله عنه وان تأثير الإنسان في هذا السير هو كتأثير الطيب في سير المرض أي ضئيف لا يذكر .

[الفريق الثاني] — يرى هذا الفريق ان الأمم مثل الشمعة المنذبة تضعها في أي شكل أردت ، وتجعلها في أية صورة صورت ، وأن الإرادة تفعل في كيانها فعل الأكسير الذي يحول التراب ثبراً . ورجال هذا الفريق هم أساطين الحكمة مثل (أفلاطون) و (أرسطو) و (آينيز) و (ليكورغ) . ولا حاجة في اطالة الكلام لترجيح الفريق الثاني في هذا المقام فان اليابان هي البرهان الذي لا يختلف فيه انسان .

ثبت عند كبار الحكماء أن الأمم يمكن رفعها وخفضها بالإرادة . أما الآلة الرافعة أو الخافضة لها فقد اتفقوا على انها العلم أو الجهل . قال لينيز الحكيم : « لو كان أمر التعليم موكولاً الى تغيرت وجه أوروبا في أقل من قرن » وقال أيضاً : لو أجلنا النظر لألفينا ان تسعين في المائة من الناس هم فضلاء أو أردلون نافعون أو مضررون بالتعليم الذي تعلموه وان كل ما يوجد من فرق بينهم فسيبه ذلك التعليم . وقال (ديدرو) علة الطلل في ارتفاع أو انحطاط الأمم هو العلم أو الجهل وما عدا ذلك فإسباب ثانوية وعال جزئية ترجع الى تلك العلة الاصلية

هذا وقد يدتنا النظر في حالة العمران ان العلم هو العلة التي تقوى بها أمة على أمة والجهل هو سبب انحطاط فريق عن فريق ويانه أن هذه الأرض وان تنوعت أسماء أجزائها في المواضع واختافت ألوان بقاعها في الحر والظفر فهي بسبب واحد في العناصر والغامر والأمم فيه كأمة واحدة فيها القوي والضعيف . وقد أوجدت المصادفة بعض هؤلاء في حيز غامر مفعم بالنعم والبعض في حيز غامر مملوء بالنقم وجبيل الإنسان على حب الأثرة لنفسه ولو هلك في ذلك أهل الأرض جميعاً . قال سهل بن هارون البخيل : « ليس لي من مالي الا ما منته الناس ولو أهكهم لقصوا ببق حجرا حجرا فوقع بين القوم بسبب ذلك ما يسمى بتنازع الحياة وهو في الواقع قتال بلا سيوف ولا رمح كل يطلب الطيبات لنفسه . ويحرص على أن يزع ذلك من الآخر بقوة بأسه . ومعنى يعيش فيها الجليد . ويهلك الرعيان . ويحبي القوي ويموت الضعيف . فلهاذا احتاج كل واحد ان يكون أقوى من قرنه فتراجعوا في الأزمان الأولى الى التثوة الجسمية حتى اذا سما العقل واستنبط من الأساليب ما طمس به قوة الجوارح فهو الى التثوة العلمية ولهذا قال بعض السياسيين : « الجاهل الآن كالأعرج في القرون الوسطى » . فمن كان أكثر علماً كان أكثر قوة فكان له الغلب والنجاح على خصمه . وقد يكون هذا التنازع جهرياً وهو معروف في ألعاب الأمم بعضها على البعض فتوة الآلات المستنبطة والعدد المتبدعة وقد يكون خفياً وهو التنظر في سائر وسائل الحياة . فالأمم في الحقيقة جيوش متلاحمة ، ومقاتلة متحاملة . كما قال المتنبي :

إنما أنفس الأييس سباع يتفارسن جهرة وغتبالا

فالجنود تقاتل الجنود والنجار التجار والصناع الصناع والزراع الزراع وهكذا . وكما ان الجندي اذا غالب الجندي وكان سلاح أحدهم المكسب وسلاح الآخر الرمح غاب الأول لا محالة فكذلك الحال في سائر الأنواع الأخرى . ويقدر ما يكون في جميع طبقات الأمة من سعة العلم يكون غلب مجموعها على غيرها ولا يمكن أن يحط فرد واحد منها الا أثر ذلك في كونها كما اذا وقفت بعوضة على طرف سفينة عظيمة أثقلتها وأمالها حقيقة وان لم تدرك ذلك . شاعرنا .

ومن هذا يعلم ان جميع أحوال الأمة متوقفة على حالة أشخاصها من الجهل والعلم فان صاحبت الأشخاص صاحبت الأحوال والعكس بالعكس . وبهذا جاء القرآن الكريم قال تعالى : « ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم »

وقال تعالى : « وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهِلِكَ الْفَرَىٰ يَظْلِمَ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ » وقال تعالى : « وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ » وقال جل شأنه : « ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَيَّ قَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُ مَا بِأَنْفُسِهِمْ » وقال صلى الله عليه وسلم : « كَمَا تَكُونُوا يُوَلِّيٰ عَلَيْكُمْ » (١) وفي معناه قول الحكيم (الأمة تعطى الحكومة التي تستحقها) وقال فولتير : « الظلم الواقع على الأمة عقاب لها على جهلها » .
 ويعلم مما تقدم أيضاً ان الذين يعدون الأسباب الكثيرة في الأخطا الأمم او ارتفاعها إنما يذكرون أسباباً ثانوية لعلها هي علة الملل وهي الجهل أو العلم . فن جعل السبب محصوراً في الحكومة مثلاً قلنا له ان الحكومة لا تكون الا على نسبة استعداد الأمة وما شذ عن ذلك لا يحكم له بل لأفائدة فيه فقد رأينا ان المصادفة قد توجد حكومة فوق قدر الأمة فلا تلبث ان تبدل بموت القائم بها أو نحوه بالمغرى تفسد كل ما أتت به الحكومة الأولى . وهكذا من جعل السبب في فشؤ العظمة الفاسدة في الأمة أو المبادئ التي تزعم انها من الدين وايسر منه نقول له ان السبب هو الجهل بالدين وهلمجرًا

* *

ثم ان العلم له ثيمان في الوجود وهما الأنبياء والحكام أي الدين والحكمة فنأخذ من الدين أولاً ثم ان أردنا التعميل في الفروع أخذنا من الحكمة . قال ابن مسكويه :
 « ان تحصيل السعادة على الاطلاق يكون بالحكمة . والحكمة جزآن نظري وعملي فبالنظري يمكن تحصيل الاراء المسححة وبالعملي يمكن تحصيل الهيئة الفاضلة التي تصدر عنها الافعال الجميلة ويهتدي الامرين بعث الله الانبياء صلوات الله عليهم ليحملوا الناس عابها وهم اطباء النفوس يعالجونها من أسقام الجهالة بالادب الحق لما يأخذونهم به من الاداب الصحيحة والاعمال النافعة ويطالبونهم بالاستسلام لهم بمد اقامة الحججة عليهم بالمعجزات فمن تبعهم ولزم محجتهم وقف على الصراط المستقيم . ومن خالفهم تردى في سواء الجحيم . فأما من أحب ان يعلم نعمة مادعوا اليه بالنظر الصحيح فانه يجد ذلك من جهة الحكماء » . ولا يقول قائل انه يوجد تباين بين الدين والعلم يتنافيان به فان ذلك غير صحيح وانما جاء لهم من أنهم حصلوا من الدين ما ليس منه أو اخطأوا وتصادموا معناه .
 قال شيخ الفلاسفة في هذا الزمان هربرت سبنسر في كتابه (التربية والتعليم) مانصه :

(١) المنار : رواه الديلمي عن أبي بكره والبيهقي عن أبي اسحق السبيعي مرسلًا

« العلم عدو الأوهام المتداولة بين الناس باسم الدين ولو كنهه ليس بمدول الدين الحق الذي كثيراً ما تحاول هذه الأوهام ستره عن الأَبصار . نعم أنه يوجد شيء من العلم المتداول يظهر عليه مناقضة الدين ومعاداته . ولكن هذا أيضاً من قبيل العلم الذي أكثر موهم إذ العلم الحقيقي الذي يفحص وراء حقائق الأشياء لا يناقض الدين كما قدمنا »

وقال (باقون) امام الفلسفة الحديثة : « القليل من العلم يبعد من الله والكثير منه يقرب منه » وقال (هكسلي) الحكيم الكبير : « الدين والعلم كتوأمين متلاصقين فصلهما يؤدي الى موتهما . فان العلم يغمو متى كان دينياً والدين يثبت متى كان علمياً . وأهم آثار الفلاسفة أنتجتها أفكارهم بسائق دني في الحقيقة »

ولو تدبنا جميع رؤساء الحكماء وأساطين الفلسفة العقلاء من سقراط وأرسطو وأفلاطون الى كانت وديكارت وليبنيز وأمثالهم لوجدناهم من أهل الدين وان لم يتسموا بهذا الاسم يعتمدون بما جاء به الدين ويتخاطون بالحكمة التي أمر بها أن تكون . قال (كارايل) الفيلسوف في كتابه (الهيرود) : « قال (جوتي) اكبر شعراء الجرمان وقد وصف له الاسلام : ان كان هذا هو الاسلام افلا نكون جميعاً عائشين فيه ؟ (ثم قال كارايل) نعم ان كل واحد منا عنده حظ من الفضيلة والكرام في الحياة عائش فيه »

ولا فرق مثلاً بين قول سقراط : « يجب ان تعرفوا ان إلهكم واحد » وقول المسيح في الإنجيل : « وهذه هي الحياة الابدية ان يعرفوا انك انت وحدك الاله الحق » وقول الله سبحانه وتعالى « قل هو الله أحد »

وكل ما أدخل على الدين من تحريف الاصول الحقيقية والقواعد العامة التي فيه فانما جاء من فساد عرض أو عرام طراً وهو منه براء . وهذه الاصول العامة التي هي عماد السعادة كما لا يختلف فيها الدين عن الحكمة لا يتباين فيها دين ودين بل الأديان فيها سواء . قال الله تعالى : « قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْإِسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ »

وقال تعالى : « مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ »

إذا توضح ذلك وانه لاخلاف بين العلم والدين فلتبين هنا ماهية كل منهما ليس العلم هو هذه الابواب المحفوظة فقط التي تسمى محصلوها بالعلماء عند المسلمين

الآن بل هو أوسع من ذلك رحاباً وأفسح مجالاً ، هو معرفة حقائق الوجود جميعاً .
 وينقسم الى حكمة نظرية وحكمة عملية . وتنقسم الحكمة النظرية الى ثلاثة أقسام
 وهي (قسم العلم الإلهي) وهو ما لا يفتقر في الوجود الخارجي والتعلق الى المادة
 و (القسم الرياضي) وهو علم بأحوال ما يفتقر اليها في الوجود الخارجي دون التعلق
 و (القسم الطبيعي) وهو علم ما يفتقر اليها في الوجود الخارجي والتعلق . وتنقسم الحكمة
 العملية الى ثلاثة أقسام أيضاً (قسم الاخلاق) وهو علم بمصالح الشخص و (قسم تدبير
 المنزل) وهو علم بمصالح العائلة و (قسم السياسة) وهو علم بمصالح الأمة ويدخل تحت
 كل قسم من هذه الأقسام جملة علوم كالرياضي يدخل تحته عيلم الحساب والهندسة
 والجبر والهيئة وكالطبيعي يدخل تحته الكيمياء والطب والنبات والحيوان والجغرافية
 والفلاحة الى غير ذلك بل كل واحد من هذه العلوم يدخل تحته علوم أخرى كالطب
 يدخل تحته التشريح والجراحة والكحالة وهكذا الى ما شاء الله . ولو أحصيت العلوم
 التي تقوم بها أعمال المجتمع الانساني الآن لارت على ألف علم

وكل علم من هذه العلوم له وظيفة لا يقوم بها غيره فتلها في جسم الاجتماع كمثل
 الاعضاء في الجسم لا تغني فيه العين عن الاذن ولا اليد عن القدم وهكذا . فالعلم
 الالهي أو الفلسفة الاولى هو أس العلوم في الحقيقة . سأل (رينان) السيد جمال الدين
 عن سبب عقم المدارس في الشرق - وواجه فيها القديمة والحديثة فقال له السيد ان سببه فقد
 الفلسفة الاولى منها اذ هي للعلوم كالسلك للعقد او القاعدة للمسائل فزين فقيده
 السلك تبدد العقد أو عدمت القاعدة تأثرت المسائل

وأما العلم الطبيعي والرياضي فهما باب الارتزاق وسلم المدينة وعهبا تصيد
 نراه في الأمم المرتقية الآن من الحركة والعمران

وأما علم الاخلاق فهو طب النفس . ومن العجيب اننا نرى الانسان اقل اصبغ
 ذمل في جسمه اسرع الى العلاج والطبيب وفي نفسه عشرون دة لا ياتفت اليها وان
 انهكتة في الحقيقة آلامها ولا سبب لهذا الا فقدان هذا الطب من بين المسلمين الآن مع نموه
 عند غيرهم من الأمم وحسبك انه الف في مرض الارادة وحده عندهم كتب ذات أسفار .
 ويجب ان يكون هذا العلم ملكة في النفس كملكه النحوي في اللسان حتى تنطبق
 أحوال المرء على قواعده بلا تكلف فصيبر الفضائل - كما وقوف عند الاعتدال في الاعمال
 والحق في الاقوال والاعتماد على النفس ونحو ذلك جميعه - خاتمه وسجدة طيبة
 واما تدبير المنزل فهو من أهم الأمور الضرورية لسعادة الأمة وذلك ان المنزل

هو المدرسة الاولى وبعده مدرسة التعليم ثم مدرسة الدنيا فان كان عمل الاولى
مضاداً للثانية ضاعت النفس بينهما ضايع لب المأمور لآمرين مختلفين

وأما علم السياسة فهو طب الاجتماع الانساني وطالما أدى الجهل به الى شقاء البشر قال
لوبيون: إنك لا ترى أحداً لم يقرأ الفلك أو الجبر ثم يحاول حل مسائل فلكية أو مضلات جبرية
ولا ترى أحداً كذلك لم يتعلم التشریح ثم يحاول ان يخيط عرقاً مقطوعاً مثلاً
والكن ترى كل يوم رجالاً لا يفقهون شيئاً من علم السياسة يسوسون الأمم ويضعون
القوانين ويسنون التواميس غافلين عن الاخطار والازمات التي تنجم من عمالهم هذا
مع ان خطأ الجاهل بالطب يؤدي بشخص واحد وهذا الخطأ يؤدي بأمة . وعلى
هذا النحو ففس سائر العلوم والفنون

أما الدين فليس هو ايضاً ما يفهم الناس من أنه مجموع حركات بدنية فقط او ايفيق
أحاجي لا يصل اليها العقل بل هو العلم باقسامه الا أنه أبعد غاية . ومقصده هو عين
المقصد الذي وجد لاجله العلم اي ارشاد الخلق الى الحق ثم هدايتهم بقواعده الى كل
ما فيه السعادة لهم الا ان الدين يمتاز على العلم بأنه يجمع السعادتين سعادة الدنيا والآخرة
وان العلم يرتقب في الفضيلة فقط وهو يقهر عاها قهراً ويرتب على ذلك ثواباً وعقاباً

ولتقريب فهم المقصود من الدين والانتفاع بما جاء به تفرض على وجه التمثيل
أن الكتاب السماوي الكريم هو كتاب علم وحكمة وتقسمة في ذهننا الى الاقسام
السابق ذكرها في تقسيم العلم . فنجد تحت اسم الإلهيات مفعماً بما لا يصل البشر الى
الاتيان بمثله ولا الوصول الى مثل تعبيره وتمثيله . قال سبنسر الحكيم في كتاب
المبادئ الاولى : « نعرف للدين الفضيلة الكبرى بأنه أول ما دل على الله وأنه لم يضاً
يعلم ذلك في كل زمان ومكان » . ثم اتنا نجد الدين وان لم يتعرض لتسم الرياضيات
والطبيعات فقد حث عليها في جملة ما حث فيه من النظر في الكوان وكذلك وضع
العبادات التي تحي التوحيد في النفوس . أما الاخلاق وتدير المنزل والسياسة المدنية
وما يتبع ذلك من الاحكام فقد بلغ فيها غايته ليس وراهما مطالع المناظر وكانت عمومياته
هي الاصل الذي فرع عليه الحكماء جميع ما أتوا به في هذه الابواب . وأما ما يقوله
السفهاء من عدم موافقة بعض احكام الدين لسير العمران فهو خطأ ووهم اذ تراهم
قد قهروا الى الرجوع الى كثير منها بعد أن انكروها قرونا عديدة

وإذ قد تبين أن الجهل هو سبب الأخطاط وأن العلم هو سبب الارتفاع على الإطلاق
فيهما فلم يبقى خلاف في أن سبب أخطاط الأمم الإسلامية هو الجهل . ولو نظرنا نظرة
واحدة في أحوال المسلمين لتبين لنا مقدار ذلك الجهل وآثاره السيئة فيهم

قلنا إن بابي العلم هما الدين والحكمة . أما الدين فلو حكمناه في نفوس أكثر المسلمين
الآن وطبقناه على عقائدهم وأخلاقهم وأحكامهم لوجدنا لدى أكثرهم في محل كل عقيدة
قرآنية أو خلق ديني عقيدة أخرى أو خلقاً آخر يكاد يضاد الأول على خط مستقيم .
وإذا كان الأول آلة للعلاء كان الثاني علة للأخطاط . ليس الغاية من الدين مجرد
الانتساب إليه فإن ذلك لا يهدي إلى خير ولا يدفع عن شر وإنما العمل والانتفاع بكل
ما جاء فيه هو الذي يرقى صاحبه إلى ذرى الكمال وذلك كالعطب فإنه لا يكفي أن يعتقد
الإنسان أنه نافع فيبدأ من مرضه أو وسابه وإنما يحصل على ذلك باستعماله والأثمار بأوامره
والانتفاء عن نواهيهِ . ولذلك حرصت جميع الأديان على تبيان هذه الحقيقة للناس
قال تعالى « إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ نُهُم لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا
بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ » وجاء في الإنجيل « وأنه
ليس الذين يقولون للمسيح ياسيدي ياسيدي يدخلون ملكوت الله بل الذين يعملون
إرادة الله » ومهما قابلت بصرك لا تجد الدين في الغالب مستعملاً فيما وضع له . فهو
عند الخاصة موضوع مناقشات لفظية وصناعة فصاحة كلامية ومجال براءة في اختراع
وجوه وتأويل مناجي وبعد عن مقاصد . وعند العامة دفتر تعاويد ورقى وكتاب ترتيل
وكلام يقال لكي لا يفهم حتى قال بعض الأدباء : فات هؤلاء إن يفهموه الأحياء فهم
يسمعونه الموتى في القبور « أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا »

وأما العلم فخالفهم فيه كإلهم في الدين . فهم كل يوم يبعدون عنه ويقربون من
تقيضه ولهذا نجد الكتاب عندهم كلما كان أقدم كان نفس وأجود بخلاف الأمم الحية
فإنه لا يقرأ الكتاب فيها إذا مضى عليه عشرون عاماً

منذ كسرت أقلام المسلمين الأولين نرى العلم واقفاً بيننا لا يتحرك . أين الجماعات
المشغلة بالعلوم الآلهية ؟ أين منشئو المذاهب والآراء ؟ أين المحامون عن العقائد ؟
أين المؤلفون في الرياضيات ؟ أين المخترعون لعلوم لم تكن كالجبر والكيمياء ؟ أين من
نقل فلسفة أوربا كما نقل أولئك فلاسفة اليونان ؟ أين من شرح كتب كانت وديكارت
منما شرح ابن رشد كتب أرسطو وابن كونه كتب أفلاطون ؟ أين من جمع علوم

الأوائل في سفر شامل كما فعل الفارابي في كتاب التعليم الثاني؟ أين من ألف فوق مائة مؤلف في الطب كابن سينا والرازي؟ أين من سافر لجمع غريب النبات وتدوينه كما سافر ابن البيطار إلى بلاد الأمازيق؟ أين من جرب في الحراثة ودون كتابي زكريا الأشيلي الذي رقت تجاربه زراعة الأندلس؟ أين من سارح آسيا وأفريقية والجزر واكتشف البقاع ووصف المواطن كالحسن بن محمد القرطبي المعروف بالاسد الإفريقي والبيروني والشريف الإدريسي. أين أنواع العلوم الكثيرة التي يتداولها المسلمون ويؤلفون فيها والتي حصرها صاحب كشف الظنون في زهاء مائتي علم؟ أين من دون حوارث زمانه يوماً يوماً وأخبار قومه خبراً خبراً باختلاف الروايات وتنوع الأسانيد؟ أين من وقف على حدود العلوم وزاد فيها على ما كان عند الأمم؟ أين من طلب العلم للعلم وأراد به أن يعرف حقيقة مجملها ولذة عقلية يحصلها. أكثر ما عند المسلمين الآن اختلاف في أعراب البسمة وبيان وجوه الصفة المشبهة وأمثالها وثى من الفقه يملونه ولا يملون به وما عدا ذلك فمشهور من العلم في المدارس الحديثة المقصود منها صنع موظفين للحكومات أو إجراء لبعض المهن كالمطبخ والحقوق ونحوهما

هذه مصر وهي في مقدمة بلدان الإسلام عمرانا وحضارة ورفاهية وشارة - تسمون في المائة من أهلها أميون ولا يوجد إلا واحدة في المائتين من نساها تقرأ الحط. فكيف حال المغرب والتركمان والمعجم والسودان؟ حيثما سرت وابن أجهت وقعت عينك على اناسي لو جردتهم في الخيال من القايهم وأهوالهم وحليهم لم يبق في يدك شيء. قال المعري:

لو يعرف الإنسان مقداره لم يفخر المولى على عبده
لو لا سجاياه وأخلاقه لكان كالمدموم في وجده

الناس أجمع في حركة وعمل والمسلمون في سكون وسكوت كما قال تعالى: «وحيث تضعون ثيابكم من الظهيرة» والله در أبو تمام حيث يقول:

أفكر في احلامكم ابن عزيبت فيصرعني طورا وأصرعه الفكر
إذا الوحي فيكم لم يضركم فاني زعيم لكم ان لا يضركم الشعر

الفصل الثالث في وسائل الارتفاع

(العلم)

إذا كان الجهل سبب الانحطاط كان العلم سبب الارتفاع. فلا تصلح أحوال المسلمين حتى تصلح نفوسهم توقف المملول على العلة

ولكن ربما رأى الانسان الفساد الجمال بالمسلمين في أنفسهم في أهلهم في أنفسهم في دينهم في دنياهم وقد سكن في كل عضو منهم علة ، وفي كل جراحة ألم ، وأزمنت الادواء واستطردت الى بعضها حتى أصبحت كل علة تسوق عللاً وكل مرض يهيج أمراضاً وغداً بينها شبه الدور والتسلسل . فتيه في هذا التيه ولا يدري كيف يسري وماذا يصلح وماذا يترك وأي دواء يستعمل وقد اختلفت الأمراض وتباينت الآلام فيقف حاراً باراً يائساً يرى ان خلق خلق جديد أهون من اصلاح هذا . فمثل هذا الخاطر المشتبه أضرب المثل الذي ضرب به (فكتور هوجو) الشاعر الكبير قال : مثل سلطان الاستبداد مثل مصر بني علي بطائح (النيفا) في روسيا وقد حمد الناج ماها فشيدت القرى والمنازل على الجليد وسارت العجلات ودارت حركة المعاش في الأسواق كأكثر ما يكون وضرب الرجل برجله الأرض فوجد أصلب من الصخر لا تعمل فيه المماول ولا يقطعها الدينامت فقيل له ان هذا كله ظل زائل لا يلبث الا عشية أو نوحها حتى يمحي فلا يكون له أثر فكذب وأنكر وهاله الأمر وبينها هو كذلك واذا بشعاعة من الشمس سالت على هذه الدنيا الصغيرة فاذا هي حلم حلم . قال (هوجو) هذه الشعاعة هي (الحرية) وأقول انا هي (العلم) وقد بينا انفاً ماهية هذا العلم الذي ترقى به الأمة اذا أخذ كل منها بنصيبه منه . فنذكر الآن الوسائل اللازمة لإدخاله في أرض المسلمين . وهي تنحصر في (كيفية نقله) و (كيفية تعليمه) و (المال اللازم لذلك) و (من يقوم بهذا العمل)

أما نقل العلم وإيجاده بين المسلمين فله طريقتان وهما رجته الى لغات المسلمين أو تعليم المسلمين لغة من لغات العلم (وهي الآن الفرنسية والانكليزية والألمانية) انكون هي لغتهم العلمية ومن يقول بالوجه الأول يذكر انه هو السبيل الذي سلكته كل الأمم السالفة في نقل العلم اليها كما فعل العرب في نقل علوم اليونان والفرس والكلدان وكما فعل الفرنج في نقل علوم العرب حتى أنك لتجد الآن كثيراً من مؤلفاتهم المهمة مترجمة الى اللاتينية مطبوعة بها من قرون عدة مع فقدها من بلاد الإسلام ويقول هؤلاء : اننا اذا ترجمنا العلم فقد نقلناه اليها وان تعلمنا اللغات فقط فقد نقلنا افراداً منا الى العلم . وأما من يقول بالوجه الثاني فيرى ان سير النقلة وسير العلم في حركته كفرق ما بين راكب الناقة وراكب البخار فان بدءا من نقطة واحدة الآن فلا يلبثان أن يتفارقا فيسبق العلم النقل ويبقى الناقل أبدأ لا يبدأ ذنباً له . وان أريد نقل

ما عند القوم من أول الدهر إلى اليوم لزم لذلك خمسمائة عام يكونون فيها قد تقدمونا
بمثل هذا القدر من السنين . ويقول هؤلاء : لهذا رأينا الأمم الآن تغيرت الطريق
الأول في نقل العلم إلى هذا الطريق كما فعلت اليابان

وعندي أنه يجب التوفيق بين هذين القواين فتجعل تعليم اللغة العلمية إجبارياً
وبهذا نعطي لكل واحد (مفتاح الجفر) و نرفع الستار عن عالم العلم . ثم نجعل
التعليم والتأليف بلسان الأمة التي هو فيها . ومقى فعلنا ذلك أمكننا أن نسير مع
العلم اذ كتبه وحدوده التي هو عليها تصبح كتبنا وحدودنا وأمكننا أن ننقل منه
ما شاء الله ان ننقل منه .

ولا يلزم أن نتعلم اللغة العلمية بحيث نحسن الكتابة والتكلم بها بل يكفينا القدرة
على فهمها جيداً والنقل منها كما كان ذلك شأن النقلة الكبار مثل ابن ماسويه وحنين
ابن اسحق ورفاعة بك والرشيدي صاحب المادة واثاهم . ولو حفظ الانسان في كل يوم
خمسة مصادر بمشتقاتها لكان رأسه في ختام السنة قاموساً

وإنما يجب اذن أن نجعل اللغات الاسلامية في حالة يمكنها بها أن تكون لغة عامية
وذلك بنقل ما جدد من الالفاظ والاصطلاحات اليها وللوصول إلى هذا نتخذ أحد
المعاجم الموجودة بين أيدينا أصلاً ونديبه بما استجد من ذلك ناقلين ألفاظ العلوم
وإصطلاحات الفنون كما هي بمد تحوير قليل تتنظم به في صيغ اللغة الأصلية . أما الجهد
في سد هذا النقص بإيجاد ألفاظ من متن اللغة القديمة تؤدي المعاني الجديدة أو استدراك
ذلك بواسطة النحت أو الاشتقاق من الجوامد أو نحو ذلك فعبث ولا لزوم له

* * *

وأما كيفية تعليم العلم وترتيب ذلك فأهم ما يجب أن يعمل فيه أن يكون التعليم
عاماً إجبارياً على ثلاث طبقات (ابتدائي وثانوي وعالي) وان يكون التسامدة بقدر
عشرين في المائة من عدد السكان . منهم واحد في المائة للمدارس العالية وسبعة في المائة
لثانوية وما بقي فللمدارس الابتدائية . وان يكون الاساندة على نسبة واحد لكل
خمسة عشر تلميذاً في المدارس العالية وواحد لكل ثلاثين في المدارس الثانوية . ولكن
خمين في المدارس الابتدائية

وعلى هذا يجب أن تكون المدارس الابتدائية منتشرة في كل قرية انتشار المساجد
والزوايا والمدارس الثانوية في كل مركز . والمدارس العليا (أي الجامعة) في أمهات المدن

ويبني أن تكون الغاية عند الكافة من طاب العلم أن يكون المرء سعيداً في رزقه سعيداً في نفسه وفي فكره وفي بيته وفي أمته لأن تكون أداء امتحان واخذ شهادة ثم ان جدول التعليم في المدارس (البروجرام) هو بمثابة الجوهر وكل ما عداه في مقام العرض فعليه يتوقف الفلاح في الحياة أو الخيبة فيها . وطالما حرص الفلاسفة على تبيان أهمية هذا الأمر واهتمت به الحكومات . قال جان جاك روسو : « ان أكثر ما تعلمه في المدارس كأنما سماعه لنداء لاغير ذلك اذ معظمه مما لا نستفيد منه في حياتنا مرة واحدة » وقال آخر : « الفساد في التعليم يفسد أمة بأسرها » وقال هيرت سبنسر الفيلسوف الانكليزي « لو لم يكن عندنا من المسلم الا ما تعلمه في المدارس لكانت انكلترا اليوم على ما كانت عليه في القرون الوسطى . فجميع ما عندنا من المعارف الكبرى التي صرنا بها أمة عظيمة في الدنيا لم تنشأ من المدارس المعدة لذلك بل من أكواخ حقيرة وزوايا مهجورة » وقال (كوريون) عن مدارس الصنائع في فرنسا: ان ثلاثة أرباع الوقت يضع فيها سدى . وقال (هنري دوفيل) في جاسة عامة باكاديمية العلوم في فرنسا: « اني غصو في المدرسة الجامعة (كلية باريس) من مدة واني اليوم على وشك الاعتزال من الاعمال فأقول لكم قولاً لا يجب أن يملا كل أذن وهو انه مادامت هذه المدرسة على هذه الحال فلا تسوق الا الى الجهالة . واذا كلف الأمر من الأهمية بحيث استدعى ايراد هذه الأقوال عن مدارس اوربا وجبان نجحاً في المنزلة التصوي من الاهتمام به ولا تقلد تلك الأمم بنقل برجراماتها كما هي وقد سمعنا اقوال الفضلاء في قيمة تلك البروجرامات وقلة جدواها في التربية العامة

واينس لي ان اجزم هنا في مسألة هي الآن مشكلة الأمم ومختلف المقلاء وانما رأيي ان يكون التعليم الابتدائي محصوراً في الأمور التي يجب على كل امرئ ان يعلمها وهو علم (ما يحفظ الجسم) كمبادئ قواعد الصحة والفسولوجيا وعلم (ما يحفظ النفس) كالاخلاق وما (يحفظ العائلة) كتدبير المنزل وما (يحفظ الأمة) كمبادئ السياسة والتاريخ ونحوه وما (يحفظ العقيدة) وهو مبادئ الآلهيات والحكمة الأولى التي هي سلم المعلوم الحافظ لها من الضياع كما قدمنا ثم لا بد له من علم (ما يحفظ الرزق) وهو الزراعة أو الصناعة أو التجارة ومبادئ علم الاقتصاد والحساب الضابط للعمل واما المدارس الثانوية فيتعلم فيها العلم الذي اختاره المرء لنفسه وما يلزمه من الفنون ولغة اجنبية من لغات العلم

ويتعلم التلميذ في المدرسة العليا تفصيل ما أجمله في المدرسة الثانوية . وتقسم حينئذ المدارس العليا (الكلية) الى أقسام كل يختص بعلم مخصوص .
والاختصاص بالفن الواحد من أهم الأمور في بلوغ الغايات في العلوم إذ العلم يعطيك من نفسه بقدر ما تعطيه من نفسك . ومما يجب تعويد الطلبة عليه السير مع العلم كل يوم وعدم الوقوف طول العمر عند ما يتلقونه في المدارس وذلك بالإطلاع على فهارس (دور الكتب) والوراقين والوقوف على كل ما يجد في الفن . قال برتلو الكيماوي المشهور: كنت أقرأ في كل عام فوق مائتي مصنف تأسرني الكيمياء وأحلل ما أجده منها في نفسي تحليلاً كيماوياً فيتسرب لي بذلك توسيع دائرة هذا العلم واكتشاف أمور كثيرة فيه

وأما المال اللازم لذلك فهو لا يتجاوز ريالاً واحداً عن كل شخص من الأمة وهو ثلث ما تنفقه أمة كالأمة المصرية على الخمر والدخان في كل سنة . والحصول على هذا المال يكون إما من طريق الحكومة بالطاب منها والالاح عايتها والاستماتة في ذلك . أو من طريق الأمة بالإكثاب العام الدائم والحك عليه بالخطب على المنابر والجرائد وغيرها . وقد كان السيد جمال الدين رأى في ذلك رأياً وهو أن ينشأ صندوق يسمى (صندوق المسلمين) يوضع في كل قرية وعلى كل طريق ومسجد ويجمع فيه المال لإصلاح أحوال المسلمين . ولا بأس من جعله تحت مراقبة إدارة رسمية تزداد ثقة الناس به كما جعلوا صندوق التوفير تحت إدارة مصلحة البوسطة مثلاً . على أنه لا يعدم الاسلام رجالاً في هذا الزمان يقومون على قدم أبي بكر الصديق رضي الله عنه في سالف العصر من بذل كل أموالهم في تأييد العقيدة التي أخذوا بها والدين الذي انتسبوا اليه . روى مسلم في صحيحه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم (ان من أمن الناس علي في ماله وحبته أبكر)

أما البحث عمن يقوم بهذا الأمر فهو أهم الابحاث وأس المسائل الذي يقوم بهذا الأمر إما الأمة وإما الحكومة . أما الأمة فما دامت في الضفولية فلا يمكنها أن تميز خيراً من شر أو ان تترك الامية وتشترى الكتاب . وأما الحكومة فهي إما حكومة وطنية وهي في الغالب الآن مع الأمم الاسلامية في مقام السيد مع العبد فان تعاملت الأمة وارتقت أصبحت معها في مكان الوكيل مع موكله وهيئات هيئات ان تساعد على ذلك . وأما

الحكومة الاجنبية فهي بمثابة الوصي الطماع مع القاصر الغني فصلاحها ان تحول بينه وبين الرشد دائماً (١) واذا قد نفضنا أيدينا من هؤلاء جميعاً فلم يبق امل يرجى وأمنية تنتظر الامن فئسة قليلة بلغت الرشد فعرفت الحال والمآل اعني بها (عقلاء المسلمين) هذه الفئة هي المسأولة وحدها ولا مسؤولة على عامة الأمة « ايس على الاعشى حرج ولا على الاعرج حرج ولا على المريض حرج » وهؤلاء العقلاء بالنسبة الى بقية الأمة القاصرة في مقام الاولياء فهم المسؤلون عن خيرها وشرها ونفعها وضررها لاسيلى الى نجاة المسلمين وابعلاء كلمة الاسلام الا أن يؤلف هؤلاء العقلاء في كل قطر جمعية يسمونها جمعية (مستقبل الاسلام) وان يؤلفوا جمعية أخرى عامة تضم هذه الجمعيات تسمى (المؤتمر الاسلامي) يتعقد في مكة أو في أي مكان يتفق عليه كل سنتين مرة ويكون أعضاؤه مندوبو جمعيات الاقطار المختلفة ووجهته اصلاح

(١) يقول بعض السذج من البسطاء لا حاجة لاهتمام المسلمين بأحوالهم اذا افرنج لابدان يسوقهم دافع المدنية وروابط الانسانية الى أن يحتلوا بلادهم فيصالحوا احوالها وينظموا اعمالها كما ذكر ذلك (روسفات) رئيس جمهورية الولايات المتحدة في خطبة له قال فيها : (أن داعي الانسانية يضطرنا الى احتلال البلاد الضعيفة والتغلب على الأمم المنحطة لترتب احوالهم ونصاح اعمالهم ورقبهم حتى يصبحوا مثلنا تماماً وما نأخذه في انشاء ذلك من المنافع هو اجر ذلك العمل). اقول ان هذا تقرير للايبصاره وتضليل للأفكار. اذا افرنج قد يصالحون الأشياء لا الأشخاص ومثل هذا الاصلاح لا يفيد المسلمين وهم في حالة الانحطاط بل هو اشبه بالثياب المهترئة التي يعضها الباعة على تماثيل الخشب. زخرف على ربة، ونقش على خربة. فان الأمة لا يمكنها ان تنازع غيرها سبيل الحياة الا بنفسها فاذا فقدت نفسها فهي فاقدة لكل شيء. ولا ترجع فائدة هذه الاصلاحات الا على الافرنج انفسهم فنلهم فيه مثل من يعمر البيت بأجره ثم يسكنه مدة طويلة حتى اذا خرج منه يوما كان البيت قد عاد الى حاله الاولى . اما اصلاح الاشخاص الذي هو أس كل اصلاح حقيقي فهو مالا يفعله الافرنج بل ما يبدأون في الغالب لصدده وردده. قال بعض نبهاء التونسيين وقد سئل عن حال بلاده (تقدمت البلاد وتأخر اهلها) ولا عجب في ذلك كله ما دامت سنة الاجتماع قد قضت بان تكون حياة القوي في موت الضعيف اه لمؤلف الرسالة .

أحوال المسلمين ونشر التعليم الذي هو وسيلة ذلك
أي دولة قامت، أو راية نصبت، أو أمة خلصت؛ أو وحدة تألفت، الأبالجيات،
الجمعية عامل لا يموت وأمة في واحد، هل اجتمعت الوحدة الإيطالية أو تهيأت الجامعة
السلافية والجنسية السكسونية، الأبالجيات السرية أو الجهرية. هذه الأمة
الارمنية والطائفة المقدونية والفتة الكريتية على صغرها في الوجود، وكونها لا تكاد تذكر
بين كل موجود، تعمل أعمال الحيازة في الخلاص من حضيض الأسر، إلى أوج النسر،
والأمة الإسلامية التي ملأت المشرقين والمغربين تنفض انتفاض الطائر في شباك الصائد
ولا تعمل للنجاة عملاً. وكيف ترجو الوصول إلى الغاية وهي لا تنقل إليها قدماً، ولا
تحرك شفة ولا قلماً، ومن طلب شيئاً وجدته، ومن تركه فقدته.

ولا يعتذر الحبان المفقود القلب بأن عقد هذه الجمعيات مما يتعذر حصوله في البلاد
الإسلامية الآن إذ أي جمعية انشئت لمثل هذا الغرض فلم تقابل بالكفران، وتخط
بالنيران، ولكنها الغزيرة التي ترى أن الموت في حياة الأمة خير من الحياة في موت
وأنه لا يحيص من الصدر أو القبر، على أن كثيراً من بلدان الإسلام الآن مفتوحة
الابواب لمثل هذا العمل واخصها الممالك التي احتلتها الانكليز ويقرب سكانها من
نصف المسلمين (١) على أن الممالك الأخرى متى علمت أن المقصد من العمل هو
التعليم والتربية، لا يكون لها مجال في منعه، فإن منعه في الجهر فهل يمكنها أن
تمنع في السر؟ وإن أمسكت الأفواه فهل يمكنها أن تضبط القلوب
أما أولئك الآخرون الذين تراهم ينذرون بفناء الإسلام وانتهاء أمده ويستدلون

(١) أوجه كثيرة كانت تحماني دائماً أن أجزم بأنه من الضروري للمسلمين أن
يتفقوا مع الانكليز في السياسة العامة سوا في ذلك الذين تحت ساطتهم والذين تحت ساطة
الدول الأجنبية الأخرى والمستقلون.

أما الذين تحت ساطتهم فيجب عليهم ذلك لأسباب كثيرة منها أن الانكليز
يطلقون في مستعمراتهم حرية الدين والتعميم والقول والتجارة ويكتفون من الفائدة
بأن تكون البلاد سوقاً لتجارهم ومجالاً لارتفاقاتهم المالية، ولا شيء أنفع وأجدي على
الإسلام من هذه الحرية التي لا توقف نموه الطبيعي ولا يخشى عابه أكثر من وقوف
القوة أمام ذلك النمو.

على ذلك بالأحاديث الموضوعية والأقوال التي لفقها أعداء الدين قديماً لإدخال اليأس على قلوب المسلمين فيجب أن نسد أفواههم ونوجع أقدانهم ونسلو على أسماعهم قول الله تعالى : « هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون » وقوله تعالى : « يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون »

أيها المسلمون جثوا في هذا امر لتجثوا ، وموتوا فيه لتحيوا . واعرفوا قومكم قبل أن ينكروكم ، واحفظوا بلادكم قبل أن تضيعكم ، قد حدثت فيكم حركة عامة فأبدوها

ومنها انه يمكن للأمة الإسلامية اذا ارتقت ان تخلص من نير الانكليز بالاتفاق او بالقوة اذ قوة الانكليز البرية ضعيفة ، وقد صعب عليهم ان يخضعوا ثلاثمائة الف من البوير اخيراً فكيف يخضعون ثلاثمائة مليون اذا أصبحوا مثل البوير

ومنها انه اذا لم تكن الانكليز بين ظهرانيهم فلا بد أن يكون غيرهم من الأمم الأجنبية اذ الضعف الذي هو علة تسلط أولئك لم يفارقهم فان تسلطت عليهم دول أخرى كالروسيا في آسيا أو ألمانيا وفرنسا في أفريقيا ودهتمهم بما عندها من الجند الذين لا يقاومون عن خمسة عشر مليوناً فقل على المسلمين السلام .

على انها اذا لم تشكل بهم فأنها تسد ابواب الحرية الدينية والسياسية في أوجههم . هذه تونس ابطل منها الحج ، والجزائر لا تدخلها جريدة اسلامية حرة كالمؤيد وباكستان لا يقرأ في مدارسها أي الجهاد من كتاب الله ، وجاوه أصبح المسلمون فيها من الضنط والأهانة في مرتبة الحيوان الاعجم .

وأما المسلمون الذين تحت سلطة الدول الأخرى — فللاسياب المتقدمة جميعها ولأن مصلحة الانكليز في خلاصهم من يد تلك الدول وهي أقدر الناس على هذا في الحقيقة اذ هذه الدول (ماعدا روسيا) لاتصل الى ممالك الإسلام الا من طريق البحر ومفتح البحر في أيدي الانكليز .

وأما المسلمون المستقلون فيجب عليهم الاتفاق مع الانكليز ايضاً لأوجه منها ان مصلحة الانكليز تفضل بقاء هذه الممالك مستقلة غير محكومة بدولة اجنبية وذلك لان روح هذه الأمة التجارة وما دامت الممالك الإسلامية مستقلة فابواب التجارة مفتوحة وطريقها مأمونة فان احتلتها دولة اجنبية فهناك المخافة والخطر . ولهذا

وتحملوا فيها الاذى . هذا صوت القرآن يناديكم . وداعي الله يستدعيكم « يا قَوْمَنَا اٰجِبُوْا دَاعِيَ اللّٰهِ وَاٰمِنُوْا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوْبِكُمْ وَيُجْزِمَ مِنْ عَذَابِ اللّٰهِ »

﴿ الهدايا والتقاريف من باب الآثار الأدبية ﴾

(اللؤلؤ النظيم ، في روم التعلم والتعليم) كتبت لشيخ الاسلام زكريا الانصاري المتوفى سنة ٩٢٦ ذكر فيه شروط الاشتغال بالعلم وآفاته . ثم ذكر العلوم المعروفة في العربية وتعميراتها . أما ما ذكره من الشروط والآفات فهو حسن جداً . وبالنسبة لأهل الازهر يتدبرون قوله ويسرون على منهجه كما يقرأون منهجه في الفقه وغيره من كتبه . فقد ذكر من الشروط أن يقصد بكل علم ما وضع له وهم يتصدون بكل علم المناقبة بهنارات كتبه . وذكر منها أن يشتغل كل طالب بالعلم الذي يميل اليه طبيعة لان كلاً ميسراً لما خلق له وهم لا يراعون هذا . وذكر منها اختيار الكتب الحيدة وهم قد التزموا كتباً مفضولة لاحجة لهم على اختيارها الاتقليد الآخري من سبقه في ذلك . وذكر منها أن لا يدخل علماً في آخر وهذه الحواشي التي التزموها قد ابرزت فيها العلوم ابرزاً جاء فصارت أخلاطاً وأمشاجاً .

وأما ما ذكره في تعريفات العلوم وفوائدها فقد جرى فيه على المعروف عند أهل

السبب كان الانكليز احرص الناس على مساعدة هذه الممالك على التقدم والنجاح والبقاء ومن رأى مخاطبات السير ليارد سفير انكلترا للباب العالي بعد الحرب الروسية وجد غيرة كبيرة على مستقبل الدولة

أما استيلاء الانكليز أنفسهم على بعض الممالك الاسلامية فهو في الغالب لتحققهم وشك وقوعها في أيدي غيرهم ان لم يسبقوا اليها . على أنه لولادماء الانكليز وأموالهم لانتولي الروس على القسطنطينية وعلى المعجم والافغان وملكت فرنسا مراكش والظليان طرابلس وهكذا . ومن هذه الاسباب يعلم ان الممالك الاسلامية محتاجة في كل وقت الى عضد قوي تنقي به أوروبا . والانكليز هم أولى الناس بهذا إذ تجمعهم مع الأمة الاسلامية كراهية أوروبا للفريقين وكراهتهما لها

هذه هي أفكارني في هذا الموضوع . ولولا ان هذه المسألة جوهرية بالنسبة الى مستقبل الاسلام لما احتجت للتعرض لها في هذا المقام . اهـ مؤاب الرسالة

عصره في الغالب وفيه خطأ وقصور من اضرب ذلك قوله في الكيفية: « علم بأصول يعرف بها معدن الذهب والفضة » وقوله: « علم الهيئة علم يعرف به الاجرام البسيطة من حيث كمياتها وكيفياتها وأوضاعها وحركاتها اللازمة لها »

(تعريف اصطلاحات علم الأصول) رسالة أو مقدمة للشيخ زكريا الانصاري أيضاً ينبغي لمن يتدبى بتعلم الأصول الاطلاع عليها فانها تؤنسه بتلك الاصطلاحات على ما فيها من خطأ وقصور . ومن غريب ذلك قوله في تعريف المعدوم: « ضد الموجود » مع قوله عقبيه: « الضدان أمران وجوديان يستحيل اجتماعهما في محل واحد » وهذا يفيد أن المعدوم من الامور الوجودية ! ومنه قوله: « الذاتي ما يستحيل فهم ذاته قبل فهمه » ومنه تعريفه العدل والعدالة بالاعتدال والثبات على الحق . وانما نهت على هذه الانغلاط لأنفت طلاب الازهر الى عدم التسليم بكل ما قاله الشيوخ المؤافون لانهم ألفوا وماتوا هذا وقد طبع الرسائلان أوالمقالتان أو الكتيبان الشيخ أحمد عمر المحمصاني الازهري وجعل لهما مقدمة وخاتمة فكان جميع ذلك ٣٦ صفحة صغيرة ولكن الثمن أصغر من ذلك فهو نصف قرش صحيح

(المعلقة السبع) هي أشهر من أن ينوء بها فما من مشتغل بالعلم الا وهو يعلم أنها أبلغ ما يؤثر عن العرب في الجمالية وأنها يحتاج اليها في اكتساب ملكة فصاحة اللسان وذوق اللغة ولكن نسخها التي في الأيدي غير موثوق بضبطها وصحتها لذلك ابرى الشيخ احمد عمر المحمصاني الى تصحيحها وضبطها على الشيخ محمد محمود الشنقيطي وهو كما يعلم القراء امام اللغة في هذا العصر وقد طبع النسخة المصححة مضبوطة بالشكل وذكر في هامشها اختلاف الروايات وأضاف اليها القصيدة المعروفة بلامية العرب مضبوطة مثلها وجعل ثمن النسخة من الورق الأبيض الناعم قرشين صحيحين والنسخة من الورق الباقى قرشاً ونصفاً فنحت كل مشتغل بالعربية على حفظها بهذا الضبط والتصحيح . ويا حبذا لو كان أضيف الى ذكر الروايات تفسير الغريب (سفينة النجاة في قواعد النحاة) اسم لكتاب تعليمي مؤلف من أجزاء طبع الثالث منها أخيراً طبعاً حسناً مضبوطاً بالشكل على ورق حسن وهو أوسع من كتاب النحو الرابع الذي يقرأ في المدارس الأميرية او مثله لكنه أكثر تمريناً فهو خير كتاب رأيت في تسهيل تعليم النحو . ومما رأيت منتقداً فيه ذكر جعل فاسدة في التمرينات لأجل اصلاح التلامذة لها وعندى ان هذا مما يترك للمعلمين ولا يكتب في الكتب . والخطب سهل . ومنه ذكر بعض الآيات القرآنية والاحاديث النبوية والحكم المأثورة مع تصرف

فيها بالزيادة والنقصان أو التبديل والتفسير والمعنى صحيح . ولعل المؤلف يعتذر بأن هذا من قبيل الاقتباس الذي اعتادوا التصرف فيه بلما تهور وهو عذر يقال وإنما انتقدت لأن القارئ يقع في الوهم من ذلك السرد الذي ليس مظنة للاقتباس إذ لم يعتد في مثل هذا المقام ، أما مؤلف الكتاب فهو أحد (الفرير) وقد أشار إلى اسمه بهذه الإشارة (ح ط ٥) وأسمها بهذه العبارة « مفتش اللغة العربية في أحد المدارس الكبرى بالقاهرة »

﴿ المنار وجريدة « تربيت » الفارسية ﴾

جاء في جريدة تربيت الفارسية التي تصدر في طهران تحت عنوان (مجلة المنار) ما ترجمته ان العلوم والمعارف في هذا العصر قد بنيت في عمدة أقسام الدنيا كما ينبغي أن تبنى ، وأحكمت كما يجب أن تحكم ، ولم يبق إلا القليل من الأمكنة التي يعيش أهلها بالأوهام والباطلة ، والخيالات الواهية ، جاغلين عن اختيارهم بأيدي أهواء مختلفة ورياح متناوذة ، يسلكون المناهج المظلمة عمياً لا يبصرون

ان معارف الفلاسفة الأقدمين وأفكار العلماء العرفاء من أهل القرون المتوسطة قد أصبحت مفاتيح لحكام هذا العصر الجديد حتى سهل لهم بها تذليل الأقفال الصعبة ، وفتح الابواب الموصدة ، وأصبح عمر الانسان القصير من جراء هذه الاكتشافات يمد بالألوف من السنين ، والعالم يفهم ان معنى العيش وحقيقة الحياة هو العسل ومن فوئد العلم القدرة على العمل ومن لا علم له لا قدرة له

والاشياء التي رومها الجاهل في عمره ويرجو ان يدفع بها آلامه وواجاعه هي التي تولد الامراض وتضاعف الالوجاع ، فحكمتها حكم الحجر التي يشربها الشارب في جنح الليل اصدع همومه فيحدث في صباحه ما يكثر همومه من الصداع والكسل قال احد عبدة الخمر : إني لم اشرب في عمري غير جام واحد لترويح النفس وكل ما شربته بعد فأنما كان لدفع ما اورثته تلك الكأس من الخمول والخمود

لا بعد فالغرض هو العلم اذ به أصبحت أكثر الممالك في هذا العصر جنات دانية الجنة وقد تسلسلت أنهار الفضل بعضها وصيرت السماب بجزراً متدفق الجوانب بالأمواه العذبة . وأحد تلك البحور الزاخرة التي ليس لها ساحل هو وادي النيل وكرسي الفراغة الذي صار حقيقة بأن يدعى في عصرنا هذا بعرش الحكمة . وأي دليل على ما نقوله أقوى من وجود منبع الفضل العلامة الأوحيد مولانا الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية — متنا الله بطول حياته — في الجامع الأزهر في القاهرة

(الجامع الأزهر هو مدرسة تحتوي على آلاف من الطلبة مشغولين فيه بتحصيل العلوم) وقبل هذا كثيراً ما تكلمنا عن الجرائد والمجلات المصرية وأنا نذكر الحديث فيها حتى لا نكون مدينين بشيء لشرح هذا الخطاب المهم ولا يفوتنا مستحب مؤكد بل فريضة لازمة .

في هذا الأسبوع وردت على إدارة التربية (مجلة المنار) ففاض رواد المعارف الذين هم في حوزتنا الصغيرة من مطالعة تلك المجلة بأكثر المنافع وبها عرفنا منزلة صاحبها السيد الفضلاء الأستاذ الأمامي السيد محمد رشيد رضا ومقدار ما عليه حضرته من الفضل والأدب أقول : لم يبق في هذا العصر الأمة المصرية شيء يعمها من بلوغ مقاصدها السامية فإن أسباب الكمال مجموعة لديها فكتابتها مثل السيد محررو أخبارها من ذكرنا قبل ومرشدنا فيلسوف مثل فضيلة الشيخ الأجل الشيخ محمد عبده (شكر الله مساعيه) ودار كتبها الشهيرة (الكتبخانة الخديوية) لا يحيط بها الوصف . فإذا لم يصل أوائك القوم إلى أقصى درجات العلم والحكمة فلا أدري من أي جهة يكون التقصير وما هو السبب فيه

المنار مجلة علمية أدبية تهذيبية مليحة وفيها أخبار متنوعة تصدر في غرة كل شهر وفي السادس عشر منه . هي جنس يجب أن يشرى بالروح . ومن زينة الحياة الدنيا أن هذه المجلة الواحدة تكفي وتفي . إن ما يسطر فيها يمزج بماء الحياة ويشرب فهو ينقذ من مخالب الاستسقاء المهلك ويحيي الروح ويغني عن الموت ولم يؤلف كتاب ولا رسالة أحسن من مجلة المنار . لأجل الوصول إلى الحقيقة ومزايا الإسلام ولو أن ابن خلدون الحاضر مي كان حيناً لعلم ما أقوله وأنتبه

في كل مقالة من هذه المجلة الغراء أمر من طيب ريحانة الفاضل الخبير ، والنحرير الذي ليس له نظير ، رئيس معاهي قانس كل علم ، علم الأعلام ، سند الإسلام ، فضيلة الشيخ محمد عبده دام علاه ، الذي هو كمال المشرق والمغرب وجهلها ، وإذا راق الآراء الممدودة من حكائنا في آعين العرفاء من الإفريج فقول تلك الآراء هي تصورات ذلك المولى الكبير — أعني الشيخ محمد عبده جعل الله إلى أعلى المقامات منهاه وإلى أعظم البحور طريقه ومن هذه الجملة أستنبط حسن حظ المصريين الذين هم اخواننا المسلمون واعلم ان شكر هذه النعمة من الواجب . وبعد الأسف الكثير على حال المسجونين في ظلام الجهل أقول : يخرج لصر التي منحت فوق دار الكتب ودار الآثار والمعانيات والمدارس كنوز معارف من المجلات المضيئة المفيدة . وما أطيب زمن طلاب جامع

الازهر اذ يحكمون مباني عقولهم وأفهامهم وينورون ساحات قلوبهم وأبصارهم بسماع
حكمة تلك الكلمات والآيات وجواهر أحاديث الفيلسوف الأعمى ، الجناب المستطاب
المعظم ، الشيخ محمد عبده سامه الله تعالى ، بحسن من أهل بلادنا أيضاً أن يطلبوا
مقداراً من هذه المجلة ويسرحوا النظر فيها واذا نشأ عن ذلك خطايا فخطاياهم في عتقي .
طلات حياة شيخنا الأجل الشيخ محمد عبده اذ فيها خير للمسلمين . وان شاء الله

سنزين أوراق « التربية » بشرح ذلك مع الفوائد العظيمة من مجلة المنار
(المنار) لقد سبق ان قرّظ المنار من علماء الاقطار وفي خير الجرائد والمجلات
العلمية في مصر وغيرها ولم ننقل من ذلك شيئاً لانسأري أن نقل مدحه كمدح نفسه
بنفسه ولكننا عينا بتعريب ما كتب في هذه الجريدة (تربيت) وانشرائه لأن صاحب
الجريدة من أكابر العلماء والنضلاء ، وخيرة الكتاب البلغاء ، ولأن الجريدة لها
المكانة العالية في نفوس كبراء الفرس وفضلائهم كما أخبرنا بذلك صديقنا ميرزا مهدي بك
صاحب جريدة « حكمت » الفراء ، بل لأن صاحبها على مذهب الشيعة فأحببنا أن يعرف
قراء المنار من أهل السنة ان من فضل الله تعالى على الاسلام والمسلمين ان نزع من
قلوبهم في هذا العصر تلك العصبية والنزبات التي خضدت بها من قبل شوكتهم .
وفرت كلمتهم ، فذهبت ريحهم ، وخبت مصابيحهم ، نقشت الظلمات وانجحت أفتابهم
عن فضلاء الامة فأبصروا ان مصابيحهم واحدة لان جامعهم واحدة وهي جامعة الدين
الحق الذي جمعهم اخواناً . ضار المسلم في فارس يفرح لاخيه المسلم في مصر اذا أحسن
عملاً ويحزن لاخيه في مراكنس اذا أساء صنماً ، وكذلك حال المصري يتنهج بما يسمع
من حسن حال اخوانه في ايران . ويستاء اذا هضمت حقوقهم في بلوچستان ، الا ما
يلفظ به بمض الاحداث ، وان لم يصادف أقل اكرامات ، فلا وطنية ولا عصبية ، في هذه
الديانة الاسلامية ، وعلى كل حال يجب أن نشكر لأخيها صاحب جريدة (تربيت)
حسن ظنه بنا وبالمنار على ضعفنا وتقصيرنا ، أما مقاله في الاستاذ الامام ، فهو الذي اتفق عليه
ذوو الافهام ؛ ولكن الشرط في حصول المراد ، هو كمال الاستعداد

﴿ باب الأخبار والآراء ﴾

(مدرسة الشوريجي في كفر الزيات) — الناس معادن والاستعداد للخير يظهر
أحياناً في أفراد لا يهتمدي أحد من الناس الى السر في ظهوره فيهم لأنهم لم يمتازوا في
تربيتهم امتيازاً يرفعهم عن قومهم فيسند الى تلك التربية ما يندفعون الى القيام به من

الأعمال النافمة والمشروعات العامة ، وإنما يتعالى علماء النفس والأخلاق في التعليل بأن ذلك الاستعداد جاء من الوراثة لأحد الأجداد السابقين وفاتهم ان لله في بعض البشر عناية أولية ، وفي بعض القلوب الهبات خفية ، وليس هذا وذلك من الشذوذ عن التواميس القطرية . ولكن غير معروف بالتحقيق والتعليل الصحيح عند علماء النفس مصطلح بك الشوريجي تربي في الحقول والمزارع لافي المكاتب والمدارس وهو لا يقرأ الكتب والجرائد التي ترعى في انشاء المدارس والمستشفيات ، وقد وفق منذ سنين الى انشاء مستشفى ومدرسة للبنين والبنات في بلدة (بمديرية البحيرة) وأوقف عليها من الأرض ما يفي ريمه بنفقتها ثم الملاحار يتردد الى بلدة كفر الزيات (بمديرية الغربية) تعاهدة أراضي اشتراها فيها ورأى انه ليس فيها مدرسة للمسلمين شرع في بناء مدرسة للبنين والبنات فيها وبناء بيوت بجانبها توقف عليها . وكان يوم الجمعة الماضي يوم الاحتفال بالتأسيس وكان رئيس الاحتفال عدلي باشا يكن مدير الغربية وحضره كثير من الوجهاء والفضلاء ، وبعد ان وضع المدير الحجر الأوكم الأساس على الطريقة الأوروبية الجديدة دعي كاتب هذه السطور الى الخطابة فقام وقال ما فتح الله به من بيان حسنات العلم ومنافعه في الزراعة والصناعة والتجارة وكل أعمال الحياة الاجتماعية لاسيما جمع كلمة الأمة وتوحيد مصالحها ومنافعها الذي يحقق به معنى الانسانية ثم بيان أن نشر العلم الذي له هذا الشأن في الحياة هو أفضل الفضائل على الاطلاق حتى ان انشاء المدارس له أفضل من انشاء المساجد ، ثم الانتقال الى بحث الاغنياء على انشاء المدارس وبيان ان جميع طبقات البشر متقاربون في اللذات الحمسية وان أوهمت المظاهر الضورية خلاف ذلك فلم يبق من فائدة للاستزادة من جمع المال الا الشرف وكان في أيام الجهل محصوراً في الإنفاق على احتفالات الاعراس والمآتم ونحوه ولكن أهل هذا العصر لا يرون الشرف الا في العلم والسعي في نشره أو القيام بهراته في نفع الناس فعني من يريد ان يكون شريفاً عزيزاً في الدنيا ان يسعى في انشاء المدارس وعلى من يريد ان يكون سيداً في الآخرة ان يسعى في ذلك أيضاً

ثم نهت بعد هذا على اقبال التباط على اتميم التعليم وتسيبهم المسلمين فيه مينا ان العلم هو القوة الكبرى فاذا وجدت في فريق من الأمة دون آخر يرى الفريق العالم أنه الأحق بالسيادة والرفعة وينشأ عن ذلك التنازع والتغاب بينه وبين الفريق الجاهل فاذا كان هذا على نسبة قريبة منه في المدد والثروة يسرع اليه الغلب والثلاثي ويسود العلم على الجهل سريراً كما يرشد اليه قوله تعالى : « أن الأرض يرثها عبادي الصالحون »

أي الذين يصلحون لعمارتها، والعمل بسنن الله في ترتيبها، وإذا كان للفريق الجاهل قوة من الغدد والمال يكون التنازع شديداً، وخراب البلاد وشيكا، والنتيجة أن خبر البلاد في أن يكون أهلها متفهمين على عمرانها ولن يتفهموا في العمل حتى يتفهموا في العلم بالصحة، وذكرت أيضاً العلم النافع وأنه ما يصلح العمل له دنيا أو الدين أو ما يصلح الاعتقاد ويقوم الفكر، ثم ختمت القول بحث وجهاء الغربية الحاضرين على مجاراة وجهاء المتوفية في إنشاء المدارس وعنقت الرجاء بمساعدة مدير الغربية وسعيه وبالله التوفيق ثم قام إبراهيم بك الهلباوي المحامي الشهير فألقى خطاباً منيداً بين فئسدة العلم كان حلية وزينة في الزمن الماضي وصار ضرورياً للحياة في هذا الزمن، ومن كان كانوا يتمازرون بالسجالات النظرية فيمارون ويتمازرون بالمعارف الكسبية ولذلك صار العلم حياة حقيقية والجهل مهانة حقيقية، وضرب المثل بهنود أمريكا الذين تعرضوا لأنهم لم يقدرُوا أن يعيشوا مع المستعمرين العالمين -- إلى غير ذلك من الفوائد التي اشتهرت بتنويه المؤيد بها، وقد ضم الخطيب صوته إلى صوتي في تعاريق الرجاء، ثم قام جندي أفندي إبراهيم صاحب جريدة لوطن الغراء فألقى خطاباً قال فيه إن الذي حمله عليه هو مقاله الخطيب الأول (صاحب المنار) في النسبة بين المسلمين والقبيل وقال أنه موافق في القول وشاكر عليه، ثم ذكر بمآثر المصريين مشيدي الأهرام وذكر أن السبب في سبق القبيل المسلمين في التعليم هو العناية بتعليم البنات وإطال في بيان فائدة تعليمهن فجعله أهم من تعليم الذكور

وكان من محاسن الاحتفال حضور بعض التلامذة والتلميذات من مدرسة الشورجيجي في البحيرة نخطبوا وانشدوا الأناشيد في مدح العلم ومؤسس المدرسة، ثم انصرف الناس داعين شاكرين

(المستقبل الاسلام) شغلنا معظم هذا الجزء بهذه الرسالة الجلية ليحيط القراء بفوائدها مرة واحدة، وإذا كان هذا رأي شيخ عامة الساميين في القطر وهم الصوفية وما تقدم في مقالات (الاسلام والتصرانية...) هو رأي شيخ خواصهم من العلماء والكتاب، وقد اتفقا وبرهنا على أن المستقبل الاسلام والعاقبة للمتقين فلم يبق عذر للمسلمين في تقدير القول قدره والعمل في تحقيق حسن العاقبة

بوقى الحكمة من بقاء ومن بقاء
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً
بذكر الأئمة الأئمة

الاجتماع

١٣١٥

فقد عبادى الذين يستمعون القول
فبدهون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان الاسلام صوى و مناراً و منار الطريق)

(مصر في غرة رمضان سنة ١٣٢٠ - ١ ديسمبر (تشرين ١٧) سنة ١٩٠٢)

﴿ أبصروهم ولا يصابوه وهم مؤمنون ﴾

إذا كان الله تعالى قد منحنا الدين ليهدينا به الى سعادة الدارين ومنافع
الحياتين فلا غرو ان يكون لكل عبادة فيه وجهان احدهما روحاني
ينظر الى توثيق عقدة الايمان وتهذيب الاخلاق والآخر اجتماعي دنيوي
ينظر في احكام عمرى الارتباط بين المؤمنين المابدين لتأكيد أخوتهم،
وتبرم جامعتهم، وتحقق وحدتهم، وقد اهتمدى علماء الاجتماع في هذه
المصوور الى وجوب توحيد عادات الامة لان الوفاق كلما كثر وتمدد ما
به يكون اشتدت الاواخي وأمنت التراخي حتى يكون مجمع الافراد
كالشخص الواحد، فتراحم قد اتفقوا في انواع العادات فهم يلبسون زيّاً
واحداً ويأكلون في وقت واحد ويشتهون في وقت واحد كما يتعلمون
على طريقة واحدة ويتربون على مثال واحد، وبهذا صاروا كأنهم اهل بيت
واحد يتماطفون ويتماضدون بل صاروا في مجموعهم كالجسد الواحد كما

ورد الحديث في وصف المؤمنين

الصوم والصلاة عبادتان علمتا المسلمين الاولين مراقبة الله تعالى والتوجه اليه وطالب مرضاته فصاحت نفوسهم وسمت همهم وتهذبت اخلاقهم وعلمتاهم الاجتماع في اوقات معينة والاكل في اوقات متفقة فأرشدتاهم الى النظام وطرق الوحدة فصاحت احوالهم باطنياً وظاهراً فكانوا كما قال الله تعالى في خطابهم: « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ، أو كالبنيان يشد بهضه بهضاً كما ورد في الحديث

مضت سنة الاولين من أهل المال ان الدين يضعف فيهم ويضمحل على هذا النحو - نزول حقيقته المعنوية اولاً ثم نزول بعدها صورته الظاهرة بالتدرج . الجسد الحى بقاؤه بقاء روحه فاذا أزهقت الروح منه أسرع اليه التسادم التلاشي والاضمحلال . وإنما تزهدت الروح بالدين بأمراض تعرض لها بمدفقد الأطباء الروحانيين او إهمال خواص الأمة لهم وتركهم طبهم لا يرواحهم عند مرضها . والسبب في رغبة هؤلاء عن مداواة نفوسهم هو أن الامراض التي تلم بهم مستأذنة بل هي لا تعدوا الا إقراط في اللذة مع الجهل بالمقابلة وما وظيفة الدين الا هداية الانسان الى موقف الاعتدال في استعمال قواه الفكرية والنفسية لتبقى فطرته سليمة معتدلة الصلاة افضل من الصيام لان سلطانها على الروح اعلى ، وجذبها اياه الى عالم القدس اقوى ، ولان تأثيرها في جمع القلوب والتأليف بين الافراد ابلغ ، وإشعارها نفوس الطبقات المختلفة معنى المساواة أشد ، الصيام يذكر النفس بالسلطان الالهي عند ما تعرض لها الطيبات في النهار فترى انها ممنوعة منها بأمر الله تعالى شأنه وعند القطر والسحور

اذا تذكرت ان تغيير مواقيت الاكل انما كان لتحقيق هذه العبادة التي فرضها البارئ جل جلاله على عباده ترويضاً لرواحهم وجسومهم وتويداً لهم على حكم قواهم النفسية كيلا تفرط عليهم وتغني يستمدوا بذلك كله لتقواه جل وعلا . واما الصلاة فكل قول من اقوالها وكل عمل من اعمالها فهو يفتح هذا الروح الحي فيمن يقيم الصلاة لا في كل من يصلي لان فصلاً بعبادته بين إقائه الشيء على وجهه وبين الأتيان بصورته كالفصل بين خالق الانسان وبين رسم صورته على لوح او جدار

اذا قال مقيم الصلاة : الله اكبر : أعطته هذه الكلمة من تجريد التفضيل في التكبير أن الله تعالى اكبر من كل ما يوجد ويتصور فيطمئن قلبه بالتزويه وتستولي عليه هية الكبرياء والمظنة . ثم اذا قال : وجهت وجهي للذي فطر السموات والارض : (وهو مستحضر أنه يعبر عن توجه قلبه ، الى حضرة معرفة ربه) فان نفسه تسمو عن الاتفات الى الدنيا ، وتسمو عن الاشتغال بالخصائس ، وحسبك من الصلاة ما تعطيه هاتان الكلمتان فكيف بك اذا تدبرت سائر الاذكار والتلاوة وفقرت ر ذلك القيام والتمود ، والركوع والسجود ،

كأنني بعض الماكرين الذين يحكمون على الدين وتأثيره بما يجدون في أنفسهم وما يعرفون من حال معاشريهم والمائشين معهم يقولون : إن هذه الامعاني مخترعة ، وأسرار مبتدعة ، وخواطرها سائمة ، وموازين غير راجحة . وعذرهم في ذلك الحرمان ، وعدم تدبر سيرة الذين سبقونا بالايمان ، ومن ذاق عرف ، ومن عرف وصف ، واست واقفاً هنا موقف المناظر ، ولم أقصد بهذا القول إقناع المكابر ، وقد سبق للمشار

القول في بيان فوائد الصوم النفسية والبدنية والاجتماعية (فليراجع في
المجلدين الثاني والرابع) وكذلك القول في فوائد الصلاة . وانما يزيد الآن
أن نذكر امراً غريباً في التصور ولكنه واقع شائع وهو ان كثيراً من
الاس يصومون رمضان ولا يصلون الا في رمضان اولا يصلون مطلقاً .

الصوم من آيات الايمان فلا يجمع الكفر والجحود ولكن كيف
يكون المرء مؤمناً بدين ثم هو يستببح ترك افضل عباداته وآكد فرائضه
وأعظم شعائره ، وما هي علة هذا الترك المطلق ، والإهمال المستغرق ،
اذا كان الايمان هو الذي يمت ذلك الصائم على الصوم فلماذا لم يدعه دعاء الى
الصلاة التي تلي الايمان في المرتبة ؛ أيتصور ان يكون له واحدة معلولات
فتوجد ويختلف عنها اول تلك المعلولات وأولاهها ، ثم يوجد أضيقها وأقصاها ،
هذا هو وطن من مواطن المحب ، ولا بد من بيان السبب ،

قد يقال : اذا كان ترك الصلاة لا يجمع الايمان وترك الصيام لا
يجمع الكفر فلا بد ان يكون من يصوم ولا يصلي في مرتبة بين المؤمن
الصادق ، والكافر المارق ، وهو ما كانوا يدعونه المنافق ، فهو مرتاب
يصوم لاحتمال صحة الدين ، ولا يصلي لتفقد اليقين ، ويمكن ان يقال : ان
صوم مثل هذا ليس من ثمرات الايمان ، وانما هو مجارة للاهل والجيران ،
فهو عادة لا عبادة . ولو تركه المعاشرون والاقربان ، لما بعث عليه القرآن ،
ولذلك ترى الذين لا يبالون بالمعادات لقوة عزائمهم في العمل بما يعتقدون
قد تركوا الصوم فهم يحاربون الدين جهراً ولا يحترمون اهله ولا يجاملونهم
من حيث هم به مستمسكون . ويصح ان يقال : ان من تارك الصلاة
المارق ، ومنهم المنافق ، ومنهم من يتركها مرض الجهل والكسل لمرض

الارتياح أو الجحود ، ولذلك يفترق هذا صوماً حقيقياً يفيد تقوى الله تعالى في أمور كثيرة فهو يظلم ويصدى ولا يشرب في خلوته لعلمه بأن الله تعالى يراه ولا يرضى له أن يكون ضئيف النفس منلوباً لشهوة الماء يمضي الله لأجلها ، فإن لم يلاحظ مثل هذا بالتفصيل فلا أقل من الأجمال

أما الجهل الذي يساعد الكسل على ترك الصلاة فهو ذو شعب كثيرة يوجد بعضها عند أبناء العصر الجديد وبعضها عند أبناء العصر القديم . يقول أبناء العصر الجديد : إن الله تعالى لا يمتدب الناس إذا قصرُوا في عبادته لأن الدين لا يصح أن يكون عقوبة للبشر وإنما فرضت الصلاة لتعين على تهذيب النفس ونحن قد تهذبت نفوسنا فلا نرضى لأنفسنا أخلاق هؤلاء المصلين الذين نشأ فيهم الكذب والنش والزور والطمع والدناءة الخ :

قول أشبه حقه باطله ومسلك الجهل فيه دقيق . ولنا ان نقول لهم صدقتم في قواكم ان الدين لا يصح ان يكون عقوبة بل هو رحمة من الله تعالى قال تعالى لئنبيته وما ارسلناك الا رحمة للعالمين ، وقال في خطاب المكلفين « ولو شاء الله لأغنتكم » ولكنه لم يشأ فله الحمد والشكر . وقال جل ثناؤه « يريد الله بكم اليسر ولا يريد بكم العسر » وفي معناه قوله عز وجل « وما جعل عليكم في الدين من حرج » ولكن العقوبة على ترك الصلاة ليست من الحرج وإنما هي من الرحمة فان الصلاة منفعة وترك المنفعة ضار لانه وقوع في الضد وهي واقعة في الدنيا ومقولة من الجهل الارتياح فيها . ألا ينظر هؤلاء القائلون في صنفهم والذين تعلموا وتربوا مثلهم كيف تفتك فيهم العواض والمنكرات فنذهب بمالهم وبصحتهم وتكبل بلادهم بالسلاسل والأغلال

وتسلمها إلى الأجنب . وإذا وجد فيهم أفراد ساعدتهم الاستعداد القطري وما يسونوه (الظروف) والوراثة الطبيعية اسلمهم المصائب على تهذيب نفوسهم فهل استغنوا بهذا التهذيب الذي امتازوا به على العدد الكثير من أممهم المريضة عن تكميل نفوسهم بما جأه الله تعالى . أليس لكل واحد منهم أمراض نفسية لو أقام الصلاة لوجد فيها شفاءها . منهم البلوغ الذي يجزع لكل شريصيه حتى كأنه امرأة ضعيفة أو طفل صغير والذي إذا أصابه الخير أمسكه عن إعانة الضعيف ، وإغاثة لليف ، بل الذي لا يخرج منه الحق الثابت عليه الا نكداً . وإذا فرضنا أن جهله بحقيقة نفسه وحقيقة الصلاة زين له عدم حاجته اليها ولو لشكر الله تعالى وحفظ شعار الدين الذي ينتمي اليه فهل يُزين له أيضاً أن أهله من زوجة وبنين وبنات في غنى عن هذه الصلاة ؟ وإذا لم يكونوا في غنى عنها فهل يرى أن إقامتهم إياها من الأور السهلة إذا كان هو لا يصلي ؟؟ أما صلاة فاسدي الأخلاق لذين يمثل بهم هؤلاء فهي شبيهة بصيامهم أي إنها محاكاة وتمثيل لهياة الصلاة الظاهرة .

وجملة القول في جواب هؤلاء ان اعتذارهم بعدم المقوبة على ترك الصلاة غير مفيد وانهم لم يفهموا معنى الصلاة فيفهموا معنى المقوبة على تركها . ولو فقهوا تأثيرها في النهي عن الفجشاء والمنكر افقهوا معنى كونها رحمة تزي النفس فتطلع في الدنيا والآخرة . وكون تركها نقمة تدسي النفس وتسهل لها سبل الفواحش والمنكرات فتسلكها فتخسر في الدنيا والآخرة . لو تأمل المتأمل المؤمن بالله منهاها وما وصفتها به الكتاب العزيز لفق ذلك . ولو علم انها الآية الكبرى في انقلاب أحوال مسامي الصدر الأول وتبدل أخلاقهم وسجاياهم لفق ذلك . ولو كان عندنا اليوم عدد من مقيمي الصلاة

لاستئينا عن هذا وذلك في تعليم الجاهل ، وتذنيه النافل ، واقناع المجادل ، هذا ما يقول لنا أبناء العصر الجديد وماقول لهم الآن بالايجاز / وان لنا العودة تفصل فيها القول تفصيلا ان شاء الله ، وأما أبناء لعصر العتيق فان لهم من الضلال في فهم الشفاعات والمكفرات ، والانتساب الى اصحاب الأضرحة والمقامات ، ما يصرفهم عن اقامة الصلاة ، ويغلُّ أيديهم عن أداء الزكاة ، فكيف إذا أضافوا إلى ذلك الفرور بالله والتشديق بذكر الرحمة والمغفرة . وقد كشفنا من قبل جميع هذه الشبهات وأن أكبر آية على ضلالهم في فهمها سوء تأثير هذا الهم فيهم حتى انتهى بهم أركان الاسلام وترك شمارته فكاد ينطمس مبناه ، بعدما جهل معناه ، ولكن خطباء الفتنة وعلماء السوء هم الذين يروجون هذه الاضاليل فهم قادة المقادير ، وعونهم على إضاعة الدنيا والدين ، وكأنك بغربانهم تنفق على اعواد المنابر بهذه المكفرات ومنها المكذوب على الله ورسوله كقولهم : إن الله يعتق في كل ليلة من رمضان ستمئة الف عتيق من النار فاذا كان آخر ليلة منه اعتق بقدر ما مضى : وامثال ذلك . وفي أقوالهم ما تصح روايته ولكن الفساد في جهل معناه . لذلك نرى أكثر العامة يصومون ولا يصلون ولا يزكّون ، ومنهم الذين لا يحاؤون ولا يحرمون ،

الصوم اسهل على النفس من المحافظة على الصلاة ومن إيتاء الزكاة . فهو الرسم الباقي عند أكثر المسلمين فاذا درس (والعياذ بالله تعالى) كان دروسه خطراً كبيراً على الرابطة الاسلامية . لهذا نرى ان الذين يجاهرون بالالإفطار في رمضان من المسلمين الجغرافيين أشد فتكاً بالاسلام والمسلمين من كل مخالف يطمن بمقائدهم او يستأثر بسياستهم . ومن العجيب ان يوجد فيهم

من يتشدد بكلمة الوطن او الامة. واعجب العجب ان بعضهم يذكر
 الاسلام ويظهر انه يمتنى عزته. ويحاول خدمته،
 اذا كان تارك الصلاة إنما يتركها ثقلاً من مقدماتها وشروطها
 وتكرارها فانما أدله على ما يذهب بثقل هذه الامور كلها ويسهل عليه ما
 عسره اختلاف الفقهاء. وإنما يكون ذلك بالرجوع الى اصل الدين، والعمل
 بما اتفق عليه جميع المسلمين، فأما الطهارة فالغرض منها النظافة وهي مما
 يرغب فيه كل كريم النفس ويحراه بحسب استطاعته واما كون التنزه عن
 القليل من النجاسة والكثير شرطاً لصحة الصلاة فما اختلف فيه السلف
 الصالح والائمة المجتهدون فليتحرر الانسان التنزه احتياطاً الا اذا عسر عليه
 ولماذا يحتاط لقول بعض الفقهاء حتى يترك الصلاة احتياطاً ولا يعمل بقول
 من لا يرى الشرطية ويقيم ركن الدين الركن احتياطاً. بل ان الذين اشترطوا
 طهارة الثوب والبدن للصلاة قالوا ان المشقة تجلب التيسير ولا حرج في
 الدين فن صب عليه الاحترار من شيء فله رخصة فيه
 وأما الوضوء فهو اسهل شيء اذا روعيت السنة ونبتت الوسوسة
 فقد ورد ان النبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم توضأ ولم يقع شيء من ماء
 وضوئه على الارض فيسهل على المارء بالسنة ان يتوضأ من كوب ماء
 (كوبايه) وهو واقف او قاعد لا سيما اذا كان يسبح على ما يستر رجله ولو
 جورباً من قطن او صوف فان ذلك جائز عند كثير من الصحابة والتابعين
 وعليه الامام احمد
 واما تمدد الصلاة فخير لصاحب الشغل الكثير من الترك ان يأخذ
 بالحديث الذي رواه مسلم في صحيحه والشافعي في سننه وغيرها وهو ان

النبي صلى بالصحابة الظهر والمصر في وقت واحد والمغرب والمشاء في وقت واحد « من غير مرض ولا سفر » وقد أول أكثر الفقهاء الحديث فحمله الشافعية على وقت المطر والمالكية على تأخير الأولى والتعجيل بالثانية ولكن في بعض رواياته عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما تعليل ذلك بقوله « لكلا يخرج أمته » فدل هذا على أن هذا الجمع رخصة والمزيمة في أداء الصلاة في وقتها أفضل ولكن الرخصة أولى من الترك كما هو واقع . كل واحد من هؤلاء المترفين الذين يتناقلون عن أداء الصلاة فيسئل أطرافه عند القيام من النوم فإذا جعل ذلك الفسح موافقاً للوضوء الشرعي وصلّى ركعتين شكر الله تعالى وحفظاً لأفضل شعار يربطه بأهله وأهلياً لمن يعيش معهم الدين بالعمل أو حملهم على التأسّي به فأي ثقل عليه؛ ثم إذا فعل مثل ذلك في وقت الظهيرة إذ يسكن إلى الراحة أو وقت الاصيل إذا شغل وقت الظهيرة فأي تب في ذلك وهو عمل لا يستغرق ربع ساعة؛ وكذلك وقت المشي عند ما يستريح من عمل النهار

اختم القول بتدكير أبناء العصر الجديد بمسألة هم أعرف بتفصيلها من سواهم . وهي أن الأمم الحية تحافظ على عاداتها القومية وشمازها الملية وإن كانت تستقدنهم وضعية فلا يرضى أهل الرأي منهم بترك شيء من ذلك إلا إذا تبين لهم أنه صار ضرراً كبيراً لا يشفع فيه حفظ الرابطة المامة بالثبات عليه ثم إنهم يتروّون في ذلك التروى الواجب . فما بالكم واتم تقلدوهم في الزي والحركة في الطريق (لا في العمل) ونى الماعون والاثاث لا تقلدوهم في الثبات على شمازكم والمحافظة على روابط جامتكم؛ تعلمون أنهم ما تركوا شيئاً إلا بعد أن استبدلوا به ما رأوه خيراً منه فإذا استبدلتم بهذه شماز

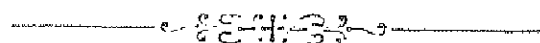
الاسلامية النافمة ، والروابط المليية الجامعة ، التي تتركونها بغير علم ولا هدى ولا كتاب ، نير ؛ ألا إنكم تستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير تمحاون عسى جاء منكم التي فيها عنكم وشرفكم في الدنيا وسماذتكم في الآخرة وأنتم لا تشعرون ، فتوبوا الى الله للملك تفاعون ،

تفسير القرآن الحكيم

(مقتبس من دروس مفتي الديار المصرية الشيخ محمد عبده في الازهر)

يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ . وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ .

تقدم تذكير بني اسرائيل بالنعمة في آية قبل هذه الآية مقرونا بالامر بالوفاء بعهود الله وبالوعد بالجزاء عليه ثم الامر بالخشية منه وحده وتلاها آيات أمرهم فيها بالايان بالقرآن ونهاهم عن لبس الحق بالباطل وكتمان . ثم امرهم بإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة ثم وبمنهم على نسيان أنفسهم من البر مع امر الناس به وتلاوة الكتاب الداعي اليه ودلهم على الطريق الذي يذهب بهذا النسيان وهو الصبر والصلاة التي فقدوها بفقد روحها وهو الاخلاص والخشوع . وبعد هذا عاد الى التذكير بالنعمة بنوع من التفصيل فان النعمة في الآية الاولى جملة والإجمال يبينه التكرار الى التذكر في الجملة فاذا تلاه التفصيل والبيان كان على استمداد تام الكمال الفهم فيكون التذكر أتم والتأثر أقوى والشكر على النعمة أرجى



﴿ كيف يكون المستقبل للمسلمين ﴾

قرأت في (المنار) الزاهر مقال سماحة السيد البكري فايقظ في نفسي آهلاً كبيراً، وهاج من قلبي مُرامي بعماداً، ورأيت يتفق معي في النايبة؛ وبلاقي قلمه قلبي في النهاية، إلا أنه سار إليها من طرق المعارف التشريحية، وانحى إليها وجهة علم الظواهر الجبوية، وناط ذلك المستقبل بالهواعل الدائمية، والاحوال الوسطية، من كثرة السكان، وخصوبة المكان، وعدم امكان الانسان المعيشة في كل مكان، وهي قضايا يتناولها النقد، ويمكن فيها الاخذ والرد، والاقبال والصد، إن رضيا (جوستاف لوبون) ورفنشا (لينيه) و(كاترفاج) و(داروين) و(وروسل ولاس) و(اهكسلي) و(لامارك) و(كوفيه) و(بوفون) وغيرهم من إخوانه الفسيولوجيين، على أن تعليق حياة الاسلام على مؤثرات الوسط وعوامل المكان لا

يناسب مجده وعلو شأنه، وأهميته أكبر من أن تدفع الكاتب إلى تحمري أفكار الافراد لسكّين الحواطر على نجاة بلدانه، وسلامة اوطانه، فان كان الاسلام له المستقبل الباهر، والآتي الزاهر، فليس ذلك الا لكونه الحق الصميم، والنور الصريح، والسكامة العليا؛ والمحجة البيضاء، أنشودة الانسان، وضالة المرفقات؛ ونظام العلم والدين؛ وسلك الفلسفة الحسية واليقين، ان كان ينشره الصوفية اليوم بين الشعوب الشرقية؛ المنحطة في درجات المدنية؛ والعلوم الكونية؛ فينشره عندا لهاجم الفلسفة الحسية، ويأفخ المعارف الطبيعية. ليس لكونه كما اعتدنا ان نقول دينا جمع بين المصالح الروحية والجسدية ويربط بين الأمور الدنيوية والاخروية فقط هذه بعض مزايا الاسلام ونابع بسيط لتعاليم نسردها سردا لبعض المقول البسيطة التي لا تدرك غيرها، ولا تتمسك بالدين الامن أجلا؛ أما عندا وليس ببعيد يوم تجيء دولة الروح ويخرج الانسان من قهر المادة العمياء وسلطة الطين الاصم وينتهي دور الزخارف الحيوانية؛ وتزول سلطنة البطن والامبال البهيمية؛ وينقلب شأن الانسان من حال مادي الى حال روحاني؛ كما انقلب من حال فطري الى حال فكري عتلي؛ فتشرق الروح في عالمها وتزعج الانسان الى أداء مطالبها؛ وتصبح به لأن يرجع بها الى محتدها؛ ويصمد معها الى أوجها؛ كما كانت تزعجه المادة الى القيام برغائبها؛ وتميل به الى عالمها؛ وتطالبه بالركون الى طينها؛ ذلك اليوم تطلب الروح بابا لمرورها؛ وترتاد طريقها لصمودها؛ تلنفت الى جثمانها فتراد عبثا ثقيلًا؛ وما نأ كشيئا؛ وأنى له اختراق طبقات اللطافة الملكوتية بها؛ وكيف له السبح في الموائم النورانية ممها؛ هنالك يكون التنازع بين الروح والجسد كما هو الآن تنازع بين مطالب غذائية

وزخارف مادية ؛ وأغذية ذهنية وشحمية ؛ وألبسة قطنية او حريرية ، بل تنازع في كيفية اعتمادها معاً على الصبح في سبحات النور الاقدس ، والجري يدايد في باحات الكمال الاقدم .

هنالك سيدور الانسان على نفسه دورة اخرى على محور لا يتخيله الآن الا كبار الافئدة كبار المقول . هنالك سيكون الاسلام قائد تلك الحركة وسلطان تلك الدولة والداخي الى الكمال بلسان المدالة المطلنة والمؤاسي بمراهمة الشافية القلوب اليانسة . هنالك سيحوم الناس حول الاسلام كما يحول الفراش حول النور يطلبون نجاة ارواحهم واجسادهم معاً لا ارواحهم فقط . هذه حقائق لا خيالات الا ان تجليها الاذهان يحتاج الى كلام كثير بل سفر كبير

فستقبل الاسلام فيما أعلم وأرى من هذا الباب دون غيره وهو اليق بملوشأته وأنسب لرفعة مكانه واولى به دينا إلهيا ؛ ووحيا علويا ؛ ولكن متى نصل اليه ؛ وأي نوع من أنواع الوسائل نمول عليه ؛ هذه جهة الخلاف بيني وبين سماحة السيد . يرى أن أنجم الوسائل لذلك فتح المدارس وترتيبها ؛ وترجمة الكتب العلمية ونشرها ؛ ومشاطرة الاجانب في لغاتهم والتعمق فيها ؛ ويرجو لذلك أن تمقد جمعيات ؛ وتشكل هيئات ، وتنضم أصوات وتتحد وجهات ، وتتفانى هم أية ؛ وتتكاتف عزائم إسلامية ؛ وتبذل أنفس عزيزة وأرواح ؛ وتباع في سبيل الوحدة بين السماح ؛ وكلها مطالب سامية ؛ وروغائب عالية ؛ ولكن هل تحقق ؟

لنجل في إمكانها نظرا ؛ ونعمل في احتمالها فكريا ؛ فإن لاح لنا برق امل ضممننا صوتنا الى صوته ؛ والا أبدينا فيها رأينا ؛ وعززناه بأسلوبنا ؟

حكم السيد بان لا وطن للإسلام ولا جنسية؛ وأن رابطتنا الوحيدة هي جامعة العقيدة وأصرة الإيمان ووشيجة اليقين. فلنظر هل تلك الرابطة اليوم صالحة لأن تضم اجزائنا وتلمّ شعثنا وتوجه عواطفنا الى تيار واحد لنحقق بذلك آمالاً عظيماً؛ ورأب بها من جسم هيأتنا صدوعاً جساماً؛ يضرب لنا السيد مثلاً بالجميات الاجنبية التي تألفت للوحدة الايطالية؛ والجامعة السلافية، والجنسية السكسونية، وعاج من ذلك على ذكر الثورات الارمنية والمقدونية والكريدية، ثم قال انها «تصل أعمال الجبارة في الخلاص من حضيض الاسر، الى أوج النسر، والامة الإسلامية التي ملأت المشرقين والمغربين تنتفض أنقاض الطائر في شباك الصائد. ولا تصل للنجاة عملاً. وكيف ترجو الوصول الى الغاية وهي لا تنقل اليه قدماً، ولا تحرك شفة ولا قلماً، ومن طالب شيئاً وجده، ومن تركه فقد»، ثم أردف ذلك بقوله: «ولا يفتذر الجبان المفقود القلب بان عقد هذه الجميات مما يتعذر حصوله في البلاد الإسلامية الآن اذ اي جمعية انشئت قبل هذه فلم تقابل بالكفران، وتمحط باليران، لكنها العزيمة التي ترى ان اللوف في حياة الأمة خيراً من الجهادي ووتها وأن لا يحيص من الصدر أو القبر».

نقول ولستنا بجبناء، ولا مفتردي الزاب ولا يائسين ولا مفتونين؛ لقد سلك السيد في مقاله مسلك الكاتب الحماسي - ولكنه لم يسر سير المالم ولا الفيلسوف المراني. ولو كان قبل ان كتب مقاله تدبر في ألوف المقالات التي كتبت قبل مقالته بمشرين سنة وكان فيها من ضروب الحمض والحك والتحسيس مالا يمكن المزيد عليه ومع ذلك لم تنتج أثراً؛ ولم تحقق

لكاتبها ولا لخلافه أملاً، لكان رجع إلى نفسه وعلم أن المانع للأمة من سماع تلك الصيحات، والإيصاحات لتلك الجمعيات، أمر جليل وخطاب كبير. ولتراث له أدواء يجب فحصها وعلل لا ينجح دعاء بوجودها.

قررت العلوم النفسية، وحكمت المشاهدات الوجودية، أن الإنسان لا يعمل عملاً بل ولا يتحرك حركة إلا وهو معتقد صلاحية ما يعمل أو يتحرك من أجله ومتيقن من الوصول إلى غايته فهل لدى فضلائنا الذين يطلب منهم تأليف تلك الجمعيات من العقيدة الراسخة واليقين الثابت ونحن في القرن العشرين ما يحملهم على تشكيل الجمعيات وبذل نفوسهم ونفائسهم دفاعاً عن حقيقتهم وقراءاً دون حريمها؟

أنا أول من يقول بأن المستقبل للإسلام وكتبي ومؤلفاتي تشهد لي بذلك ولكنني لا أحب أن أجعل للخيال ساطاناً على قلبي، ولا للجهالة التي تنطق بمجرد الكتابة نفوذاً على إحساسي؛ بل أعلم أنني عايش في عصر الفاسدة الحسية، والمدنية المادية، والمعارف الطبيعية، وصرفت زماناً ليس بالصغير في فحص وسطي الذي أعيش فيه وامتني التي أنا بين ظهرانيها ورأيت بالحس أننا إن لم نسع لمداواة عللنا من أصولها هنا في تطهيرها وضملائنا في علاجها وذهبت كل صيحاتنا أدراج الرياح كما ذهبت صيحات من كان قبلنا. أما داؤماً الوحيد اليوم وسبب عدم صلاحية خاصتنا لاداء وظيفتها الصحيحة فوهن العقيدة وضعف الايمان وما دامت على هذه الصفة فلا يرجي منها اجتماع على أمر البتة.

مجرد انتقاد ان الاسلام دين يدعو الى الفضائل ومحض على الاخذ بالماديات والمعنويات، ما وانه آخذ في الانتشار بين القبائل الشرقية، او انه

مهيب الجانب في بعض البلاد الأجنبية ، كما اعتاد كثير من خاصتنا التفكك به في المجالس اظهارة لفيرتهم على الاسلام وتحملاً لكثرة براهينه لا يفيدهم في اليقين شيئاً لأن كلهم تقريباً ممن تعلموا اللغات الأجنبية ، ودرسوا العلوم الطبيعية ، والمعارف التشريعية ، ووقفوا على تعاليم (داروين) و (جوستاف لوبون) الذي استشهد به السيد وعرفوا منها ومن أمثالها ان اصل الانسان قرد وانه لا آدم ولا حواء ولا كتاب سماوي ولا روح ولا نفس ولا حشر ولا نشر ومن يرد أن نمطيه صورة موجزة من فلسفة هذه المدنية التي يقرأها خاصتنا من عرفة اللغات الأجنبية ويعتقدون حقيتها فاليه غير مضمون عليه

يقولون يا مفسر المتدينين انكم لو جردتم نفوسكم عن الهوى ، ووجهتم وجوهكم شطر المهدي ، لرأيتم انه ليس دينكم الاثر آمن آثار الماضين ، وبقية من بقايا أوهام السالفين ، ليس لها من القيمة والقدر الا كما لسائر آثارهم الاخرى من العلوم الطبيعية ، والصناعات اليدوية ، فقد حكم العلم (مماذ الله) بان ثوابيس السكون كافية في تحليل ظواهره ، وقوانينه قد فسرت اكثر غوامضه ، فلا داعي لفرض وجود قوى وراء الطبيعة ، ولا موجب لترك عالم علوي بهذه الرينات المحسوسة ، أما الوجود فقديم إن لم يكن بصورته فبمادته الاولى . وأما القوى التي تصرفه فلا استقلال لها في ذاتها بل هي صفة لهيولاه الاصلية فلا مادة بلا قوة ولا قوة بلا مادة بل المادة في نفسها تظهر من مظاهر القوة المتحركة في الأثير من الازل .

أما الانسان وما نسبتموه اليه من نفس مستقلة عن الجسد وما منحتموها من صفة الخلود بعد فناءه وتبعثر ذراته فيما تبطله الشواهد العلمية ،

وتحمله البداهة التشريحية ، فقد قرر العالم (مماذا الله) أنه لا فرق بينه وبين غيره من الكائنات السفلية ، ولا ميزة له على سواه من الأنواع الحيوانية ، بل ليس هو في ذاته إلا حيواناً فاق في قوة العقل والادراك غيره من أبناء نوعه . على أن أبناء نوعه (الحيوانات) غير محرومة من قسط مناسب من العقل والادراك . وإذا أردت الدليل فدونك كتب حياة الحيوان ترى من آثار الفكر ونتائج العقل ما يدل على تمام الدلالة على أن العقل ليس بوقف على الانسان ولا هو وصفه المميز . فإذا نسبت للإنسان روحاً مستقلة عن الجسد ومنحتها مزية الخلود والبقاء اعتماداً على القوة العقلية فلم لا يحكم هذا الحكم نفسه بالنسبة الى الحيوانات أيضاً ؟ اليس هذا من آثار المعلومات السابقة النافذة حينما كان الناس لا يميزون بين ما يؤيده الحس والبيان . وبين ما هو من قبيل الخيالات التي تنشأ في الوجدان بلا روية ولا ايمان ؟ ، اما الفضائل التي تفرعون الأذان بها . وتضربون وجوه مناظريكم بـألاحها مدعين أنكم قادتها وزعماءؤها . وان ليكم حق السيطرة على الناس بها . فليست في الحقيقة تبعاً لتعليم من التماثيل القديمة لكتب خاصة يقوم بها رجال ذوو صفات خاصة بل هي تابعة لنواميس طيبية تظهر في الامم الحية ظهور سائر آثار النواميس الاخرى فلا علاقة لها بدين البتة . الآتون أن كثيراً من المتدينين بمناه عن الفضيلة . مغمورين في غمرات الرذيلة . ودونك الاحصائيات المدققة التي يعتني بجمعها علماء الانسان ترى أن أكثر اصحاب الجرائم من المتدينين المتشددين في الدين واليك كتب علماء الجرائم مثل (لومبروزو) و (فيرو) و (سيرجي) ترى العجب العجيب . بل انظر بعينك الى الامم التي تزعم أن لها ارتباطاً بالدين

وغيرة على اليتيم الأتراف في حالة من الأجرام والتسفل تفضل عليها معها
الامم التي تركت الأديان ، وجملتها خبر الكان ، والتفتت للمدينة ، والمعلوم
الطبيعية ، فاصلحت شؤونها ، ودبرت أمورها ، فتأمت على قطب الاستقامة
والاستقلال ، ونحت منحى الكرامة والجلال ، فكشفت لها المدينة عن وجهها
الباسم ، وتجلت لها الحضارة في شكلها الفاتن ، فسيطرت على الامم الاخرى
بعلومها وصنائعها ، وقهرتهم بقوتها وسطوتها ، كما صارت بالنسبة اليهم علما
في فضائلها وآدابها ؛ اذا كانت لا فضيلة بغير الدين وأنها لا تخرج عما
حددتم لها من القيود في كتبكم فما سبب هذه الآثار المدهشة للعقول المضلة
للمدارك ؟ اذا كان الانسان كما تقولون خلق مستقلا بذاته من طيبة
علاوية ، وأنه مستعد لأن يسمو بروحه اسمى منصة للحياة الملكية ،
فلماذا هبطتم وعلا عليكم اولئك الذين يزعمون أن الانسان من سلالة
القردة وان بينه وبين الحيوانات أواصر من القربى ووشائج من الرحم ؟
اذا كانت الفضيلة كما تقولون لا تثبت للانسان بغير دين ولا تطبع بضميره
الا بطابعه فلماذا حرمت من أصغر أنواعها وسبقتكم في باطنها من يقول
أن الفضيلة صفة من صفات الحياة الانسانية والذيلة كذلك . تنشأ الأولى
عند ما تكون شؤون تلك الحياة جارية على سمت منتظم ملائمة لقوانين
الخلقة وتبرز الثانية في ضد تلك الحالة ؟

اما ما تزعمون من أن لا اقوام للامم بغير الدين ، ولا نظام لهم سوى
حبله المتين ، فما لا يحتاج معكم فيه الى كبير جدال ، ولا كثير قيل وقال ،
فدونكم الامم القريبة الكبرى قد بنت عظمتها بلا شانه وأقامت وحدتها
بمناذرة أشياعه ، ومع ذلك نرى لها كل يوم في سجل الممالي أثرًا جديدًا ،

وفي حقائق الفخار والمجد صرحاً شديداً، فان كان الحال كما تزعمون فاهذا
 الاثر المنعكس، وما تفسير هذا الامر الملتبس، اليس كل هذه البراهين
 المحسوسة دالة على انكم متمسكون بأقوال لا يقوم عليها من عالم الشهود
 شاهد، ولا ينهض لها من وقائع الحوادث مدافع، لا جرم انكم
 تتأخرون وتقدم، وتخضون وتتحكم، ولا غرو أن علونا وسفلم،
 وتمرزنا وذلتكم، كما لا عجب ان استخدمنا نواميس الكون وأسرتكم،
 واستغلنا خيرات الطبيعة وحرمتهم.

كل هذه الشبه المتماصية قد نشأت في وسط العلم الاوروبي ونبع منها
 من بين ذرات دسم هذه المدنية العجيبة فالتأت باكثر العقول أقدارها،
 وتسمت الفطر بسوءها، وقدسرت هذه السهوم الى شبيقتنا الاسلامية،
 التي نهات من دن العلوم الاجنبية نخلتها عن مجموعها وذهبت بها مذمبلاً تجملها
 مع هؤلاء، ولا هؤلاء، وكفى امة عجزا وضمنا وتصورا وتأخراً أن لا يكون
 لشبيتها وجهة تسير عليها، ولا غاية تمتقدها وتوق اليها، وتدأب للحصول
 عليها، حلت هذه الشكوك والشبه من قادة النشأة وزعماء التقدم في البلاد
 الاجنبية محلاً علياً، وجمتهم يبدون، منقذاتهم ظهرياً، ولكن قام مقامها لديهم
 مؤقتاً غيرة قومية، وحمية جنسية اولفوية، ملت شمتهم وضمت اجزاءهم حيناً
 ظنوا فيه امكان قيامهم بدون الدين بل خالوا ان مصدر رفعتهم ومنبع نظامهم
 والثناءهم، ومنشأ الفهم ووثاقهم، هدم تاملهم وتذريتها في الهواء مع الهباء ثم
 لما استقاموا على هذه المفازة الخطرة حيناً من الزمان ورأى قادتهم ورؤساء
 معارفهم ان هذه خطة عوجاء، وسراب ليس وراءه ماء، وان بالادمان
 على متابعة السير في خطتهم هذه الهلاك المتناصل والجائحة الكبرى التي

تطلق نور مدنيهم ، وتهدم صروح عظمتهم ، وساعد هذا الاثر في نفوسهم الاحساس بالفراغ الذي ألم بصميم معناتهم الانساني وجوهرهم البشري من جراء فقد العقيدة التي هي لازم من لوازم هذه النفس الناطقة تمطشت قلوبهم الى الدين الصحيح وحنث فطرهم اليه حين البائس يتنظر فرجه ويتنعم من شطر الخلاص نسمة . ولكن أين الدين ؟؟ كانت الفلسفة الحية فلسفة (اجوست كوت) وأشباعه القائلين بأن المعقول اذا لم يؤيده شاهد من الحس جاز أن يكون ضاللاً آخذاً من الافكار ميكانة لا يمكن قلعه منها وما دامت أسس الدين من عقيدة وجود الروح وخلودها في دار بعد هذه الدار مما لا يمكن الاستدلال عليها بمحسوس جاز أن تكون وهماً لاحقيقة له في الواقع . فهي على حسب أسلوب هذا المذهب الكثير الأشباع من قبيل ما لا يمكن إثباته ، وما لا بد من عدم الحوض فيه ، وما معنى دين بدون روح وخلود وآخرة فيها نعيم مقيم أو نقاء مستديم ؟ كيف الوصول الى الاعتقاد بدين مهما كانت آماله في عصر هذه فلسفة بيه وتلك مبادئها ؟ ولكن الله سبحانه أكرم من أن يخيب سائلاً وأرحم من أن يطرد طارقاً فأرسل عليهم من جهة فلسفتهم هذه آيات تأخذ بالاعناق خضوعاً ، وبالأبصار والبصار دهشة وخشوعاً ، فنشأت أبحاث سموها (اسبرتزم) و (مابرتزم) التبريم المناطبيسي و (اسبرتزم) استحضار الأرواح وغير ذلك استدلت منها عليهم على أن للإنسان روحاً وخلوداً فأنشأوا مئات من المجلات والجامع وعقدوا لها المؤتمرات والمحافل ، وألقوا فيها الكتب والرسائل ، وبلغ عددهم من العلماء الأعلام ، وقادة المطرف العظيم ، والمحامين البارعين ، والكتاب المتفنين ، ما يزيد عن عشرين مليوناً كما سنوضحه بعد ان شاء الله . فهم على هذا لم يعموا حتى نهضوا ولم يضلوا حتى أوشكوا يهتدون . ولكن شبيبتنا التي جرعتم من حوض علومهم هوشه حنث في أذهانها صور معارفهم لم يشاؤا أن يوسموا دائرة معارفهم وكأنهم لم يعلموا أن ما يدرس في المدارس من العلوم الطبيعية والرياضية ليس الاقطرة من بحر لا تنقح صدى ولا تروي غلة . بل كأنهم يعتقدون أن المسلم واقف حيث هو من عهد (لغوازيير) و (توسيلي) و (ماربوط) و (قواطط) وان باب الرحمة الالهية أغلق في وجه بني آدم (معاذ الله) فلا صرمي بعد صرماهم ولا مذهب بعد مذهبهم ثم نسوا ما تعلموه أيضاً ولم تحفظ ذاكرتهم منه الا بشكلا مشوهاً من استنتاجات عبر جاء ليس لها أصل ترتكن اليه ولا أساس تعتمد عليه فهم على مذهب (اجوست كوت) و (داروين) بدون أن

يكلّفوا أنفسهم معرفة ماهية مذهبهما ، ولا أصول نظريتهما ، وكانهم كفاهم في أن يكونوا (أوجوسطين) و(داروينيين) أن يروا في بعض المجلات نبأ من فلسفتها لم يرد على أسلوب صحيح ولا سلك فيه كاتبه سلك الاستقرار والتحليل . ثم انهم على فرض نعتهم في فلسفة علماء هذا العصر وتفانهم في منحيتها تدقيقاً وتحصيماً لم يكلّفوا أنفسهم النظر في ماهية الإسلام وأصوله ليروا ان كانت مبادئها تهمها هذه الأبحاث أو هي بالعكس تقويها وتؤيدها

أقول هذا ولا أنكر ان لدينا أفراداً من رجال هذه النهضة صاروا لهامة علوم العصر تاجاً وتي ذروة العلماء الإسلامي علماء ، ولكنهم وبالأسف قليلو المدد مبسرون في الجهات مشغولون بالوظائف يتألمون لهذه الحالة مثل ما تألم ويرون أدواء نامثل ما ترى . هذه صورة مصغرة من الشبه والشكوك التي جرفها اليها مدينة أوروبا والعقبات باذهان كثير من رجال نشأتنا التي استقت منها معلوماتها ، واخذت عنها لغاتها ، فهل بمد هذا يطوف بفكر عمراني باحث أو تحليلي مدقق انه يمكن جمع جمعية عصيتها الدين وجامعتها العقيدة وسلاحها اليقين ويكون من أثرها تشييد معالي الإسلام وإرجاع مجده اليه ولو ببذل الأرواح ، وبيع المهج ببيع السباح ؟ اللهم لا . أذن فلنختار احد أمرين اما أن نقاب شكل هيئتنا الاجتماعية من شكلها الحالي الى شكل آخر روا بطها الوطنية أو الجنسية أو أي امر غيرها وهيات ان يتم لنا ذلك في ألني سنة . وإما ان نتمهد رابطينا الأصلية وهو الدين ونجليه لتلك الأذهان ، في شكل يذهب شكوكهم وشبههم ، ويرجع الى تلك الفطر الإسلامية التائهة نورها الصافي حتى تدور على نفس القطب الذي كانت تدور عليه تلك الأرواح الطاهرة والنفوس الكريمة روح سيد ولد آدم واصحابه الذين كانوا حجة الحق الدائمة . وانوار الفضائل الساطمة ، وخلفاء الله في ارضه وجيرانه في عالم قدسه . صل اللهم عليهم ونا بئهم آمين

محمد فريد وجدي

(المنار) : ما دخل هذا القرن الميلادي الا وكان شغل طائفة من كبار كتاب أوروبا البحث عن مستقبل الإسلام فيه فكتبوا في ذلك المقالات الطويلة كلٌّ يظهر رأيه فمنهم من بشر ومنهم من أنذر . وقد كنا نسرعنا من عدة أشهر بكتابة مقالة في ذلك عنوانها « مصير الأنام » ومستقبل الإسلام » ولكن شغلتنا عنها مقالات « الإسلام والنصرانية » مع العلم والمدنية » ثم مقالة السيد البكري في الموضوع ثم

هذه المقالة . السيد البكري أحسن في بيان الأغراض التي رعى إليها ونتائجها صحيحة
وان كان بعض البحث في المقدمات لا يسلم من النقد كما قال صاحب هذه المقالة ولكن
لم يكن للتخيلات في كلامه ذلك السلطان الذي نسب إليه بل التخيلات الخطابية
والشمرية في هذه المقالة أكثر ولا بأس بذلك إذا أريد به التأثير فيها بمحمد وإسماعيل
إذا كان خلافة و خداعاً . وأما قوله : ان الجامعة الاسلامية لا ترجى للمرجاه السيد منها وان
عقلاء المسلمين الذين طالبهم السيد بالعدل لا يمكن ان يعملوا واستدلاله بعدم تأثير المقالات
الطويلة التي كتبت منذ عشر من السنين : فهو غير سيد فان كل ما كتب بحق واخلاص قد أثر
حتى احدث حركة عظيمة في العالم الاسلامي وان عقلاء المسلمين يشغلون الآن بما طالبهم
به السيد وانما . طابته لزيادة البيان والنشيط والكمال . وإنما لم يظهر أثر كبير اسمهم اضعف
الاستمداد « الكل أجل كتاب » وفي هذه المقالة . وافقه على هذا فان الكاتب طالب المسلمين
في آخرها بأحد أمرين وهم قائمون بالثاني منهما وهو السديده . ولتعلّم نبياً بمدحين «
التنويم واستحضار الأرواح لم يزل أثرها مبهماً . ومستقبل أثرها مجهولاً
وأمليق مستقبل الاسلام عليهما لا يبحث المسلمين على عمل ، ولا يجي في نفوسهم هيت
الأمل . نعم اننا نرجو من كل ما يكشفه العلم من اسرار الخليفة تأييداً للاسلام سواء
كان السر روحانياً او مادياً والقول الذي لا ريب فيه هو ان المستقبل للاسلام لأنه دين
القطرة والاجتماع المرشد الى مصالح الروح والجسد والهادي الى الوفاق بين وظائف
العقل ووظائف القلب . فلا بد ان يكون الاسلام هو الحاكم الأعلى في المدنية العايات
عند ما تكمل هي ويظهر هو خالياً من التقاليد التي اضيفت اليه كما قلناه مراراً .
وسنزيده بياناً . اما ما ذكره الكاتب من شبهات اوربا على الدين فهو لا يمس الاسلام
لأن عقائده مؤيدة بالعقل وسيرة المسلمين اطهر سبر البشر عند ما كانوا على الاسلام
السليم من البدع . وعلى كل حال نشكر للكاتب الاول وللكتاب الثاني اعمال قام بها
في هذا الموضوع الشريف وكل منهما احسن في الوجه الذي كتب فيه ولا تنافي بينهما
ولاتناقض في الحقيقة وكل ما كتبنا لا يتمنا من نشر ما كنا نشرنا فيه ولكنه كفاً
« مؤنة التطريل » والله يقول الحق وهو يهدي السبيل »

﴿ سمة الاجتماع السادس لجمعية أم القرى ﴾

(تابع لما في الجزء ١٣)

ثم قال (الاستاذ الرئيس) للخطيب القازاني: ان الاخوان يترقبون منه أيضاً ان يفيدهم بما يلهمه الله مما يناسب موضوع مباحث الجمعية

قال (الخطيب القازاني): ان الاخوان الأفاضل لم يتركوا قولاً لقائل ولذلك لا أجد ما أتكلم فيه وإنما أقص عليهم مساجلة جرت في الاستهداء بين مفتي قازان وافرنجبي روسي من العمامة المستشرقين الصارفين بالغة العربية المولعين باكتشاف وتبع العلوم الشرقية ولا سيما الاسلامية وقد هداه الله الى الدين المين فاجتمع بمفتي قازان وقال له انه اسلم جديداً وهو بالغ من معرفة ائمة القرآن والسنة مبناً كافياً وعالم بموارد ومواقع الخطاب علماً وافياً ف يريد ان يتبع القرآن وما يمكنه ان يتحقق وروده عن رسول الله فيعمل بما يفهمه ويمكنه تحقيقه على حسب طاقته لانه لا يرى وجهاً مقبولاً للوثوق بزيد او عمرو او بكر أصحاب الأقوال المتضاربة المتناقضة لان حكم العقل في الدلائل المتعارضين التساقط وفي البرهانين المتباينين التهار قول من مانع في الاسلاميته ينممه من ذلك فاجابه (المفتي) ان اكثر الامة مطبق منذ قرون كثيرة على لزوم اعتماد ما حرره احد المجتهدين الأربعة المنقولة مذاهم فاطباق الاكثرية دليل على الصحة فلا يجوز الشذوذ فقال (المستشرق) لو كان الصواب قائماً بالكثرة والقدم وان خالف المعقول لاقضى ذلك صوابية الوثنية ورجحان النصرانية ولا تقضى كذلك عكس حكم ما صح وروده عن النبي صلى الله عليه وسلم من ان امته تفرق الى ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار الا واحدة هي التي كان هو وأصحابه عليها وقد وقع ما أخبر به وكل فرقة تدعي انها هي تلك الواحدة الناجية ولا شك ان الاثنين والسبعين فرقة اكثر من اي واحدة كانت منها فابن يبقى حكم الأكثرية .

فاجابه (المفتي) انه قد سبقنا من اهل التحقيق والتدقيق الذين تشهد آثارهم بمزيد علمهم الوف من الفضلاء وكلامهم اعتدوا لزوم اتباع احد تلك المذاهب القديمة حتى بدون مطالبة اهلها بدلائلهم لأن مداركنا قاصرة عن ان توازن الدلائل وتميز الصحيح والراجح من غيرها ومثلنا في ذلك كالطبيب لا يلزمه ان يجرب طبائع المفردات كلها ليعتمد عليها بل يأخذ عامه بطبائهم اعما دونه أئمة الطب .

فقال (المستشرق) نعم ان الطيب يعتمد على ما حققه الأولون ولكن فيما اتفقوا عليه واما ما اختلفوا فيه على طرفي تقيض بين نافع او سامٍ فلا يعتمد فيه على احد القولين بل يحلما ويجدد التجربة بمزيد الدقة والتحقيق لان اعتماده على احدهما يكون ترجيحاً بلا مرجح . هذا وإننا نرى ببادئ النظر ان هؤلاء الأئمة الأقدمين لم يقدروا ان يطلعوا على ما لا يقدر المتأخرون ان يطلعوا عليه ويكفينا برهاناً على ذلك (أولاً) تخالفهم في كل الاحكام الا فيما قل وندر نخالفنا مهمماً ما بين موجب وسالب ومحلل ومحرم حتى لم يمكنهم الاتفاق في نحو مسائل الطهارة وسترالمورة وما يحل أكله وما لا يحل . (ثانياً) ترددهم في الاحكام وتقلبهم في الاراء وذلك كحكم أحدهم في المسألة ثم عدوله عنه الى غيره كما يقول اصحاب الشافعي انه كان له مذهبان رجع بالثاني منهما عن الأول (ثالثاً) اختلاف آباءهم في الرواية عنهم كاصحاب أبي حنيفة الذين قلما يتفقون على رواية عنه ويأول ذلك لهم بعض المتأخرين بتمدد مذاهبه في المسألة الواحدة . والحاصل ان الانسان الذي يتقيد بتقليد أحد أولئك الأئمة ولا سيما الامام الاعظم منهم لا يتخلص من قاق الضمير أو يكون كخاطب ليل وعلى ذلك لا بد من تحري في دينه من ان يتهدي بنفسه لنفسه أو يأخذ عن يثق بعلمه ودينه وصوابية رأيه ولو من معاصريه لان الدين أمر عظيم لا يجوز العقل ولا النقل فيه المماثلة واتباع التقايد .

أجابه (المفتي) نحن لا نحتج بأن الصواب مقطوع فيه في جانب احد تلك المذاهب بل المقدمتنا اما ان يقول باصاغة الكل أو يرجح الخطأ في جانب من ترك مع احتمال الصواب .

فقال (المستشرق) هذا القول يستلزم تعدد الحق عند الله أو القول بالترجيح بلا مرجح لانكم تتحاملون المفاضلة بين الأئمة واعترافكم باحتمال المذاهب للخطا . يقتضي جواز تركها كلها مع انكم توجبون اتباع أحدها أفليس هذه قضايا لا يتطابق ولا تمقل فلماذا لا تجوزون وانتم على هذا الارتباك ان يستهدي المتبلي لنفسه فإذا تحقق عنده شيء عن يقين أو غلبة ظن أتبعه والأ كان مختاراً ولا يكلف الله نفساً الا وسهوا .
أجابه (المفتي) اننا لبعده العهد لم يبق في امكاننا التحقيق فاننا من سبيل غير اتباع أحد المتقدمين ولو كان تحقيقه يحتمل الخطاء .

قال (المستشرق) ما الموجب لتكليف النفس ما لم يكلفها به الله؟ اليس من الحكمة أن يحفظ الانسان حريته واختياره فيستهدي بنفسه لنفسه حسب وسعه فان أصاب كان مأجوراً وان أخطأ كان ممدوراً ويكون ذلك أولى من أن يأمر نفسه

للخطأ المحتمل من غيره .

أجابه (المفتي) ان هذا الغير أعرف منا بالصواب واقل منا خطأ فتقليده

أقرب للحق .

قال (المستشرق) هذا مسلم فيما اتفق عليه الاقدمون اما في الخلافات فامتلأ يقف عند الترجيح بلا مرجح ولا سيما اذا كنتم لا تجوزون أيضاً البحث عن الدليل ليحكم المبتلى عقله في الترجيح بل تقولون نحن أسراء القل وان خالف ظاهر النص .
أجابه (المفتي) اننا اذا أردنا ان لا نعد من شرعنا الا ما تحقق بانفسنا دليلاً من الكتاب أو السنة أو الاجماع نضيق حينئذ عنايا احكام الشرع فلا نفي بحل اشكالنا في العبادات ولا تعين احكام حاجاتنا في المعاملات فيحتاج كل منا ان يمثل برأيه في غالب دقائق العبادات والمعاملات ويصير القضاء غير مقيد بايجابات شرعية وهل من شك في ان اطراد الآراء وانتظام المعاملات البقي بالحكمة من عدم الاطراد والانتظام .

قال (المستشرق) لاشك في ذلك ولكن أين الاطراد والانتظام منكم ولا يكاد يوجد عندهم مسألة في العبادات أو المعاملات غير خلافية ان لم تكن في المذهب الواحد فين مذهين أو ثلاث . هذا وربما يقال ان توفيق العمل على قول من اثنين أو أكثر أقرب للاطراد من الفوضى المحضة في تفويض الامر لرأي المبتلى أو تفويض الحكم لحرية القاضي فيجاب عن ذلك بأن الامر أمر ديني ليس لنا ان نتصرف فيه برأينا ونعزوه الى الله ورسوله كذباً وافتراءً وافساداً لدين الله على عباده ولو ان الامر نظام وضحي لما كان ايضاً من الحكمة ان يلتزم اهل زماننا آراء من سبقوا من عشرة قرون ولا أن يلتزم اهل الثرب قانون اهل الشرق وعندي ان هذا التضييق قد استلزم ما هو مشاهد عندهم من ضعف حرمة الشرع المقدس .

ثم قال (المستشرق) واعيد قولي انكم تحبون ان تكلفوا انفسكم بما لم يكلفكم به الله ولو ان في الزيادات خيراً اختارها الله لكم ولم يمنعهكم منها بقوله تعالى : (مَا فَرَطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) أي مما يتماق بالدين (١) وقوله تعالى (الْيَوْمَ أَكَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيْتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا) وقوله تعالى (تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأَلَيْكَ هُمُ الظَّالِمُونَ) ولكن علم الله الخبير في القدر الذي هداكم اليه وترك لكم الخيار على وجه الإباحة في باقي

(١) يريد ان القرآن محيط باحكام الدين وما يناسبه لا بكل علم الله كما يتوهم الكثيرون

شؤونكم لتوفيقها على مقتضيات الزمان ابي الغير وهوجبات الاحوال التي لا تستقر
فبناء عليه اذا اتيم اكثر اعمالكم الحيوية باطمئنان قلب باباحتها يكون خيراً من أن
تأثروها وأتم حيارى لا تدرون هل اصبتم فيها ام خالفتم امر الله فتعيشون واثبتتكم
منطرية محاذرون في الدين شؤم المخالفة وفي الآخرة عذاباً عظيماً وليس هذا من مخافة
الله التي هي راس الحكمة ولا من مراقبة الوازع التي هي منزلة الدين بل هذا من الارتباك
في الرأي والاضطراب في الحكم ونتيجة ذلك فقد الحزم والعزم في الامور

ثم قال : اعلم أيها المفتي المحترم ان هذه الحالة التي اتم عليها من التشديد والتشويش
في أمر الدين هي أكبر أسباب انحطاط المسلمين بعد القرون الأولى في شؤون الحياة
كما انحط قبلهم الاسرانيون بما شددوه وشوشه عليهم أهل التلمود وكما انحطت
الأمم النصرانية لما كانت (ارتوذكية) مغلظة أو (كاثوليكية) متشددة يتحكم فيها
البطارقة والقسيسون بما يشاؤون تحت اسم الدين فكانوا يكلفون الناس أن يتبعوا
بما يلقونهم من الاحكام بدون نظر ولا تدقيق حتى كانوا يحظرون عليهم أن يقرأوا
الأناجيل أو يستفهموا عن معنى التليث الذي هو أساس النصرانية كما ان التوحيد
أساس الالامية . وبقي ذلك كذلك الى أن ظهرت (البروتستان) أي الطائفة
الانجيلية التي رجعت بالنصرانية الى بساطتها الاصلية وأبطلت المزيادات والتشديدات
التي لامرأحة فيها في الأناجيل والى أن اتسع من جهة أخرى عند الأمم النصرانية
نطاق العلوم والفنون رغمًا عن معارضة رجال الكهنوت لما فتاظفت أيضاً الكاثوليكية
والارتوذكية عند العوام واضمحلتا بالكلية عند الحواص لان العلم والنصرانية
لا يجتمعان أبداً كما ان الالامية المنسوبة بحشواتفتنين تضلل العقول وتشوش الافكار .
أما الالامية السمجة الحالية من نوائب الزوائد والتشديد فان صاحبها يزعم
إيماناً كلما ازداد علماً ودق نظراً لانه باعتبار كون الالامية هي أحكام القرآن
الكريم وما ثبت من السنة وما اجتمعت عليه الأمة في الصدر الاول لا يوجد فيها ما
يأباه عقل أو يناقضه تحقيق علمي

وكفى القرآن العزيز شرفاً انه على اختلاف مواضعه من توحيد وتعليم وانذار
وتبشير وأوامر ونواه وقصص وآيات آلاء قد مضى عاينه ثلاثة عشر قرناً ثمخضه
أفكار الناقدن الممادين ولم يظفروا فيه ولو بتناقض واحد كما قال الله تعالى فيه :
« ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً » بل الأمر كما نبه إليه

المدققون المتأخرون أنه كلما اكتشف العلم حقيقة وجدها الباحثون مسبوقة التاميح أو التصريح في القرآن، أودع الله ذلك فيه ليتجدداً بحجازه ويتقوى الإيمان بأنه من عند الله لأنه ليس من شأن مخلوق أن يقطع برأي لا يبطله الزمان .

فهذه القضايا التي قررها حكماء اليونان وغيرهم على أنها حقائق ولم تردّد فيها عقول عامة البشر الوفا من السنين أصبحت محكوماً على أكثرها بأنها خرافات .

وكذا يقال كفي السنة النبوية شرفاً أنه لم يوجد في أعظم الحكماء المتقدمين والمتأخرين من يربو عدد ما يمزى إليه من الحكم التي قررها غير مسبوق بها على عدد الأصابع مع أن في السنة المحمدية على صاحبها أفضل التحية من الحكم والحقائق الأخلاقية والتشريعية والسياسية والتعليمية الوفا من المقررات البتكرة يحلّي أعظم قدرها مع تجديد الزمان وترقي العلم والمعرفان .

وكفي بذلك ملزماً لأهل الإنصاف بالإقرار والاعتراف لصاحبها عليه السلام بالنبوة والأفضلية على العالمين عقلاً وعلماً وحكمة وحزماً وأخلاقاً وزهداً وافتقاراً وعزماً وكفي أيضاً بهذه المزايا العظمى ملزماً بتصديقنا في كل ما جاء به واتباعه في كل ما أمر أو نهى لأن الدهم يأت بمرشد للبشر أكمل وأفضل منه (مرحى)

ثم قال (المستشرق) للمفتي وهذا مادعاني الى الاسلام فليت والحمد لله وعندى ان لو قام في الاسلام سرة حكماء دعاة مقدمون لما بقي على وجه الارض عاقل يكفر بالله . ثم قال : واني أرى انه لا يمضي قرن الا ويكثر المهتدون من المستشرقين ويرسخون في الدين فيتولون تحرير شريعة الاسلام ، ويفيضون بها على الأنام ، حتى على أهل الركن والمقام ، ولا يبعد أن تأتي الأيام بالفرنس محمد المهدي الزوسي أو الانكليزي متلاً قائماً مقام الإمام ، سيداً عن الاسلام بأكمل نظام .

أجاب (المفتي) : لا مانع مما ذكرت ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ودين الله دين عام . لا يختص بقوم من الاقوام .

ثم قال (المستشرق) : أيها المفتي المحترم لا يطاوعني الساني ان ادعي العيرة على الملة البيضاء الأحمدية أكثر منك انما أنا أشدك بالله ومحبك لدينك ان تترك هذه الأوهام التقليدية القائمة في فكريك وتبني على تأليف كتاب يصور حكمة دين الاسلام وسماحته ليكون سعيها هذا خيراً عظيماً تنال به نحر وتواب هداية عشرات الملايين بل مئات الملايين من الناس الى هذا الدين المين . ولا يكبرن ما أقول على فكريك فان أهل هذا الزمان

المستعيرين الأحرار لا يقاومون بأهل الأزمنة المظلمة الغابرة . نعم وننال أيضاً ثواب حفظ الملايين الكثيرة من أبناء المسلمين المريقين تلامذة المدارس المصرية من هجر الإسلامية على صورتها الحاضرة المشوهة باختلاط الحكم بالخرافات المغطاة بتقل التشديدات المتدعة فالبدار البدار لأن نفوز بهذه الخدمة التي (يكاد) يبادل أجرها أجرني مرسل والله الممين الموفق .

اجابه (المفتي) أصبت فيما تفكرت ولعم ما أشرت به ولكن هذا عمل مهم يحتاج القيام به لضاية جمية يتكون من تضلع أعضائها في فروع العلوم الدينية علم كافي للإحاطة وحصول الثقة واسوء الحظ لا يوجد من فيهم الكفاءة في هذه البلاد ولذلك تختم علينا أن نترك هذا الفكرة آسفين وندعو الله تعالى أن يباهم علماء مكة أو صنعاء أو مصر أو الشام القيام بأداء هذا الواجب .

ولما انتهى (الخطيب القازاني) الى هنا قال هذه هي المساجاة وقد سمعت المفتي يقول انه اجتمع بكثير من المستشرقين فوجدهم كلهم يحسنون العربية أكثر من علماء الإسلام غير العرب مع أنهم يشتغلون في تلوم اللغة عمرهم كله وما ذلك الا من ظفر مدارس اللغات الشرقية الافرنجية بأصول تعليم العربية أسهل من الأصول المعروفة عندنا .

قال (المجتهد التبريزي) اني أرى ان الإسلام اصابه قنطان عظيمتان ولو لاقوة أساسه البالغة فوق ما يتصوره العقل لما ثبت الدين الى الآن . أما الفتنة (الأولى) فقد قدرها الله ومضت على وجهها وهي حين نشاجروا في الخلافة والملك وانقسموا على أنفسهم بأسمهم ينهم يقتل بعضهم بعضاً وتفرقوا في الدين لتفرقهم في السياسة .

وأما الفتنة (الثانية) فلم تزل . سيرة وهي ان الخلفاء العباسيين ماتوا الى تعصبي النظر في المقائد فخدمهم من خدمهم من علماء الامايج تقرباً اليهم في علم الكلام وأكثروا من القيل والقال ثم سرت المدوى الى المناظرة في الفقه وبيان الأولى من المذاهب فاقبلوا على التدقيق والجدل في الخلافات بين أبي حنيفة والشافعي وأثاروا بينهما فتنة عمياء وحرباً صماء وتركوا بقية المذاهب فاندست ولم يبق منها سوى مذهب زيد وأحمد في جزيرة العرب ومذهب مالك في الغرب ومذهب جعفر في بلاد الحزر وفارس فاكثروا التأليف والتصنيف في هذه المذاهب كل مؤلف يحب ان يبدي ما عنده ليشتهر فضله وينال حظه من دنياه زاعماً ان غرضه استنباط دقائق الشرع

وتقرير على المذاهب فزاحموا وتجادلوا وناقض بعضهم بعضاً وكان من العلماء بعض الصلحاء العظامين شاركهم في الفتنة وهم لا يشعرون كما قال الله تعالى : (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَا يَكُونُونَ لَا يَشْعُرُونَ) وقوله تعالى (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِبُونَ أَنََّّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) .

وهكذا اتسعت دائرة الأحكام في الشرع فصار الخلف عاجزين عن التقاط الفروع فضلاً عن الرجوع الى الأصول فاطمأنت الأمة للتقاييد وأقبل العلماء على التعمقات في الدين يغرب المفسر ويتفنن ولو بمحكيات قاضي الحن لأنه غير مطالب بدليل ويتفحص المحدث عن نوادر الأخبار والآثار ولو موضوعة لأنه غير مسئول عن سنده ويستبطئ النقيه الحكم ولو بالشبه من وجه لا لازم الا لازم للعملة لأن مجال التطبيق واسع وهذه الفتنة لم تزل مستمرة الى أن أوقفها قصور الهمم عند الأكثرين .

على ان هؤلاء المتأخرين أخذوا الى التقليد الصرف حتى في مسألة التوحيد التي هي أساس الدين ومبدأ الايمان واليقين والتمارق بين الكفر والاسلام وجمعوا أنفسهم كالعميان لا يميزون الظلمة من النور ، ولا الحق من الزور ، وصاروا يمحسون الظن في كل ما يجدونه مدوناً بين دفتي كتاب لانهم رأوا التسليم أهون من التبصر ، والتقليد أستر للجهل ، وصار أهل كل اقليم أو بلد يتصبون لمؤلفات شيوخهم الأقدمين ويتخذون الخلافات مداراً لتطبيق الأحكام على الهوى لا يبالون بحمل أثقال الناس في الدين على عواتقهم يزعمون ان التسليم أسلم وانهم أسراء النقل وان خالف نظام التنسيز جرمين ان اختلف الأئمة براحة بلائمة .

ثم ان اختلف الأئمة يكون راحة اذا حسن استعماله ويكون نعمة اذا صار سبباً للتفرقة الدينية والنباغض كما هو الواقع بين أهل الجزيرة السفاين وبين أهل مصر والغرب والشام والترك وغيرهم من المسلمين وبين أهل عراق المجمع وفارس والعسف الممتاز من أهل الهند الشيعيين وبين أهل زنجبار ومن حولهم من الأباضيين فهذه الفرق الكبرى يعتقد كل منهم انهم وحدهم أهل السنة والجماعة وان سواهم مبتدعون أو زائغون فهل والحالة هذه يتوهم عاقل ان هذا التفرق والانشقاق راحة لا نعمة وسببه وهو التوسع في الأحكام سبب خير لا سبب شر .

وكذلك اختلف المجتهدين في كل فرقة من تلك الفرق لا يتصور العقل ان يكون

رحمة لا يقيد حسن استعماله والافكار نعمة حيث يوجب تفرقة ثانية بين مالكي
وحنفي وشافعي مثلاً .

والمراد من حسن استعمال الخلاف هو ان كل قوم من المسلمين قد اتبعوا
مذهباً من المذاهب ترجيحاً أو وراثة أو تمسكاً ولا بد أن يكون في المذهب الآخذ به
كل قوم بعض الأحكام الاجتهادية التي لا تناسب أخلاق أو تلك القوم أو لا تلائم أحوالهم
المماشية أو طبائع بلادهم فيضطرون الى الإقدام على أحد أمرين أما التمسك بتلك
الاحكام وان أضرت بهم أو الجحوح الى تقليد مذهب اجتهادي آخر في تلك الاحكام
فقط وقد كان أكثر علماء وفقهاء المسلم من الى القرن الثامن بل التاسع يختارون
الشق الثاني فيقلدون في هذه الحالة المذاهب الأخرى ولكن بعد النظر والتدقيق
في الأدلة كما كان شأنهم في نفس مذاهبهم الاسمية مثلاً يكونوا مقلدين تقليداً أعمى
لا يجوز له الدين أساساً الا لجاهل بالكلية .

وهذه الطريقة هي الطريقة المتبعة الى اليوم في بلاد فارس والعمارة المتصدرون
لذلك هم أفراد من نوابغ العلماء المتضامين في علوم ما أخذ الدين وأكثرهم ولا سيما
اليرانيين منهم متفهمون ومخرجون من مذهب الامام جعفر الصادق (رضي الله
عنه) المدون عندهم ويطلق اهل فارس على هؤلاء العلماء اسم (مجتهدين) تجوز أو أرباباً
لمادة الاعاجم في التعمالي في التبجيل ونوع الاحترام ومن ذلك يعلم ان ما يظنه فيهم
اخوانهم المسلمون البعيدون عنهم غير الواقفين على احوالهم الامن تفوهات السياسيين
غير صحيح فما هم كما يقولون عنهم مجتهدون في أصول الدين مجوزون الرأي في
الإجتماعيات يخرجون إذ حكمهم أخذاً من الدلائل الطيبة ولو لم يقل بها احد من
علماء الصحابة والتابعين واعظم أئمة الهداية الأولين ما احرى مجتهدي فارس بأن
يلقبوا بمرجحين أو مخرجين أو فقهاء مدققين

ثم ان بعض الناس دعوا المقلداً أحد المذاهب اذا اخذ في بعض الاحكام بمذهب آخر
ملفناً وسموا اخذه تافيقاً واستعملوا لفظة تليفيق في مقام التلاعب في الدين او التوقيع
القيح والخال ان ماسمونه بالتليفيق ليس الا عين التقليد من كل الوجوه ولا بد لسلك من
اجاز التقليد ان يميزه لانه اذا تأمل في القضية بحمد القياس هكذا يجب على كل مسلم
عاجز عن الاستدعاء في مسألة دينية بنفسه ان يسأل عنها من اهل الذكراي يقلد فيها
مجتهداً وكل مقلد عاجز طبعاً عن الترجيح بين مراتب المجتهدين فبئس عليه يجوز له ان



تقاليد في كل مسألة دمه بمجهداً .

وما المتنازع على منه الاعتقاد بانسليم التقليد ان يتعمم كل مسألة من الطهارة والغسل والوضوء والصلاة من جهداً أو تقليداً تابع لمجهداً فاذا اغتسل بماء دون قلتيين لحقته قطرة خروا واعتبره طاهراً كما علمه عالم مالكي غسلًا بدون ذلك كما علمه عالم حنفي وبعد حدث موجب توضع ومسح شعرات من الرأس كما علمه عالم شافعي وصلى بعد خروج دم قليل منه كما علمه عالم حنبلي صلاة الصبح بعد طلوع الشمس كما علمه عالم زيدي ووسائل الغرض بصلاة أخرى بدون خروج من الأولى كما علمه عالم جعفري أفلا يكون هكذا التقليد صلى صلاة تجزئه عند الله ؟ بل بل تجزئه بالضرورة حتى لا يقوم دليل على ان ذلك تنافي الأولى كما يقال في حق الخروج من الاستلافات لانه لا يعقل أن يكلف هذا التقليد بأخذ دينه منه من عالم واحد لان الصحابة رضي الله عنهم مع اجتهادهم وتخالفهم في الاحكام كان يصلي بعضهم خلف بعض مع حكم التوهم منهم على حسب اجتهادهم بينهم صحة صلاة امامه واشتراطه صحة صلاة المؤمن بصحة صلاة الامم . وهل يتوهم مسلم ان ابا حنيفة كان يمنع أن يأثم بمسك أو يابن أن يأكل ذبيحته جعفر كلال كانوا اجل قدراً من ان يحظر لهم هذا التعصب على بال وما كان مخالفة لهم الا من احتياط كل منهم لنفسه

ووجود في كل مذهب من المذاهب جماعة من تلاميذ الامام او الفقهاء المعروفين بالرّجحين كل منهم كان مجتهداً لم يتقيد بمذهب امامه تماماً وخالفه في كثير او قليل من الاحكام مخالفة اجتهاد بسبب اطلاع على ادلة مجتهد آخر او الفتح عليه بما لم يفتح به على امامه ولان الذين يلزم المسلم بان يتبع في كل مسألة منه الشارح لا الامام وان يميل في مواقع الاجتهاد باجتهاده لا باجتهاد غيره وان كان افضل منه .

وهذا ابو حنيفة وامثاله رحمهم الله تعالى كانوا افضل من ان يمتقدوا في انفسهم الأفضلية على ابي بكر وعمر رضي الله عنهما ومع ذلك خالفوها في كثير من الأحكام الاجتهادية وفقهاء كل مذهب من المذاهب لم يزلوا الى الآن يجوزون الاخذ بآراء بقول الامام وتارة يقول احد اصحابه مع ان ذلك هو عين التلقيق فلماذا لا يجوز الحنفية مثلا التلقيق بان اقوال ابي حنيفة والشافعي او غيره وليس فيهم من يقول ان اصحاب امامهم افضل من الشافعي ومالك وابن عباس فما هذا الاتفریق بلا فارق وحكم يمسك الدليل .

وقد نتج من التفريق بين المسامحين والتشديد عليهم في دينهم وصلاحهم بدون موجب غير التعصب المخالفة لأمره تعالى (أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه). «مرحياً» ثم ختم (المجاهد التبريزي) مقاله بقوله: «وليس مقامنا الآن مقام استيفاء لهذا البحث وإنما أوردت هذا المقدار منه بقصد بيان جواز التلفيق إذا كان عن غرض صحيح كما جوزه كثير من فقهاء كل المذاهب». ولا شك أن ضرورة التلفيق أهم من الضرورة التي لأجلها يجوز الفقهاء الحيل الشرعية مع أنها وصمة عار على الشرع حيث لا يمكن أن يقال مثلاً إن الشفعة مشروعة دفعاً للضرر عن الشريك أو الجار ولكن يجوز هذا الإضرار للمحتال. أو أن الربا حرام ولكن إذا أضيف للقرض ثمن مبيع خسيس بنفسه جاز استباحة مقصد الربا. أو أن إيتاء الزكاة فرض ولكن إذا أخرج رب المال ماله قبل الحول ثم استماده سقطت عنه — إلى غير ذلك من إبطال الشرع وجعل التكليف تخييراً والتقييد إطلاقاً. ولا حجة لهم في هذا غير ما رخص الله به لايوب عليه السلام من التوصل للبر باليمين في قوله تعالى (وخذ بيدك ضغثاً فاضرب به ولا تحنث) وما أبد القياس بين الحنث وبين إبطال الشرع. ولا شك أن المسلمين بذلك صاروا كأنهم لا شرع لهم وقد غضب الله على اليهود لتجيلهم على صيد السبت فقط ونحن نجوز ألف حيلة منها بضرورة وبلا ضرورة.

بناءً عليه من الحكمة أن نلتزم للضرورات أحكاماً جهادية فيأمر بها الإمام إن وجد والا فالسلطان ليرفع الخلاف فعمل بها الأمة مادام المقتضي باقياً فإذا ألجأ الزمان إلى تبديلها بقول جهادي آخر فكذلك يأمر به الإمام أو السلطان وفقاً للخلاف. ويمثل هذا التدبير الذي لا يباه شرعاً ولا تنافية الحكمة بتبديل بتلك الحيل المعطلة للشرع المسلمة لترقيعات كل فقيه ومتفقه أحكاماً شرعية إيجابية لا يرفع فيها ونحو ذلك يسلم شرعاً من التلاعب والتضارب ويخلص القضاء والإفتاء من التوفيق على الأهواء. وحينئذ يتحقق أن الخلاف في الفروع رحمة. والحاصل أنه يقتضي على علماء الهداية أن يقاوموا فكر التعصب لمذهب دون آخر فيكون سهمهم هذا منتجاً للتأليف وجمع الكلمة في الأمة.

قال (الاستاذ الرئيس) أنا نشكر أخانا المجاهد التبريزي على بيانه لنا حالة اخواننا أهل فارس وعلى غيرته للدين وقصده التأليف بين المسلمين أما تقريره بخصوص أن حكم الإمام أن وجد والا فالسلطان يرفع الخلاف وبمخصوص أن التلفيق هو عين

التقليد فتقرير يحتاج الى نظر وتدقيق وستقوم بمثل هذه التديقات في المسائل الدينية التي بحث فيها الاخوان الكرام الجمعية الدائمة التي ستشكل ان شاء الله . واليوم قد قرب وقت الظهر وان اوان الانصراف

باب الاغيار والاراء

(رمضان -- المنكرات فيه) هم شهر الصيام ، والتلاوة والقيام ، والاقبال على الله ، والاعراض بقدر الامكان عن سواه ، وان تأثيره يظهر في جميع بلاد المسلمين بتلك المعاهد انه والكوف في المساجد وتغيير امادات الا ان هذا التأثير في هذه المدينة (القاهرة) اضعف منه في سائر بلاد الاسلام فيما أعلم الخن لا ما تنشر به من كثرة المرتان لقرآن في البيوت ترى اكابر العلماء في غير القطار المصري قد اتدبوا فيه اقراءة الدروس الدينية واللقاء الم اعظ المؤثرة منتشرين في المساجد وترى مساجد القاهرة التي عدد عاماتها يزيد على عدد العلماء في كل مدينة . واما خلة اسم الاقبال كالمسجد الحسيني والمسجد الزبني . واكثر من يتصدى لوظائف الجاهلون الذين يفرون الاس بالاماني ويقصون عليهم النقص الخرافية والاساطير الوهمية . وفي كل سنة نذكر الشيخ عابا البيلاوي شيخ المسجد الحسيني بوجوب منع هؤلاء القدامين منه وامله يفعل في هذا العام يفعل شيخ الأزهر في المسجد الزبني لا يادن لأحد بالوعظ فيه الا اذا وثق بملمه اذا كانت معاهد العلم والإرشاد ليست عامرة في القاهرة فلا تنجب اذا عمرت معاهد اللهو والفسق حتى في رمضان فقد اطلنا منذ أيام على (إعلان) ياتر في الطرق والشوارع فاذا فيه أن زعمنا من زعماء الملاحية قد استحضروا غيبة شهر تورا ففة أربعة الاجن اجراء التي ربه ان الشريف . ان اولو امي عد هؤلاء الذين الجفرايين الذين يجربون بيوسهم بأيديهم ايمروا بيوت اعدائهم بنية من تيرة الملية والشهامه الاسلامية لكافوا هذا المستهين بهم والمستهزي بديهم بالاعراض على قيته ورائسته وان لم يتوبوا عن الفسق توبة نصوحا

الجرائد ورمضان - أو - المنار والمنارات

سمعنا من بعض أصحاب الجرائد المنتشرة الشكوى من بخل رمضان عليهم وهو أبط الشهر في الإنفاق بدا ، واكثرهم في التوسع مددا ، ولكن هذا البسط هو السبب في ذلك القبيض أعني قبض الأيدي عن دفع اشتراك الجرائد لأن الناس يحبون الانفاق في رمضان على المآدب لاعلى الآداب وفي القران الدينية ، لاني

انكربات السياسية ، ولهذا لم يكن المنار من الشاكرين ، وإنما هو من الشاكرين .
 لأن حفظه في رمضان كحفظ أخواته منارات المساجد كما أن وظيفته كوظيفتهن . كل منهما
 وضع لدعوة المسامنين الى الصلاة والصيام ، وكل منهما يزيد مدده في هذه الأيام ؛
 أما المنارة فمددها الزيت والقناديل ، وأما المنار فمدده الدراهم والدنانير ، وحق المنار
 أكد وأثبت من حق المنارة لأن دعوتها عامة تشمل العقائد والأخلاق ، ودعوتها
 خاصة بالصلاة والصوم ، ودعوتها يسميها الألواف ، ودعوتها يسميها تفر قليل ، ودعوتها
 مؤيدة بالبرهان ، ودعوتها تذكير مجرد لأهل الإذعان ، ودعوتها متوقفة على مدد القراء ،
 ودعوتها لا تتوقف على الزيت ولا الكهرباء ، ولهذا كان إمدادها هذا متقدماً عند
 المتورعين ، وترك إمداده متقدماً عند المتدينين ، وقد سبق الى العمل بهذا الحكم
 أهل المنصورة والسنبلاوين ، وستتلوهم اليوم وشيخنا ، اللهم آمين

(بدعة جديدة في مسجد جديد) جدد ديوان الأوقاف مسجداً من المساجد المدعومة
 في النورم وقد احتفلوا بافتتاحه في يوم الجمعة الماضية بالصلاة فيه وكان الاحتفال بعد الصلاة
 وسماع خطبة الخطيب الخرافية التي مدح واضمها فيها المسجد مدحاً استبطنه من
 خروفه . وبالله كيف يرضى المسلمون بأن يقول خطبائهم مثل هذا الكلام اللغو
 الذي أمر الله تعالى بالأعراض عنه كما أمر بالاسماع للخطبة حتى ان حاضر مثل هذه
 الخطبة لا يدري أهو مطالب بأن يكون ممن قال الله تعالى فيهم « والذين هم عن اللغو
 معرضون » وقال فيهم « وإذا سمعوا اللغو أعرضوا عنه » أم هو مطالب باهتقال قوله
 عز وجل « وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وانصتوا » على قول المفسرين انها نزلت
 في الخطبة ؟ إذ أما كون ذلك من اللغو فيعرفه العامي إذا لاحظ ان كل حرف يكون مبدأ
 كلمات تدل على معاني شريفة وكلمات تدل على معاني خسيه فالدال اول حرف من
 كلمة الدين والدعاء والدراية وكذلك هو أول حرف من كلمة الدنس والدناءة والدعارة
 ثم قام خطيب الاحتفال بعد الصلاة وقال « أفتتح المسجد باسم الحديو » الخ ثم مضى
 في كلامه والناس تصفق له لاسيما عند ذكر الامير حتى كأنهم انقلبوا عن الاسلام الى
 عبادة الجاهلية التي نزل فيها قوله تعالى « وما كان صلاحهم عند البيت الامكاه وتصديفة
 فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون » والتصديفة هي التصفيق . فليعلم الناقلون ان
 بيوت الله تفتتح باسم الله والخشوع له وتجنب فيها عبادات الجاهلية ، وبدع المدنية ،
 فمن كان مخلصا لسلطانه واهيره فليدع الله تعالى فيها بان يصالح شؤونها ويوفقهما لما فيه
 خير الملة والامة وايلم أنها بيوت يستوي فيها المأمور والامير . في الخشوع لله العلي الكبير

(استشارة في أمر ذي بال) - رأى القراء فيما قرأوه من مباحث جمعية أم القرى في الاجتماعات الستة أن كل ما ذكره أعضاءؤها من أسباب فتور المسلمين وضعفهم يرجع إلى الدين والشؤون الاجتماعية والسياسة العامة . وفي الاجتماع السابع الآتي تفصيل أسباب الفتور في سياسة الدولة العالية العثمانية وإثارتها وهي عشر ون سبباً . وقد كنا ذكرنا عند التنويه بسجل الجمعية وذكر المزم على نشره في المنار أن ما فيه من القول بسينات الدولة العلية يؤلم أكثر القارئ وأنا نختار حذفه عند الوصول إليه . ولكننا رأينا كثيراً من الناس يفتند هذا الرأي ويقول إن قراء المنار كلهم أو جلهم من خواص الناس وأهل النضل الذين يزيدهم العلم بميؤوب دولتهم حرصاً على بقائها وسعياً في إصلاح حالها إن استطاعوا فيجب أن لا يجرموا من الاطلاع على الآراء والمباحث التي دونت في سجل الجمعية . فلم بقمنا هذا القول تمام الإقناع وأحياناً أن نستشير قراء المنار الآخرين فمن كان يرى نشر السجل برمته وذكر كل ما فيه عن الدولة والترك فسبه سكوته دليلاً على رأيه . ومن كان يرى وجوب حذف ما ينقد على الدولة فدأيه أن يذكر لنا رأيه قولاً أو كتابةً . وأنا نترجح هذا الرأي إذا كان عليه عشر المشتركين ولا يصح لمن يسكت قبل النشر أن يلوم بعده .

(أشهر مشاهير الإسلام) صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب في سيرة سيدنا عمر بن الخطاب (رضي الله تعالى عنه) وفيه أبواب من العبرة واسعة ، ومباحث في التاريخ والسياسة الإسلامية نافعة ، منها بحث في حكم الإسلام في المسيحيين وحكم الأوربيين في المسلمين ، ومنه يعلم أي الفريقتين أعدل . وبحث الردة وحققتها . وبحث كون دمشق كانت قاعده الفسائيين أو كون سوريا كانت وطنهم . وبحث شجاعة المسلمات ومساعدتهن لرجالهن في الفروع . وبحث الحكم الديني والشورى في الإسلام . وبحث الاستعمار . وبحث تدوين الدواوين وترتيب العمال وضرب النقود ووضع البريد والحكومة العسكرية والحكومة القانونية وبيت المال وغير ذلك مما يؤخذ من سياسة سيدنا عمر وسيرة العادلة التي تضرب الأمم بها الامثال ناهيك بذكر الوقائع والفروع والقضاء . وأنا نشكوهن كثرة اغلاط الطبع فيه ولكننا وافقون على سببه وهو أن معظم الكتاب طبع ومؤلفه (رفيق بك العظيم) غائب في الشام ولما علم منع إصداره حتى استخرج له جدولاً أحصى فيه الاغلاط والحقبة ولولا ذلك لصدر من بضعة أشهر . وصفحاته تزيد على ٣٠٠ وتمنه ١٠ قروش صحيفة وأجرة البريد قرشان وهو يطلب من ادارة مجلة المنار بمصر ومن الكتاب المشهورة

يؤذي الحكمة من بقاءه من يؤذي
الحكمة فقد أرق خيراً كثيراً وما
يذكر الأوزر الألباب

المعاشرة

١٣١٥

فبغير عبادي الذين يستمعون القول
فيؤمنون أحسن أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للإسلام صوى و « مناراً » كشار الطريق)

(مصر الثلاثاء في ١٦ رمضان سنة ١٣٢٠ - ١٦ ديسمبر (٣ كانون اول) سنة ١٩٠٢)

سيرة الأرقام . ومصير الإسلام

كتب الباحثون من أهل أوربا مقالات كثيرة في مستقبل الإسلام في القرون العشرين نفاضوا فيه من الجهة الدينية والجهة الاجتماعية والجهة السياسية حتى ضربوا في كل فج ، وهاموا في كل واد ، فمن زاعم ان المساعين سائرون الى المدمم والانقراض لأنهم اعداء المدينة الحديثة القائم بناؤها على سنن الكون ونواميسه التي لا تتبدل ولا تتحول فهم بذلك أعداء الوجود ومن عادي الوجود فالعدم أولى به . ومن قائل ان هذه الأمة الكبيرة لا تنقرض كما انقرض هنود امريكا لأنهم أرق منهم بما سبق لهم من المدينة ولكن يزول سلطانهم فلا تبقى لهم حكومة فتخطفهم الأمم القوية ويميشون أدلاء مستضعفين ، اني أبدأ الآبدن ، ومن ذاهب الى أنهم سينهضون ، ومن يمد ظلمهم سيفلبون ، وأختلف هذا الفريق في

هذه النهضة كيف تكون وأين توجد . فظن بعضهم أن ستكون بالأخذ
بمدنية أوروبا وتنشأ في الهند ، فارس والاسمانه ومصر ورجح بعض أنها
تكون بالعصية الدينية والقوة الحربية وقتشاً في إفريقيا او الصين . وعقل
كل من المختلفين عن منبتين آخزين لمجد الإسلام المستقبل وهما أوروبا
وأمریکا إذا أسرع بهما العلم ونظام الاجتماع الى الأبتلام ، الذي لا بد
أن تنتهي تلك الأمم اليه في يوم من الايام ، أو جزيرة العرب اذا أبطأ
بهما سير العرفان ، وسنن العمران ، فظلت أوروبا تطارد المسلمين وتضطهدهم
حتى يارز الإسلام برجالاته المحنكين الى جزيرة العرب كما تارز الحية الى
جحرها ومن ثم ينفثون سموم التعصب في الشرق كله فما ينظر الأوربيون
فيه إلا صيحة واحدة فاذا هم خامدون

أراني عجبت برأي قبل التمهيد له وذكرت نتيجة لمقدمات مطوية
ودلائل خفية ، فلا غرو أن ينكرها علي المسلمون ، قبل أن يعرفها
الأوربيون ، الا من بعد نظره ، وغاص في أعماق المسألة ففكره ، فلترك
المنكر في انكاره ، واتسائر التفكير في أفكاره ، باحثين معه في مسير الأنام ،
ومستقبل الإسلام ،

أين تذهب الأمم المتقدمة دائماً الى الأمام ، والى اي غاية ينتهي
سير هؤلاء الاقوام ، وهل تزداد الشعوب المتقدمة تقدماً ، وتزداد الشعوب
المتخلفة تخلفاً ، وتزداد الأمم الحية حياة والماتة موتاً ، حتى تكون الثانية غذاء
للأولى كما قال اللورد سالسبوري سياسي انكترا الكبير ؟

هل تبقى هذه المدنية الاوربية مادية حيوانية تبيح الفحشاء والمنكره ،
وهل يحرف سبلها ما في بلاد الإسلام من بقايا الفقه والصيانة والتراحم

والثواب هل حتى لا يبقى للمسلمين -- وقد أخلقت فيهم أخلاق العمران --

من الصفات ما يستحقون به رحمة الله تعالى فيكونوا من المهالكين؟

هل تظل أوروبا تواب الدين كلما قلت حاجة السياسة إليه ، وعذبت
المعوم النكرونية عليه ، وهل يكون حظ الإسلام عند المتعلمين الآتين ،
كحظ النصرانية عند المتعلمين الحاضرين والقابرين ، يتساون منه لو اذا ،

ويعرفوني منه زرافات وافذاذا ؟

هل تثبت المدينة المصرية في ارض الإسلام كما تثبت في المغرب
وتنمو كما نمت وتثمر كما اثمرت سواء بسواء فيرجع المسلم القهقري الى القرن
السادس عشر الميلادي فيبتدئ منه ؟ أم يكون اول سيره من نهاية
القرن التاسع عشر فتكون مدينته اسرع واعجل ، ومعارفه أتم واكمل ؟

إذا اراد الناظر ان يستنبط الجواب من سيرة المسلمين الذين ولوا
وجوههم شطر المدينة ، ولتوا هذا اللماج من المعوم الاوربية ، لا يسهه
الا ان يقول : ان حال هذه المدينة ستكون (او هي كائنة منذ اليوم)
دون حال الاوربيين وانهم سينبذون الإسلام باسرع مما نبذ اولئك
النصرانية لان رؤساء الدين في النصرانية دولة لها في كل فرقة رئيس عام ،
وموظفون يسرون بقانون ونظام ، وهم مستقلون في ذلك عن الحكام ،
ولذلك تيسر لهم محاربة العلم زماناً طويلاً ولما دالت للعالم الدولة وفاز بالنصر
سالموه واستعانوا به على حفظ الدين حتى ان أزمة المدارس اصبحت في
أيديهم فلم يتركوا مدرسة بدون كنيسة ، ومن عجزوا عن إقناعه بقضايا الدين
والزامه بالعمل به والدعوة اليه لا يعجزون عن إقناعه باحترامه والدفاع
عنه باعتبار أنه رابطة للجنسية ولا يزال لهم من السلطان في الامم المسيحية

حتى اكفرها بالدين كفرنا ما يخيف الحكام منهم فيضطهدونهم . وليس للمسلمين مثل هذه الرياسة المنتظمة في فرقة من الفرق ولا في قطر من الأقطار وما عند الشيعة من المجتهدين ليس لهم من النظام والثروة ما للأكليروس عند النصارى ولا يرجى منهم مثلاً كان من أولئك

ترجمي رئيس علماء الدين في مصر — وان لقبوه بشيخ الإسلام — لا يرجع إليه شيء من أمور المساميين ولا يستشار في كيفية تباينهم وتربيتهم وليس له سلطان ما على أوقافهم الخيرية ، ولا إشراف على أعمالهم الاجتماعية ، وكذلك شيخ الإسلام الرسمي في دار السلطنة العثمانية لا وظيفة له إلا تعيين القضاة والفتين وعزلهم فهو موظف تحكم عليه السياسة ويعزله السلطان متى شاء وليس له من الاستقلال في عمله مثلاً لرؤساء الديانة النصرانية على أن عمله للحكومة لا للامة . واكبر من هذا كله ان رجال الدين الاسلامي لا يعهد اليهم بشيء يستقلون به دون الحكومة ولا خدمة المساجد فالحاكم السياسي هو الذي يجعل امام الصلاة اماماً وخطيب الجمعة أو الحج خطيباً فهو عند المساميين رئيس ديني مستقل وان شرع لحكومته غير ما شرع الله ، وصار يحكم بين المسلمين باسمه دون اسم الله : !!

يقول الناظر : اذا كان حال الحكام المسلمين ما نرى من البعد عن الدين وصاروا كما قال الله تعالى « أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله » . واذا كان المسلمون على هذا راضين عنهم وخاضعين لهم مع علمهم بأنهم إمام خاضعين الأجانب إما ظاهراً وباطناً وإما باطنياً فقط . واذا كان علماء الدين لا يرجع اليهم شيء من سير الامة الاجتماعي والاعبدي ولا هم يتدبرون لذلك من أنفسهم ويجعلون الامة مضطربة الى الرجوع اليهم

والاعتماد في تربيتها عليهم . واذا كان المتعلمون على الطريقة الاوربية من المصريين والأتراك كثيراً ما يندبون الدين ظريفاً ، ومحسبونه شيئاً فريفاً ، ويستحلون الخمر ، ويستمرعون مرعى الفجور ، ويفضلون الظلمة على النور ، واذا كان هؤلاء المتعلمون هم الذين يتولون الاحكام ، ويأخذون من الامة بكل زمام ، واذا كان الناس على دين ملوكهم . والرعايا تبعاً لحكامهم . وناموس الاجتماع قاض بتقليد الناس لامراتهم وكبرائهم . أفلا يحق لنا ان نحكم بأن المسلمين سيكونون أسرع في ترك دينهم ممن سبقهم . فان كان الجهاد بين العلم والدين في اوربامدة خمسة قرون قد أنجم ببقاء الدين في نمو ، وسلطانه في نفوذ وعار ، فلا يمضي على المسلمين قرن أو قرنان ، الا وهو في خبر كان ، واذا لاحظنا انه ليس للمسلمين جنسية «ولا وطنية تقوم مقام الرابطة الدينية . وأن الذين أحبوا الامتياز فيهم والانتفاع منهم بدعوتهم الى « الوطنية » لم ينجحوا لان تأثير الدين لم يجعل لهم تأثيراً بل عدّهم الذين يفهمون حكم الاسلام وأسراره أعداءاً للاسلام وان كانت اسماؤهم اسماء المسلمين - فلنا ان نحكم بأن المسلمين سيفقدون بانحلال الرابطة الدينية كل استقلال ، ويكون مصيرهم الى الزوال ، فلا تفيدهم سعة البلاد ، ولا كثرة التعداد ، إذ لا كثرة مع فقد الرابط العام ، كما لا يكون المقعد بغير نظام .

هذا ما يقول الناظر بإحدى عينيه ، الى ما بين يديه ، واعني بإحدى العينين العين التي تنظر الى السوءى دون الحسنى والى منافذ الخوف دون ابواب الرجاء . واعني بما بين اليدين الظاهر الشائع من حال الامم دون الخفي الذي لا يرى الا بالتحديق ، وبنفوذ اشعة البصر من الحجاب الصفيق ،

ذاك ان كل انسان يدرك مما يشاهده ويمر به ما هو مستعد لا يدركه
وينبو طرفه عما سواه ون كان وانحاً جلياً . فابالك اذا كانت مايلو
استعداد الناظر الخبير خفياً سره ، مجهولاً عند امره ،

ان سير الامم يشبه سير الظل لانه لا يتداه الخدوات ، وانتقالها يحاكي
انتقال النجوم السيارة لا يتدركه لا وتدفقت ، والوايد يهذر اذا انكر سير
الظل وجزم بأنه واقف لأنه لا يرى حركته . والجاهل يعلم الثالث يهذر اذا
انكر بديتان السيارات تدوير من الثرب الى الشرق لأنه يراها تهب في
جانب الثرب فهو يرى أثر حركة الأرض لأنه قريب يكور كل يوم ولا
يلاحظ سبب تأخر . له علم ان كل الله انضالاً عن غير من السيارات .
كذلك يهذر الماجن اذا جاء يدرس صانف فيها على الخنات والواخيبي اذا
قال ان غاية مدينة أوروبا انما هي التوسل والهجور ولا غاية وراها . ويهذر
كليل النظر اذا جاء مصير ربح في ظل شيء . دن ما كان يسمع اذا حكم
على مستقبلها بقصد ما كان يتكلم به . وهو يهذر عنها ويتأس من مستقبل
الاسلام بالنسبة اليها

يهذر باليأس اذا دخل الازهر فراه كالم الخيال لا أثر لحال الناس
في علمه ولا أثر لعلمه فيما عليه الناس في سيرهم ورأى أن الآثار القامية
التي تصدر عن مصر ليست منه في شيء ولا هي مرضية في الغالب
عند اهله وانما جل علمهم مناقشة في أساليب المؤلفين وتدقيق في تحليل
عبارات كتب مخصوصة اختاروا تدريسها . ثم رأى أن أهله غير محترمين
عند طبقة من طبقات الأمة حتى ان الحوزي (سائق المركبة) ليسخر
من المجاور في الازهر ومن العالم أيضاً إلا بعض الوجهاء الذين يحترمون

لمناصبهم التي بقيت لهم او اثروتهم وقليل ما هم
ويعذر به إذا غادر الازهر الى المدارس فرأى فيها العناية باللغة
الانكليزية، أضعاف العناية باللغة العربية، ورأى التلامذة يتقنون تاريخ
الدين، عن المدرسين الاوربيين، ورأى علم الدين كالرسم الدارس، لا
يحفل به المدرس ولا الدارس، ووطن لذلك أن الانكليزية سوف تستبدل بالعربية
ويعذر به إذا شاهد الجريدة الهزلية البدئية تطبع منها الوف من النسخ
فتباع بالتقدم يدأ بيد ويتهافت عليها القارئون وانذارات من جميع الطبقات،
يلغون بها مقهقهين ولا مشار للمقهقه والكركرة، ولا للإهلاس والمهرنفة، ثم
يرى قراء المجالات العلمية والتهذيبية على قلوبهم يارون ويظلون ولا يخرج منهم
حقها الا نكده. ويعذر به إذا لاحظ حال تلامذة المدارس وبلا أخبارهم،
واكتشف ضمائرهم وأسرارهم، فرأى أكثرهم مشغولين بالسفاسف فاسدي
التريية قصيري الآمال لا هم لأخدم إلا أن يكون موظفا في الحكومة لا
يرفع شأن أمته ولا يخدم مصلحة بلاده ولكن ليكون رزقه مضمونا فلا
يشكف عناء الاعمال، وان كان وراءها نعيم الاستقلال، - ويعذر به إذا
رأى الاغنياء والوجهاء لاهم لهم الا التمتع بالذات تنبسط أيديهم في
الايسراف والمخيلة، وتنقبض عن الاعمال الجليلة

ويكون أعذر باليأس والقنوط إذا رفع بصره الى الحكم والامراء
ورآهم الهوبة في أيدي الاجانب. وقد أخذتهم القن من كل جانب
هذا ما يراد العارف القصير، والبصر الحسير، ويبنى عليه حكمه الجائر
واكن الاسلام يسير من وراء مدى طرفه سيرا طبيعياً، ويتقدم تقدما
تدرجياً، يسير باعته وعلومه سير الظل الوارف وينتقل انتقال الكواكب

من الغرب الى الشرق في الباطن ومن الشرق الى الغرب في الظاهر بل كل واحد من الخلفين يسير نحو الآخر كلما خطا المسلم الى المدينة الاوربية المسرفة خطوة خطا مثلها الاوربي الى الاسلام أو أبعد منها أو أقرب ولا ندري وهما في مبدأ السير أيهما يكون الاسبق الى تحكيم الاسلام في هذه المدينة المسرفة المائلة ليرجمها الى الاعتدال الذي هو غاية الكمال الممكن ولكننا نعلم أن التلاقي هو نتيجة هذا التقرب المستمر وإن ذلك لواقع ماله من دافع .

*
* *

ندع الكلام الان في الحركة الاسلامية العامة الى التقدم في كل قطر من الاقطار وتقرب الشعوب المسلمة بعضها الى بعض ونداء الشيعي والسني السنهي والمتنزه الى الاصلاح وفي امتداد هذا النداء وتأثيره . وفي الجمعيات الاسلامية وفي ترقى لغة الدين (العربية) وتقدمها السريع من غير نصير من الحكومات الاسلامية أو الجمعيات العلمية -- ندع هذا فرصة أخرى ونقول كلمة وجيزة في تقرب أوربا الى الاسلام بطبيعة العلم والميران فيها الان هذا أعرب عند أكثر القارئین من الاول .

كانت أوربا في القرون الماضية تنفد أن الاسلام دين وتي نشأ بالسلب والنهب والاعتداء وإباحة الفواحش والمنكرات وأن أهله قوم متوحشون يتقربون الى أصنامهم وأوثانهم بسفك الدماء وكانوا يذنون على هذا الاعتقاد أنه يجب على أوربا السعي باستعبادهم أو محوهم من بلادهم ليسلم سائر الناس من شرورهم . والشواهد على هذا كثيرة في كتبهم فعندهم كتب كثيرة مؤلفة في سوء حال الاسلام والمسلمين ألفها القسيسون والسياسيون لتنفير الشعوب الأوربية من العالم الاسلامي حتى أنهم ترجوا

القرآن الحكيم ترجمة مبدلة محرفة بل انفوا كتباً وضعية منها ترجمة للقرآن لو قرأ المسلم منها ما سموه سورة الفاتحة (وهي التي لا يجملها مسلم) ولم يذكر له ان هذا ترجمة القرآن لما خطر في باله القرآن عند قراءتها مطلقاً لانه ليس فيها معنى جملة واحدة من جمل الفاتحة الشريفة . ولو شئت أن أسرد الشواهد من كلام الأوربيين في ذم الإسلام ، ونبيه عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام ، لأحتجت الى تأليف مستقل . وأهون وصف وصفه به الفيلسوف رنان الفرنسي ^(١) في كتابه (ابن رشد) قوله فيه « دين الخنازير أو القوم المنهكين في الشهوات » ومن التحريض عليه تلك الكلمة الخبيثة التي جاءت في مقال له ، وسيو هانوتو وهي الاقتراح على فرنسا بان تهدم الكعبة المشرفة وتنقل قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى قصر اللوفر في باريس . ومن أراد الزيادة على ذلك فليقرأ كتاب (الإسلام) للكونت هنري دي كاستري الذي عربه احمد فتحي بك زغلول وطبع بمصر سنة ١٣١٥

هذه إشارة الى اعتقاد أوربا في الإسلام وقولها فيه وأما العمل فإزال الأوربيون يسومون المسلمين الخسف في كل بلاد لهم استولت عليها دول أوربا حتى خافت انكثرا ثم روسيا وطأتهما عنهم من عهد قريب فاذا نت روسيا لهم بطبع المصاحف وكتب الدين وأعطتهم شيئاً من الحرية يتمتعون به الآن وكان ممن سعى بذلك لدى القيصر السيد جمال الدين الافغاني (رحمه الله تعالى) . وهذه انكثرا التي كانت ولا تزال أبعد أمم أوربا

(١) هذا هو رنان وهذا كتابه الذي اعتمدت عليه مجلة الجامعة في ترجمة ابن رشد فيلسوف الإسلام العظيم . فهل يوثق بقول متعصب على الإسلام هذا التعصب المشوه في أمر ما يتماق بالإسلام او تاريخ رجاله العظام ؟

وحكوماتها عن التعصب وأقربهن إلى التسامح كانت قاعدة الوظائف عندها في الهند أن تكون للإنكليزي فالأوروبي فالوطني فالمسلم فما كان يوظف مسلم إلا إذا لم يقبل الوظيفة التي يتولاها أحد من هؤلاء

انقلبت الحال بعد هذا في الاعتقاد وفي القول والعمل وفي السياسة فقد أقبل المدد الكثير من الأوربيين على دراسة لغة القرآن وعلوم الإسلام فظهر لهم فضل هذا الدين في الجملة وأنفوا كتباً كثيرة في فضله وصار أكثر الباحثين فيه يمتقدون بأن نبيّه كان يدعو إلى هذا الدين معتقداً بأنه ملهم من الله وهو يؤيد من لدنه سبحانه وتعالى وأن ما جاء به إصلاح عظيم للبشر عقائده نافعة وأخلاقه محمودة وشريعته عادلة . ثم إن منهم من اجتهد في كشف الشبهات التي يوردها علماءهم على الإسلام وهي منه حقيقة كإباحة تعدد الزوجات بشرطها والرخصة في الطلاق والجهاد . وإن لبعضهم من الأجوبة عن هذه الأمور المتقدمة في نظر قوتهم أشد الانتقاد مالا تجد مثله لعالم من علماء المسلمين . وقد قام بعض القسيسين منهم بمحاول الجمع بين الديانتين كاسحق طيلر الذي نشرنا بعض خطبه ومقالاته من قبل

لم يقف التحول عند حد اعتقاد بعض الباحثين وأقوال بعض المؤلفين بل قضت طيبة الاجتماع بالعمل ببعض ذلك ومخالفة دينهم إليه لأنه ظهر لهم أنه ضرورة لا بد منها وذلك كالطلاق الذي صار مشروعاً عندهم وشائعاً فيهم . وكذلك ظهرت فيهم بوادر الحاجة إلى تعدد الزوجات حتى قام من الكتابات من يدعو إليه في الجرائد (راجع مقالة « الرجال والنساء » ص ٤٨١ م ٤) وكأنك بهم وقد عادوا إلى ذلك بعد حين وسيجدون في الإسلام الطريقة المثلى لحل المشكلة الاجتماعية الكبرى التي من آثارها التوضوية

والاشتراكية وتعصب المال الذي تفاقم خطبه في هذه الأيام
ان ما كشفه العلم في الخلق والتكوين يوافق ما ينطق به القرآن. ان
الآيات الكونية التي يفصلها القرآن في اثبات الالهية هي أقرب الى العلم
الحاضر والفلسفة الحاضرة منها الى فلسفة اليونان. ان الوحي الذي يطالب
القرآن بالايان يمكن ان يقبله حتى العالم المادي من غير حاجة الى إبطال
مسئلة ثابتة من مسائل علمه أو فلسفته. ان الاخلاق التي يدعو اليها
القرآن هي أخلاق الاجتماع والعمران، والمزة والسلطان، ان أصول
الأحكام والشرائع السياسية والمدنية والقضائية والحربية في الإسلام منطبقة
على ما ثبتت فائدته للأمم الغربية وفيها لم يصلوا اليه، ولو عرفوه لمولوا عليه،
ان لكل داء من أدواء العمران وكل مرض من أمراض الاجتماع البشري
دواء شافياً في القرآن يعرف ذلك الراسخون في فقه القرآن من علماء
الاجتماع. وان من هذه الأدوية ما ينفع بدين الايمان ومنها ما لا يتم الا
به كدواء الزكاة لأدواء المسألة الاجتماعية الكبرى كما قال تعالى « ونزل من
القرآن ما هو شفاء ورحمة للؤمنين، وان المدينة الكاملة التي تسير اليها الأمم
الرافية لا تكون الا بدين يجمع هذه الاصول الإيتية التي أجهلناها الان،
وقد جاء في المنار بعض التفصيل لها وستزيدنا تفصيلاً اذا أمهنا الزمان
ان المسلمين الاولين أخذوا هذه الاصول بالايان والتسليم فأسرعت
اليهم بالسيادة والسادة ولكن لم يلبث العلم بها أن ذهب وحل محله التقليد
الأعشى فتركوا الأخذ بحكمة القرآن الى أقول مقلديهم ولا غناء فيها عن كتاب
الله تعالى فجهلوا في مجموعهم فقه هذه الاصول وزادوا عليها لا يوضحها ما
أخفاها فساروا الى الوراء، يخبطون خبط العشواء، ولما تكمل مدينتهم،

الاترى مقلديهم في العقائد كيف تركوا في العلم الإلهي طريق القرآن، الى نظريات
 انيوناني تأترا بذلك الزمان، الاترى مقلديهم في السياسة والأحكام كيف تركوا
 أصول القرآن وما يوضحها من السنة وأستبدوا بالعمل، الاترى الأئمة بين هؤلاء
 الرؤساء، من الملوك والعلماء، قد فقدت الاستقلال الاجتماعي وعومات
 معاملة السوائم من الانعام، هذا هو سبب ضياع أثر تلك الاصول في
 سبيل الوصول الى المدنية السكامة

الاوربيون يسرون الآن في الاسلام من طريقه فقد بدأوا بالبحث
 في الآفاق فعرفوا من آيات الله فيها ما لم تعرفه الامم من قبلهم وثنوا
 بالبحث في أنفسهم فاهتدوا الى كثير من سنن الله تعالى في قواها وفي
 عملها الحيوي والاجتماعي، ثم أنهم يقرنون العلم دائماً بالعلم بل لا يحل عندهم
 الا ما أيده التجربة العملية، وكل ما علموه كان مقرباً من القرآن فما علموه
 الا أن يفهموه وقد أنشأوا في هذه السنن يدرسون لغته ويدرسون ببقوة
 واجتهاد وقام فيهم من أنفسهم دعاء اليه وقد كاد يأتي فيهم تأويل قوله تعالى
 « سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق »

أما نحن المسلمين فاننا نترف بالتقليد انه الحق وانكسنا تركنا من
 عدة قرون البحث في الآفاق، في أنفسنا الذي علق عليه كتابنا تبين الحق والآن
 توجه الكثيرون منا الى علم الآفاق وعلم النفس تقليداً للذين سبقونا فاذا
 ضلنا في هذا السير الجديد فاننا نقدم من بدلتهم فنترك الدين وآدابه وليس
 عندنا شيء يقوم مقامه كما كان عندنا فنكون من المهالكين ويكونوا هم
 السابقين الى الاسلام فلا يزالون يقبلون عليه ونحن مدبرون عنه الى أن
 يصلوا بحشهم واجتهادهم الى الحق ونحن عثرة في طريقهم وعند ذلك نرجع

باب الاسر والاهواء

(تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم)

(١) معطفي أفندي رشدي المورلي بالزقازيق : ما هي الحكمة في تعدد زوجات النبي صلى الله عليه وسلم أكثر مما أباحه القرآن الشريف لاسر المؤمنين وهو التزوج بأربع فما دونها وتمين الواحدة عند خوف الخروج عن العدل ؟

(ج) إن الحكمة العامة في الزيادة على الواحدة في سن الكهولة والقيام بأعباء الرسالة والاشتغال بسياسة البشر ومدافعة المعتدين دون سن الشباب وراحة البال في السياسة الرشيدة . فاما خديجة وهي الزوج الأولى فالحكمة في اختيارها ورايتها الفطرية معروفة وليست من موضوع السؤال . وقد عقدت بعد وفاتها على سودة بنت زمرة وكان توفي زوجها بعد الرجوع من هجرة الحبشة الثانية . والحكمة في اختيارها أنها من المؤمنات المهاجرات الهاجرات لأهلين خوفاً للفتنة ولأنها قدمت إلى أهلها بعد وفاة زوجها (وكان ابن عمها) لمذبوها وقتلها فكفلها عليه الصلاة والسلام وكافأها بهذه المنة العظمى . ثم بعد شهر عقدت على عائشة بنت الصديق والحكمة في ذلك كالحكمة في التزوج بحفصة بنت عمر بعد وفاة زوجها خنيس بن حذافة بيدر وهي أكرام صاحبيه ووزيره أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) وأقرار عنهما بهذا الشرف العظيم . وأما التزوج بزینب بنت جحش فالحكمة فيه تملو كل حكمة وهي إبطال تلك البدع الجاهلية التي كانت لا حجة بيدعة النبي كتحريم التزوج بزوجة الميت بعد موته غير ذلك . وقد نشر في المجلد الثالث من المنار مقالان في هدي المسئلة أحدهما للأستاذ الامام فليراجهنما

السائل هناك . ويقرب من هذه الحكمة المحكمة في التزوج بجويرية وهي برة بنت الحارث سيد قومه بني المصطلق فقد كان المسلمون أسروا من قومها مئتي بيت بالنساء والذراري فأراد عليه الصلاة والسلام أن يعتق المسلمون هؤلاء الأسمري فتزوج بسيدتهم فقال الصحابة عليهم الراضون أجهار رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا ينبغي أسرهم واعتقوهم فأسلم بنو المصطلق لذلك أجمعون وصاروا عوناً للمسلمين بعد أن كانوا محاربين لهم وعوناً عليهم وكان لذلك أثر حسن في سائر العرب

وقبل ذلك تزوج عليه السلام بزینب بنت خزيمه بعد قتل زوجها عبدالله بن جحش بأحد وحكمته في ذلك ان هذه المرأة كانت من فضليات النساء في الجاهلية حتى كانوا يدعونها أم المساكين لبرها بهم وعنايتها بشأنهم فكافأها عليه التحية والسلام على فضاها بعد مصابها بزوجها بذلك فلم يدعها أرملة تقاسي الذل الذي كانت تحير منه الناس وقدمات في حياته . وتزوج بعدها أم سلمة (واسمها هند) وكانت هي وزوجها (عبدالله أبو سلمة بن أسد بن عمه الرسول برة بنت عبد المطلب وأخوه من الرضاعة) أول من هاجر الى الحبشة وكانت تحب زوجها وتجاهه حتى إن أبا بكر وعمر خطباها بعد وفاته فلم تقبل . ولما قال لها النبي صلى الله عليه وسلم « سبي الله ان يؤجرك في مصيبتك ومخلفك خيراً » قالت : ومن يكن خيراً من أبي سلمة : فمن هنا يعلم السائل وغيره مقدار مصاب هذه المرأة الفاضلة بزوجها وقد رأى عليه الصلاة والسلام أنه لاعزاء لها عنه الا بهن خطها فاعتذرت بأنها مُسِنَّة وام أيتام فأحسن عليه السلام الجواب — وما كان الا محسناً — وتزوج بها . وظاهر ان ذلك الزواج ليس لاجل التمتع المباح له وانما كان لفضليها الذي يعرفه التأمل بجودة رأيها يوم الحديبية وتمزيقها كما تقدم

واما زواجه بأم حبيبة رملة بنت أبي سفيان بن حرب فلعل حكمته لا تخفى على انسان عرف سيرتها الشخصية وعرف عداوة قومها في الجاهلية والإسلام لبني هاشم . ورغبة النبي صلى الله عليه وآله وسلم في تأليف قلوبهم . كانت رملة عند عيد الله بن جحش وهاجرت معه الى الحبشة الهجرة الثانية فتتصر هناك وثبتت هي على الاسلام فانظر الى اسلام امرأة يكافح أبوها بقومه النبي ويتتصر زوجها وهي معه في هجرة معروف سبها . أمن الحكمة ان تضيق هذه المؤمنة الموقفة بين فتنتين ؟ أم من الحكمة ان يكفلها من تصاح له وهو أصلح لها ؟

كذلك تظاهر الحكمة في زواج صفية بنت حنن بن أخطب سيد بني النضير وقد قتل أبوها مع بني قريظة وقتل زوجها يوم خيبر . وكان أخذها دية الكاكي من

سبي خير فقال الصحابة يا رسول الله أما سيده بني قريظة والنضير لا تصلح إلا لك فاستعصم
 رأيهم وأبي ان تذل هذه السيدة بأن تكون أسيرة عند من تراه دونها فاصطفاها
 وأعتقها وتزوج بها ووصل سببه بني إسرائيل وهو الذي كان ينزل الناس منازلهم
 وآخر أزواجه ميمونة بنت الحارث الهلالية (وكان اسمها برّة فيماها ميمونة)
 والذي زوجها منه هو عمه العباس (رضي الله عنه) وكانت جملة أمرها إليه بعد وفاة
 زوجها الثاني أبي رهم بن عبد العزى وهي خالة عبد الله بن عباس وخالد بن الوليد فلا
 أدري هل كانت الحكمة في تزوجها تشعب قرابتهافي بني هاشم وبني مخزوم أم غير ذلك
 وجهلة الحكمة في الجواب أنه صلى الله عليه وسلم راعي المصلحة في اختيار كل
 زوج من أزواجه (عليهن الرضوان) في التشريع والتأديب فحذب إليه كبار القبائل
 بمصاهرتهم وعلم أتباعه احترام النساء وأكرام كرائمهن وقرر الأحكام بذلك وترك من
 بعده تسع أمهات للمؤمنين يهلمن نساءهم من الأحكام ما يابق بهن مما ينبغي أن
 يتأمنه من النساء دون الرجال ولو ترك واحدة فقط لما كانت تعني في الأمة غناء التسع .
 ولو كان عليه السلام أراد بتعدد الزواج ما يريد الملوك والأمراء من التمتع بالحلال
 فقط لاختار حسان الأبقار على أولئك الثيبات المكتهلات كما قال لمن استشاره في الزواج
 بأرملة « هلا بكرأ تلاعها وتلاعك » هذا ماظهر لنا في حكمة التعدد وان أسرار سيرته
 صلى الله عليه وآله وسلم أعلى من تحيط بها كلها أفكار مثلنا .

﴿ ترك الملوك والأمراء فريضة الحج ﴾

(س ٢) ١ - ع بالأزم: « من المعلوم أن الحج لبيت الله الحرام فريضة عينية على
 كل مسلم استطاع إليه سبيلا وبديهي ان أمراء المسلمين وحكامهم هم أفدر على
 الاستطاعة فلم لا يحجون وهل هناك مانع شرعي أو ما يوجب سقوطه عنهم سيما وقد مضى
 نحو الثلاثة قرون ولم نسمع بملك منهم حج أو اعتمر أفيدونا الجواب واكرم الأجر والنواب
 (ج) لانعلم لاحد منهم عذراً في ترك هذا الركن الديني العظيم وقد كنا شددا
 التكير في هذه المسئلة في الصفحة ٣٨٦ من منار السنة الأولى . وانا ترى العقلاء منا
 صاروا يلهجون بهذه المسئلة ويقولون ما بال بعض ملوكنا وأمراءنا كشاه المعجم و خديو
 مصر يذهبون الى أوروبا المرة بعد المرة ولا يذهبون الى مكة المكرمة فاذا كان الساطان
 عبداً لخياف على نفسه من قومه الترك أو من الارمن (دون سواهم من رعيتة) اذا خرج
 حاجاً لأنه لا يتيسر له من الاحتياط في السفر ما يتيسر له في قصره . واذا كان

ساطان المغرب الاقصى وأمنير الانمان يخافان على بلادها من الفتن أو اقامة غيرها في مكانهما اذا خرجا من بلادها فبال غيرهم ممن لا يخشى على نفسه ولا على بلاده لا يحج . نعم ان الحج مفروض على التراخي فلا يسترض على شخص بعينه أنه لم يحج لجواز أن يكون لم يؤخر الحج الا وهو عازم عليه ولو كان يظهر من حال ملوكنا و امرائنا الحاضرين أن سيكونون كمن سبقهم من عدة قرون . ويعتقد المشتغلون بالسياسة أن السلطان عبد الحميد لا يرضيه أن يحج شاه المعجم ولا أمير مصر وأنه يمنعهما اذا ارادا ذلك ما استطاع وكذلك ساطان مراکش لانه يخاف أن يعملوا في البلاد المقدسة عملاً سياسياً كتحويل الخلافة الى أنفسهم فهذا كل ما نعلمه في اعتذار المعتذرين والله أعلم بالسرائر . أما الفوائد التي تكون من حج الامراء والسلاطين لانفسهم وللمسلمين فهي كبيرة جداً فان الاجتماع في تلك البقاع المقدسة هو خير سبيل في تعارفهم وتحالفهم على ما فيه مصلحة الملة والامة مع بقاء كل منهم في امارته او سلطنته . ونعيد ما قلناه في المنار من خمس سنين وهو انه لو كان لعواهل أوروبا وقيصرتهم وملوكهم مثل هذا المجتمع العظيم لما تركوا الاختلاف اليه

(اختلاف الشريعة باختلاف الزمان والمكان)

(س ٣) م . ر . ه . بمدرسة الحقوق بمصر : يقول ارباب الشرائع والفوائين انه يجب في تحقيق عدالتها أن تكون موافقة لاخلاق الامة وعاداتهم وطبائعهم ودرجة تربيتهم واقليمهم واحوالهم المعاشية والاقتصادية فاذا كان الامر كذلك فلم لم نشاهد سوى قانون واحد لدى الامة الاسلامية (الشريعة القراء) مع أنه يوجد اختلاف عظيم بين تلك البلاد في العادات والاخلاق والاقليم ؟

(ج) ان علماء الحقوق والقوانين الوضعية انما يضعون قوانينهم لاهل السياسة وهم انما يهتمهم من رعاياهم بحماية الاموال والامن من الخروج عليهم لاسيما اذا كانوا من غير جنسهم وما يساعد على ذلك من منع التمدي . فواضع القانون يحترم عادات كل قوم وان كانت ضارة كالسكر والزنا ويخص أحكامه بحفظ النظام فيها ومنع التمدي . واما الشريعة الالهية فاصلاح الاخلاق وانعادات فيها مقصود بذاته واساس هذه الشريعة درء الفساد وحفظ المصالح سواء كان ذلك في الافراد أو الجماعات وما بينهم من الروابط والصلات . وقد وضع الاسلام على هذا الاساس اصولاً عامة الاحكام لاختلف باختلاف الزمان والمكان كالمساواة في الحقوق وإقامة القسط . ولو على أنفسكم أو والوالدين والأقربين . . . وكون ردة الفساد مقدماً على جلب المصالح . وارتكاب أخف

الضررين، وجعل العينة على المدعي وهي كل ما يتبين به الحق، وجعل الحاكم مستقلاً مجتهداً يستنبط الأحكام مع فرض الاستشارة عليه، إلى غير ذلك من الأصول العادلة وبعد هذا كله جعلت العرف محكماً كوضع الشرع ليراعي فيها مختلف من أحوال البلاد والبلاد التي لا تخل بمقاصد الشريعة والدين في التهذيب وتقريب الشعوب بعضها من بعض لتكون الأمم كلها أمة واحدة

لهذا الذي أجهلناه لم نلزم الشريعة الإسلامية اتباعها بالزام جزئيات الأحكام التي صدرت في عهد التشريع كما هي بدون مراعاة أساس دره المفسد وحفظ المصالح وقد تقدمت الأدلة على هذا في مقالاته ومحاورات المصلح والمقلد، فليراجعها السائل في أواخر المجلد الثالث وأوائل الرابع من المنار، ومنها يعلم أن هذا الوضع من أسباب جعل الشريعة خاتمة الشرائع ونبيها صلى الله عليه وآله وسلم خاتم النبيين كما بيناه صراحة بالتوضيح (طهارة السيرتو أو الكحول)

(س ٤) علي أفندي حسني بكمر ك السويش: قد الجأت حالة الوقت إلى (السيرتو) في إزالة ما على الملابس والطرايش من الوسخ والدهن وقد تردد الناس في طهارته ونجاسته للشك في أصله فإن كان نجساً فهل تطهر الطرايش المنظفة به بجمرة النار عند كفاها أو بكونه سريع الطيران كما يقال؟

(ج) قد أثبتنا من قبل طهارة الكحول بأنواعه في المنار بالأدلة بل هو أقوى المطهرات على أنه سريع الطيران ولو لم يمرض الثوب على حرارة النار، والنول نجاسته ونجيسه تشديد سبي على فلسفة غير صحيحة [راجع ص ٥٠٠ م ٤]



الاجتماع السابع لجمعية أم القرى

(في مكة المكرمة يوم الاربعاء الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦) في صباح اليوم المذكور انتظمت الجمعية وقري الضبط السابق حسب القاعدة المرعية قال (الاستاذ الرئيس) مخاطباً السيد القرآني ان الجمعية تنتظر منك فوق همتك في عقدها وقيامك بمهمتها التحريرية ان تفيدها ايضاً وأبك الذي في سبب الفتور المبحوث فيه وذلك بعد ان تقررها بمجمل الآراء التي اوردها الاخوان الكرام اذا اخطت بها علماً، كرراً بالسمع والكتابة والتهزئة والمزاجمة فأنت اجفنا

لها فكرياً. هذا والجمعية ترجو الفاضل الشامي والبلدخ الاسكندري ان يشتركا في ضبط خطابك بأن يتماقبا في تلقي الجدل الكلامية وكتابتها لانهما كباقي الاخوان لا يبرقان طريقة الاختصار الخطي المستعمل في مثل هذا المقام

نظر (الفاضل الشامي) الى رقيقه واستلمح منه القول ثم قال اننا مستعدان للشرف بهذه الخدمة

قال (السيد الفراتي) حياً وطاعة وان كنت قصير الطول ، قليل القول ، قليل البضاعة ، ثم انحرف عن المكتبة فقام مقامه عليها الفاضل الشامي والبلدخ الاسكندري وما لبث ان شرع في كلامه فقال : يستفاد من مذاكرات جمعيتنا المباركة ان هذا الفتور للبحوث فيه ناشئ عن مجموع اسباب كثيرة مشتركة فيه لا عن سبب واحد أو أسباب قلائل تمكن مقاومتها بسهولة . وهذه الاسباب منها أصول ومنها فروع لها حكم الأصول وكلها ترجع الى ثلاثة أنواع وهي اسباب دينية واسباب سياسية واسباب اخلاقية . واني أقرأ عليكم خلاصتها من جدول الفهرست الذي استخرجته من مباحث الجمعية راضياً للأصول منها بحرف (الالف) وللفروع منها بحرف (الفاء) . وهي

(النوع الاول الاسباب الدينية)

(١) تأثير عقيدة الجبر في أفكار الامة (١) (٢) تأخير المزهديات في السعي والعمل وزينة الحياة (ف) (٣) تأثير فتن الجدل في عقائد الدين (١) (٤) الاسترسال في التخالف والتفرق في الدين (١) (٥) الذهول عن سباحة الدين وسهولة التدين به (١) (٦) تشديد الفقهاء المتأخرين في الدين خلافاً للسلف (١) (٧) تشويش أفكار الامة بكثرة تخالف الآراء في فروع احكام الدين (ف) (٨) فقد امكان مطابقة القوة للعمل في الدين بسبب التخليط والتشديد (ف) (٩) ادخال العلماء المدلسين على الدين مقتبسات كتابية وخرافات وبدعا مضرّة (١) (١٠) تهوين غلاة الصوفية الدين وجعلهم اياه هواً ولعباً (ف) (١١) افساد الدين بتفنن المداجين بمزيدات ومتروكات وتأويلات (ف) (١٢) ادخال المدلسين والمقاربية على العامة كثيراً من الاوهام (١) (١٣) خلع المنجمين والرمالين والسحرة والمشعوذين قلوب المسلمين بالرهبات (ف) (١٤) ايها الدجالين ، المساحين ان في الدين اموراً سرية وان العلم حجاب (١) (١٥) اعتقاد منشأة العلوم الحكمية والعقلية للدين (١) (١٦) تعارق الشرك الصريح أو الخفي الى عقائد العامة (ف) (١٧) تهاون الامماء العاملين في تأييد التوحيد (ف) (١٨)

الاستسلام لتقليد وترك التبصر والاستهداء (ف) (١٩) التعصب للمذاهب والآراء المتأخرين وهجر النصوص ومسلك السلف (ف) (٢٠) الغفلة عن حكمة الجماعة والجمعة وجمعية الحجج (١) (٢١) العناد على نبذ الحرية الدينية جهلاً بمزيتها (ف) (٢٢) التزام ما لا يلزم لأجل الاستهداء بالكتاب والسنة (ف) (٢٣) تكليف المسلم نفسه ما لا يكلفه به الله وتهاونه فيها هو مأمور به . (ف)

(النوع الثاني الأسباب السياسية)

(٢٤) السياسية المطلقة من السيطرة والمساوية (١) (٢٥) تفرق الأمة الى عصبيات وأحزاب سياسية (ف) (٢٦) حرمان الأمة من حرية القول والعمل وفقدانها الأمن والأمل . (ف) (٢٧) فقد العدل والتساوي في الحقوق بين طبقات الأمة (ف) (٢٨) ميل الأمراء طبعاً للعلماء المدلسين وجهلة المتصوفين (ف) (٢٩) حرمان العلماء العاملين وطلاب العلم من الرزق والتكريم (١) (٣٠) اعتبار العلم عطية يحسن بها الأمراء على الأخصاء وتفويض خدم الدين للجهلاء (١) (٣١) قلب موضوع اخذ الأموال من الأغنياء واعطائها للفقراء (١) (٣٢) تكليف الأمراء القضاة والمنقبين أموراً تهدم دينهم (ف) (٣٣) إبعاد الأمراء النبلاء والأحرار وتقرئهم المتعلقين والأشرار (١) (٣٤) مراعاة الأمراء السراة والهداة والتنكيل بهم (ف) (٣٥) فقد قوة الرأي العام بالحجر والتفريق (ف) (٣٦) حماقة أكثر الأمراء وتمسكهم بالسياسات الخرفاء (ف) (٣٧) إصرار أكثر الأمراء على الاستبداد عناداً واستكباراً (ف) (٣٨) انغماس الأمراء في الترف ودواعي الشهوات وبمداهم عن المفاخرة بنسب القحطفة والمال (ف) (٣٩) حصر الاهتمام السياسي بالحجاية والجنديّة فقط (١)

﴿ النوع الثالث الأسباب الاخلاقية ﴾

(٤٠) الاستغراق في الجهل والارتياح اليه (١) (٤١) استيلاء اليأس من اللعاقب بالمنازين في الدين والدينا (ف) (٤٢) الإخلاق الى الخمول ترويحاً للنفس (ف) (٤٣) فقد التناصح وترك البنص في الله (١) (٤٤) انحلال الروابط الدينية الاحتسابية (١) (٤٥) فساد التعليم والوعظ والخطابة والارشاد (ف) (٤٦) فقد التربية الدينية والأخلاقية (١) (٤٧) فقد قوة الجمعيات وثمره دوام قيامها (١) (٤٨) فقد القوة المالية الاشتراكية بسبب التهاون في الزكوة (١) (٤٩) ترك الاعمال بسبب ضعف الآمال (ف) (٥٠) اهمال طلب الحقوق العسامة جيناً وخوفاً من التعائن (ف)

(٥١) غلبة التعلق بالعلمي ترغفاً وصغوراً (ف) (٥٢) تفضيل الارتزاق بالجندية والخدم الأميرية على المناهج (٥٣) توهم ان علم الدين قائم في المصانم وفي كل ماسطر في كتاب (ف) (٥٤) معاداة العلوم العالية ارتياعاً للجهالة والسفالة (١) (٥٥) التباعد عن المكاشفات والمفاوضات في الشؤون العامة (١) (٥٦) الذهول عن تطرق الشرك وشؤمه (١)

ثم قال (السيد الفراتي) هذه هي خلاصات اسباب الفتور التي اوردها اخوان الجمعية وليس فيها مكررات كما يظن . وإذ كان للخلل الموجود في اصول ادارة الحكومات الاسلامية دخل مهم في توليد الفتور العام فاني اضيف الى الاسباب التي سبق البحث فيها من قبل الاخوان الكرام الاسباب الآتية اعددها من قبيل رؤس مسائل فقط إذ لو اردت تفصيلها وتشرحها اطال الامر وخرجناعن صدد محفلنا هذا والاسباب التي سأذكرها هي اصول موارد الخلل في السياسة والادارة الجاريتين في المملكة العثمانية التي هي أعظم دولة بهم شأنها عامة المسلمين . وقد جاءها أكثر هذا الخلل في الستين سنة الاخيرة أي بعد ان اندفعت لتنظيم امورها فعمطت اصولها القديمة ولم تحسن التقليد ولا الابداع فتشتت حالها ولا سيما في العشرين سنة الاخيرة التي ضاع فيها ثانا المملكة وخرب الثالث البقي واشرف على الضياع لفقد الرجال وصرف السلطان قوة سلطته كلها في سبيل حفظ ذاته الشريفة وسبيل الاصرار على سياسة الافراد . واما سائر الممالك والامارات الاسلامية فلا تخلو أيضاً من بعض هذه الاصول كما ان فيها أحوال اخرى اضرت وامرّ يطول بيانها واستقصاؤها والاسباب المراد الحاقها ملخصة . هي .

﴿ الاسباب السياسية والادارية العثمانيتين ﴾

(٥٧) توحيد قوانين الادارة والمقوبات مع اختلاف طبائع اطراف المملكة واختلاف الاهالي في الاجناس والعادات (*) (١) (٥٨) تنوع القوانين الحقوقية وتشويش القضاء في الاحوال المتباينة (١) (٥٩) التمسك بأصول الادارة المركزية مع بعد الاطراف عن العاصمة وعدم وقوف رؤساء الادارة في المركز على أحوال تلك الاطراف

(*) من أهم الضروريات ان يحصل كل قوم من أهالي تركيا على استقلال نوعي اداري يناسب عاداتهم وطبائع بلادهم كما هي الحالة في امارات ألمانيا وولايات أمريكا الشمالية وكما يفعله الانكليز في مستعمراتهم والروس في املاكهم من هادش الاصل

المتباعدة وخصائص سكانها (ف) (٦٥) التزام أصول عدم توجيه المسؤولية على رؤساء الإدارة والولادة عن أعمالهم مطلقاً (*) (ف) (٦٦) تشويش الإدارة بعدم الاتفاقات لتوحيد الاخلاق والمسالك في الوزراء والولاة والقواد مع انقطاع الدولة لاتخاذهم من جميع الأجناس والاقوام الموجودين في المملكة بقصد استرضاء الكل (ف)

(٦٢) التزام المخالفة الجنسية في استخدام العمال بقصد تمسك تفاهم بين العمال والاهالي وتمذر الامتراج بينهم لتأمين الإدارة غائبة الاتفاق عليها (ف) (٦٣) التزام تفويض الامارات المختصة عادة ببعض البيوت كإمارة مكة وامارات المشار الضخمة في الحجاز والعراق والعراق والفرات من لا يحسن ادارتها لاجل ان يكون الأمير منفوراً منه من ولي عليهم مكرهاً عندهم فلا يتقدمون معه ضد الدولة (٦٤) التزام تولية بعض المناصب المختصة ببعض الاصناف كالشيخة الامامية والسراي عسكرية لمن يكون منفوراً منه في صنفه العامة أو الجند لاجل ان لا يتفق الرئيس والمرؤس على أمر مهم (*) (ف) (٦٥) التمييز الفاحش بين اجناس الرعية في القدر والعزم (*) (٦٦) العمل في انتخاب العمال والمأمورين والاي كشار منهم بغير لزوم وانما بقصد به اعادة العثيرة والحاسيب والمملتين الماهجين .

(٦٧) التسامح في المكافاة والمجازاة بها وما يشعرون الادارة حسنت أم ساءت كأن الرئيس للملك صاحب (٦٨) عدم الاتفاقات لرعاية الشؤون المالية كوضع لظلمات مصادمة لتشرع بدون لزوم سياسي مهم أو مع لزوم ولو لكن بدون اعتناء بتفهم الامامة والاعتذار لها جلباً للقناعة والرضاء (٦٩) تضيق حرمة التسرع وقوة القوانين بالترام عدم

(*) ولذلك كانت الحالة في الدولة قبل التغيرات الخيرية خيراً منها بعدها حيث كان العمال مسؤولين لدى حضرة السلطان ثم أطلق سراحهم في عهدنا من كل مسؤولية الا في الافعال بل الاقوال بل الخواطر التي تتعاقب بحقوق السلطنة من هامش الاحل

(*) هكذا تكون احتياطات الحكومات العاجزة (*) كهضم الدولة العثمانية حقوق العرب في المناصب والارتزاق من بيت المال معصلاً لانسبة فيه لأنها مميزة عليهم حال كونهم ثاقبي رعيها كالبان من الجركس والبشناق والاكرا ادوا الأرتاوط والروم والأرمن والخروات والبناتار والاكرا وكان استئصال اهل المناصب من الجبار وغيرهم حتى بعض البيوت من الخدمة العسكرية والاسلحة العسكرية والمعرفة - واستثناء غير المسلمين من الخدمة العسكرية بخير كغيرهم لا يخدمون حدة الخندق التي يلزم جيشها



والذين يخدمون في البيوت العسكرية والاسلحة العسكرية والمعرفة - واستثناء غير المسلمين من الخدمة العسكرية بخير كغيرهم لا يخدمون حدة الخندق التي يلزم جيشها

اتباعها وتنفيذها والإصرار على ان تكون الادارة نظامية اسما ارادية فعلا • (١)
 (٧٠) التهاون في مجارة عادات الاهالي وأخلاقهم ومصالحهم استجلاباً لمحبتهم القلبية
 فوق طاعتهم الظاهرية • (٧١) الغفلة او التغافل عن مقتضيات الزمان ومباراة الحيران
 وترقية السكان بسبب عدم الأهتمام بالمستقبل (٧٢) الضغط على الأفكار المنهية بتفسد
 منع نموها وسموها واطلاعها على مجاري الأدارة محاسنها ومعاييرها وان كان الضغط
 على النمو الطبيعي عبثاً محضاً ويتأتى منه الإغراء والتحفيز وينتج عنه الحقد على الادارة
 (٧٣) تمييز الاسافل أصلاً وأخلاقاً وعاماً وتحكيمهم في الرقاب الحرة وتسليطهم
 على أصحاب المزايا وهذا التهاون بشأن ذوي الشئون يستلزم تسفل الادارة • (٧٤) ادارة
 بيت المال ادارة اطلاق بدون مراقبة وجزاف بدون موازنة واسراف بدون عتاب
 واتلاف بدون حساب حتى صارت المملكة مديونة للاجانب بديون ثقيلة توفي بلاداً
 ورقاباً ودماءً وحقوقاً • (٧٥) ادارة المصالح المهمة السياسية والملكية بدون استشارة
 الرعية ولا قبول مناقشة فيها وان كانت ادارة مشهودة المضرة في كل حركة وسكون •
 (٧٦) ادارة الملك ادارة مداراة واسكات للمطالعين على معاييرها حتى ان
 بنفثوا ما في الصدور فتعلم العامة حقائق الامور والعامه من اذا علموا قالوا واذا قلوا
 فعلوا وهناك الطامة الكبرى • (٧٧) ادارة السياسة الخارجية بالترلف والإرضاء والمحابة
 بالحقوق والرشوة والامتيازات والتفודה تذل الادارة ذلك للجيران بمقابلة تعاميمهم
 عن المشاهد الممولة التخريبية وصبرهم على الروائح النتنة الادارية ولولا ذلك لهدم
 والروائح لنا وجد الحيران وسيلة لاضغط مع ما ألقاه الله بينهم من العسداوة وانبعث
 الى يوم القيامة •

ثم قال (السيد الفراتي) ان بعض هذه الاسباب التي ذكرتها هي امراض قديمة
 ملازمة لإدارة الحكومة العثمانية منذ نشأتها أو منذ قرون وبعضها أمر جديد
 تزول بزوال محدثها وربما كان يمكن الصبر عليها لولا ان الخطر قرب والميران بالقيم
 القاب كما أشار اليه الاستاذ الرئيس في خطابه الاول (٣)

• رعاية المذاهب التي تستوجب ان لا تسقط انزكاة عن الدافعين وكاستخدام قضاء بالرسوم
 برواتب جزئية جداً • (١) تعطيل بعض احكام الشرع كإف خرق حرمة
 النظامية فمع كثرتها البالغة عشرات الوف قضايا لم يتفق الى الآن اجراء شيء منها
 بعض ما يتعلق بسلب الاموال (٢) أشار حضرة الرئيس وهو الاستاذ الملكي في خطابه

ثم قال ويلتحق بهذه الاسباب بعض اسباب شتى انفصلها بعد تعدادها الحقا بالخلاصات . وهي

﴿ اسباب شتى ﴾

(٧٨) عدم تطابق الاخلاق بين الرعية والرعاة (٧٩) الفرارة أي الغفلة عن ترتيب شئون الحياة (٨٠) الفرارة عن لزوم توزيع الاعمال والاوقات (٨١) الفرارة عن الاذعان للاتقان (٧٢) الفرارة عن موازنة القوة والاستعداد (٨٣) ترك الاعتناء بتعليم النساء (٨٤) عدم الالتفات للكفاءة في الزوجات (٨٥) الحور في الطيعة أي سقوط الهمة (٨٦) الاعتزال في الحياة والتواكل

أما عدم التطابق في الاخلاق بين الرعاة والرعية فله شأن عظيم كما يظهر للمتأمل المدقق في تواريخ الامم من أن أعظم الملوك الموقنين والقواد الفتحين كالاسكندر بن وعمر وصلاح الدين (رضى الله عنهما) وجنكيز والفتح وشر لكان الالمانى وبطرس الكبير وبونابرت لم يفوزوا في تلك العظائم الا بالعراسم الصادقة مع مصادقة تطابقهم مع رعاياهم وجيوشهم في الاخلاق والمشارب تطابقاً تاماً بحيث كانوا رؤساً حقاً لتلك الاجسام لا كراس جل على جسم ثور أو بأمكس . وهذا التطابق وحده يجعل الأمة تعتبر رئيسها رؤساً فتتفانى دون حفظه ودون حكم نفسها بنفسها حيث لا يكون لها في غير ذلك فلاح أبداً كما قال الحكيم المنبى

انما الناس بالملوك وهل يفلح عرب ملوكها عجم

ومما لا خلاف فيه ان من أهم حكمة الحكومات أن تتحقق بأخلاق الرعية وتحدد مهمها في عوائدها ومشاربها ولو في العوائد غير المستحسنة في ذاتها . ولا أقل من أن تجاري الحكومة الاجنبية اخلاق الرعية ولو تكلفاً وقتياً الى أن تتوفق لاجتذابهم

الاول للحالة السبئية في الحجاز من فقد الأمن في بلد الله الامين . والجور الفظيع الذي يقع على أهل الحرمين وزوارهما من تنازع السلطات الثلاث الامارة والولاية والعسكرية وتسيير ذلك من الاحوال التي لا تطاق وصار يتشكى منها عامة الحجاج لاسيما الداخلين تحت ساطة الأجانب وهو السواد الأعظم من المسلمين ولا غرو ان هذه الحال تستدعيهم لان يدعوا حكوماتهم للمداخلة في شؤون ادارة الحجاز لأجل حصولهم على الأمن وراحة وحيث لا قدر الله يتفانى العرب دون حفظ بيضة الاسلام كما تفانوا قبلاً وحدهم في دفع الصايبيين عن المسجد الأقصى . اهـ من هامش الاصل

الى انفسها فاخلاقها فجنسيتها كما فعل الامويون والمباسيون والموحدون وكما تهتم به الدول
المتعمرة الافرنجية في هذا العهد وكما فعل جميع الاعاجم الذين قامت لهم دول في
الاسلامية كال بويه والسلجوقيين والايوبيين والغوريين والامراء الجراكسة وآل
محمد على فانهم ما لبثوا ان استمروا وتخلقوا باخلاق العرب وامتزجوا بهم وصاروا
جزءاً منهم وكذلك المغول التار صاروا فرساً وهنوداً فلم يشذ في هذا الباب غير المغول
الأتراك أي العثمانيين فانهم بالعموم يتأخرون بمحافظتهم على غيرية رعاياهم فلم
يسعوا باستئثارهم كما انهم لم يقبلوا ان يستمروا والمتأخرون منهم قبلوا ان يفرنسوا
أو يتألمنوا . ولا يعقل لذلك سبب غير شديد بفضهم للعرب كما يستدل عليه من
أقوالهم التي تجري على ألسنتهم مجرى الامثال في حق العرب

ذلك كاطلاقهم على عرب الحجاز (ديانجي عرب) أي العرب الشحاذين واطلاقهم
على المصريين (كوز فلاح) بمعنى الفلاحين الاجلاف و(عرب جنكنه سي) أي نور
العرب و(قبطي عرب) أي النور المصريين . وقولهم عن عرب سوريا (نه شامك
شكري ونه عربك يوزي) أي (دع الشام وسكرياتها ولا تر وجوه العرب) وتعبيرهم
بلفظة (عرب) عن الرقيق وعن كل حيوان أسود وقولهم (بيس عرب) أي عرب
قدر و(عرب عقلي) أي عقل عربي أي سفير و(عرب طيبي) أي ذوق عربي
أي فاسد و(عرب چكه سي) أي حنك عربي أي كثير الهزر وقولهم (بوني پارسيه م
عرب اوله يم) أي ان فعات هذا أكون من العرب وقولهم (ترده عرب ترده طنپوره)
أي ابن العرب من الطنبور .

هذا والعرب لا يقابلونهم على كل ذلك سوى بكلمة بين الأولى هي قول العرب
فيهم (ثلاث خاقن للجبور والفساد القمل والترن والجراد) والكلمة الثانية تسميتهم
بالأروام كناية عن الريبة في اسلامهم وسبب الريبة ان الأتراك لم يجدهوا الاسلام
بغير اقامة بعض جوامع لولا حظ نفوس ملوكهم بذكر أسماهم على منابرهم لم تقم .
وانهم أتوا الاسلام بالطاعة العمياء للكبراء وبخشية الفلك أبي المصائب وباحترام موافق
الانبران (أوحافات) فزادوا بذلك بلاد في حين الحرافات

تمقال السيد مراني في جوامع الامم من اقوال العرب انه يعلم اني ما أفرطت وتولا
الاصحاح في التاريخ التي يروى ان صرحته في اسبغ العمير من يكيات لاهن بضحكك . قال
(الاستاذ الرئيس) ان أختا السيد المراني حطرت قبال وفارس جوال والابحار التي
أشار اليها في ذمها في يومنا هذا في وقت اليه في عهدنا عند ان شاء المولى

باب التربية والتعليم

الشذرة التاسعة منها هيريرة الدكتور راسم (١)

تعليم الاطفال اليونانية واللاتينية واقرائهم كتبهما

تناظرت مع هيلانة غير مرة في ضرورة تعليم « اميل » تينك اللغتين واقرائه
 ما انا ففهم من الكتب وانت ذاكرت من هذه المناظرات الا منحسها فأقول :
 الواجب ان يرى كل طفل تربية من ينبغي ان يكون من كبار الرجال فذلك هو
 الوسيلة التي يفضل بها عامة الناس ويمتاز عنهم في مستقبله ولهذا كان حقاً على المرابي ان
 يعرف طبيعه ويحث في ضروب مياله ويختبر أنواع استعداده العقلي . ولما كان
 التميز والامتياز يحصلان في هذه الدنيا بكيفيات مختلفة ويتلآن بطرق شتى كان أول
 فرض عليه ان يحث في هذه الطرق عما يلائم طبيعه ويناسب استعداده
 فالذي أعنيه في طريقة اريين عندما هو إغذاء ما للناشئين من القوى وضروب
 الاستعداد الدنية وعدم اعتبارها في شيء من التربية . ذلك أنك ترى بعض الناشئين
 مثلاً قد ولد له حالة ليضرب في الأرض وينجب آفاقها وأخصر حاجته فيما خالق لأجله
 هي معرفة اللغات فحينئذ يربطها مع الأجانب في بلادهم فيبدأ المربون بتعليمه لغتين
 مهمتين القطع التخاطب هما من على وجه الأرض . وترى آخر خالق مبالاً الى
 معرفة علم القوى المحركة وقوانين التوازن (الميكانيكا) يلقون به في بحر من الكتب
 ماله من قراره وتوجد دائماً أعد للتجارة ورابعاً لخر للزراعة لا يراعى ما لكل منهما
 من الميل الى ما أعد له ان يبيع في حقهما ما قضت به العادة وجرى عليه المعروف وهو
 انه لا يد من يريد الاشتهار بالعلم في هذه الدنيا من سجنه في المدرسة ثمان سنين . كم
 رأيت من مناعني اللاتينية واليونانية من يقضى عنهم بأن لا يستعملوها في حياتهم لانهم
 متى خرجوا من المدارس اشتغلوا بمصالحهم قل وأبى الحق ان يخطر ببالهم تصديق
 كتاب فريجيل (١) أو ديوان عمير (٢) وانظر في محققهما اللاتينية التي فضوا في مطالعتها
 كثيراً من ساعات النصب والسآمة وانت أقصد بقولي هذا تجريد أي معرفة من

(١) معرب من باب تربية اليافع من كتاب اميل القرن التاسع عشر



معارف العقل كأئنة ما كانت من الفائدة مطلقاً ولكن لا حرج علي ان تربيت في ان
ما يخسره كثير من التلامذة من زهرهم في تعلم نيك الاثين لا يسويه ما يعود عليهم من
الفوائد بتعامهما

أنا اعلم كل ما للمتضرر لهما من وجود الاحتجاج على ضرورة تعاميهما فله ان
يقول ان معرفتهما حاسة سادسة لنا ندرك بواسطتها دقائق آداب لغتنا والله لا يسع احد
من الناس انكار ما كان لاطالعة الكتب القديمة للإضافة لهما من التثمين للمعارف في عقول
الناشئين الذين نفذوا بلبان معارف الاقدمين حتى النغذية وان مطالعة هذه الكتب
تخلصنا من شواغل وقتنا المادي وتعارض عصر الذي تربت فيه الناس وتحت
درجات التفاتل بينهم واشتغل اهدم بالحقائق الثابتة دون غيرها كصور الافراط والاعتدال
والفقد من مخترعات الخيال وتستره مواضع الضعف فينا بحجج الجمال الظاهر بدون ان
تغير من طبيعتنا شيئاً ثم ان يمد اهل تلك العصور عناوينها في الاخلاق والعوائد
ما يساعدنا ايضاً على ان نبصر من خلال كتبهم الشعرية صياغة الكمال المعقول

وفوق ذلك فان هذه الكتب حافظت لنا نشيد الوطنية التي كان من آثارها ما رآه
في عهد الجمهورية الجميل من احتقار الملوك وجر ذيل الحيلاء عليهم فلقد كتبت نسخة
هبت من رومة او من اينا في اثاره بغض السلطان المطلق بلوغنا في القرن الثامن
عشر فان حكماء هذا القرن وزعماء الفتنة الفرنسية فيه قد استمدوا بما دعوه من
الكتب المدرسية اصاح الصور لا يبقا العقول وبث روح الحياة السياسية في النفوس
وكان لخيالات الغابرين في ذلك الجهاد الذي قام في سبيل الحق من البلاء ما كان
للأحياء انفسهم فلا تقل لابي غرانيوس (٣) وبرنوس (٤) وقانون اوتيفانم قدمنا
بل هم احياء يمينوننا على كفاحنا وبما ضدوننا في جهادنا وبسهموننا من اصواتهم
ويشهدوننا من اساهم ما يقوي عنيتنا على السمي وراء الحرية التي هي غاية النفوس الابية
لا انازع في ان معرفة اليونانية واللاتينية قد تكون من الرياضات النفسية المفيدة

(١) فرجيل هو شاعر لاتيني شهير ولد سنة ٧٠ ومات سنة ١٩ قبل المسيح

(٢) حمير هو شعر شعراء اليونان الاقدمين لا علم مكان ولادته ولا تاريخه

كذا كتب لمرب والمربون اسوديونه يربون « هومير » وكتب بانام الافرنجي شكلا

Homer-ero « ٣ » غرانيوس حاكم روماني شهير في اسبانيا ورزق بولدين هما
بالغراقين وكانا من قضاة اشهر « ٤ » برنوس أحد قضاة القيسر الروماني

ولكنني أقول إن لرياضة النفس وتربية العقل طرقاً شتى وإن من الظلم الفاحش قهر معنى التعليم على فرع واحد من العلوم فقد يكون الانسان علماً يشار اليه بالبنان وخطيباً باهر اليان وسياسياً حصيف الجنان (وفي أمريكا ما يشهد لصحة ذلك) وهو لم يقرأ في حياته كتب أرسطو « ١ » ولا ديموستين « ٢ » ولا شيشيرون « ٣ » باللغة التي ألقت بها . ذلك ان مراقبته بنفسه الامور ومعاملته للناس واختلاطه بهم ودراسته لآداب لغته واستعداده الفطري كثيراً ما تغنيه عن الزخارف المدرسية فرائي هو ان الاحوال التي تحتف بالطفل وما يكون فيه من القوى والملكات الذاتية هي الواجب التحويل عليها في تحديد الطريقة التي ينبغي سلوكها في تربيتها فان طرق التعليم انما اوجدت للاحداث ولم توحد الاحداث لها

لما أعلم حق العلم ضروب استعداد « اميل » ولا حالة عقله حتى أحكم على اليق أنواع التعليم به وأشدّها ملائمة لطبعه والذي أتمناه له هو ان لا يكون بعيداً عن العلوم ولا عن آداب اللغة ولست أرى من وجوه الاعتراض على الجمع بين هذين النوعين من المعارف سوى ما تتخذه تعلم اليونانية واللاتينية من الزمن فان اتفق سبع سنين أو ثمان من العمر في تحصيل اللغتين مهملتين تحصيلاً في غاية النقص غالباً هو اسراف كبير في عصر لا يحصل الانسان فيه متوسط المعارف الضرورية إلا بانفاق معظم حياته واني ياخذ الآن فيما اذا كانت اضاءة ذلك الزمن الطويل في تحصيلهما لازمة لطبيعة الصعوبات التي يصادفها المتعلم فيه أو انها ليست من لوازمها وان من اليسور التعبير فيها والتقليل منها

أول سبب فيما أرى اطول مدة تعلم هاتين اللغتين هو إفراط المعلمين في تمجيل تعليمهما للأطفال لانهم يبدأونهم به قبل ان يكونوا تعلموا أو راقبوا شيئاً بأنفسهم فتراهم لجهاهم كيفية سوغ الالفاظ وتركيب الاساليب التي هي قوالب المعاني لا يكادون يتمكنون بأنفسهم نفسها مضبوطة ولحمسهم بين جدران المدرسة من نعومة أظفارهم اعتادوا اعتبارها سجعاً تتماق عليه الاجيال الناشئة تكفيراً لسبثة جهل آباؤهم الأوائل فهم

واما قانون ايقافه وحفيد قانون القديم وهو ضابط روماني شهير كان من حزب بومباي وبما ان شهد معه واقعة فرسالا انطلق الى أفريقيا وقتل نفسه « ١ » أرسطو حكيم يوناني مشهور « ٢ » ديموستين أشهر خطيب يوناني انار مقدونيا على فليوس وأب أمها على الاسكندر « ٣ » شيسرون أشهر خطيب روماني

لا يعرفون شيئاً من الكون وقد حلت المدرسة بينهم وبين المحابّ اليتية والجواذب
الاهلية وهي التي كانت تحب العمل اليهم وتشعر قلوبهم قدرة فأصبحوا لا تصلهم
حرارتها الا بن بعيد جداً ففي أول عمل لهم يمرنون به قواهم الناشئة تفاجئهم الفاظ
وحشية وصيغ نحوية وتراكيب مجهولة فيتصيدون اتفاقاً بأيديهم العسراء من محاربهم
الكدراء ضروباً من مخالفة القياس وأنواعاً من ضعف التأليف تجري بها اقلابهم ،
ولا تدركها افهامهم ، فرحمتي لهم من حيارى ذاهلين لا ينفعهم أمّاقب التمارين ولا
تتابع الامثال فليس تكرار الاغلاط والخطئات الواحدة في تعلم لغة مجهولة
هو الوسيلة إلى اصلاحها

انا أحب ان رى ولدي قبل تعلم اللاتينية شيئاً من العالم وان يفتق ذهنه باحتكاكه
بالصناعة ودراسة تاريخ الموجودات فان كل واقعة روقبت تولد في نفس مراقبها لذة
وتحي فيه الحاجة الى المعرفة فاذا حصل له بكسبه بعض معان ينة صار بهذه الوسيلة
أحسن استعداداً لفهم ما يتقاه عن غيره من المعاني ولو ظهرت في صيغ مهمة من الالفاظ
ثم ان من اسباب طول ائدة التي تقضى في تعلم اليونانية واللاتينية على ما أرى ان
المربين يعلمونهما الاطفال قبل ان يطعموهم على شيء من احوال الرومان واليونان
والانسان لا يحسن تعلم لغة قوم الا في بلادهم ومن أجل ذلك سأهتّم عند تعليمهما
«أميل» بان اجعل له من آثار اهلها بلاداً يتعلمها فيها وفي هذا النقام تظهر فائدة
انشاء معاهد التعليم التي من قبيل القصر البوربي نعم اني على يقين من ان مشاهدة ما يكون
في مثل هذه المعاهد من التأميل والصور ومثل المعابد والمباني الأثرية العامة لا تعين
التلميذ على فهم شعر عمير وفرجيل ولكن اليونانية واللاتينية اذا اقترنت لتعليمهما بتعاميم
تاريخ قوميهما وما يشهد لهم من دلائل التقدم القديم لا تبقىان لتبين مندرتين اندثاراً
تماماً كما لو علمتا مجردتين

ذلك ان لغتوني الرمن من التأثير في نفوس الناشئين ما هو فوق المظنون بها كثيراً
بسبب اجالها العقل في آثار المارين وسببها بتلفس في اعمال الماضين والان س
الإبطاع هو السبب الذي يسهل فيه الدماغ الارتفاع في شخص غير سبب سهل الإدراك
وهو ان معنى الاسئلة الذي لا يظهر في قبلا في هذا الظهور من الحياة فكثرة هذا
النوع من المعينة مع اليونان والرومان في يقيني من آثارهم يدعي التلميذ بل يوسد
بأحلافهم وبخلافه في نفوسه فان لم يدر من اهلها فنراه يتألم بدقة الاساطير

في سلامين ١٥ « ويشهد خلف بومباي ٢٥ « واقعة فرسالا . ولا يسبقن الى خاطرنا ان هذا لوجود الفكري فيما غير من الزمن ليس هو الا وهما محناً فانه لاشيء مما كان في الماضي قد مات موتاً تاماً

لم نجد طريقتهما في تعليم اللغتين الالابني نحن بعدد الكلام عنهما نفماً فانها لا تزال عليها مسحة من تعليم القرون الوسطى وهي التي طمها عليها التسييسون والرهبان اذ لا تزال العقبات تقوم في سبيل دراسة آثار الاقدمين دراسة صادقة واولها ما للدين المسيحي من الاوهام والوساوس في آلهتهم التي تراءى على قهره اياها لا يزال يعتقدونها مفسرة حتى في انهزامها امامه فان رجال هذا الدين مع استشارهم على توالي القرون باللغات القديمة واحتكارهم معرفتها كانوا يعنون في تعليمهم بازهد ذلك الروح الذي اطم الصناع ما ظهر على ايديهم من تحف الصنائع وطرفها وكانت فنون الوثنيين واداب لغاتهم من الغنائم التي اهتم اولئك الرجال بحفظها غير انهم كانوا يحترسون كل الاحتراس من اظهار آخر ما اكتشفوه من اسرارها للأحداث وكان من مصاحبتهم ان لا يزالوا عن تلك الاسرار الا طرفاً من حجبها لانه كان لا بد لها يمينه الخلف من آثار السلف ان يردهم يوماً ما الى عبادة الطبيعة وجمالها ومن أجل ذلك كان رؤساء الدين لا يفتأون يذكرون الناشئين بأن آلهة الوثنيين آلهة باطلة لا أصل لها الا الكبرياء والنكذب وانه لا ينبغي النظر اليها الا من بعيد مع الاسترشاد في ذلك بهدي الدين المسيحي

أنا لا أحترس كل هذا الاحتراس في تعليم « اميل » تلك اللغتين واقراءه كتبهم انه لا بد لمن يزاول دراسة أمر من الأمور ان يكون له فيه شيء من الاعتقاد فما صرد لو انه اخلص في الاشتغال بهرقل (٤) وأعماله ومن ذا الذي يتقدم منه ان قدم قرناً للألهات المصيفة (٥) ولنزوة (٦) الحكمة الالابية فان في كشف حقيقة الاشخاص الخرافيين الذين وجدوا في خيال الاقدمين وكانت حياتهم ملائمة كل الملائمة لخيال

١٥ « سلامين ونسعى الآن كولوورى هي جزيرة في خليج أنينا ٢٥ « بومباي قائد روماني شهير له غزوات كثيرة كان فيها ظافراً ٣٥ « فرسالا مدينة باقليم تسانيا القديمة من بلاد اليونانية هزم فيها قيصر الروم الامامد بومباي (٤) هرقل يطل خرافتي مشهور بأعماله المعجبية (٥) الآلهات المعجبية في أساطير اليونان هي الآلهات انفسون اتسمت بنات المشتري (٦) نزوة هي في الاساطير المذكورة الالهة الحكمة والفتون والحرب

اليافعين وازالة الوهم من عقول هؤلاء في شأنهم في ذلك تعجباً بزعرعة عقيدتهم في النوع الانساني . ولا يظن ظان اني أقصد بما أقول ان أوقف « اميل » عند الوثنية قاني . انما أريد بهذا القول انه لا بد لمن يريد التفوذ الى أسرار ائمة قوم من اختلاس آلتهم . اه

﴿ مقدمة كتاب الاسلام والنصرانية ﴾

« اُدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمِ وَالنُّوعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِ لَهُمْ نَاقِي هِيَ أَحْسَنُ .
 إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُؤْمِنِينَ »
 ظهرت في العالم مدينيات ثم خفيت ، ودرست فيها العلوم والفنون ثم درست ،
 وصلحت أحوال الأناسي ثم فسدت ، وظلمت فيهم أقدار الهداية الدينية ثم خسفت ،
 ولم يزل الناس في قيام وقعود ، وهبوط وصعود ، والأثم في تلاش وقناء ، ونشوء
 وارتقاء ، حتى استعدت المجموع في حملته للرفي العالم ، ففتح الله تعالى دين الاسلام ،
 جاء الاسلام والعالم كله في تأخر من جميع الوجوه — من جهة الدين . من جهة
 العلم . من جهة المدنية . من جهة السياسة . فلم يمر قرن واحد حتى جدد للعالم كله
 ديناً قيماً ، وعلماً محكماً ، ومدنية سعيدة ، وسياسة رشيدة ، ونشر ذلك كله في مشارق
 الأرض ومفاربها بقوة الحق . وسرعة البرق . فقير به وجه الأرض ونفخ في الانسان
 روحاً جديداً أعطاه من جراثيم الحينة ما لا يقبل القناء ، ما دامت الأرض والسماء ، (١)
 ينبوع تفجر في أرض وقاض ماؤه على غيرها فأحيا الأرض بعد موتها ولكن
 القائم على حراسته وتماهدد وضمووا فوقه أنقاضاً من خرائب جيرانهم ففيض الماء
 وما بقي منه صار مستنقعات تُجوى . لم يابث بعد ما غاض أن فاض منه شيء في

(١) بينا ان اركان الاصلاح الاسلامي غير قابلة للتهدم في مقالات متعددة نشرناها
 في مجلدات المنار كمقالات « الاصلاح الديني » والمقالة التي فأنحتها « وما كان ربك ليهلك
 القرى بظلم وأهلها مصلحون » ومقالات « ساعنة مشيخة الطريق الروحية » وفيها
 الكلام على تنفيذ الاسلام الساعطين السياسية والدينية وجمل الناس سواء . وكل هذا
 في المجلد الأول . ومقالة « الجنسية والايانة الاسلامية » في المجلد الثاني ومقالة
 « اعادة مجد الاسلام » ومقالات « مدنفة العرب » في المجلد الثالث ومقالات الحكومة
 الاسلامية والقضاء في الاسلام في المجلد الرابع

مواضع أخرى فاستفح أهلها به وحافظوا عليه ولكن الأكثرين منهم لا يعرفون من أين جاءهم كما أن أكثر أهل النُبوع المتقنين إليه بالاسم لا يعرفون أن ذلك الماء الذي تفجر في تلك المواضع فأنشأ أهلها به حدائق ذات بهجة هو من ماء ينبوعهم . وأنهم لو أزالوا عنه تلك الأفاض لفاض ورجع إليهم خصيم ونماؤهم كأحسن ما كان . لأنهم تعلموا من غيرهم كيف يستخدم الماء للاجاء

ذلك مثل المسلمين اليوم مع الأمم الغربية الحية الراقية . أخذ الغربيون من الإسلام كل أصول الإصلاح الذين هم فيه وهم يقولون: الإسلام عقبة في طريق كل إصلاح . يقولون للمسلمين: إن ما هنا صاف تقي بحي البلاد والعباد وماكم آسن أجاج أحدث مستنقعات أهلكت الحرث والنسل . فكيف يستوي المآآن ، وقد اختلف الأثران ؛ منهم من يقول هذا معتقداً ، ومنهم من يقوله متقداً ، ونحن ساكتون عنهم ، لأننا جاهلون بأنفسنا وهم

ما كان الله ليدر المؤمنين على ما أتم عليه حتى يبرز الخيث من الطيب . ويظهر الحق من الباطل ، فقوم الحجبة على الجهل بدينه ونفسه ، والكابر لو جدانه وجسسه . علمهم يتقون أو يحدث لهم ذكراً ، فيرجعوا إلى أصول دينهم وهو الأولى بهم والأحرى . فقد أعدهم بنوائب الزمان ، وصروف الحدتان ، لأن يمتروا بدينهم ، ونبؤوا بالتدريج إلى رومهم . إذا ظهر فيهم علماء ربانيون ، وأضاء روحانيون ، يعرفونهم بحقيقة الداء ، ويصفون لهم الدواء ، وما طلب الإنسان إنسان استمداده شيئاً من مولاة ، الا تفضل عليه به وأعطاه إياه (١)

لهذا أخذ الله للمسلمين حكماً من الأعلام ، وأماناً من أئمة الإسلام ، يعطى لهم ، ويجمع ما تفرق من آرائهم . وقد كتب في هذه الأيام كتابة جليلة في العلم والمدنية ، بالنسبة إلى النصارى النصرانية والإسلامية . رد فيها على أحد كتاب المسيحيين قوله إن انسيحية كانت أكثر تسامحاً مع العلم من الإسلام وإن الإسلام أكثر اضطهاداً للعلم والفلسفة من النصرانية ، وبين في آخر ما كتبه حال المسلمين السوءى وعدم موافقها لما تقتضيه طبيعة دينهم فبرأ الإسلام وساقه من الملام ولكنه لم يبرئ المسلمين لتحرير بل دهم على حقيقة دأهم وهداهم إلى طريقة سالتة والخروج منه بأذن الله تعالى . ولعمري أنه أنذر فأعذر ويرى من وعيد الكتمان « فمن أهدى فأعلمتهندي نفسه ومن ضل فأنا يضل عليها »

(١) راجع مقالة « الإصلاح والإعزاء » على قدر الاستعداد « (ص ٦٨١م ٤)

وبلي هذا في المقدمة اذ لمع لشبهات ذلك الكاتب وقد عرفها القراء من قبل كما عرفوا الرد عليها فلا حاجة لذكرها. وقد تم طبع الكتاب واصداره ومثمه ٥ قروش صحيحة وأجرة البريد في مصر ستة اعشار القرش (٦ مليات) ويطلب من ادارة المنار بمصر

باب الاخبار والاداء

سمي في الوفاق الاسلامي الانكليزي

علم القراء من المقالة الافتتاحية في هذا الجزء أن من الفئدة الكبرى الاسلام والمسلمين ان يعرف أهل أوروبا حقيقة الاسلام لانهم متى عرفوا حقيقة يعرفون حقيقته وفضله فيكونون نصراء له وتقل مقاومة حكامهم لأهله ولا ريب ان من عرف منهم هذه الحقيقة يكون أقدر منا على تعريفهم إياها بصورة يقبلونها . كما لا يرتاب عاقل في أن معرفة الانكليز بالاسلام تكون أنفع للمسلمين من معرفة غيرهم من الاوربيين لان للانكليز سلطاناً على الشعوب الاسلامية ليس اغيرهم مثله أو ما يقاربه ولاهم أقرب الأمم الأوربية الى أخلاق الاسلام وفضائله وأرجاهم لفائدة أهله

بعد التذكير بهذا نقول ان الحاج عبد الله براون الانكليزي الذي اهتدى الى الاسلام من عدة سنين وثبت عليه ومازج أهله توجهت نفسه الى القيام بخدمة سالحة لأهل دينه الذي اهتدى اليه ولأبناء جنسه الذين ثبت فيهم وذلك بأن ينشئ جريدة انكليزية في مصر غرضها الأول التوفيق بين مصلحة الانكليز ومصلحة المسلمين في مصر وفي المستعمرات الانكليزية كالمغرب وغيرها . وقد سافر الى الهند بمساعدة أهل الغيرة والتجدة من المسلمين الذين يعرفون قيمة هذا السعي ليعرض رأيه على كبار المسلمين هناك ويستمدهم في الاسعاد غاية . وقد بلغنا ان الاورد كره مررتاح الى هذا العمل ومساند عايشه ويرجى من كبار عقلاء المسلمين في الهند أكثر مما يرجى من عدلائهم في مصر اسعاداً وإرفاداً .

ومما يدلنا على ان هذا العمل يرجى نجاحه أننا رأينا الحوادث قد أعدت النفس من البرقعة له كما تم من الكائنات الكثيرة التي ذات على توجه حكام الانكليز وكثيرهم الى مساعدة المسلمين في البرية المليئة بالاستقلالية والتعظيم النافع وقد عرب انويديت انوارها فمعرفة المصريين كما عرفوا بالاخبار سوء مقبة ماجرى عايشه أحداث السياسة عندهم من اللفظ بسب الانكليز وشتهم وجعل حسناتهم



سينات فرجع المصريون الى رأي اخوانهم مسامي الهند الذين جربوا قبلهم معاداة القوة ثم رجعوا فمرفوا فائدة المسالمة وهو أنه لا أنفع للمسلمين من التوفيق بين مصالحهم ومصالح الإنكيز والعمل معهم بالصدق والإخلاص، وكل هذا من مقدمات مجد الإسلام المستقبل « والعاقبة للمتقين »

﴿ مابعد الاستشارة ﴾

استشرنا قراء المنار في نشر ما جاء في سجل جمعية ام القرى من معائب السياسة والادارة في دولتنا (ايدها الله تعالى) فكتب الينا بعضهم يحزم بوجوب نشر السجل كله ليعرف محبو الاطلاع اسباب الفتور السياسية كما عرفوا غيرها، ولم يكتب الينا احد قط باستحسان عدم النشر ولكن بعض اصدقائنا قالوا لنا شفاهاً أنهم يرجحون عدم النشر لئلا ينفر المحب الجاهل الراغب في بقائه على جهله من المنار ويظن أنه ينفر عن الدولة العلية التي هي أعظم دولة إسلامية، ولكننا رأينا ان انتفاع الجمهور بعلم كل ما يقال عن الدولة أولى بأن يرجح على انتفاع ادارة المنار من رضاء محبي الجهل عنها، اما الانتفاع بها نشر فهو ان نشر مثل هذه الافكار هو الذي يقع الترك والعرب وسائر المسلمين بأنه لا شيء اضر عليهم من حل الرابطة الإسلامية استغناء بالروابط الجنسية، ويظهر ان مولانا السلطان عبد الحميد (وفقه الله تعالى) مقتنع بهذا المعنى كما اقتنع به من قبل اعظم ساقه (السلطان سليم ياوز) ولذلك تراه يعتمد في مهماته على ابناء العرب اكثر من غيرهم ولو كان قادراً على ازالة الجنسية التركية لأزالها فيما يظهر وقد رأينا كثيرين من عقلاء الاراك مقتنعين بهذا الرأي اعظمهم المشير مختار باشا الغازي، ولو لا أنهم عرفوا مضره الجنسية وعرفوا ان عقلاء العرب عرفوها لما اقتنعوا بها، ولا يجوز ان يحملنا ماورد في سجل الجمعية على بغض الترك فزيد في ضرر الجنسية وإنما يجب ان نسي في ازالة الجنسية والرجوع الى الرابطة الإسلامية وحدها، على ان ما ذكر من بغض الترك واحتقارهم للعرب ليس عاماً فيهم وإنما هو شئنة من افسدتهم السياسة الفاسدة واكثرهم اخلاط في الأصل من الأجانب والعناصر الغربية، وقد بلغنا ان الترك العريقين في الاناطول يتبركون بالعربي اذا رأوه ويحجونه لأنه من بلاد النبي صلى الله عليه وسلم وان كان في شخصه وضيقاً سافلاً، ويكادون يعبدون من ينسب الى آل البيت عليهم السلام

﴿ الجرائد والمجلات والمشاركون ﴾

يكتب الينا كثيرون طالين الاشتراك بالمجلة بما دون القيمة المعروفة لانهم تالاهة

ولأنهم فقراء ومنهم من يصف حاجته الى المنار وضيق ذات يده المانع من دفع جميع الاشتراك وصفاً غريباً ولا شك ان منهم من يستحق ان يسمح له بما يربح لانه صادق في استقبال دفعه حينئذ من غير واحدة لانه فقير اليد ومنهم من يحرم ان يساعد على الطاعة شيئاً الا انفسه في اليد وقد يشبه هذا بذلك فان لم يشتهر فان الثاني يحني على الاول

كنا جملنا قيمة الاشتراك لطلاب العلوم ٤ قرشاً فرأينا العلماء وأساتذة المدارس واطارها لا يدفعون الا ٤ قياً على التلامذة والطلاب بجامع الاشتغال بالعلم ورأينا نظافة لشريعين وجميع من تخرج من المدارس الى الوظائف بأنواعها لا يدفعون الا ٤ عملاً بقاعدة الاستصحاب الفقهية أو جرباً مع حركة الاستمرار الطبيعية وهذا يضيغ حق المنار بين القاعدة الفقهية والنهوس الطبيعي بسوء التطبيق وإذا جعلنا الفقراء سبباً للرضى بنصف الاشتراك وكان كل انسان هو المرءى للفقير وإذا كان أكثر الأغنياء الحقيقيين مع هذا لا يحفظون بالعلم والدين ولا يصعدون من يتقدمهم فلا شك أنه لا يسلم اصحاب الجريدة خمسة في المئة من المشتركين يدفعون قيمة الاشتراك كاملة وإذا علم بمد هذا ان الغني والفقير والمعلم والتلميذ سواء في المطلب أو الاوجاه في دفع قيمة الاشتراك ولو الى آخر السنة وأن بعضهم يستحل أكل ثمن الجرائد والمجلات وأن مختصين للجرائد منهم من يقتدي ببعض المشتركين باستحلال أكل ما يحصله كما وقع له مراراً ومنهم من يشارك صاحب الجريدة بأخس حتى كأن المال غنيمة والحصل هو السلطان أو بيت المال — فان العام بذلك يحجل ان يطالب الاشتراك بنصف القيمة في مجلة يباع صفحات مجلداتها في السنة نحو الف صفحة وبسرف صاحبها في تأليف سنة كاملة (المنار) أقل مجلات التطير الشهيرة ثمناً فثمنها مائة في السنة جنيه ٥ منها ما ثمنه ٨٠ وما ثمنه ٧٠ وما ثمنه ٦٠ وبعض هذه المجلات أصغر من المنار حجماً وربما كان الثمن فيها أقل فاننا ربما نشغل عدة صفحات في البحث عن حديث واحد نعرف جميع مخرجه وما قيل فيه فاهدوا مجموع ما تقدمه جميعاً الذين طلبوا الاشتراك بنصف القيمة غير عمد محاورتهم والاعتذار لكن واحد منهم ٥ وقد كتبنا هذه البنية على الخليل زعمنا السامعون على المنار او يسعوا من يطاع التنازل من احد الاشتراك يمل من خمسين قرشاً في السنة فبسة بجوا ويرجوا ومن تعلم باليقين أنه يسر عليه ان يوفر من نفقته في السنة خمسين قرشاً يجملها ثماً فحاجة يجب ان يقرأها ويرجى ان يانع بها فاننا نرسل اليه المنار بلا ثمن



يؤتى الحكمة من بقاءه ومن يؤتى
الحكمة فقد أوتي خيراً كبيراً وما
يذكر إلا أولو الألباب

المعراج

١٣١٥

يقصر عبادي الذين يستمعون القول
فيؤمنون أحسن أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر الخميس ١٦ شوال سنة ١٣٢٠ - ١٥ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٣)

﴿ باب العقائد ﴾

﴿ رَأَى فِي عِلْمِ الْكَلَامِ . وَطَرِيقَةً فِي اثْبَاتِ الْوَحْيِ ﴾

(لعالم عامل وكاتب فاضل)

سلام عليكم أيها القارئون ورحمة الله وبركاته . وانعامه واكرامه .

هذه كلمات قليلة قدمتها لكم على صفحات هذه المجلة النافعة . اشير فيها لبيان شيء من حال علم الكلام وأختها بذكر طريقة سهلة للسالك قريبة للآخذ في اثبات الوحي .

— الذي دعاني لتحرير هذا —

كيفما التفت الإنسان بحسه أو فكره لا يجد شيئاً إلا وشيء آخر يقابله هو ضده . وكيفما تقلب لا يلقى نفسه إلا بين شيئين يسعي أحدهما « المحبة » والآخر « النفرة » . وكيفما تحرك فهو إما طالب لما يحب وإما هارب مما ينفّر . يا ويح الإنسان الذي يشغل مدة حياته بالطلب والهرب . ثم يا ويح حين يرى لما يطلبه طلاباً كثيراً يترحمونه وينازعونه . ثم حين يجد نفسه غير مستقل فيما يحب وينفر . يحب شيئاً ، فيعاقب ، ويكره شيئاً فيعاقب ، ثم يا ويح حين يعلم أفراد نوعه متضادين ومتجادلين من أجل التضاد . هذا الجدال قد يحدث بين الأخوة بني النوع من أجل الاحتياج الذي فطروا عليه وقد يكون الاحتياج دواءً مسكناً من هذا الغليان . وطالما شوهدت أشياء مثل الاحتياج تكون داءً ودواءً

من أجل الاحتياج يتفرق النوع ويتخاذل ، ومن أجله يلتئم ويتعاون ، وليس كل احتياج منشأ الضرورة بل كثير منه منشأ حب التميز . ومن فضل الخالق أن جعل كلاً محتاجاً ومحتاجاً إليه . المطعمون محتاجون للكاسين ، والكاسون محتاجون للمطعمين ، والتريقان محتاجان للباينين ، والثلاثة محتاجون للباينين ، والأربعة محتاجون للحافظين ، وغول الكل محتاجون للإيات ، والنات السكي محتاجون للمحول ، والسكي حريصون على حصص الأربعة ، والنات محتاجون للشارعين الذين يبنون



الحدود والحقوق ، والكل محتاجون مع العمل الى العلم والمعلمين ، وفي هذا كله حكم عرفها من عرفها . وجهلها من جهلها
ما احوجنا مع هذا الاحتياج والتعاون في لوازم الحس الى التخاب والتعاون في لوازم العقل في الاسف لم نر انفسنا الا على هذه الحالة متفرقين وما نحن ابتدعنا الفرق بل كان قبل ان كانت اشخاصنا وسيدتي الى من بعدنا ليس علينا رفع الخلاف ولا تقوى نحن عليه . ولكن علينا ان لا نزيده كما زاده المتعاملون المطاعون في حياتهم والمتبعون بعد موتهم . اولئك الذين يكذبون على الناس صفاً فظرتهم ، ويفسدون عليهم سلامة تصورهم ، بل علينا ان نجهد في تخفيفه وذلك لا يكون الا بصقل العقول من صدى الاوهام فقلنا مجاهدة الاوهام واهلها مبلغ جهدنا . وما اجمل هذه من وظيفة نشكر عليها المحيط المقسيم الممد الذي جعل لنا منها نصيباً . وانا عليها عوناً . واحسن جلاء للعقول هو ازالة سيطرة المتعلمين عنها (فهو الصدا العظيم) واستعمالها في فهم اسرار الكائنات وحكم الشرائع . وفضل عون لها في بنوعها في هذا السبيل هو الدين الخالص من شوب الناس . ذلك لان البشر منذ القديم كدروا العقل بتصورات سقيمة في شان الموجد الاول فالدين يرشد لا سلم . وحموا النفوس على عادات قبيحة ضارة سموها عبادات فالدين يهدي لأجمل وانفع . وحمواها ثقلاً من القوانين الجائرة فالدين يوصي بأعدل . وزينوا لها اخلاقاً فاسدة فالدين يدل على اصالح . لكن الناس اصناف مصنعة اكثرهم يميلون لما هو ضد الخير ونحن نفوسهم الى الرذائل الخارجة عن حد الاعتدال في كل شيء كما هو داب الذين خلوا من قبل . فمن يمسك بالدين البتة فلا ظلام فيه هبنا . ومن تمسك

فيه تراحم في مفايرته على نوعين - نوع يفايرونه بالفعل ويتمسكون منه بالاسم وهم الاكثرون ونوع يفايرونه بعلموم يحدثونها يُبصرون الناس فيها انهم اولياؤه . فاما الذين يفايرونه بالفعل فالوظيفة معهم الوعظ والتذكير . واما الذين يفايرونه بما يحدثونه فالوظيفة معهم وظيفة المناقل مع المناقل في الدعاوي والبيئات . وتحقق الحقيقة ويطلب الغلط .

ولما عرفت ان الدين كلام يفهمه المناقلون ، ولا يحتمل ما يعزوه اليه المتفردون ، حرصت نفسي على كشف حال كثير من العلوم المحدثه فأقول مالها وما عليها ليعلم طلابها ما يضرهم وما ينفعهم . ذاك منذ علمت ان سعادتني في ان اكون مخلص القلب للمجتمع الانساني ، القائم على ناموس رباني ، وان اكون شاكرًا انعم العالمين بما ينفع الناس ملتصامع من عرفوا النعم فشكروها ، اوجهلوهانا ، فاشكروها ، نافرًا عن كفرها واستيقنتها انفسهم . فهذا ما دعاني اليوم لتحرير هذه الكلمات الشارحة رأياً في علم الكلام . وطريقة في إثبات الوحي .

﴿ تمهيد وتقسيم ﴾

هذا الإدراك الذي اوتيه الإنسان لم يقف به عند استعراف ما يطعمه ويكتسبه ويأوي اليه بل ساح به من عالم الشهادة الى عالم الغيب = من عالم الحس الى عالم الخدس =

يسأل الانسان نفسه بنفسه ما هو الموجد الأول او ما هو الموجود الأول ، من صنع هذه الكواكب الزاهرة ، من اوجد هذه البحار الزاخرة ، من انشا هذه الأرواح العاقلة ، من خلق هذه الاسباب الظاهرة والباطنة ، من سوى هذه الروابط الثابتة ، من صرور هذه

الصور المتغيرة ، من يدبر هذه الكائنات المتنوعة .
ثم ينتقل من هذا السؤال الى سؤال آخر فيقول : ما هي نفسنا ما هو
ادراكنا . لماذا افرادنا متفاوتون فيه . ما هي هذه الحياة التي نحياها .
ما الفائدة لنا منها . ما الحكمة للذي سوى فيها . ما الذي يجب ان نعمله
معها . اين تذهب ارواحنا عند اضمحلال هذه الحياة . لماذا نحيا وهي
مع قصرها مرة المذاق . كدرة الموارد . لماذا نتراحم . لماذا نتجادل .
ما السبيل لسلامتنا بعضنا من بعض ؟

هذه الأسئلة وامثالها شغلت فكر هذا النوع من زمن قديم ليس
لنا ولا لغيرنا علمه . وما زال الناس ولا يزالون يتساءلون وتجادلون في
هذا الى ما شاء الله . وليس البحث في هذه شأن كل فرد من الأفراد بل
هو شأن نهر من كل امة من هذه الأمم المتفرقة . وقد يعقب البحث
والتفكير تصور ويعقب التصور عقده . ويحمل العاقده بشي غيره ان يعتقد كما
اعتقد فكذا تكونت نحل الناس وملاهم .

والذين اشتغلوا بتدوين العلوم قد قيدوا باصطلاحات خاصة زعم
ان بها يمكنهم تعميم فائدتها . واما الذين عرفوا كيف يقرب العلم من افهام
الطبقات المختلفة فيجبون ان تنجاف عباراتهم عن الاصطلاحات . هما يمكنهم .
فكرني بذكر هذه القضية اني رأيت مدوني هذه المباحث في لغتنا
قد تباعدوا بها عن افهام الاكثرين بكثرة ما جاؤا فيها من الاصطلاحات
وهم ما قصدوا الا التفهيم بل زعم بمضهم ان الناس اجهلين مكلفون ان يعلموا
علمهم ذلك . ولا بد من ان يزعم هذا ان اصطلاحاتهم يفهمها كل أحد
من أهل اللغات المختلفة . ولعل عذرهم أنهم دونوها كما وجدوها على اصطلاح

الباخين من أمم أخرى . وهو عذر مقبول في الجملة
هذه المباحث يقال لمجموعها في اصطلاح المدونين (فلسفة) وهي كلمة
منحوتة من اليونانية قالوا معناها (حُبُّ الحُكْمِ) . ومن أجل شيوع
هذه الكلمة بهذا المعنى ظن البعض أن الفلسفة اليونانية هي أول فلسفة
ومن أجل أن علم الكلام (الآتي ذكره) يرد كثيراً من آراء فلاسفة
اليونان كما يرد الفلاسفة بعضهم على بعض ظن أن علم الكلام إنما جعل
لنقض الفلسفة . والظن الأول يزهدته التدقيق في التاريخ العام للأزمنة
القديمة التي يجهل منها أكثر مما يعرف . والظن الثاني يزهده معرفة أن
علم الكلام فلسفة يعرف بها صحة الدين . وليست كل الفلسفة مناقضة للدين
حتى يحتاج الدين إلى علمه تنقض الفلسفة كما أنه ليس كل كلام أهل الكلام
مقبولاً عند الدين بل كثير منه مردود بشهادة بعضهم على بعض . والمدقق
يعلم أن ليس علم الكلام الاقسامين قسماً يجمعون فيه نظريات على طريقة
الفلاسفة القدماء يوافقونهم في أشياء ويخالفونهم في أشياء . وقسماً يجمعون
فيه خلافات ومنازعات بينهم أنفسهم
ويعلم أيضاً أن الدين انتصر بروحه الزكية السالمة من الشوائب قبل
أن يجيء علم الكلام ناصراً له وناقضاً للفلسفة . ولكي يعلم الناظر هنا
آراء الناس في الآيات قبل الإسلام وقبل علم الكلام أذكر نموذجاً
يسيراً منها في فصل . ومنه انتقل لعلم الكلام في فصل آخر

❖ الفصل الاول ❖

— الفلسفة الالهية عند الامم السالفة —

كان الصابئة (وهم طائفة منبها بلاد فارس منها انفصل ابراهيم النبي الذي هاجر الى فلسطين وتسلسلت النبوة في عقبه) يقولون ان الامام صانعا فاطرا حكما مقدسا عن سمات الحداث والواجب علينا معرفة العجز عن الوصول الى جلاله وانما يتقرب اليه بالتوسطات المقربين لديه وهم الروحانيون المطهرون المقدسون جوهرأ وفملا وحالة وهم ينكرون نبوة البشر ولكنهم يعترفون بمعلمهم الأول هرمس (قيل هو ادريس) ويثبتون عالما روحانيا على نحو ايسميه الكتايبون الملائكة وقسموا هذا العالم الروحاني الى طوائف منها مدبرات الكواكب التي هي هياكلها اذ لكل روحاني هيكل ولكل هيكل فلك ونسبة الروحاني الى ذلك الهيكل نسبة الروح الى الجسد فهو ربه ومدبره ومدبره . وربما يسمون الهياكل أربابا وربما يسمونها آباء والعناصر أمهات . فوظيفة هذه المدبرات تحريك الكواكب على قدر مخصوص ويحصل من حركاتها انفعالات في الطبائع والعناصر فيحصل من ذلك تركيبات وامتزاجات في التركيبات فيتبعها قوى جسمية ويركب عليها نفوس روحانية مثل أنواع النبات والحيوان ثم قد تكون التأثيرات كلية صادرة عن روحاني كلي وقد تكون جزئية صادرة عن روحاني جزئي

فمع جنس المظرملاك ومع كل قطرة مملك

واتخذ هؤلاء صوراً وتمثيل على صور الكواكب وأمثالها وولها البيوت وأقاموا لها الهياكل واحتفلوا من أجلها بفروض ومراسم شرحها ناسب كتب الجدل وكتب التاريخ . وليس غرضنا الا التوضيح اليسير

وكان « الزروانية » (وهم طائفة من الفرس) يقولون ان النور ابدع اشخاصاً من نور كلهما روحانية نورانية ربانية لكن الشخص الذي اسمه « زروان » شك في شيء من الاشياء فحدث « اهرمن » (الشيطان) من ذاك الشك ولهم في ذلك اساطير لم نجوز سردها لقلة فائدتها.

وكان « الزرداشتية » (وهم طائفة فارسية اخرى زعيمهم زرداشت) يقولون ان النور والظلمة اصلان متضادان وكذلك « يزدان » و « اهرمن » وهما مبدأ موجودات العالم وحصلت التراكيب من امتزاجهما وحدثت الصور المختلفة والباري تعالى خالق النور والظلمة ومبدعهما وهو واحد لا شريك له ولا ضد ولا ندويذعي اصحاب (زرداشت) معجزات كثيرة له وكان (حنليس) اليوناني - الذي تعلم الالهيات والمهندسة والهيئة في مصر وهو اعظم مؤلفي الفلسفة المسماة يونانية - يقول ان جميع ما في الكون لا ينحدر عن احساس ما وانه مما هو بما لا يدركه الطرف من المخاوقات وكلها متحركة ذات ارواح

وكان (فيثاغورس) يقول ان العالم له روح وإدراك وان روح هذا الدولاب العظيم هو الاثير فنه جميع الارواح الجزئية وكان يقول ان الارواح لا تنفي فهي تسيح في الهواء الى ان تصادف جسماً فتدخل فيه ولذلك كان يشدد في منع اكل الحيوانات . وادعى فيثاغورس معجزات كثيرة جملها لتأييد مذهبه في تناسخ الارواح ومما فعل انه بنى له تحت الارض حجرة صغيرة وناهدامه ان تكتب له كل ما يكون ويحدث فغاب فيها سنة ثم خرج نحيقاً أشعث أغبر وجمع الناس واخبرهم انه كان في حجرة الاثير ان يمدقوه شرع يخرجون بها حصل في غيبته فظنوا انه

فوق جميع البشر (تأمل)

وكان (هيرقليس) يقول ان الكون ممتلي من الجن والعقول وان
الآله لما قضى أزلاً بوجود الاشياء تركها لتدبير خلقه (تأمل)
وكان « انكسغوراس » يقول بالعقل الذي يفيض على كل مادة ما
يليق بها من الصورة وكان يقول لافراغ في الجو بل هو مملوء وان
جميع الاجسام تقبل القسمة الى ما لانهاية له ولو كان الجسم صغيراً جداً
بحيث لو وجد قاسم ماهر وآلة تقسيم لا يمكن ان يستخرج من رجل
البعوضة اجزاء لو وضعت على الف الف سماء استرتها من غيرتها هيها في
نفسها بل لا تزال قابلة للقسمة (تأمل)

وكان « افلاطون » يقول الأصول ثلاثة الآله والمادة والإدراك
فالآله يشبه عقل العقول والمادة تشبه السبب الأول للتولد والنسب .
والإدراك كجوهر روحي قائم بذات الآله . كان الناس يقبون
افلاطون بالالهي وكانوا يقولون ان افلاطون يعرف الآله الحقيقي معرفة
جيدة وهذا إما من جودة ذهنه او مما أطلع عليه من كتب العبرانيين
(تأمل) ووقع من افلاطون أنه نوع الالهة مراتب ثلاثاً علويين مسكنهم
السماء ومتوسطين يسمون جنأ كوزراء للعلويين مسكنهم الهواء وسفليين
مسكنهم الماء سماهم انصاف الالهة (تأمل) وقال ان جميع عناصر العالم
وسائر اجزائه متناهة بهذا النوع الثالث وقد يظهرون في بعض الاحيان
لأبصارنا ونختفون احياناً . تبغ افلاطون فيثاغورس في تناسخ الأرواح
وكان « ارسطاطاليس » يقول : الأصول ثلاثة العدم والمادة والصورة .
وعرف المادة بتعريفين مختلفين سلباً وإيجاباً فقال في الاول : المادة هي ما

ليست جوهر ذلك الشيء ولا امتداده ولا عرضة ولا نوعاً آخر من الامور الوجودية العارضة له: وقال في الثاني: المادة هي مبدأ تركيب الاشياء ومنتهى تغيراتها: وليس في الاثنين ما يفيد حقيقتها (تأمل)
 وكان « ابيقور » يقول بأن الروح جسمانية ممتلئة ذلك بأنها محركة لاجسامنا مشاركة لها الماء ولذرة واننا في حالة ثقل النوم نتيقظ بها بفتة وبها تتغير الواننا على حسب ما يعرض لها من الحركات والاعراض
 هؤلاء من مشاهير اليونان الذين تكلموا في الالهيات وهذه مشهورات من آرائهم فيها (وأما علومهم الرياضية والمنطقية فليست من صدد موضوعنا ولا تنقضها الالهيات والعلوم الخادمة لها ولا تأمر بتقضها بل يبرامها لانها لازمة نافعة واما علومهم الطبيعية فلا ننكرها عليهم أيضاً الا ما انكروا فيها الصانع وصنعه)

وكان « اليهود » يقولون نحن ابناء الله واحباؤه ويقولون إن عيسى بن مريم الذي خلق من غير اب زنت به امه واتي من الزنا وخالف بعمله النواميس الشرعية فقتلناه وصلبناه

وكان النصارى يقولون لابل عيسى هو ابن الله بعثه ليخلص الناس من خطيئة آدم التي لحقت بأولاده وجعله فداء لهم من الخطيئة التي لم يسكن غضب الرب من اجلها ثم اختار أن يكون سكون غضبه وتخليص الناس منه بواسطة اراقه دم ابنه ولا تنس أن النصارى يقولون أيضاً بأصوات ثلاثة الابن والابن وروح القدس

وكان العرب اصنافاً منهم من انكروا الخالق والبعث وقالوا بالطبع الهى والدهر المنفى كما حكى ذلك القرآن عنهم « وقالوا ما هي الا حياتنا

الدنيا نموت ونحيي . وما يهلكنا الا الدهر ، اشارة الى الطبائع المحسوسة
وقصر الحياة على تركيبها وتحللها . فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر
ومنهم من صنف أقروا بالخالق وابتداء الخلق ونوع من الإعادة
وأنكروا الرسل وعبدوا الاصنام وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله في الآخرة
وهم الدهماء من العرب الا شراذم منهم

ومن العرب من كان يعتقد التناسخ فيقول اذا مات الانسان أوقتل
اجتمع دم الدماغ وأجزاء بنيتة فانتصب طيراً هامة

ومنهم من كان على ملة ابراهيم كزيد بن عمرو بن نفيل . ومنهم من
تهود . ومنهم من تنصر ومنهم من تفلسف وأدرك بعقله الحشر والجزاء
قال « قس بن ساعدة » وهو أحد حكماء العرب : كلا ورب الكعبة ايعودن
ما باد . وقال أيضاً : كلا بل هو الله اله واحد . ليس بمولود ولا والد .
أعاد وأبدى ، واليه المآب غداً ، وقال « عاصر بن الطرب العدوي » وهو
من حكماء العرب أيضاً اني مارأيت شيئاً قط خلق نفسه ، ولا رأيت
موضوعاً الا مصنوعاً ، ولا جأياً الا ذاهباً ، ولو كان يميت الناس الداء ،
لا حياهم الدواء ، ثم قال : اني أرى أموراً شتى وحتى : قيل له : ماذا ؟ قال :
برجع الميت حياً ، ويعود اللاشيء شيئاً ، ولذلك خلقت السموات والأرض :
وقال علاف بن شهاب التميمي

وعلمت أن الله جاز عبده يوم الحساب بأحسن الأبدان

— ظهور محمد عليه السلام —

فينا حال الناس عامة والعرب خاصة على ما فصصناه ظهر « محمد »
من العرب بين أظهرهم بهدى عظيم ، ودعا الى صراط مستقيم ، صدقه

بدعوته الواحد والأثنان، وكذبته الشعب الكبير المتشعب الى جماجم
وبطون وأنفاد، صدقه من صدقه لنور قذف في قلبه، رأى به وجهه وجه
صادق، وخطته خطه مرشد، ودعوته دعوة مويد من عالم الغيب، وكذبته من
كذبه لشبهة عنت له، وحجاب أسدل على بصيرته، ثم صدقه آخرًا من
كذبه أولاً، ولم يفارق هذه الدار وفي جزيرة العرب جماعة مكذبون

كيف آمن جمهور العرب به من بعد أن أورد متماقلوهم كل شبهة
عنت لهم، من بعد أن قالوا ساحر كذاب، من بعد أن قالوا شاعر مجنون؟
هل آمنوا رهبة من سيفه؟ فكيف أرهب سيف هذا الواحد قلوب تلك
القبائل الكثيرة؟ هل آمنوا رغبة في المنام؟ فكيف سرى هذا الخاطر
الواحد في أفكار الكل بعد أن صدوا أعظم الصدود وحارب بعضهم بعضاً
من أجل أن ينصره قوم ويكيدوه قوم؟

إنما آمن العرب بعد حين من دعوته تربصوا فيه ان تظهر لهم أعلام
صدقه فظهرت (كما سيظهر لك) ويومئذ دخلوا في دينه أفواجاً، ووفدوا
على حضرته زمراً، يباليهونه على التصديق والاتباع، ويستعلمون منه
الوظائف والواجبات، ويرجعون عنه بأفدة مسرورة، وعزائم مشتدة،

أما العقيدة التي كان هذا الرسول (صلى الله عليه وسلم) يوصي بها
فهي أن يشهد الرجل أن « لا اله الا الله » وأن « محمداً رسول الله ». كلمة
« الله » عند العرب علم على الخالق كانوا يقولون به ولكنهم لا يعرفون
كلامه كما يجب فكان منهم من يظن أن الملائكة بناته وان الأصنام شركاؤه
في بعض ملكه فعرفهم أن الله لا يشبه المخلوقات فلا يلد ولا يولد وليس
له شريك في الملك ولا اله غيره ولا معبود سواه ولا ينبغي أن يرجى

ويخاف من غيره . فكل هذه المعاني مجموعة في كلمة « لا اله الا الله »
وأما الكلمة الثانية فالمقصود منها التسليم بما جاء به في الكتاب والخضوع
لما يحكم به ويمضيه واعتقاد أن هذا الكتاب كلام الله أو حاه اليه بواسطة
ملك من الملائكة الذين هم خلق مدركون لا يعصون الله تعالى ويندرج في
هذه العقيدة الايمان باليوم الآخر

هذه هي العقيدة التي يصير بها المصدق محمدياً وقد ورد تفصيلها في
القرآن كصفات الله تعالى والاحتجاج على المكذبين والوعد والوعيد
في الدار الآخرة ويعلم القارئ أن العرب المدعوين لما آمنوا ما كانوا يعلمون
القرآن كله لأنه لم يكن قد تم نزولاً . بل أكثرهم ما كانوا يعلمون غير
الآيات القليلة وكان أعلمهم به (أي الذين يعلمون كثيراً من الآيات) لا يجد
في الألفاظ شيئاً غريباً في مدلوله ليتساءلوا عنه ويتباحثوا فيه (الاماروي نادراً)
بل كان هذا التباحث من قسمة الذين أتوا ببيدهم

أتى بعيد عصره أناس قرأوا القرآن فعلموا شيئاً وجهلوا شيئاً وأناس
استمموا آراء الناس في الإلهيات من نحو ما قصصناه عليكم وانقسموا فيه
فرقتين محبة وكارهة . ثم انقسمت المحبة فرقتين مصوبة ومخطئة . ثم
انقسمت المصوبة طائفتين مؤولة للدين على مقتضاها وتاركة له على حاله .
ثم انقسمت المؤولة زمريتين معتدلة وغالية . فهذا هو مبدأ نشأة الفلسفة
في الإلهيات عند المسلمين وعلى هذا الشكل كان تفرق أهل هذه الفلسفة

الفصل الثاني

— الفلسفة الإلهية عند المسلمين — أو — علم الكلام —

لا يصح أن تقول أن العصر الأول للإسلام كان خالياً من بذور

البدع التي حدثت بعده في الأصول والنوع . نحن لا نقول هذا القول لأن أقوال المعاصرين للرسول كثير منها محكي في القرآن ونرى في بعضها ما يدل على أنه كذهب الجبرية وفي بعضها ما يدل على أنه كذهب القدرية وغير ذلك . ولكننا نقول لم تثبت تلك البدور الا في اواخر أيام الصحابة حين أظهر معبد الجهني وغيلان الدمشقي ويونس الاسواري القول بانكار اضافة الخير والشر الى الخالق سبحانه . ونسج على منوالهم واصل بن عطاء الغزال وكان هذا تلميذاً للحسن البصري . ويحكى أنه دخل واحد على الحسن فقال يا امام الدين لقد ظهرت في زماننا جماعة يكفرون أصحاب الكبار والكبيرة عنهم كفر يخرج بها صاحبها عن الملة . وجماعة يرجئون أصحاب الكبار والكبيرة عندهم لا تضر مع الايمان فكيف تحكم لنا بذلك اعتقاداً؟ فنظر الحسن في ذلك وقبل أن يجيب قال واصل أنا لا أقول ان صاحب الكبيرة مؤمن مطلق ولا كافر مطلق بل هو في منزلة بين المنزلين لا مؤمن ولا كافر . ثم قام واعتزل الى اسطوانة في المسجد وأخذ يقر ما أجاب به على جماعة من أصحاب الحسن فقال الحسن اعتزل عنا واصل فسمي هو واصحابه « معتزلة »

وقال « واصل » هذا بقول معبد وغيلان في مسألة افعال العباد وانكر مثلها قضاء الله تعالى وقدره . فسموا « قدرية » (سماهم بهذا خصوصهم) . قال ان الباري تعالى حكيم عادل لا يجوز أن يريد من العباد خلاف ما يأمرهم به . وأن يحكم عليهم حكماً ثم يجازيهم عليه . وقال « واصل » واصحابه يستحيل وجود إلهين قديمين ازلين ولذلك نفوا صفة العلم والحياة والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام عن

الباري اي لم يقولوا هذه صفات للباري قديمة ازلية بل ان الله عالم حي قادر وليس علمه ولا حياته ولا قدرته الا ذاته .

هذا رأس الطائفة. « المعتزلة » وطالع بعهده الشيوخ الذين اتبعوه كتب الفلاسفة نخلت منهاجها بناهج الكلام وافردتها فنا من فنون العلم وسمتها باسم « الكلام » إما لان اظهر مسألة تكلموا فيها هي مسألة الكلام فسمي الفن باسمها واما لما يلقبهم الفلاسفة في تسميتهم فناً من فنون علمهم بالمنطق والمنطق والكلام مترادفان . (كذا قيل)

وتفنن « المعتزلة » في هذه المباحث وزاد الآ خر على الاول وتروى كلامهم في أيام المأمون والواثق والمتصم :

أما مسألة الكلام المشار اليها في القول بأن القرآن مخلوق ومن اشهر بهذا القول جهنم بن صفوان وكان هذا جبرياً اي يقول أنت العبد مجبور في أفعاله . وهذا المذهب ضد مذهب المعتزلة الذي معناه ان العبد حر في أفعاله أي ليس مسلوب الاختيار بإرادة الله وحاكمه .

وكان بين « المعتزلة » العلماء المقلين وبين أهل الرواية في كل زمان اختلافات ومنازعات في مسألة الصفات وكان العلماء النقليون يناظرون الآخريين لاعلى قانون منطقي بل على طريقة المفتين في الدين . وكان من احسنهم اتقاناً ابو العباس القلانسي والحارث المحاسبي . وجرت مناظرة بين ابي الحسن الأشعري وبين استاذه ابي علي الجبائي في بعض مسائل والزمه اموراً لم يتخلص عنها بجواب فأعرض عنه وانحاز الى النقليين السالكين طريقة السلف ونصر مذهبهم على قواعد منطقية واساسات نظرية فصار ذلك مذهباً منفرداً وهو المشهور اليوم بأنه مذهب أهل

السنة والجماعة . ويظن البعض بأنه بقي في مذهبه بقايا من مقالات اسانذته قبل ان تركهم وهم من شيوخ الاعتزال . وقرر طريقته جماعة من الاذكياء كالفاضي ابى بكر الباقلاني والاستاذ ابى اسحاق الاسفرائيني والاستاذ ابى بكر بن فورك على اختلاف بينهم قليل .

ومن يطالع مقالات المعتزلة بامعان يتبين له ان مقاصدهم التوفيق بين الدين والفلسفة ولم يتيسر لهم ذلك لاصرين الاول ان الفلسفة التي طالعوها اكثرها غير صحيحة فلذلك لم تلتم مع الدين . الثاني ان المقصد الاصيلي من الدين هو العمل وهؤلاء افرطوا في الجدل فشطوا عن مقصد الدين كما شط مجادلوهم من الجبرية الخالصة والجبرية المتوسطة والمرجئة .

لكن القوم بما صنعوه في احتجاجاتهم وبما اضطروا مناظرهم ان يقدوهم في النظر والاستدلال قد رفقوا شأن العقل كما يجب له ووسعوا ميدان نظره وقرروا آداباً مهمة وقوانين محكمة في المناظرة من حيث هي وفي المناظرة في موضوعهم هذا بخصوصه . من اهم تلك الآداب معرفة كل منهم ان مناظرهم نظيرهم . وعدم تكفير بعضهم بعضاً لوجود المبانيه بالفهم . ولا يفتنك عن تسليم هذا شذوذ البعض عن هذا الادب الشرعي . المعتمد على اصل شرعي ، ومن اهم تلك القوانين تقريرهم جميعاً ان الدليل العقلي القطعي يقدم على الدليل النقلى عند التمارض ويستعان له بالهجاز والتأويل لتلا يذهب سدى كذا قال بعض الاذكياء . واقول ياليتنا استفدنا هذه الفائدة التي اشار اليها من غير باب الجدل في الدين . والتجربة ترينا ان هذه الفائدة لم تتم الا في اعقل للباحثين واكملهم قصداً واوفرهم حكمة وليس هؤلاء بكثيرين حتى نقول ان مخالفتهم قد شذ . نعم ليس بمنكور

عندي ان ضيعهم ذلك رفع شان العقل وكاد ان يبلغه اشده في هذا الباب ويسير به الى ابواب اخرى من استمراف اسرار الكائنات وحكم الشرائع عامة، والشريعة المحمدية خاصة ويومئذ كان يرجي للدين دوام سيره وانتشاره على السيرة الاولى ولكن هو الخطأ في الدين يقف به ويمنع سيره ان كان قوياً ويزهقه ان كان ضعيفاً .

نرجو أن تكون قد عرفت مما تقدم ان مدار الفلسفة الالهية الاسلامية على آراء «المعتزلة» ومناظريهم . أما مناظروهم فملتكامون من أهل السنة (وأشهرهم الأشاعرة) والقيون من أهل السنة والفلاة من الفريقين كالجبرية والحشوية والمشبهة والمرجئة، والفوف في كل شيء مذموم .

وقد أجلنا هذه الفلسفة عن أن نمدني أهلها وأئمتك الذين يتشيعون فجزل إمينه أو يتعصبون عليه وان عدم الناس الباحثون في فرق المحمدين . اذ الشريط أن نحكي ماله علاقة بالفلسفة دون مالا علاقة له إلا بالهوى والسياسة .

وهذه أول كلمة نوجه العلم الكلام وعلماؤه متأسفين على اشتغال أفاضل أهل هذه الصناعة من المعتزلة ومناظريهم في هذه المسئلة التي أو مانا اليها . وائز كان للمتقدمين منهم عذر لأن الزمان زمانها فليس للمتوسطين فضلاً عن المتأخرين وجه من الوجوه المزيئة أو سبب من الاسباب الحاملة اللهم الا هوى البعض وتقليد البعض ولا يؤلم قلبي الا المتبعون على عمه الذين نزلوا أنفسهم منزلة القاصرين .

والكلمة الثانية أوجه الجهورم أيضاً على عدم تروى كل منهم في كلام الآخر . لأننا حين السائل والتروى نجد اختلافهم انما هو على الاصطلاحات دائر . وقلما نجد بينهم اختلافاً عظيماً في حقيقة من الحقائق بل اختلافاتهم

مع الفلاسفة يمكن القول فيها هكذا أيضاً. ولتوضيح هذا نورد هنا أمثلة:

(١) هل بين المقول السابقة اختلاف في أن الموجودات ترجع الى مبدأ. هل بينها اختلاف في أن مبادئها يجب أن لا يكون قبله شيء. هل بينها اختلاف في أن النفوس مستشرقة دائماً أن تعرف ما هو ذلك المبدأ.

٢٥ ما هو ذلك الشيء؟ وهنا الاختلاف إذا لم يترؤ الناس مع بعضهم واذا ترووا فلا خلاف. نحلل هذا السؤال الى أربعة: (١) ماهي ذاته (٢) ماهي صفاته (٣) ماهي أفعاله (٤) ما هو اسمه؟. اما السؤال الأول فاجواب كل عاقل فيه لانعلمها. لا يخالف في ذلك عقلاً ملئ ولا فيلسوف على اختلاف فرق الملمين والفلاسفة اللهم إلا من لا يتدبرون. واما الثاني فالجواب فيه لا يوجد لأنه لم يحس، ولا يوصف لأنه لم يعرف، لا يخالف في هذا أيضاً. ومن يصفونه من الملمين لا يصفونه بعقولهم بل يتعمون فيه الوحي ويشوضون الأمر في علمه. ومن يصفونه من الفلاسفة فانما يصفونه بما هو متضمن وجوده كقولهم: واجب الوجود: بل جعلوا ذلك علماً عليه. وانت خير أن هذا ليس وصفاً. واما الثالث فالجواب فيه ان فعله البدء والتصوير. وهذا لا يخالف فيه أحد أيضاً اللهم الا الجاهلون جهلاً مركباً. ولا يبد خلافهم خلافاً ولا يجدر بما قل أن يتصدى للزبد على من يقول ووجدت الاشياء بنفسها. وقامت منتسقة لخالها.

جهلنا فلم نعلم حقيقة نفسنا وقلنا بأن الكون قام بنفسه!!!

واما الرابع فالجواب فيه بالاتفاق ان هذا يختلف باختلاف اللغات ولا يعرض هذا الاختلاف للتصور تبعاً للاختلاف في اللفظ كما لا تختلف النفوس في معرفة الأبيض لكون الدال عليه مختلفاً. ولا أرى العقلاء

الإلهية على أن اختلاف الاصطلاح كاختلاف اللغة فلا يجب تجافي
اللي عن اصطلاح الفيلسوف ولا تجافي هذا عن اصطلاح ذلك. هذه الكلمة
تغنيك عن أكثر ما في علم الكلام الذي ولع أهله بتشبيب الاختلافات التي
منشأها اللفظ لا التصور كما ستري في الامثلة الآتية وأنت قس عليها .

(٢) كيف بدأ ذلك الشيء غيره ؛ أي عاقل يجاسر على ادعاء معرفة هذا من
طريق العقل على وجه اليقين . هل ثمة من يجاسر على هذه الدعوى . وهل
من يجاسر عليها عاقل ؛ مع صعوبة هذه المسألة لا تجد الناس سكتوا في
جوابها . أما المليون فخلها لهم الوحي فقالوا أراد ان يوجد فأوجد . وقال
ناس من الفلاسفة نشأ عنه غيره وجوباً (أو عبارة هذا ما لها) وللثريتين
كلام كثير . ولئن سألت اللي هل تعرف ارادته ؛ وهل يمكنك أن تشبها
بأرادتك التي تعرفها ؛ ليكون جوابه لا ، ولئن سألت الفيلسوف ما الذي
أوجب أن ينشأ عنه غيره وهل تعرفه ؛ ليقولن لا اعلم أو يحتج أن سأل يجوز
ان يكون بمعنى الإرادة التي يقول بها اللي ، فكلاهما بالمجزع عن الإدراك
مشتركان ، وعلى وجود غيره بتأثيره (الجهول عندهما) متفقان ، على أن
للتكلمين صرحوا بان الإرادة القديمة (نلك التي لا يعرفونها) توجب المراد ،

(٣) متى اوجد ذلك الشيء غيره ؛ لم يجب عن هذه المسألة المتفلسفون ولا
اللاهوتيون المحمديون . ولكن قال اللاهوتيون (التكلمون) ان ذلك
الموجد قديم وفسروه بأنه غير مسبوق بعدم وان الموجودات حادثة أي
مسبوقة بعدم ، وقال المتفلسفون هو قديم وهي قديمة ، وللثريتين كلام
كثير ، وهذه المسئلة لا خلاف فيها أيضاً ؛ لأنهم متفقون على أنه أوجدها
وعلى أنهم مجهلون متى أوجدها ، وما كان للي أن يفتي ما ليس له به علم

من العقل ، ولم يسمع فيه كلاماً من الوحي ، فليس في الدين ما يحمله على الخوض في هذه المزال ، وما كان الفيلسوف أن يجزم بشيء لم يتم عليه دليل يقيني ، فهما متفقان على العجز هنا إن تقاربا للحق ، كما تنفقا على العجز عن معرفة كيف أوجدها ،

هذا والمليون (تقيوم وعطيوم) قد يسألون عن أشياء لا يسأل عنها الفيلسوف الذي لم يتبع ملة . يسأل هؤلاء عن نصوص لا يستطيعون إتقانها على ظاهرها كالنصوص القائلة ان السموات والارض خلقت في ستة أيام . يقال لهم هل هي أيام مثل التي تعرفونها أم أيام أخرى لا تعرفونها ؟ إن قلم بالاول فالأيام هذه انما عرفت بعد خلق السموات والارض . وقد كان المقصود مقدار مدتها دل ذلك على ان تلك مدة وزماناً . وان يتبين اني (وهو الذي نقوله) فقولوا انعرف انه خلقها وان كان انعرف كيف خلقها . ووتى خلقها . وتم خلقها . وتؤمن بقول الله تعالى « ثم استوى الى السماء وهي دخان فقال لها وللارض ائتيا طوعاً أو كرهاً قالتا اتينا طائمين . »

٤) لما وجد فينا شيء غيره ؟ وهذا محارة أيضاً للعقل ويثني أن يجتهد هنا أيضاً على العجز عن المعرفة . على أن اني يقول الحكمة خفة به فيصح ان يقول الفيلسوف مثله « وما اوتيتهم من العلم الا قليلاً »

٥) ما هي صفات ذلك الشيء ؟ فلتأمة الجواب مختصر اولكن هذه المسألة جديرة بزيادة البيان لأن الخلاف العظيم فيها بين المليون انفسهم . بين العقلين منهم والمعتلين اولاً . وبين المعتزلة من المعتلين والاشاعرة ثانياً . وواجب أن تأتي الخلاف الحقيقي هنا كما نقيته بينهم وبين الفلاسفة في الأربعة المارة .

قال النقليون ومتبهمهم من المتكلمين ان الله قديم وعلمه قديم وحياته قديمة وسمعه قديم وبصره قديم وكلامه قديم وارادته قديمة وقدرته قديمة وفعاله قديم . وقال المتزلة هذا يوجب تعدد القدماء فالله ذات مستجمعة لصفات فهو عالم صرید قادر حي سمیع بصیر متكلم . وهو قديم . وصفاته عينه . وقال الأشاعرة هي امور زائدة على ذاته لاهي عينه ولا هي غيره . ولكل كلمات سموها ادلة مروفة في محلها . ونحن نقول اذا ترووا فلا خلاف . وتوضيحه ان الكل قائلون هو حي عالم صرید قادر سمیع بصیر متكلم والكل قائلون ان معنى الحي ذو حياة والمالم ذو علم الى اخره . والكل قائلون هو واحد . فاذا لم يبق الا ان هذه الصفات زائدة او غير زائدة؟ بقي الخلاف لفظياً عند المدققين ولا يلزم من القول بها تعدد القدماء كما توهم البعض . ولا من عدم القول بها فيها كما توهم البعض وليس للحس هنا مبالغ من العلم ، ولا للعقل سند في الحكم ، ولا في الدين قول يحمل على الجزم

اما الخلاف بين النقليين والمقلين فهو في فهم بعض الاشياء التي وصف بها الباري وبعض الأعضاء التي نسبت اليه وهو في الظاهر خلاف مهم جداً . وقد ظهرت آثاره من القول الى الفعل وخلصه ان كل طائفة من هذين الفريقين تنقسم طائفتين معتدلة وغالية فنحن لا ننكر وجود الخلاف حقيقة بين الغاليتين منهما ولكن الخلاف بين المعتدلتين ترجحه لا الى شيء . توضيحه ان المعتدلين من النقليين قالوا : ورد الوحي بصفات للباري فنحن نقف مع عبارة الوحي وقفة النأدب الحكيم ونصفه بما ورد فيه لا نفي معانيها ولا نعتد أنها كالمعاني المخصوصة بالمحدثات وهذه هي طريقة

الصحابة ومن تابعهم عليها (قلت وليس على هذه من غبار) ثم المتفكرون من العقليين قالوا: إننا قد علمنا انه ليس كمثل شيء فعلنا من هذا العلم ان الكلمات الموهمة تشبيهاً لا يصح اعتقاد معانيها كما يعتقد في المعاني المخصوصة بالحدثات فاستفدنا لها معاني قريبة راعينا فيها قرائن اللغة وقرائن كلام الوحي (قلت وهذه ايضا ليس عليها من غبار) ولقد لاح من هذا ان لا خلاف بين الفريقين . غاية الامر ان اولئك اججموا عن ادعاء التفسير وهو لاء اقدموا ولم يأتوا في تفسيرهم منكرآ من القول ولا تباعدوا عن القرائن ولا تمدوا حدود ما ورد من الكلمات . فهذا لا يعد خلافاً .

اما الغالية من العقليين فاعتقدت الكلمات على ظاهرها وربما تمتسها الى غيرها . واما الغالية من العقليين فلم تعتقد شيئاً على ظاهره فلام منكرون للنصوص ولاهم وافقون معها قاط . وهم مختلفون ايضا . فالبون إنما هو بين هذين الفريقين . وقد اشتبه على الناس الذين لم يعرفوا هذا التفسير فاعتقدوا بالسلف ومعتدلي خلف ما لا يبرر . هذا هو تحقيق الامر في هذه المسألة ونحن من الغاليتين برآء . ومع المعتدلين سواء .

(٦) ما هي افعال ذلك النبي؟ صر الجواب عن هذا آنفاً مختصراً والكلام هنالك مع الفلاسفة من غير الملمين وأعدناه ههنا لخلاف في الظاهر بين الملمين الفلاسفة ومناظرهم . قال العقليون ومتابعوهم من المتكلمين ان الله تعالى يفعل كل شيء يقع في هذه الدنيا . وقال العقليون ان الله تعالى خالق خواص وأسباباً وأسند اليها الفعل . قلت هذا اصل لمسئلة مهمة . وهي ان الانسان من جملة الأشياء وفعله من جملة الأشياء فلي رأي الاولين ان الله يفعل الانسان وفعله . وعلى رأي الآخريين ان الانسان يفعله الخاصة التي

خلقها الله . وفعله يفعله هو بالخاصة التي آتاه الله ايها . واقول هل ثمة
 من لا يجب من عدم تروى التعريفين في هذه المسألة التي كل كلام فيها
 يرجع الى نقطة واحدة . ألم بأن للذين آمنوا ان يعلموا ان الله خلق
 الانسان عاقلاً متصرفاً في هذه الدار بنيره من جماد ونبات وحيوان .
 ومحاسباً على عقله وتصرفه . ومهائناً او مكرماً بسله فيقولوا كيفما شاءوا
 ان يقولوا . افهام بمؤمنين بأن الانسان محاسب على عمله ومجزى عليه ؟
 أراد المتزلة ان ينفوا الشرور والقبائح عن الباري فقالوا الانسان هو يفعل
 فعله . واراد اهل السنة ان لا يثبتوا في الوجود معه فاعلا فقالوا الله هو
 الذي يفعل كل شيء . اطو المراتب في عين الاولين ، وابطها في عين
 الآخرين . تجدهم متفقين كاتفاهم على ان المرء مأخوذ بسله وهي المرتبة الاخيرة .
 وفي هذه المسئلة تولد من البحث غلاة من التعريفين غالية قالوا بالجبر
 المحض وافرطوا في تقرير ابتداء الالهية غالية قالوا بالاستقلال
 المحض وافرطوا في تقريره ابتغاء التوصل لفصل الكون عن المكون في كل
 الشؤون . ويومئذ لا يتقى ولا يرجى ولا يدعى وفي هذا مصادمة لنصوص
 الدين وامساره . على ما فيه من الرجم بالغيب واتباع الظن المحض الذي
 لا يليق بالعقلاء لانه يضرهم ولا ينفعهم
 في هذه الامثلة الستة قد اوضحنا تصديهم للمجادلة فيما لا خلاف فيه
 وفيما التبس عليهم من الامر ولا اريد ان اتكلم على اختلافهم في خلود
 اصحاب الكبار وعدم خلودهم . بل ولا في اختلافهم في خلود الكفار
 وعدم خلودهم . واكتفى في هذا العمل بكلمة خرجت من بيت النبوة قالما
 احدائة اهل البيت وهي . ان الله اراد منا اموراً . واراد بنا اشياء .

حجب عنا ما اراده بنا . وبين لنا ما اراده منا . فالاجدر بنا أن نُشغل
 وتعاون فيما اراده منا . ولا تتجادل وتتخاذل فيما حجبه عنا مما اراده بنا .»
 هذا والكلمة الثالثة من اللاتي أردنا أن نقولهن أوجهها للناس من أهل
 عصري لا يزالون يحرصون على دراسة الكتب المدونة في علم الكلام
 ويجتهدون في حلها وتفسيرها . ولا يسمحون لأنفسهم ان ينظروا في
 غيرها من كتب الفلسفة المصرية . ولا ان يتمدوا حدود ما كتب لهم
 الاولون من اصطلاحات وتريفات . وما قرروا لهم وكتبوا عليهم من
 مذهب واعتقاد . أقول لهؤلاء : ^(١) ان تلك الكتب كتبت على أسلوب
 الفلسفة القديمة . والآن قد تغيرت الرسوم ، ودرست الرقوم ، وحدثت
 بعد تلك العلوم علوم ، فقرأوا ما يسرنا وجدتموه موافقاً للدين وهو
 الأكثر فاحمدوا الله على هذا التوافق ، وما وجدتموه مبيناً فاسموا في معرفة
 أسباب التباين . ^(٢) علم الكلام فائدته على ما قالوا المتلقي من حضيض
 التقليد الى ذروة الايقان وأنتم في هذه الكتب تلتزمون مذهب رجل
 ممين وتحنظون حدوداً وتعاريف ما أنزل الله بهامن سلطان . ولا شهد بجلتها العقل
 ببيان . فالذي تزعمون الخلاص منه هو الذي أنتم فيه . ^(٣) ان الشبه التي
 تقرأونها في كتبكم هذه قد تسمعون خلافها فينبغي ان تكونوا مستعدين
 للاحتجاج على كل شبه كما هو مطلوبكم من هذه الكتب وهي لا تفي بمطلوبكم هذا
 والكلمة الرابعة أوجهها للناس . آخ من من أهل عصري ، دأبهم
 الاستهزاء بالذين ماتوا . أقول لهؤلاء ^(٤) ان الذين ماتوا لم تختبروهم .
 ولم تعلموا السبب في كثير من مقالاتهم ^(٥) ان الناس قد يحدثون مقالات
 بحسب زمانهم ومكانهم وغرضهم . ان الحاكم ^(٦) ان الحاشية

محسوس . وحاله محدود . يقتدر المرء ان يعرف الحكمة في مقالاته
والناس منهم مخلصون لاحكامه في مقالهم ولا سر ولا غرض الا قول
الحق وبذل النصيح ومنهم ضد ذلك ^(١) ان أخذ الاداة عن الاحياء
المخلصين والاستهداء بهم في دفع الشبه أولى من الاستهداء بالذين لانعلم
من أمرهم شيئاً . واعنى بهذا ان يعالج المصريون أنفسهم من بعض الجمود
والكلمة الخامسة أوجهها لناس آخرين من أهل عصري قد قرأوا
شيئاً من الفلسفة وما قرأوا شيئاً من الدين فأمام حيارى في الأمر وإمام
مارقون من الملة . أقول لهؤلاء ان طريقة الدين حنيفة سمحة . أركان
اعتقاده معرفة ان لهذه الموجودات موجداً هو « الله » . وانه لا يشبه
شيئاً من الموجودات . وانه متصرف فيها مديراً لها . وان الانسان الذي
ميزه في عوالم الارض بالعقل مسئول عنده عن عقله وعمه عمل بعقله . وان
محمداً (صلى الله عليه وسلم) النسي العربي أرسله ليتم مكارم الاخلاق .
ويرشد الناس على الاطلاق . وأركان عبادته ذكر الله تعالى بصلوات خمس
في اليوم لتخف الغفلة المهلكة . وضوم شهر في السنة لتغلب النهضة المتعبة ،
وحج في العمر الى حيث يتلاقى الاخوان في البيت الحرام والمشاعر
المعلومة لتؤكد الوحدة الملية وتزداد الالهية . وإتاء الزكاة في الحول
للفقراء والضعفاء لتجبر الحاجة المضطرة . وبناء أحكامه على العدل في
الحقوق ، وبناء آدابه على الاحسان للمخلوق ،

هذه جملة الدين ولا وادلاته فريده من قيود هذه الجملة فيجدر بكم
أيها الاذكياء ان تعرفوا بالدين وأسراجه لتجهوا بين فائدة الفلسفة التي
تنور عقولكم ، وبين فائدة الدين التي تزي نفوسكم . وان سألتوني ما الدليل

على صحة الوحي الذي هو أساس الأديان . وما الدليل على صحة دعوى النبي العربي (صلى الله عليه وسلم) فأقول اني لست بأعلم منكم فتفكروا يظهر لكم هذا الامر العظيم على اني لأضن عليكم بما في مما عرفت

طريقة في اثبات الوحي

اني تفكرت أولاً (والانسان خالق متفكراً) في : ماهو العقل الانساني الذي ميزه على الحيوانات المدركة بمحواسها فقط بل ماهو الادراك ؟ فلم أستطع علم هذا . سألت أعلم الناس الذين اجتمعت بهم من عرب وترك وفرنس وهنود وافرنج فلم اهدأ لهم هذا

رجعت الى آثار الموتى قلبت في الكتب أوراقاً تعد بالآلاف فلم انف المطلوب . فكنت اعياء عن طلبه سكوناً حالياً . واكتفيت بمعرفة انه قوة عظيمة قد رفت الانسان الى طبقات الكواكب وهو لم يتحرك لجهتها فأرته بغير عينه بدائع صنعها ، واتقان نظامها ، وصورة دورانها ، وشكل تقابلها بمضها مع بعض . وهبطت به الى طبقات هذا الكوكب الذي هو فيه (الارض) فأرته بعينه وبغير عينه بدائع كونها ، وخزائنها أسرارها ، وانتظام سيرتها ، وبصرته انه (أي الانسان) هو سلطان عوالمها ، تنقاد كلها لتصرفه ، وتصبر تحت أمره ، فهو المنفرد في الارض بحياة جامعة للعلم (بالشاهد والغائب) والقدرة (على التصوير والتشكيل) والآلات (لما يلزم البدن وما يلزم المقار) . الكلام الذي يبلغ به ارادته للحاضر منه بواسطة الآلة البدنية الطبيعية ، وللغائب عنه بواسطة الآلات المادية الصناعية ، منها هذه الكتابة التي تبلغنا كلام من قبلنا من أهل الادوار ، وتبلغ كلامنا للناس . والآتي بعدنا في الاجيال .

هذا التصرف الذي يسمع به المشرقي ما يريد المغربي في لحظة من الزمان) والسمع (الذي نفهم به إرادة غيرنا .) والبصر (الذي يطبع في فكره صور الأشياء) فبمجموع مزايها هذه الحياة كان له السلطة والتصرف في عوالم هذه الأرض تصرفاً تاماً لنواميس هي فوق إرادته . وفوق سمعه وبصره . وفوق علمه وقدرته . وفوق أمره ونهيهِ

هذا القدر عرفت بادئ بدء من آثار تلك القوة العظيمة التي هي العقل وبهذا القدر تم لي معرفة ان هذه القوة هي أكمل وأعظم قوة في العوالم الأرضية . وان تلك النواميس التي هي فوقها وحاكمها عليها يجب ان تكون من عالم آخر

ما هو ذلك العالم : هذه نقطة ثانية سرج انيها فكري وفي هذه الدرجة وقف عقلي زماناً كثيراً يلتمس الدليل في مراجعته هذا ثم اتاه الدليل من نفسه . فقال ان ذلك العالم هو العالم المحجوب عن حسنا المعروف بالمأخوف عند تصورنا . هو عالم الخفايا والتوى والطبائع التي نعرفها بأثارها ونجهل كنهها وذواتها . هو عالم العيب وهو بحر عظيم لاساحل له والذي ظهر لنا منه نقط قليلة بعد ظهور امثلتها في عالم الشهادة . قال بعض الاذكياء وكان لا ندرك السر في قيام هذه الكرة في الفضاء ثم علمنا من امثلة ظهرت للحس ان هنالك قوة مسكها ، لا نرى تلك القوة بأبصارنا ، ولا نسمها بأذناننا ، ولا نحسها بأيدينا ، ولا نشمها بانوفنا ، ولا نذوقها بلساننا ، ولم تبلغها عقول الاكثريين منا من المتقدمين والتأخرين ، واليوم دركنا بعض اقصاب العلم الباحثين في اسرار الوجوه ونزوب ادراكها لعقولنا فصرنا نقول بها . ونلحق بالاسم الذي وضع لها (الجاذبية) وكذلك كنا لا

ندرك السرفى حركتها ثم ظهر . وكنا لانعلم كيف تكونت ومتى تحركت
ويدعى البعض اليوم أنهم يملون ذلك . وكذلك كنا لاندرك طبائع
الأجسام البسيطة والانس اليوم انما يعرفونها بآثارها وبخواصها في البساطة
وبعد انتركب - كل ذلك يرشدنا الى ان عالم الغيب (اي الأسرار التي حجبت
عنا) واسع . وقلة ما انكشف لا ترشدنا الى انحصاره فيها واحاطتنا بمجموعها
بل ترشدنا الى ان ما جهلناه كثير بالنسبة الى ما عرفناه وتأمرنا ان نقف
عن تعيين طرف لهذا الميدان الذي خوات البصيرة ان تجول فيه وحرم البصر
قلت في فكري ان الانسان محكوم في خلقه لنواميس تحدث
خواطره وخواطره متضادة متنازعة كمال التضاد والتمنازع . فإما ان هنالك
قوانين متضادين (من جنس القوة التي هي العقل) مسلطين عليه وتصرفه
تابع لتفوذها على النسبة . وإما ان الأثرين المتضادين منفعلان عن المزاج
الإنساني المركب . من متضادات . وعلى الرأي الأول فالقوتان إلهما
وجود خارج الجسد . أو لا وجود لهما الا في الجسد . وان وجدنا خارج
الجسد فللمادة التي تقو بها اما سيطرة واما مركبة . هذه أسئلة تخنطر
في بال الذين يريدون ان يتوصلوا للحقائق من طريق كونيها لا من طريق
اسميتها . والعقل السليم يعلم ان هذه الاحتمالات كلها جائزة . والقول
بكل واحد ينفع في الدلالة على ان النواميس التي لها تفوذ على الإنسان
هي أمور وجودية لها الملافة العظمى في تفاوت أفراد النوع العاقل هذا
الذات العظيم الذي برئنا رجلا يقيم أفضل شرع وأكمل آداب . ورجلا
كذلك من الخار والكهرياء وما يفعالن من سحر الالباب بروائع
آثارها وبدائنها . ورجلا يستحوذ على قلوب الألوف المؤلفة بديان يبنيه

ويستنزل النفوس عن محبة الحياة فيقذفها بين القواصف والقواذف .
ورجالا كثيرين لا يعرفون من الامر الا حيوانية وموتانا .

ولنا ان نقول ان النسبة بين الانسان وبين من هو دونه مخنوخة
بواسطة قريبة منه ومن التي هي دونها (كالنبات مثلا هو قريب من
الحيوان لنموه مثله ومن الجماد لعدم تحركه بالارادة مثله) ونعلم قطعا ان
الانسان على عظمته في الارض غير كامل . اما من حيث الصورة فلقناها
واما من حيث الخاصة فتردده في تحصيل ما يمتد به سعادة (ولذلك يعيش
الانسان في هذه الارشاقيا على كل حال اما بالآلام والأتعاب الجدية
واما بالآلام والأتعاب الفكرية واما بهما معا) فيجب ان تكون النسبة
المخنوخة بالسلسل مع من دونه مخنوخة أيضا مع من فوقه . وليس في
عالم الحس فوقه شيء

ففي عالم الغيب خاتمان متضادان (تضاد الملبح والقيح) لهما علاقة
بالانسان كعلاقة الانسان بمن دونه . وعلاقة الانساب بمن دونه هي
احتياجه اليها التكميل خاصته واحتياجها اليه لظهور خواصها فعلاقة هذين
هكذا : يحتاجان اليه (بسنة الله في الخلق) لتكميل خواصهما ويحتاج اليهما
لظهور خاصته . هذا القدر يكفيني ويكفيك ولا تساني عن اسميهما
وكنهيهما فاني اكره جدا ان يختلف الملاء بسبب الأسماء وأحب تقاربوا
من رب المعاني ويعتبروا الدلالات عرضا تابعا ويتساهلوا مع بعضهم
في الاصطلاحات كيلا يكون سبب اختلافهم

أما خاصة الانسان التي يغيب تكميلها مادام حيا فهي التصرف بعوالم
هذه الارض . فأما الذين تغلب فيهم قور محبة الخير فيلهمون تصفية العقل

الغريزي (القابل للصفاء والكدورة) فتظهر في مرآتي أفكارهم صور
 المعقولات . وتشرق عليهم من عالم الغيب أسرار ومعارف يحسن بها
 تصرفهم ويحمد آثارهم ويسبق ذكرهم حيا اذا اضمحلت صورهم يوما من الايام
 واما الذين تغلب فيهم القوة الاخرى المضادة فتكدر عقولهم وتنشوش
 بكثرة الوسواس والتردد ويكثر شقاؤهم في طلب المشتهيات المادية وان
 تنتهي وحرمانها اكثر من حصولها والتم النزاح عليها والتذابح لا توازيه
 ولا تسكنه لذتها . فبسوء تصرفهم يذم عقباهم ويموت ذكرهم كما يموت
 ذكر الانعام التي تحيي زمانا ثم تهلك .

ولما كان الانسان على هذه الصورة من التضاد المحسوس الذي
 يتبدى في النفس على وجه التردد ثم يفرج ويتأدى به الخطوط المتباينة
 وكان بحكم هذا التضاد منقسما الى ابرارهم اقل وأشرارهم اكثر لم يستغن
 عن قانون عام عادل وآداب جميلة مهذبة للنفس ومعينة للقانون وعند قراءتنا
 في ماضي الانسان نجد ان الله جبر نقصه هذا فاصطفى من البشر ناسا
 هداهم ، اوحى اليهم ، علمهم شرائع وآدابا كما اقتضته حاجة الناس . وما
 وجدنا قط امة مرتقية ليست على اساس واحد من اسس الدين الذي
 جاء به المصطفون .

وهذا التضاد كما هو دليل (اول) على ما ذكرناه هو دليل (ثان) على أن الباري
 تعالى هو المدير للوجودات . لان تصرف الانسان الذي نوهنا به تصرف
 ناقص كما هو محسوس ، وتصرف احدي التوتين ناقص ايضا كما هو
 متناول ، ولا بد لنا من تصرف اهل لاله ظهر لنا شيئا شاهد ان هنالك
 قوة ما هو اكمل التصرف الاكمل هو لا كل شيء فيجب ان يكون

هو الباري تعالى وب العالمين . فكان الله تعالى خلق الانسان خلقاً خاصاً
مدركا ليعرفه بنفسه وخلق فيه امثلة من الكمال ليعلم كمال الله ويعرف ان
يعجده - وهو الغني - بعبارات يستعيرها . واوصاف يستعين بها مما عرف
من الكمال المتجلي بنفسه المصنوعة على ابداع مثال في المحسوس ، وأقرب
مثال في المقول ، ثم ليدل بتقصه على كماله لم يجعله جازماً مستقلاً في ارادته
ولا دائماً مستمراً في حياته ، ولا متحداً منتظماً في كلامه ، ولا مجيداً في
كل تصرفه ، ولا كاشفاً لكل شيء في علمه ، بل لم يجعل افراده وهم واحد
في النوع على نسق واحد في الإرادة والحياة والكلام والقدرة والعلم .
فكانه اراد ان يبين بهذا التفاوت في الأحوال والدرجات ناقصاً منهم واتقصر
وكاملاً واكمل لتجلي برهانه ان له الساطان والملك ويده الامر كله والحكم
وهو دليل (ثالث) على ان الشرائع والاداب التي جاء بها المصطفون انما
هي بوحى منه لانها معرفة به باديء بدء نصاً على وفق ما تعرف به
خلقة الانسان حالاً واشارة وهذا اكمل تعريف وهيئات ان يستقل به
عقل الانسان الناقص المنرد والتعريف الحق به هو اول ركن من اركان
الشرائع التي يراد بها زجر النفوس

و « محمد » ذلك الرسول العربي (عليه الصلاة والسلام) قد لبث
في الأُميين زمناً طويلاً من عمره . ثم ظهر عليهم وهو الأُمي بمعارف من
عالم الغيب يعلماً شرحها على اسلوب الفلسفة دفاتر ، وأتى من القواعد العامة
التي تصالح شرعاً لكل زمان ومكان بما يعلماً التفريع عليه أسفاراً ، ومن
الآداب الجميلة بكلمات يسيرة ، بما يمجز أساطين علم الأَخلاق عن
ترتيب مثلها بدواوين ، قام بالامر وحيداً . وصدع بالهدى على رؤوس

الملاّ فقول بل بالرد والدّع . فصبرت نفسه ولم تجزع ، وكبرت همته ولم
تصغر ، واشتد عزيمته ولم يضعف ، وما زال يخطب ويدعو ، ويؤنب
طوراً ويترقق مرة ، حتى انتصر وأمر أمره . وتهدب على يديه جماعة
منهم يقولون ان تسلطوا بسلطاتي العدل والاحسان على الأرواح والاشباح
وما زال اسمه ينمو ، ودينه ينمو ، حتى طاف المشارق والمغرب ، واستقر
في نفوس الاعاجم والأعرب ، فماني دينه من الأدب الرافع ، والنظام
النافع ، وماني قومه الذين رباهم وأرشدهم من علو الهمة ، ومضاء العزيمة ،
وماني انتشار دعوته في حياته وبعد مماته هذا الانتشار العجيب ،
وما في سيرته الخصوصية من الكمال الانساني البديع ، وما في بقاء
قرآنه على الحفظ من التبديل ، وما في وعوده التي وعد بها المؤمنين
(كتمكهم في الارض وصيرورتهم خلفاء في الارض) من الصحة ، كل
هذه تكفي من سلمت فطرتة ، وصحت فطنته ، ان يعلم صحة دعواه ،
وفضيلة هداه ، ولا ينكر هذا الا مقلداً أو معانداً . اللهم صلى وسلم عليه
ماشرك الشاكرون ، وذاكره الناكرون

—اليوم الآخر—

بين الفلاسفة والمتكلمين اختلافات كثيرة في امكان الحشر وعدمه
وفي وقوعه وعدمه . وفي لزومه وعدمه . وفي كيفيته . ونحن نختم هذه
الرسالة بهذه الكلمة :

العقل حين يرى ان الانسان لم يبلغ في هذه الحياة غايته من سبيل
الارتقاء . لا من حيث الصورة لأنه يموت . ولا من حيث الحال لأنه
في شقاء الطلب الهرب . وفي شقاء التردد بين الحصول والحصرمان

والتوفيق والخذلان ، ولا من حيث العقل لأنه محبوب عن عالم الغيب ،
 ينجح الى انه لا بد من يوم آخر ليبلغ فيه الانسان غايته من حيث عدم
 الفناء ، ومن حيث عدم الحجاب ، ومن حيث التخاص من الاضداد ، فينقسم
 فيه الناس الى صنفين متباينين قسم في جنة نعيم البال وسعادة الرضاء بما
 كسبوه في حسن تصرفهم ونعم المصير . وقسم في سعي شقاء الخال وشقاء
 الندم على ما اجترحوه بسوء تصرفهم وبئس المصير .

تعني هذا أوجه حسنة وعقلك الى انتهاء الاجسام المركبة الفانية الى
 اجسام بسيطة باقية سواء رجعت بها الى المبدأ او ذهبت بها الى
 المصير بنصير ما . فهذا يرشدك الى امكان ان يرجع الشيء الباقي لاسمه
 مهما امتزج بغيره . والروحانيون من الفلاسفة لا يقولون بفناء الروح كما
 لا يقول الماديون منهم بفناء البسائط . فالروحي ان يلزمه ان لا يستبعد
 رجوع هذه الروح يوماً من الايام كما جات اولا للماهية التي عرفت بها لتبلغ
 تلك الماهية بهذه الروح في ذلك اليوم غايتها التي اعدت لها . وللمادي
 يلزمه ان لا يستبعد امتزاج تلك البسائط امتزاجاً تاماً في يوم آخر كالاتزاج
 الاول الذي حصلت منه ماهية حي من الاحياء ليبلغ هذا الحي بهذا الامتزاج
 الثاني (الذي يحصل على كينية ثانية) في هذا اليوم الاخر غايته التي اعدت
 له . وعاء على من يعلم ان الماس (هذا الجوهر الكريم عندنا قد استخلص
 من جنسه الفحم حتى صار كما يرى ان يستبعد ان يستخلص الانسان
 (هذا المخلوق المدرك الكريم عندنا طره تعالى) من جنسه الحيوان .
 وفريق منه من نوعه الانسان بأعظم من هذا المثال . اما اذا لم نقل باليوم
 الآخر فأن تمييز الانسان على الحيوان اذا ما مائنة واحدة وابن تمييز

الابرار على الاشرار اذا كان الامر مقصوراً على هذه الحياة .
اقول قولي هذا واستغفر الله وانيب اليه واسأله لي ولكم الهداية
والتوفيق الى سبيل السلام . اه في رمضان سنة ١٣٢٠ (ع . ز)

﴿ باب شبهات المسيحيين . ومجيب المسلمين ﴾

« يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ
سَمْعٍ وَرَاعَيْنَا آيَاتِ السُّنَنِهِمْ وَطَعْنَا فِي الدِّينِ . وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا
وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَقْوَمَ . . . »

قد علم قراء المنار أننا لم نفتح هذا الباب الطعن في دين النصراني أو
غيره ابتداءً وإنما فتحناه لرد شبهاتهم التي ربما تكاد تكفي الجاهل بالاسلام
في الدين ، مطلقاً فتفسد أخلاقه ويكون مبيية على نفسه وعلى الناس ، ولا
غرض اطعن الطاعنين بالاسلام الا هذا التشكيك الذي يحلّ الرابطة
الاسلامية ويضعف المسلمين لانه يخرجهم عن كونهم أمة فيكونون أفراداً
متطمين ، لا جنسية لهم ولا دين ، ولو أنهم كانوا يطعمون في تنصيرهم
أماكن لهم عندنا بمض العذر . ولكن التجربة أفادت التاريخ ان الملايين
من النصراني صاروا مسلمين ولا يوجد بازاء كل مليون من هؤلاء واحد
من المسلمين تنصر الا ما كان من أفراد ليس لهم من الإسلام الا وراثة
الاسم من آباءهم لا ودين .

قال السيد الخميني في الدين الأفغاني الحكيم التمهيد (رحمه الله تعالى) :
« ما يوجب الدعوة . . . ذهب الدهريين في الهند وعدم الاقتصار على الدعوة

الى النصرانية ؟ فقال إن المسلم يستحيل أن يكون نصرانياً لأن الاسلام نصرانية وزيادة فهو يأمر بالاعتقاد بنبوة عيسى وحقية دعوته ويرفض الخرافات والبدع التي زادت بها الجمعيات النصرانية في دينه . فلما جرب لدين يتفنون حل الرابطة الاسلامية الدعوة الى النصرانية فلم تنجح عمدوا الى تشكيكهم في أصل الدين المطلق بالدعوة الى الدهرية ،

وكذلك لما رأي مثل صاحب الجاهفة أن تشكيك الناس بالنصرانية قد يسجح في المسلمين من الطريق الذي انبرى لتشكيكهم من الطريق المعبر وبذل جهده لإقناعهم^(١) بأن دينهم كثيره تدو العقل والاسلام^(٢) أن أقتهم في العقائد (الكلمين) ينكرون الاسباب^(٣) أن جمع السلطة الدينية والسلطة السياسية المدنية في خليفة الاسلام ضار بالمسلمين ويريد تأخرهم . ومن رأي صاحب الجامعة أن المسلمين إذا أرادوا الترقى والتجراح فلا بد لهم من سماع نصيحته وهي^(٤) أن يضعوا دينهم في جانب من العقل والعلم لانها قاضيان يهدمه كقضائهما يهدم النصرانية فاداء اولوا الجمع بين الدين والعلم كما ينصح لهم بعض أئمتهم بما ينشر في المنار وغيره فاما محاولون محال بل انما يهدمون دينهم فيخرجون بلا علم ولا دين . و^(٥) أن يعتقدوا أن سنة الله تعالى في الاسباب والمسببات . ضرورة في الواقع خلافاً لما يحكم به الدين وعلما الكلام فاذا صدقوا بالواقع فعلموا ان كذبوا أئمتهم والمكس بالمكس . و^(٦) أن يجعلوا خلفتهم حاكماً مدنياً يتخضع الشرائع والأحكام ويتركوا ما شرعه الله لما شرعه الناس ويحرمون الدين خاصة بالعبادة لله تعالى . أي أنه يجب على المسلمين في رأي صاحب الجامعة أن يتركوا نصف دينهم وهو أحكام المعاملات الدنيوية ونحوها

النصف الثاني لمن يريد أن يترك العقل والعلم والأسباب لأجل العبادة .
 هذا ملخص نصح صاحب مجلة الجامعة للمسلمين ولأجل أن يجمعه
 .قبولا أو رد لهم كلمات عن بعض أئمتهم حرفها عن معناها ليخدع البسطاء
 بها وإنا نشرح هذه المسائل ونبين الحق فيها ليكون حجة على هؤلاء المستدين
 الذين « يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون »

﴿ الأسباب أو سنن الله تعالى في الخلق ﴾

وإثبات الامام الغزالي لها

ذكر صاحب الجامعة في كتاب لفقّه أننا أوردنا قوله تعالى « ولن تجد
 سنة الله تديلا » لإثبات أن النواميس الطبيعية لا تتغير ولا تبدل ثم قال :
 « مع أنه لو قام حجة الاسلام الامام الغزالي من قبره وسمع هذا القول
 لكسر قلم صاحب تلك المجلة وضحك من بساطته وعدم اطلاعه على
 الشؤون التي يبحث فيها لأنه استشهد بتلك الآية للغرض الذي ذكره مع
 أنها لم ترد في القرآن لهذا الامر بوجه الاطلاق »

يقول هذا صاحب الجامعة تمريداً لخلافة المسلمين بأن ما يتحقق هو فيه
 من الحكم بتفسير كتاب الله برأيه الأئمة مقتبس من الامام الغزالي
 الذي حرف قوله عن موضعه ولم يفهم مراده منه .

إذا كان الغزالي يضحك من (بساطة) من أخذ معظم علمه في الدين
 من كتابه إحياء العلوم اعتقاداً وعملاً ودرسه من أول نشأته المرة بعد
 المرة كما درس كل ما اطلع عليه من كسبه بأمان وإخلاص - فهل يضحك
 أو يبكي من (تركيب) جاحد يعاند يلتصق من كلامه كلمة يحرفها عن موضعها

ليغش المسلمين بشيء يخالف دينهم محجاً بكلام امام من اتهم ولا موضع للاحتجاج؛ ترك مثل هذا ونسرد مذهب الغزالي في الاسباب وسنن الله تعالى ونين الحق في المسألة التي اشتبه فهمها على كثير من الناس حتى صار التشكيك فيها متيسراً مثل صاحب الجامعة مع عوام المساميين الذين لا يزال فيهم من يقرأ ما يكتبه ذهبا مع سماحة الاسلام

مذهب الغزالي : قال حجة الاسلام في الفصل الثالث من كتاب التوكل مانعه : « الاسباب التي يجاب بها النافع على ثلاث درجات . تطوع به ومظنون ظناً يوثق به وموهوم وهما لا تثق النفس به ثقة تامة ولا تطمنن اليه . (الدرجة الاولى) المقطوع به وذلك مثل الاسباب التي ارتبطت المسببات بها بتقدير الله ومشيئته ارتباطاً مطرداً لا يختلف كما ان الطعام اذا كان موزعاً بين يديك وانت جائع محتاج ولكنك لست تمد اليد اليه وتقول : انا متوكل وشرط التوكل ترك السعي ومد اليد اليه سعي وحركة وكذلك مضغه بالاسنان وأبتلاعه باطباق أعالي الحنك على أسافله : فهذا جنون محض وليس من التوكل في شيء . فانك اذا انتظرت ان يخلق الله تعالى فيك شئاً دون الخبز او يخلق في الخبز حركة اليك او يسخر ملكاً لمضغه لك ويوصله الى معدتك فقد جهلت سنة الله تعالى . وكذلك لو لم تزرع الارض وطعمت في ان يخلق الله نباتاً من غير بذر أو تلد زوجتك من غير وقاع كما ولدت مريم عليها السلام فكل هذا جنون وأمثال هذا مما يكثر ولا يمكن إحصاؤه » اهـ بحروفه

وبعد ان قرر ان هذه الدرجة لا يأتي فيها التوكل بترك العمل تكلم عن الدرجة الثانية وهي ما كان السبب فيها مظلوناً وبين ان التوكل لا يأتي

فيها أيضاً قال مانعه : « فاذا التبعنا عن الاسباب كلها سراغمة للحكمة
 وجاهل بسنة الله تعالى والعمل بموجب سنة الله تعالى مع الاتكال على الله
 عز وجل دون الاسباب لا يناقض التوكل »

هذا التفصيل في جلب المنافع وقد أورد مثله في منعها وفي دفع
 المضرات التي أسبابها قطعية أو ظنية وبين ان التوكل انما يكون في ترك
 الاشياء الوهمية كالرقية والطيرة والسكي التي ورد بها الحديث . ومما صرح
 فيه بذكر السنة الالهية هنا قوله : « وكذلك في الاسباب الدافعة عن المال
 فلا ينقض التوكل بإغلاق باب البيت عند الخروج ولا بأن يعقل البعير
 لان هذه أسباب عرفت بسنة الله تعالى إما قطعاً وإما ظناً » ثم أورد الشواهد
 من الكتاب والسنة وهي مشهورة .

وقال في الكلام على التداوي وهو من منع المضار هذه الكلمة
 الجميلة « ليس من التوكل الخروج عن سنة الله أصلاً » . وقال أيضاً في تداوي
 النبي صلى الله عليه وسلم « وإنما لم يترك الدواء جرياً على سنة الله تعالى
 وترخيصاً لأمة فيما تمس اليه حاجاتهم »

وأظهر من هذا قوله بعد شرح طويل للاسباب : « فهنا تبين أن
 مسبب الاسباب أجرى سنته بربط المسببات بالاسباب إظهاراً للحكمة
 والادوية أسباب مسخرة بحكم الله تعالى كسائر الاسباب فكما ان الخبز
 دواء الجوع والماء دواء العطش فالسكنجيين دواء الصفراء والسقمونيا
 دواء الاسهال « ياربه الا بي أحد امرين أحدهما أنت فمعالجة الجوع
 والنش بالماء والخبز جلي واضح يدركه كافة الناس ومعالجة الصفراء
 بالسكنجيين يدركه بعض الخواص فمن أدرك ذلك بالتجربة التحق في حقه

بالأول . والثاني ان الدواء يسهل والسكنجين يسكن الصنراء بشروط
 آخر في الباطن وأسباب من المزاج ربما يتعذر الوقوف على جميع شروطها
 وربما يفوت بعض الشروط فيتقاعد الدواء عن الإسهال . وأما زوال
 العطش فلا يستدعي سوى الماء شروطاً كثيرة وقد يتفق في الموارض
 ما يوجب دوام العطش مع كثرة شرب الماء ولكنه نادر . واختلال
 الأسباب أبداً ينحصر في هذين الشئيين والأفالسبب يتلو السبب لا محالة . هما
 تحت شروط السبب ، اه بحروفه

فأي نص في التلازم بين الأسباب والمسببات أقوى من هذه الجملة
 الأخيرة ؟ فهذا هو الامام الغزالي الذي يوهم المسلمين صاحب الجامعة
 بأنه ينكر الأسباب وينكر ان معنى سنة الله التي لا تبدل ولا تحول
 الأسباب وارتباطها بالمسببات . فهل بعد هذا يوثق بقول صاحب الجامعة
 أو بحسن قصده ؟ وهل يجوز لغير العالم الراسخ ان ينظر في قول هذا
 المشكك الذي يريد ان يفسد على عوام المسلمين عقائدهم ؟؟

(التوفيق بين هذا وبين مقاله في تهافت الفلاسفة)

مسألة الأسباب التي شرحها الامام الغزالي في كتاب التوحيد
 والتوكل هي ما يفتقده المسلمون وانما كتبها للمسلمين لانه بين في هذا
 الكتاب مقام التوكل الذي هو أعلى مقامات الايمان . وله كلام آخر
 في هذه مسألة مع الفلاسفة لا مع المسلمين . وكلامه هناك يجب ان
 يكون بلسان يخالف هذا اللسان ولكن لا يناقضه ذلك انه هنا يشرح
 الواقع الذي يدل عليه الوجود وينطق بموافقة الشرع وهناك يتكلم
 على العلل والتأثيرات الحقيقية في الابداد والاعدام وما قاله في الموضوعين

هو الحق الذي لا محيد عنه كما بينه

ولا بد قبل الخوض في القسم الثاني من كلمة تمهيدية في الموضوع وهي ان المرورين بالظواهر من الفلاسفة المتقدمين كانوا ينزلون الاسباب المادية الظاهرة منزلة العلل المقيمة القاطمة وينسبون اليها التأثير ويزعمون أنها مطردة اطراداً ضرورياً يستحيل انفكاكه . ولو نهضت لهم الحجة البالغة على ذلك لما خالفهم المسلمون لان القاعدة المنفق عليها عند المتكلمين هي ان قدرة الله تعالى و ارادته لا تتعلقان بالمتشابه وإنما تتعلقان بالممكن فقط . ولكن لا حجة لهم على ذلك وإنما هو شبهات كشف الحجاب عنها الفزالي وغيره . وتلك الاسباب التي صر القول في اطرادها ممكنة فهي مطردة بفعل الله تعالى

ولو سلم الناس بقول اولئك الفلاسفة 'وقفت حركة العلم عند تلك الظواهر التي كانوا يرون تغييرها محالاً عقلياً وإنما المحال العقلي شيء واحد وهو اجتماع التقيضين او الضدين المساويين للتقيضين او ارتفاعهما . ولو ان هذه الغرائب التي كشفها العلم في عصرنا ذكرت لاولئك الفلاسفة القاصرين لجزموا باستحالتها ووردوا على ذلك من الشبهات النظرية مثلما وردوه على القول ببحث الاجساد . وأمثلة بحث الاجساد ظاهرة اليوم لعلماء الكيمياء ظهوراً تاماً

قال الامام الفزالي في كتاب تهافت الفلاسفة ما نصه : « هذا .

اردنا ان نذكره في العلم الملقب عندهم بالآبي اما الملقب بالطبيعات فهي علوم كثيرة نذكر أنواعها لتعرف ان الشرع ليس يقتضي المنازعة فيها ولا انكارها الا في مواضع » . وانه القاري الى عطفه الانكار على المنازعة لتغايرها فالانكار هو القول بطلان الشيء صراحة واستدلالاً بالمنازعة هي

المباحثة في دليله ليظهر الصواب مأخوذة من منازعة الثوب بين اثنين .
ثم قال الامام بعد سرد انواع العلوم الطبيعية المعروفة الى ذلك العهد « وانما
نخالهم من جملة هذه العلوم في اربع مسائل (الاولى) حكمهم بان هذا
الاقتران المشاهد في الوجود بين الاسباب والمسببات اقتران تلازم بالضرورة
فليس في المقدر ولا في الامكان إيجاد السبب دون المسبب ولا وجود
المسبب دون المسبب وأثر هذا الخلاف يظهر في جميع الطبيعيات » الى
ان قال ما نصه « وانما يلزم النزاع في الأولى من حيث أنه ينتفي عليها اثبات
المعجزات الخارقة للمادة من قلب العصا ثعباناً وإحياء الموتى وشق القمر .
ومن جعل مجاري العادات لازمة لزمها ضرورياً أحال جميع ذلك . واولوا
ما في القرآن من إحياء الموتى وقالوا اراد به إزالة موت الجهل بحياة العلم
واولوا تلقف العصا لسحر السحرة بإبطال الحججة الإلهية الظاهرة على يد
موسى شبهات المنكرين . واما شق القمر فرمياً أنكروا وجوده وزعموا
أنه لم يتواتر » اهـ بنصه

ولينظر طلاب الحقيقة الى تحريف صاحب الجامعة النصرانية قول
الامام كيف كان . الامام قال هو انما يلزم النزاع في الاولى من حيث أنه ينتفي عليها اثبات
المعجزات . ومعناه ان محل النزاع في المسئلة الاولى هو إنتفاء إثبات المعجزات
بجعلها من المحالات العقلية التي لا يمكن وجودها ولا تتعلق قدرة الله بها .
وصاحب الجامعة يقول عن لسان هذا الامام ما نصه : ثم قال وانما يجب علينا
إنكار هذا القول لانه ينتفي به اثبات المعجزات . فجعل (الانكار) محل (النزاع) وزاد عليه
جعله واجبا . وقد بينا الفرق بين للانكار والنزاع آنفا . فاذا كان نقل
صاحب الجامعة عن رنان وعن غيره على هذا النحو من التفهم والامانة

فإننا نهني من يقرأ ما يكتبه بأن علمه عين الجهالة ، وهداياته نفس الضلالة
ثم قال الامام الغزالي في بيان الحق في المسئلة من طريق العلم المؤيد
لما يعتقد المسلمون ما نصه : « الاقتران بين ما يعتقد في العادة سبباً وما
يعتقد سبباً ليس ضرورياً عندنا بل كل شيئين ليس هذا ذاك ولا ذاك هذا
ولا إثبات احدهما متضمن لإثبات الآخر ولا نفيه متضمن لنفي الآخر
فليس من ضرورة وجود أحدهما وجود الآخر ولا من ضرورة عدم
أحدهما عدم الآخر مثل الري والشرب . والشبع والاكل . والاحتراق
ولقاء النار . والنور وطلوع الشمس . والموت وجز الرقبة . والشفاء
وشرب الدواء . واسهال البطن واستعمال المسهل . وهلمجرا الى كل
المشاهدات من المقترنات في الطب والنجوم والصناعات والحرف . وان
اقترانها لما سبق من تقدير الله سبحانه خلقها على التساوق لا لكونه ضروريا
في نفسه غير قابل للفرق بل في المقدور خلق الشبع دون الأكل وخلق الموت
دون جز الرقبة . وادامة الحياة مع جز الرقبة وهلمجرا الى جميع المقترنات
وانكر الفلاسفة ما كانه وادعوا استحاثه ثم ضرب لذلك مثالا واضحا حاجبه لذكره
وما ذكره الامام الغزالي هنا هو ما عليه فلاسفة هذا العصر فانهم
لا يقولون بأن شيئا من هذه المقترنات في العادة المعروفة بالاسباب
والمسببات هو ضروري واجب عقلا وانفكا كما محال لا يتصوره العقل
بل كل هذه الاشياء عندهم ممكنة . وانفكاك التلازم وقع كثيرا ويسمون
بالا يعرفون له منه علة « فئات الطبيعة » وبعض الانفكاك كان بما
اكتشفه العلم من اسرار الكون ويتوقعون بهذه الاكتشافات ما لم يقع
كاحياء الموتى ولو كان في نظرم محالا لما توقعوه . ولكن صاحب الجامعة

لا يميز بين الضروري والممكن فيغلط المسائل بعضها ببعض . وقد صرح
الغزالي فيما تقدم آنفاً بان المتلازمين في العقل تلازماً يثبت به أحدهما بثبوت
الأخر وينتفي بانتفائه هما اللذان يستحيل انفكاك تلازمهما إلا بقدره الله تعالى
لا تتعلق بالمستحيل

(الوفاق بين قولي الغزالي ومذهب باكون)

تقدم ان الغزالي قال في كتاب التوكل ان سنة الله في نظام الكون
هي ان الاسباب مرتبة في المسببات ارتباطاً كلياً لا يختل الا اذا لم تستوف
الشروط التي تحقق بها السبب حتى قال ان السبب يتلو المسبب عند عدم
المانع ولاحالة ، وفسر مثل قوله تعالى « فلن تجد لسنة الله تبديلاً ولن تجد لسنة
الله تحويلاً » بهذا النظام في الارتباط بين الاسباب والمسببات وهو التفسير
المتعين . وقال في كتاب تهافت الفلاسفة ان هذا الارتباط بين الاسباب
والمسببات المادية على اطرافه ليس بضروري في نظر العقل وعدمه ليس
محالاً وإنما هو ثابت في الواقع ونفس الامر بحكمة خالق الكون ومدبره
واذا كان الله قد أحكم بحكمته الروابط بين حوادث الكون فيذبني للناس
أن يبحثوا عنها وينتدوا بها في مصالحهم ومناقمهم ولا يتوقف هذا الاهتداء
على كون كل ما يظهر في العادة سبباً لشيء ان يكون انفكاكه عنه محالاً عقلياً
ويعلم الناظر في فلسفة القدماء أنهم كانوا يعتمدون على الأدلة النظرية
في الحكم باستحالة الشيء أو إمكانه أو وجوبه عقلاً فالغزالي وغيره من
أئمة علم الكلام بينوا ان المستحيل العقلي هو ما كان بمعنى اجتماع النقيضين
أو ارتفأعهما أو اجتماع الضدين بمعنى النقيضين . وقالوا ان المستحيل
والواجب الضروي في نظر العقل لا تتعلق بهما قدرة الله تعالى وإنما تتعلق

قدرة الله تعالى بالمكن فقط . فكانت فائبة قول المتكلمين في أمرين
 عظيمين هما أساس لترقي البشر (أحدهما) ان ما ثبت أنه ضروري (واجب)
 أو مستحيل لا يطعم فيه الطامع لامن جهة الكسب ولا من جهة الاتجاه
 الى الله تعالى لانه لا يتغير . (ثانيها) ان للممكنات سنا منتظمة ينبني
 للانسان ان يعرفها وينتفع بها ولكن لا ينبغي ان يوقف حركة استدلاله
 عند ما يظهر له بادي الرأي أنه لا يتغير بل عليه ان يبحث لعله يقف على
 سنة إلهية أخرى تكون السنة التي ظهر له اطرادها مشروطة بها فيجمع
 بين الارتفاع بالسنتين معاً . مثال ذلك أن السنة الآلهية الظاهرة في النار
 أنها تحرق ما يقبل الاحتراق . فلا ينبغي للانسان ان يجزم بأنه لا يمكن
 ان ينبي هذا الاحتراق لأنه ضروري بل عليه ان يبحث لان الاحتراق
 ممكن وربما يكون حصوله مشروطاً بانتفاء وجود مادة من المواد
 لو عرفت يمنع الاحتراق بها . وقد اكتشف الآن ما يمنع الاحتراق في الجملة
 وانتفع به في وقاية المكاتب العمومية

فهذا التقرير أتى حجة الاسلام على تلك الفاسفة النظرية من القواعد
 (وإن أساء ابن رشد في فهم بعض قوله وكابره في بعضه) وأظهر
 حكم الدين الاسلامي في إطلاق العقل الانساني من تلك القيود النظرية
 ليسبح في ذلك الله مهتدياً بدين الله فيه . رت (يا كرت) على هذا
 الأثر فقرّر ان الأدلة النظرية لا يتمد عليها في إثبات المسائل العلمية مالم
 تؤيد بالتجربة والاختبار . قال باكون هذه الكلمة التي يعدونها أساس
 النهضة العلمية الجديدة في أوروبا . كانت مرسومة عند المسلمين من قبله
 (كما تقدم في مقالات الاسلام والنصرانية) وما كانت عنده أكثر جلاء

ووضوحاً لأنه كان يعتقد بخلافها كالتنجيم والكيمياء القديمة وحجر الفلاسفة وهي أمور وهمية لا ترتقي إلى أن تكون نظرية مضمونة . ولكن أوربا كانت مستعدة بارتقاء العلم فيها إلى الأخذ بما قال من وجوب الاعتماد على التجربة والاختبار فعملوا بذلك وارتقى العلم به وحدث ما كان إمام هذه الطريقة التي قررها المسلمون وعملوا بها من قبله

والنتيجة أن صاحب الجامعة أخطأ في زعمه أن الإمام الغزالي أنكر الأسباب . وفي زعمه أن مذهبنا في السنن الإلهية غير ما قلناه في « المنار » وندعو إليه دائماً . وفي زعمه أن بينه وبين قاعدة ما يكون سوراً عالياً . وفي زعمه أيضاً أن التلازم بين الأسباب والمسببات أو النواميس إذا لم يكن ضرورياً (أي واجباً عقلياً يستحيل عدمه) تصير النواميس فوضي فان خالق الكون وواضع نواميسه إذا كان حكماً لا يفعل شيئاً إلا بنظام كما دل على ذلك كتابه العزيز ودل عليه الوجود فكيف يكون الأمر فوضي . ومن قال أن النظام في الكون مشروط بكون الله تعالى قادر وغير حكيم ؟ ما قال بهذا إلا صاحب الجامعة النصرانية يثبت أن مذهب المتكلمين المسلمين باطل في نفسه ومؤدى إلى إنكار حكمة الله تعالى وقدرته . ولم نر من المنكرين على الذين أشد تهافتاً في طعنهم بالاسلام وأثمتهم الاعلام مثل هذا الكاتب الجديد الذي حاول الشهرة والنجاح من غير طريقها كما فعل ذلك المعتوه الذي تخلى في مذبذب تلك الكنيسة العظيمة ليشتهر اسمه . فبثت الشهرة بمكابرة الحق وتحريف كلام الأئمة لأجل دريهمات تجي من عدو للاسلام ، يجب أن يتسنى من أهله ولوبزور الكلام ، هه أعلى ، من أن تخرج إليه الأوهام ،

القسم العمومي

الاجتماع الثامن لجمعية أم القرى

في مكة المكرمة . يوم الخميس الخامس والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦
 في صباح ذلك اليوم انتظمت الجمعية وقرأ البليغ الاسكندري ضبط اليوم السابق
 على العادة المألوفة وأذن الأستاذ الرئيس للسيد الفراتي بإتمام بحثه
 فقال (السيد الفراتي) ان من أعظم أسباب الفتور في المسلمين غرارتهم أي
 عدم معرفتهم كيف يحصل انتظام المعيشة لانه ليس فهم من يرشدهم الى شيء من
 ذلك بخلاف الامم الأخرى فان من وظائف خدمة الأديان عندهم رفع الغرارة أي
 الارشاد الى الحكمة في شؤون الحياة . وأما الأقسام الذين ليس عندهم خدمة دين أو
 الشراذم الذين لا يتعمون لخدمة دينهم فستفنون عن ذلك بوسائل أخرى من نحو
 التربية المدرسية والأخذ من كتب الأخلاق وكتب تدبير المنزل ومفصلات فن
 الاقتصاد والتواريخ المتقنة والرومانات الاخلاقية والتمثيلية أي كتب الحكايات الوضعية
 ونحو ذلك مما هو مفقود بالكلية عند غير بعض خاصة المسلمين
 على ان الخاصة المسلمين من الغرارة عموماً لا يقوون غالباً على العمل بما يعلمون
 لأسباب شتى منها بل أعظمها جهالة النساء المفسدة للنشأة الأولى وقت الطفولية
 والصبوة ومنها عدم التمرن والالفة (١) ومنها عدم مساعدة الظروف المحيطة بهم الاستمرار
 على نظام مخصوص في معيشتهم

ثم قال ولا أرى لزوماً للاستدلال على استيلاء الغرارة علينا لأنها مدركة مسلمة
 عند الكافة وهي ما ينطوي تحت أجوبتنا عند التساؤل عن هذه الحال بقولنا : ان
 المسلم مصاب . وان الله اذا أحب عبداً ابتلاه . وان أكثر أهل الجنة البله . وحسب
 ابن آدم لقيت يقمن صلبه . وان غيرنا مستدرجون . وانهم كلاب الدنيا . وانهم
 يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا . وانهم في غفلة عن الموت وغفلة عن الدنيا شاخت .
 ثم قال فن الغرارة في طبقاتنا كافة من الملوك الى الضعاليك اننا لا نرى ضرورة
 الاتقان في الأمور وقاعدتنا ان بعض الشيء يعني عن كله . والحق ان الاتقان ضروري

«١» كما يتزنى أولاداً أكثر أمراً على أيدي اللالات أو الخاديات وما أدراك

ما تلك الحيوانات . اه من هامش الأصل

للنجاح في أي أمر كان بحيث اذا لم يكن مستطاعاً في أمر يلزم ويتحتم ترك ذلك الامر كلياً والتحوّل عنه الى غيره من المستطاع فيه ابقاء حق الإتيان .

(ومن الغرارة) توهنا ان شئون الحياة سهلة بسيطة فظن ان العلم بالشيء اجمالاً ونظرياً بدون تمرن عليه يكفي للعمل به فيقدم احدنا مثلاً على الإمارة بمجرد نظره في نفسه انه عاقل مدبر قبل ان يعرف ماهي الإدارة علمياً ويمرن عليها عملاً ويكتسب فيها شهرة تعينه على القيام بها .

ويقدم الآخر منا على الاحتراف مثلاً ببيع الماء للشرب بمجرد ظنه ان هذه الحرفة عبارة عن حمله قريةً وقدحاً وتعرضه للناس في مجتمعاتهم ولا يرى لزوماً لتلقي وسائل إتقان ذلك عمن يرشده مثلاً الى ضرورة النظافة له في قريته وقدحه وطواهريه هيبته ولباسه وكيف يحفظ برودة مائه وكيف يستبرقه (كذا) ويوهم بصفائه ليشهي به ومضى يغاب العطش ليقصد المجتمعات ويحجى منها الحياية له عن المزاحمين وكيف يتراف للناس ويوهم بلسان حاله انه محترف بالإسقاء كفاً لنفسه عن السؤال الى نحو هذا من دقائق إتقان الصنعة المتوقف عليها نجاحه فيها وان كانت صنعته بسيطة حقيرة .

ومن الغرارة ظننا ان الكياسة في: أدري وأقدر: جواباً للنفس في قاصد كثيرة شتى والحقيقة ان الكياسة لا تحقق في الانسان الا في فن واحد فقط يتوابع فيه فيتقنه حتى الإتقان كما قال تعالى « ما جعل الله لرجل من قاسبين في جوفه » فالعاقل من تخصص بسمل واحد ثم يجاوب نفسه عن كل شيء غيره: لا أدري ولا أقدر: لأن الأول يتكلف اعمالاً لا يحسنها ففسد عليه كلها والثاني يحجى لكل عمل لازم له من يحسنه فتنظّم اموره ويهنا عينه .

فالملك مثلاً وظيفته النظارة العامة واتخاب وزير يثق بأخلاقه ويعتمد على خبرته في اتخاب بقية الوزراء والسيطرة عليهم في الكليات فالملك مهما كان عاقلاً حكماً لا يقدر على إتقان أكثر من وظيفته المذكورة . فالملك اذا تفرغ وتنزل للتداخل في أمور السياسة أو الادارة الملكية أو الأمور الحربية أو القضاء فلا شك انه يكون كرت بيت يداخل طباخه في مهته ويشارك بستائه في صنعه فيفسد طعامه ويبور بستانه فيشتكي ولا يدري ان آفته من نفسه .

ومن « الغرارة » اللوث في الامور أي تركها بلا ترتيب والحكمة قاضية على كل انسان ولو كان زاهداً منفرداً في كهف جبل فضلاً عن سائس رعية او صاحب عائلة

ان يتخذ له ترتيباً في شئونه وذلك بأن يرتب

(اولاً) أوقاته حسب أشغاله ويرتب أشغاله حسب أوقاته والشغل الذي لا يجد

له وقتاً كافياً يمهله بالكلية او يفوضه لمن يفي حق القيام به عنه .

(ثانياً) يرتب نفقاته على نسبة المضمون من كسبه فان ضاق دخله عن المبرم من

خرجه يغير طرز معيشته ولو بالتحويل مثلاً من بلدة الغالية الأسمار او التي مظهره

فيها ينمه من الاقتصاد الى حيث يمكنه ترتيبها على نسبة كسبه .

[ثالثاً] يرتب تقليل غائلة عائلته عند أول فرصة ملاحظاً اراحة نفسه من الكد في

دور العجز من حياته فيربي اولاده ذكوراً وإناثاً على صورة ان كلاً منهم متى بلغ

أشده يمكنه ان يستغني عنه بنفسه معتمداً على كسبه الذاتي ولو في غير وطنه .

(رابعاً) يرتب أموره الادبية على نسبة حالته المادية أعني يرتب أموره الدينية

ولذاته الفكرية وشهواته الجسمية ترتيباً حسناً فلا يحمل نفسه منها ما لا تطيق الاستمرار عليه .

(خامساً) يرتب ماله الطبيعي للمجد والتعالي على حسب استعداده الحقيقي فسلا

يترك نفسه تتناول الى مقامات ليس من شأن قوته المادية ان يبلغها الا بمحض الحظ

اي المصادفة . وخلاصة البحث ان الفرارة من أقوى اسباب الفتور وقد اطلت في

وصفها وإيضاحها ليتأكد عند السادة الاخوان ان ازالة اسباب الفتور الشخصي

ليس من عقبات الامور .

ثم قال ان لانهلال اخلاقنا سبباً مهماً آخر ايضاً يتعلق بالنساء وهو تركهن

جاهلات على خلاف ما كان عليه اسلافنا حيث كان يوجد في نساءنا كأم المؤمنين عائشة

رضي الله عنها التي اخذنا عنها نصف علوم ديننا وكلمات من الصحابيات والتابعيات

راويات الحديث والمتفهمات فضلاً عن الوف من العالمات والشاعرات — اللاتي في

وجودهن في العهد الاول بدون انكار — حجة دامغة ترغم انفس غيرة الذين يزعمون

ان جهل النساء احفظ لعقوبتهم فضلاً عن انه لا يقوم لهم برهان على ما يتوهمون حتى .

يصح الحكم بان العلم يدعو للفجور وان الجهل يدعو للعفة . نعم ربما كانت العالمة اقدر

على الفجور من الجاهلة ولكن الجاهلة اجسر عليه من العالمة . ثم ان ضرر جهل النساء

وسوء تأثيره في اخلاق البنين والبنات امر واضح غني عن البيان وانما سوء تأثيره في

اخلاق الأزواج فيه بمض خفاء يستلزم البحث فأقول .

ان الرجال مبالون بالطبع الى زوجاتهم والمرأة اقدر مطلقاً من الرجل في ميدان

التجاذب الاخلاق ولا يتوهم عكس ذلك الأمن استحکم فيه تفرير زوجته له بأنها ضعيفة مسكينة مسخرة لارادته حل كون حقيقة الأمر انها قابضة على زمامه تسوقه كيف شاءت. ويتميز آخريفره انه أمامها وهي تبته فيظن انه قائد لها والحقيقة التي يراها كل الناس من حولهما دونه انها انما تعني وراءه بصفة سائق لا تابع. وما قدر قدر دهاء النساء مثل الشريعة الاسلامية حيث أمرت بالحجب والحجر الشرعيين حصراً لسلطتهن وتفرغهن لتدبير المنزل فأمرت باحتجابهن احتجاباً محدوداً بعدم ابداء الزينة للرجال الاجانب وعدم الاجتماع بهم في خلوة أو لفسير لزوم. وأمرت باستقرارهن في البيوت الاحاجة ولا شك انه ما وراء هذه الحدود الا فتح باب الفجور. وما هذا التحديد الا مرحلة بالرجال وتوزيعاً لوظائف الحياة.

والصينيون وهم أقدم البشر مدنية التزموا تصغير أرجل البنات بالضغط عليها لاجل ان يمسر عليهن المشي والسعي في افساد الحياة الشريفة ذلك الشرف الذي هو من أهم مقاصد التفرغين بخلاف الغربيين الذين لا يهمهم غير التوسع في الماديات والمذات وقد أمرت الشريعة برعاية الكفاءة في الزوج وذلك ايضاً مرحلة بالرجال والنساء.

لأمة المجتهدين أغفلوا لزوم محرمي الكفاءة في جانب المرأة للرجل وأوجبوا ان يكون هو كفوؤها فقط لكيلا تهلك بفخارها وتحكمها على ان لرعاية الكفاءة في المرأة بالنسبة الى الرجل ايضاً وحيات عائلية مهمة منها التخير للاستسلام والتخير لتربية النسل. وللتساهل في ذلك دخل عظيم في انحلال الاخلاق في المدن لان الزوج بمجهولات الاصول او الأخلاق او مسافلات الطباع والعمادات او بالغريات جنساً او الرقيقات مفسد شتى لأن الرجل يتعرج طوعاً أو كرهاً لأخلاق زوجته فان كانت سافلة يتسفل لاجحالة وان كانت غريبة بغضت اليه قومه وجرت له الى الوالة قومه والتعلق بخلاقهم ولا شك ان هذه المفسدة تستحكم في الاولاد اكثر من الأزواج

وربما كان أكبر مسبب لانحلال اخلاق الامراء من المسلمين أنهم من جهة الامهات والزوجات السافلات اذ كيف يرجي من امرأة نشأت سافلة رقيقة ذليلة (١) ان تترك بعلمها وهو في الغالب أطوع لها من خالخالها ان يحيب داعي شهامة أو مروءة أو أن تفرز في رؤس صبيها مقاصد سامية أو تحمسهم على أعمال خطيرة كلاً لا تفعل ذلك أبداً انما تفعله الشريفات اللاتي يجدن في أنفسهن عزة وشهامة (٢) وهذا هو

(١) كالكريجات الارمنيات والرقيمات الحجر كسيات امهات اكثر الامراء وزوجاتهم

(٢) كبنات بيوت المجدد الحريصات على الفخر وبنات أهل البادية والقرى الابيات النفوس

بسرّ ان أعظم الرجال لا يوجدون غالباً الا من أبناء وبعول نسوة شريفات أويوت قروية وهذا هو سبب خرص امراء العرب والافرنج على شرف الزوجات

(ثم قال السيد الفراتي) أيضاً: واني أرى ان هذا الفتور بالغ في غالب أهل الطبقة العليا من الأمة ولا سيما في الشيوخ مرتبة (الحور في الطبيعة) لاننا نجدهم يتقصون أنفسهم في كل شيء ويتقاصرون عن كل عمل ويحجمون عن كل إقدام ويتوقعون الحية في كل امل . ومن أقبح آثار هذا الحور نظرهم الكمال في الاجانب كما ينظر الصبيان الكمال في آبائهم ومعلميهم فيندفمون لتقليد الاجانب واتباعهم فيما يظنونه رقة وظرافة وتمدناً ويتخذون لهم فيما يغشونهم به كاستحسان ترك التصلب في الدين والافتخار به فتم من يستحي من الصلاة في غير الخلوات . وكإهمال التمسك بالعمادات القومية فتم من يستحي من عمامته . وكالمدح عن الاعتزاز بالعشيرة كأن قوه بهم من سقط البشر . وكنبذ التحزب للرأي كأنهم خلة واقاصرين . وكالغفلة عن ايثار الاقربين في المنافع . وكالقمود عن التناصر والتراحم بينهم كي لا يشم من ذلك رائحة التعصب الديني وان كان على الحق — الى نحو ذلك من الخصال الذميمة في أهل الحور من المسلمين الحميدة في الاجانب لان الاجانب يموهون عليهم بأنهم يحسنون التحلي بها دونهم

وهؤلاء الواهنة يحق لهم ان تشق عليهم مفارقة حالات الفوها عمرهم كما قد يألف الجسم السقم فلا تذل له العافية فانهم منذ نعومة أظفارهم تعلموا الأدب مع الكبر يقبلون يده أو ذيله أو رجليه . وألقوا الاحترام فلا يدوسون الكبر ولو داس رقابهم . وألقوا الثبات ثبات الأوتاد تحت المطارق . وألقوا الانقياد ولو الى المهالك . وألقوا ان تكون وظيفتهم في الحياة دون الثبات ذاك يتناول وهم يتقاصرون ، ذلك يطلب السماء وهم يطلبون الارض كأنهم للموت مشتاقون ، وهكذا طول الألفة على هذه الخصال قلب في فكرهم الحقائق وجعل عندهم المخازي مفاخر فصاروا يسمون التصاغر أدباً والتذلل لطفاً والتملق فصاحة والاكثة رزاة وترك الحقوق سماحة وقبول الاهانة تواضعاً والرضاء بالظلم طاعة كما يسمون دعوى الاستحقاق غموراً والخروج عن الشأن الذاتي فضولاً ومد النظر الى الغد أملاً والاقدام تهوراً والحمية حماقة والشهامة شراسة وحرية القول وقاحة وحب الوطن جنونا

ثم قال وليعلم ان النسوة الذين تعقد الأمة آمالها باحلامهم عسى يصدق منهاشي

وتتعلق الأوطان بحبال همهم عساهم يأتون فعلاً مذكورا هم أولئك الشبان ومن في حكمهم المحمديون المهذبون الذين يقال فيهم ان شباب رأي القوم عند شبابهم الذين يفتخرون بدينهم فيحرصون على القيام بما فيه الاساسية نحو الصلاة والصوم ويحجبون مناهيه الاصلية نحو الميسر والمسكرات الذين لا يقصرون بناء قصور الفخر على عظام نجرها الدهر ولا يرضون ان يكونوا حلقة ساقطة بين الاسلاف والاخلاف الذين يعلمون انهم خلقوا احرارا فأتون الذل والاسارة . الذين يودون ان يموتوا كراما ولا يحيون كراما . الذين يجهدون ان ينالوا حياة راضية حياة قوم كل فرد منهم سلطان مستقر في شؤنه لا يحكمه غير الدين وشريك أمين لقومه يقاسمهم ويقاسمونه الشقاء والظناء وولد بار بوطنه لا يخل عليه بجزء طفيف من فكره ووقته وماله . الذين يحبون وطنهم حب من يعلم انه خالق من تراه . الذين يعشقون الانسانية ويعلمون ان البشرية هي العلم والبهيمية هي الجهالة . الذين يعتبرون ان خير الناس انفسهم للناس الذين يعرفون ان الفئوظ وباء الآمال والستردد وباء الاعمال . الذين يفقهون ان القضاء والقدر هما السعي والعمل . الذين يوقنون ان كل ما على الارض من أمر هو من عمل أمثالهم البشر فلا يتخيلون الا المقدره ولا يتوقعون من الأقدار الا خيرا .

وأما النشء المتفرنج فلا خير فيهم لأنفسهم فضلا عن ان ينفعوا اقوامهم وأوطانهم شيئا وذلك لأنهم لا اخلاق لهم تجاذبهم الأهواء كيف شاءت لا يتبعون مسلكا ولا يسرون على ناس مطرد لانهم يحكمون بالحكمة فيفتخروا بدينهم ولكن لا يعملون به تهاونا وكسلا (١) ويرون غيرهم من الامم يتباهون باقوامهم ويستحسنون عاداتهم ومميزاتهم فيميلون لناظرهم ولكن لا يقوون على ترك التفرنج كأنهم خلقوا أتباعا (٢) ويجدون الناس يمشقون أوطانهم فيندفعون للتشبه بهم في التشيب والاحساس فقط

(١) اكبر ما يشق عليهم ويتكسلون عنه الصلاة التي هي عماد الدين . وتخطيهم بلسانهم فنقول : ان الطهارة والوضوء هما عين (التوالت) أو بعضه وتمكن بدقيقتين أو ثلاث وأفعال الصلاة هي عين (الجنستك) واكمل منه لانها موزعة ولا تستغرق الركعة منها اكثر من دقيقة فأطول صلاة تطول عشرة دقائق . بناء عليه فليك على نفسه من يقصر نشاطه عن الصلاة والصوم اللذين لو لم يكن فيهما حكمة غير أنهما شعار يهرق بهما السلم . الكافي (٢) هذه حكمة الشرع في حظره ترك سنة الاسلاف وتقليد الاغيار ولو في اللباس وهذه الامم الافرنجية تنفر من التقليد حتى في القياسات والموازين

دون التثبت بالأعمال التي يستوجبها الحب الصادق، والحاصل ان شؤون النشر المنفرج أيضاً لا تخرج عن تذبذب وتلون وتناقٍ يجمعها وصف « لأخلاق لهم » والواهنة خير منهم لانهم متمسكون بالدين ولورباة وبالطاعة ولو عمياء على انه يوجد في المنفرجة أفراد غيورون كالراسخين من أحرار الأثر الكالمتهين غيرة يقتضي احترام منيتهم.

ثم قال (السيد الفراتي) ان الحور المبحوث فيه علة ممدية تسري من الشيوخ الى الشبان ومن الطبقة العليا الى العامة وليت الشيوخ والكبراء يرضون بما كتبه الله عليهم من الذلة والمسكنة والحمول وسقوط الهمة والدناءة والاستسلام فيتركوا أهل النشأة الجديدة وشأنهم لا يستهزؤن ولا يمتطون ولا يسفهون ولا يتبطون وما أظنهم بفاعلين ذلك أبداً الا ان تصدى لهم جرائد مخصوصة تقابلهم باللوم والتبكيك وتتساط عليهم أقلام الأدباء والسنة الشعراء بوضع أهاجي وأناشيد بمباراة بسيطة محلاة بنكت مضحكة لكي تنتشر حتى على السنة العامة . ويمثل هذا التدبير تنور حرب أدبية بين النشر والواهنة لا تلبث أن تنتهي بانكسار الفئة الثانية أولئك البائسين المتفاسلين المتواكلين المتعاضين المتخاذلين المتشاكسين العاجزين عن كل شيء إلا التمطيل

ومن راجع تواريخ الامم التي استرجعت نشأتها والدول التي جددت عصيتها يجد من حكماؤها ومجباؤها مثل حسان قريش وكيت العباسيين ولوتر الالمايين وقولتر الفرنساويين قد تغلبوا على الفكر الواهن وأنصاره من الأشراف والشيوخ وأهل العناد والفساد بحمل لواء النشر، وإثارة حرب أدبية حماسية بين الفئتين على اننا نحن تكفيينا الضوضى ولا نحتاج قط للفوضى لأن واهنتنا أضف من أن نحوجنا أن نتظر أم حسان تله حسناً ورب حيلة أنفع من قبيلة (٤٣٣٣٧١ ٠٤٣٣٣٧١ ٢٤١١١٨٤٩٩٨٤٧٧١٢٤ ٠٤٣٣٣٧١) وهذا أنجع دواء

والله ولي النيات

ثم ختم (السيد الفراتي) كلامه بقوله هذا ما ستح لي في هذا المرام وقام، وتبادل مع مع الفاضل الشامي والبلغ الاسكندري المقام

قال (الأستاذ الرئيس) ان مباحث الجمعية قد استوفت حقها وكفاني السيد الفراتي تالخيص أسباب الفتور منها ولا أرى لزوماً لتلخيص بقية المباحث الدينية

وقد أعطاني أخونا المدقق التركي رئيس لجنة القانون (السامحة) التي وضعتها اللجنة مطبوعة في نسخ على عدد الاخوان لتوزع عليهم فيطالعها كل منهم ويدققها قبل وضعها في اجتماعنا غداً في موقع المتذكرة حيث يبحث فيها قضية فقضية بدون جزاف وأما اليوم فقد حل أوان الانصراف
بادر (السيد الفراتي) وفرق على كل واحد من أعضاء الجمعية نسخة من نسخة القانون فأخذوها وتفرقوا

باب الترتيب والتعلم

الشذرة العاشرة منه بمربرة الدكتور راسم (*)

التقليد والذاكراة

مثل هاتين القوتين في فنة العقل والتمرير به كمثل الفتانات الخرافية التي كانت تظهر في بحر صقلية وتستهوي الملاحين بشجي صوتها فتوردهم في شمامه مورداهلكة فأنهما بعلو مكانتهما وجلال خطرهما في دراسة اللغات وبجداعهما العقل أحياناً في آدابها بما يأخذانه عن الغير من محاسن القول وطرائقه يأكلان الاستعداد الحقيقي أكلًا وقد يكون الذنب في ذلك على المرين دونهما لما يتهجونه من طريقة التربية فإن أحداً لا يرتاب في كون تينك القوتين من المواهب الخلقية الميمونة بيد أن هذا لا ينبغي أن يكون سبباً للافراط في تميتها. فانك ترى التلميذ الذي تربي على طريقتنا يصف لك بما قرأه في الكتب أشباه لم يرها في حياته ويفوه أمامك بجملة من القول المشهور أو المنظوم تدل على ضروب من الوجدان هو لم يشمر بشيء منها قط ويبيدي من الهيج والانفعال في بعض أحوال لا علاقة له بها من حياة غيره ما لا أثر له في نفسه ولو أنك سألته أن يتفنى بذكر الاشجار وظلالها والانعام وروعائها والربيع وأزهاره لوجد فيما يذكره من محفوظاته جميع ما قاله فيها فرجيل (١) وهوراس (٢) من النعوت والأوصاف

(*) معرب من كتاب أبول القرن التاسع عشر (١) راجع عدد (١) من تعليقات الشذرة

التاسعة (٢) هوراس شاعر لاتيني مشهور ولد في سنة ٦٧ ومات سنة ٨ قبل المسيح.

ومع أنه قد يكون خيراً له أن يذهب الى المزارع ويرى بنفسه ما يحصل فيها وكيف يحصل تراه شديد الاحتراس من موافقتها خشية أن يخسر فيها اللاتينية وما تواضع عليه الاقدمون من الصور اللفظية لتأدية ما كان يمرض لذهانهم من المعاني والافكار واذا استوصفته قتالا انبرى يصف لك ما استعمل فيه من الآلات وكيف كان اصطدام الحيشين بالفاظ مطنطة وعبارات مجلجلة وهو لم يشهد شيئاً من ذلك أبداً فاذا كان سر ذلك اختباره في محاصرة العدو وجدته قد انتهى من حصاره كما انتهى فرتوت (١) واقدم عرفت فيما سبق تلميذاً كان يبدو عليه كثير من مخايل النجاة نال اكليلا مكافأة له على قرضه شعراً وصف فيه زج سفينة في البحر وهو لم ير في عمره سفينة ولا بجرأه

نعم ان الشبان في هذه الايام لا يكادون ينفلتون من المدارس الا وهم رافضون لآثار السلف نابذون لها ظهرياً غير انه لا معنى لهذا الا أنهم يعترضون عن مثل الغابرين مثل الحاضرين لان محو طبقات التقليد وعضونه من النفس وارجاعها الى صقاتها الفطرية ليس من السهولة بالمقدار المتوهم فاننا كل يوم نقرأ في وصف الكتاب والشعراء المبتدئين قول واصفهم في الواحد منهم انه نابغة يفتش على نفسه قليلاً لي يربه هذا الفتاش أين أضل نفسه حتى أصبح ينشدها

ان تربية تكون بدايتها إضلال وجدان الاستقلال الى حد أنه يبني لأجل الاهتداء اليه تلمسه سنين طويلة لمن القراءة بمكان

أنا لا أشتهي ولا أرجو أن يكون « أميل » ميلاً الى وقف نفسه على دراسة آداب اللغة ولو أنني وهيلانة دأبنا في تحييبها اليه وأفاجنا في حجب حالة عقله بزخارف الذاكرة لاخفقتنا في مسعانا الى غايتنا المطلوبة. فإلقاء لهذا الخطر تراني مصممياً على ارجاء تعاليمه اللغات القديمة واقراءه كتب مؤلفها وقد جعلت له مشاهدة الاشياء مقدمة على علم الالفاظ فاصبحت علومه على ما فيها من النقص لها أصول في الخارج ترجع اليها ودعائم في الواقع تستقر عليها وسميت في ايتانه من آلات الضبط والدقة

(١) فرتوت هو اسقف مؤرخ من الفرنجة ولد سنة ١٦٥٥ ومات سنة ١٧٣٥ ق م وهو مؤلف كتاب الفتنة السويدية والفتنة الرومانية وتاريخ الاشراف الكرام والمؤرخ يلمح الى واقعة لهذا المؤرخ وهي انه كان يكتب تاريخاً لحصار رودس وانتظر طويلاً ورود أبناء صبيحة له عنه فلم يحضر فاتهم تاريخه قبل ورودها ثم قال انني متأكد من ذلك ولكن قد انتهت من حصاري

العقلية ما هو لازم للانسان في بحثه عن الحسن والحق أكثر جداً من سمي في الأفضاء إليه بما لي أو ما يغيري من المعاني

وقبل ان اجعل البحث في مثل الاقدمين في مكنته سأعنى كل العناية بتبنيه الى ان هذه المثل لا تهد فانه من السخف المحقق ان نباري الغابرين مباراة نحن على يقين من غلبنا فيها من قبل ان ندخلها وكيف لانكون مغلوبين لهم ونحن نرضى لانفسنا طريقتهم في الكلام والكتابة والذي لاغضاضة علينا في أخذه عن كتاب اليونان والرومان انما هو روح آداب لغتهم وما يناسب كل زمان وكل قوم من أساليب الإنشاء وترتيب المعاني والدقة في التعبير عنها وانتقاد الالفاظ اللأفة بها فكما ان من يعاشر بعض خواص الأجانب يقتبس شيئاً من خصائصهم بغير ان يكون ذلك موجباً لمشايبته لهم بحال من الأحوال كذلك معاشره الاقدمين بواسطة مآركوه من آثارهم توحى اليها شيئاً من عوائد العقل واللسان المناسبة لكافة الاقوام المستهضئين بفضياء العرفان .

التقليد الحسيس سواء قلده فيه الغابرون أو الحاضرون لا يقتصر سوء أثره على إضماف الذوق والميل الى الفنون بل انه يسلب الناشئين شرف النفس وكرامتها فليشد ما يتخذون بما تؤديه لهم الالفاظ عند قبولهم اياها من المعاني صحيحة أو فاسدة لان أساليب الإنشاء والالفاظ والجمال تفعل في نفوسهم مايفعله السحر الحقيقي فتراهم يتوهمون انهم يتفكرون فيما يقولون ويكتبون والحق انهم يرددون ما فكر فيه المفكرون ولعمري ان هذا هو أصل بعض الاباطيل التي تحاول من قرون عديدة اطفاء نور العقل . ذلك ان ضروب الاستعداد متلازمة فن قبل واحدا منها فقد أخذ على نفسه الرضوخ الى جميعها الا ترى الشاب المتعلم الذي اعتاد تقليد ما يصفه المقلدون بالمثل الحسنة بصاحبه في سيرته وأطواره روح اللين والانقياد الذي ألفه من التقليد فتجده يحبن ويفزع عند كل عنزة ذاتية

نعم انه قد يخاطر بحياته في براز أو يمرضها للهلكة في ساحة قتال لانه يرى ذلك مستحسننا في نظر الناس ولكنه اذا دعي الى مقاومة عادة بربرية أو تأييد حق قل ناصره ورأى أن من وراء ذلك الاستهداف للشخيرة والزراية عليه نكص على عقبيه نكص الحيان وفر فرار الرعديد

مثل هؤلاء المخلوقين المجردين عن ذواتهم يجدون طريق عيشتهم ذلولا ويأتهم

رزقهم بلا نصب ولكن ما أكثر ما يسومون أنفسهم من الخسف وما احط ما يسفلون بها اليه من دركات النذل . عرفت امرأة بَرَزَةً (١) محبوبة حسنة المحاضرة وكانت ارملة وهاولد كان قبة آمالها فبدلها يوماً من الايام ان تنشئه على أحسن آداب المواضع المعروفة فرأت ان الاستشهاد باقوال الكتّاب اللاتينيين في المقامات المناسبة من المحاضرة والتمثل باسمارهم وايراد أمثالهم من الامور التي لا بأس بها بل انه يكسو المحاور اذا كان حسناً بُرداً من الخطر ويأتي عليه مسحة من جلال القدر فارسلت ولدها الى المدرسة فطادرها كيوم كدخلها خفيف العقل لم يستفد من العلم الا فشورا محبوبة عند الناس ولكنه اوتى ذاكرة مباركة كان يتكلم في كل موضوع ويناقش في كل شيء ولا يبدي رأياً الا قبول بالاستحسان لانه سهل على كل انسان أن يرضي الناس عنه اذا سلم لهم ما يقولون ولم يمارضهم في شيء من آرائهم فكان ثنائياً عديم الخلق حسن الصورة عقيم الفكر أرادت والدته أن تصير رجلاً من الاكياس أو نائباً لأحد الحكام او معتمداً سياسياً لحكومته في بعض البلدان وان أحبت أن تعرف ماذا صيرته قلت انها صيرته طفيلياً .

ان طريقتنا في التربية تظهر بادي الرأي سخيفة مضحكة وان جاز أن تكون ممتدحاً يتعاضى على الافهام ادراكه وربما لا تطابق أي طريقة غيرها مطابقها لمقاصد حكماننا ونظامنا السياسي

التلامذة في مدارسنا مقترعون مديون تبكر الحكومة بتأهيلهم لوظيفتهم على نظام معنوي يشف عن حذق واضعه فأنت ترى القائمين على تربيتهم يوزعون عليهم متاعاً من الآراء والعلوم التي يجب عليهم تقليدها في مستقبلهم مراعين في ذلك الدقة العسكرية التي تراعى في توزيع متاع الجند وينادونهم: «الهُونِنا» أيها الاحداث واياكم ان تحيدوا عن الخطة المضروبة لكم . نعم ان منهم من يولونهم أدبارهم ولا يصفون الى ندائهم وان كثيراً من هؤلاء ينجحون الى فئة الآخذين بحرية النظر ويتضاعف عددهم كل يوم واكن لشدة ما يلاقون على ذلك من العقاب محرمون من تقلد الوظائف العلمية في المدارس الجامعة ومن القيام بالوظائف الادارية في الحكومة فلا يواي أحدهم شيئاً منها وفوق ذلك تراهم ان لم يديروا سيرة مرضية وقد أخذت الحكومة على نفسها تعليمهم كيف يسرون بما تنابعه لهم من ضروب الابداء وما تبلوهم به من العقوبات والذكريات

(١) البرزة المرأة الجليظة التي تظهر للناس ويختلف اليها القوم

السياسة ولا جرم فاقهم في قبضة حاكم ماهر والذنب عليهم في انهم لم يعرفوا من قبل ان لهم والياً يقوم عليهم واستاذاً يرشدهم
ولما لم يكن هذا هو الفلاح الذي أرجوه « لامليل » وكان الذي يعنيني من أمره قبل كل شيء إنما هو حفظ كرامته وشرفه من حيث هو انسان كان نصيب هذه الطريقة مني محض الإعجاب بها دون ان أرضاها لتربته

﴿ السُّرَّةُ الحَادِيَةُ عَشْرَةٌ ﴾

في المؤلفات المفيدة للناشئين واختيارها

أجد في نفسي انبعاثاً كثيراً الى اعتقاد انه لا شيء أضرّ على كتاب الاقدمين وأدعى الى هجر مؤلفاتهم من اطراء المعلمين اياهم واعتيادهم الإعجاب بما كتبوا ذلك ان هؤلاء بالزامهم الطفل حفظ ما يختارونه له من هذه المؤلفات وارشادهم اياه الى ما يجب عليه ان يراه فيها من ضروب المحاسن خشية ان يقصر في احترام آثار سلفه واكرامهم له على ملاحظة جميع ما فيها حتى علامات الفصل والوصل بذلك كله لا يفاعحون غالباً الا في ان يكرهوها اليه وهي أحسن أعمال عقل الانسان
فالا فرط في الوقاية من جانب المعلم يصير سبباً للضعف من جانب المتعلم وافراط ذلك في إعجابه بما يعلمه يذهب بالحلمية من نفس هذا فيما يتعلمه والمقصود من التعليم على أي حال انما هو انشاء القوة الحاكمة في نفس الطفل وأنا في شك من بلوغ هذه الغاية بالجري على تلك الطريقة فإنه على فرض وجود التلامذة الذين يكون فيهم من الامثال ما يكفي لان يروا الحسن فيما يمدح لهم والقبح فيما يذم (وفي التلامذة من هم كذلك) لان تكون أذواقهم من أجل ذلك أسلم من أذواق غيرهم ولا اكثر منها دربة بل ان هذا مما يدعو الى سلبهم قوة تمييزهم الامور بأنفسهم فتكون همهم في مستقبلهم بصروفه الى تاتي آراءه من تعتبر آراؤهم حجة من الناس لا الى النظر في الامور والحكم عليها حكماً مستقلاً

ساعد ابني وشأنه في انتقاء كتبه فلا اجتنب الا ما يكون منها ضاراً بالاخلاق لاني اود ان يكون هو صاحب الخيار فيما يفضل في نظره من كتب الآداب فاذا ضل ذوقه في الاختيار عوات في رده الى الصراط السوي على ضروب نمو عقله لاعلى ما يدعو اليه كدري من انواع التوبيخ والتأنيب ومع كوني لا اضمن عليه بالارشاد مني سألني اياه فجدني اقصد ان يلتبس في ما يطالعه تمية افكاره وتربية ضروب وجدانه الذاتي

نعم اني قد اشتغيت ان اقدم له بعض كتب مخصوصة واعتبط لو انه اتفق معي في التأثير بما فيها غير اني لا اجدني محققاً في اقتضاء ذلك منه لان الاعجاب بالشيء من اجل ان يكون مفيداً لا بد ان يصدر عن نفس المعجب ولان الانسان في كل طور من اطوار حياته منفرداً كان أو مجتمعاً يتصور للحسن كالا يطابق بالضرورة بعض أحوال تتماق بنفسه أو بوظائف أعضائه • يدلك على ذلك اننا لانكاد نعرف الآن ما قرأناه في عهد شبيبتنا من الكتب ولا مؤلفيها ولا نحس بشيء من الميل الى كتب الادب التي طالعتها في ذلك الزمن ولم يبق من الشعراء والكتاب الذين كانوا أساتذتنا فيه بكتبهم من يصحبتنا في شيخوختنا الا النزر اليسير •

اننا على السير

(الاسلام والنصرانية • مع العلم والمدنية) لقد أقبل الناس على هدى حسب اقبالاً لم يمهده في هذه البلاد وأمثالها حتى إننا لتتوقع نفاذ نسخة المطبوعة كلها في زمن قريب جداً • وقد قدمنا نسخة منها الى رئيس علماء الدين في مصر الشيخ سليم البشري شيخ الجامع الأزهر فتقبلها بأحسن قبول وأظهر لنا غاية الارتياح لطلبه وأنى بما هو أهله ثم انه لم يرض الا أن كافأنا بما هو أضعاف ثمن الكتاب وأنزمتنا بقبول المكافأة وحسبنا رضاه عن هذا الأثر أدامه الله نصيراً للاسلام وقد نشرنا في آخر الكتاب أبياتاً من قصيدة في تقريره لأحمد أفندي الكاشف وأننا نشرها أيضاً في المنار وهي

ورضواناً رجاء المسلميننا	سلاما حجة الإسلام فينا
يؤيد وحي ملهناك الميننا	عنيت بما كتبت فكان وحينا
يرى فيه المزاعم والظنوننا	فلم تترك لمنهم مكاننا
فما يدغو بأخر مستعينا	فما بطل يخوض الحرب فرداً
بمهجته للمواطن أن تهونا	جهاداً في سبيل الله يفدي
وقدراً في قلوب العالمينا	بأبى منك آثاراً وذكرنا
وكان كتابك الدرع الحصيننا	وكان راعك المنصور سيفاً

ملكته به معانل عالىات
وماضر الضلال الخلق حق
فرققاً بالمكابر قد ككفاه
ودعغه في تأمله عساه
نبت عنها سيوف الفاتحينا
نفسهتهم وأوضحت اليقيننا
مجادلة وأوشك أن يدبنا
يحبيك باعتراف المهتدينا

باب التقريظ

﴿ رحلة صادق باشا العظم الى صحراء افريقية الكبرى ﴾

الفريق صادق باشا المؤيد العظم أحد حجاب مولانا السلطان عبد الحميد خان كاتب أديب وقائد شجاع وأمين عنده مولاه يبعثه في المهمات السياسية والفنية العملية . فكما عهد اليه بأمر مد الاسلاك البرقية في الحجاز ثم بأمر النظر في سكة حديد الحجاز من الأمور الفنية عهد اليه من قبل بالرحلة الى صحراء افريقيا واكتناه شؤونها عامة وشؤون السنوسي وجماعته خاصة فقام بذلك وعهد اليه من بعد بالذهاب مع بعثة الى روسيا لمقابلة قيصرها في أمر سياسي . أما سفره الى الصحراء بأمر السلطان فقد كان مرتين وكتب فيما شاهد في المرة الثانية رحلة باللغة التركية أودعها وصف ما رآه واختبره من أحوال المكان والسكان . وقد عرب الرحلة جليل بك العظم وطبعت في كتاب مستقل بعد طبعمها في جريدة « معلومات » ولا شك ان قراء العربية كلهم يحبون الاطلاع على مثل هذه الرحلة الا من لا يحب التاريخ ولا يحدل بما يبنى عليه من أحوال السياسة الحاضرة . والرحلة تطلب من ادارة مجلة المنار بمصر

(الإسلام في عصر العلم) كتاب جديد يشغل بتأليفه وطبعه محمد فريد افندي وجددي . وقد جعله ثلاثة أقسام أحدها في « الإنسان » وثانيها في « المدنية » وثالثها في « ما وراء المادة » ورابعها في « حياة النبي صلى الله عليه وسلم » والغرض من الكتاب تأييد الدين الاسلامي بمباحث العلوم على ما انتهت اليه في هذا العصر

الغرض شريف وحاجة المسلمين اليه شديدة فان المفتونين منهم بمدينة أوربا يخطف أبصارهم كل شيء يرونه من آثارها ويختلب أفئدتهم كل يسمونه من علومها وعقولهم تتبع أفئدتهم وأبصارهم . فترى الكثيرين منهم في شك من دينهم الذي اتموا اليه ولم يعرفوه حق المعرفة لاعتقادهم أن أولئك الذين تلك المدنية مدنيهم وتلك العلوم علومهم لا يمتقنون بصحة الدين . ومنهم الضعيف الواهن الذي يكفي

لايقاعه في الشك أن تخفى عليه حقية مسألة واحدة مما يعزى الى دينه أو يراها مخالفة لما يقول أو تلك الحافظون لبصره والمختلبون لفؤاده وربما تكون تلك المسألة ليست من الدين بل من التقاليد اللاصقة بأهله أو تكون من الأمور الواردة فيه لا على سبيل القطع أو يكون لها معنى غير ما يفهم أو يكون المخالف للمسألة هو المخطئ ولكن من قتن باعتقاد عظمة إنسان لا يخطر له أنه يخطئ . انقلديفتك بعقل المقلد حتى يجعله أسيراً لكل من يمتد عظمته يسلم له بكل شيء تسليماً

أمثال هؤلاء يجب أن يعرفوا نسبة هذه المعلوم وهذه المدنية الى الإسلام وما يؤيده منها ومن علومها . ولن يجدوا حاجتهم هذه على طرف التمام الا اذا انصرفت همه الباحثين للتأليف فيها وهذا ما توخاه صديقنا محمد فريد وجددي في كتابه هذا فنسأل الله تعالى ان يوفقه لا كماله ويسهل له سبيل كماله ويوفق اخواننا المسلمين لمساعدته على عمله بالاقبال عليه . وقد اختار هو أن يصدر الكتاب لمن يشترك فيه منجماً تخميناً في كل شهر ٦٤ صفحة من القطع الصغير اللطيف . وقيمة الاشتراك في السنة ٣٠ قرناً صحيحاً تدفع سلفاً أو على ثلاثة محجوم . وهو يطلب من مؤلفه بالسويس

﴿قاموس الماني عربي﴾

ان الحاجة التي تسوق الامم الى الاقتراب من الامة الالمانية ودراسة لغتها أصبحت متأكدة وتزداد من يوم الى آخر ذلك بانها من حرب السبعين الى اليوم وصلت في علومها وصنائعها وتجارتها وسائر ضروب المدنية الى درجة أجهت العالم فأخذت الامم لها المحل الاول وصار الكثيرون من المتكلمين يدرسون لغتها ويرحلون اليها في طلب الكمال وقد أخذ عدد من الشرقيين ليس بالقليل في دراسة هذه اللغة يتفنون ان يصيبوا من هذا ما يصيبه غيرهم وسينمو هذا العدد من غير شك تبعاً لامتداد الملائق بين البلاد الالمانية وبلادهم وازدياد المستكلمين وطلاب الحقائق في هذه البلاد . هذا قول حتى نلقت به القراء منهم الى قاموس الماني عربي ظهر في هذا العهد . الف هذا الكتاب العالم الفاضل الانسوي المؤرخ الدكتور ارنت هرردر المحرر باحدى الجرد الشهيرة التي تصدر ببرلين « بَحْثُ رُنْدُ شَوْ » والقاموس المذكور مشتمل على ثلاث وثمانمائة صفحة جمعت نحو ثمانية عشر الف كلمة مراعى في جمعها حاجتنا المتكلم والقارئ في الكتب الادبية سواء كانت جرمانية الاصل أو دخيلة شائعة في اللغة . ان هذا الدكتور — وقد عاشته زمناً طويلاً — يصيد

ان يضع للكلمة الالمانية اخرى عربية بازائها اذا لم يكن المعنى واحداً بل يعتمد اذا لم يصب الكلمة المطلوبة الى التعبير عن المعنى في جملة يصيب بها الغرض قدرها يمكن . ساعده على أداء هذه المهمة التي يعمل لها منذ عهد بعيد معرفته باللغة المصرية الدارجة والفصحى وقد وضع فيها أجرومية باللغة الالمانية طبعت سنة ١٨٩٨ بمطبعة « هيدلبرج » وصادفت اقبالا طيباً . قد يضع المؤلف لغرض ما إزاء الكلمة الالمانية اخرى من اللغة الدارجة مع التنيه على ذلك . لم يوجد من قبل قاموس الماني عربي الا واحد لحضرة البروفسور فارمولد النمساوي الا انه غير واف بالغرض ومن هذا ان كلماته لا تزيد على الثلث من الفاظ الكتاب الجديد . ان هذه الخدمة الجليلة التي قام بها هذا المؤلف هي في منفعة الناطقين باللغة العربية اكبر منها في صالح قومه ولهذا نشكر له هذا العمل ونسأل له دوام التوفيق للممل على الصالح العام

ومن أراد ان يكتب حضرة المؤلف في أمر يخص كتابه أو نحو هذا فليتفضل بالاستفهام عن طريقة ذلك من حضرة السيد الفاضل صاحب هذه المجلة (أحد القراء) (مشاهير الشرق في القرن التاسع عشر) صدر الجزء الاول من هذا الكتاب لمؤلفه المؤرخ المصنف جرجي أفندي زيدان صاحب مجلة الهلال وهو خاص بتراجم الملوك والأمراء والقواد ورجال الإدارة والسياسة ولم تتمكن من مطالعة شيء منه ولكننا نعلم ان طريقته فيه هي طريقته في الهلال بل هو قبسة من نور الهلال . وصفحاته ٢٦٤ وفيه ٧٢ رسماً وثمته ١٥ قرشاً صحيحاً ويطلب من مكتبة الهلال بمصر

(الحال بين العامة) « رسالة دينية أدبية تهذيبية اجتماعية » ألفها عبد العزيز أفندي قنحي الجورجستاني وقال في مقدمتها ان أكبر داع دعاه الى تأليفها هو انه سمع من الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية كلمة قالها للناس بعد صلاة الجمعة في بلده (محلة نصر) وهي : يكاد قلبي يقطر دماً عند ما أرى بدعة أتندها مبتدعها الى الدين : وتلا الأستاذ قوله تعالى « ان الذين اتخذوا دينهم هزواً ولما » الآية . أما فصول الرسالة فهي (١) الصدق والامانة وضدها . و(٢) الاقتصاد وبعض ماورد في مدحه وضم ضده و(٣) الاصلاح والمعاونة . و(٤) حسن المعاملة وطاعة أولى الامر . و(٥) النجاسة والنجية والحسد . و(٦) نشر المعارف وفضل العلم . و(٧) العمل وترك الكسل و(٨) المتدعون في الدين . و(٩) المناسد في الموالد و(١٠) الطريق . وختم الرسالة في انتقاد الوعاط . ولا شك ان مطالعة العامة لهذه الرسالة نافعة لأنها تنفض عن الذكر وتحث على المعروف والخير . ولكن اسمها لا يطابق مسماها الا في

كلمات من الفصول الاخيرة لأن سائر العصول لا تشرح من أحوال العامة ما ينبغي شرحه فعسى ان يوفق المؤلف الى كتابة ما يعرفه من المنكرات الفاشية بين العامة بالتفصيل . ولم يعن بتصحيح الرسالة كما يجب وذلك لا يمنع من الانتفاع بها (النخبة) ديوان شعر جديد لناظمه رشيد أفندي بن حنا مصوبع اللبناني وقد عرفنا الناظم شابا متوقدا الذكاء ومن أحسن شمره قصيدة يصف بها سوق احسان أقامها سرب من المذارى الاسرائيليات في فندق (كوتينتال) بمصر قال فيها

حبي في مصر أربع العادات	وهناهي الحسان والحسانات
أربع قد حوين كل صنيع	من جميل وأوجه سافرات
تجاري الفتان فيه الى البذ	ل باغراء أعين الفتيات
آسات صيرن من كان في القو	م بخيلا بوجود بالمرمات
يستيه لحظ الحسان فلا يد	بث ان يبذل الله والهبات
كل خود للسحر في مقاتها	عقد قد خلبن بالنفقات
أخذت للفقر منازكة	قابلتها من حسنها بزكاة
وغدا الزهر غالي السمر اذ قد	كان يعطى من تلكم الراحات
ينثر الورد حولنا من يديها	فبخال الحدود منتثرات
وتعير النسيم من صدرها اذ	فاس طيب نردّها زفرات

الى ان قال

سوق حسن للمشقين وسوق	من جميل للبائسين العفاة
أنشأتها أيدي الكواعب من	ن وياحسنهن من منشآت
ما كفتنا محاسن العيون حتى	ما مكنتنا الحسان بالهيات
هكذا يجمال الجمال لقل الأ	خير لا للخلاب والمنكرات
هكذا تشفق الحسان وتغدو	للذي رام قربها قاسيات
هكذا يكرم النسيم بالور	د ولكن يحمي عن الوججات
هكذا يعرض الجمال محلى	بجميل الأفعال والفايات

هذا ما أردنا نشره من هذه القصيدة الرشيقة لتكون أحسن مثال للديوان طبع الشاعر ديوانه هذا وأهداه الي نقولا بك توما الحامي المشاهد من جبه للأدب وأهله (حديث ليلة) قصة فكاهية ترامية تأليف القصصي الفرنسي الشهير اسكندر دياس الكبير . وقد عمرها الشيخ نجيب الحداد الذي كان أحسن كتاب هذا الوقت

تعبيراً للقصاص وطبعت في مطبعة المعارف التي هي في مقدمة المطابع المصرية اتقاناً للطبع فاجتمعت في هذه القصة محاسن التأليف والتدريب والطبع ولذلك يرجى لها الانتشار بالطبع (المجلة المدرسية) مجلة علمية أدبية مصورة تصدر في كل شهر شمسي مرة مديرها ومحررها سيد أفندي محمد ناظر المدرسة التحضيرية الأهلية وقد صدر الجزء الأول منها في أول يناير سنة ١٩٠٣ في ١٦ صفحة وهو مصدر برسم سمو الخديو المعظم وفيه نبذة من تاريخ سموه ونبذة بعدها في الكلام على الأسد كأن المراد بوضعه بعده مراعاة النظير، وتشبيه الأسد بالأمر، في القسم الأدبي منه مقالة في (اللغة) وفي ختامه خطاب وجيزة لتلامذة المدرسة التحضيرية

نحن نعرف من سيد أفندي محمد شابا غيوراً على الأمة والملة مجتهداً في تهذيب تلامذة مدرسته وقد أنشأ لهم جمعية في المدرسة يترنون فيها على الخطابة والبحث بالقول ثم أنشأ لهم هذه المجلة ليتمرنوا بها على البحث بالكتابة والقراءة فرجو له النجاح ونحث تلامذة سائر المدارس على قراءة مجلته ومساهمة اخوانهم في مباحثها ولعله لا يعدم من محبي العلم والأدب في غير المدارس تشيظاً واسماداً وقيمة الاشتراك في المجلة المدرسية ١٥ قرشاً صحيحاً في السنة

(الأمم الصناعي) مجلة عامية صناعية تاريخية تصدر في كل شهر مرة لمنشئها عبد الرحيم أفندي فوزي وحسن فحفي أفندي أحمد المتخرجين في مدرسة الفنون والصنائع الخديوية صدر الجزء الأول منها في هذا الشهر في ١٦ صفحة مطبوعاً طبعاً جيلاً بمطبعة الشعب على ورق جيد وهي منتجة بمقالة في تاريخ الصناعة وتأثيرها (في العمران) وتلونها مقالة في سيرة مخترع القلم الأميركي وصدرة برسمه وفيها نبذة أخرى في النتائج الصناعية وقد كتب على غلاف المجلة أن مراسلاتها تكون بعنوان (الشركة الصناعية بمصر والسودان بشارع محمد علي) فإذا كان هناك شركة تصدر المجلة فإن النجاح يرجى لها بقدر رسوخ تلك الشركة وثباتها والأفلا بدمن تنويع مباحثها ليقبل عليها صنوف القراء لأن البلاد لم ترتق الى حيث يكون فيها لكل نوع من أنواع الفنون والعلوم جريدة أو مجلة خاصة وقيمة الاشتراك في هذه المجلة عشرون قرشاً فعسى أن تصادف إقبالا ورواحاً تحرب الصناعة الى أهل هذه البلاد الذين هم في أشد الحاجة اليها.

(النبات) جريدة أسبوعية عامية أدبية تهديدية بشكل الجريدة الرسمية تصدر كل ١٥ يوماً الآن وقد صدر العدد الأول منها منذ أيام وفيه مقالات في (شبان الغرب

وشبان الشرق) ونبذة في محاسن الاخلاق وأخرى في أشهر ملوك العالم . أما صاحبها فقد كتب اسمه عليها هكذا (١٠ عبد الحميد) ولكنه أرسل الينا مع العدد الأول رقبا علمنا منه أن الالف اشارة الى (ابراهيم) فانتقدنا ذلك منه وعلنه بصرح باسمه في الأعداد الآتية . وأما قيمة الاشتراك فيها فهي ١٥ قرشاً صحيحاً في السنة . ففتنى له التوفيق ولجربته الانتشار

﴿ إعجاز أحمدى - أو سخافة جديدة لمسيح الهند ﴾

كل يوم يتدي صروف الياالي خلقاً من أبي سعيد غريباً
وأبو سعيد هذا الزمان هو غلام أحد القادياني المفتون بنفسه ، المغلوب على عقله وحسه ؛ فهو كل يوم يأتينا بمخاق غريب ، ومخاقٍ من إفكك عجيب ، ففي الشهر الماضي أرسل الينا قصيدة من المخزيات ، ولكنه نظمها في سلك ما يدعيه من المعجزات ، وجعل لها مقدمة هندية . ولكنها باللغة الاوردية ، وأرسل لنا معها منشوراً باللغة الانكليزية ، يقول فيه انه أوتي من البلاغة في العربية ما لم يؤته أحد من العالمين ؛ وانه يتحدى بقصيدته هذه جميع المطالعين ، ومن يعارضها في الهند من شعراء العربية ، يُعطى عشرة آلاف روية ، ولم يذكر لنا الحاكم الناقد ، الذي تعرض عليه القصائد ، ليميز بين سحر البيان ، وبين اللغو والهلديان ، وقد أخرجنا الكتابة في هذه السخافة الجديدة لاننا كنا عازمين على قراءتها كلها وإظهار ما فيها من الأغلاط اللغوية والنحوية والصرفية والعروضية والتنبية على ما فيها من السرقات الشعرية ، التي سألنا من قول الرجال ، ومسخها ولاغروا أن يظهر المسخ على يد المسيخ الدجال ، ثم بدا لنا ان هذه الانتقادات ليست بضرورية ، عند العارفين باللغة العربية ، فان عرض القصيدة عليهم يكفي لمعرفة دركها في السخافة . وأما المخدوعون به من الأعجمين في الهند فلا يفهمون انتقادنا اذا هو وصل اليهم لذلك نذكر هنا أبياتاً من القصيدة وترك للقراء الضحك منها ومن غرور المستدل بها على دعوى المسيحية قال

أيا أرض مدد قد دفاك مدبر	وأرداك ضليل وأغراك موغر
دعوت كذوباً فسد أصدى الذي	كحوت غدیر أخذ لا يعزّر
وجاءك صحبي ناصحين كأخوة	يقولون لا تبغوا هووى وتصبروا
فظل أسارى كم أسارى تعصب	تريدون من يعوى كذئب ويختر
فجاؤا بذئب بعد جهد أذابهم	ونعني شاء الله منه ونظهر

فلما أتاهم سرهم من تصلف وقال افرحوا لي كمي . مظفر
وقال استرو الأمري واني أرودهم أخاف عابهم أن يفر واويدبروا
وارضى الشام اذا دنا من أرضهم على النار مشاهم وقد كان يبطر
ومنها في هجو منكر عليه

فلما اعتدى وأحسن قومي أنه يصر على تكذيبه لا يقصر
دعوه ايتهان لموت مزور فضل فلم يسكت ولم يخسر
وكذب إعجاز المسيح وآية وغامطه كذباً وكان يزور

ثم قال هذه الآيات التي كتب بإزائها في الهامش انها وحي من الله تعالى

فقد سرتني في هذه الصور صورة ليدفع ربي كلما كان يحشر
فألفت هذا العظم أعني قصيدي ليخزي ربي كل من كان يبذر
وهذا على اصراره في سؤاله فكيف بهذا السئل أغضى وأمر
وليس علينا في الجواب جريمة فهدي له كالأكل ما كان يبذر
فان الك كذاباً فيأتي بمثلها وان الك من ربي فيغنى ويشير
وهذا قضاء الله بيني وبينهم ليظهر آيته وما كان يخبر
قطعنا بهذا دابر القوم كلهم وغادرهم ربي كغصن تحذر
ارى ارض مدقده اريد تبارها وغادرهم ربي كغصن تحذر
أيا محسني بالحق والجهل والرشا رويدك لا تبطل صنيعك واحذر
اتشتم بعد العون والمن والندى انسى ندى مد وما كنت تنصر
ترى كيف أغبرت السماء بآبها اذا القوم آذوني وغابوا وغبروا
فلا تخبر سبيل غي وشهوة ولا تجان بمدالنوال وفكر

﴿ سخافة أخرى لمسيخ الهند الدجال ﴾

قانا انه أرسل الينا في الشهر الماضي قصيدته الإعجازية ونقول أيضاً انه أرسل الينا في هذا الشهر رسالة باللغة الانكليزية كتبها باسم ملك الانكليز لا باسم الله وجعلها خدمة للدولة الانكليزية في زعمه ووجهه ولكن لم يكتب في الحقيقة ما هو أضر منها على السياسة الانكليزية . وهذا شأن الصديق الاحق يريد ان ينفع فيضر من سياسة هذا المسيخ الدجال انه نسخ حكم الجهاد في الاسلام لكيلا تعارضه الدولة الانكليزية في دعوته ظناً منها انه يؤلف عممية دينية للخروج عليها في الهند كما

يفعل أمثاله الدجالون الذين يدعي كل خارج منهم انه المهدي المنتظر . وقد كتب في هذا المعنى كثيراً . وانما كانت كتابته في هذه الرسالة وأمثالها ضارة ومناقضة للسياسة الانكليزية لأنه يقول فيها ان جميع علماء المسامين يقولون بوجوب الجهاد الديني وانهم جهلاء مخطئون في هذه الدعوى . فاذا انتشرت هذه الرسالة وقرأها الناس فرمما تحرك نفوسهم الى الأمر الذي تصرح الرسالة بان العلماء مجمعون عليه ولا تلتفت الى تخطئة خارجي مثل غلام أحمد القادياني لهم .

وأما الرأي الأبين الذي أشار به على الحكومة الانكليزية وهو جميع مؤتمر من العلماء للنظر في مسألة الجهاد واستقراء أدلتها في الكتاب والسنة ليظهر لهم انه غير واجب فيقرروه — فهو رأي لا ترضى به سياسة حكيمة كالسياسة الانكليزية ولا هي محتاجة اليه . أما عدم رضاها به فلأنه اذا قرر العلماء خلاف ما يقول غلام أحمد الدجال فيخشى من وقوع فتنة عظيمة . وأما عدم حاجتها اليه فلأن أهل الهند راضون من حكومتهم ولا يخطر في بالهم الخروج عنها وحسبها هذا منهم . ولو كان هذا الدجال يجنب هذه الأحوال، لكان أسلم له على كل حال .

بَابُ الْحِجَابِ وَالْأَكْبَادِ

﴿ الحج في هذا العام ﴾

أمرت حكومة تونس وحكومة الجزائر الفرنسية بمنع الحج في هذا العام لثلاث يحمل الحجاج من بلاد الحجاز جراثيم الوباء الموهوم الى بلادهم فثبتاً بهم وأرادت حكومة مصر أن لا يحج في هذا العام الا الأغنياء القادرون على الاحتياطات الصحية اذا نزل البلاء ووقع الوباء واحتيج الى النفقة الواسعة فأمرت بالزام كل من يريد الحج بدفع خمسين أو سبعين جنياً للحكومة تكون أمانة عندها تنفق عليه منها ما تنفقه بقدر الحاجة وترد اليه ما يبقى بعد عودته اذا عاد وبقي من المال بقية

ضمنت الحكومة للحجاج بازاء ذلك القيام بجميع شؤونهم في السفر . وقد استكثر الناس هذا القدر من المال واعتقدوا أكثر ان الغرض منه التنفير عن الحج والتمهيد له . ولذلك طلب مجلس الشورى من الحكومة أن تنقص منه فلم تقبل

والناس في استياء عظيم من جراء ذلك وقد كتبوا من جهات متعددة يشكون للحكومة بل لمستشاريها ومديريها من الانكيز ثقل ذلك المال المفروض وأكثر الشكاوى كانت لمستشار نظارة الداخلية ولكنها لم تفن شيئاً . على ان الوقت لم يفت والاورد كرومر صاحب القرض والايرام في السودان

وقد كان في هذا العمل فرصة للانكيز يمكنون بها ميل المصريين عامة اليهم لو اغتموها وخففوا من المال المفروض شيئاً . وامل الذي يمنعهم من تلبية الأهالي وسماع شكاوتهم هو لفظ أحداث السياسة بالمسألة ونشر تلك الشكاوي في بعض الجرائد المتعارفة على ما فيها من الطعن بالحكومة الاسلامية التي فرضت ذلك المال بالانفاق . فكان مستشار الداخلية خجل من أن يطلب من هذه الحكومة الرجوع عن شيء قرره وكان هو راضياً به لأن الامة التجأت اليه وحده دون الأمير ودون نظار حكومته بل مع التعريض بذمهم والطعن بدينهم .

ولو أراد المصلحة من أشرنا اليه من أحداث السياسة لما نشر في جريدته كلمة من شكاوي الأهالي الجارحة لثلاثة أمور (أحدها) ان نشرها يثبت ان قلوب الاهالي انحرفت عن الحكومة الخديوية الاسلامية ولم يبق لها رجاء تيسره في مصلحة من صالح دينها وديارها الا المحتلون (ثانيها) ان نشرها يكون صاداً لاهلها عن اغانة الناس لعلمهم بأن ذلك يتضمن إهانة الحكومة على اسان من يفتخر دائماً بالطعن في الحكومة وفي المحتلين بسبب وبدون سبب ويرمي الجميع بسوء القصد . فلا يرضى المحتلون أن يغيثوا الأهالي ليفتخر ذلك الحدث الصغير . بأنه كان الحامل لهم على ذلك بما لجريده من قوة التأثير ، (ثالثها) ان نشرها في الجرائد ينتهي بإقرار من نشرها وتسجيله كون المحتلين هم العوث الوحيد للمسلمين والقائمون بمصالحهم الدينية والديوية دون حكومة الامير الاسلامية — هذا لو أشكوا الأهالي وأجابوا طلبهم وعند ذلك لا يبقى للاحداث سبيل الى الطعن فيهم وهو بضاعتهم التي يمشون منها .

ولذلك تعجب الناس من نشر تلك الشكاوي المفصحة عن تعاقب قلوب مسلمي مصر بالانكيز من جريدة الاحداث التي تنشر بذمهم . قالوا : اذا كانت الجريدة لاترجو نفع تلك الشكاوي فهي ساعية في هدم سياستها الأولى وهي لا يمكن أن تنجح بغيرها وان كانت لاترجو نفعها وإنما تنشر صور تلك الشكاوي امامها بأن نشرها يغيث المحتلين ويحميهم مع الحكومة على الاصرار فهي لاتقصد نفع المسلمين ولاسي في تسهيل الحج عليهم . وأصحاب الرأي يعلمون أن تلك الجريدة لايعمها أكثر التحجاج

أو قلوباً وإنما سبب الصياح والموبل شيء واحد وهو جذب قلوب الأهالي إلى الجريدة وإبراءهم أنها أشد غيرة عليهم وعلى دينهم من غيرها وهذا مقصد يتلشى أمامه الفكر في نتيجة النشر هل تكون تسجيل مدح الإنكاز والعامن بحكومة الأمير أو تكون الإصرار على تنفيذ ما أمرت به الحكومة . والذي لا ريب فيه أن نشر تلك الشكاوي الجارحة كلها كان ضاراً وما كان يتصور له وجه منمنمة قط .

أما نحن الذين لا بهننا إلا تسهيل سبيل الحج لأنه عبادة لله تعالى — ونحن دعاة دين لا دعاة سياسة — فلا يقطع أماننا من سمو الأمير ومن حكومته لأننا نعلم أنهم لم يأصروا بما أمروا به ليصدوا الناس عن سبيل الله . كيف وحكومة مصر لا تقاس بحكومة إسلامية أخرى كحكومة تونس مثلاً لأن أكبر شرف لها عند المسلمين أنها تسير وكما مخصوصاً للحج وتقدم كسوة الكعبة فهي مساهمة للدولة المليية في خدمة الحرمين الشريفين وهي جارة البلاد المقدسة . كحكومة عزيز مصر لا يسهل عليها أن يחדش هذا الشرف ولا أن ينتهس . ولكنها أمرت بما أمرت به لتمتع الفقراء عن الحج خوفاً عليهم وعلى البلاد في هذا العام فإذا لاحظت الآن أن الأغنياء قلما يجحجون لأنهم مشغولون بتمتعهم وهم أحرم الناس على حياة وإن الخير في جميع الأثم إنما يكون غالباً في الطبقة المتوسطة وأن أهل هذه الطبقة هم أقرب إلى الصحة من الأغنياء لقلة الإسراف وقلة الوهم والوسواس ولكن يتقل على الأكثرين منهم أن يعطي أحدهم الحكومة خمسين جنباً أو سبعين غير ما يأخذ منه وما يتركه لأهله وعياله من الثففة — وإذا لاحظت مع هذا أيضاً أن الأمة كلها مستاءة من ثقل هذه الفريضة وتشكومتها وتطالب تخفيفها وكل الحكومات العادلة والدستورية تحتم الرأي العام — فلا غرو أن يأمر مولانا الأمير أعزه الله باحتماع مجلس النظائر ثم يصدر ون أمراً آخر تخفيف ما فرض أولاً إلى نصفه مثلاً . والنسخ مـهـود في الشرائع السماوية وفي القوانين الوضعية بالأولى . يجب أن يكون الأمير وحكومته محل الرجاء وبغاية ما نرجو من حرية المحتابين أن لا يعارضوا في مثل هذا الأمر الديني وما كانوا . مارضين

إذا كان غرض الحكومة أن يكون ركب الحج في هذا العام مؤانفاً من أهل اليسار فما كان أجدر الموسرين بالانتظام في هذا السلك الدرري الذي لا خرز بين درره ولآله . ونخص بالذكر المترفين الذين يؤخرون الحج لما يكون فيه من الزحام وقلة العناية بالنظافة اصموتها مع كثرة السواد من الفقراء . ولو هزمت الأريحية الإسلامية بعض النظائر إلى الحج لكان فيمن يجمع منهم هذا العام أسوة حسنة لكثير من الأغنياء

ولكان أجره بذلك عند الله، مضاعفاً ومقامه في نفوس المصريين رفيعاً مشرفاً .
وإذا لم يبادر عدد كبير من الأغنياء إلى الحج لإحياء شجاره وحفظ شرف مصر
الديني فلا سلام على الأغنياء . ولا زادهم الفنى الأنعامه وشقاء .

﴿ الجامعة الدينية . والجامعة الوطنية ﴾

بيننا رأينا في الجامعات مرات كثيرة وأحسن ما كتبنا في ذلك وأوضحه مقالة
مسيبة في المجلد الثاني من المنار عنونها « الجنسية والدين الاسلامي » اثبتنا فيها بالبرهان
المقول ان تمسك المسلمين بدينهم واعتصامهم بعروة جامعتهم هو المؤلف الوحيد بين
مصالحهم ومصالح من يساكنهم في بلادهم والحامل لهم على . واداة من ليس على دينهم
ففيه معنى الوطنية التي يطلبها بعض عقلاء المسيحيين في الشرق لعلهم بأن سعادته في
أليف بين شعوبه المتفرقين في الدين تفرقاً كثيراً . ومن هؤلاء العقلاء بعض أصحاب
الجرائد السورية المسيحية في سوريا ومصر وأمريكا . وما نعتقد فيه الاخلاص من
هذه الجرائد (المناظر) ويعرف أمداقونا في مصر اننا كثيراً ما فضلناها على غيرها
من الجرائد العربية ونؤهلنا بموضوعاتها النافمة

ومن الناس المشتغلين بالصحافة من يلفظ بالوطن والوطنية بغير علم ولا هدى
منهم الذي يلقب في المنار بتعدت السياسة فانه خلق وطنية لا يعرفها احد سماها
« الوطنية الحقة » ومناها ان يفيض المعري المسلم كل من ليس مصرياً لانه ليس
وطنيا وان كان كالمصري في لغته ودينه وجنسيته السياسية وهي (الممائية) وأن لا يجب
القبطي المعري لانه ليس مسلماً . فهذه الوطنية الباطلة التي لا يتصور فيها العاقل الا
الفساد هي التي نرى من سبها في المنار حملاتنا المروية . واننا نرى جميع الكتاب من
المسلمين والمسيحيين يوافقوننا على محاربة هذا الهديان الضار

وقد اتفق بعض الكاتين السوريين في البرازيل ان كتب في (المناظر) كتابة في
الدعوة الى الوطنية ونبت التعصبات الدينية ثم اتفق له ان رأى في المنار كلمة في « حدث
السياسة » ووطنيته فظن انه المعنى وطقق يرد علينا ملقبا اينا بكهل السياسة وعساه
يعتبع على هذه البذرة . بل انه ليس المعنى بالحدث وانما لتاس السياسة في شيء واننا ان
كنا ندعو المسلم الى الله من بلاد الاسلام قائما ندعوهم الى العلم والتعليم والتربية التي
تفدي بها سلة المعسر لا الى الدنيا . واننا نرى وتبديها وملكها وامراتها . نرى
المسلم في تركيا وروسيا والمزيد والجاوه ومصر وتونس والجزائر في سائر الاقطار متأخرأ

في العلم والتأنيب والعمل النافع ورتبنا ان تقاليدنا تأثراً في هذا الأخير وهو يتوهم ان ذلك من الدين ونحن نعلم ان الدين ضدنا فنحن ندعوه باسم الاسلام الحقيقي الى تربية الوجدان ونحمله على العلم بالبحاري مجاوريه في سبل الحياة . ولا يمكن ان ندعوه هذه الدعوة باسم الوطنيه لأن مجلتنا ليست سياسيه ولا تجاريه ولا زراعيه لتحت اهل الوطن الواحد على الاتفاق في ترقية هذه الامور باسم الوطن . على اننا لا نقصر في الدعوة الى التأنيف بل هو امر عرفنا به ولا نعرف كاتباً عربياً كتب فيه ما كتبنا .

﴿ التمصب الديني والجراند والمجلات ﴾

التمصب الديني بمعنى الاعتصام به والاستمسك بهروته فضيلة هي أم الفضائل والتعصب عن ايذاء المدين لمن يتخلفه في دينه رغبة بتولدها منها مسائب كثيرة لاسيما اذا انبثت لها التمسب جرائد ومجلات تدعو اليه وتحركه . والتمصب بالمعنى الأولي قوي عندنا امين لاسيما بينهم فيه أحد حتى في هذا التطور الذي هم فيه الآن تطور التمسب في مصر . والسبب الرئيسي في لا يسلم منه اهل مصر ولكنه عند المسلمين أخذت منه منذ غيرهم لاسيما المصري

انظر تر المسلمين أكثر من تسعة أعشار اهل القطر المصري ولكنه ليس لهم جريدة دينية ولا مجلة مائة الا لثار وهو حديث العهد فيهم . والمصري لهم فيه مجلة جرائد ومجلات دينية على قامة عددهم . واقراء هذه الجرائد والمجلات تجدونها تنزى بدعوة المسلمين الى النصرانية والطمع بالاسلام ولا ترى في «المنار الاسلامي» دعوة الناس الى ترك دينهم للدخول في الاسلام وقد مرت عليه ثلاث سنوات مرر اهل نشأته وهو مريض عن الرد على المعتزضين والقادحين في الاسلام على كونهم يربطون اليه كتبهم وجرائدهم لأنهم نكح نرى المسلمين مبالين بها فأحبينا بقاء ذلك الكون بالسكوت عنهم . ولكنا لما رأينا سوء تأثير بعض الكتب والمجلات فتجنا في المنار بالرد شبهات المسيحيين . التزمنا فيه الأدب والحجة وما كنا معتدين .

أليس عجيباً ان تسعة ملايين من المسلمين في مصر ومئات من الملايين في غيرها لا تعرف لهم الا مجلة دينية واحدة ويوجد في كل قطر من أقطارهم جرائد ومجلات كثيرة لا واثق الشرازم الذين يساكنونهم وهم أقل منهم عدداً ومالا وتمسكا بالدين؟ نعم ان هذا عجيب وأعجب منه ان جرائد الشرازم العديدة تمتدي على تلك الملايين الكثرية وتطعن بدينهم وتدعوهم الى تركه واتباع دينها . وان أعجب فهناك ما هو

أعجب من الأمرين وهو أن المسامحين يشتركون بتلك الجرائد ويصفدونها بأقبالهم عابها وهم يعلمون أن النصارى لا يكادون يشتركون بمجردة صاحبها مسلم أن يتمكن دينية الألفرض شخصي ونحوه وأما المجلة الدينية الإسلامية الوحيدة وهي (النار) فليس لها من المشتركين المسيحيين إلا إنسان من القبط (وكان لهم ثالث اشترك ثلاث سنين ولم يدفع شيئاً من قيمة الاشتراك فرجع اسمه) وخمسة من السوريين، وفي ذلك عبرة للمعتبرين، ومن المبر التي هي إحدى الكبر، ما جاءت به «الجماعة» في الأيام الأخرى، وهو أنها تصدت للظلم في الإسلام، وفي أئمة الأعلام، من طريقة خدمة العلم دون الدين، ودعوى ارادة النصيحة للمسلمين، وهي تجد مع هذا من يشترك فيها منهم بل يزعم صاحبها أنه كان بين أنياب الفقر، ومخالب الضنك والسر، إلى أن تحرش بالمائل الإسلامية، وناطح بقرته أعلام المائة الخيفية، فأقبل عليه المسلمون، وهم من كل حدب ينسلون، وما زالت تتوالى عليه منهم «الاشتراكات»، حتى زال عنه يتالمهم «الضنك والسر»، والمبرة في هذا على تقدير صدقه ظاهرة، وأما المبرة على تقدير تمويهه وتمظيمه لشأن نفسه وبراعته في الاعلان عن جامته فهي ان المسلمين في اعتقاد هذا الرجل قد بلغوا من الجهول والحماسة مبلغاً يستزلهم فيه بمثل هذا الكلام إلى مكافته على الظلم بدين الإسلام،

وأكبر من هذا وأعجب مما سبقه كله أن من جرائد المسلمين في مصر وسوريا من قرظ كتابه الذي لفته في الظلم بالإسلام وأئمة ووجهه أنظار المسلمين إليه، وحثهم عليه، ليس من الألفاظ والمسميات التي يصعب حلها على الأكثرين ان جريدة بيانية إسلامية تقرظ كتاباً يظلم في الإسلام ويجرّف كلام أئمة ليقنع المسلمين بما يقول ويزعم ان أجمع بين الرياسة الدينية والمدنية في خليفة المسلمين، فاضربهم الإسلام وتاخر أهله عن جميع الأمم ويصرّح بأنه يجب على المسلمين إزالة هذا المعنى في الخلافة وجعل السلطان رئيساً مدنياً كملوك أوروبا — إلى آخر ما أشرنا إليه في باب الشبهات، سنوفحه بمقالة مخصوصة؟ بلى ان هذا من عجيب (غرارة) المسلمين المشروحة في الاجتماع الثامن لجمعية أم القرى المنتشرة في هذا الجزء، أو من عجائب تسالمهم

مع هذا كله يقولون اننا متعصبون وانهم متساهلون، كأنه يتمذر علينا ان نرضيهم ونحن ممنون، «ولن نرضى عنك...» ولا ننكر ان أصحاب الصحف المتبررة كالهلال والمقطب والمقطم والأهرام غير راضين عن هذا الجماعة وقدحها أبواب التعصب بين المسلمين وهم يريدون عن جعل تعصبهم دينية

﴿ الفلاسفة القديمة وابن رشد ﴾

فلاسفة المتقدمين من اليونان والعرب الذين جروا على آثارهم قد نسخت بالفلاسفة الحديثة ولم يبق للبشر حاجة فيها إلا من الجهة التاريخية فلا ينبغي تخصيص الوقت بالاشتغال بنظرياتهم المقيمة إلا لأفراد يتفرغون لحفظ تاريخ العلوم ليصرفوا نسبة الماضي إلى الحاضر وهؤلاء الأبرار لا يوجدون إلا في الأمم الراقية التي أحاطت بالعلوم والذنون العصرية التي عليها مدار العمران لأن حفظ ساسة الفلاسفة والعلم من الأمور التي يسهونها كالية وأمامها مرتبات الأمور الضرورية والامور الحاخية

ولا ينبغي أن أهل هذه البلاد لا يزالون في المرتبة الأولى فلا يجوز أن تشغل أفكارهم بالرتبة الكالية لأن ذلك تخصيص للوقت وفساد للتفكير . فالاشتغال بغير فلسفة ابن رشد وأمثاله بين الفارين وترغيبهم فيها ضارٌّ لهم ولو كان ضرورياً أو حاجياً لطلبوه بسائق المنفعة وقرروه في مدارسهم

أهم أن ابن رشد عالم متكلم إسلامي كما هو فيلسوف فما كونه في نسبة الفلاسفة إلى الذين ينبغي أن يطالع عليه المشتغلون بعلم الكلام في الأزمان وغيره من المدارس الدينية وذلك هو كتابه (فصل المقال) المطبوع بمطبعة المؤيد . ولا بأس للمتوغل في علم الكلام من النظر في كتابه تهافت التهافت بمد النظر في كتاب تهافت الفلاسفة للإمام الغزالي وكلاهما مطبوع بمصر في كتاب واحد وتمهته بنحس

ولا ينبغي إغفال أن يعتمد في فلسفة ابن رشد - إذا هو ارادها - على تلخيص مثل صاحب الجامعة من كلام رنان أو من الكتب المزبية فان صاحب الجامعة شاب ليس له إلا معنى علوم الناس في مدرسة كاشف هو لا يعلم هذه الفلاسفة ولا هو حسن القصد في بيان ما يفهمه كما علم من مقالة (الأسباب والسنن) المشورة في هذا المنار ويعلم مما سئمته في إثبات أن دين الإسلام مبني على العقل كما صرح القرآن الكريم وقد زعم صاحب الجامعة أن الامام الغزالي وابن رشد يقولان بخلاف ذلك أي بخلاف ما ينطق به كتاب الله تعالى (حاش لله)

﴿ القوى الأدبية في الشرق ﴾

يقول من يدعي القيام باحياء الآداب في الشرق بلسان صديق له مجهول إن الشرق في حاجة إلى القوى الأدبية ولم يبين ما هي تلك القوى بالنص ولكنه بينها بالفحوى وهي الكذب وسوء الظن والحوض بالاعراض ومكافأة المحسن بالاساءة

والنخبة والبهتان لتفريق بين الصديق وصديقه والرصيف وورصيفه والأستاذ وتلميذه
أما الكذب فنه نسيته ما كتبه في هذا الموضوع أفيره مع ان العبارة والأسلوب
والفحوى تشهد كلها بأن ذلك له والأشهر هو ذلك الكاتب الذي يسمع عندنا القول
من فلان ويسمع نقيضه منه عند ذلك المدعي؟ ومنه أنه حتى عنا من الطعن في بعض
الأصحاب والرصفاء ما نعلم أنه لم يقع ونقيس عليه ما حكاه عنهم فنعلم ان كل ما قاله كذب الخ
وأما سوء الظن فنه أنه جزم بأن الذي أفنئى سره النبي بسوء قصده وبمزمه
على الاستمرار في عمله السيئ هو ذلك الأديب الذي ينوء به ويمدحه ويدافع عنه
والحقيقة ان السر انما ظهر من قطر غير القطر المصري فكان على محبي الآداب في
الشرق أن لا يجاري ظنه السيئ في صديق له ويحمل عليه تلك الحملة المنكرة

وأما الخوض في الاعراض فنه أنه أوهم ان صديقه الذي أساء الظن به كان
مستخدماً قبل ما هو فيه الآن من العمل التجاري في موضع لا ينبغي التصريح به وانما
يشار اليه بالقط . . . مع ان الرجل لم يكن مستخدماً الا في شركة الاسواق .

وأما مكافأة المحسن بالالاءة فنه وهو أظهرها معاملته المشار اليها آنفاً مع صديقه
الذي كان متفانياً في مساعدته . ومنها معاملته غيره من المحسنين بتالاحاجة الى التصريح به
ويعرفه من يعرف الرجل وسيرته

وأما النخبة والبهتان فنه زعمه ان فلانا كان يقول في فلان كذا ويذم عمله وكذلك
الآخر ولو كان كل ذلك صحيحاً لوجب كتمانها فكيف يصرح به محبي آداب الشرق
وهو أفك صريح وبهتان عظيم وهنئه النخبة والبهتان قد عزيت الى أسماء صريحة

﴿ أحوال العالم الإسلامي ﴾

الدولة العلية في اضطراب من زلازل الفتن في مكدونية والباح الدول عليها
بوجوب الإصلاح ومن مطالبة انكثرت لها بالأذن اسفها الحربية أن تمر في الدردنيل
والبوسفور عند الحاجة كما أذنت بعض السفن الروسية

والدولة المراكشية في خطر عظيم من خارج يدعى (أبا حجارة) خرج على
السلطان يحاول نزع الملك منه . وقد كبرت فتنة هذا الخارج وقويت عصبية لأن
الاهلين نفروا من السلطان عبد العزيز لما يرون من ميله الى الاجانب وتنافسهم في
زخرف مدينتهم . ولا شك ان السلطان عبد العزيز لم يسانك طريق الحكمة فيما وجه
اليه وجهه من تغيير حال بلاده أو اصلاحها كما يقولون . وقد كنا نصحنا له ولحكومته

بالاستعانة بالدولة العلية على الاصلاح العسكري والعامي بطلب رجال من النمانيين المسلمين يقومون بالاصلاح — والنار يرسل دائما الى ناظر خارجته ولكن هذا التقاطع بين ملوك المسلمين وأمراءهم هو أصل كل بلاء ابتلوا به .
هاتان الدولتان الاسلاميتان مظهر بنان وبقية البلاد الاسلامية وادعة ساكنة ليس فيها شيء يؤثر ، ولا حادث يذكر ، اللهم الا الهند ومصر ، فأما الهند فقد احتفل فيها من عهد قريب بتتويج ملك الانكاز ونسبته امبراطور الهند وهذا الاحتفال يسمونه (الدر بار) ويكون في مدينة (دلهي) عاصمة الهند الأولى . وتلا هذا الاحتفال احتفال آخر بمؤتمر التربية الاسلامية وهو خير ما يصعبه المسلمون في هذا العصر لانه انفع الاشياء لهم ، وأما مصر فقد احتفل فيها ثلاثة احتفالات عظيمة في مدة قريبة أحدها الاحتفال بدار الآ نار والعاديات المصرية وثانيها الاحتفال بالجزان الذي نبي في أصوان وثالثها احتفال المؤتمر الطبي الدولي المصري وأتينا نتكلم عن الاخيرين بموجز من القول

﴿ المؤتمر الطبي الاول بمصر ﴾

الغرض من هذا المؤتمر دراسة أمراض البيرز الرئة والاشك ان مصر خير مكان يصالح ان يؤمه أطباء أوروبا لهذا البحث وقد اشتركت فيه الدول العظيمة رسمياً وأرسلت مندوبين عنها بحضوره . وقد افتتح المؤتمر عنبر مصر العباس في المامى الحديوي (الأورا) في ١٩ رمضان (١٩ دسمبر) الماضي فخطب خطبة فرنسية رحب فيها بأعضاء المؤتمر وشكر الحكومات والجامع العلمية التي لبّت دعوة حكومته وأرسلت مندوبها الى المؤتمر ومما قاله « بجدري ان أنتخب بان بلادي قد اهتمت اهتماماً حقيقياً بالسير في سبيل التقدم وفيها هو صاخر وتنتع نوع الانسان ولذلك جعلت مساعي موجّهة دائماً الى المحافظة على سيرها في هذا السبيل » .

وقد تكلم الناس في أمرين أحدهما كون خطبة الامير بالفرنسية دون لغة حكومته الرسمية (العربية) وجعل هؤلاء ان هذا الاحتفال لو كان في روسيا لما خطب القيصر فيه الا بالفرنسية التي يفهمها كل الذين يحاط بهم . وثاني الأمرين ان مختار باشا الفارزي لم يحضر المؤتمر ولم ترسل الدولة العلية مندوباً آخر من الأطباء . ويقال ان هذا المؤتمر لا يرضي الدولة العلية لأن من شأنه ان يكون في البلاد المستقلة ولكنها ترى ان الواجب ان يكون المؤتمر في مصر .

﴿ الخزان - أو - سد أسوان ﴾

اقامة السدود على الأنهار لحفظ الماء الذي يحتاج اليه في ري الأرض قديم في البشر وكان العرب من السابقين اليه تصوراً وعملاً فسد مأرب في بلاد سبأ مشهور أمره . وكان في دولة العبيديين في مصر من تصور بناء سد النيل ولم يبرز ذلك للفعل . ثم أن نابليون الأول تصور هذا العمل وأرادته وتكلم فيه من بعده كثير من المهندسين ولم يتم الا في زمن هذا الأمير (المباس) وبأيدي الموظفين في حكومته والمقاولين في بنائه من الانكليز . وقد وضع الحجر الأول من سد أسوان في ١٢ فبراير (شباط) سنة ١٨٩٩ وضمه دوق كنوت اخ ملك الانكليز ووضعت زوجته الحجر الأخير منه في ١٠ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٠٢ وقد كتب على كل من الحجرين بالإنكليزية اسم واضمه والتاريخ وكون السنة سنة كذا من حكم سمو (الخديوي عباس حلمي)

طول السد من الشرق الى الغرب الفاتر وسمكه من أسفله نحو ثلاثين متراً ومن أعلاه ٧ أمتار ويزيد ارتفاعه عن سطح الماء عند انخفاضه على ٢٠ متراً وفيه ١٨٠ صفاً للماء سعة المصب نحو ٣ أمتار من الأمام و٥ تران من الوراء في الغالب ولها أبواب تفتح وتغلق بحسب الحاجة لحبس الماء وإطلاقه . ويبلغ ما يسد السد من الماء ملياراً و٦٥٠ مليون متر مكعب أو ملياراً و ١٤٠ مليون طن . وهي تفتح وتغلق بالآلات الكهربائية . وأما منافع السد المقدره فهي عظيمة جداً منها احياها أرض واسعة تقدر بمئات الألوف من الفدادين ومنها التمكن من زرع نحو ١٠٠ ألف فدان فدان من مرتين في العام وذلك مما لا يزرع الآن الا مرة واحدة ومنها سد العجز الذي يكون من انخفاض النيل في بعض السنين . ومن ثمة منفعة هذا السد انه يبي في أسبوط قاطر كالقناطر الخيرية عددها ١١١ قنطرة عرض كل قنطرة خمسة أمتار وارتفاعها من قاع انهر الى السطح ١٢ متراً ونصف وسمكها عند القاعدة ٢٦ متراً وفائدتها اصلاح الري فيما تحت أسبوط من الوجه القبلي اما الاحتفال بفتح الخزان فقد كان في رمضان الماضي ودعت الحكومة اليه وكلاء الدول وكبار الموظفين والوجهاء وكثيراً من الأفرنج وكان الأمير دعا دوق كنوت وزوجه . وابتداء الاحتفال ناظر الأشغال العمومية حسين نخري باشا بخطبة فرنسية ذكر فيها وجه الحاجة الى السد بالأجمال والعناية في بنائه فأجابه الأمير بخطبة فرنسية وحيزة اعترف فيها بمعظمة العمل وأثنى على الناظر واعوانه الموظفين الذين شكر لهم همهم في مساعدته وقال : وانه ليسرني كثيراً أن أرى حكومتني تتبع اعراضنا في وأخص مبلغاً يقبذل كل الجهد في جلب الخير والسعادة للبلاد .

بوقى الحكمة من بقاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أول الألباب

الله

١٣١٥

فبشر عبادى الذين يستمعون القرآن
فليتوبوا أحسن وأولئك الذين هدى الله
وأولئك هم أول الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و «ناراً» كمنار الطريق)

(مصر يوم الجمعة غرة ذي القعدة سنة ١٣٢٠ - ٣٠ يناير (كانون الثاني) سنة ١٩٠٣)

— باب العقابُ ورد الشبهات —

(الاسلام دين العقل)

كنا ولا نزال نصرح بأن دين الاسلام هو دين العقل وحيجتنا الكتاب والسنة وكلام الائمة ولكننا ابتلينا بمن يشكك المسلمين في دينهم وفي الدعوة اليه بايهاهم ان ما نقول ليس من الدين وانه خارجه لان الاسلام يجب ان يكون كسائر الاديان التقليدية عدوا للعقل وان بناءه على العقل مؤذنه يهدمه كغيره وانه لو كان معقولا لكان علما ولم يكن ديناً الى غير ذلك من التشكيك وإنما نأخذ ديننا عن الادلة العقلية والتقليدية من كتاب ربنا لا عن المخالفين المشككين

بسم الله الرحمن الرحيم . حم . تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم .
ان في السموات والارض لايات للؤمنين . وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون . وأختلاف الليل والنهار وما أنزل الله من السماء من رزق فأحيا به الارض بعد موتها وأحريف الرياح آيات لقوم يعقلون .
تلك آيات الله نتلوها عليك بالحق فبأي حديث بعد الله وآياته يؤمنون .
ويل لكل أفاك أثيم . يسمع آيات الله تتلى عليه ثم يصر مستكبرا كان لم يسمها فبشره بعذاب أليم .

فهذا كتاب الله يقيم الأدلة والبراهين ، طالباً بها أهل العقل باليقين في الإيمان ؛ واليقين لا يكون إلا بالبرهان ، ومعرفة الشيء برهانه هو أعلى العلم وأقواه . ولذلك قال تعالى بعد آيات ذكر فيها أهل الكتاب : « ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون » . وقال بمداية « هذا بصائر للناس وهدى ورحمة لقوم يوقنون » والبصائر جمع بصيرة وهي الحججة توصل إلى اليقين . ثم قال في الجاحدين تقليداً « وقالوا ما هي الآيات التي تنزلنا من السماء ونحي وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون » فنفى عنهم العلم وبين أن الظن لا ينفع في الدين ؛ لأن المطلوب فيه علم اليقين ، كما قال في سورة أخرى « وما لهم بذلك من علم إن يتبعون إلا الظن وإن الظن لا يغني عن الحق شيئاً »

تلك آيات من سورة قصيرة تدل على أن الإسلام دين العقل وأنه علم وأنه يطالب فيه اليقين ولا يكفي بالظن في الإيمان بأصوله كوحداية الله تعالى وعلمه وقدرته وبعثه الأنبياء ورسالة خاتمهم عليه وعليهم السلام . وقد جاء في القرآن كلمة « يريدون » بالياء والنون نحو خمسين مرة وفيه ذكر العقل والتلاوة في الخطاب وإقامة الآيات على الإيمان بغير هذا الحرف كالنهي واللب فاللفظ الألباب جاء في بضع عشرة آية ، ولهذا كان العلم بالكون طريق الإيمان والأسلام . قال عز وجل « ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغمر غيب سواد . ومن الناس ولدوا أبواً والأعناق مثاب نواته كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور » فمدنا والله الحمد عليه وكل عبادة دين لأنه يزيدنا إيماناً ومعرفة بالله سبحانه

وقد ورد في الحديث « ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم »
وأما قول المشككين ان العلم محصور في المحسوسات فكل ما لا يحس به
فلا يقال في عرف الفلاسفة انك عالم به فهو من المغالطة أو الجهل فإنه لا علم
يعتصم باليتين كعلم الرياضيات وبراهينها معقولة غير محسوسة .

(تمريض الدليل العقلي مع الدليل السمعي)

ذكرنا في المنار غير مرة ان الذي عليه المسلمون من أهل السنة
وغيرهم من الفرق المعتد بإسلامها ان لدليل العقلي النطمي اذا جاء في ظاهر
الشرع ما يخالفه فالعمل بالدليل الثاني مستحب واما في النقل التأويل أو
التفويض وهذه المسألة مذكورة في كتب المقامد التي تدرس في الازهر
وبغيره من المدارس الاسلامية في كل الاقطار كقول الجوهرية

وكل عين أو هم الشبهة أو فقه أو فوض ورم تنزيها

قال الامام الريزي في كتابه قواعد الفقه لا يكذب الله نفساً الاوسعها

عند ذكر التأويل في كتابه قد ثبت انه متى وقع المعارض من القانع العقلي والظاهر
السمعي فإما ان يثبتها وهو محال لأنه جمع بين النقيضين وإما ان يكذبها
وهو محال لأنه ابطال للنقيضين وإما ان يكذب القاطع العقلي ويرجع الظاهر
السمعي وذلك يوجب تطرق الطعن في الدلائل العقلية ومتى كان كذلك
بطل التوحيد والنبوة والقرآن . وترجيح الدليل السمعي يوجب القدرح في
الدليل العقلي والدليل السمعي معاً فلم يبق إلا ان يقطع بصحة الدلائل
العقلية ويحمل الظاهر السمعي على التأويل « اهـ ثم انه أقام الدلائل بهذا
الوجه على المعتزلة في مسألة التكليف لانهم يتفقون مع أهل السنة فيه
هذه المسألة مشهورة عند علماء المسلمين لا تحتاج الى تأييدها بقول

ولكن فشت بيننا في هذه المصير مطبوعات المشككين في الدين فاذا نقل المسلم عبارة من أصول دينه يقولون ان هذا من عنده ولا يبعد أن يوجد من الجاهلين من يفتخر بأقوالهم . وقد تقدم في مقالات « الاسلام والنصرانية » أن الاصل الثاني للاسلام تقديم العقل على النقل عند التعارض وهذا دليله من القرآن ومن كلام بعض الأئمة ولو أردنا سرد النقول من المواقف والمقاصد وسائر كتب الكلام والتفسير ومن كتب المتأخرين كحواشي الباجوري والرسالة الحميدية لأطلقنا الكلام في معنى واحد

الشكوك في المسألة

فان قيل ان الامام الغزالي بعد أن أظهر تهافت الفلاسفة في أدلتهم النظرية في علم الله تعالى قال: « فإذن ليس ينفك فريق منهم عن خزي في مذهبه وهكذا يفعل الله بمن ضل عن سبيله . وضمن ان الامور الالهية يستوي على كتبها بظنه وتخييه » فهل يدل هذا القول على ان الدين غير معقول أم لا فالجواب انه ليس من مقتضى الدين ولا من مقتضى الفلسفة الوقوف على كنهه الخالق وحقيقته وكنه صفات الباري وحقيقتها . واذا عجز الحكماء والعلماء عن معرفة كنه الاجسام المشاهدة فكيف يطمع الطامعون بمعرفة كنه خالق الاجسام بأدلة نظرية وتخيلات شعرية ؟ هذا شيء لم يكفنا به الدين فيكون قول الغزالي بانكاره على الفلاسفة دليلا على أن الاسلام يكلف الناس بغير المعقول كما يزعم المشكك

ومثل هذا قوله في هذا البحث (بحث العلم الإلهي) مخاطبا للفلاسفة بعد إظهار عجزهم وتهافتهم : « المنصود تعجزكم عن دعواكم معرفة حقائق الامور بالبراهين القطعية وتشكيكم في دعاويكم واذا ظهر عجزكم فني

الناس من يذهب الى ان حقائق الأمور الإلهية لا تنال بنظر العقل بل
ليس في قوة البشر الاطلاع عليها ولذلك قال صاحب الشرع صلوات الله
عليه « تفكروا في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله » اهـ

فهذه الجملة من الامام الغزالي كالجملات السابقة خاصة ببيان عجز البشر
عن ادراك حقيقة الباري وحقائق صفاته وقد مرت القرون والاجيال
وستمر قرون واجيال أخرى الى ينقضي عمر البشر ولا يصلون الى معرفة
حقيقة الله وحقيقة علمه وسائر صفاته . وهكذا قال صاحب مقالات
(الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) قال (ص ٤٤٤ من المنار): « لا بد
ان ينتهي أمر العالم الى تأخي العلم والدين ، على سنة القرآن والذكر الحكيم ؛
ويأخذ العالمون بمعنى الحديث الذي صح مناه ، « تفكروا في خلق الله
ولا تفكروا في ذات الله » . وعند ذلك يكون الله قد أتم دينه ولو كره
الكافرون ، وتبهم الجامدون القائلون ، « فكلام الامام الغزالي وكلام
هذا الامام واحد لا فرق بينهما . ولو كان الاسلام كافناً بأن نعرف كنه
ذات الله تعالى وكنه صفاته لكان مكفناً لنا بما لا يعقل ولا يستطاع ولكن
الله يقول « لا يكلف الله نفساً الا وسعها »

هذا وان الامام الغزالي لم يقصد بكتاب تهافت الفلاسفة الذي نقلنا
منه تينك الجملتين بيان القواعد الإسلامية وإنما قصد بيان فساد نظريات
الفلاسفة في الأمور الإلهية وقد يدفع الفاسد بالفاسد ولذلك قال قبل
الجملة الثانية بأسطره (ص ٥٤) : « نحن لم نخض في هذا الكتاب خوض
الممهدين ، بل خوض المهادمين المعترضين ، ولذلك سمينا الكتاب (تهافت
الفلاسفة) لا (تمهيد الحق) » فلا يصح أن يؤخذ من هذا الكتاب

مذهبه في المتأندولا في غيرها كما بنا على ذلك في مقاله لاسباب والمسببات في الجزء التاسع عشر والمشرين . وإنما يؤخذ مذهب من كتبه في المتأندوالاصول وهو فيها موافق لسائر أئمة السنة من أن العقل أصل الاسلام وان براهينه القطامية لا ترد فان جاء في الشرع ما يخالفها في الظاهر فالحكم فيه ماتقدم فان قيل : قد علمنا ان أئمة المسلمين في العقائد والاصول لم يختلفوا في أن دين الاسلام هو دين العقل فهل تعلم أن الفلاسفة الاسلاميين خرجوا عن هذا الأصل وفصلوا بين العقل والدين ؟ فالجواب كلا ان الفلاسفة أحرص على التوفيق بين العقل والشرع من غيرهم وقد ألف فيلسوف الاسلام في الغرب أبو الواليد بن رشد رحمه الله تعالى كتابا في هذه المسألة أثبت فيها ما أثبتته أهل السنة من قبله . ذلك الكتاب هو (فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من الاتصال) ففي هذا الكتاب أثبت ان الشريعة الإسلامية أوجب النظر بالعقل وجمعها أساسا للعقائد ثم قال (في ص ٨) ما نصه : « واذا كانت هذا الشرائع حقا وداعية الى النظر المؤدي الى معرفة

الحق فإننا سمعنا المسلمين نعم على انقطع انه لا يؤدي النظر البرهاني الى مخالفة ما ورد به الشرع فإن لم يتحقق لا يتحقق العقل واقفه ويعتبره . واذا كان هذا هكذا فان أدت النظر البرهاني الى نحو ما من المعرفة بوجود ما فلا يخلو ذلك الموجود أن يكون قد كتبت عنه في الشرع أو سمي به . فان كان مما كتبت عنه فلا تمارض هناك وهو غير له . كتبت عنه من الأحكام فاستنبطها الذميه بالقياس الشرعي . وان كانت الشريعة نطقت به فلا يخلو ظاهر النطق ان يكون موافقا لما أدى اليه البرهان فيه أو مخالفا . فان كان موافقا فلا قول هناك . وان كان مخالفا طلب هناك تأويله . ومعنى التأويل هو



إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية الى الدلالة المجازية من غير ان يخل في ذلك بعادة لسان العرب في التجوز من تسمية الشيء بشيئه او سببه او لاحقه او مقارنه او غير ذلك من الاشياء التي عهدت في تعريف اصناف الكلام المجازي . واذا كان الفقيه يفعل هذا في كثير من الاحكام الشرعية فكم بالحري ان يفعل ذلك . صاحب العلم بالبرهان فان الفقيه انما عنده قياس ظني والعارف عنده قياس يقيني

« ونحن نقطع قطعاً أن كل ما أدى اليه البرهان وخالف ظاهر الشرع ان ذلك الظاهر يقبل التأويل على قانون التأويل العربي . وهذه القضية لا يشك فيها مسلم ولا يرتاب فيها مؤمن . وما اعظم ازدياد اليقين بها عند من زاوول لهذا المعنى وجربه وقصد هذا المقصد من الجمع بين المعقول والمنقول بل نقول انه ما من منطوق به في الشرع يخالف بظاهره لما ادى اليه البرهان الا اذا اعتبر الشرع وتصفحت سائر اجزائه وجد في الفاظ الشرع ما يشهد بظاهره لذلك التأويل او يقارب ان يشهد . ولهذا المعنى اجمع المسلمون على انه ليس يجب ان تحمل الفاظ الشرع كلها على ظاهرها ولا ان تخرج كلها عن ظاهرها بالتأويل » اه المراد منه بحروفه

قول: الله اكبر ، لمع الحق وبهر ، وظهر ان علماء المسلمين متكلمهم وفلاسفتهم ومفسريهم وفقهائهم لم يختلفوا في ان الاسلام دين العقل على العقل نبي شرعه والعقل هو المخاطب به (لا القلب وحده) وظهر ان ما قاله ذلك الامام في مقالات (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) في تعارض الادلة العقلية والنقلية ، هو المجمع عليه في الملة الحنيفية ، وهذا ما يدعو اليه المنار جهاراً ، وكبر على اعداء الإسلام فكروا مكرراً كباراً ، ولن

يجدوا لهم من دون الله أنصاراً،

فان قيل : ان لأبن رشد كلاماً آخر في « تهافت التهافت » يشبه ان يكون مخالفاً لقوله هنا كقوله « الفلاسفة تفحص عن كل ما جاء في الشرع فان أدركته استوى الإدراك وكان ذلك أتم في المعرفة وان لم تدركه أعلمت بقصور العقل الانساني وان يدركه الشرع فقط » وكقوله : « أما الكلام في المعجزات فليس فيه للتقدماء من الفلاسفة قول لأن هذه كانت عندهم من الاشياء التي لا يجب ان يتعرض للفحص عنها وتجهل مسائل فانها مبادئ الشرائع والفاحص عنها او المشكك فيها يحتاج الى عقوبة عندهم مثل من يفحص عن سائر مبادئ الشرائع العامة مثل هل الله تعالى موجود وهل السعادة موجودة وهل الفضائل موجودة . وانه لا يشك في وجودها وان كيفية وجودها هو أمر إلهي معجز عن إدراك العقول الانسانية . والعلة في ذلك أن هذه هي مبادئ الاعمال التي يكون بها الانسان فاضلاً ولا سبيل الى حصول العلم الا بعد حصول الفضيلة . فوجب ان لا يتعرض للفحص عن المبادئ التي توجب الفضيلة قبل حصول الفضيلة . واذا كانت الصنائع العملية لا تتم الا بأوضاع ومصادرات يسلمها المتعلم أولاً فأحرى ان يكون ذلك في الامور العلمية » اهـ بحروفه

فالجواب ان هذا الكلام لا ينافي ذلك ولا يخالفه بل هو مؤيد لقوله الأول ولقول جميع أئمة المسلمين من السابقين عنه واللاحقين به الى صاحب مقالات (الاسلام والنصرانية . مع العلم والمدنية) ولو فرضنا ان بين القولين مخالفة لكان الواجب اعتبار الأول لانه مبين لمذهبه واعتقاده هو وسائر المسلمين على سبيل القطع . وأما قوله هنا فهو حكاية

عن الفلاسفة الاولين ولا يضرنا مخالفتهم لنا مادامنا واثقين بأننا على الحق المؤيد بالبرهان . على ان ابن رشد يقول هنا ان الفلاسفة الاولين لا يعارضوننا في هذه المسائل أي ان مقتضى مذهبهم ذلك والافتد صرح بأن ليس لهم كلام في هذه المسائل التي ذكرها فالخلاف بينه وبين الغزالي في هذا المقام محصور في نقل إنكار الفلاسفة على المليون مسألة المعجزات ومبادئ الفضايل فالغزالي يسنده اليهم على الاطلاق وابن رشد يقول انه لم يبحث ذلك الا ابن سينا والخطاب سهل

أما الوفاق فإنيك تراه بدأ يتكلم عن رأي الفلاسفة في الأديان ومبادئها لاني الاسلام الذي هو أرقاها وهو مع ذلك يعترف بأموه ولا يتجمل الدين (المطلق) فوق العقل بمعنى أن فيه ما يحمله العقل ويقطع بدم صحنه (منها) أن ما لا تدركه الفلسفة بنظرياتها فهو دليل على ان العقل الإنساني قاصر عن الوصول اليه بنفسه فهو محتاج فيه الى إرشاد الشرع . ولا شك ان العقل الإنساني قاصر حتى اليوم عن إدراك كل ما بين يديه فهو يستخدم الكهروياء ويتعمع بها ولا يعرف حقيقتها فكيف يعرف أمور الآخرة والنشأة الثانية ؟ وليس معنى قولنا ان دين الاسلام معقول ان كل مسأله يمكن أن تعرف بالعقل استقلالاً بل معناه انه ليس فيه شيء يحكم العقل باستحالته ككون الواحد ثلاثة والثلاثة واحداً . وكون الآلهة متحد بالبشر ولولا ان هذا هو المراد لكان العقل يستقل بوضع الدين ولا يحتاج فيه الى الوحي

(ومنها) قوله ان مبادئ الدين كالمعجزات أمور موجودة لا يشك في وجودها . والموجود لا يكون محالاً لأن المحال لا يقبل الوجود . وقوله

عندهم : ان كيفية وجودها أمر إلهي تعجز عن إدراكه العقول الإنسانية :
لا يستلزم أن الدين غير معقول أو ان فيه شيئاً محالاً في نظر العقل لأن
هذه الموجودات التي نحس بها ولا نشك فيها قد عجزت عقولنا عن معرفة
كيفية إيجادها فمعجزها عن معرفة كيفية وجودها والمعجزات أولى . ويسهل
على كل عاقل أن يميز بين ما هو مستحيل لا يتصور العقل وجوده وبين
ما لا يشك في وجوده لكنه لم يصل الى معرفة كيفية حدوث هذا الوجود
و (منها) ان هذه المبادئ الدينية الموجودة الثابتة يجب أن تؤخذ
بالتسليم والتقليد للشرع (لا لآراء الناس) من غير أن نسلط النظريات
الفلسفية على البحث في إمكانها وفي كيفية وجودها لأن هذا البحث سفه
مخسار ، وأي سفه وضرراً أكبر من التشكيك في شيء موجود نافع للناس
لصددهم عن الانتفاع به بنظريات لا قيمة لها . اي سفه أكبر من سفه
من كان يماري بالموجود الثابت بالمشاهدة أو التواتر (كالمعجزات)
أو يازم الانسان بأن لا يسلك طريق الفضيلة حتى يبحث بالدلائل النظرية
الفكرية في إمكانها وفي كيفية حصولها وهو يرى ويشاهد أنها تحصل
بالفعل وأن طريق حصولها هو العمل لا النظريات الفكرية ؟؟
وما احسن ما اوردته الفيلسوف في هذا المقام أيضاً وهو :

« واما ما نسبه (أي ما نسبه الغزالي الى الفلاسفة) من الاعتراض
على معجزة إبراهيم عليه السلام فشيء لم يقبله الا الزنادقة من اهل الاسلام
فان الحكماء من الفلاسفة ليس يجوز عندهم التكلم ولا الجدل في مبادئ
الشرائع وفعال ذلك عندهم محتاج الى الأدب الشديد وذلك انه لما
كانت كل صناعة لها مبادئ وواجب على الناظر في تلك الصناعة ان يسلم

مبادئها ولا يتعرض لها بنفي ولا إبطال كانت الصناعة العملية الشرعية هي
أخرى بذلك لأن المشي على الفضائل الشرعية هو ضروري عندهم ليس
في وجود الانسان بما هو إنسان بل وبما هو إنسان عالم. ولذلك يجب على
كل إنسان ان يسلم مبادي الشريعة وان يقاد فيها ولا بد من هذا الوضع
لها فان جردها والمناظرة فيها مبطلان لوجود الانسان ولذلك وجب قتل
الزنادقة . فالذي يجب ان يقال فيها ان مبادئها هي أمور الهية تفوق
المقول الانسانية فلا بد ان يعترف بهامع جهل اسبابها ولذلك لا تجرد
احدا من القدماء تكلم من المعجزات مع انتشارها وظهورها في العالم
لانها مبادي تثبت الشرائع والشرائع مبادي الفضائل . ولا فيما يقال فيها
بمد الموت . فاذا نشأ الانسان على الفضائل الشرعية كان فاضلا باطلاق
فان تمادى به الزمان والسعادة الى ان يكون من العلماء الراسخين في العلم
فعرض له تأويل في مبدأ من المبادي فيجب عليه ان لا يصرح بذلك
التأويل وأن يقول فيه كما قال الله تعالى « والراسخون في العلم يقولون آمنة
به » هذه حدود الشرائع وحدود العلماء « اه بحروفه من (ص ١٢٩)

حقا أقول ان هذا ما يصح ان يسند الى الحكماء العقلاء واننا نوضحه
بمثال آخر طالما ذكرناه في مباحثنا مع الاخوان وهو ان الطب علم قد
ثبت فائدته للناس بالتجربة والمشاهدة فمن حماة وسفه الرأي أن يقال
للمريض عليك ان لا تقبل من الطبيب علاجا حتى تبحث أولاً عن مبادي
الطب وتثبت بالادلة النظرية انه نافع ومفيد ثم تعرف الدواء الذي يصفه
لك الطبيب ماهو وما نسبة بعض أجزائه الى بعض وكيف يؤثر في مقاومة
المرض وما الدليل العقلي على تأثيره وما أشبه ذلك

كذلك يكون أفين الرأي من يقول للناس عليكم ان تبحثوا قبل
الايمان عن أسباب المعجزة الثابتة التي رأتموها أو نقلت اليكم بالتواتر حتى
كانكم كنتم حاضر فيها كيف أوجدها الله تعالى ثم تبحثوا أيضاً عن كل ما جاء
في التشرع لتعاموا بالدليل النظري لم كان كذلك وكيف كان وبعد ذلك
كله آمنوا اذا عرفتم كل المسائل بالدليل النظري ولا تؤمنوا اذا لم تعرفوها
يفتك المرض بمرض الجسد حتى يكون حرضاً أو يكون من الهالكين
ولا يقدر ان يقف على دقائق الطب بالنظر والاستدلال وهو كسبي كله وضعه
أمثاله من الناس بالنظر والتجربة . وكذلك تفتك الرذائل والمعائد الباطلة
بمرض النفس فتجعله مصيبة على نفسه وعلى الناس ولا يصل بالنظر الى هذه
الكيفيات فبقى ان الصواب ماقرره الاسلام وهو ان النظر واجب في الاصول
التي تثبت بها معرفة الله تعالى وصحة النبوة ومتى اعتمدنا بقدره الله وإرادته
وعلمه وكونه أوحى الى بعض عبده وأهدى بهم الى ما يسمونه في
حياتهم الاخرى فانه يسهل علينا ان نسلم بكل مايقول الوحي اليهم (الانبياء
عليهم السلام) تسليماً فان وجدنا فيه شيئاً يخالف ظاهره الدليل العقلي
الذي نردده اليه بالتأويل أو نفوض الامر فيه الى الله مع الاخذ بالدليل
العقلي . هذا ما أجمع عليه أئمة المسلمين كما تقدم وهو كاف في كون الاسلام
دين العقل لان المسلم لا يترك الدليل العقلي الماطع بحال من الاحوال .
وقد أحسن ابن رشد في رأيه ان لا تنشر التاويلات التي تظهر
للاستخين في العلم بل تبقى خاصة بأهلها فلا تكون بيننا تنح باب الجدل
على العامة في الاتصال اليه أفهامهم من جنائف العلوم . والجدل مدعاة
الشكوك ولذلك يجب تأديب المشككين والاعراض عن المجادين

ارتقاء الأديان ، وختمها بالاسلام

(جاء في « رسالة التوحيد » للاستاذ الامام مانصه)

جاءت أديان والناس في فهم ومصالحهم العامة بل والخاصة في طور أشبه بطور الطفولية للناسي الحديث العهد بالوجود لا يألف منه الا ما وقع تحت حسه ، ويصعب عليه ان يضع الميزان بين يومه وأمه ، وان يتناول من المعاني ما لا يقرب من لسه ، ولم ينفث في روعه من الوجدان الباطن ما يعطفه على غيره من عشيره أو ابن جنسه ، فهو من الحرص على ما يقيم بناء شخصه في هم شغل عما يلقى اليه فيما يصله بغيره اللهم الا يداً تصل الى فمه بطعام ؛ أو تسنده في قعود أو قيام ، فلم يكن من حكمة تلك الأديان ، ان تخاطب الناس بما يلطف في الوجدان ؛ أو يرقى اليه بسلم البرهان ، بل كان من عظيم الرحمة أن تسير بالاقوام وهم عيال الله سير الوالد مع ولده في سداجة السن لا يأتيه الا من قبل ما يحسه بسمعه أو ببصره . فأخذتهم بالاوامر الصادقة ، والزواجر الرادعة ، وطالبتهم بالطاعة ، وحاثهم فيها على ما بلغ الاستطاعة ، كذمتهم بمقول المعنى جلي الغاية وان لم يفهموا معناه ، ولم تصل مداركهم الى حرمه ، وجاءتهم من الآيات بما اطرف له عيونهم ؛ وتفعل به مشاعرهم ، وفرضت عليهم من العبادات ما يليق بحالهم هذه^(١)

(١) المعروف الى الآن من هذه الأديان دين اليهود ومن قرأ كتبه المقدسة التي

يسمون مجموعها (التوراة) يجلي لها انطباق الوصف عليهم ففيها أن الرب كان ياقب شعب اسرائيل بالشعب الغايظ الرقيب ، أي المريض الغفا والمراد البئس الجافي وكان يريه الآيات والخاوف فيخضع ثم يعود الى تمرد . وكان يعمل له الاحكام بالوقائع الخاصة كأنجائه من المصريين . وكان يماقبه على ترك أي حكم بأشد العقوبة ومنها ان من يعمل يوم السبت عملاً يقتل قتلاً

ثم مضت على ذلك أزمان علت فيها الأقوام وسقطت ، وارتفعت ،
وجرت وكسبت ، وتخالفت وانفقت ، وذاتت من الأيام آلاما ، وتقلبت
في السعادة والشقاء أياما وأياما ؛ ووجدت الأنفس بنفث الحوادث ؛ ولقن
الكوارث ، شمورا أدق من الحس وأدخل من الوجدان ؛ لا يرتفع في
الجملة عما تشمر به قلوب النساء أو تذهب منه نزعات الغلمان ؛ فجاء دين
يخاطب العواطف ، ويناجي المراحل ؛ ويستمطف الأهواء ؛ ويحادث
خطرات القلوب ، فشرع للناس من شرائع الزهادة ما يصر فهم عن الدنيا
بجملتها ويوجه وجوههم نحو الملكوت الأعلى ، ويقتضي من صاحب الحق
ان لا يطالب به ولو بحق ، ويفلق أبواب السماء في وجوه الأغنياء ؛ وما ينحو
نحو هذا مما هو معروف . وسن للناس سننا في عبادة الله تنفق مع ما كانوا
عليه ، وما دعاهم اليه ؛ فلاقى من تعلق الناس بدعوته ما أصبح من فاسدها ،
ثم لم يعض عليه بضعة أجيال حتى ضعفت المزام البشرية عن احتمالها ،
وضاقت الذرائع عن الوقوف عند حدوده والأخذ بقوله ، ووقر في الظنون
أن تبع وصاياه ضرب من المحال ، فبب التائمون عليه أنفسهم لمنافسة الملوك
في السلطان ، ومزاحمة أهل الترف في جمع الأموال ، وانحرف الجمهور
الأعظم منهم عن جادته بالتأويل ، وأضافوا اليه ما شاء الهوى من الأباطيل ،
هذا كان شأنهم في السجيا . نسوا طهارته ، وباعوا نزاهته ؛ أما في المقائد
فتفرقوا شيعا ، وأحدثوا بدعا ، ولم يستمسكوا من أصوله الا بما ظنوه من
أشد أركانها ، وتوهموه من أقوى دعائها ؛ وهو حرمان العقول من النظر
فيه وفي غيره من دقائق الأكوان ، والحظر على الأفكار أن تنفذ الى
شيء من سرائر الخلق ، فصرحوا بان لا وفاق بين الدين والعقل ، وان

الدين من أشد أعداء العلم ؛ ولم يكف الذهاب الى ذلك أن يأخذ به نفسه بل جد في حمل الناس على مذهبه بكل ما يملك من حول وقوة . وأفضى الغلو في ذلك بالأنفس الى نزعة كانت أشأم النزعات على العالم الإنساني وهي نزعة الحرب بين أهل الدين للإلزام ببعض قضايا الدين . فتقوّض الأصل ؛ وتخرّمت العلائق بين الأهل ، وحلت القطيعة محلّ التراحم ، والتخاضم مكان التعاون ، والحرب محلّ السلام ؛ وكان الناس على ذلك الى أن جاء دين الاسلام ؛ (*)

كان سن الاجتماع البشري قد بلغ بالإنسان أشدّه ؛ وأعدته الحوادث الماضية الى رشده ، فجاء الاسلام مخاطب العقل ، ويستصرخ الفهم واللب ، ويشركه مع العواطف والاحساس ؛ في إرشاد الإنسان الى سعاده الدنيوية والاخروية ، وبين الناس ما اختلفوا فيه ، وكشف لهم عن وجه الاختصموا عليه ، وبرهن على أن دين الله في جميع الأجيال واحد ، ومشيئته في اصلاح شؤونهم وتطهير قلوبهم واحدة ، وأن رسم العبادة على الأشباح ، إنما هو الجديد الذكري في الأرواح ، وأن لا ينظر الى الصور ولكن ينظر الى القلوب ؛ وطالب المكاف برعاية جسده كما طالبه باصلاح سره ، ففرض نظافة الظاهر كما أوجب طهارة الباطن ، وعدّ كلا الأمرين طهراً مطلوباً ؛ وجعل روح العبادة الإخلاص ، وأن ما فرض من الأعمال إنما

(*) يرى الناظران الاستاذ الامام ياقق جميع ما يتدع في النصرانية وكان شوما على الإنسانية . بالرؤساء الذين خرجوا من زهاده المسيح ويدعون انهم نوابه الى مزاحمة الملوك والاستعلاء عليهم . فلا يتوهمن أحد أن مسلماً يعقد أن في دين المسيح نفسه شيئاً كان ضاراً بدنه فيمن خطوطه نوابه

هو لما أوجب من التطيع بطاهر المسكات : « ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر » « ان الإنسان خلق هلوعاً اذا مسه الشر جزوعاً واذا مسه الخير منوعاً الا المصلين » ورفع الغني الشاكر الى مرتبة الفقير الصابر بل ربما فضله عليه ، وعامل الإنسان في مواعظه معاملة الناصح الهادي للربيل الرشيد ، فدعاه الى استعمال جميع قواه الظاهرة والباطنة ، وصرح بما لا يقبل التأويل ان في ذلك رضا الله وشكر نعمته وان الدنيا زرعة الآخرة ولا وصول الى خير المقبي ، الا بالسعي في اصلاح الدنيا ،

.....

(ثم قال) « كشف الاسلام عن العقل نعمة من الوه فيما يعرف من حوادث الكون الكبير « العالم » والكون الصغير « الانسان » فقرر ان آيات الله الكبرى صنع العالم انما يجري أمرها على السنن الإلهية التي قدرها الله في خلقه الأزلي لا يغيرها شيء من الطوارئ الجزئية ، غير أنه لا يجوز أن يُفكّل شأن الله فيها ، بل ينبغي أن يحى ذكره عند رؤيتها ، فتدجاء على لسان النبي صلى الله عليه وسلم « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا تشفان موت احد ولا حياة فاذا رأيتم ذلك فاذكروا الله »^(١) وفيه التصريح بان جميع آيات الكون تجري على نظام واحد لا يقضي فيه الا العناية اللازمة على السنن التي اقامته عاينها ، ثم أماط اللثام عن حال الانسان في النوم التي يتمتع بها الاشخاص أو الأمم والمصائب التي يرزؤن بها افقصل بين الأمرين فصلا محكما - ثم بعد ان ذكر حال الافراد وأن ما يعييبهم قد يكون كسبهم وقد يكون بغير ذلك قال :

(١) كسبهم بغير علمهم ، ان النبي صلى الله عليه وآله لم يفسد



«أما شأن الأمم فليس على ذلك فإن الروح الذي أودعه الله جميع شرائعه الإلهية من تصحيح الفكر وتسديد النظر، وتأديب الأهواء، وتحديد مطامح الشهوات، والدخول إلى كل أمر من بابها، وطالب كل رغبة من أسبابها، وحفظ الأمانة، واستشعار الأخوة، والتعاون على البر، والتناصح في الخير والشر، وغير ذلك من أصول الفضائل - ذلك الروح هو مصدر حياة الأمم ومشرق سعادتها في هذه الدنيا قبل الآخرة «من يرد ثواب الدنيا ثوته منها» ولن يسلب الله نعمته مادام هذا الروح فيها . يزيد الله النعم بقوته وينقصها بضعفه ، حتى إذا فارقتها ذهبت السعادة على أثره ، وتبعها الراحة إلى متره ، واستبدل الله عزرة القوم بالذل ، وأكثرهم بالقل ، ونعيمهم بالشقاء ، وراحتهم بالعناء ، وسلط الله عليهم الظالمين أو المادنين فأخذهم بهم وهم في غفلة ساهون ، « وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميراً » أمرناهم بالحق ففسقوا عنه إلى الباطل ، ثم لا ينفعهم إلا نين ولا يجديهم البكاء ، ولا يفيدهم ما بقي من صور الأعمال ولا يستجاب منهم الدعاء ، ولا يكشف لما نزل بهم إلا أن يلجؤا إلى ذلك الروح الأكرم فيستنزله من سماء الرحمة يرسل الفكر والذكر والصبر والشكر « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » - « سنة الله في الذين خلوا من قبل وإن تجد لسنة الله تبديلاً » . وما أجل ما قاله المباس بن عبد المطلب في استسقاؤه « اللهم إنه لم ينزل بلائاً إلا بذنب ، ولم يرفع إلا بتوبة » على هذا السنن جرى سلف الأمة فيينا كان المسلم يرفع روحه بهذه المقائد السامية ويأخذ نفسه بما يتبعها من الأعمال الجليلة ، كان غيره يظن أنه ينزل الأرض

بدعائه ؛ ويشق الفلك بكائه ، وهو وريح بأهوائه ، ماض في غلوائه ، وما
كان يعني عنه ضنه من الحق شيئاً « اه المراد هنا من رسالة التوحيد

تشييه التعليم الديني بتعليم المدارس

هذا مقاله الأستاذ الامام في رسالة التوحيد التي طبعت سنة ١٣١٥
وقرر مجلس ادارة الازهر تدرسيها رسمياً في الجامع الازهر . ومعلوم
ان رئيس هذا المجلس هو شيخ الجامع فهو مع سائر العلماء أعضاء المجلس
بل وسائر علماء الازهر متفقون على ما في هذه الرسالة . وما تقدم عنها
يعلم معنى كون دين الاسلام هو دين العقل والقرآن يشهد بهذا في
عشرات ومئات من الآيات . ويعلم أيضاً ان المسلمين يعتقدون بحقيقة
الديانة المسيحية وكونها جاءت اصلاحاً للناس ولكن الى أجل محدود قد
انتهى واستغنى عنه بالدين الأخير

تقدم ان دين الله واحد « لا تفرق بين أحد من رسله » وان خطاب
الوحي كان يختلف باختلاف استعداد الناس . فالشريعة الموسوية وما شا كلهما
كان قبلها ودرس كالمدرسة الابتدائية . والديانة المسيحية كالمدرسة التجهيزية .
والديانة الاسلامية كالمدرسة العالية التي هي التعليم الأخير . وهذا يتضمن
انتقاص اليهودية والمسيحية كما ان وجود المدارس العالية لا يقتضي انتقاص
المدرسة الأولى أو الثانية لأن كلا منهما لا بد منه والترض من الجميع
واحد . ولا تنس ان التشبيه بالنسبة الى مجموع البشر في الجملة فلا يقل
ينبغي ان يكون كل فرد من الناس يهودياً ثم نصرانياً ثم مسلماً . وهذا
لذي قلناه . وقد بما ارشد اليه العلم الصحيح من سنة الارتقاء البشري وقد
جرى الناس على ذلك بحكم تلك السنة فدخل الملايين من اليهود والنصارى

في الاسلام أفواجا وكانوا في ذلك كمن انتقل من مدرسة الى مدرسة
أعلى منها. ولولا الرؤساء الذين جعلوا الدين تقليديا وجعلوا عليه سياجا من
القوة الحسية والوهمية ولولا الطواري التي طرأت على سير الاسلام
بواسطة الرؤساء من الملوك والاصراء، وقتنتهم للعلماء والفقهاء، لما بقي
للأديان الأولى من الاتباع ما يكونون به أمما كبيرة.

القسم العمومي

الاجتماع التاسع لجمعية أم القرى ويتبعه الاجتماع ١٠ و ١١

«في مكة المكرمة يوم السبت السابع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦»
في صباح اليوم المذكور انعقدت الجمعية وقرأ كاتبها السيد الفراتي ضبط مفاوضات
اليوم السابق حسب الاصول المرعية .
قال (الاستاذ الرئيس) اننا نقرأ اليوم قانون الجمعية وقد علم الاخوان من مطالعة
السائحة التي وضعها اللجنة ان هذا القانون هو الآن في حكم قانون . وقت الى ان
تشكل الجمعية الدائمة ان شاء الله وتزاول وظائفها فهي تعيد النظر فيه وتعني بتطبيقه
على الواجبات والتجربات ثم تعرضه على الجمعية العامة التي سيأتي ذكرها فيه فاذا
امضته صار حينئذ قانوناً راسخاً .

فلنقرأ الآن قضايا القانون فقرة فقرة حتى اذا كان لأحد الاخوان ملاحظة على
بعض الفقرات منه فليبيدها عند قرائتها وبعد المناقشة اما أن تقبل أو ترد أو تعدل
بالأكثريه . وعلى كل حال تضبط المناقشة في سجل مخصوص يكون كشرح للقضايا
يرجع اليه عند النزوم

ثم أمر (الاستاذ الرئيس) بقراءة سائحة القانون فقرئت وجرت على بعض القضايا
وبعض الفقرات منها مناقشات وتولى المدقق التركي رئيس اللجنة إعطاء الإيضاحات
اللازمة عن المقاصد التي لاحظتها اللجنة فيه فقبل أكثر قضاياها وعدل بعضها وضبطت
المناقشات على حدة

وقد استغرقت مباحث القانون جلسة ذلك اليوم وكذلك جلسة الاجتماع العاشر

المتفق يوم الأحد الثامن والعشرين من الشهر وجلسة الاجتماع الحادي عشر
المتفق مساء الأحد أي ليلة الاثنين

﴿ الاجتماع الثاني عشر ﴾

« في مكة المكرمة يوم الاثنين التاسع والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣١٦ »
في صباح اليوم المذكور انتظمت الجمعية حسب معتادها
أمر (الاستاذ الرئيس) بقراءة القانون الذي تقرر في الاجتماعات الثلاث السابقة متناً
مجرداً فقرياً وهذه صورته .

﴿ قانون جمعية تعليم الموحدين ﴾

﴿ المقدمة ﴾

« قد تقرر في الجمعية المتقدمة في مكة المكرمة في ذي القعدة سنة ست عشرة وثلاثمائة
والف المسماة «جمعية أم القرى» النتائج الآتية
«١» المسلمون في حالة فتور مستحکم عام «٢» يجب تدارك هذا الفتور سريعاً
والافتتحل عصيتهم كلياً «٣» سبب الفتور تهاون الحكماء ثم العلماء ثم الأمراء
«٤» جرثومة الداء الجهل المطلق «٥» أضر فروع الجهل الجهل في الدين «٦» الدواء
هو إنبارة الافكار بالتعليم أولاً وإيجاد شوق للترقى في رؤس الناشئين ثانياً «٧» وسيلة
المداواة عقد الجمعيات التعليمية القانونية «٨» المكلفون بالتدبير هم حكماء ونجباء الأمة
من المرأة والعلماء «٩» الكفاية لإزالة الفتور بالتدرج موجودة في العرب خاصة
«١٠» يلزم تشكيل جمعية ذات مكانة ونفوذ في دائرة القانون الآتي البيان باسم «جمعية
تعليم الموحدين»

﴿ الفصل الاول ﴾

[في تشكيل الجمعية]

« قضية ١ » تشكل الجمعية من مائة عضو منهم عشرة عاملون وعشرة مستشارون
وثمانون فحريون ويرتبط بالجمعية أعضاء محتسبون لا يتمين عددهم .
« قضية ٢ » يجب أن يكون الأعضاء كلهم متصفين بست صفات عامة وهي «١» سلامة
الحواس وكون السن بين الثلاثين والستين ابتداءً «٢» الاسلام من أي مذهب كان
من مذاهب أهل القبلة . «٣» المدالة بحيث يكون غير متجاهر بمصلحة شرعية إجماعية

ولا تلبس أو معروف بخلعة منافية للمرؤة . « ٤ » المزينة بعلم أو جام أو رثوة (*). « ٥ » الكتابة بأهتان في لغة ما ولو عامية « ٦ » النشاط بأن يكون ذا همة ونجدة وحية .

(قضية ٣) يشترط في الاعضاء العاملين والمستشارين زيادة اربع صفات على ما سبق وهي (١) القدرة على التكلم والكتابة بالعربية . (٢) إمكان الإقامة ثمانية اشهر في مراكز الجمعية وهي ما عدا ذا الحججة ومحرمأ وصفرأ وربيعاً الاول . (٣) تفرغ العاملين للحضور في نادي الجمعية أربع ساعات في كل يوم ما عدا الجمعة وأيام الأعياد . (٤) تفرغ المستشارين لحضور جلسة يوم واحد في كل أسبوع .

(قضية ٤) يشترط في الاعضاء الفخريين زيادة ثلاث صفات وهي (١) القدرة على الكتابة في إحدى اللغات الأربعة وهي العربية والتركية والفارسية والأوردية . (٢) الاستعداد لمراسلة الجمعية بأحدى هذه اللغات في كل شهر مرة بمقالة أو رسالة أو فصل من تأليف يقترح موضوعه من قبل الجمعية أو هو تخيره والجمعية تستصوبه وتقرر . (٣) الاذعان لانتقادات وتنقيحات الجمعية وتصحيحها (١)

[قضية ٥] تشكل جمعية عامة في كل سنة مرة في أوائل ذي القعدة يدعى إليها جميع الأعضاء حتى المحتسبون فيحضرها الأعضاء العاملون مطلقاً ومن شاء من الباقين . (قضية ٦) الجمعية العامة بالمذاكرة والانتخاب الخفي والاكثرية المطلقة تميز المترشحين للهيئة العاملة ثم المترشحين للهيئة المستشارة .

(قضية ٧) الهيئتان العاملة والمستشارة يجتمعان وبالمذاكرة واكثرية الثلثين يميزان المترشحين منهم للرئاسة ولنيابة الرئاسة وللكتابة الاولى وللكتابة الثانية ولامانة المال ثم تنتخبان من المترشحين رئيساً لأجل سنة ونائب رئيس لأجل سنتين وكتائباً أول لأجل ثلاث سنين وكتائباً ثانياً وأمين مال لأجل أربع سنين

(قضية ٨) الهيئتان العاملة والمستشارة يدققون في صفات الذين يراد ان يكونوا من الاعضاء الفخريين أو المحتسبين ثم بالانتخاب الخفي والاكثرية المطلقة يقبلون أو يردون (قضية ٩) للهيئتين العاملة والمستشارة أن يرفعوا صفة العضوية عن من يعلم وقوع

« * » ليس المقصود من الثروة ذاتها بل إعانتها صاحبها على بعض الاخلاقي الشريفة « ١ » (قضية موقفة) يتدئ تشكيل الجمعية حسباً يتسهل للمؤسس وهو يرأسها موقفاً وله أن ينيب عنه من شاء وعندما يبلغ عدد الاعضاء المكتتبين قدرأ كافياً يجمعهم لينتخبوا الهيئة العاملة والهيئة المستشارة .

حالة منه تستوجب ذلك وتحقق خفياً وتصدق بأكثرية الثلثين .
 (قضية ١٠) الجمعية العامة تقوم بأربع وظائف وهي : (١) تدقيق اجمالي في جميع الاعمال التي أجرتها الجمعية في السنة الماضية . (٢) التدقيق في حساباتها الماضية . (٣) تقرير ما يلزم التثبيت به من الاعمال الكبيرة في السنة المستقبلية (٤) تقرير نفقات السنة القابلة . (قضية ١١) المركز الرسمي للجمعية مكة المكرمة وطا شعبات في القسطنطينية ومصر وعدن وحائل والشام وقلبيس وطهران وخيوه وكابل وكلكته ودهلي وسنغابور وتونس ومراكش وغيرها من المواقع المناسبة
 (قضية ١٢) يكون تشكيل الشعبات على نمط تشكيل الجمعية المركزية مصغراً وتكون مرتبطة تماماً بالجمعية فيما عدا مالياتها وجزئيات أمورها فان لها الخيار ان تكون مستقلة المالية والادارة

(قضية ١٣) تشكل الشعبات على التراخي ويعطي لبعض المناسب الموقع منها هيئة تصالح معها لان اتخذ عند ميسر الحاجة هي المركز الاصيل (١)

﴿ الفصل الثاني ﴾

(في مباني الجمعية)

(قضية ١٤) الجمعية لا تدخل في الشؤون السياسية مطلقاً فيما عدا ارشادات وتبقيات بمسائل اصول التعام وتعميمه .
 (قضية ١٥) ليس من شأن الجمعية ان تكون تابعة او مرتبطة بحكومة مخصوصة وعلى انها تقبل المعاونة او المعاونة من قبل السلاطين المعظام والامراء المعظام المستقلين والتابعين بصفة حماة فخرين .
 (قضية ١٦) لا ينتسب الجمعية الى مذهب او شيعة مخصوصة من مذاهب وشيع الاسلام مطلقاً .
 (قضية ١٧) توفق الجمعية مسالكها الدينية على المشرع السلفي المعتدل . وعلى نبذ كل زيادة وبدعة في الدين . وعلى عدم الجدل فيه الا بالتي هي احسن .

(١) قضية مؤقتة ~~في~~ مراكز الجمعية يكون في السنين الاولى في بور سعيد او الكويت ثم ينتقل الى مكة بعد الرسوخ او عند اقامة مراکش ، أفغان ، انزيم وغيرها . كالات سياسية لها في مكة وعلى كل حال يكون للجمعية يد في مكة وبقية مكة .

(قضية ١٨) يكون شعار الجمعية القولي [لانعبدُ الا الله] وشعارها الفعلي التزام (المصافحة) على وجه السنة ووجهها (الغيرة على الدين قبل الشفقة على المسلمين) وأهم أعمالها (تعليم الأحداث وتهذيبهم) «تراجع قضية ٤٦ و٤٧ و٤٨ :»
 (قضية ١٩) أعضاء الجمعية لا يتكفون التناصر والتعاون فيما هو ليس من مقاصد الجمعية أي التعاون بالمال أو الجاه فيما بينهم إلا لمن يصاب ويتضرر بسبب الجمعية.
 (قضية ٢٠) تتكفل الجمعية بكفاية عدد مخصوص من أصحاب المزايا العامة الخاصة أو العزائم الحارقة العادة بشرط ان يكونوا مجردين لاعيال لهم أو شبين بالمجردين

﴿الفصل الثالث﴾

« في مال الجمعية »

(قضية ٢١) نفقات الجمعية تبنى على غاية البساطة والاقتصاد وهي تسعة أنواع « ١ » ا كمال كفاية الهيئة العاملة بما لا يزيد على ستين ذهباً انكليزياً لكل واحد في السنة . « ٢ » رواتب الكتاب والمترجمين والخدم . « ٣ » اجرة محلات المركز والشعبات غير المستقلة مالية . « ٤ » نفقات البعثات المتجولة . « ٥ » نفقات المطبوعات . « ٦ » نفقات التحرير والتأليف . « ٧ » نفقات البريد والرسائل « ٨ » كفاية المذكورين في « القضية ٢٠ » « ٩ » النفقات المتفرقة .

(قضية ٢٢) تعتمد الجمعية في الحصول على نفقاتها على جهتين فقط النصف من ربح مطبوعات الجمعية أي طبع المؤلفات الآتي ذكرها في الفصل التالي من نحو طبع المصحف الشريف بصورة متقنة للغاية تستوجب الاختصاص بطبعه والنصف الآخر من اعانات أصحاب الحمية والتجدة من أمراء وأغنياء الامة وبعض الأعضاء المحسنين .
 (قضية ٢٣) أمين المال يكون من أغنياء التجار المشهورين المقيمين في مركز الجمعية ويكون من جملة الأعضاء المستشارين ويقوم بهذه الخدمة حبة لربه ودينه ويكون المال في يده بوجه مضمون .

(قضية ٢٤) أمين المال يعطى وصولات بمقبوضاته تكون مطبوعة مرقوم عليها عدد متسلسل في جانب منها مجموع الوارد ومجموع المصروف في تلك السنة باعتبار غاية الشهر العربي المنصرم .

(ملاحظة موقته) يكفي للجمعية في السنين الاولى مقدار خمسة آلاف ذهب (جنيه)

انكليزي فقط وحصول ذلك ليس بذي بال

(قضية ٢٥) أمين المال لا يصرف شيئاً الا بورقة صرف مطبوعة عليها عدد متسلسل وموقع عليها من القابض وكتاب الجمعية ورئيسها .

﴿ الفصل الرابع ﴾

« في وظائف الجمعية »

(قضية ٢٦) الهيئتان العامة والمستشارة بالاتفاق أو أكثرية الثلثين تعبدان النظر في قانون الجمعية مرة ابتداءً ثم كل ثلاث سنين مرة وتنظمان القوانين التي تلزم ويجب مطلقاً ان يكون ترتيب القوانين تابعاً لقواعد التروى والتدقيق والتأمين وترتبط كل قضية بشرح مفصل مسجل يرجع اليه . ولا يصير القانون دستوراً للعمل الا بعد قرأته في الجمعية العامة السنوية وقبوله . ويجوز للهيأتين عند الضرورة تقرير العمل ببعض من أحكام تلك القوانين موقفاً ثم تعرض على الجمعية العامة الاسباب المجدرة على التمجيل .

(قضية ٢٧) ايقاظ فكر علماء الدين الى الامور الحمسة الآتية وتنشيطهم للسعي في حصولها ومساعدتهم براءة أسهل الوسائل وأقربها اليها وهي .

١٠ « تعميم القراءة والكتابة مع تسهيل تعليمهما » ٢٠ « الترغيب في العلوم والفنون النافعة التي هي من قبيل الصنائع مع تسهيل تعليمهما وتاقبهما » ٣٠ « تخصيص كل من المدارس والمدرسين لنوع واحد أو نوعين من العلوم والفنون ليوجد في الامة أفراد نابغون متخصصون » ٤ « إصلاح أصول تعليم اللغة العربية والعلوم الدينية وتسهيل تحصيلها بحيث يبقى في عمر الطالب بقية يصر فيها في تحصيل الفنون النافعة » ٥ « الحد وراء توحيد أصول التعليم وكتب التدريس

(قضية ٢٨) السعي في تأليف متون مختصرة بسيطة واضحة على ثلاث مراتب

١٠ « لتعليم المبتدئين أو المكتفين بالبادئ » ٢٠ « لتعليم المتبين الباطلين الإلتقان » ٣٠ « لتعليم النابغين الراغبين في الاختصاص »

(قضية ٢٩) الأهتمام في جعل المتعلمين والمعلمين على أربع مراتب » ١٠ « العامة

ومعلموهم أئمة المساجد والجوامع الصغيرة » ٢٠ « المهذبون ومعلموهم مدرسو المدارس العمومية والجوامع الكبيرة » ٣٠ « العلماء ومعلموهم مدرسو المدارس المختصة بالعلوم العالية » ٤٠ « النابغون ومعلموهم الأفاضل المتخصصون »

(قضية ٣٠) السعي لدى أمراء الأمة بمعاملة كافة طبقات العلماء بمعاملة الأطباء

أي بالحجج رسماً على من يتصدر للتدريس والإفتاء والوعظ والإرشاد ما لم يكن مجازاً

من قبل هيئة امتحانية رسمية موثوق بها تقام في المواسم .

(قضية ٣١) التوسل لدى الأمراء أن يعطوا لأحد العلماء القبورين في كل بلدة صفة محتسب ديني على جماعة المسلمين في تلك البلدة ويحصلوا له مستشارين منتخبين من عقلاء الأهالي وتكليف هذه الجمعية الاحتسابية بأن تقوم بالنصيحة للمسلمين بدون عنف وبسهولة تعميم المعارف والمحافظة على الاخلاق الدينية .

(قضية ٣٢) التوسل لئيل العلماء ما يستحقون من رزق وحزمة ومنعهم عن كل ما يخل بصفهم وشرفهم . (١)

(قضية ٣٣) التوسل لحمل أهل الطرائق على الرجوع إلى الأصول الملائمة للشرع والحكمة في الارشاد وتربية المريدين . وتكليف كل فرقة منهم بوظيفة مخصوصة يخدمون بها الامة الاسلامية من نحو اختصاص فرقة كالفادرية مثلا بعول وتعلم الأيتام وأخرى بمواساة المساكين وأبناء السبيل وجماعة بتمريض الفقراء والبائسين وفتة بالثبوت في الصلاة وغيرها بالتنفير عن المسكرات ونحو ذلك من المقاصد الخيرية الشرعية فيكون عملهم هذا عوضاً عن السطل والتعطيل .

(قضية ٣٤) حمل العلماء والمرشدين وجمعيات الاحتساب على السعي لإرشاد أفراد الامة خصوصاً أحداثها إلى قواعد معاشية وأخلاقية متحدة الأصول ثلاثم الاسلام والخيرية الدينية وتفيد ترويض الاجسام وتقوية المدارك وتتم النشاط للسعي والمعمل وتولد الحمية والاخلاق الشريفة

(قضية ٣٥) تعني الجمعية بصورة مخصوصة بوضع مؤلفات أخلاقية . الامة للدين وللزمان وتكون على مراتب من بسيطة ومتوسطة وعالية بحيث تقوم هذه المؤلفات مقام معلولات الصوفية . وتقوم بوضع مؤلفات لغة وسطى عربية لا مصرية ولا عامية وجعلها لغة لبعض الجرائد ومؤلفات الاخلاق ونحوها بما هم نشره بين النوام فقط (١)

(قضية ٣٦) تعني الجمعية في حمل العلماء وجمعيات الاحتساب على تعليم الامة

(١) كالتعود في محلات القهوة والتجول في المجتمعات وركوب الحمير ونحو

ذلك مما لا يقدم عليه أمثالهم في الملل الأخرى

٣٧ « كالاكتفاء بالسبب عن التاء وبالزاي عن الذال والاقتصار على التنثية بالياء والجمع بالواو والنون والقصر بالألف وكقبول الوضع العامي المشهور . هـ من هامش الأصل [المنار] : هذا خطأ لأجاجة إليه إذ يمكن الوصول إلى المقصود باللغة الصحيحة السهلة

ما يجب عليها شرعاً من المجاهدة في المعاملة مع غير المسلمين وما تقتضيه الانسانية والمزايا الاسلامية من حسن معاشرتهم ومقابلة معروفهم بخير منه ورعاية الذمة والتأمين والمساواة في الحقوق وتجنب التمصب الديني أو الجنسي بغير حق .

(قضية ٣٧) تنشر الجمعية رسالة دينية عربية في كل شهر يكون حجمها نحو مائة صفحة بحيث يتألف منها كتاب في كل عام وتكون مباحثها ثمانية أنواع يخصص لكل بحث قسم منها وهي .

(١) مقررات الجمعية وأعمالها وخلاصة المهم من مراسلاتها مع شعباتها . (٢) مباحث دينية في موضوع سباحة الدين ومزاياه السامية ودفع ما يرمى به من منافاته للحكمة والمدنية . (٣) قواعد أخلاقية ونصائح معاشية . (٤) فصول في العلوم والفنون النافعة والترغيب فيها وإراءة طرائق تلقينها وتلقينها . (٥) المقالات المفيدة التي يحررها الاعضاء الفخريون وغيرهم من فضلاء الامة . (٦) الاخبار والاعلانات الخاصة بالنهضة العلمية الاسلامية . (٧) الاسئلة والاجوبة المهمة . (٨) مباحث وقواعد شتى .

(قضية ٣٨) تكون الابحاث والمقالات الدينية في الرسالة الشهرية ملاحظاً فيما إجماع السلف أو الموافقة لمذهبين فأكثر من المذاهب المندوة المتبعة . ويتمين في المسائل المهمة الخلافية بأن يقرها بعض المشهورين عن علماء الهداية من المذاهب المختلفة (قضية ٣٩) تكون قيمة الرسالة ممتددة قريبة من نفقات تحريرها وطبعها فقط وترسل الى المدارس والاملاء المشهورين بدون عوض على حساب الامراء والمحتسين .

(قضية ٤٠) تعني الجمعية غاية الاعتناء في إيصال الرسالة الى المرسل اليهم بصورة منتظمة وفي ادخالها البلاد المأهولة بالمسلمين رغماً عن كل مانع فتُرسل ولو برأ مع رواد على نجائب تخترق آسيا وأفريقيا الى اقصاهما ولا تقدم الجمعية وسائل كثيرة للإيصال (قضية ٢١) تخصص الجمعية منشوراتها وإعلاناتها أربع جرائد من أشهر الجرائد

الاسلامية السياسية ١ عربية في مصر ٢ تركية في القسطنطينية ٣ فارسية في طهران ٤ أوردية في كالكته

(قضية ٤٢) تسمى الجمعية في تأسيس مدرسة جغرافية تاريخية دينية في مركز الجمعية لأجل تثقيف تلامذتها وتأهيلهم لسياحة والبعث

(قضية ٤٣) ترسل الجمعية بموتاً جغرافية وعندية تجوّن في البلاد الاسلامية الشرقية وتبيدهم للاطلاع على أحوال البلاد وأهاليها من حيث الدين والمعارف ولارشادهم

الى مايلزم إرشادهم اليه في ذلك حسبما تقتضيه الاخوة الدينية بدون تعرض للاحوال السياسية قطامياً

(قضية ٤٤) تسمى الجمعية بمد مضي ثلاث سنين من انعقادها في اقناع ملوك المسلمين وأمرائهم بمقده مؤتمر رسمي في مكة المكرمة بحضوره وفود من قبلهم ويترأسه مندوب أصغر أو تلك الامراء ويكون موضوع المذاكرات في المؤتمر السياسي الدينية * (قضية ٤٥) اذا صادفت الجمعية معارضة في بعض أعمالها من حكومة بعض البلاد ولا سيما البلاد التي هي تحت استيلاء الاجانب فالجمعية تتذرع أولاً بالوسائل اللازمة لمراجعة تلك الحكومة وإقناعها بحسن نية الجمعية فاذا وُفقت لرفع التفتت فيها وإلا فتلجأ الجمعية الى الله القادر الذي لا يعجزه شيء *

﴿ خاتمة ﴾

(قضية ٤٦) « سياسة الجمعية » جاب قلوب من تخير جانبهم ببندل المعروف محابة فتتحري مواساة الإنسان عند مصابه وتنقب عن أهم حاجاته أو غايته فعيه عليها (قضية ٤٧) « مظهر الجمعية » العجز والمسكنة فلا تقاوم ولا تقابل الا بأساليب النصيحة والموعظة الحسنة وتلاطف وتجاامل جهدها من يعادي مقاصدها ولا تاجأ الى الإلجاء الا في الضروريات .

(قضية ٤٨) « قوة الجمعية » الإخلاص في النية * وعمدتها الثبات على العمل * ومسلكها تذليل العقبات واحدة فواحدة وحصنها الدين الحنيف * وسلاحها العلم والتعليم * وجيشها الاحداث والضعفاء * وقوادها حكماء العلماء والامراء * ورايتها المندوة الحسنة * وغنيمتها بث الحياة في الموحدين * وغايتها خدمة المدينة والانسانية . وثمره أعضائها والصارها لذة الفكر والفخر ونيل الاجر من الله . (تم القانون)

﴿ أحوال العالم الإسلامي ﴾

(المؤتمر الإسلامي في الهند)

أشرنا في الجزء الماضي الى انعقاد مؤتمر التربية الاسلامية في الهند وتذكر الآن مجلداً من خبره

انتخب المسلمون في هذه السنة رئيساً لمؤتمرهم (السير آغاخان) وهو شاب من

الكبراء الذين يقرن باسمهم لقب « السموة » وقد اشتهر بالذكاء والتبيل، والعلم والفضل،
ولهذه المزايا اختارته طائفة الاسماعيلية رئيساً لها وهي الطائفة الباطنية المعروفة بالتروبي
في اختيار الرؤساء ولذلك كان أمرها منتظماً في كل البلاد الى اليوم، ولا توجد طائفة
تنسب الى الإسلام في هذا العصر أشد من هذه الطائفة تعاوناً وتحاملاً والتاماً ونظاماً.
والفائدة الكبرى التي استفدتها من خبر مؤتمر هذه السنة هي انتخاب هذا الامير
رئيساً للمؤتمر الذي معظم رجاله من أهل السنة بل هذا هو الدليل القاطع عندي على
ان إخواننا مسلمي الهند قد ارتقوا عنا وعن سائر المسلمين الذين نعرف أخبارهم .
ذلك ان أدواء أدواء المسلمين التفرق في الطوائف وعدم معرفة قيمة التابعين
لا سيما اذا خالفوا الجماهير في بعض تقاليدهم — وهذه الحلة لازمة للتابعين لا تفارقهم
— ذلك بأن مبدأ النهوض في كل أمة منحطة هو ظهور افراد فيها كبار العقول
أقوياء القلوب بوجهون عنانهم الى الخدمة القومية . فاذا ظهروا في أمة مستعدة
للهوض تشمر الأمة بفضلهم وتقدرهم حق قدرهم وتعطيهم مكانة الهامة من الجسد
فيدبرونها ويعرجون بها الى ما هي مستعدة له من الارتقاء . واذا ظهر واقبل استعداد
الأمة للاستفادة من مواهبهم ترى الجماهير من خواص قومهم يفتونهم وينفرون
العامة منهم ويتوكلون على ما لا يخلو نافع عنه من المخالفة للجماهير في تقاليدهم وعاداتهم.
وأعني بالخواص الرؤساء والأغنياء الذين يعبى عنهم القرآن بالمترفين وهم الذين كانوا
أعداء الأنبياء والمرسلين . وكانوا ولا يزالون أعداء الإصلاح والمصلحين
أما قولنا ان التابعين الذين يتوجهون الى إصلاح الأمم لا بد ان يخالفوا قومهم
في بعض عاداتهم واعتقاداتهم فليس معناه انهم يحرون المخالفة طلباً للشهرة او الامتياز
وانما ذلك أمر طبيعي لازم . وبيانه ان الفساد انما يضرب بجمرانه في الأمة ويفتك بها
لفساد يطرأ على العقول فتأخذ بالاعتقادات الباطلة ، وفساد يلم بالنفوس فتستبدل
الأخلاق الذميمة بالأخلاق الفاضلة . وتولد من الفساد العادات الضارة ويفتك
كل ذلك بالأمة فتكافئ فالتابع الذي يتعدى للإصلاح يعرف بما يزه الله تعالى به
من نفوذ البصيرة منشأ الفساد في الأعمال . وينفر بما خصه به من كرامة النفس وزكاتها
عن كل ما يعتقد فاسداً ويرى اثره ضاراً . فهو بهذا وذلك يكون مخالفاً للأمة في بعض
اعتقاداتها وعاداتها حتماً بغير تكلف ولا تصنع بل بوجوده من محبي الإصلاح من
يتكلف إخفاء المخالفة وإظهار الموافقة في بعض الأمور لأجل ان يقبل منه غيرهما .

ليس هذا موضع الإطالة في أخلاق المصلحين مع أقوامهم ولكنني أقول ان
أكثف الحجب بين المصالح وبين قومه هو أن ينز بأنه مخالف لهم في بعض الأمور
الدينية أو مقصّر فيها فإذا وصلت الطبقة المتوسطة في قوم إلى أن يعرفوا درجة المستعد
للإصلاح وان لا يصددهم عن الانتفاع به كونه مخالفاً لهم في بعض المسائل الدينية أو
غيرها لأنهم يعرفون كيف يتفنون وبم يتفنون وهم واقفون بأنفسهم لا يخافون من
شدوذ رئيسهم في بعض المسائل ان يتعدى اليهم ومنهم إلى الأمة بأسرها فلو أنك هم
القوم الذين أذن الله بتزقيتهم ونجاحهم

خطب رئيس المؤتمر وذكر أمراض المسلمين التي هبطت بهم إلى الدرك الذي
هم فيه بين الأمم فذكر ان جرائم هذه الأمراض أربع «١» عقيدة الجبر التي حلت
الغزائم والحق تبعها بالامام أبي الحسن الأشعري [رحمه الله تعالى] وه «٢» اعتقاد ان
ترك الشؤون العامة والاشتغال عنها بالمزلة والعبادة من مهمات الدين وزعم ان منشأ
ذلك اعتزال بعض الصحابة «عليهم الرضوان» الحرب بين علي ومعاوية وقولهم ان
هذا أسلم للدين. و «٣» أهال تعليم النساء وتربيتهن لمساحل دون ذلك من التشدد في
الحجاب والخروج به عما جاء به الشرع وأثبت ان هذه المعضلة الاجتماعية قد سبرت
عدواها من مترفي القرس إلى بني العباس وبسببهم رسخت في الأمة الإسلامية وكان
من أثرها حبس نصف المسلمين في السجن الأبدي والقضاء عليه بالجهل والجهول.
ويرى القارىء في كل مسألة من هذه الثلاث نزعة يصح ان تكون تولدت في دماغه من
التمكن في مذهبه الذي أصله العلو في التشيع إلى ادعاء الحلول في بعض أمم آل البيت
ورمي عظماء المسلمين من الصحابة فمن بعدهم بالإضرار بالدين ولو عن غير عمد.
لو قام مثل هذا الخطيب الذي يفخر به مسلمو الهند اليوم وخطب خطبته هذه
في مصر لشموه، أو في الشام لضربوه، أو في تونس لنفوه وأبمدوه، أو في الجزائر
أوصرا كس لقتلوه فلنا ان نقول انه لم يرتق في البلاد الإسلامية الا مسلمو الهند الذين
أتوا على هذا الخطيب ووقروه، لأن له مزايا يتفخ بها في العمل الملي الذي تيممه
فإذا اعتقد أهل السنة منهم انه أخطأ في تمليل جمل اعتزال الاعمال العامة من الدين
إلى الاقتداء بفضلاء الصحابة وأخطأ باسناد عقيدة الجبر إلى الامام الأشعري فهم
تدرونه بأنه قال ما يعتقد بإخلاص ولا يمكن ان تظهر الحقائق في قوم لا حرية عندهم
يعلم بأنظمار اعتقاده. ومن الغريب ان ترى البلاد التي يدعي أهلها اتباع السنة في

اعتهم علماءها بحُيوة النقيّة التي يعيون بها اخواتهم الشيعيين ويحتجون عليهم بان
من يقول بالنقيّة لا يوثق بعلمه ولا بدينه اذ يجوز ان يكون كل ما يظهره مخالفاً لما
يمتقده عملاً بالنقيّة . ومن تراهم يتقنون ؟ يتقنون العوام الجاهلين المقلدين لهم . اليس
من أعجب العجائب ان العالم يتبع الجاهل فأقول له تعاليد وخرافاته ليكون راضياً عنه
ويبقى مغتظاً ومكرماً له ؟؟

قد علم ان المرض الاول من الامراض التي ذكرها رئيس المؤتمر يتعلق بالاعتقاد
والمرض الثاني يتعلق بالأخلاق والأعمال والمرض الثالث يتعلق بالمعادات والأعمال
[ولذلك رتبنا هذا الترتيب المخالف لترتيب الخطيب] أما المرض الرابع فهو خاص
بالسياسة وهو احتكار الخلافة والإمارة في بيت مخصوص يتوارثها أفرادها . وقد صبب إثم هذه
الجرعة على نبي العباس الذين منقوا شمل الأمويين ثم العلويين ، وكادوا يفتونهم اجمين ،
والقاري يرى في هذا من الظنّة ما يرى فيها سبقه . ولكن مجموع الخطبة يبرى الخطيب من
سوء القصد في كلامه كله فقد اتى على عمرو بن العاص الذي كان عضد معاوية وساعده ويده
التي تناول بها الخلافة وساد على العلويين من أول الأمر — نعم انه لم يتن عليه بهذا
العمل ولكنه اتنى عليه بالسياسة الحكيمة التي لا يعمص حقه فيها بصير وان كان متبني
من صميم العلويين . بله نساءه على الخليفة الثاني وعلى الصحابة كلهم في الجملة .
وحاصل القول ان الخطيب أحسن في كلامه وأبان به عن عقل وبصيرة واستعداد
لرياسة المؤتمر وان كان في بعض القول مجال ، لمن لاشغل لهم الا القيل والقال ، وهم
بمخزل عن الأعمال .

أما تبيخه المؤتمر التي وجه عنائه اليها فهي إنشاء مدرسة كلية في مدينة كانبور
التي تسمى الامكنزية أو جعل مدرسة عليكده كذلك . وقد قدر الرئيس في خطبه
نصف المباد هذه المدرسة بمئزر ملايين روبية . ان هذا انكسار وكسور
وما أجل قول الخطيب : الا تشترون بمجد الإسلام بمئزر ملايين روبية ؟ أهذا
الذي كتب ؟؟ ومن بعد فكره وصائب رأيه أنه ذكر في هذا المقام صلة مسلمي الهند
بالمهاجرين والاربيين والأفغانيين ، وأشار بوجوب جعل المدرسة الكلية كعبة العلم لجميع
المسلمين ، كأنه لم تحظر في باله ترغبات شيطان «الوطنية الحقة» التي يدعو إليها بعض
الأحداث في مصر وهي قطع صلات الأمة الإسلامية ومجاناة بعض شعوبها لبعض حق
الذين لهم لنة واحدة ولا يتصون الى دولة واحدة !!!

هذا الرأي الحميد رأي توقع نجاح الأمة على المدارس الكلية الجامعة قد نوهنا به من قبل وطالبنا به عقلاء المصريين وأصحاب التأثير فيهم قولاً وكتابةً. وإذا يسر الله تعالى ووفق المسلمين إلى إنشاء كليتين واحدة في الهند وأخرى في مصر فذلك منتهى السعي الحميد في إحياء المسلمين وإعادة مجدهم ولا توجد بلاد إسلامية غنية والتعليم الأهلي فيها حر إلا البلاد الهندية والبلاد المصرية. ولا يتم هذا العمل في مصر إلا بسعي مثل السعي الذي في الهند وهو أن يتألف مؤتمر ويكون جميع أفراد دعاة إلى هذا العمل وساعين في جميع المال له من كل مكان. نعم يظهر أن أهل مسلمي مصر أقل اعتماداً من مسلمي الهند بالنسبة إلى المجموع ولكن في مصر رجالاً ربما لا يوجد خيراً منهم في بلاد إسلامية أخرى ولهم أن يجعلوا كليتهم في أول الأمر صغيرة ثم يوسعون دائرتها بالتدريج. وقد سمعت أكبر مرجو فيهم مثل هذا السعي يقول أنه يمكن الإقدام على العمل إذا تيسر جمع مئة ألف جنيه فقط. ولو اعتبر أغنياء مصر بالسركاسل الإنكليزي الذي بذل من ماله أربعين ألف جنيه لأجل دراسة مرض الرمد في مصر لتيسر لهم بذلك ما ينشئ مدرسة كلية تكون حياة قومهم وأمهم، ومنشأ عزهم وسعادتهم.

﴿ تونس — أو حادثة صفاقس ﴾

بينما مسلمو الهند يصفقون لرئيس مجدهم وخطيب مؤتمرهم الإسماعيلي المذهب رجوعاً إلى تساهل الإسلام في الصدر الأول أيام كان الحافظ البخاري يتلقى الحديث عن عمران بن حطان الخارجي وإذا بمسلمي البلاد التونسية يهيجون ويحتمون على مدرس من أهل مذهبهم في الأصول والفروع لأنه أنكر عليهم بعض البدع التي أنفوها وألصقوها بالدين وتكلفوا لهذا الإلصاق ضرباً من التأويل تصادمها بخصوص الكتاب والسنة. تلك البدعة أو البدع هي التي أقام «المنار» بها القيامة على أهلها وكتب فيها أكثر من سبعين مرة وهي ما يفعله الجهلاء عند قبور الأولياء، من التضرع والدعاء، والاستغاثة والاستجداء، والطواف والاعتكاف، والتذلل والاستعطاف، والقيام والقعود، والركوع والسجود، وما رخص الدين في زيارة القبور بسد التهي عنها ليدعى أربابها من دون الله، ويقول المأول «هؤلاء شفعاؤنا عند الله» ولا لينسخ بهم قوله تعالى «إياك نعبد وإياك نستعين» وقوله «وأن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً» الخ الخ الواقعة هي أن عالماً مدرساً في مسجد صفاقس اسمه (الشيخ محمد شاكر) كان

يقراً عقيدة التوحيد فلما انتهى الى وحدانية الأفعال التي يكاد يكون الكلام عليها في بعض كتب العقائد جبراً محضاً نهى عن بدع القبور، والاستماناة بأهلها والتقرب اليهم بتقديم النذور، فكبر ذلك على الذين يأكلون تلك النذور فوشوا ومحلوا وحرفوا وتمحلوا، ورفع الأمر الى المحكمة الشرعية ثم الى العامل المدني في صفاقس ثم الى الوزارة في الحاضرة (تونس) فحكم بمنزله من المدرسين في جامع صفاقس وانتطويح في جامع الزيتونة وقد ذكرت الواقعة بعض الخبرات المصرية نقلاً عن جرائد فرنسية وذكرت ان قاضي تونس ومفتيها اللذان طلبا من الوزارة عزله وما ظن ذلك صحيحاً وإذا كان القاضي والمفتي وشيخ الجامع الأعظم لم يسموا بمنزل هذا المدرس تاتي قرر التوحيد ونهى الناس ان يستينوا بغير الله على أمور دنياهم أمّا كان يجب عليهم ان ينصروه ويعززوه؟ اني ومن هنا تعرف الفرق بين تونس والهند بل بينها وبين مصر فالتناقررنا هذه المسألة وشددنا فيها التكريم في لاجد الحسيني وكان يحضر درسا كثير من العلماء والفضلاء، فما التصبر أحد من حضره ممن لم يحضر لبعض الجهات الامم الذين كبر عديهم ما قررناه ولا سمينا كلمة تحفظه من شيخ الازهر ولا من مفتي الديار المصرية ولا من غيرها من كبار العلماء.



ولا بد ان يكون تشديد التوحيد في ذلك مبنياً على بيت مدني كأن يكون مدرس ذلك المدرس أحدث شغياً وهيجاً في العامة والسياسة مبنية على مراعاة أمر العامة بالحق وبالباطل وان كان الذي يجب منه هو رد الامانة الخيرية (الفرنسية) باضطهاد رجل يصلح كهذا المدرس يحاول هدم مناشي الحرافات التي نشأت منها تعصبات أهل الطريق الذين يهددون الحكومات في تقويتها وهم خطر دائم علينا وعلى قومهم ولا علاج لهم الا بالاندالذي الصحيح الذي يهدم تلك الساحة أو يرشد أهلها الى الحق الذي يعرفون به أنفسهم فلا يكلفوننا العمل ما ليست أهلنا له وقد جاءتنا جريدة فرنسية تونسية تشرح مسألة صفاقس وتبين خطأ الحكومة في اوجباتها تعريبها في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى.

ثورة سراكش ونبأعظيم

لا تزال الثورة تتعاقب في بلاد سراكش وتفرس على السواد جيش جرار وقد ارتدت بعثة عسكرية الى سلطان سراكش فتقوي بذلك نفوذها عنده على نفوذ انكارترا. أما النبأ العظيم الذي حدث أخيراً فهو أن البرقيات أفادت اليوم ان حكومة المغرب الاقصى

فقد اقترحت من مصرف (بنك) فرنسا والبلاد الواطئة (هولندا) سبعة آلاف الف وخمسة مائة الف فرنك (١٠٧ ملايين ونصف) بفائدة ستة في المئة . قال (روتر) : ولما كان السلطان هو الكافل لهذا القرض فالتبادر انه حيلة سياسية يقصد بها زيادة نفوذ فرنسا عنده : هذا وان من عرف حال الاوربيين في الاستعمار يعلم أن الاقتراض . مبدأ الاقراض . أي ان الحكومة الشرقية التي تقترض من دولة أوروبية ينقرض حكمها باليد التي تسطها المال . وكأن هذه الحكومات الجاهلة لا يدان تهم سلطانها بأيديها . وكأن بلادها لا تحي الا اذا ماتت موتتين . وكأن الله قضى أن لا تكون حياتها . الا على أيدي من تسميم عداتها . لا على أيدي كبارها وساداتها . ولا يشترط أن تكون امانة الاجنبي لنا . فتصودأ بها الإحباء . فيقال اننا أحسننا الظن بالاعداء .

﴿ المنار في السودان ﴾

كان المنار يرسل الى بلاد السودان فلا ياتي معارضة ولا منعا وفي أثناء هذه السنة (الخامسة) صار يشكو الينا بعض قرائه من احتجاب بعض أجزائه ووصول بعض . ثم كتب الينا بعض من طلب الاشتراك وأرسل القيمة انه لم يصل اليه شيء من الأجزاء . فقايلنا صاحب السعادة حاكم السودان العام السردار السرو نجت باشا وشكونا اليه ذلك شفاهيا وقدنا مع ذلك عريضة الى وكيل حكومة السودان بالشكوى الرسمية فصدر الأمر في أول رجب من هذه السنة بالإذن للمنار في دخول السودان وعدم معارضته وكنا أمسكنا عن إرساله فمدنا اليه . وكنا نظن أنه يصل في أوقاته ولكن لم نلبث أن علمنا من بعض من طلب الاشتراك في تلك البلاد وارسلنا اليه المنار أنه لم يصل اليه فكتبنا ثانية الى وكيل حكومة السودان نعلمه بذلك لانه ظهر لنا أن الحكومة السودانية لم تأمر مكاتب البريد بعدم المعارضة فورد الينا الجواب الآتي بنصه :

نمرة ٢١٨٤ ادارة وكيل حكومة السودان

في ٢٦ - ١ - ١٩٠٣

٨

حضرة العلامة الفاضل منشي جريدة المنار القراء

« علم ما أختصموه بجوابكم المؤرخ في ٢٢ يناير الجاري وتفيد حضرتكم بأنه »
 « قد صدرت الإشارات اللازمة لعموم الجهات بعدم منع جريدتكم (المنار القراء) »
 « من الدخول الى السودان فاقضى ترقيمه الإحاطة » (الامضاء)

﴿ هبة الانكليزي الجواد ﴾

نوهنا في التبذة التي كتبناها عن مؤتمر التربية الاسلامي في الهند بان السير **الانكليزي** تبرع بأربعين الف جنيه لتفق على دراسة مرض الرمد في مصر. ونقول الآن ان هذا السخي الجواد قد تحدى بهته هذه أغنياء المصريين إذ قال انه تبرع بذلك ليفتح لهم باب البذل في هذا المشروع الذي يقيد هذه البلاد التي يكثُر فيها المرض فيها. ولكن أغنياء المصريين مشغولون بالبذل في سبيل السرف والخبيلة، عن البذل في المشروعات النافعة الجليلة، فهم يقدون الأروبيين في شر مناعيه سفهاؤهم، ولا ينظرون الى ما يفعله كرمائهم. ويتوهمون أن مدينة القوم بالفجور، ومعاقره الحُجور، وحب الذات ولو فيما يضر الجمهور، وأنهم أن يعقلوا ان الأوربيين ماسادوا على العالمين، الا بسخاء أولئك المتبرعين، الذين في أموالهم حقوق لتأييد العلم، ونشر ألوية السيادة والحكم، ولعل التقليد يفضي ببعض أغنيائنا الى فهم هذه القضية، والتأسي بهذه الأريحية، فتحسني من كأس التقليسد رحيقاً ممزوجاً بتسنم، بعد ما تجرعنا منه شراب الحميم.

﴿ المسلمون في سوريا ﴾

سوء بحال المسلمين في جميع أقطار الارض وقلما نذكر شيئاً عن مسلمي بلادنا السورية. وماذا عسانا نذكر عنهم غير البؤس والحرمان من الترقى في العلم والعمل. وقد كتب بعض كتابهم الفضلاء جملة في تقرير كتاب (الاسلام والتعصباتية مع العلم والمدنية) بلغ بها شأواً بعيداً في فن الاحتراس عند ما أتى على الكتاب وكتبه ونشره وطابعه. قد لنا ذلك على الفرق البعيد بين مسلمي مصر ومسلمي سوريا

﴿ مآثرة حميدية ﴾

أمرنا مولانا السلطان الأعظم (أيده الله تعالى) بمنع المسلمين من الجلوس في الخانات والمجاهرة بشرب الخمر وأوجب معاقبة المخالف. فعسى ان يعتني الحكام والشرطه بتنفيذ هذا الأمر بالدقة والإحكام

﴿ حج سلطان زنجبار ﴾

توجه في هذه السنة سلطان زنجبار الجديد الى الحجاز لاداء فريضة الحج فندعو الله تعالى بأن يوفق سائر السلاطين والأمراء لمثل ما يوفق اليه، وان يكتب له السلامة في هذا السفر الشريف الذي امتاز به على أقرانه

الاجتماع

١٣١٥

فمن عبادي الذين يستمعون القول
 ويؤمنون أتيتهم أولئك الذين هم
 الله وأولئك هم أولو الألباب

بني إسرائيل من بني إسرائيل
 التي قد أتت من بني إسرائيل
 في أول الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام : إن الإسلام صوي بوجه مناراً ، كمنار الطريق)

(مصر يوم السبت ١٦ ذي القعدة سنة ١٣٢٠ - ١٤ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٣)

﴿ باب ردّ الشبهات عن الإسلام ﴾

(السلطان الدينية والمدنية)

نحن المسلمين نعتقد ان دين الله تعالى واحد في جوهره وان البيان
 والهدى فيه اما اختلف باختلاف الأزمنة وان الناس كانوا في كل زمان
 يأخذون من هداية الدين بقدر استعدادهم . وان حالة الاجتماع في الأمم
 تتغيره كالتغيرات في جماعة نبي الدين كلها أو بعضها انما حائل الأمد على
 من جاء بها وان أقرب الملل ظهوراً من الإسلام لم تسلم من هذه الاضاعة
 وان الإسلام هو الدين الوحيد الذي حفظ كتابه كله وظهر في وقت
 ارتقت فيه حالة الاجتماع حتى يمكننا ان نحكم بأنه لم تتلاش ثمرة من ثمار
 المقول بمد الإسلام ولن تتلاشى فهو مبدأ تاريخ جديد في البشر
 قلنا ان أقرب الملل زمناً من الإسلام لم تسلم من الضياع وظاهراً اننا
 نمضي اليهودية والنصرانية فكل من الفريقين قد فقد السند المتصل لكتبه

المقدسة فهو غير موجود قولاً ولا كتابة . وهذا هو المراد بقوله تعالى
 فيهم « أوتوا نصيباً من الكتاب » وقوله عز وجل في كل منهما « فسدوا
 حظاً مما ذكروا به » والحظ بمعنى النصيب أي أنهم حفظوا بعض ما
 أوتوه ونسوا بعضه . ومتى ذهب بعض الدين صار الباقي غير موثوق به
 وإن سلم من التحريف فيه والإضافة إليه فكيف إذا لم يسلم . وقد أنزل
 الله تعالى القرآن « مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه » والمراد
 بالكتاب الجنس والميمن المراقب الذي عنده نبأ ما يرتبه فما صدقه
 القرآن من تلك الكتب فهو من النصيب الذي أوتوه ، وما أخبر به وليس
 موجوداً فهو من الحظ الذي يسود ، وما كذبه فهو مما زادوه وأضافوه
 فهو الحكم المدل ، وإنه لقول فصل وما هو بالهزل ،

وكان الواجب أن يحكمود فيما شجر ، وينتهوا عما نهى ويأتمروا بما
 أمر ، وكذلك فعل الموفقون ، وصد عنه الآخرون ، والسبب في الصدود
 هو السلطة الدينية التي جعل ذروها الدين لمصلحتهم تقايداً محضاً عقود عقائده
 بأيدي الرؤساء مثل الأتباع والأئمة تقادونها الناس ويحمونهم سواها
 وينشئون الأحداث ، من الذكران والإناث ، على اعتقاد وجوب التسليم
 لهم ، والرجوع في كل أمر الدين إليهم ، ولا يزال أثر هذه التنشئة ظاهراً
 فيمن تربى في مدارس القسيسين قترام يناظر في المسألة فإذا قامت عليه
 حجتك قال ان هذا الذي تقول ، ظاهر في نفسه وممقول ، ولكنه من
 أمر الدين والقسيس يقول بخلافه ولا قول في الدين الا ما يقول القسيس ولا
 يشترط ان يكون قوله ممقولا ولا مفهوما !!

فاذا قال النصراني ان السلطة الدينية مثار التعصب القديم ، ومبعث

العداوة والبغضاء بين الجيران والأقربين، والحجاب دون المساواة بين أهل الوطن الواحد في الحقوق، والقيود الذي تقيد به الإرادة والعزيمة، والنيل الذي يقال به المعتل والفكر، - فالمسلم يصدقه ولا ينازعه يصدقه حامداً لله تعالى أن ليس في دينه طائفة جعل لها الإسلام حق السيطرة على العقول والأرواح نودع فيها ما نشاء ونحرمها ما نشاء وتصرف في المسلمين باسم الدين كما نشاء. ثم يلتفت فيرى أن المسلمين الذين قلدوا الرؤساء الروحانيين عند النصارى لم يلبثوا أن صار لهم سلطة حقيقية منتظمة يحاسبون بها الأفكار على خواطرها والعقول على معارفها بل هؤلاء هم الذين كانوا يتسامحون مع الفكر والخيال مالا يتسامح غيرهم ويمدون كل معرفة تقرب من الله تعالى لأنهم يقولون: إن الله طرائق، بعدد أنفاس الخلائق؛ ثم يلتفت من جانب آخر فيرى أن هؤلاء المتلدين في السلطان الروحاني لا تعظم سلطتهم الا حيث يصغر العلم بالدين، ولا يقوى نفوذهم الا حيث يضعف نفوذ الحكم الاسلامي، وما عزز لهم سلطان في مكان، الا وكان وبالاعلى المسلمين والاسلام، فان كنت نسيت حوادث مهدي السودان، فأمامك حادثة خارجي مراکش الآن،

للعلماء والمقلاء، والكتاب والخطباء أن يقولوا في السلطة الدينية النصرانية ما شاؤوا، ولهم أن يسموا في فصلها وإبادةها عن السلطة المدنية ما استطاعوا، فإنها سلطة كانت ولا تزال ضارة حيث وجدت وتوجد وكان معظم ضررها أيام كانت مقرونة بالسلطة المدنية. لهم ان يسموها سلطة فان لها في كل مملكة رئيساً عاماً يولي سائر الرؤساء في المملكة وهؤلاء الرؤساء الذين هم أركان سلطته منبثون في كل مدينة وفي كل قرية

ولا يوجد حكام مديون في جميع القرى والمزارع كما يوجد هؤلاء الحكام
الرومانيون . ولهم أن يقاروا هذه الحكومة ويقاوموها ، ولهم أن يحتشدوا
من شوكتها ، وينفذوا من صوتها ، ولهم أن يقولوا إنه لولا فسادها عن
السلطة المدنية ، ألتصفتنا نسيم الحرية ؛ ولهم أن يمدروا الأمة القرنية ؛
إذا حاولت اصطلام هذه السلطة بالكلية ؛ المسلم يذرم في كل هذا لأنه
من الإصلاح الذي جاء به الاسلام كما ألفنا في صدر هذا المقال فمن لم يأخذه
من الاسلام مباشرة فله أن يأخذه من نظام الفطرة إذا هداه العلم اليه وما
الاسلام الا دين الفطرة الهادي الى نظامها وستن الله فيها

ومن الظلم البين ان يرمى الاسلام نفسه بتقرير السلطة الدينية المروقة
عند النصارى . والاسلام هو الذي أبطل كل سلطة يكون بها فريق مسيطرا
على روح فريق وحاكما على حريته في غير ما يجرمه الشرع على كل رئيس
ومرؤس او نظام به كل رئيس ومرؤس . ان الذين اتبعوا سنن من
قبلهم وقلدوهم في مثل هذا الامر لم يتقنوا التقليد وكان روح الاسلام مانعا
ان يلبسوا منه كل ما أرادوا . ولكن الاسلام لم يسلم من أعداء يلصقون
به كل عيوبهم ويقولون عليه الكذب وهم يعلمون ، ثم أنهم يعلمون أنهم
يخلفون عليه إفكاً لانهم اظلموا على ما كتبنا وكتب بعض الاثمة في بيان
نفي هذه السلطة ثم يفتأون يسيون الاسلام بها ولهم عرض يرمون اليه
وراء تشكيلك المسلمين في دينهم وتغييرهم منه وقد اشرنا اليه في مقال مضى
ووعدنا بيان الحق فيه كما بناه في غير ذلك من شكوكهم وشبهاتهم

(شاهد في الموضوع من منار السنة الاولى)

صدرنا العدد ٢٢ من منار السنة الأولى بمقالة في (سلطة مشيخة

الطريق الروحية) فلما في أولها : « لقد أتى على الإنسان في طور جماعه أدوار ؛ ومرت عليه أجيال وأعصار، وهو مغلول الإرادة ومقيد الجوارح بسلطتين عظيمتين قويتين لائقين عليهما النفوذ التام في أفراده ، والتصرف المطلق في آحاده ، وهما سلطة الدين وسلطة السياسة -- او كما يقول أهل العصر -- السلطة الروحية والسلطة الزمنية »

ثم قلنا بمد كلام في حال هاتين السلطتين وتأثيرهما وحال الأمة التي تحكم بهما ، انصه :

« وبالجملة ان أمة هذا شأنها تكون دائماً متقلقة كمدح الراكب لا تثبت على حال ولا تستقر على شأن . وجميع ما انتاب الأمم من رفعة منخفضة وعلم وجمل وسعادة وشقاء فقد كان مرجعه الى تصرف الامراء والحكامين ، والرؤساء الروحيين ، واتد كان الشر أغاب على الأئمة من الخير والشقاء أشمل لها من السعادة لأن الرئيس الفاضل الحكيم لا يمان من المثار واذا عثر عثرت معه الأمة وهوت وقد يهدم الرئيس الجاهل القوي في مدة قليلة ، ما ياتيه الحكماء في الأجيال الطويلة ،

ولهذا كانت سمادة البشر موقوفة في نيلها أو كمالها على تحديد القوانين والشرائع الروحية والزمنية (المدنية) وجمل الناس فيها شرعا (أي - واه) لاضرية لرئيس على مرؤس الابعاء يمتاز به المرؤسون بمصهم على بعض وبما لا تقوم الرياسة بدونه كوجوب الطاعة للسلطان ولا طاعة لأحد على أحد فيما وراء الشريعة والقانون . ولكن لم تأت شريعة سماوية ولم يوضع قانون بشري لهذا التحديد والمساواة حتى جاءت الآية الإسلامية فحدثت الشرعيتين (المدنية والروحية) مما أوجعات الناس فيها - واه لا فضل لأحد

على أحد الأبا بالمعلم والعمل ، واقتضت جذور الطاعة الممياء وبينت ان الدعوة الى الحق لا تكون الا بالحجة والبرهان بمثل قوله تعالى (قل هذه سبيلي ادعوا الى الله على بصيرة انا ومن اتبني) فسر المصنف البصيرة بالحجة الواضحة . وقوله تعالى « قل هاتوا برهانكم ان كنتم صادقين »

« وبناء على هذا كان الصحابة يراجعون النبي صلى الله عليه وسلم الراي فالتين : هل هذا شيء فانه من عندك يا رسول الله أو نزل به وحي ؟ فان قال هو من عندي جاؤا بما عندهم من اراي وربما رجع النبي الى رايهم كما جرى في بعض النزوات (منها بدر وأحد) . وأوقف أمير المؤمنين عمر ابن الخطاب الامام علياً مع رجل من آحاديه ود للمحاكمة وعابه عليٌ بمد المحاكمة بأنه لم يسار بينه وبين خصمه لأنه كآه وسئ خصمه وفي التكنية تنظيم وتمظيم أحد الحسين ولو يمثل هذا منصف للعدالة والمساواة . وراجعت امرأة عمر وهو على المنبر في مسألة تحديد المهر محتجة عليه بآية « وآيتكم ايجادهن قطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً » نقل : أصابت امرأة وأخطأ عمر : « وأبلغ من هذا ان النبي عليه الصلاة والسلام طعن سواد بن غزيرة

بقدح (سهم لانصل له ولا ريش) في بطنه وهو مكشوف ليستوي في الصف يوم بدر فقال : قد أوجمتي فأقنتني : فكشف له عن بطنه ليقتص منه فطعن فتمسح به وكان ذلك منه توسلاً للتوصل الى هذا الشرف العظيم . وآذن الناس قبل موته بأن من له حق عنده فليطلبه واذا كان نحو ضرب فليقتص منه وآذن لرجل أن يضربه حين ادعى انه ضربه يوماً فقال الرجل : انني كنت عاري الكنف أو الظهر : (شك من الراوي) فالتقى له الرداء عن عاتقه الشريف وكان شأنه في ذلك شأن سواد بن غزيرة .

« والنتيجة ان الاسلام قرر المبودية لله وحده والحرية في ضمن دائرة الشريعة والمساواة بين الناس في الحقوق والواجبات وإطلاق الارادة واتمكر من سلطة كل زعيم وسيطرة كل رئيس روحي ومقتضى ذلك أن يكون المسلم عبداً كاملاً لله حراً كاملاً بالنسبة لمساواه»

هذا بمض ماقلناه في المسألة من نحو خمس سنين وبمده كلام في سلطة شيخنا الطريق كيف ظهرت وماذا أعقبت

(بحث الدلائل على في السلطة الدينية في الاسلام)

(١) أقوى الدلائل على أنه لا سلطة دينية في الاسلام كما في النصرانية تحديد وظيفه الرسول في القرآن بأنه مبلغ لا مسيطر ولا وكيل ولا جبار على الناس قال تعالى « إن عليك إلا البلاغ » وقال عز وجل « ليس عليك هدام ولكن الله يهدي من يشاء » قال تبارك شأنه « إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » وقال عز اسمه « وما أنت عليهم بجبار » وقال تعالى جده « قد ذكر إنما أنت مذكر لست عليهم بمسيطر » وقال جل جلاله « وما أنت عليهم بوكيل » فأين هذا كله من ملة يدعي ربها أوها أنهم وكلاء الله في الأرض . هل يقاس التقيض على التقيض ؟؟

(٢) سيرة النبي عليه السلام فقد سمعت أنفا أنه كان يقيد من نفسه ويرجع عن رأيه الى رأي أصحابه . وأعجب من هذا أنه رجح الرأي الموافق لرأيه في مسألة أسرى بدر وكان الرأي الآخر هو الاصلاح فتابه الله عتاباً شديداً حتى بكى عليه الصلاة والسلام

(٣) سيرة الخلفاء الراشدين كما سمعت أنفا عن عمر ويؤثر مثله عن سائرهم ولم تكن سيرتهم في المساواة وفي تحكيم الأمة بأنفسهم من مزاييم

الشخصية وإنما هو شيء أخذوه من القرآن ومن السيرة النبوية كما علمت
وإنما زعيمهم أنهم فهموا الإسلام كله وكانوا أشد من غيرهم غيرة عليه وعملا به .
(٤) لو كان الإسلام شرع هذه السلطة المروقة في الملل السابقة عليه من
البوذيين والبراهمة والاسرائيليين والنصارى أو أجازها لوجد لها في المسلمين
نظام ورؤساء كما وجد عند غيرهم ولكن شيئاً من ذلك لم يوجد وإنما وجدت
طائفة تصدت للتربية والإرشاد ثم انقسمت إلى طوائف وجماعات ولم يكن لهم
سلطة على أحد وإنما يقبهم من شاء باختياره ولم يسلموا مع ذلك من رمي
الفتناء لهم بالانحراف عن الدين ومن تفرق الحكام شملهم ولذلك لم يكن
لهم ظهور إلا حيث يضمف علم الدين وحكمه كما قلنا آنفاً . وأما لقب
« شيخ الإسلام » فهو من اختراع الملوك والأمراء الذين بدؤوا عن المظهر
الديني فاستعانوا بمن له هذا المظهر لأجل الأثر في نفوس العامة المتقلدين
ثم إن السلطة الدينية وجدت على حقيقتها في طائفة الباطنية ثم
وجدت لهذه الطائفة حكومة مدنية في البيديين (الفاطميين) ولكن
مذهب الباطنية ليس من الإسلام في شيء ولذلك لم يستطع البيديون أن
يؤيدوه بسلطتهم تأييداً ظاهراً فيقال إن السلطة الدينية قد اجتمعت مع
السلطة المدنية في طائفة تنتمي إلى الإسلام في الجملة . فلم مما تقدم أنه
ليس في الإسلام سلطة دينية فها هذا الذي يعيب الإسلام به بعض كتاب
النصارى وما هذه التصانح التي توجهها تلك الأقلام إلى الأمة الإسلامية
لتقنمها بوجوب الفصل بين السلطين الدينية والمدنية ؟ الجواب إن المراد
بذلك أن يترك المسامون شريعتهم كما يعلم من الفصل الآتي

حجج الشريعة والدين في الإسلام

جرى عرف الكتاب الأوربيين ومن تبعهم من الشرقيين لاسيما كتاب النصراني بأن يظنوا اسم الدين على ما يتعلق بالاعتقاد بالله وبالوحي وما يمد به من أمور الغيب وما يفرضه من العبادة ويخصوا كلمة الشريعة بما يتعلق بالمعاملات والاحكام القضائية والمدنية والسياسية . وكل باحث في التاريخ من هؤلاء الكتاب يعلم ان الاسلام جاء بدين وشريعة ومن ذلك قول بعضهم : إن محمدا (عليه الصلاة والسلام) كَوَّن في عشرين سنة أمة وجاءها بدين وشريعة ولم يتفق لغيره في العالم الجمع بين هذه الامور الثلاثة : فهؤلاء يعلمون أن الشريعة قسيمة الدين في الإسلام وان ما يدين به المسلم ربه وما يعامل به الناس كله مقتبس من نور واحد وهو نور الوحي الذي أوحاه الله الى محمد عليه الصلاة والسلام

لا فرق في الإسلام بين القسم الديني البحت والقسم الشرعي الا في شيء واحد وهو ان الاعتقاد والعبادة لما كانا لا يختلفان باختلاف الزمان والمكان وأحوال الأمم وجب الاعتمادُ فيما على الوحي في الجملة والتفصيل والكليات والجزئيات . وأما المعاملات الدنيوية فلا تختلفها باختلاف ما ذكر قد وضع الإسلام لها قواعد كلية وأصولا عامة وفروض استنباط الجزئيات التي تحدث الى أولي الامر العارفين بمقاصد الإسلام وبأصوله العامة وقواعده الكلية فهم يبنون الاحكام بالشورى في كل ما يحدث للناس من المصالح استنباطا من تلك الاصول والقواعد . قال تعالى يا ايها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الامر منكم » فذكر أولي الامر بصيغة الجمع . وقاله ولو ردّوه الى الرسول والى أولي الامر منهم لعلهم

الذين يستنبطوه منهم ، ذكر أولي الأمر بصيغة الجمع أيضا وأناط بهم استنباط الحكم الذي يحتاج اليه او يتنازع فيه

ثم ان الاحكام الشرعية المنصوصة او المستنبطة تحتاج الى منفذين ولا بد ان يكون لهؤلاء رئيس ثلاث تكون الامور فوضى وقد سمي الرئيس الاول في الاسلام بعمد وفاة النبي صلى عليه وسلم خليفة له وسمي من بعده أمير المؤمنين واستمر هذا لقب ووظيفة هذا الرئيس حماية الدين وأهله وتنفيذاً لحكام شريعته فليس هو مسيطراً على الناس في دينهم ولا مستقلاً بوضع الاحكام الشرعية لهم وإنما هو حافظ للنظام؛ ومنفذ للأحكام؛ وسلطته هذه كما ترى مدنية شورية، لا مطلقة ولا استبدادية؛ ولكن الاسلام أوجب عليه أن يعمل بالشرع وحرّم عليه أن يكون شارعاً بنفسه وأوجب طاعته بالمعروف، كما أوجب على الأئمة ازالة سطاته ان حملها على غير المشروع؛ فصح بهذا الاعتبار أن يقال ان السلطة المدنية في الاسلام مستندة الى الدين أو انها سلطة دينية . ولكن لا يصح أن تشبه بالسلطة الدينية عند غير المسلمين ولا أن يجعل صاحبها جامعا بين سلطتين إحداهما على الأرواح والمقنن والثانية على الأجسام والأعمال

هذا هو ديننا وهذه هي سلطته فبماذا يطالبنا ذلك الكاتب النصراني وبماذا ينصح لنا؟ هو يطالبنا بأن نجعل رئيسنا المدني شارعاً ومنفذاً لما يشرعه لنا من الأحكام وينصح لنا بأن تترك شريعتنا القائمة على أصول ديننا ونزعم أن بناء الشريعة على قواعد الدين وجعل الحكام حماة للدين ومنفذين له هو الذي أزال الدولة العباسية، وفرق شمل الأمة الإسلامية، ومن رأيه ان المسلمين لا ينجحون ولا تقوم لهم قاعة مادام سطاتهم مكفنا

بالمعل بشريتهم الدينية وتنفيذها!!!!

لوجمت كل ما ورد من الكلام في جميع اللغات ابدل على منى التعجب
وأضفت اليه كل أمارات التعجب ودلائله في الحركات والاشارات المضوية
والقلبية وقدرت على تصوير جميع أنفعالات المتعجبين وتأثراتهم النفسية
وأصقت ذلك كله بهذه النصيحة النصراية للأمة الاسلامية لما وفيت حق
البيان في كونها عجيبة غريبة مدهشة للمتعجبين !!

(شبهات المشكك)

(١) يقول هذا الناصح الأمين، أو المشكك في الدين: إن عرض الدين في
الأرض مناقض لعرض الحكومة في الأرض فكيف يجمع الإسلام بين
القيضين؟ ونحن نقول له إن الإسلام جاء للإصلاح في الأرض وكل ما
يناقض الإصلاح فهو إفساد يجب إزالته قالوا يجب أن يكون عرض الحكومة
الاسلامية موافقا لعرض الدين الإسلامي . ونمأ لا خلاف فيه بين
فقهاء الاسلام أن أحكامه الشرعية كلها مبنية على قاعدة «درء المفاسد
وجلب المصالح» فأى حاكم من - كما نأ يقدر ان يأينابشرع اصالح من هنا
الشرع اذا نحن تركناه عملا بنصيحتك وجمالنا الحاكم هو الشارع ؟؟؟

(٢) يقول الناصح الامين؛ أو المشكك في الدين: إن من التناقض بين
وظيفة الدين ووظيفة الحكومة أن الدين وضع قواعد وتقاليد للمقل وطرقا
لسير الفكر فقيده بذلك الحرية العلمية . والحكومة لا تكلف الانسان بأن
يسير في فكره على طريق مخصوص وإنما هي حامية لحرية النفس وما
يتبعها من المال والدم والشرف: ونحن نقول اذا كان دينك كذلك فدين
الاسلام مناقض له غير مناقض لوظيفة الحكومة التي ذكرتها . وذلك لأنه

تقرر فيه حرية العقول فلا يخرج المسلم عن حكمه في عقائده (كما بينا ذلك في الجزء الماضي) وتقرر أن أحكامه ترجع إلى خمس قواعد يسمونها بالكليات الخمس وقد جمعها صاحب عقيدة الجوهرية بقوله:

وحفظ دين ثم نفس مال نسب ومثابها عقل وعرض قد وجب

(٣) يقول الناصح الأمين، أو المشكك في الدين، : يجب أن تكون الحكومة مساوية بين من تحكمهم وأن اختلفت أديانهم وأن تكون حامية لهم على السواء أيضاً والدين مناقض لها في ذلك : ونحن نقول : إذا كان دينك كذلك فديننا مناقض له لا لما يجب أن تكون عليه الحكومة .

وذلك أن المساواة من أصوله وقد أشرنا في الفصل السابق من هذا المقال إلى مساواة عمر بين الإمام علي ورجل من آحاد اليهود ومطالبة علي إليها بالمساواة في اللقب أيضاً وهذه مساواة لم تصل إليها حكومة وإن تصل إليها حكومة إلا أن تكون مقيمة للإسلام على حقه . وأما الحماية فمن الأصول المأثورة في ديننا هذه الكلمة الجليلة « وإن نجحهم مما نجحني منه أنفسنا » وهذه الكلمة الدخلى « لهم مالنا وعالهم ما علينا »

(٤) يقول الناصح الأمين، أو المشكك في الدين، : إنه ليس من شأن السلطة الدينية، الدخول في الأمور الدنيوية؛ لأن الأديان شرعت لتدبير الآخرة لا لتدبير الدنيا . ونحن نقول : إذا كان دينك كذلك فديننا ليس كذلك فانه شرع ليلائم مصالح الدارين، والإرشاد إلى طرق السعادتين، فكيف يحكم على الأديان كافة بما تمتدده في دينك وهو هل كنت أنت الواضع للأديان كما تقول أنني وضعت دين الإسلام هكذا أيضاً وأهله قد زادوا فيه فانا الآن أطالبهم بالرجوع إلى الأصل؛ إن المسلمين

لا يقبلون منك ذلك لان ثقتهم عرفوا الدين بأنه وضع الهي سائق لتدوي
 المقول السلية باختيارهم الى ما فيه صلاحهم في الحال ؛ وفلاحهم في المال ؛
 (ه) يقول الناصح الامين ، او المشكك في الدين ، : ان الجميع بين السلطين
 يضمف الامة ضعفا مستمرا لانه يقتضي اضطهاد العقل والذكا . ويعرض
 الحكومة لشورة الامة باغراء عدو يشرها عليها ويكون سبب الشقاق
 الديني بين الطوائف التي تتألف منها الشعوب ويعرض الدين لأكاذيب
 السياسة ومفاسدها . ونحن نقول ان كل هذا قد وقع في دينه فلانكره
 وإنما نكر قياس دينا عليه وهو مبين له . وحسبنا ان الذي وقع عندنا
 هو تقيض ما وقع عندهم فان الحكومة الاسلامية التي يسميها جما بين
 السلطين (وقد فهمت . منهاها) قد أعطت الامة قوة لم تقاوها فيها أحد
 في زمنها وما ضفت الامة الاسلامية الا بضف الشرع وعدم إقامته
 وهذا أمر لا خلاف فيه . وكذلك لم يضطهد العقل والذكا . في الاسلام
 في عصر اقامة شريعة الاسلام وإنما وقع شبه اضطهاد بعد ضف الشرع
 والهاون في تنفيذ . اما امورات التي يخافها الناصح على الحكومات
 الاسلامية اذا بقيت على شريعتها فهي أجدر بالوقوع اذا خرجت الحكومات
 عن الشريعة لأن احروج على السلطان لا يجوز في الاسلام الا اذا خرج
 السلطان من الاسلام بترك الشريعة واذا أخطأ قالوا يجب ان ترجعه الامة
 عن خطاه بالمعروف : قال صاحب عقيدة الجوهرية :

وواجب نصب إمام عدل	بالشرع فاعلم لا تنجم العقل
فليس ركنا يعتقده في الدين	فلا تدعن حكمه للبين
الا بكفر قابض عهد	فاله يكنينا أذاه وحده

واما الشقاق الديني بين الطوائف والملل فلم يمهّد في بلاد الاسلام أيام إقامة الشريعة والعمل بها بل كانت الطوائف في هدون وسلام لأن الدين يوجب ذلك وكان معمولاً به . والذي يوجب الشقاق هو جعل الدين مصلحة لرؤساء مخصوصين يناهض كل رئيس بطائفته سائر الطوائف فهو الصق بالفصل بين السلطين وجعل كل واحدة مستقلة لها رؤساء يدبرونها منه بالجمع بينهما خصوصاً جمع الاسلام بالمعنى المتقدم . وقد ذاقّت الامة النصرانية بأس هذه الرياسة وكانت هي التي ابتدعت الحرب بين طائفتين من أهل دين واحد للخلاف في الدين . ولو لم يكن لكل طائفة رؤساء مخصوصون لما وقع شيء من ذلك . وقد سرت عدوى النصرانية الى غيرها وأصاب المسلمين شرر تلك النيران فحدث بن اصحاب المذاهب شيء من الشقاق لتصب كل طائفة لامام مخصوص وعلماء مخصوصين . وقد علمت ان رجال الدين لم يتنظم لهم في المسلمين رياسة لأن طبيعته الاسلام تأتي ذلك ولهذا لم يمتزج النور والشقاق بين اصحاب المذاهب الاسلامية كما عظم بين أرباب المذاهب النصرانية . على أن المذاهب المتعددة في الدين هي مخالفة لوضع الدين لأنها تفرق فيه والله يقول « أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه » ويقول « إن الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء » ولكن جاءنا من كتاب النصارى في هذا المعنى من يقول ان التفرق الى شيع من طبيعته ديننا ولا علاج لهذا التفرق الا ترك حكامنا شريعتنا !!!

وأما تعريض الدين لأكاذيب السياسة ومفاسدها اذا كانت الشريعة مستمدة من الدين فهو تقيض الممتول وخلاف الواقع فان السياسة كما قال الكاتب مبنية على الرياء والمخاتلة ولا علاج للرياء الا الدين وقد شدّد فيه

الإسلام حتى سماه « الشرك الأصغر » فإذا بُنيت السياسة على قاعدة الدين سلمت وسلم معها الدين وإذا انفصلت من الدين فسدت وأفسدت الدين ولذلك استأذنها الإمام كاتب مقالات (الإسلام والنصرانية) بما استأذ ووصفها بما وصف . وقد قلب الحقيقة الناصح أو المشكك فجعل انفصال الحكومة من الدين هو سبب السلامة !!!

الوحدة الدينية . والوطنية

يقول الناصح الأمين ، أو المشكك في الدين ، ان الوحدة الدينية التي يطلبها الاسلام مستحيلة الوقوع ومحاولتها كان اكبر أسباب الفتن التي حدثت في الاسلام والمسيحية . ويزعم ان البشر قد ارتقوا عن طلب الوحدة الدينية التي كانت عامة فيهم الى الوحدة الوطنية وتدحرج في البيان الى ذكر فرنسا التي ارتقت فيها هذه الوحدة الجديدة التي حصر فيها سعادة البشر حتى حكمت بابطال مدارس الرهبنة وحتى حرمت على رئيسها ذكر اسم الله تعالى أو ذكر العناية الالهية في خطبه . وههنا شعر بأن هذا التدحرج قد أنهى ربه في هوة الباطل فماد يترض على هذه « الطريقة الجديدة » ويذكر من مفسدها . وهكذا شأن من يهرف بما لا يعرف . وقد استدلل على استحالة الوحدة الدينية بما كان في أوروبا من المفسد والفتن بسببها وبعدم نجاح البابا فيها وبسعادة أوروبا بعد إقامة السد بينه وبين الأحكام : ثم جرى على عادته في تشبيه الاسلام بالنصرانية فزعم ان الذي أسقط دولة بين العباس هو عجزهم عن حفظ الملكة بالوحدة الدينية وعدم اهتمامهم الى الوحدة الوطنية !!! سبحان الله ما أعلم هذا الكاتب بالتاريخ وما أقدره على استخراج طبائع الملل منه !!!

خبرونا أيها المؤرخون والمطالعون على كتب التاريخ أي مؤرخ قال ان سبب سقوط بني العباس هو حكمهم بالشريعة الاسلامية أو قال ان أصحاب الملل المختلفة في بلادهم كانوا ساخطين على الحكم بالشريعة وطالين أن تسبيل بها قوانين غيرها يضمها الحكام أو المحكومون وأنهم لذلك ناروا على الدولة حتى أسقطوها بالحروب الأهلية التي مثارها التمصبات الدينية؛ لم يقل بذلك عالم ولا باحث وإنما هو زعم افتخروا واقتبردوا اخترعه وابتدعه ناصح المسلمين الامين أو مشككهم في الدين

لسقوط دولة العباسيين أسباب أهمها أمران ذكرهما مؤرخ الدولة العثمانية الأكبر جودت باشا ناظر العديلة (رحمه الله تعالى) قال بعدما ذكر فضل المأمون في ترويح العلوم وتوسيع نطاق المدينة ما ترجمته «الأنه أخطأ خطأً يتنا في أمر يتعاقب بتدبير المملوك وهو انه أعطى ولاية خراسان لرجل يسمى طاهرا مكافأة له على قتل أخيه الأمين فآخذ نيسابور عاصمة لها وجعلها وروثة له ولا عقبه من بعده فكان ذلك باعثا على إزالة رهبة الخلافة من صدور العيال، وسيباً في الخروج عن الطاعة والتروع الى الاستقلال، ثم جاء بعده الخليفة المعتصم فجمع بعض الاحداث من الترك وجعلهم عسكرياً خاصاً به ولما اشتد ساعدهم خرجوا عن طاعته وأحدثوا ثورات هائلة كما وقع قديماً في عسكر قياصرة رومية»

وظاهر أن ماعمله المأمون مخالف للشريعة الاسلامية ومانف للوحدة الدينية . وان ماعمله المعتصم كان لا يخلاله بأصول الاحكام الاسلامية من الشورى وكفالة الامة للامام والتعري في تخاذ البطانة فقد قال تعالى «يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دونكم لا يألونكم خبالاً ودوا ما عنتم»

الآية . وللمفسرين وجهان في قوله « من دونكم » قيل هم المنافقون وقيل الكافرون . وكان أولئك الأحداث أحد الفريقين فإنهم اتخذوا بطانة ولما يدخل الايمان في قلوبهم كما علم من مقالات (الاسلام والنصرانية) وقد تحقق فيهم قوله تعالى « لا يألونكم خبالا وذوا ما غتم » ولكن ناصحنا الامين حرف قول الإمام في هذا المقام الى فتنة سياسية فزعم أن مراده الحكم بأن الترك والفرس لا يعتدوا بالاسلام وان الدين خاص بالمرب أي أنه لا يعتد بالاسلام مثل البخاري ومسلم وأبي حنيفة والنزالي الخ !!!
نمود بالله نمود بالله

ياحسرة على أعداء الشريعة الاسلامية التمسوا لها عيبا فيها فأعيامهم وأعوزهم، فالتمسوه في المقيمين لها (كابي بكر وعمر) فأعيامهم وأعجزهم ففتقوا عنه فيمن انحر فوا عن سراطها فنكروا فأصابوه وأصقوه بها وقالوا إنها شريعة ضارة يجب تركها واختراع شريعة بدلها !!!

كانت رابطة الوحدة في الاجتماع البشري محصورة في البيوت (العائلات) ثم اتسعت فصارت في القبائل ثم اتسعت بناموس الترقى فكانت الشعوب والامم الكبيرة التي وحدتها الجنسية بالقامة او الدين او البلاد (الوطن) وكان الدين خاصا لا يتعدى الشعب الذي وجد فيه الى أن ظهر الاسلام فان في الانجيل المتقدمة عند النصارى الى اليوم ان المسيح عليه الصلاة والسلام قال : « لم أرسل الا الى خراف اسرائيل الضالة » وقال « ما جئت لأنقض ناموس وانما جئت لأتمم » وناموس هو شرع الاسرائيليين الخاص بهم وتتميمه بيان الحق فيما اختلفوا فيه منه وفي بيان اسراره والتوسع في التسم الروحاني منه . وأما ما ينقلونه عنه من انه قال « اكرزوا بالانجيل

في الخليفة كلها « فهو مختلف لما تقدم في الظاهر ويمكن أن يتفق معه بمجمل
رئيس في الخليفة العهد أي الخليفة الممبودة وهي الأمة الاسرائيلية حيث
كانت وأبن وجدت

بعد هذا استعد البشر بناءه وس الارتقاء الى وحدة أوسع من كل
ما تقدم - الى وحدة يمكن أن تدخل فيها جميع الشعوب والقبايل والامم
والاجناس المختلفين في البلاد واللغات والاديان - الى وحدة لها رابطتان
(إحداهما) جثمانية اجتماعية عمرانية دنيوية وهي أن يحكموا بشرية عادلة
تساوي بينهم في الحقوق لا يمتاز فيها كبير على صغير ولا غني على فقير ولا
عربي على عجمي ولا متدين بدين على متدين بغيره (وثانيتها) روحانية أخوية
أخروية تختص بمن يحكمهم الاعتقاد الصحيح، المبني على البرهان العصري،
وهذه الوحدة هي الوحدة التي جاء بها الدين الاسلامي وعمل به المسلمون في
المصدر الأول فكان المخالفون لهم في الدين يفضلون حكمهم على حكم المخالفين
مهم في الابن والامة والوطن . ولم توجد المساواة ولا العدالة الصحيحة الى
اليوم الا في الاسلام فهذه الدول الاوربية الراقية بالوطنية لا تساوي بين
ابنائها وأهل مستعمراتها في الاحكام بل ألزمت الحكومات الضعيفة في غير
بلادها بالخروج عن العدل والمساواة وتميز أجناسها على رعايا كل
حكومة من تلك الحكومات فالمصري يقتل في مصر اذا قتل أجنبيا ولكن
الاجنبي لا يقتل بالمصري . وقد كنا أوضحنا هذا المبحث في مقالة عنوانها
(الجنسية والدين الاسلامي) بتراجع في المجلد الثاني من المنار . وفي
أثر مجازات الربانية كثيرة تزيد هذه المسائل المتفرقة وتضد
القضايا المتعددة في هذا المجال

فتبين بمجموع ما تقدم ان الوحدة التي جاء بها الاسلام هي أعلى ما يترقبه البشر وأفضل ما يتوجهون اليه ولكن الرياسة الروحية في الديانة النصرانية التي جمعت الدين مصلحة من المصالح ينتفع بها الرؤساء وخروج الحكام المنتسبين للإسلام عن قواعدها هما السدن المائتان من انتفاع البشر بها وستدك الحرية السدين، ويجمع البشر بالإسلام بين السعادتين،

القسم المرمومي

تتمة الاجتماع الثاني عشر لجمعية أم القرى ﴿

قال (الاستاذ الرئيس) ما نحن أولاء قد استوفينا قراءة القانون للمرة الثانية أيضاً ولم يستمر كعادته أحد من الاخوان شيئاً فهل أسم مقروه . فاجاب جميع الاعضاء نعم قهره . قال (الامامة القسري) اني بالديانة عن هيئة الجمعية أشكر الحضرة الاستاذ المسكي الرئيس براعته في حسن ادارة الجمعية كما انني أقدر للدقق التركي ورفقائه وواضي سامحه المائتان قدر فضلهم وحسن انظهم .

واني ذكري في هذا القانون أشبه نور بين القضاة والملك ملور نور ينسرق على المارات فيدير الأهلة ويهر النور نور معقود الهواء انشأة جديدة، وحياة جديدة، وواقعة جديدة، نور ينسرق دخور النور اوريحي ميت الشمور، وما ذلك على الله بعزيز .

قال (المحقق المدني) بمناسبة اني جار النبي صلى الله عليه وسلم أرى كأن رسول الله . . . ووربكم أيها الاخوان الكرام يتضرع الي ربكم أن يوفقكم في مشروعاتكم خدمة لدينه وأمة خدمة تحفكم بالمجاهدين الصديقين الاوان .

والاستاذ الرئيس . . . ذلك وان يكون تأسيس الجمعية الدائمة ابتداء في بور سعيد . . . ووجه غير عاين في تاول فأرى أن نفوض اتخاذ أسباب هذه المهمة للإمامة . . . فيما يندسه أشهر بحتة . . . في مصر ونسب تهمة الأسباب . . . في . . . ان أولاً بطبع هذه المذكرات مع القانون ثم هجان رجحة ذلك الى بقية أمة اللغات الاسلامية التركية والمغربية والاوردية فيعلمانها ويشترانها ذكرى وبشرى للمؤمنين .

ثم بعد استطلاعهما ما يلزم استطلاعهما من آراء وأفكار ذوي الهمم السامية ،
 بإشراف أسباب تشكيل الجمعية مع التروي والتأني اللازمين حكمة وبعالا يساعدها
 الزمان فيحتاجان لترقب الفرصة ولو تأخر الأمر إلى اجتماعنا الثاني ، وأخونا السيد
 القرآني بعدنا بأنه لا يقطع عنا رسالته وإعلامنا بسير المسألة والأمل بعنايته تعالى أن
 نجد في اجتماعنا الثاني بعد ثلاث سنين الجمعية الداعمة متشكلة على أحسن نظام .

ثم قال (الأستاذ الرئيس) واتي على أمل أن الجمعية الداعمة ستلحقنا باعضائها
 المخربين فخدم مقاصدها الجارية المتعلقة بإعزاز ديننا وأخواننا وأمتنا فتال بذلك
 أجر المجاهدين وشرفاً عظيماً نفتخر به نحن وأحقابنا من بعدنا إلى يوم الدين .

ثم قال وان جميعنا هذه قد اختارت أن تجعل مركزها الموقت في مصر ومصر دار العلم
 والحريّة وكانت أخذت في العمر ان بسرعة ولولا لاهون سيد وتطول الساعات وسقوط نفوذ
 الفرنسيين بحرب السنين وانفراد الانكار وبأسهم من قبول المريض التريض وسهارة
 قوات الدول بتوازنها بقيت تلك الحركة العمرانية مستمرة وتولدت رجوع نشيخ إلى دور الانحلال ،
 لا يبق إلا في دور الانحلال ،

ثم خاطب (السيد القرآني) هيئة الجمعية فقال : أيها السادة لا غرو ان يكون
 انتم الاخوان سرورا بانناج سعبي وسياحي هذه الخطوة الكبيرة في هذا السيل
 ويزم من سهيل التولي تعالى البداية أن يسهل السير إلى النهاية ولا يسر على أنه
 نرى بالقرآن لا شك تذل السلاطيم .

وأيها السادة ما أراكم إذ شاء الله بمهمات ما يحصل ويتم ولا استغني أن
 ترغده في بارانكم ولو عن بعد وتنفوني بأدعيتكم بالتوفيق . وليس هذا اليوم آخر
 عهد جمعنا بل يلزم أن يجتمع أيضاً في هذا المحفل رابع أيام التمرير فيكون تلك
 حمية الوداع . وفيها يكاتفكم حضرة الأستاذ الرئيس ببعض تدابير وبشار يجب
 اسرارها ففوراً في الصدور لا تسجل ولا تداع وفي ذلك اليوم يتم بتسهيل الله طبع
 سجل مذاكرات جريتنا إلى هذه الساعة (مطبوعة الجلاتين) فيوزع عليكم نسخ منها
 كإيمان لكم نسخ من ضبط المناقشات على القانون ونسخ جديدة من مفاتيح الكتابة
 المزمرة في مفاتيح الخمسة الأولى مذيلاً بتراجم الاخوان بصورة أكثر تفصيلاً

ثم قال (السيد القرآني) ثم بعد ذلك أخذت بالأمس رسالة من أخينا
 الذي يرعى في يوم هذه المناسبات من مواقد الجمعية كما بينت ذلك قبلا فهو

بقرتكم السلام ويدعو لاجمعية بالتوفيق ويطلب أن أتلو عليكم قصيدة له يخاطب بها المسلمين

فقال (الاستاذ الرئيس) وعاه السلام وأمر بقراءة القصيدة فقرئت وأبنت منها بإشارة الاستاذ الرئيس بعض أبيات وهي .

غيرتمو يا حيارى ما بأنفسكم فقير الله عنكم سابق التسم
الله لا يهلك القسرى اذا كفرت وأهلها مصلحون في شؤونهم
ترك التأمير بالمعروف وأورتكم ما حاق من تدور بإزالة التسم

يا قومنا صححوا توحيد بارتكم بدون إشراك أحياء ولا رم
وتقحوا الشرع من حشو ومخترع رخصي الى دين أسلاف ذوي ذم
خذوا بمحكم آيات منزلة وستة بينت في الفعل والكلم
دعوا البدائع في الدين وان حسنت ولا يفرتكم تأويل محتم
ساحة الدين في فكر وفي عمل خير من الإصر والأغلال والتقم
ساحة الدين من الله خالفكم بها عليكم دعوا انكفرا ان باليم
وحافظوا ملة بيضاء ساطعة وسحة قد جتكم كل مقتم
راقت فضائنها في كل فلسفة قوامها حكمة تقضي الى شمم

هذي وسيلتكم لا غيرها أبدا فاسموا نهضتكم يا خيرة الأمم
لو غير جامعة التوحيد ان تجدوا من جامع نكموا اسم ذوي رحم
سياسة الدين أولى ما تأسس به شتى الخلائق من عرب ومن عجم
فيها الحياة وفيها حفظ رايكم خضراء ووداه حول الركن والحرم

﴿ ذيل ﴾

قررت الجمعية في اجتماع الوداع المتقدم في رابع أيام العيد بمض أمور مهمة ينبغي أن تسر ولا تداع غير أنها رأيت أن يلحق منها بهذا السجل ما يأتي فقط .

﴿ قرار عدد ٦ ﴾

ان الجمعية بعد البحث الدقيق ، والنظر العميق ، في أحوال وخصال جميع الاقوام المسلمة الموجودين وخصائص مواضعهم والظروف المحيطة بهم واستعدادهم وجدت

أن الجزيرة العرب والأهالي بالنظر إلى السياسة الدينية مجموعة خصائص وخصال لم تتوفر في غيرهم . فرأت الجمعية أن حفظ الحياة الدينية متميزة عليهم لا يقوم فيها مقامهم غيرهم مطلقاً وأن انتظام ذلك من غيرهم عبث محض . على أن لبقية الأقسام أيضاً خصائص ومزايا تجعل لكل منهم مقاماً مهماً في بعض وظائف الجماعة الإسلامية . مثل أن معاناة حفظ الحياة السياسية ولا سيما الخارجية متميزة على الترك المينسين (١) وصرافية حفظ الحياة الدينية التنظيمية يليق أن تناط بالمصريين والمقام بتوام الحياة الجندية يناسب أن يتكفل بها الأفغان وتركستان والحزر والتوقاس ميمناً ومراكس وإمارات أفريقيا شمالاً وتدير حفظ الحياة العلمية والاقتصادية خير من يتولاها أهل إيران وأواسط آسيا والهند وما يابها .

ولما كانت الجمعية لا يعنيها غير أمر النهضة الدينية رأت من الضروري أن تربط أمالها بالجزيرة وما يلبها وأهلها ومن يجارهم وأن تبسط لأنظار الأمة ما هي خصائص الجزيرة وأهلها والعرب عموماً وذلك لأجل رفع التعصب السياسي أو الجندى ولأجل إيضاح أسباب ميل الجمعية للعرب فتقول

- ١ (الجزيرة) . هي مشرق النور الإسلامي
- ٢ « الجزيرة » . فيها الكعبة المعظمة
- ٣ « الجزيرة » . فيها المسجد النبوي وفيه الروضة المطهرة
- ٤ « الجزيرة » . أنسب المواقع لأن تكون مركزاً للسياسة الدينية بتوسطها بين اقدم آسيا شرقاً وأقربى أفريقيا غرباً
- ٥ « الجزيرة » . أصلها الاقليم من الأخطاط جنسية واديها ومذاهب .
- ٦ « الجزيرة » . أصلها الاقليم عن مجاورة الاجانب
- ٧ « الجزيرة » . أفضل الأراضي لأن تكون ديار أحرار لبعدها عن الطامعين والزاحمين نظراً لتقرها العلبي .
- ٨ (عرب الجزيرة) . هم مؤسسو الجماعة الإسلامية لظهور الدين فيهم . (٢)
- ٩ « عرب الجزيرة » . مستحكم فيهم التحاق بالدين لانه مناسب لطبائعهم الاهلية اكثر من سائره لغربهم .

(١) لا هم منة . رفس . شمس . نريك . أي المراوغة في المقاله والتمون في الاحوال .

(٢) وكذلك من بينهم من المتأثر الفاطنة بين الفترات ودجلة والتازحين الى افريقيا

- ١٠ « عرب الجزيرة » . اعلم المسلمون بقواعد الدين لأنهم أعرافهم فيه . وشهد لهم في أحاديث كثيرة بالثبات في الإيمان
- ١١ « عرب الجزيرة » . أكثر المسلمين حرصاً على حفظ الدين وتأييده والتمسك به والصبية النبوية لم تزل قائمة بين أظهرهم في الحجاز واليمن وعمان وحضرموت والمراق وأفريقيا
- ١٢ « عرب الجزيرة » . لم يزل الدين عندهم حنيفاً صليحاً بعيداً عن التشديد والتشويش .
- ١٣ « عرب الجزيرة » . أقوى المسلمين عضوية وأشدهم ثقة لما فيهم من خصائص البدوية . (١)
- ١٤ « عرب الجزيرة » . أسراؤهم جامعون بين شرف الآباء والامهات والزوجات فلم تختل عندهم .
- ١٥ « عرب الجزيرة » . أقدم الأمم مدنية مهتدية بدليل سعة لغتهم وسمو حكمتهم وأديانهم
- ١٦ « عرب الجزيرة » . أقدر المسلمين على تحمل قسوة الميثة في سبيل مقاصدهم وأنشطهم على التغرب والياحات وذلك لبعدهم عن الترف المذلل لأهله .
- ١٧ « عرب الجزيرة » . أحفظ الأقوام لخصيتهم وعاداتهم قههم بخاطون ولا يختلطون .
- ١٨ « عرب الجزيرة » . أحرص الأمم الإسلامية على الحرية والاستقلال . (٢)
- ١٩ (العرب على الإطلاق) . لقمهم أغنى لغات المسلمين في المعارف ومصونة بانقرآن الكريم من أن تموت .
- ٢٠ « العرب » . لقمهم هي اللغة العمومية بين المسلمين البالغ عددهم ٣٠٠ مليون .
- ٢١ « العرب » . لغتهم هي اللغة الخصوصية لمائة مليون من المسلمين وغير المسلمين .
- ٢٢ « العرب » . أقدم الأمم اتباعاً لأصول تساوي الحقوق وتقارب المراتب في الهيئة الاجتماعية .
- ٢٣ « العرب » . أعرق الأمم في أصول الشورى في الشؤون العمومية . (٣)

(١) وبقوه ذلك لا يزالون يأخذون خراجاً ممن يأخذون باسم هدية (٢) هذا هو سبب عدم انقياد أهل اليمن ومن يليهم للمسلمين (٣) يشهد لهم بذلك القرآن في قصة بلقيس . مع سليمان عليه السلام إذ قالت مخاطبة الملأ أي المستشارين الأشراف « يا أيها الملأ أفوني في أمري ما كنت قاطمةً أمرأحتي تشهدون . قالوا نحن أولو قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين . قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أخذوها

- ٢٤ * العرب * * أمدي الام لاسون الميثة الانترائية .
 - ٢٤ * العرب * * من أحرص الام على احترام اليهود عمرة واحترام قنمنازية واحترام الجوار شهامة وبذل المعروف مروءة * (١)
 - ٢٦ * العرب * * أنسب الاقوام لان يكونوا مرجحا في الدين وقوة الامم فان بنية الاقوام قد اتبعوا هدمهم ابتداء فلا يأنفون من اتباعهم أخيراً .
- فهذه هي الاسباب التي جعلت جملة أم القرى تعتبر العرب هم الرسيطة الوحيدة لجمع الكلمة لدينية بل الكلمة الشرقية والجمية تسأل الله تعالى أن يوفق ملوك المسلمين وأمرأهم لا تعلب في الدين وللحزم والمزم عاهم يحفظون عزهم واطعاهم الى أن يرت الله الارض ومن عليها وأن يحميهم من التعصب السيئ تنسيات والتجاسيات ومن الكبر والافتة ومن التخذل والانتقام ومن الانقياد الى وساوس الاجانب الاضداد لتلايتهم الخطر القريب المحقق بهم وتخالفتهم النور الحادثة في سياتهم والله الموفق واليه ترجع الامور .
- وهكذا تمت الاجتهات وختمت المذاكرات وأوفض الجمع على وعهد التلاقي .

باب التريفة والتعظيم

التريفة والتعظيم (٢)

(الاسم وجه الشمس من كلف)

وهذا الاسم من سوره في لورد الاقوام التي لا يملكها من سوره

وجعلوا اعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون * (١) يكفي برهاننا على ذلك بحجامة أهل الجزيرة لسياح الافرنج — ما عدا تلك الامة التي اذبح اليها ايزمهاج ونال عليها بعد عامين رتبة بانا — وترجح اليهود المهجرة للبلاد العربية . وهم انزل البلاد العربية الشمالية في حوادث الزمن الاسيرة كاهل وماردين وسمرقند وبين والمدن العربية من ولاية باب وأما حد ارضها والنام وحلب في القرن السابق فما كانت متولدة من تريب ديمي أو جنسي تنفس بل من غمور جماعة من الارهز بلازكيا وجماعة من المريد بن بنابون الاله * اه

(*) سمرقند من كتاب أمير القرن التاسع عشر في التربية

وتحقيقه من قِبل علماء اللاهوت و آداب اللغات والتاريخ والأوساط القومية فلا تجد زيادة من المباديات الا وقد وجه اليها العلم ضرورياً من البحث لا قبل لها بمقاومتها وأصبح ما كان يخلفه الناس من اللغات والنقوش البريانية والحروف معميات لا سبيل الى الاهتداء الى معانيها وقد تبذرت مغاليتها وألقت بين يدي العلم مقاليدها وأسلمت اليه أسرارها ولم يفن عن الاغاليط التي شيها من الدهور انها قيمت رؤسها في نظامها وسرت نواحيها في حنادسها فانه لم يبق في كتابها ان تفاج في التقرير بالعقل بما لها من القدم فقد صرف سبب حدوثها وكشف الستار عما كانت ترتمله فرائس الاقدمين من المجردان الخيلية فمرف الانسان نفسه وكله دهش واستغراب لحروفه وفزعه لانه قد عرف اليوم كيف نشأت الآله (١) ورأى مذاهب كان لها مالبدييات من القوة والرسوخ تصان وتلاشت امام العلم بالروايس الكونية التي كان يتوهم ان هذه المذاهب فونها وأبصر أسراراً مستعلقة كانت تعاصت على العقل أذغنت اليه الآن قضى بحكم فيها بكشف أصلها وبيان منشأها

من الظلم والإجحاف عدم اعتبار هذه الحركة العلمية في تربية الناشئين فلا ينبغي مع ان لا يدخل المدارس ما وصل اليه العلم من نتائج بحثه الا بعد قرن من ظهوره لو دخلها
(انتقاد آداب اللاتين اليونانية واللاتينية)

أنا لأريد الآن ان اشتمل من وجوه الانتقاد الالما يتعلق بأداب اللاتين اليونانية واللاتينية وأقول قد اعتاد الملحدون ان يفرطوا هذه الآداب بالدرس دون بقية آثار الاقدمين كما لو كانت آداب كل لغة فرطاً مستقلاً عن تلك الآثار ولا أراهم يستاءون في ذلك الا الى وهم عُنيت من قبل بدحضه ولهذا تراني ذكرت هلاميل، أسماء آلهة سير وما ورد من صفاتهم في أساطير الجنود وتقصفت عليه أنفسهم وقتلتهم وسيكونون من مكارفه القدماء ولم يبق عليه الا ان يعرف كيف أنهم كانوا يونانيون

(١) يشبه كلام المؤلف هاهنا ان يكون تقريراً للمذهب الماديين ويندل بفجواء على أنه لا يعتقد بالله ولا بما لا شكته ولا بصحة المذاهب الدينية في هذين المعنيين وينسب الى التوايس الكونية كل ما كان وما يكون ويزعم ان العلم قد هداه الى أصل معنى الألوهية وهذا كله من غرور العقل نمود بالله منه ومن الغلو في النظر وما يؤدي اليه من الاثر والبطر. كيف يصل العقل الى كنه الآله وهو لم يصل الى كنه نفسه تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً والمنزله ولا مثاله أنهم نشأوا على دين مناقض للعقل

الأسفار ويجوبون الأقطار وكيف أن الواحد منهم كل الظهور في سائر أقطارهم وفي
 حيات متباينة وهو أمر لما يجرب وقتاً .

فذكرت من شعراء الأقدمين حمير وإلهة المقاسية أودا وأندري مالتدي يسود
 على التلامذة من تفهيم المعلمين أي أنهم ان ديوانيه الموسوم أحدها بالملياد (الإلياذه) والثاني
 بالمديسي هما من ابتكار رجل من الفارين إذا كان جميع الناس اليوم يعلمون كيف
 تولدت القصص الشهيرة الخرافية في الأمم القديمة والحديثة

لأرب ان في هذه القصص سخا من كبرى وغيرها جولة غير اني سأتحاور كل
 الشبان ان أجعل نسخة أميل (١) مثلا نوحيا في لابليل . فخذوه في سيرته فان
 هذا الجبل الذي عرش وإله من بلاد قانس قد ورد عن منزلة أديابا في حروب كبرى
 ان أبي عليه قومه حارية رقيقة كانت محلا لاطماعه وكان هذا سببا في طول مدة
 وزايا الحرب وشداها لم يكن حقيقا سرد الألهة منه ومراهم التي فهم بالاطماع
 واعانتهم إياه على خصمه لشجاعته غير صراعين إغفاله لواجبه قد جعلوا عاقبة الحرب
 عبرة سيئة وهي ظفره بكتور (٢) أي ظفر الطيش الحربي بالوطنية الصاعدة

لم يقتصر الأقدمون فيها جهلوا من الأمور على تكريمهم بعض الاستكوال التي هي
 الآن أساس وجدان الإنسان بل أنهم تركوا ما ميراثا من الأباطيل والماوس والماوس
 التي تدعو دراسة كتبهم التي بقاها ان لم يقارنها الاعتراض والمنطق فان سحر ما تظن الناس
 من آثارهم قد هي كثيرا من المنطالم الثورية قرونا عديدة من وثبات العقل والأزوال
 يتودها عنها وان المنعم منا بالمعالمه المفرط في الميثة بين كتبه المفرط فيها بين إياه
 وقته ترى في أكثر أوقاته تملك التأثير جدا يسا شام في الناس من الملائك السوية
 الكهنة التي يرجع أصلها إلى أخلاق الأقدمين وعواظهم

ان الحضارة اليونانية كان لها من وجود الحسن ما يسير الإعجاب بها ولو ان
 أميل . كلفت بارانها بعدا سابقا لما كتبت الا في غاية الرضى عن ذلك ولكني
 لأحب ان يكون خدعة التشدد في ميله اليها لما فيها من وجود الفصح أيضا فاشد
 ما احتقر فيها الرقيق وبخست قيمته ونسيت حقوق البؤساء والمغلوبين فلم يحض عليها

(١) أميل في الأصل التي كان هو بطل يوناني أسماه بليس وبنى قتلها باريس في
 حساب طر وأد (٢) كاتور في هذا الأساطير هو ابن ريام وعقوبة وزوج اندرو وملك وملك
 استينا كس قتلها أبل أخذا بشارية. وقل

أحد إليهم لا حبيبين أو زناً أقيمت من أحمق و جسدان الانسان و وبيات اليانا
 بعد اختراق حجب ناموس من الازمان ولكم هلك في سبيل تلك الحضارة من اجيال
 وباد من انسان ولم يكن فيها أحد يعني بتخفيف مفضل البؤس الذي كانت تقاسيه الدهاء
 ولم يكن العمل يستوجب للمعامل أدنى حق من الحقوق لانهم لم يكن يصلح الا لأيدي
 الطغام نعم ان ظاهرها ومنظرها كان موقفاً فان ما زادت به من الفنون والشعر والدين
 السح والالهة الباسمين في وجوه الابطال كان يكسو تلك الامة المقتبطة برودا جمعت
 كل مالمالك المنشود من خروب العظم والبهاء ولكن العبرة بالخبير لا بالنظر
 التاريخ الروماني هو دون التاريخ اليوناني بكثير لان رومة لم تنتج رجالات
 كباراً بل لانها كانت تفرط في عبادة القوة وقد لاقت جزاء هذا الافراط فانها بعد
 ان استعبدت غيرها من الامم آل أمرها الى استعباد نفسها فالتقل لي هذه الامة
 الدائمة وقد أظهرت للعالم مالا تنتج من النتائج اللازمة ماهي الامم التي علمتها والشعوب
 التي أساحت شؤونها؟ أرى الناس تميلهم أخبار غزواتها ونهزمهم أحاديث نصراتها ولا
 أرى أحدا منهم يهتم بتقصي أسباب مصائبها البشفي من جنون الحرب وبراء من هوس القتال
 اني اذا أفراة « أميل » اليونانية واللاتينية وفجرت له بذلك ينبوع الآداب
 القديمة والتاريخ كان قصدي منه ولا شك توسع عقله وتنمية إدراكه سيد اني ارمي
 الى غاية أخرى أهكن في نفسي من هذا وهي ان أنشئ في نفسه الاستعداد للسلوك
 في هذا الكون ذلك لان ما تضمنته تلك الآداب من أسس الإقدام النفسي والأخلاص
 في العمل وحب الوطن أشد في قلب اليافع تأثيراً وأبلغ في نفسه موعظة من جميع
 ما يقوله الخطباء ويوصي به الحكماء بل ان في نفس التبحس الذي يبدو منه في
 استحسانها بذلا لنفسه لانه يخرجها من مقل امتاعها ويخلصها عن عرش مملتها
 ليسويها بمن استحق الحياة استحقاقاً صحيحاً واني لأقط من فلاح الطفل الذي لا يروقه
 شيء وأما من آانس من نفسه التأثر بما نصيره من بهاء المظنة وروقتها فذلك الذي
 أوتيت نفسه سرّاً من أسرار الله ان فضائل الفارين أبلغ من فضائل الحاضرين في
 خلب الحيات بما عليها من مسحة القوة والبسالة وأعمال اليونان والرومان لبعدها عنا
 بحسب ترتيب الازمان محلها البعد والفرابة يبعث السمات التي قد تغالي بها فتجعل
 لها من القيمة فوق ما تستحقه ولكن ذلك لا يزيدنا الا لاجحة في دعوة الناسين الى
 اجلالها واعظام قدرها واذ علمت ذلك رأيتني غير مخطئ في التعميل على تأثير الاقدمين

في رقة أفكار ولدي وتهذيب خلقه

على أني أعلم حق المعلم أن جميع ما خلفوه لنا لا يدعو الى الاعجاب على السواء
فما سيديون (١) الذي جندل ابيال (٢) ودمر قرطاجة (٣) منلا بالبطل الذي ساسترعى
الى سيرته ذهن « أميل » كلابل اني سأوجه كل همتي الى تفهيمه أن ما يلاقي من
الهزائم اجلالا لوجودان الحق أعلى منزلة وأعظم خطراً من الانتصار بيض الصفاح
وسر الرياح وأن المجد الصحيح إنما هو في علو النفس وشرفها وسأقول له أرايت
اليوم الذي انتصرت فيه رومة على قرطاجة فذاك هو اليوم الذي وفيه ريجولوس (٤)
بمهده فانطلق الى أفريقيا وحده لا يثريه عنه لحاجة زوجته وأولاده ولا دعاء اخوانه
وأصدقائه مع علمه بأنه ملاق حظه وساع الى هلاكه . في ذلك اليوم ظهر أن رومة
قد برزت على قرطاجة في صدقها ووقارها ولم يكن تبرزها عليها في غير هاتين الفضيلتين
الا أمراً مرهنا بوقه اذ كان لا بد لقرطاجة من الغلب والفهر

لا سرا في ان الجمهورية الرومانية أيام مجدها وعلوها كانت تسفر عن أخلاق
شريفة وطباع كريمة وليس كذلك حالها في عصر تدهورها واضمحلالها ولو أني أردت
تفسير « أميل » علة هذا التبدل له لخصرتها في إعواز الفضائل الجمهورية إعوازا كان
سيلاً لتجاح الحكم المطلق في رومة وطول مدته فاستأقت على الحرية ما فقد
ينتابها من الاخطار المادية ولا أرهب على رومة ان يقف بابوابها التركيبون (٥) او
بورشينا (٦) يتفنون الاستيلاء عليها مادام فيها امثال موشوس سيفولا (٧) وانما الذي

(١) سيديون واسمه ايمليان الملقب بالأفريقي الثاني كان رابع أولاد بيلس أمبيل
ولد في سنة ١٨٥ ومات في سنة ١٢٩ ق م تبناه عمه الذي هو ابن الأفريقي الاول
من أسرة سيديون وكان على يده انتهاء الحرب الثالثة بين رومة وقرطاجة فنكسها
خاتمة هذه الحروب فانه أخذ قرطاجة في سنة ١٤٦ ق م «٣٥» ابيال هو قائد
قرطاجة تولى قيادة الجيش في الحرب الثانية التي حصلت بين قرطاجة ورومه وبعد
انتصاره في مواقع كبيرة هزم سيديون فأعجز باسم تخلصاً من انتقام الرومانيين
«٣٥» قرطاجة مدينة أفريقية قديمة «٤٥» ريجولوس قائد روماني قتلها التمرطاجيون
لانه أرسل منة لهم الى رومة للمفاوضة في المبادلة بالأسرى «كلام في مجلس الشيوخ
عائنا في هذا الطلب وعاد الى قرطاجة فمات صبراً (٥) التركيبون هم بعض ملوك رومة الاوانين
(٦) بورشينا هو ملك أرووريا حاول إعادة التركيبين الى ملك رومة فهدده موشوس

هو خذته الشهيرة، يوم السراة



فقد سناهي موالين الظلم ومكان النبي فأنشد علينا هو ان نحاربه فيها ونجلبه
 فيها قبل تخابية الملوك انظالمين واجلاء الجيابة الفاشين ومن أجل هذا لم يك ينفع
 بروقوس الا ان صار ان يقرأوا بطن الفيصر فان قلب رومة كان مقروحا بالداء القيصري
 كان اولي بذلك الرجل وقد أراد ان ينزع تاج الملك ممن كان مستعداً له ان
 يرجع اولاً الى قلبه فينزع منه كبر الاشراف واففة السراة ثم ينزع ان استطاع من
 نفوس قرنايه ما علق بها من الرذائل والتفائص التي تقتضي وازعاً يرد من جاحها
 ويكف من زبانه ولولا تقصيره في ذلك لاستحق ما اتاه من الأعمال الدالة على
 الشهامة والبطالة ان تفيض به صحت التاريخ بل ان هذه الاعمال كان من شأنها ان
 تؤخر استمرار حكم الاستبداد ولكنها لا تستطيع ان تقوم بالامة من وهدة انحطاطها
 أحدثت في أخريات أيام الجمهورية الرومانية أحداث كثيرة شوهت مجاستها كالنظام
 العسكري الوحشي وإمدار الدماء وضرب التمذيب والاطماع الحبيسة وبيع
 القضاة وارتداد أرباب الغنائم والافتاد والتعلق بمجاعة الناظر على انه كان لا يزال
 يظهر في جهات مختلفة من قرارة الدهاء المتهوكن المنحطين بعض الاخلاق الفاضلة
 تلهو المصنوع التي تشرف على احوالها المياه المنخفضة، ولا تقوط من ارتفاع شأن
 الحرية ما بقي في الناس أباة للضم موقنون يظفروهم في الذود عنها فان هؤلاء يشهدون
 الجهاد في سبيلها وقد يلاقون المزيمة فيه ولكنهم لا يشهدون اندثارها اندثاراً لا قيام
 منه وإنما ترهق روح الامل من حياتها متى انحازت العقول بمد كلالها وهي صامته
 الى سكونة مائة لكنها ساكنة مظنة تلبن للمحكومين كلما شمرت بازدياد أمنها
 وزوال مخاوفها فأفسر نظام سياسي على أمة من الامم انما هو الحكم الاستبدادي
 الجرد من الصرامة والنسوة وكذلك كان حكم أغسطس للرومان

كان عجب الامة في ذلك الحكم لا يزال يتفدى ببعض ضروب من الفرور غريبة
 ككونها لا تزال خير أمة بل أميرة الامم وكون اعلامها وألويتها لا تزال مبهجة في
 في الخارج وكونها تنصر على التوحشين من حين الى حين وكونها صاحبة الآلهة

سيفولا فولي مذعوراً (١) موشوس سيفولا هو رجل روماني أراد ان يقتل بورشنا
 ملك اتروريا فأخطأه وقتل كاتم أسراره وأراد يظهر لهذا الملك ثبات الرومانيين
 فوضع يده اليمنى في جذوة نار مستعرة

وكتب الكائنات والبروق الخيطة والآثار الفخيمة التي تروق الأجانب وكونها
جددت بناء رومة وهي المدينة الأبدية من قواعدها إلى سقوفها — كل هذا صحيح
ولكن واحسرتاد فليست تعبئة الحيوان ولا إنشاء القلاع والحصون ولا بناء المعابد مما ينفي عن
الامة من مقروطها شيئاً فقد بقي مبدع المشتري المسمى بالقابلتول في رومة بمقتناه الرومان
ليس لي الا كلمة أقولها في شعراء عصر أغسطس وهي ان أحسن هؤلاء الشعراء
قطعا في نظر الملئمين فرجيل وهوراس فهما اللذان أحب ان يحمل كتبهما في أيدي
الناسين اكثر من غيرها وان كان كلاهما قد تجرد في معظم ما كتب من شرف النفس
وكرامتها ألم يلاحظ من قرأ غيبية (١) فرجيل ان نفس منزاها ملكي وهو مفزى
ما كان يرد — على ما أرى — في ذهن شاعر زاهر الخيال في أيام الجمهورية الجميلة فقد
وصف فرجيل بمدوحه المسمى عني بالانسان الذي تجلبت فيه العناية الالهية وتوحدت
في شخصه الامة وبانه المنهجي لامة المؤسس لحيته ومثل هذه المماثي يرى عليها انها
موسومة بمسح الملك الذي برزت في عهده ومطبوعة بطابع القرن الذي ظهرت فيه
وسواء كانت حسنة او قبيحة من حيث النفس فهي تشف عن حالة العقول في ذلك العصر
وتسفر عن الحطة التي رسمتها لفساد الحكومة الذاتية حتى في نفوس الخيامن الامة
ان أجود الأشعار وأحسنها ليس في استطاعته ان يخجبت دناءة النفس ولا ان
يسترخه الطبع وان قد كان شعراء اللاتين قدوة سيرة خلفهم بما كان يسدر عنهم
من ضروب التمليق الخسيدة وانواع البساطح التي كانوا يطرون بها أغسطس تحميقاً
لاغراضهم وتبلا لامانيهم فأسموا به في الدنيا من حيث لا يشعرون وظيفة الكتاب
والشعراء المترلفين على أن فرجيل وهوراس كانا أميرى هذه الصناعة ولم يكن غيرها
فيها الا من أتباعهما

أخص لك ما تقدم فأقول : ان دراسة آثار الاقدمين تختلف ثمراتها باختلاف
الطريقة التي تبشر بها فاجلال هؤلاء بلا قيد ولا تمييز ولا نقد يؤدي الى ما تؤدي اليه
جميع ضروب الوثنية وهو حنار النفس وضمها ذلك بان ما يؤثر عنهم من المحفوظات
والخرافات والكتب والاشعار الحسنة له من الظلم والتحكيم في النفوس مالا تقل
الحسنة منه على اللاتين عن خشية ظلم الحكام الفاشين ومحكم الطفلة المستبدين

(١) غيبية فرجيل قصيدة قالها في مدح بعني وهو أمير طروا دي ابن انشيز

الزهاء وسفه فيها بانه مؤسس النسل الروماني

وهو مما يعقل الدجيب من أنه بعد اليوم من تلامذة اليونان والرومان من ياتسون
في علوم تيران وسائل للذود عن مصالح الغابرين وممة العظامم ودمهم من يرومون منها
دونه عا... مدينة للبحرية تكلمت عنها عوادى الباقين

نحو على ما فينا من النفائس كلها احسن من الاقدمين حالا وأرفع شأنًا وان جاز
عالمنا على والأفمننا... سائر عليهم ذلك لان فينا قوة اليهوض والارتفاع الى ما اعططنا
من ان اعلم اننا لا كبراً يسو ووجدنانا فكاننا ابتأ خرفنا عنهم في الوجود قد
أخذنا على أنفسنا ان نكون خيراً منهم لان وجدنا الواجب كوجدان الحق نحو
وبرتقي بمرور الزمان وامبري انه لا ينكر ما لا تمدن التسري من ضروب التأثير في
النفوس والمقول الا مكابر خيبت العلوية ولست أريد بما قلته انما أصبحنا بهذا
التمدن أكثر من الاقدمين أخلاقاً فاضلة وطباعاً بائسة ومعارف واسعة ومحنساً في
الميل الى الحسن كلاً ثم كلاً بل أريد ان مماني المدل واحترام حق الغير قد شاعت
فينا ورسخت في نفوسنا فصرنا اكثر منهم اهتماماً بان يحالفونا في المناصر والاحوال
القومية والاقاليم والوان الجلود فتحن الآن من حيث كوننا من بني الانسان أقل
من اليونان والرومان بعداً عن كل ماله ماس بالانسانية . اه

﴿ مسألة الشيخ محمد شاكر ﴾

جاء في العدد ٥٥٤٥ من جريدة الديش تونيزيين تحت هذا العنوان مانصه
تتمت جريدة الديش تونيزيين الصادرة بتاريخ ٣ نوفمبر الأخير فصلاً اضافياً بيان
ثناءة الشيخ محمد شاكر أجاد انذة جامع ستاقس الذي استحضرتة الحكومفاته نسبة
الى الحاضرة بناء على شكوى قدمها اليها قاضي تلك المدينة ومفتيها وبميدده باميرال
من وظيفة التدريس

وقد أوردنا في ذلك الفصل موضوع هذه الشكوى إذ قلنا إن الشيخ كان في نلال
دروسه بالسجد يطمن في التقاليد ويذكر المتقدات الباطلة والفلواهر الخارجية المنتهية
من خرافات المبحائر ومخرصاتهم وأوردنا مثلاً عليها زيارة قبور الأولياء المسحوية
بتقديم التدور على اعتقاد الخطوة بواسطة مؤلاي الأولياء في تحصيل المنافع ووقاية النفات
من طواري الحدنان وقائمه نسب هذه الأضاليل الى ما نراق في دين الاسلام الصافي
المهل من بقايا عتائد الوثنيين وقال إن كثيراً من اتقاليد التي تسير عليها بعض الطرق
الاسلامية كالعبودية مثلاً مناقضة كل المناقضة للتواعد التي بني عليها الدين الاسلامي

ولا يخفى ما يخيم عن تلك العادات والمعتقدات من إهانة الأمم عن الترويض من
كبرية التأخر وممنها عن بلوغ الشأو البعيد من التقدم والارتقاء واستبدالها ظلمات
الجهل الذي يزيد تلك الأمم وأمثالها مصابا على مصابها.

فمن الواجب والحالة هذه إنفاذ تطبيقات الناس من طامات التفايد وليدع والمعتقدات
الفسادة التي لا غرض لأصحابها غير التمدح بها لتبصيل سعادة الدنيا يحمل البهلاء
والسذج على الاعتقاد بأنهم من الدين وماهي من الدين في شيء بل الدين منها براء
وقد حتمنا ذلك الفصل يومئذ بقولنا «فإذا كان» أذكر أنه قد وقع فعلا فانا الأمل
الوطيد في أن تقام الحكومة التونسية عن متابعة أهواء القاعين بأمر الشرع في
صفاق من قاض ومفت به أن تغلب منها بهرا في النظر وسمه في الصدر»

وكنا نظن أنه يكفينا مجرد سرد وقائع تلك الحادثة كي تكفل الوقاية من الاضطهاد
لرجل فاضل لا عيب له سوى أنه فاق بني أشباهه، فبقا عظيما بعيد النظر وحرية اللسان
ومصدق القول وكان ينبغي أن يجزى عنى هذا الزايم بالتشجيع والتعضيد

نأسف الأسف المر أن تكون الحكومة التونسية قد منعت مادعوناها إلى حتى الطائفت
في مصر فأما إلى قرارات المفردين بما لا يرى منة مندوحة عن البحث في عواقبه ونتائجه

فما لم تكف بفضل الأستاذين وميسر من برار من الوزير الأول بل سلبت منه
القبول وطوعه الذي يفيد أنه حائر على إيماننا بربوبي في العلوم والفنون في الجامع الأعظم
ولذا رأينا أن لا نجر ذيل التعانل والسكوت عن هذا الحادث الذي يوجب الكدر والأسف

ليكن الشيخ محمد ت. ك. الذي فصل بين وطنيته من الطاعين في العمر كما قلنا خطأ
وأنه هو شارح في بيان العسر والضرة لتبين الأسباب التي تسببت في وقوع كونه

كعيب البصر كان في مقدمة طلبة الجامع الأعظم بباريس، وكان له اجازة المالية التي
استردت منه ظلما وعمدانا وكان ذلك الشيخ الشاب يتأق غير الدين وس المعتادة في
الجامع الأعظم علوم المدرسة الخلدونية (١) ونجاها هنا بأعلى صوتنا بأن الفضل الأول

لهذه المدرسة إلى اقتبس منها تلك الافكار العالية التي اتقضت عليه بسببها صواعق

غضب الطبقة المتينة من المسلمين

ويضاف إلى ما تقدم أن ذلك التمسك بما يحدث الآن في الفكر المصري من

(١) المدرسة الخلدونية في تونس تشبه مدرسة دار العلوم في مصر يتعلم فيها بعض طلبة

التقدم العلمي وهو في مقدمة المنجيين بـ الشيخ محمد عبده قاضي القضاة في مصر (٢) الذي هو من كبار المفكرين ذوي الأفكار البيرة التي توافق المدنية ومن تقامهم وله مؤلفات ومسودات في تحرير آراء تشهد بعمق اطلاعه بقصد إعادة الإسلام الى ما كان عليه من التوافق والتناغم من التقاليد والبدع التي من شأنها أن تفرس في القلوب التعصب الديني وعدم الاحتمال والتسامح وتحمل بين العالم الاسلامي والمدنية سداً منها هذه الحملة تسير عليها جريدة «مصرية تدعى «النار» يكتب فيها الشيخ محمد عبده بدون أن ينزل كتاباته باهضاته وهي حريصة على ملازمة خطها هذه حرصاً يزداد كل يوم إن الناس الاسلامي في هذا المهد — ومنه الناشئون في تونس — قد أيقنوا ان لانكون نهضة للملاحة العربية الا ببيت مثل تلك الافكار ولهذا تالفت كتابات الشيخ محمد عبده ومقالاته بالصدر الرقيب ومن واجبات الحكومة التونسية في هذا الوقت الذي تبه التعصب فيه من سبانه بالبلاد المراكشية وزعزع عرش سلطان منهم بشدة المثل الى الحديث أن تساءل بما في وسعها من الجهد الافكار التي من شأنها بت يهدى الاحتمال والتسامح بين طبقات العالم الاسلامي واعلمنا بدلا عن ذلك طاملت الرجل تأتي لم تحسن بأساً بالمجاهرة بأفكاره مماثلة الساعي في غرس بذور الفتنة بل معاملة أحقر الناس وأدناهم إذ طردته طرد الاشيقاء فأصبح على قارعة الطرقات لا مال في يده ولا أمل في قلبه

ولو أن هذا الرجل حاول ان يقلب معالم الدين الاسلامي أو لو أنه أبدى من الافكار واخترنا من مختلف مبادئه قواعد هذا الدين اقلنا أن الحكومة التونسية وأمت الخاضعة على الامر العام والسلام بين الناس فأنخذت قلبه وسيلة من وسائل الشدة والخبروت لتكون العبرة الزاجرة ولكنها اضطهدته اضطهاداً ديني الصبغة في حين أن حزية فرنسا على تونس تفيد تصدي دولة متدنة لا فاضة أنوار العلوم على جموع من الناس في حاجة الى العلم والترقي وأي جناح على رجل لجأ الى الاحاديث النبوية الشريفة مستهداً بها على فساد ما تذهب اليه العامة من ضرورة ارسال الهدايا الى أضرحة الاولياء لكي تنال المنافع بحسن تأثيرهم في أحوال المعيشة اليومية

قال النبي (صلى الله عليه وسلم) في حديث له « لا تتخذوا قبري وثناءً »

وحقيرة إذ أمر أن ذاب الشيخ محمد شاكر ندي لا يقتفر ولا يفتي عنه بسببه

(٢) المراد بقاضي القضاة المفتي الأكبر لانه يفتي للقضاة وقد وضع له هذا اللقب ابتداء

هو تبرؤ على المس بعبادات يخذها مشايخ الزهيا والمستفيدون منها مصدر آمن مصادر الكسب ويرون ان سيؤل أمرها الى التصوب اذا سادت الافكار التي يري الشيخ في بها بين طبقات العامة

فلما ان الشيخ محمد شاكر كان اسناداً في مذاق من وان الزاوية التي كان يقوم فيها بوظيفته تسمى بزواية سيدي (كراي) التي يرى العامة في الولي المسفون بها انه الحامي لتلك البلدة وقد استفادت سلانته بشهرته فمكفوا الى الآن فيها يستأثرون بالذور التي تقدم اليه وهم يمشون بواطها في نعيم ورخاء فلما اطلعوا على ما كان يلقبه الشيخ محمد شاكر للطلبة من الافكار المغايرة لمصلحتهم نارت عليه نورتهم فبدأوا أولاً برفع الشكوى الى كل من القاضي والمفتي اللذين استدعيا اليهما الاستاذ وأبوه على الخطة التي انتهجها في التدريس فاراد الشيخ ان يقيم لهم الدليل على انه لم يمس الدين بشي مستهداً بالكتب مؤيداً حججه بأقوال السلف الصالح ولكنه عتاً جامد في هذا السيل لان المناقشة بينه وبين القاضي انتهت بقول هذا الاخير له « إن الضوء لا يأتي من اعشى » فأجاب الشيخ محمد شاكر « وأنا ادعو ان يخاص الناس من عمالهم » فاعتبر القاضي ان هذه الاجابة قاضحة له استلزمات استدعاءه الى الوزارة حيث حاول التبرؤ من الذنب الذي عزم عليه ولكنه لم يكن امامها سمد حظاً منه امام القاضي ولكن من الالف ان الحكم عليه كان صادراً من قبل لان للقاضي والمفتي العفاقيين اركاناً في الحكومة يستدان اليهم فطالبوا الاقرار على العزل بالرغم عن المساعي العديدة التي بذات لديهم في صالح الموزول وقد أمضى الوزير الاول هذا القرار بدون ان يكون مقتماً بسحة الس الذي انضى اليه

هذا تفصيل شرح حادثة الشيخ محمد شاكر استاذ مسجد سيدي كراي نضى على هذا الرجل لانه نجاس على القول بان الاباطيل والبدع والتنايد مواءق الامة وأن ارباب الطرائق الدينية يمشون من سذاجة الأفراد وسرعة اعتقادهم وبهذه المثابة يتون التعصب في نفوسهم

ولا ننسى ان حوادث مرعرت ومشاكل مراكنس الحديثة ليست في الحقيقة سوى نتيجة من نتائج التعصب الذي مادام كامناً في أفئدة المسلمين فلا بد ان نشوق حدوث امثال تلك الحوادث . فلا ضراية اذا زاد عجبنا بمد ذلك من اضطراد رجل لا ذل له الا الوعز لا تقاد أبناء دينه من ربقة الجهول الذي قوس ظهورهم منذ احياء ومنهم من المشاركة في التقدم الذي يدفع بالانسانية الى الامام اه

باب الحكمة والأدب

هو عربي كريم وولي حميم

في أوائل هذا الشهر جاء نائياً برقي من بومبي (الهند) يقول فيه مرسله ان صديقكم
 (محمد عبد الوهاب باشا شيخ دارين) قد سافر اليوم الى الحجاز في باخرة
 راجعة الى طور سيناء على السويس وقد علمت ان باخرة الامبراطور تصل الى
 طور سيناء (في ١١ فبراير) فيمت السويس في ذلك اليوم للقاء صديق
 محترم احبني واحبته على البعد احبني في الله بحبه للشار ورضاه عن خدمته
 واهله وعلمه بايرته اليه بنفي به في امر الدين واحبته في الله لما تمنته في
 كرمه الي من تعبته الدنياه والاخلاص في كل ما يقول
 وانه فائق من الفضائل العربية، والاخلاق الاسلامية، الاثارة والوقار والكهامة
 وكرم النفس واليد ومن كرمه انك ترى منه ابا القري ويقصد ام القري، فهو يسير اليها
 ركب يبلغ ثلاثين رجلاً اكثرهم من جماعته وحاشيته العرب الكرام وبمضهم من
 مسلمي الهند ومن كرمه انه يمد لكل غداء وعشاء الخوان، وينصب الجفان،
 وفيها ما شئت من الالوان، ومن كل فاكهة زوجان، ومن كرمه انه رأي في
 السويس كثيراً من الفقراء الغرباء يبهنون الحج ويتسولون المساعدة عليه بان يحملوا
 بغير اجرة في سفينة الخاصة الحديدية قارناح الى حماهم على نفقته وأرسل يطلب
 من محافظ السويس بيان عددهم واسمائهم وان كثروا، ومن كرمه انه لم يمض عليه
 في السويس يوم اوبومان، حتى عرف منزله فقراء البلد فاتحوه من كل مكان، فالفوه
 لا يرد سائلاً ولا يجيب آملاً، حتى اننا عدنا على بسط يده لهم، عند ما كاد يتعذر
 علينا ان نقدمه من بينهم، ولعمري ان هذا الجواد قد ارانا خير نموذج من كرم
 خلفاء العرب وأمرائهم الاولين الذين حفظ التاريخ مناقبهم وخطب ما أمرهم
 وقد نهار ان يسافر بجماعته في باخرة الخاصة الحديدية (البحيرة) اذ رأى
 معاً من القامية وتيسر العبادة وأخبرناه ان سموه وزير مصر قد انشأ هذه
 الباخرة لتسهيل سبل الحج على المسلمين وانه يسره ان تكون العبادة متيسرة فيها

للمسافرين ولذلك جبال مستخدمها من المسلمين فسر صاحبنا بذلك ورفع الى سمو
العزيز رسالة بريقة يشكر سموه عنائه بانشاء هذه الباخرة لتسهيل الحج بها على
الذمراء ويشكر حفاوة حكومته به لاسيما محافظ السويس ووكيل المحافظة ويمتدح بفضيق
الوقت عن عدم التشرف بزيارة سموه وتقديم الشكر الشفاهي فأجابته سموه بالبرق
جوابا لطيفا هذا نفسه

سراي عابدين

حضرة الامير الجليل محمد بن عبد الوهاب امير دارين تحت لواء نجد بالسويس
نشكر حضرتكم خالص الشكر على التفراف الذي ارسلتموه الينا وتمنى لكم حبا
مبرورا وصحة وسلامة في السفر والاقامة
(عباس حلمي)

موكب الحج المصري وضمف الدين في مصر

احتفل في هذه السنة بموكب الحج المصري أو المحمل المصري كما كان يحتفل في غيرها
من السنين وما المحمل وموكبه الا تنظيم وإشهار لركب الحج ومن العار التنظيم
والحزبي الصيغ على مصر وهي المملكة الاسلامية الثانية التي للحجاج فيها موكب رسمي
أن يكون الحجاج منها أقل من حجاج قرية من قرى نساير البلاد الاسلامية أو أقل من
الركب الذي جاء به صديقنا الفاضل الهمام محمد عبدالوهاب باشا من بلدة الصميرة (دارين)
يتشدد الدين دين السنتم وأقلامهم قوي متين ، ودين عقولهم وقلوبهم ضعيف
مهين ، ويقولون لا لوم ولا عار على الأمة المصرية ان لم يخرج الي الحج منها في هذه
السنة الا ٢٧ رجلا فان الاغنياء الذين يستطيعون دفع مافرضته الحكومة والخروج
الي الحج إنماتركوه ، احتجاجا على الحكومة ، قاله العار محصور في الحكومة !! وهذه
الحجة أضف من حجة من جاء المسجد فوجد الباب مغلقا فترك الصلاة متذرا بان
المسجد لم يقبله ، وإنما كان عذر القاعدين عن الحج من الاغنياء أضف لان باب
الحرم أو باب الطريق غير مغلق في وجوههم واذا فرضنا أن المتشدد بما ذكر
نعيدار (الفيدار هو الرجل يسي الظن فيصيب) وكانت الحكومة تحب أن تصد
الناس عن الحج في باطنها أو باجاء المحتلين لها على ذلك فهل تقضي قوة الدين بان
تضمف الأمة مامها ، ومجمل دينها هدفا لسهامها ، أم الواجب عليها بذل النفس
والنفس في مقارمتها وحفظ شعار الدين ، واقامة هذا الركن الركين ، الامر ظاهر

والآن نحن نؤمن بالحكومة من هو أشد الناس تشبها وتطيلا عن إقامة ركن
الاسلام الذي يدعي الدفاع عنه فحسبنا انه ونعم الوكيل

سكة حديد الحجاز - وضريبة لها جديدة

تلقت ارادة مولانا السلطان بان يؤخذ قرش صحيح عن كل ورقة تقدم للحكومة في
المدية وغيرها من الدوائر سواء كانت الورقة مستقلة أو تابعة لأوراق أخرى
كلاوراق التي يجمع بها الحصاه في العاوى (المستندات) والمسالك الذي يجمع من
هذه الضريبة مخصوص بسكة حديد الحجاز لان نفقاتها تزيد كل يوم باتساع العمل
وفي هذا المقام نتمنى لغيره اخواننا مسلمي الهند واهتمامهم بهذا المشروع
الاسلامي الكبير ونخص بالذكر الاستاذ الهمام الملا عبد القيوم فان الجرائد الهندية
نواقنا دائما بذكر نجاحه في البلاد وخطبه المؤثرة في الحث على جمع مال الاعانة للسكة
ولم نسمع بان علما مصريا او تونسيا يبين بكلمة خير في هذا الموضوع ، نعم ان
الحرية المنوحة للمصريين لم تقدر ان تقف قلوبهم من الاستياد للحكومة فلو ان
حكومتهم ارادت جمع اعانة لأرادوا او لو ظنوا انها تريد ذلك لبادروا اليه كما امتعوا
عن الحج لانهم ظنوا ان حكومتهم لا تريد ان يهجوا في هذا العام «هذا وما كيف لوه»

(اصلاح لبنان - لائحة للمتصرف الجديد)

أهدتنا جريدة المناظر الغراء التي تصدر في البرازيل رسالة مطبوعة أو «لائحة»
من جماعة اللبنانيين المهاجرين الى صاحب الدولة مظفر باشا متصرف لبنان وهي رسالة
جلية صادرة عن فكر حي تقطف منها ما يأتي
«مولاي: الأمة اللبنانية مستقلة في شؤونها الداخلية فهل استقلت على سبيل الاستعداد ؟
ينبئنا التاريخ وتدلنا الحالة الحاضرة على أن الأمة لا تتحرك فيها عاطفة الاستقلال الا متى
أنفت من الرضوخ للسلطة الاجنبية وأنها لا تأتف من هذا الرضوخ الا متى سمرت
بطاقتها على ان تحكم نفسها . فالأمة اللبنانية لم تستقل على سبيل الاستعداد
« قد تقدم الاستقلال الداخلي اللبناني نتي مما يتقدم الاستقلال غالبا . تقدمته
دماء واكن ليست كالدماء التي جرت في أميركا سنة ١٧٧٥ وما يليها الى سنة ١٧٨٣ .
تقدمته معارك ولكنها ليست كالمعارك التي حدثت في بولونيا سنة ١٨٣٠ . تقدمته جهاد
ولكن ليس كالجهاد الذي حدث في جنوبي افريقية في السنوات الثلاث الاخيرة إنما الدماء

التي تقدمت استقلالها كاهنا دماء لبنانية لم تخرج بها نطفة من دماء جيوش الدولة المتساقطة ولا دار في خلد اللبناني في ابسوان التي تقدمت استقلاله أن يخرج على الدولة التي كان ولا يزال يرفع رايستها والمعارك التي حدثت قبيل الاستقلال كاهنا هلية نازل فيها اللبناني أخاه اللبناني . والجهاد الذي حدث لم يخاطبه من "ترويح الوطني ولا نسمة دماء تمصب ومعارك صليبية وجهاد طائفي . تلك مقدمة الاستقلال اللبناني أو مقدمة المؤتمر الدولي الذي التأم في بيروت في حزيران سنة ١٨٦١ وقرر للبنان حالة السياسة الحاضرة . فانظر يا مولاي ما هي مقدمات الاستقلال اللبناني الداخلي تعلم سر اختلال اللبناني في حكومة نفسه . سر اختلال اللبناني في حكومته لنفسه او سر الاختلال السياسي في لبنان هو الفساد الاجتماعي الذي كان مصدر المقدمات الاستقلال . فالاصلاح في لبنان يجب ان يكون اثنين - اصلاحاً اجتماعياً ينتهي بالاصلاح السياسي الاختياري واصلاحاً سياسياً يستمر حتى تستقر نتيجة الإصلاح الاول . ما استقلت (يا مولاي) الامة اللبنانية وهي قادرة على سيادة نفسها ولكنها استقلت فيجب ان نجعلها اهلاً لهذه السيادة .

* *

ثم قال الكاتب بعد ان ذكر ان المصلحة العامة لم تربط اللبنانيين ولم تربطهم وخدمة اللغة بل قال انه ليس لهم حتى الآن مصاحبة عمومية وانهم اداءوا كذلك فهم في حكم المدموم بعد ان اوجب البحث في سبب ذلك وجزم بأنه أهم ما يقال في الفساد الاجتماعي قال: مولاي ؟ الارض التي يسكنها الدرزي اللبناني يسكنها المسيحي اللبناني . الهواه الذي ينشقه الواحد ينشقه الآخر . اللغة التي يتكلم بها هذا يتكلم بها ذلك . اذا راجت سوق الحاصلات اللبنانية في الخارج استفاد كلاهما معاً واذا كسدت انصروا معاً قلهاذا وعلام اقتلا ؟

مولاي : ما هو الفرق بين الارنودكسي والماروني وبين كل منهما والملكي وبين كل منهم والمسلم وبين كل من هؤلاء والشيعي في كل ما هو لبناني دنيوي على الاطلاق ؟ لا تستطيع يا صاحب الدولة ان تجد من فرق فما هو سبب استقلال كل واحدة من طوائف لبنان عن الاخرى فيما هو دنيوي

لا يوجد في لبنان الا اربع مدارس دينية . والمدارس الدينية مشروعة الاستقلال . فهل انصهر الاستقلال عليها ؟ كلا يا صاحب الدولة ان الاستقلال الطائفي تناول كل مدارس الجبل الاستعدادية والعالية . فما هي مشروعية هذا الاستقلال الطائفي في

بأنه من تعاليم الملة اليهودية .

الأصناف الأربعة هي : ما قام سوانية انفراد أبناء ذنبة الطائفة عن أبناء تلك في
تتموضع في الشهرة والآداب والمعلوم مشتركة لها ، منى اصطلاح الجمليات الأدبية
والدائرة بالعلاقات الطائفية

إذا استعرضنا الحضرة العنية السلطانية على ابن منذ الطائفة بوسام أوربية عالين
سر أبناء الطائفة نفسها واستاء أبناء الطوائف الأخرى
المؤلف يتضح اسم في صدر كتابه بنسبة الطائفة . وولفه عندئذ مفيد عند طائفة غير
منه منذ الطوائف الأخرى

المؤلف شكري طيب ، روز . والمحامي الماروني محام المارونية . والسلم الأرثوذكسي
بوسام عتق الأرثوذكس فقط . والكاتب الملكي . مبر عند الملكين فقط

فإن هذا التناقض هذه المواردة . هنا التناقض . هذا الاستقلال في قوم
بجموعهم المصلحة الطائفية والألمة ؟ هو التعصب الذي يسيطر الدولة - - التعصب القديم
الذي يزين لكل طائفة في لبنان أنها مستقلة بما احتيا عن الطوائف الأخرى . ولا
مصلحة لها في الحقيقة يصح أن تسمى مصلحة طائفية عمومية . ولا فائدة من استقلالها
في مثل ما قدمنا من الأمثلة الأقدمة . أنها ترمينا - فائدة استخدام هذا الاستقلال
فما يفيد الرئيس وانسياء واستدقاء باسم الطائفة - فائدة استخدام الدين في المنافع
الدنية . التعصب الذي هو سبب الاستقلال الطائفي . وهذا الاستقلال هو سبب
استدقاء المصلحة العمومية . فكيف نلشقي هذا الاستقلال لتستب لنا تلك المصلحة ؟
ثم كفى . هناك في الألفية كفة بالاشارة . فنذكر ههنا الجزء الآتي ليشاء الله تعالى

﴿ المنار في أئيلاد الأسلامية ﴾

جاءنا من طهران كتاب يقول فيه مرسله ان المنار ذكر أسيراً في مجالس
العلماء والمجاهدين وان الإمام العلامة . ملاذ الأنام . السيد محمد العباسي المحترم
المشهور . قد نال في مجلسه الخاص بالعلماء في تهرنض محبتكم واثناء عليكم . وان
الفاصل المقدم . علامه علماء الاسلام . الحاج الشيخ زين الدين . الملقب بملك
الواعظين . به أول واعظ ومتكلم على المنبر في هذه الاقطار كان يخطب في شهر
رمضان في ناسد . مع طهران الموسوم بالجامع المروزي وهو جامع كبير معروف
فيه مدرسة كبيرة لانفقه وسائر العلوم . . . وقد اتنى عليكم وقرض مجلة المنار علي

منبر الجامع أثناء الوعظ والمسجد مملوء بجماهير الناس من الخاص والعام .
والمنار يفخر بصداقة هذين المعلمين في الأمة للمحمدية ، ولا غرو فالبلاد الفارسية
جديرة بهذه الأريحية ، فانها كانت ينبوع العلم والاجتهاد وسدتي كذاك الى يوم التناد ،
وجاءنا من تونس ان الجزء الواحد من المنار يدار على عشرات من الناس
وجاءنا من بلاد أخرى عربية ان أهائها لا يرجحون على فتوى المنار فتوى وان
بعض القضاة الشرعيين يعتمد على المنار في حجاج بعض الاحكام ويحتج به وهذا دليل على
حياة العلم هناك لاننا لا نقول في الدين شيئاً الا بالدليل فهم يأخذون به لا بقولنا
وجاءنا من بعض المدرسين في بلاد روسيا أنه سمع كثيراً من صدى المنار وخدمته
للإسلام وأحب ان يطلع عليه ولكنه لم يعرف اسم صاحبه فاكنتي بأن يكتب اليها
باسم « المنار في مصر » طالبا ارسال المنار اليه . فنشكر لهؤلاء الفضلاء الاعلام
تنشيطنا على هذه الخدمة الملية ومساعدتنا عليها ببلدعوة اليها والتشويه بها

﴿ انتقاد المقطف الاغر ﴾

قرظ المقطف الاغر كتاب الاسلام والصرانية وانتقد علينا ما أوردناه في
مقدمته من تمثيل الاسلام ينبوع تفجر في أرض ثم قاض في أرض أخرى فأنشأ به
أهلها حدائق ذات بهجة الخ وتلطف كاتب الانتقاد الفاضل فأورد النقد بصفة
سؤال سنجيب عنه في الجزء الآتي ان شاء الله تعالى

﴿ تنبيه لقراء المنار ﴾

قد اصدرنا الجزء التاسع عشر الذي موعده غمرة شوال مع الجزء العشرين في
نصف شوال بثمنها ميزان واحد مؤلفاً من عشر كرامات فلم نتقص اشكر كثير
من حبهم شيئاً . وقد غفل عن كبر شيزه وعفا كتب عليه من العدد (١٩ و ٢٠)
بعضهم فكتبوا يطلبون منا الجزء التاسع عشر

﴿ ازالة وهم ﴾

يتوهم بعض الناس ان مما ينشر في المنار غير معزو الى أحد ما هو بقلم الاستاذ الامام
أوبابعازه وقد تذكرنا هذا عند نشر تمريب (مسألة الشيخ محمد شاكر) وبهذه المناجبة
نذكر ان كل ما ينشر في المنار غير معزو وأصلا فهو صاحب المنار فكر او عبارة . وهذا لا ينافي اننا
اقبنا كثيرا من المسائل العلمية التي تنشرها من معارف الشيخ في الدروس والمذاكرات
ولكن الذي نو - بيانه ان منشي المنار مستقل في عمله استقلالاً تاماً لا يدخل لأحد فيه

يؤتى الحكمة من يشاء ومن يؤت
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما
يذكر إلا أوزو الألباب

المعراج

١٣١٥

فبشر عبادي الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أو تلك الذين همداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: إن للإسلام صوى و « مناراً » كمنار الطريق)

(مصر يوم السبت غرة ذي الحجة سنة ١٣٢٠ - ٢٨ فبراير (شباط) سنة ١٩٠٣)

مسألة النساء

(مضارّ تربية النساء الاستقلالية في الافرنج)

(تمهيد) للامم طريقان تسير عليهما في حياتها الاجتماعية طريق الهداية الدينية مع النظر والتجربة وطريق النظر والتجربة بدون استعانة بهداية الدين . ولا يعرف التاريخ أمة من الامم ارتقت في الحياة الاجتماعية بدون دين ولكن كثيراً من قادة الافرنج في السياسة والعلم قد صرّقوا من مبادئ النصرانية واستدبروا تعاليمها الاعتقادية والادبية والعملية في طريق مدنيّتهم مقررّين أنه لا يعتمد في شؤون الحياة الاعلى النظر والتجربة ممّا دون ما عداها فاشتهر في العالم أن الافرنج صرّقوا من الدين في الواقع وإنما ينصرونه ويتمصبون له لأجل السياسة الخارجية وأنهم لم يرتقوا الى فئة حضارتهم هذه الا بهذا المروق والاستدبار . وهذه شبهة أو حجة على بطلان النصرانية اذا كان الدين كما يقول المسلمون سائماً الى صلاح

الدارين، وسعادة الحياتين ، ولكنتنا رأينا من كتاب النصارى من يقول ان الدين خاص بطالب الدار الآخرة ومراعاة تعاليمه في أمور الدنيا مفسد لها. وقد خدع بمثل هذه الأقوال والأحوال بعض المسامحين الجغرافيين الذين لا يعرفون من الاسلام الا بعض ما يرون ممن عاشوا معهم فحسبوا ان المسلمين لا يرتقون الا بمثل ما ارتقى به الأفرنج من استتبار الدين والاعتماد على النظر والتجربة اللذين هما طريق تمحيص العلم . يقيسون ديناً على دين يخالفه في حقيقة معناه وفي تعاليمه الاعتقادية والأدبية والعملية وفي آثاره الاجتماعية والمدنية ولا حجة لهم الا أن الأفرنج باستتبار الدين ناجحون ، والمسلمين في الواقع ونفس الامر خاسرون ، ولو أبصر والراوا ان هذا الخسار ، إنما تولد من الروق والاستتبار . وان قياسهم إنما هو قياس الضد على الضد ، والله الأمر من قبل ومن بعد ،

لقد سبح القلم الى ما ليس من موضوعنا في هذا التمهيد والذي نريد ان نقوله هو أن الإنسان على كونه أرقى الأحياء في هذه الارض لم يستغن ولن يستغني بنظره وتجاربه عن هداية الدين وإرشاده ولدين وثي خبير له من ترك التسدين بالرة . وأن كل أصول الارتقاء التي بني عليها عمل مستدبري النصرانية في أوروبا مستفادة من الدين إما من بقايا دينهم تقليداً وإماماً وصل اليهم من الاسلام اجتهاداً . وأنه يجب على المسلمين الذين وجهوا وجوههم للحضارة الأفرنجية بالتربية والتعليم ان يترووا في نظام هذه التربية وقوانينها فلا يجمواها تقليدية خالصة . وأنه يجب ان يكون أول هذا التروي تقوية الرابطة المليية التي كانوا بها أمة ثلاث تكون التربية مفرقة لاجتماعهم ، مزرقة لشملهم فيكونوا كالباحث عن حقه بظلمه . وأنه

يجب اقامة مآقره الدين على سبيل القطع والتروى والاجتهاد فيما وكله الى الناس والاعتماد فيه على النظر والتجربة والاعتبار بسير الامم ونتائجها . وان أكبر العبر ما وقع فيه الافرنج من الامراض الاجتماعية بشذوذهم عن هداية الدين في كثير من المسائل وان انتفعوا نفماً عظيماً في أمور أخرى اذا خالفت النصرانية فانها توافق الاسلام بل هي لا بد ترجع الى أصل من أصول هدايته كما تقدمت الاشارة اليه آنفاً

مسألة النساء : وبعدهذا التمهيد نقول ان لدينا الآن مسألة كبيرة وهي مسألة النساء كيف يُعلمن وكيف يربين ليكن عوناً للرجال على الارتقاء ومجارة الامم الحية .

ان طلاب تغير سير الامم بالتربية والتعليم قد وضعوا نصب أعينهم أوروبا وارتقاءها فمنهم من يطلب محاكاتها أو مجاراتها وهم الحكماء وبعض العقلاء ومنهم من يستحب تقليدها نظراً أو تزلفاً وهم الذين أخذوا قشوراً من العلوم العصرية في مدارس أوروبا أو مدارس بلادهم التي أنشئت لهذه العلوم وفتنوا بزخرف المدينة الأوربية وبهرجها . كانت فرنسا هي القبة الأولى الاستانة ومصر في طاب هذا التحول لأنها أم هذه المدينة الجديدة في الغرب والشرق . ثم إن مصر وجهت وجهها في هذه السنين الى انكسار بحكم طبيعة الاحتلال الانكليزي ومثلها الهند في هذا التوجه . ويرى هؤلاء ان الانكليز أقوم تربية من الفرنسيين ولذلك نورد لهم ما استفدناه بالذات كرة والمناظرة مع بعض أهل العلم والخبرة التامة من الانكليز في مسألة النساء ليملموا ان التروى الذي قلنا بوجوبه في التمهيد لا بد منه . ثم نتقل الى الحكم بضرورة اتباع الهداية الاسلامية في مسألة النساء والتربية

القويمة التي تنطبق عليها ليتبين لهم أن طريقة النظر والتجربة في هذا القرن لم تكن عن الهداية التي جاءت على لسان نبيٍّ أميٍّ منذ ثلاثة عشر قرناً ونيفاً الغرض من التربية والتعليم سعادة الأمة بهناء المعيشة وشرف المنزلة وإنما يطالب الهناء والشرف للحيِّ النامي فإذا كانت طريقة التربية والتعليم تؤدي إلى قلة النسل وعدم نموه فتلك هي الطريقة السوءى وسلوكها هو الجناية الكبرى على البشر، وتربية الإناث تربية استقلالية كما يترتبى الذكور سواء مغلٍ بوظيفة النساء الفطرية ومؤد إلى تلك النتيجة المخيفة - قلة النسل المؤذنة بهلاك البشر

إنجبت هذه التربية في أكثر النتائج الآتية (١) اعتماد النساء على أنفسهن في المعيشة والكسب (٢) توجيههن إلى الأعمال الخارجية أي التي تكون خارج البيوت وتنافي تدير المنزل (٣) رغبة الكثير منهن عن الزواج بالمرءة وقال بعض أطباء الإنكليز إنه عرف بالاختيار أن نحو أربعين في المئة من النساء كذلك . وقال بعض أطباء فرنسا إن إناث البشر كإناث سائر الحيوانات الأصل فيهن الرغبة عن مباشرة الرجال إلا في وقت مخصوص وهو وقت الاستعداد لقبول التلقيح وإن ما عدا هذا فهو عارض على البشر وبين أسبابه وذكر أن هذا العارض يكون في بعض الأفراد مرضاً من نوع (المستيريا) وليس هذا محل شرح أقواله .

(٤) أن أكثر النساء المتعملات المتربات يكرهن الأمومة إما لما في الحبل والولادة، من المشقة والتعب وإما لاضطرارهن إلى ملازمة البيوت في معظم مدة الحبل والرضاعة إذا هن أرضعن أولادهن والبيوت صارت في نظرهن كالسجون لعمودهن على كثرة الخروج . وإما لاحتياجهن في ذلك إلى

نفقات كثيرة تعوزهن أو يفضلن التوسع بها في الترف . ومنهن يذهب في ذم الأمومة مذهب الخيال الذي يلتبس عليهن بنظريات الفلسفة أو تقاليد الدين المسيحي في جعل الانسان ملكوتيا فيقتان ان الحبل والولادة من صفات الحيوانات فينبغي الترفع عنه . وهذه جهالة بمعنى الانسان وما هو الا حيوان أرقى من سائر الانواع في جنسه . وليس في استطاعة الخيال أن يخرج عن كونه حيوانا وان استند الى الفلسفة او الدين

(٥) انه قد فشا في النساء تناول الادوية لمنع العلق وللاسقاط بعد تحققة
(٦) ان البنت قلما تزوج في أول طور الاستعداد للأمومة وهذا التأخير من اسباب عسر الولادة لأن الاعضاء في طور الخدانة تكون مرنة تتمدد بسهولة فاذا كبر السن قلت هذه المرونة المسهلة للولادة . ويزيد العسر عسراً ضمف الاجسام بالإفراط في الترف والنعيم فصار من الضروري ان لا تلد المرأة الا وهي مخدرة بالكوفورم وبمساعدة الاطباء

(٧) ان الولادة قلما تنتهي بسلامة من مرض خطر فهذه سبع نتائج بعضها سبب لآخر وانضيف اليها نتيجتين عامتين في النصراري وهما

(٨) ان المرأة ملزمة في عرف النصراري بان تدفع لمن ترغب في الزواج به مهراً وكثيراً ما يعسر عليها ذلك فتضطر الى التبتل أو البغاء

(٩) ان الرهبانية مشروعة للنساء كالرجال ومعدودة في الفضائل الدينية عند اكثر النصراري . فهذه سبع أسباب من اسباب قلة النسل ومقدمات انقراض الامم . وما عدا الاخيرين منها فهو من آثار التربية الاوربية . ولما كانت فرنساي السابقة في هذه التربية النسائية ظهر فيها قلة النسل واطباؤها وساستها في حيرة من أمره . وستبها انكثرا في ذلك

بمد سنين ، وإن خفي ذلك على المعجبين تربيتها من الشرقيين
 وإذا التفتنا الى جانب رجال نراهم في انكثرا يأخذون إخذ الذين
 سبقوم بهذه المدينة الفاسقة في فرنسا فاكثر الشبان يرغبون عن الزواج
 بالمسافة والمخادنة ولا يكاد أحدهم يتزوج حتى يناهز الاربعين سنة أو
 يجاوزها ثم هو لا يود أن يكون له ولد كثير وإنما يتغني ولياً يرث ماله
 ويحفظ اسم بيته ان كان من اصحاب البيوتات ولا يكره ان يكون له ثان
 يخلف الاول اذا هو درج فإن عزربثت احتمله وكره كرها شديدا ان
 يزيد ولده عن عدد « الاقاييم الثلاثة » ويتفق مع زوجه على الاجهاض اذا
 كانت ودوداً ولوداً

ولا تحسبن هذا الصياح والمويل من ساسة فرنسا وبعض كتابها في
 الشكوى من قلة النسل عامة في الامة بل الاكثرون يرون ذلك شرطا في
 سعادة الامة كما يرونه شرطا في سعادة البيوت فان الامة التي يتضاعف
 سكانها في مدة قريبة لا تلبث أن تضيق بها بلادها وتضطر الى المهاجرة الى
 بلاد دونها لتعمرها وتغالب اهلها عليها وفي ذلك من الشقاء استبدال الدار
 الخربة بالدار العاصرة . ويقولون إن الدولة لا تشكو من قلة النسل حبا في
 الامة ولكن طمعا في مباراة الدول المستعمرة فالسبب في ذلك طمع الملك
 الذي لا يكتفون ببذل رفاهة الامة في سبيله وإنما يبذلون ايضا أموالها
 ودماها . لهذا يمسر على مثل فرنسا ان تعالج هذا الداء الاجتماعي
 القاتل مادامت على هذه الطريقة في التربية والتعليم وفساد العقيدة
 وحرية الفسق والفجور

بني علينا ان نلتفت لفتة نالمة الى البيوت لننظر كيف يعيش الزوجان

الاذان نظراً لها منفردين او وصفنا من حالهما منفصلين . يتوهم المفتونون بمدينة أوروبا ان السعادة المنزلية ، ونعيم المعيشة الزوجية ، يوجدان في الغرب حيث توجد العلوم المالية والتربية المشتركة بين الصنفين . ويتوهم أكثر الذين قرأوا ذلك الوصف البليغ المؤثر للحياة الزوجية السعيدة في كتاب (تحرير المرأة) أنه وصف منتزع من البيوت الاوربية فمنهم من يتنى مثله بتربية مثل تلك التربية وتعليم مثل ذلك التعليم ولا مانع لنا منه كما يقول الكتاب . ومنهم من يرى ان المسلمين محجوبون عن تلك السعادة بحجاب النساء وانه لا ميل اليها فإنا الآن نسأل الله ان يعوضنا عنها في الآخرة ما هو خير منها

الحق الذي لامرية فيه ان هناء المعيشة الزوجية لا يتحقق الا بتحقق الامور (احدها) ادعان المرأة بأن الرجل هو سيد المنزل ورئيسه وانها هي تابعة وصرؤسة له . ولا تدعن في نفسها هذا الادعان الا اذا تربت عليه واعقدته ديناً (ثانيها) ثقة لزوجين بالاختصاص بأن يعتقد الرجل انه لا يشاركه أحد في زوجه وتعتقد المرأة ان زوجها لا يختلف الى غيرها من خدن أو بنين . وهذان الامران متحققان في الشرق بالدين أكثر من تحققهما في الغرب . ولا استثنى من الشرق مصر التي هي أفسق بلاد الشرق وأكثرها فساداً في البيوت (العائلات) . (ثالثها) المشاكلة في الطباع والمقاربة في السجايا والافكار . وهذا الامر ظاهر في الغربيين وهو في الشرقيين كذلك في الغالب . ومن غير الغالب بعض المتعلمين من المصريين فانهم لا يجدون في النساء من يقاربهن في أفكارهم . وهم الذين يشكون من حال النساء ويطلبون تغييرها بتربية وتعليم جديدين وان لرغبتهم تأثيراً كبيراً في

الامة لانها موافقة لرغبة الحكومة وسميها . والعمل على هذا وان أنكره
بالتقول الا كثرون

نعم يجب ان يكون النساء على مقربة من الرجال في الافكار والاخلاق
والمقاصد والرغبات فالبلاد التي انتشر فيها تعليم البنين ينبغي ان ينتشر فيها
تعليم البنات حتى لا يتسع مسافة الخلف بين الصنفين ولما في التربية والتعليم
من الفوائد الكثيرة ولا يمكن يجب علينا ان لا نتبع خطوات الاروبيين
قدما بقدم وان لا نحتذي شاكلهم حذو القذة للقذة بل علينا ان نتوقى من
أول السير كل ما رأينا سبي العاقبة فيهم وذلك يرجع الى أصول أهمها
تربية الاتى تربية استقلالية تامة وتعليمها كل ما تعلمه الذكور فهذا ان
الامر ان ينافيان إذعائها لسيادة الرجل باطنا وظاهراً ويفضآن اليها ملازمة
البيوت وهي وظيفتها الطبيعية الشرعية التي ليس لها تركها الا لسب
مقتض كما أنهما يرضانها لتدنيس عرضها وإهانة شرفها الذي لا تسمو
عند الرجل ولا تملك قلبه الا به .

وحسبي ان أقول في التربية النافعة للنساء يجب ان تكون إسلامية وأن
أقول في تعليمهن الاول انه كتعليم الرجال أي ينبغي ان يعرفن مبادئ
العلوم المدرسية كلها وأما ما رواء هذا فيجب ان لا يتوسعن الا فيما يلزم
للبيوت من تدبير ونظام وتربية أطفال . ومن ذلك صنائع اليد والحياطة
فعلم مما تقدم انه يجب علينا التروي في تربية البنات وتعليمهن وان لا تقلد
فيهما الغربيين تقليداً أعمى لاسيما فيما يحظره علينا ديننا فقد تبين بسير العلم
والتجربة في أوروبا عدة قرون ان كل ما خالفوا فيه الاسلام كان ضاراً فقد
رجعوا الى الطلاق الذي كانوا يمدونه من اضر الامور في الاجماع البشري

فصاروا يمدونه مثلنا من ضروراته. وتبدأوا يشعرون بأن تعدد الزوجات من ضرورات الاجتماع أيضا ووجد من نسايم داعيات اليه لاسما في بلاد الانكليز حيث زيد عدد النساء على الرجال ضعفين فيكثر الزنا ويكثر عدد النساء اللواتي لا عائل لهن كما بيناه في مقالة مستقلة بالنقول والشواهد عن جرائد انكلترا (راجع ٤٨١ م ٤) وانا ان نقبر أن تأييد سير العمران وحوادث الزمان لاحكام الاجتماع في الاسلام من جملة الدلائل والبراهين على صحة أصله وكونه وحيا من الله تعالى لا وضعا من حكماء البشر كما يتوهم الملحدون. وقد طال بنا الكلام والمسألة تحتاج زيادة في البسط نرجئه الى فرصة أخرى

باب رد التبريات عمه الاسلام

(أحياء الإسلام لمدينة اليونان والرومان والمصريين)

ذكرنا في آخر الجزء الماضي ان المقنطف الاغر قرظ كتاب (الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية) وانتقد في تقريره التمثيل الذي أوردناه في مقدمة الكتاب موردا انتقاده في صورة سؤال يستحب أن يسمع جوابه ان كان عندنا جواب، وها نحن أولاء نوافيه بما يجب بعد اراد السؤال أو الانتقاد. قال الكاتب الفاضل بعد ذكر اسم الكتاب ونسبته الي من نسب اليه: «وهو مقالات نشرت في مجلة المنار الإسلامي ثم جمعت على حدة في كتاب. قال حضرة الاستاذ الفاضل السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار في تمهيد وضعه لها ما نصه:

«يبوع تفجر في أرض وفاض ماؤه على غيرها فأحيا الأرض بعد»

موتها ولكن القامنين على حراسته وتماهده وضموافوقه ألقاض آمن خراب
 جيرانهم ففيض الماء وما بقي منه سار مستنقعات تحتوى . ولم يلبث بعد
 ما غاض أن قاض منه شيء في مواضع أخرى فاضع أهلها به وحافظوا عليه
 ولكن الأكثرين منهم لا يعرفون من أين جاءهم كما أن أكثر أهل ينبوع
 المنتسبين إليه بالاسم لا يعرفون أن ذلك الماء الذي تفجر من تلك المواضع
 فأنشأ أهلها به حدائق ذات بهجة هو من ماء ينبوعهم وأنهم لو أزلوا عنه
 تلك الألقاض لقاض ورجع إليهم به خصصهم ونعموهم كأحسن ما كان لأنهم
 تعلموا من غيرهم كيف يستخدم الماء للأحياء . ذلك مثل المسامين اليوم مع
 الأمم الغربية الحية الراقية . أخذ التريوت من الإسلام كل أصول
 الإصلاح الذي هم فيه .

(ثم قال الكاتب بعدما نقل هذه الجملة ما نصه :) « وبأحيداً لو بين
 لنا حضرة الأستاذ القاضل من أين أتى الماء الذي أحيى مدينة اليونان والرومان
 فأنشأوا به الحدائق والجنات والماء الذي أحيى مدينة المصريين الأقدمين
 فبقيت آثارهم الصناعية إلى الآن لم يقو ملوك العرب على محوها مع ما بذلوه
 في ذلك من العناء وآثارهم الأدبية مرسومة في صنائع الصغور وتعلم أسرى
 الفضائل وأفضل الآداب »

﴿ جواب المنار ﴾

كنا بالأوس أو بالأوس نرد شهادات بعض المتذللين على مؤانيد
 العز ، والمتجهين على النظم في الاستلام بغير فهم ، ونحن اليوم إنما نذكر
 علماً غزير المادة واسع الاطلاع ونناظر أدبياً ذكي النواد ؛ دقيق الانتقاد ؛
 إلا أن قلعه عثر في هذا الميدان وقد يكبو الجواد ؛

من حسنات المقتطف أنه ينتقد الكذب التي يقرؤها ولا يتبع سنن الجرائد في مدح كل ما يهدى إليه من كل وجه وإن كان مذمومًا من وجوه كثيرة . وانتقاد الكذب التي تنشر بين الناس أمر نافع ولكنه وعسر المسلك لأن وقت كتاب المجلات والجرائد قصير يضيق عن قراءة كل ما يهدى إليهم من المطبوعات لانتقاده ولأن أصحاب تلك المطبوعات من المؤلفين أو الناشرين يألمون من الانتقاد وإن كاذبًا وحقًا ومقنمًا . وبعض الانتقاد يؤلم الجماهير من الناس إذا كانوا على خلاف رأي المتقدم . فالنصدي للانتقاد مع هذه العورة في طريقة يمد فضيلة توجب الثناء والشكر على من يعرف فوائد الانتقاد في تبجلي الحقائق وتحري الصواب وتنقيح العلوم والفنون . واقد قلت من قبل قولاً في ذلك كشفت به عما في نفسي وهو : سواء غندي من مدح قولي ومن انتقده لأنني في حاجة إلى معرفة ما يستحسن منه وما يستقبح على سواء بل ربما كنت أخرج إلى معرفة موضع النقد ، مني إلى معرفة موضع الحمد ، لأن هذا أبعث على إصلاح العمل ، وأهدى إلى توقي الزلل ،

أما عثرة المقتطف فهي ظاهرة لأول وهلة في تحويل التمثيل عن موضعه فإنه صريح في كون الكلام في « المسامير » يؤم مع الأمم العربية الحية الراقية » لامع المصريين الأولين ، ولا مع اليونانيين والرومانيين ، وصريح في كون الأمم الحية أخذت من ينبوع الإسلام كل أصول الإصلاح الذي هم فيه . وهذه المسألة المجلدة في مقدمة الكتاب مفصلة بعض التصيل في الكتاب نفسه ولذلك لم يطلب المتقدم بيانها لأنه طلب تحصيل الحاصل أما مدينة المصريين واليونان والرومان فالناقد يعلم أنها قد ماتت قبل

ظهور الاسلام وإن بقي لها آثار تدل عليها ويعلم ان الاسلام أحياءها بعد موتها فأنشأ أهله - لا أهلها - بها حدائق العلم والعمل في بغداد ووه مصر وقرطبة أو في الشرق والغرب والوسط ومن هذه البلاد انتقل العلم والمدينة الى الامم الغربية الحية بلا نزاع

ولم يكن الكلام في ذلك التمثيل في المدينة الصناعية وإنما كانت في الاصلاح البشري اي الاصلاح الذي ارتقت به عقول البشر وتهذبت نفوسهم وتوثقت روابطهم الاجتماعية وعرف بعضهم لبعض حق الانسانية فاذا كانت تلك الامم التي سبقت الاسلام بالمدينة الصناعية وبن أهلها أهرا ما لم يبين مثلها المسلمون فالاسلام قد أفاد البشر ما لم تفده تلك الصناعة أفادهم ارتقاء في العقول علمهم أن تلك الأهرام وما يشابهها قد بنيت باستعباد البشر وأسر أرواحهم واشباحهم وتسخير الملايين منهم لخدمة شهوة ملك من الملوك الظالمين أو لخدمة وساوسه الدينية

علمهم أن تلك المدينة كانت تسحر إمامها المحصور في طبقة مخصوصة أبصار الأمة وتخيل للناس ما ليس له حقيقة فتستبرههم وتحملهم على الخضوع الاعمي لأولئك الرؤساء الضالين المضالين ، الفارين المغرورين

علمهم كيف يحكمون على اليونانيين بفساد الفكر في الخضوع لآلهة لا وجود لها الا في الخيال وتحكم تلك الأوهام في مدنيتهم وحربهم وصناعتهم فريكل جوبيتير الذي يدهش الناظرين بدع صناعته هو آية على ان تلك المدينة الصناعية كانت مقترنة بضلال العقل وفساد الفكر في المسائل التي يمتاز بها البشر على النحل والنمل الأبيض والعنكبوت وهي حشرات أتقنت أعمالها من الصناعة كانت فيها من أساندة الإنسان كما يقول بعض العلماء

علمهم كيف يحكمون على شرائع تلك الامم وقوانينها بالظلم وهضم حقوق الانسان بما يفضلون شعوبهم على سائر الشعوب في الحقوق فإنه لم توجد رعية وضعية ولا مساوية معروفة قبل الاسلام تساوي بين أهلها وبين جميع من يقبل حكمها من المخالفين وان كانوا قوما معادين « ولا يجزئ منكم شأن قوم على أن لا تاملوا أعداؤا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خير بما تعملون » وهذه الآية من سورة المائدة التي هي آخر القرآن نزولا ومعناها لا تحمّلنكم معاداة قوم على ترك معاملتهم بالعدل فان العدل واجب مع الولي والعدو لانه من تقوى الله الخبير بالأعمال والمجازي عليها. والمصريون كانوا يستعملون ظلم غير المصري بل يعبدونه تعبيدا لملكهم كما فعلوا بالاسرائيليين . وكذلك اليونان والرومان وهذا تاريخ اليهود شاهد بان الرومان قد ظلموا الاسرائيليين ظلما يضاهاى ظلم المصريين لهم . فإين هؤلاء وأولئك من معاملة الاسلام لليهود . تقدمت الذكرى في الجزء الماضي بمساواة عمر بين علي بن أبي طالب (وما أدراك من هو) ورجل آحاد اليهود . وعندنا ما هو أعظم من ذلك وأشرف

روى الطبراني وابن حبان والحاكم والبيهقي وغيرهم عن زيد بن أسامة وكان من أحبار اليهود أنه ابتاع من النبي صلى الله عليه وسلم تمرا الى أجل وأعطاه الثمن فلما كان قبل الأجل يومين أو ثلاثة أتاه يطالبه بالتمر (قال) : فأخذت بمجامع قميصه وردائه ونظرت اليه بوجه غليظ ثم قلت ألا تقضيني يا محمد حتى فوالله إنكم يابني عبد المطلب مُطلٌ : فقال عمر : أي عدو الله أتقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما اسمع فوالله لولا ما أحاذر فوته لضربت بسيفي رأسك : ورسول الله صلى الله عليه وسلم ينظر الى

عمر في سكون وتؤدة وتبسم ثم قال : أنا وهو كنا أحوج الى غير هذا منك يا عمر -- أن تأمرني بحسن الأداء وتأمره بحسن التقاضي اذهب به فاقضه وزده عشرين صاعاً كان مارئته « ففعل ثم أسلم هذا الخبر الجليل وقال بعد ذلك إنه فعل ما فعل ليختبر أخلاق النبوة وعلاماتها فلما رآها كملت فيه عليه السلام آمنت به

وجملة القول إن الإسلام علم البشر أصول السعادة الحقيقية التي لم تكن معروفة عند المصريين ولا اليونان ولا الرومان وأهمها (١) صقل العقول بصقال التوحيد الخالص وتطهيرها من صدى انحرافات والأوهام ليكون الفكر مستقلاً فيما يمتد يرفض التقليد ويعتمد على البرهان . و(٢) بيان ان لا يكون سننا ونواميس ثابتة ينبغي ان يهتدي بها الانسان في سيره العلمي والعملية . و(٣) توسيع دائرة الجنسية بجعل شريعته تساوي بين جميع الامم والملل اذا قبلوا حكمها وقد كانت جنسية المصريين مصر واليونانيين أثينا والرومانين رومية و(٤) القصد في المعيشة فقد اسرف القوم في الشهوات اسرافاً صاروا بها سراً من البهائم ولو شئت أن اسرد محاسن الاسلام وأعدد مساوي تلك المدنيات القديمة خرجت من جواب سوأل الى تأليف اسفار كبيرة وقد نشرنا في الجزء الماضي نبذة معربة من كتاب أميل القرن التاسع عشر في انتقاد آداب اليونان والرومان وفيها عبرة لمن اعتبر

فإن قيل ان النصرانية قد سبقت الاسلام الى إخراج اليونان والرومان من ظلمة الوثنية أقول أولاً إن النصرانية لم تنتشر في تلك الامتين الا بعد ما داخلها هي الوثنية ولكنها اقرت بهم من التوحيد لانها نقلتهم من عبادة مخلوقات

كثيرة الى عبادة مخلوق واحد على أن فيه معنى من الألوهية مركب من ثلاثة أقانيم . وثانياً ان النصرانية لم تجتمع مع مدنية الأمتين وإنما أجهزت عليها حتى تحت تلك العلوم قبل أن تبلغ كمالها ، وطست تلك الاعمال الصناعية وشوهت جمالها ، وما زالت في تدل وانحلال ، حتى جاء الاسلام فانتاشها من برائن الانحلال ، ذكر المؤرخون أن المسيحية تمكنت في أئنا أثناء القرن الخامس وفي أول القرن السادس قطع يوستينانوس أجره المعلمين المومنين في أئنا ومنع تعليم الفلسفة لأن المدارس كانت مضره بالنصرانية ومن ذلك الوقت أخذت أئنا بالانحطاط

ونظم القول بنف من التاريخ في مساوي وخرافات اليونان والرومان الذين يباري المنطق بهم الاسلام . قال في برهان البيان : « بينما كان الرومانيون مختلفين بعمل موسم تشریف لروح قيصر إذ ظهرت نجمة ذات ذنب طويل ومكثت سبعة أيام فظنت الأمة الرومانية أن روح قيصر صعدت الى السماء وتصورت بهذه الصورة وانتظمت في سلك العالم العلوي !! »
فلولا وجد من الروانيين من يقول كما قال النبي الامي (عليه الصلاة والسلام) لقومه عند ما كسفت الشمس يوم مات ولده ابراهيم وظنوا أنها كسفت لموته : « ان الشمس والقمر آياتان من آيات الله لا يكفان موت أحد ولا لحياته »

وجاء في ذلك التاريخ أيضاً : كان من ثوابت عادات اليونان وأهل آسيا بناء هياكل للسلوك بل ولكبار الحكام ليكون ذلك أقوى في الدلالة على الانقياد والعبودية . وأما الرومانيون فكانوا يعبدون اسلافهم في معابدهم الخاصة فقط : ثم ذكر انه من عهد رومولوس الى عهد قيصر لم ينتظم أحد

في سلك الآلهة التي لها هيكل ومعابد عامة
 ومن ظلمهم ان طيباريوس اخذ الدنانير الفاضلي بمقوبة كل من ياتي
 الى الامة الرومانية آله للانتقام كما يشتهي . وكانت الامة استمدت لذلك
 من زمن اغسطوس الذي سلب الامة حق التشريع والحكم في احوالها
 الشرورية التي السادت في عهد طيباريوس الذي سلب الامة حق الاحتساب
 أيضاً لانه كان يعاقب كل من منهم يقول او يفتخر بشيء من انما دعا على الامة
 وكل الامة كانت عيونها ولا بد للناس من ان يفتخروا فيهم . وكانوا يفتخرون
 بالاشارة من ثوبوا يحسبون الناس على ان يواسرهم وما يقبضهم ولم يكن
 القضاء يتوعدون في حكم على المهتم بأحد منهم . وكانوا يعاقبون على سوء
 لا تخاطب في بال أحد من أهل الممالك المستبدة التي فيها يشبه تلك المظالم في
 اليوم . من ذلك ان طيباريوس اخذ رجلا باع بيته وكان فيه صورة الاله براختور .
 وان دو ميناوس حكم بالقتل على امرأة علم أنها رعت ثوبها تمام صورته .
 قبل كانت تلك المدينة محتوية في سلاحها التي يشوع الدين في ذلك الذي
 يستوي فيها الخليفة مع أدنى السوقة من غير المسلمين في الخدوق . ثم إنها
 كانت في أشد الحاجة اليه ولذلك انتشر نور الاسلام بسرعة البرق
 وقال صاحب برهان البيان : ولما كان الرومانيون متعودين على
 التلاعب بالطبيعة البشرية في أولادهم وأرقائهم كما يعلم ذلك بالوقوف على
 قوانين الرومانيين المتعلقة بحكم الآباء والامهات على أولادهم كان لا يمكنهم
 غالباً معرفة ما نسميه إنسانية وهي فضيلة الرفق وإذا كانت عادة الملة
 الجبر والقسوة في الحالة الداخلية الملكية فكيف ينتظر منها الرفق والعدالة
 الطبيعية . وكثيراً ما يطلع القارىء في تاريخ القياصرة على قتل أناس كثيرين

لقصد مجرد ضبط أموالهم للدولة: — ثم قال — : ومن نظر في مرآة تاريخ الرومانيين رأى فيها صور الأشياء البشرية فيجد في هذا التاريخ كثيراً من الحروب الواقعة والدماء المسفوكة والدمار المدمرة ووقائع الجسيمة، والنصرات العظيمة، والتدابير الجمة، والحكمة البالغة، والاحتراس والثبات والشجاعة، ويجد فيه أيضاً تصميم الزية على التغلب على كل شيء وأنه حصل كما ينبغي واستمر وانتهى كذلك وأنه لم يترتب عليه إلا إسماد خمسة رجال أوستة من الأشرار: نقول: فهل كانت مثل هذه المدينة محتاجة إلى ينبوع العدالة الإسلامية لإصلاحها وإحياء النفوس التي أماتها الظلم والجبروت؛ نعم كانت في أشد الحاجة إلى هذا الإصلاح ولذلك قبلت الإسلام بسهولة. ونسكت الآن عن الكلام في فساد أخلاق الرومانيين وتهتكهم في الخلاعة والفسق وانغماسهم في الترف والملاذوفساد أخلاقهم الشخصية فقد أوغلوا في ذلك إغلالاً مدهشاً يثبت أن أرواحهم ماتت وكانت محتاجة للإحياء. وهنا يخاطر في بال القارئ أن النصرانية هي التي سبقت لإصلاح نفوسهم وإحياء مدنيتهم التي أماتها الظلم والفسق ونقول إن النصرانية مهدت بعض التمهد للإسلام ولكنها لم تكن محيية بل كانت مجرزة على تلك المدينة كما أشرنا إلى ذلك في مسألة مدينة اليونان

(تأثير النصرانية في المدينة الرومانية)

جاء في تاريخ القرون المتوسطة أن النصرانية لم تكفد تنتشر وتقوى في بلاد اليونان والرومان ومنها بلاد مصر حتى رأى رؤسائها وجوب هدم الهيكل وكسر التماثيل ومحو الصور اليونانية والرومانية لأنها آثار الوثنية فقاموا بهذا الواجب حتى محوا آثار صناعة البناء والفنون الجميلة أو كادوا ولولا

أن بعضهم رأى تحويل بعض الهياكل الى كنائس لما بقي لتلك الامم أثر في الوجود . وقد أصدر تاوديسيوس أمراً رسمياً بهدم الهياكل وتكسير الصور سنة ٣٩٠ للميلاد . ثم رأوا أن في علوم تلك الامم خطراً على النصرانية فظفقوا بحرقونها في كل مكان فقد أحرقت مكتبة الاسكندرية بأمر تاوديسيوس سنة ٣٩٠ للميلاد وأحرقت مكتبة اوكتوغونه في القسطنطينية سنة ٤٧٦ للميلاد وحملت الحمية الدينية لاون اللوزرياني على تحريق ما بقي من الكتب سنة ٧٣٠ . وكان في هيكل پولون بلائين بمدينة روميه مكتبة فيها أنفس كتب الآداب من عهد غسطوس فكانت غيرة البابا اغرغوار وتقواه عاملتين على إحراقها وحرمان الناس من تلك الوديعة التي جعلها العالم وارون في حياة إله الشعر وكنفه . (على اعتقادهم)

والامر الذي لا خلاف فيه هو ان انحطاط الامة الرومانية كان مقارناً لانتشار النصرانية فيها . فالوثنيون الرومانيون كانوا يقولون إنها هي السبب في ذلك الانحطاط والنصارى يقولون ان ذلك كان لأسباب سابقة ولكن لماذا أجهزوا على تلك المدينة ولم يصلحوها وبقوا من أضرارها بدلا من محوها وطمس معالمها وماذا أتى النصارى للعرب ، بقوا لهم إلا نرا من الكتب أحيوها به أما تمهيد النصرانية للاسلام الذي أشرنا اليه فهو إضعاف تلك الوثنية وإضعاف تلك الحمية الجاهلية وذلك السرف في الترف بالفلوس في الزهادة والانتقاع الى العبادة ثم إضعاف الامة بالخلاف في الدين والتنازع بين دولة القياصرة ودولة الرهبان والاساقفة وانتصار هؤلاء ومحكمهم بخرافاتهم في الامة ، فالذي مكن المسلمين من الانتزاع على عقبة والاستيلاء على سيرا قوسة هو إزام القيسيين القيصر باسياء الأول المندوني بأن يشغل الجيش ببناء كنيسة

القديس ميخائيل وكذلك الرموا خلفه القيصر ليون بأن يشغل عسكر الاسطول بمثل ذلك فتيسر بذلك للمسلمين الاستيلاء على جزيرة انوس وأما خلافتهم في عبادة الصور وما نشأ عنه من التنازع والفشل حدث عنه ولا حرج. ثبت بذلك ان النصرانية قد زادت اليونان والرومان جهلا ووهنا فكانه ابذل في أشد الحاجة الى ذلك ينبوع الذي فاض في أرض العرب وتفجر ماؤه على غيرها فأحيا البلاد والعباد كما هو شأن الأنهار والينابيع تفيض من مكان وتحيي ما تسير اليه. وضح تمثينا حتى على الوجه الذي صرفه إليه. كتور النماثل محرر المتكلم الاغري. وهذا جواب سؤاله بالاختصار

لاحقة سجل جمعية أم القرى

يقول (السيد المرآتي) انه بعد تفرق الجمعية نحو شهرين ورد الي من صاحب المذابي كتاب يذكر فيه انه بعد مفارقتها مكة المكرمة اجتمع بأمر جليل فاضل من أعظم نبلاء الأمة ورجال السياسة. فاستطلع رأي الأمير في شأن النهضة الاسلامية وبعد ان دار بينهما حديث طويل تحقق من خلاله سمو فكر الأمير والتهاب غيرته ذكر له اطلاع على سجل جمعية أم القرى وأشياء من مذكراتها ومقرراتها فأظهر الأمير سرور من الخبر وشديد شوقه للاطلاع على السجل الذي ذكره له فمضت وبعدها عارته نسخة من السجل ثم أرسلها اليه وبعديام تالافيا فدارت بينهما المحاوراة الآتية قال الأمير: أشكر لك أيها صاحب هذه الهدية العزيزة وبالذلة لمة أحييتها في طاعة تلك المذاكرات النفيسة التي لم أتمالك ان أتركها تلك الليلة حتى أتيت على آخرها ثم في الايام التالية أعدت النظر فيها بالتدقيق.

قال صاحب: يظهر من عبارة مولاي الأمير استحسانه كيفية تشكل الجمعية واستنائه من مجرى مذكراتها.

قال الأمير: كيف لا أعجب بذلك واعلم اني كنت أعني انقاد جمعية يتضافر أعضاؤها على مثل هذا المقصد وتكون فيهم المزية التي ظهرت على رجال هذه الجمعية

الذين حلوا المشكلة حلا سياسياً ودينياً مما وكت استبعد وجود أ كفاء كهؤلاء .
وأعظم إعجابي هو في هذا الرجل الملقب بالسيد الفراتي كيف اهتدى في رحلة قصيرة
مع اقامته اياماً قلائل في مكة لانتخاب هؤلاء الاعضاء الاجلاء .

قال صاحب : لا بد ان يكون هذا الرجل مخلصاً في قصده فأعانه الله عليه كما
ورد في الخبر : اذا أراد الله أمراً هياً أسبابه : فاعل في الاقدار شيئاً آن أو انه

قال الأمير : نعم للاقدار دلائل واتم ابتداءه .

قال صاحب : اود ان استفيد من مولاي الامير وجوه إعجابيه بهذه الجمعية
ومذاكراتها لأصح رأي في بعض انتقادات تحتاج في فكري العناصر فان أذن لي
أعرضها عليه مسألة مسألة

قال الأمير : قل واعني اقف على ما لم اتبه اليه .

قال صاحب : يظهر أن أعضاء الجمعية ليس بينهم بعض من السياسيين المحنكين
فلو وجد ربما كانت تأتي المقررات أتمد احكاماً

قال الأمير : لا أشئ أن في الامراء والوزراء المسلمين المعاصرين من هم أعلى
كعباً في السياسة من بعض هؤلاء الاعضاء الذين تمتف آراؤهم عن سياسة اطلاع
وسمؤ فكر وبعد نظر مع ملاحظات السياسة الدينية والحالة العملية والتدقيقات الاخلاقية

قال صاحب : أرى ان لجمعية اعطت لمباحث السياسة الدينية للموقع الاول وقد
اصابت على ان السياسة الادارية أيضاً جديرة بالاهتمام فتركت بدون تدبير كاف

قال الأمير : لاشك ان السياسة الادارية مهمة أيضاً وقد باتت الجربة بها ولكن
رأت أفضل وسيلة للحصول المطلوب هي رفع علة الفتور إذ نتجت مباحثاتها ان علة
الفتور هي الخلل الذي فحوات اهتمامها بالجهة العلة حتى اذا زالت العلة زال المملول
ومع ذلك لم يترك السيد الفراتي في فصل الأسباب الادارية شيئاً من أهيات أصول
الادارة الا وأشار اليه بما يعني عن تفصيله

قال صاحب : ليس بعض الأعضاء كما عالم النجدي والمجاهد البيريزي قد اسهب كثيراً
بما كان يرثه يكفي عن باقيه

قال الأمير : انما ان الدوحيد والاستهداء وكانا مهمان في الدين وقد تفرقا
اليهما الختان منذ قرون كثيرة فصار إصلاحهما وردهما الى أصلهما من أسباب
الأموال وفي مثل ذلك لا بد من الاسهاب في البحث والتعميق فيه أولا يرى والله المثل

الاعلى كيف جاء القرآن الكريم بألف أسلوب في تأييد التنزيه والتوحيد والحث على اتباع الكتاب والنبي دون التقليد .

قال صاحب: إني أرى أيضاً بعض مكررات في المذاكرات خلافاً لما قاله السيد الفراتي ولذلك أرى أنه لو اهتم ذو غيرة في اختصارها يكون حسناً

قال الامير: اني لا أوافقك على هذا أيضاً لأنك إذا دقت النظر لأجد مكررات وانما هي آراء فلا بد أن يعاد فيها بعض ما سبق وعلى كل حال هذا سجل قد ضبط فيه ما وقع فلا يجوز اختصاره والتصرف فيه واني أرى من أكبر محاسن هذه المذاكرات أن جاءت مباحثها متسلسلة مترقبة فكل موضوع فيها يتلوه ما هو أهم منه فلا يمل منها سامع ولا مطالع .

قال صاحب: ما هو رأي مولانا الأمير في القانون الموضوع لأجل تشكيل جمعية تعليم الموحدين هل هو قانون محكم الترتيب وهل هو قابل الاجراء والتطبيق على الاحوال الحاضرة والمتنظرة

قال الامير: القانون هو أهم ما اثرته الجمعية وقابل الاجراء مع الصعوبة قال صاحب: لا أدري هل أصابت الجمعية أم أخطأت في تعليق أكبر أمليها في اعزاز الدين بالعرب دون دولة آل عثمان وملوكها المعظم

قال الامير: لا يفوتك ان مطمح نظر الجمعية منحصر في النهضة الدينية فقط وتؤمل ان يأتي الانتظام السياسي تبعاً للدين ولا شك انه لا يقوم بالهدى الديني ويقار على الدين أمة مثل العرب

قال صاحب: أليس دولة راسخة الملك إدارة وعسكرية وسياسة وافرة القوى مالا وعدة ورجالاً تكون أقدر على تمحيص الدين وإعزازه من العرب الضعفاء من كل وجه . واذ قدألفت الأمة سماع لقب خدمة الحرمين قديماً ولقب الخلافة أخيراً في حضرة السلطان العثماني فلا تستكف عن الاذعان الديني له بسهولة .

قال الاميرة: إن حضرة السلطان المعظم يصلح ان يكون عضداً عظيماً في الأمر أما اذا أراد ان يكون هو القائم به فسلايم قطعاً لأن الدين شيء والملك شيء آخر والاساطان غير الدولة

قال صاحب: ما فهمت المراد من أن الدين غير الملك وان السلطان غير الدولة فهل يتفضل مولاي الأمير بإيضاح ذلك

قال الامير : أريد ان احترام الشماز الدينية في أكثر ملوك آل عثمان هي ظواهر محضة وليس من غرضهم بل ولا من شأنهم ان يقدموا الاهتمام بالدين على مصاحبة الملك وهذا مرادي بأن الدين غير الملك وعلى فرض إرادتهم تقديم الدين على الملك لا يقدرّون على ذلك ولا تساعدهم الظروف المحيطة بهم لأن دولتهم مؤلفة من ليف أهل أديان ونحل مختلفة كما أن الهياة التي تشكل منها الدولة أعني الوزراء هم كذلك ليف مختلفة الأديان والجنسيات وهذا مرادي بأن الساطان غير الدولة . نخدمة الحرميين ولقب الخلافة ورسوخ الملك ووفرة القوى كلها لا تكفي للمرجح في الدين نعم اذا بذل آل عثمان العظام قوتهم في تمضيد وتأيد من يقوم بذلك يأتون بفضل عظيم قال صاحب : قد وجد في هذا البيت الكريم بعض أعظم خدموا إعرار الدين دماً كبيراً كالسلطان محمد الثالث والسلطان باوز سليم والسلطان سليمان والسلطان محمود والسلطان الخالي الممظم فهم أولى وأجدر بالخلافة من غيرهم

قال الامير : أرجو ان لا تنظر للمسألة بنظر العوام بل بنظر حكيم سياسي فبهذا النظر ماضياً ومستقبلاً وقاب صفحات التاريخ بدقة نجد ان ادارة الدين وادارة الملك لم تتجرا في الا سبيلهم الا في عهد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد العزيز على رضى الله عنهم واتخذنا نوعاً منفي الامويين والعباسيين ثم انفردت الخلافة عن الملك وأما سلاطين آل عثمان الفخام فاني اذكر لك أمموذجاً من أعمالهم أتوها راحة لعناك وان كانت حادثة تاريخية . فأقول هذا السلطان محمد الفتح وهو أفضل آل عثمان قد قدم الملك على الدين فاتفق سرراً مع (فرديناند) ملك (الاراغون) الاسباني ليتم مع زوجته (ايزابلا) على ما كان من ازالة ملك بني الأحمر آخر الدول العربية في الاندلس ورضي بالمال الكرام على التمسك بالاحراق وضباع خمسة عشر مليوناً من المسابيح بعائهم ، باشماله أساطيل أفريقية عن نجدة المسابيح وقت عمل ذلك في متابعة ما قامت له به رومية من خذلان الامبراطورية الشرقية عند هوانهم مع محمد وقيامهم التي العظيمة . وهذا السلطان سليم عند بآل العباس واستأساهم حتى انه قتل الامهات لأبواب الأجنحة وبما كان هو يقابل العرب في الشرق كان الاسبانيون شرّقون يقتلهم في الاندلس . وهذا السلطان سليمان ضابط إيران على البحر إلى البحرين والرس . ثم لم يقبل الديلميون من ليف آدرشاه لرفع القوتهم من البحرين والرس والندام من كالم يقبلوا من أسرف خان الافغاني

اقتسام فارس كي لا يجاورهم ملك سني . وقد سموا في انقراض خمس عشرة دولة
وحكومة إسلامية ومنها أهم أغمرها وأعانوا الروس على التنازل للمسلمين وهو لانه
على الحياة والهنديين . وتعاقبوا على تدويع اليمن فاما كوا الى الآن عشرات ملايين
من المسلمين يقتل بعضهم بعضاً لا يحترمون فيما بينهم ديناً ولا اخوة ولا مروءة ولا
انسانية حتى ان المسكر العثماني باغت المسلمين مرة في صنما، وزيدوهم في صلاة العيد
وهذا السلطان محمود اقتبس عن الافرنج كوتهم وألزم رجال دولته وحاشيته
لبسها حتى عم أوكادت ولم يشأ الا ان يغيروا منها الاكام رعاية للدين لانها
مانعة من الوضوء أو مسرة له . وهذا السلطان بعد المجيد رأى من مؤيدات إدارة
ملكه اباحة الربا والخمر وابطال الحدود . ورأى مصلحة في قهر الاشراف وإذلال
السادات بالعلم، فنوذا الثقات، فعمل .

وفي هذا المقدار كفاية لإيضاح قاعدة ان مؤيدات الملك عند الاطمين مقدم
على المحافظة على الدين . أما صفة خدمة الحرمين وألفة مسامح العثمانيين للقب
الخلافة فهذا كذلك لا يقيد الدين وأهله شيئاً وليس له ما يتوهم البعض من الاجلال
عند الأجانب (١)

ولو ان السلطان العظيم أخذ على نفسه تأييد الدين بما أمده الله به من القوة المادية بدون
استناد الى حبة معنوية لتمكن من ان يخدم دينه وما كنه حقا خدما مقبولة عند الله
مشكورة عند المؤمنين كافة ولرفعت له راية الحمد في شرق الارض وغربها واحترمه
الايض والاحر وعظمه المسلم والكافر . وأظن أنه قد قرب اليوم الذي يتشبه فيه فيتروى
في الأمر فيمدل عن الاتهاد على غير اللاديات ويضرب على فم بعض الفاشين المتعلقين
الحاشين الذين ينسبون حضرته الى ما لم يتسب هو اليه ويشتمون عنه دعوى ماداعها
قبل أحد من أجداد النظام بوجه رسمي

وهؤلاء العناشون يعرفون حضرة السلطان بهذه التسمية بما يعرفون به عليه
وبما يؤثرونه هم وأعوانهم من الكتب والرسائل التي يعزرون بعضها لأنفسهم وبعضها
لغيرهم من الدافقين أو الأسماء يسمونها أو كتب يخلتونها فيجملون تارة آل عثمان
المظام يتصلون نسباً بعثمان بن عثمان رضي الله عنه وأخرى يرفعون نسبهم الى أعالي

(١) الاجانب لا يتفقون بأن السلطان إنما الاتهاد ما يردون إقامة الحجية على

المسلمين المحكومين لهم ببعض أعماله في ملكه

قريش ويمطونها حق الخلافة صرة بالتنازل والإدلاء من العباسيين وأخرى بالاستحقاق والوراثة وآونة بالمهدى وأخرى بالبيعة العامة وحيناً بخدمة الحرمين الشريفين ووقتاً بحفظ الخلفات النبوية . وكان هؤلاء الفشاشين يريدون بهذه الدسائس أن يجعلوا حضرة السلطان نظيرهم دعي نسب كاذب كدعواهم لأنفسهم السيادة ومتسمم مقام موهوم كدعواهم الولاية والقطبانية في أنفسهم وآبائهم وأجدادهم فيحشون في تلك المؤلفات أنساباً تحلوها لأنفسهم مقرونة بنسب السلطان ويستطردون لحكايات كرامات لأجدادهم ملفقة مخترعة لا يعترف بها لهم أحد من المسلمين يدسونها بين حكايات وقائع الخلفاء والسلاطين

ومن المعلوم عند أهل الوقوف ان التلقب بالخلافة أو الامامة الكبرى أو إمارة المؤمنين في آل عثمان العظام حدث في عهد المرحوم السلطان محمود اذ صار بعض وزرائه يخاطبونه بذلك أحياناً تفنناً في الاجلال وغلوّاً في التعظيم . ثم توسع استعمال هذه الألقاب في عهد ابنه وحفيديه الى ان بلغ ما بلغه اليوم بسمي أولئك الفشاشين الذين يدفعون ويقودون السلطان الحاضر لا تزال عن حقوق راسخة سلطانية لأجل عنوان خلافة وهمية مقيدة في وضعها بشرائط ثقيلة لا تلائم أحوال الملك ومعرضة يطعمها للقلقلة والانتزاع والخطر العظيم ولذلك لا يزال السلاطين أنفسهم الى الآن يأتون التلقب بالخلافة رسمياً في منشوراتهم ومسكوكاتهم وانما تمضغها أفواه البعض فيلوكها التركي تعظيماً لقومه والعربي تفاقاً لسلطانه والمصري اتباعاً للمرائين والهندي اعتزازاً بالوهم والاخي هزواً ومكراً بخلاف سلطان صراكنس وأمير عمان وإمام اليمن المتنازعين في هذا المقام رسماً المتقاطعين لأجنه على أنهم قد شعروا او كادوا يشعرون بضررهم السياسي في ذلك ولا نعلم متى يخافى الله من يسمي في إقناعهم جميعاً بترك هذه الدعوى الداعية للانفراد والتخاذل ويرتب بينهم قواعد محافظة الاستقلال السياسي ومراسم التشريفات والمحاطبات وروابط التعاون والاتحاد بصفة سلاطين وأمراء كما آل اليه الأمر على عهد الخلفاء العباسيين مع السلاطين الخارزمية والديلم والابوبيين وغيرهم

ثم قال الأمير وقد حملتني إشارات السيد القراني في كلامه على الجامعة الدينية تحتلوا الخلافة ان أفكر في القواعد الأساسية التي ينبغي ان يبنى عليها ذلك فلاح لي ما قديته في هذه المفكرة وأخرج من جيبه ورقة قرأها وعند ختام مجلسنا استفسرنا عنها منه وهذه صورتها .

- (١) إقامة خليفة عربي قرشي مستجمع للشرايط في مكة
- (٢) يكون حكم الخليفة سياسة متصوراً على الخطة الحجازية ومربوطاً بشورى خاصة حجازية
- (٣) الخليفة ينيب عنه من يترأس هيئة شورى عامة إسلامية
- (٤) تشكل هيئة الشورى العامة من نحو مائة عضو منتخبين مندوبين من قبل جميع السلطات والإمارات الإسلامية وتكون وظائفها منحصرة في شؤون السياسة العامة الدينية فقط
- (٥) تجتمع الشورى العامة مدة شهر في كل سنة قبيل موسم الحج
- (٦) سكر الشورى العامة يكون مكة عندما يصادف الحج موسم الشتاء والطائف في موسم الصيف
- (٧) تقترح الشورى يوم افتتاح كل اجتماع على انتخاب نائب الرئيس ويمينه الخليفة
- (٨) تعيين ونائب الشورى العامة بقانون عام من مائة هي ويصدق عليه من قبل السلطات والإمارات
- (٩) يرتبط سياسة الخليفة بشرايط مخصوصة ملائمة لتسرع بناء على أنه إذا تمسدى لزمه منها أربعين يوماً وفي كل ثلاث سنين يمارى تجديد البيعة
- (١٠) انتخاب الخليفة يكون منوطاً بهيئة الشورى العامة
- (١١) الخليفة يبالغ في قرارات الشورى ويراقب تنفيذها
- (١٢) الخليفة لا يتدخل في شيء من الشؤون السياسية والإدارية في السلطات والإمارات مطلقاً
- (١٣) الخليفة يصدق على تولية السلاطين والأمراء التي تجري احتراماً للشرع على حسب أصولهم القديمة في وراثتهم للولاية
- (١٤) الخليفة لا يكون تحت أمره قوة عسكرية مطلقاً ويذكر اسمه في الخطبة قبل أسماء السلاطين ولا يذكر في المسكوكات
- (١٥) مناطق حفظ الأمن في الخطة الحجازية بقوة عسكرية تتألف من ألفين إلى ثلاثة آلاف من جنود مختلطة ترسل من قبل جميع السلطات والإمارات
- (١٦) تكون الترتيبات العامة للجنود الحجازية منوطاً بقائد من قبل أحد الإمارات الصغيرة
- (١٧) يكون القائد تحت أمر هيئة الشورى مدة انعقادها
- (١٨) هيئة الشورى تكون تحت حماية الجنود المختلطة

أما وظائف الشورى العامة فيقتضي أن لا يخرج عن تمحيص أمهات المسائل الدينية التي لها تعلق بهم في سياسة الأمة وتأثير قوي في أخلاقها ونشاطها . وذلك مثل فتح باب النظر والاجتهاد تمحيصاً للشريعة وتيسيراً للدين وسد أبواب الحروب والغارات والاسترقاق اتباعاً لمقتضيات الحكمة الزمانية . وفتح أبواب حسن الطاعة للحكومات العادلة والاستفادة من إرشاداتها وان كانت غير مسلمة وسد أبواب الاتقياد المطلق ولو لمثل عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) . وفتح باب أخذ العلوم والفنون النافعة ولو عن المجوس وسد باب إضاعة الاوقات بالعبث ونحو ذلك من أمهات المنجيات والمهالك

ثم قال الامير وبمثل هذا الترتيب تحل مشكلة الخلافة ويتسهل عقد اتحاد اسلامي تضامني تعاوني يقتبس ترتيب من قواعد اتحاد الالمانيين والامريكيانيين مع الملاحظات الخاصة . وبذلك تأمن الحكومات الاسلامية الموجودة على حياتها السياسية من الغوائل الداخلية والخارجية فتفرغ للترقى في المعارف والعميران والثروة والقوة بما لا بد منه لانجاة من المهالك . وما أجدر ثمارات التجربة بالسبق الى مثل هذا الاتحاد

قال صاحب : يستشف من ظاهر فكر مولاي الأمير انه لا يجوز الاتكال على الملوك العثمانيين العظام في أمر الخلافة علاوة على الساطنة

قال صاحب : سبب التشاؤم لاطف شمائلهم وتعظيمهم الشاأر الدينية ولكن التمسحة للدين استلزم قول الحق وعندي أن آت عثمان النظام أنفسهم اذا تدبروا لا يجدون وسيلة لتجديد حياتهم السياسية أفضل من اجتماعهم مع غيرهم على خليفة قرشي

قال صاحب : أخشيت في أيها الأمير أحد أعداء الجمعية انه لما رأى السيد الفراني يميل للتنقيب عن سياسة العثمانيين واستمالة الجمعية عنهم لاهم ذكر له مرة ذلك متلوأماً وقال له : الا ينبغي ستر أحوالهم والندافمة عنهم لانهم أعظم دولة اسلامية موجودة؟ فأجابه بأن ذلك كذلك لولا أن فيه تقرير السائد من تركهم متكئين على دولة ما توفقت لنفع الإسلامية بسى في عنقوان ثباتها بل أضرتهم بسدو الخلافة العربية المجمع عليها وتخریب ما بناد العرب وإفناء الأمة بتو حطها شرفي أوروبا ومدافعاتها عنه وأنه لا يقصد بكشف الجريمة والاعمال غير لئلا يفرور والادان المسئولين على قضاة المسلمين بسبب عدم التأمل . ثم قال له :

ليس الزمان قد تركوا وفودنا جيبين بهودرة الشاأر . وتركوا الملائكة ربن

عمره من المنتقمين ، وتركوا تراثي ملكهم طعمة للمتغلبين ؟ أمّا أن لهم أن يستيقظوا
ويصحبوا من ثنادمين على ما فرطوا في التزوير الخلية فيتركوا الخلافة لأهلها والدين
لجانه ويحتفظون هم على بقية سلطنتهم ويكتفون بشرف خدمة نفس الحرمين وبذلك
يتقون الله في الإسلام والمسلمين ؟

وقال أيضاً أنه غير متعصب للمرب وانما يرى ما لا بد أن يراه كل حر مدقق
يتفحص الأمر من أن الغيرة على الدين وأهله والاستعداد لتجديد عزّ الإسلام
محصران في أهل العريضة البدوية من الرب الذي يرى أن المشيئة الإلهية قد حفظتهم
من تلك الأمراض الأخلاقية التي لا دواء لها كمالج الحرية في الحواضر باعتقاد أهلها منهم
تقومون على الامراء وكجدام الغربية في المدن بوضعهم النساء في مقام ربانها الاستمتاع ،
وكطاعون الحياة في بعض الأقسام بأنفسهم الواط المميت للأخلاق الشريفة دفعة الذي جزى
الله أهلها بخسب الأرض بهم تطهيراً لها منهم . وكوأنه النشاط في أهل الأراضي
البدوية حيث يسهل أن يتفوقوا فرطوا وفسد أخلاقهم فيخسر والدنيا والآخرة .

قال الأمير : نعم الرأي ونعم التدقيق

من هذا الوجه : أن ما ذكره من رأي من حصر صفات الخلاف في خليفة فرني في
مكة ترتبط به جميع السلطنات والامارات الإسلامية أربساطاً دينياً وما وصف من
تسليم الدول الإسلامية ، والمنة بما ذكره لهذا الارتباط الديني لأمر عظيم جداً ، والسالب أن
الدول للمسيحية التي لها رعايا من المسلمين أو المجاورة للمسلمين تحذر من أن يجرّ
جمع الزكامة الدينية الى رابطة سياسية تولد حروباً دينية فتعتمد هذه الدول الى عمل
الدسائس والوسائل لمنع حصول هذه الارتباط بفترة فما هو التدبير الذي يقتضي اتخاذ
أهل حصر الدول من ذلك

قال الامر : لا يفكر هذا الفكر غير القسطنطين وأحزابه الجزويت وأمثالهم أما
رأي السياسة في اوكيانا وروسيا وفرنسا وهي الدول العظام التي يهملها التفكير في
هذا إلا أن تقدم علمهم التجرب النتائج الآتية وهي :

(١) ان المسلمين لا يتصرفون أبداً لاسيما في زمان يتم فيه التصاري عن نصرانيتهم

من غير ان يكونوا مستعدين أخيراً وجواً أبعد عن الفتن من الجاهلين

وأنهم لا يترددون في التمسك بأقرب من المسلمين أقرب من غيرهم لألانة وحسن المعاملة والوثبات
على العهد ، فإذا أرشد أولئك السياسيون لان يضموا الى معرفتهم هذه علمهم أيضاً

بالاحكام الاسلامية في مسألة الجهاد التي تهيبونها عاما يستخرجونه مما عندهم من تراجم القرآن الكريم لامن مؤلفات متعصبى الفريقين حيث يجدون نحواً من خمسين آية بأساليب شتى كلها تنهى عن الإلحاح في الهداية الى الدين فضلاً عن التشديد والالزام بالقتال كقوله تعالى «إنيك لا تهدي من أحببت» «وجادعلم بالتي هي أحسن» «لست عليهم بمسيطر» ويجدون آيتين في التشديد احدهما (فاصدع بما تؤمر) والاخرى (وجاهدوا في الله حق جهاده) وبمراجعة أسباب نزول هاتين الآيتين يعلمون انهما نزلتا في حق المشركين والكتائبين من العرب ولا يوجد في القرآن ملزم لاعتبار عمومية حكمهما. واذا دققوا البحث يجدون أن ايس في علماء الاسلام مطلقاً من يخصص معنى الجهاد في سبيل الله في مجرد محاربة غير المسلمين بل كل عمل شاق نافع للدين والدنيا حتى الكسب لأجل العيال يسمى جهاداً. وبذلك يعلمون أن قصر معنى الجهاد على الحروب كان مبنياً على إرادة الفتوحات والتوسل للتشجيع حين كان مجال للفتوحات كما أعطي اسم الجهاد مقابلة لاسم الحروب الصليبية التي أشعل نارها المسيحيون ثم بعطف نظرهم الى التاريخ يجدون أن العرب منذ سبعة قرون لم يأتوا حرباً باسم الجهاد وما كانت تعديت اساطيل إمارات الغرب الا من قيل القرصان الذي كان متوقفاً عند جميع امارات الارخبيلين الصقلي واليونان وكلهم انصارى. اما غارات التاتار على شمالي اوربا وغارات الترك على شرقها فكذلك ليست من نوع الجهاد ولا من الحروب الدينية وانما هي من مآخذ غارات البرابرة الشماليين على أوربا. ويجدون انهم كما أغاروا على اوربا أغاروا على البلاد الاسلامية ثم أسلم التاتار وحسنت اخلاقهم اما الترك فاذا دققى الاوروبيون في سياستهم يجدونهم لا يقصدون الا التناد للدين غير التلاعب السياسي وقيادة الناس الى سياستهم بسهولة وإرهاب أوربا باسم الخلافة واسم الرأي العام. وعدم اشتراك البلاد العربية في المذابح الارمنية الأخيرة برهان كاف على أن الاسلامية بمنزل عن المجافاة لأن العرب يفهمون معنى القرآن فيدينون به. وقد بندهش الاوروبيون اذا علموا أن السياسة التركية لم يوافقها أن تترجم القرآن الى اللغة التركية الى الآن.

ولدى رجال السياسة دالى مهم آخر على ان اصل الاسلاميه لا يستلزم الوحشة بين المسلمين وغيرهم بل يستلزم الاثمة وذلك أن العرب انما حلوا من البلاد جذبوا أهلها بحسن القدوة والمثال لدينهم ولقنهم كما أنهم لم ينفروا من الامم التي حلت بلادهم

وحكمتهم فلم يهاجروا منها كعدن وتونس ومصر بخلاف الأتراك بل يعتبرون دخولهم تحت سلطة غيرهم من حكم الله لأنهم يدعون بكلمة ربهم تعالى شأنه « وتلك الأيام نداولها بين الناس » (كذا) فاذا علم السياسيون هذه الحقائق وتوابها لا يحذرون من الخلافة العربية بل يرون من صوالحهم الخصوصية وصوالح التصرانية وصوالح الانسانية أن يؤيدوا قيام الخلافة العربية بصورة محددة السطوة مرتبطة بالشورى على النسق الذي قرأته عليك.

ثم على فرض أن الدول ولو المسلمة أرادت عرقلة هذا الأمر فهي لا تقوى عليه لأن أفكار الأمم لا تقاوم ولا تصادم على أي لاطن يمثل فرنسا أن تخدع لرأي أنصار الجزويت لاسيما بعد أن تعلمت من الإنكليز كيف تسوس المسامير فأبقت لتونس أميرها فاستراحت مما عانته قبلا في الجزائر بسبب السياسة التعصبيه الحرقاء قال صاحب : أستشف من كلام مولاي الامير ان امله ضعيف في تشكيل جمعية لتعليم الموحدين مع انه معجب باتقان التدبير.

قال الامير: ان دون تشكيل الجمعية عوائق مالية شتى وأرجو الله تعالى أن يزيلها. قال صاحب : اتى جاهد في الوقوف على خبر السيد الفراتي ولعلي أظفر بمعرفته فاجتمع به أو أكتبه فهل لمولاي الامير رأي أو أمر أبلغه اياه اذا ظفرت به . قال الامير : نعم اذا ظفرت بمعرفته فافقرته في السلام وبلغه عنى هذه الجمل وهي اني اتى على صدق عزيمته . وعلى حسن انتخابه ورفقائه وأوصيه بالثبات والإقدام ولو طال المطال . وأن يحرص على إبقاء علاقته مع أعضاء جمعية أم القرى باستمراره على مكاتبتهم . وان لا يقتط من مساعدة القسطنطينية أو مصر أو مراکش أو طهران أو كابل أو حائل أو عمان لاسيما بعد انعقاد جمعية تعلم الموحدين ورسوخها . قال صاحب : اذا ظفرت به ان شاء الله أبتصره بجمعية مولاي الامير وأبلغه كل ما أمر به .

﴿ انتهت المحاوره ﴾

يقول (السيد الفراتي) قد ألحقت هذه المحاوره بسجل المذاكرات وكتبت بها الى باقي الاخوان تسويهاً ببناءً حضرة الامير المشار اليه وشكراً على غيرته وتبصيراته وافتخاراً بحسن ظنه ونظره في هذا العاجز وتبشيراً لجنابه وللمسلمين بأن جمعية أم القرى قد أحكم تصورهما وتأسيسها فهي بمثابة الحمي القيوم الابدي حية قائمة أبداً

﴿ تذكرة ﴾

ربما يتأخر تشكيل جمعية تعلم الموحدين .دة فالأموال من الجمعيات الإسلامية الموجودة في الهند وقازان والشرم ومصر وغيرها أن لاتألف من تنوير أفكارها بمباحث هذا السجل فنقتبس منه مايناسبها وتتخذالتانون والوظائف مثالا وذكري

﴿ رجاء ﴾

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وعنده شمة حية ومرورة فلا يجسس عن جمعية أم القرى وأعضائها بقصد إيصال سوءها إليها وليعلم أن يده وإن طارات الأفلاك أقصر عن الإضرار بها إلا أن الجمعية في أمان الاخلاص ولا يحيق المكر السيئ إلا بأهله

﴿ تهوين ﴾

ليعلم أسراء التقايد وورثة الأوهام ومعظموا العظام ومؤهلوا الطغام ان تألمهم من سدة بعض هذه المباحث لما ألفوه عمرهم هو تألم مباحث لا يلبث أن يزول متى دخلوا بعمولهم وسكروا الحكمة والإصاف وتاملوا سق الايمان وناقضوا قرآنا وحين يحل لهم الحق ويندمون كأنهم قباهم الالون فيتوبون ويتوب الله عليهم والله يهدي من يشاء

(اعلان)

من أحب أن يحدد مقاصد جمعية أم القرى برأيي فائق أو عمل مهم أو رغب في تعضيدها بشبه أو مال وأراد سرانلة الجمعية أمكنه أن يرسل وكالة الجمعية بدون اسم بل برسالة كتاب مضمون الى مدينة الى صندوق البوستة عدد

وأذا أراد التخفي يمكنه أن يكتبها أهلا باسمه لمخاطق ثم بعد أخذه الجواب الاول يستعمل الكتابة انجفرية المونحة في الجدول اللذين به هذا السجل

والذين يرجى منهم تعضيدهم مهم ككثيرات الامراء العظام والاغنياء الكرام فاهم أن يطالبوا رسولا من قبل الجمعية ليوضح لهم ما يستونجون (انتهى)

(المنار) قد انتهى كتاب سجل جمعية أم القرى وما الحق به وقد كنا اتفقنا مع جامعه السيد القرآني (تممها الله رحمة) على نشره في المنار بتصريف يختص بتصحيح

عبارة وحذف مساوي البسولة انملية (أيدها الله تعالى) منه ثم استحسن فضلاء القراء عدم سذف شيء منه فاستعملوا في ما نشرته من أول سنة المنار الى الآن ان يتقوا بأنهم ما طاموا على هذا السجل كله بعبارة أصح الاجهة واحدة ذكر فيها خديو مصر بأنه مرجو لمساعدة الجمعية والابدول الخطابية الرضوية

باب الاسئلة والاجوبة

(س ١) أحوال الآخرة : على افسدي مهيب بتفتيش التاعرفات بمصر : جاء في كتاب الاحياء للإمام الغزالي في باب العقائد من الجزء الاول أنه لا يقبل إيمان العبد حتى يؤمن بالأمر الآتية وهي (١) سؤال منكر ونكير (٢) عذاب القبر (٣) وزن الاعمال يوم الحساب : يزان ذى كفتين وصنح (٤) صراط ممدود على متن جهنم أدق من الشعرة وأحد من السيف (٥) حوض مورود لمحمد صلى الله عليه وسلم (٦) شفاعة الانبياء والعلماء والشهداء (٧) فضيلة النبي عليه الصلاة والسلام على جميع الناس ومن بعد أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي ، فهل كل ذلك صحيح ثابت الرواية عن النبي صلى الله عليه وسلم كما يقول صاحب الاحياء أفيدونا أياكم الله ونفعنا بعلمكم

(ج) إنما ذكر الغزالي ما ذكره في أصول الاعتقاد على الوجه الذي عليه الأشاعرة وأشير الى الرد على المخالفين من المعتزلة والشيعة وبعض أهل السنة الذين أولوا ما ورد في بعض ذلك . والغزالي لا يقول بكفر أولئك المخالفين للأشاعرة بل صرح في مواضع من كتبه (لا سيما كتاب إجماع العوام عن علم الكلام) بأن المؤمن إذا عاش ومات ولم يعلم بتلك المسائل التي اختلف فيها المتكلمون من الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم لا يخل ذلك بإيمانه . ومن تلك المسائل الخلاف في صفات الله تعالى هل هي عين ذات أو غير الذات والخلاف المعروف في كلام الله تعالى الخ فكيف يكفر أهل القبلة بعدم الإيمان بالمسائل التي ليست من أصول الدين وعقائده كالتفاضل بين الصحابة . فقوله : أنه لا يقبل إيمان أحد حتى يؤمن بما أخبر به (النبي) بعد الموت : صحيح فإن أركان الإيمان ثلاثة الإيمان بالله وصفاته والإيمان بالنبوة والإيمان بالآخرة وأحوال الآخرة تعرف بالسمع فكل ما صح بالتواتر وجب الإيمان به قطعاً وكان إنكاره كفر بشرطه ويؤخذ على ظاهر المفهوم من أسلوب اللغة إذا لم يكن من الآفاق فإن كان ظاهره محالاً فاعتقاد المحال غير مكلف به في الإسلام فلذلك إن تأولت ذلك ان تفوض . وإن كان ما ورد غير متواتر فجمع عليه معلوم من الدين بالضرورة فلا يكفر منكره . ومن ثبت عنده الحديث وجب عليه الإيمان بمضمونه وإن أبواه إذا كان ظاهره غير مقبول حتى ينطبق على وجه مقبول

وأما ما فصله الغزالي بعد تلك الكلمة الصحيحة في اجملها فلا يريد به أن هذا التفصيل شرط في تقبل الإيمان وإنما يريد أن هذا هو الراجح عند أهل مذهبه

ولذلك أشار إلى توجيهه والرد علي مخالفه في ركن السميات من الفصل الثالث في لوامع الأدلة ولم يذكر هناك الخوض وفيه أحاديث صحيحة وأما وصف الصراط بما ذكر فقد رواه مسلم عن أبي سعيد موقفا عليه فإنه قال بلغني ولم يرفعه إلى النبي صلى الله عليه وسلم ولكن رفته أحمد من حديث عائشة والبيهقي في الشعب والبعث من حديث أنس وضمه والمأولون يقولون ان الصراط هو صراط الدين أي طريقه ورد عليهم بقوله تعالى « فاهدوهم إلى صراط الجحيم » ولكن الآية لا تدل على ان المراد بالصراط ما كان بذلك الوصف.

وأما الميزان فلم يرد في وصفه بما وصفوه به من الكفتين واللسان والصنح أحداث صحيحة . وفي القرآن ذكر الوزن والموازين قال بعض المفسرين انها جمع وزون . والاكثرون على أن هناك وزنا حقيقيا وذهب بعض إلى انه تمثيل المراد به العدل قال تعالى « ونضع الموازين القسط يوم القيمة فلا تظلمن نفس شيئا » روى الطبري من طريق أبي نعيم عن مجاهد أنه قال : « إنما هو مثل كما يجرر الوزن كذلك يجرر الحق » ومن طريق أبي إسحاق بن أبي سالم عنه أنه قال « الموازين العدل » وقد نقل هذا القول عن غيره من السلف كالضحك والاعمش . ولما أخذنا المعتزلة بهذا القول عرف بهم وحار بنسب من يقول به إلى الانزال حتى قال ابو دؤود عن أبي سلمة عثمان بن مقسم البري المحدث الثقة الصدوق : انه قدري معتزلي : وما كان معتزليا الا انه أنكر الميزان . والمقصود من هذا القول أنهم لا يقولون بكفر من خالف الجمهور في هذه المسائل قتين بهذا أن ما ذكره الجمهور في وصف أحوال يوم القيامة بالتفاصيل المروفة ليس شرطاً في صحة الايمان بحيث يكفر من لا يعتقدوه وما ورد فيها ليس كله قطعي الثبوت والدلالة والأسلم في الأمور الغيبية أن لا يبحث الانسان في كيفية بل ينتم بما ثبت في النصوص القطعية ويفوض الأسر في الكيفيات إلى عالم الغيب والشهادة ولا يعتمد على عقلا

﴿ التجهر والأسرار بالصلاة وخطبة الجمعة والميدين ﴾

(س ٢) و. ز. في سوريا : لماذا شرع التجهر بالقراءة في الفجر والركعتين الأولىين من المغرب والعشاء؟ ولماذا كانت خطبة الجمعة قبل مسلاتها وخطبة العيد بالعكس؟ أفيدونا لآزتم ملجأ للإسلام

(ج) إنما التجهر في الصلاة تنبيه التي أصلى ووقت الظلام غالباً فقد جاءت السنة الصحيحة بأنهم كانوا يسرفون من صلاة الصبح ولا يكاد يرى بعضهم بعضاً . ومن

والبطش . وكلاهما يصد عن ذكر الله وعن الصلاة .
 « ورأى آخرون من العلماء تمنى آكلها كالبنج . ومما يقوي القول بأنه يحد
 أن آكلها يتشي ويشبهها كالخمر وأكثرت حتى لا يصبر عنها وتصدده عن ذكر الله
 وعن الصلاة مع ما فيها من تلك التقيح . وسبب اختلاف العلماء في الحد فيها وفي
 نجاستها كونها جامدة مطهورة ليست شرباً فليل هي نجسة كالخمر وهو الصحيح عند
 الشافعية وقيل المائئة نجسة والجامدة طاهرة (قال) وهي على كل حال داخلة فيها
 حرم الله ورسوله من الخمر المسكر انقضاء ومعنى
 « قال أبو موسى رضي الله عنه يا رسول الله أفننا في شرابين كنا نضنهما باليمن
 البتع وهو من الصل بنيد حتى يشتد والمزر وهو من الذرة والشهير بنيد حتى يشتد
 قال وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أعطي جوامع الكلم بخواتمه فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم « كل مسكر حرام » رواه مسلم . وقال صلى الله عليه وسلم « ما أسكر
 كثيره فليله حرام » ولم يهرق صلى الله عليه وسلم بين نوع ونوع ككونه مأكولاً
 أو مشروباً . على أن الخمر قد ينأثم بها بالخبز والحشيش قد تذاب فكل منهما يؤكل
 ويشرب . وإنما لم يذكرها المذمومة لأنها لم تكن على عهد السلف الماضين وإنما حدثت
 في مجيئنا . التار إلى بلاد الإسلام . وما أحسن ما قيل :

فآكلها وشرابها سبالاً فلك على الشقي مصيدان

فوالله ما فرح أبليس بمثل فرحه بالحشيشة . لأنه زينها للانفس الحسيسة « اهـ

﴿ باب التقريظ ﴾

(الجواهر الكلامية . في العقيدة الإسلامية)



الشمس الماهر الجليل نور هو أشهر العلماء بديننا الإسلام في بلاد الشام وقد كان
 أثبت في مختصره المسمى « التذكار » الذي كتبه في حروف ولاية سوريا بحرفي فيها
 سبعة عشر مائة من أشهر علماء الدين من مشرقات بلادنا الذين عرفوا بالأ
 من في سيرها من سلك حرمنا من في سوريا والأندلس والجزيرة
 التي جوددة الآن وما هي من التذكرة في القرآن . وفي المفيدة بعض المسائل الخلافية
 التي كنت أود لو لم يحد وهي قليلة وما ذكره فيها هو المشهور عن الجمهور

(الجوهرة الوسطى) ثم انه لما رأى في هذه السنة اقبال المدارس على عقيدته فقبحها وألف رسالة أخرى سماها الجوهرة الوسطى ساك فيها مسلكاً لطيفاً في التبصرة والاستئلال ينبغي أن يختص بتلامذة المدارس الثانية أو الثالثة وقد طبعت الرسالتان معاً بحرف دقيق في شكل صغير فكانتا ١٢٠ صفحة فنصح مدارس مصر الأهلية بأن تقرأ هذه العقيدة في مدارسها ومنها قرشان صحيحان

(كتاب لسان الصدق جواباً للكتاب المسمى ميزان الحق في الرد على انصارى) تأليف الشيخ علي البحراني أحد علماء الامامية الأعلام في الهند وهو كتاب جليل في بابه محكم الوضع قوي الحجج حسن الترتيب فيه مقدمة في اثبات الصانع وصفاته واثبات الرسالة أشار فيها الى ضعف مذهب الأشعرية وغيرهم في بعض المسائل ويتلو للمقدمة ثلاث مقالات في كل مقالة مقدمة وعدة مناطق يرد بها على القسيس مؤلف كتاب (ميزان الحق) ومن مباحث المقالة الأولى اثبات النسخ في الشرائع والتحريف في التوراة والانجيل وبيان كون القرآن يفتي عنهما، ومن مباحث المقالة الثانية تفنيد دعواهم اتفاق اليهود والنصارى في ما عدا الاعتقاد بالمسيح وبيان تناقض الأناجيل وابطال ألوهية المسيح. ومن مباحث الثالثة تفنيد مطاعنهم في القرآن وفي النبي عليه الصلاة والسلام. وبيان بشارات كتبهم به. والكلام في الأحاديث النبوية. وبالجملة انه لم يترك مطاعناً من مطاعنهم الا وقده وأزال شبهتهم فيه. ثم ختم الكتاب بخاتمة في اثبات مذهب الإمامية وجملة في آخرها قصيدة أشار فيها الى مطالب الكتاب ومباحثه. وذلك ان فرقة الشيعة أشد عناية من سائر المسلمين بالدعوة الى مذهبهم

وقد كان الكتاب يباع في الهند طبعاً سقياً كسائر المطبوعات الهندية. فانتدب الكنتي الفيور الشيخ محمد المديجي وأعاد طبعه بمطبعة الموسوعات في مصر فكان طبعاً متقناً نظيفاً وبلغت صفحاته ٤٧٥ من القطع المتوسط وهو يطلب من مكتبته بقرب الازهر وغيره فاحت أهل العلم والفضل على مطالعته

(وقاية الشبان • من المرض الافرنجي والسيلان) كتاب جديد ألفه الدكتور سعيد ابو جرة مؤلف كتاب (حياتنا التناسلية) أما حاجة أهل هذه البلاد التي فشا فيها المرض اليه فبشره واما كون الكتاب وافياً بهذه الحاجة فانا أن نحكم به او نستأنس له بتوجيه همه المؤلف وعنايته الى هذه المباحث حتى انه ألف فيها كتابين • وطبع هذا الكتاب كسابقه في مطبعة هلال وصفحاته زهاء مئتين وثمئة ١٢ قرشاً وأجرة

البريد قرشان وبطلب من مكتبة الهلال بمصر
 (الراوي) جريدة يومية سياسية تجارية أنشأها في العاصمة يوسف بك طاعت
 وأنشأها مطبعة خاصة واختار لها عدة محررين من كتاب السويديين المشهورين
 بالاشتغال بالصحافة فودوا تصادف رواجاً ونجاحاً ولكن رجاءنا في ذلك ضعيف إلا
 أن تسلك الجريدة مسلكاً تمتاز به ولا يجده القراء في سائر الجرائد الأخبارية وما
 ذلك الآن تبرا من المبل إلى إحدى القوتين الموجودتين في البلاد ونسبنا طويلاً
 على قول الحق المتأصل من غير نظر إلى مرضاة الناس وغضبهم وأعني بهذا أن
 تكون تاريخية لا سياسية • وبعد ذلك تكون موضع ثقة جميع العقلاء والفضلاء

بَابُ الْحِكْمَةِ وَالْإِيمَانِ

العربي الجواد • وهل سلم من سعاية وانتقاد

ذكرنا في الجزء الماضي خبر أميرج صديقنا محمد باشا عبد الوهاب شيخ دارين
 (واشتهر بجوارته في شتاتج الحج) على السويس في طريقه إلى الحج وكيف يسعا
 يديه بالنوال حتى صار كل من لفه خبره يذكر كرم أمراء العرب الأولين ، وعطايا
 الخيلاء والسلاطين . وتقول الآن أنه بعد أن وزع الصدقات على الفقراء وأهدى
 الهدايا للأغنياء ، وبعد أن بذل المساعدة لدارس الإسلام والتبوية والأجنبية وبعد
 أن أخذ على نفقته نحو مائة وعشرين تاجاً من الفقراء وبعد أن ظهر انتعاضه لأن
 سائر قاصدي الحج جمعوا خائبين لأن سقينة (البحيرة) لم تسهم وأوصى من كان قائماً بشؤنه
 (وهو السيد النسب مصطفى هانم وكان ابناً في السويس بصفة سينف وزير في هذا
 البيت الكريم) بأن يجمع من بقي من الفقراء وهم يعدون بالآلئ ويرسأهم على
 نفقته في أول أبور يحمل حجاً جا من السويس ، وبعد أن جاز في بعض الجرائد
 أن السيد المذكور وفي هذا عهد إلى أن يجمع مائة مائة من رواتب شركة ليمتد
 (بواخر البوسطة الخديوية) فليس على الخراج الباقيين بعد هذا بعضه أو كله كما
 بعض الناس في صدر هذا الحسين الجواد ، بالسعاية والانتقاد

بينما كنا نسمع بعض الوجهاء في السويس يقول أنه لم يبق بيت في هذه المدينة لم يصبه نوال هذا الأمير العربي إذا بمضهم يقول ان أكثر هذه المطايا في غيره وضمها ولو كان بقي بهذه الأموال جامعا مثلا لكان أفضل وأبقى لذكره !! فأجابه كاتب هذه السطور: ان الكرم علي قسمين كرم العقل وكرم النفس فالأول يجري فيه الحساب والتقدير واختيار الطريق الذي يوصل الى نباهة الذكر أو زيادة النفع وهذا الكرم يكون في الغالب مكتسبا بالتربية والتعليم • واما الثاني فهو سجية في النفس يكون اصحابها أريحية وهمة تبعته على البذل متى وجد له طريقا ما ولا يأتي فيها الحساب والتقدير ، ولا توخي نباهة الذكر ولا حسن التصير ؛ وكرم صاحبنا من هذا النوع ومنه كرم سائر الأجداد المعروفين كحاتم الطائي وكمب بن مامة وممن بن زائدة

ثم رأينا جريدة ، صباح الشرق تسأل سؤال قضاة التحقيق عن تاريخه ونسبه وحدود بلاده وعدد رعيته ومقادير المطايا التي جاد بها وعن الميجاج الذين حملهم هل دفع عنهم التامين الذي فرضته الحكومة على الميجاج المصريين وعن منابع ثروته واستتجت من ذلك توهين خبر الجرائد ؛ ونحن نحيب بان رواة الجرائد كتبوا اليهاما رآوه بأعينهم وسمموه بأذانهم فلم يكن لهم حاجة في تصديق الخبر بامساك هذا الرجل عن عمل البر وإشغاله باملاء تاريخه وتاريخ بلاده عليهم لأنه يوجد في مصر جريدة ساء ظنها بالناس حتى انها تكتمني في مقام الذم بأضعف الشبهات ، ولا تكتمني في مقام المدح بالمشاهدة حتى يؤيدها جميع ما يخطر بالبال من النظريات ،

قلنا ان الرجل أمير أي انه أمير في نفسه وقومه لانه سلطان ذو مملكة ورعية وقلنا انه شيخ دارين أي انه رئيس تلك الجهة وان شئت قلت انه أميرها ولكن العرب هناك يفضلون كلمة (شيخ) على كلمة (أمير) فيقولون شيخ الكويت وشيخ البحرين • وأما دارين فهي ميناء نجد على خليج المعجم من زمن الجاهلية وفيها قال الشاعر العربي ما يعرف في شواهد كتب النجو وهو:

يمرون بالدهنا خفافاً عياهم ويرجمن من (دارين) بجر الحقائب
وقد كانت عفت فأحيا معاملها محمد عبد الوهاب هذا • وأما ينبوع ثروته التي استكبرها صاحب المصباح فهو تجارة اللؤلؤ على أنه كان غنياً قبلها • ومن لطائف الاتفاق ان جريدة ثمرات التوتون الغراء كانت في أثناء وجود هذا الرجل مبحراً من السويس تعرب نبتة في صيد اللؤلؤ وقد جاء فيها ما نصه :

« واليك بيان كمية اللؤلؤ الذي صيد في هذا العام : جهزت سواحل الخليج ٤٢٠ سفينة فيها ٧٥٦٠ عائماً فأصعدوا ما قيمته ٠٠٠ ٠٠٠ ٨٤٠ روبية (الروبية فرنك واحد و٦٨ سنتياً) فاشتري هذا الصيد كله تاجر واحد من جزيرة داربان (الصواب من دارين) وجهاز من البحرين سبعمائة سفينة فيها اثني عشر الف رجل فمادوا بما قيمته ٠٠٠ ٠٠٠ ٢٠٠ روبية • هذا ما كان من المغائص المشهورة وأما ما أخرج في غيرها من المغائص فلم نزل قيمته مجهولة • اهـ

ومنحن قد علمنا من صاحبنا انه مجهز السفن وأنه يمطي الفواصين الدراهم في أثناء السنة ويحاسبهم عنها عند اخراج اللؤلؤ . فنزيد • صباح الشرق قول بعض الجرائد انه جهز ثلاث مئة حاج بقوله ان ذلك يقتضي أن يكون قد دفع عنهم تأميناً للحكومة قدره خمسة عشر ألف جنيه على الأقل وقوله عنه اذا كان • قد بذل من خزانته مثل هذا القدر العظيم من المال الذي يكاد يكون أبلغ ثروة تدخر بين ساكني نجد وتهمامة من أول الزمن الى هذا العهد فهو بلا شك حاتم هذا الزمان وقارون هذه الأيام !! كلاهما غير سعيد وقد ذهل صاحب الصباح عند كتابة الكلمة الاولى عن كون التأمين الذي تطلبه الحكومة المصرية عن كل حاج في هذا العام هو خاص بالبحرين اللذين لا يباح لهم السفر الى الخليج بعد سفر الحمل وقد سافر هذا الأمير بفقراء الحجاج بعد سفر الحمل بأيام • هذا وجه خطأ عبارته الاولى وأما استكبار ثروة الرجل وقوله فيها فقد علم أيضاً انه في غير محله . ونؤيد ذلك القول بأن ثروته أكبر مما استكبره على أهل نجد وتهمامة من أول الزمن الى هذا العهد .

وبقي أن نشير الى معنى كلمة « السماية » التي أشرنا في العنوان الى أن هذا المحسن لم يسلم من إساءة أهلها . وذلك أننا علمنا أن عقارب بعض السماة المخالين الذين يسمون هنا « جواسيس الاستانة » قد دبت الى مرجمها ودبرت حيلة لا يذء هذا الرجل المحسن في بيت الله وحده الآمن بواسطة من هم أهل لذلك في الاستانة وكادوا له كيداً فقل الله أن يرد كيدهم في محورهم • فالله خير حافظاً وهو أرحم الراحمين •

﴿ اصلاح لبنان ﴾

ذكرنا في الجزء الماضي نبذة من التلائمة التي قدمت الى متصرف جبل لبنان على أنها من جماعة المهاجرين اللبنانيين وعلم من تلك النبذة أن الغرض منها إنبات ان سبب تأخر لبنان والمحطاطه هو التعصب الديني في طوائفه أو « الاستقلال الطائفي » الذي

ينافي الاستقلال الوطني الذي تعمربه البلاد وبقي علينا أن نشير الى رأي اللائحة في ملاءمة الاستقلال الطائفي الذي هو شرط الاستقلال الوطني المطلوب بدأ كاتب اللائحة رآيه بخطئة القانون اللبناني في جعل وظائف الحكومة مقسمة بحسب المذاهب الدينية وقال ان هذا يزيد التعصب ثم اتبعها بنبرة افنتحها بكلمة واشنتون محرراً في أول خطاب أرسله الى الندوة بعد استقلال الولايات المتحدة وهي « يجب أن نوحّد مبدأ الشعب الأميركي المستقبل بالمدرسة » ثم قال بعد تمهيد: « يجب أن نجعل الشعب لبنانياً ولا سبيل لنا الى هذه الأمانة الا بإعداد رجال المستقبل فكيف نعدّهم بالمدرسة؟ جعل واشنتون العظيم الشعب الأميركي بمبدأ واحد . وبالمدرسة جهار هكذا عظيماً . وبالمدرسة الحرة جهار هكذا حراً . بالمدرسة يقول بسمرك انه استطاع أن يتغلب على فرنسا . بالمدرسة استطاعت اليابان أن تخرج من الظلمة الآسيوية الخائكة المدهمة . ان الأفكار القديمة لا تجد لها ما نعادون عقول الصغار الا المدرسة . وبالمدرسة فقط يستطيع الشعب اللبناني أن يصير وطنياً وان يتحد على صاحبه الطبيعية . »

« مولاي قد قال الشارع الفرنسي في نظام التعليم الإلزامي: من حق الحكومة حماية المنافع العمومية أن تحتاط بكل وسيلة لئلا يكون في الشعب أفراد يجربون حقوقهم وواجباتهم فتتكن المدرسة من حق الحكومة التي ترأسونها ومن واجباتها أيضاً ان المدرسة التي نرجو ان تكون حائزاً بين صفارتنا وافكارنا القديمة ليست المدرسة الفرنسية ولا الانكليزية ولا الأميركية ولا الألمانية ولا الايطالية . لأننا لا نريد أن يكون صفارتنا مثلنا اوروبيين واميركيين في لبنان وليست المدرسة الجزوبتية لأننا لا نريد ان يكون صفارتنا مثلنا متواكلين ضعفاء خباء . ولا المدرسة الطائفية لأننا لا نريد ان يكون صفارتنا مثلنا وارثو ذكسا وملكيين ومناولة واسلاماً . ولا المدرسة الدينية لأننا لا نريد ان يكون صفارتنا مثلنا لاهوتيين يتجادلون على ما لا يعلمون . إن هذه المدارس موفورة لنا وحالتنا الاجتماعية لا تزداد الا فساداً وتقهقراً . فالمدرسة التي نرجو ان تكون لنا باباً الى الحياة الجديدة هي المدرسة الوطنية الحرة . هي المدرسة التي تتولاها حكومة منفصلة عن الكنيسة كالحكومة اللبنانية . اه باختصار قابل . ثم بين طريق ايجاد المدارس الحرة والتفقه عليها وبحث عن عيوب الحكومة وبين سبيل الاصلاح

ونحن نقول ان هذه هي « الوطنية الحقة » لا التي يلفظ بها بعض أحداث المصريين

بوتى الحكمة من بقاء ومن يوتى
الحكمة فقد أوتى خيراً كثيراً وما
يذكر الأولو الألباب

المناجاة

١٣١٥

فبشر عباده الذين يستمعون القول
فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم
الله وأولئك هم أولو الألباب

(قال عليه الصلاة والسلام: ان للاسلام صوى و « مناراً » كشار الطريق)

(مصر يوم الاحد ١٦ ذى الحجة سنة ١٣٢٠ - ١٥ مارث (آذار) سنة ٩٠٣)

﴿ رأى فى اصراع المسلمين او رأيه ﴾

كتب الينا وكيل المنار فى بعض الأقطار رأيه فى طريقة إصلاح
المسلمين فى خاتمة جواب يتعلق بأمر الاشتراك والمشاركين فأحببنا أن
يطلع عليه القراء لما فيه من دقة النظر وبعد الغور قال حياه الله :
« رأيك بالعباية فى إصلاح النفوس والمقول والأفكار والأخلاق
لا أظن أنه يوجد من يخالفك فيه على شرط أن تجمع من أيدي الناس
كتب التصوف النظري وكتب المقائد التي ألفت على طريقة ارسطو
(لا كتب ارسطو نفسها) والتفاسير التي البسها أصحابها لباس الفلاسفة اليونانية
وكذا الكتب الفقهية التي كتبها الاعاجم ومن احتذى حذوم لا الكتب
التي كتبت بطريق الرواية كالموطأ وغيره وطرح القواعد التي دونها
الأصوليون وجعلوها من أصول تعاليم الدين وتحويل تكايا الطرق الى مدارس
تعلم فيها العلوم الكونية بأسرها على شرط أن تكون إدارتها بيد أناسي من

علماء أم أوروبية صغيرة كسويسرة والبلجيك ويعزل الشبان المتعلمون عن الأمة حتى يتمتع سربان عدوي الأخلاق التي أرزأت أمم الاسلام من الاسلاف الى الأخلاف. وبعد أن تدرس هذه الرمم التي صارت مع طول الزمن ركام أقدار مفسد للتمدن يتسى للمصلحين ان يشيدوا على انتاضها. اقل إصلاح « وهيات هيات ان يفوز المصلحون بتلك المطالب المسيرة التي أعيت همما، وببضت لما، وأثقت أمما، ظهر ككنفشيوس قبل عصرنا هذا باحدى وعشرين قرنا لمائة إصلاح مذهب سكياموني وتجديد ما ندعى من بنيانه العتيق الذي كرت عليه الدهور الدهارير وبالرغم مساهمة الكبيرة وهمة القمساء وعزمه الصارم بقيت آراء سكياموني كما هي محتكرة في الهياكل لكومية الشعب ولم يزدها ذلك المصلح بقارعه العظمى الاثباتا وتمكيننا. وهذا المسيح قام ليعدل سلطة اكايروس اليهود وليجدها اخلاوق من مذهب التورا فلم يقبل له رأيا الامن خذله في اداء الشهادة وقت المحاكمة وما عسى ان اقول وبنينا الكريم عليه السلام قد ارسله الله هيمنا على الكتب ومجدا لشرائع الكون التي اقتضت سنة الامر ان تجديدها بتجدد مقتضيات فلم يقبل دعواه من ارباب تلك الاديان الامن نكب عن فئه، وانحاز لغير بثة، وهكذا شأن كل مصلح يفلت من أسر العادة وينسلت من قيود المصطلحات وتؤثر في نفسه الحقائق وتشمل بصيرته المشاهدات الصحيحة يستكرها. نجسنة الناس وليستحسن ما لا تنكره في نفسه أحلامهم، وبين أوهامهم، الى أن يثوبوا الى رجفة الهدى، او يكون نشأ جديدا، ودون ذلك نخرط القناد على قران سنانة الظروف المحيطة على أن هناك مهيما آخر اقرب الى السلامة، وضمن للنتيجة، وهو

سبيل وجالات أوروبا الكبار ، ودهاقمها العظام ، وبيانه ان يشتغل المصلح بمد
ترقية نفسه ، وترتيب منزله ، وتنظيم معيشته ، وتدير ما كله ، بتنمية ثروته
بالطرق القانونية ويختار له منها الطريق الأضمن على شرط أن يحتذي
مذهب الصدق ويتقبل نمط الامانة ولا يعتمد الا على نفسه فلا يمر عليه
غير زمن قليل حتى يكون من أكبر المثرين في العالم مثل مرجان وسيسل
رود وغيرهما فلا يصب عليه بعد تكوين الثروة تأسيس المشروعات وعقد
الشركات وإنشاء المدارس وفتح المعامل وارسال الفلك تمخر عباب اليم
تجمع له كنوز المخلوقات

« وأما طريقة إصلاح الأمم والنفس بإلقاء الخطب وكتابة المقالات
فلا يفيد المسلمين في شيء اللهم إلا من كان له هوس منهم فيهما لأن العالم
والصانع والزارع والصراف والتاجر في البلاد المربلة ^(١) لا يصيخون
الأسماع للخطب ولا يعيرون الأبصار للمقالات الا في أوقات الفراغ من
الاعمال فهي عندهم بمثابة المسليات والمنتهات والذي يصيخ وينظر في بلادنا
المأخوذ هو المكسب المتقاعس عن حير نفسه ونفع جنسه واذا تنبه له
وانتارت بصيرته فلا يكون منه غير التأوه على الاسلام والبكاء على المسلمين
ولمذا سمعت كلمة العمرانيين على ان ترقى الامم لا يفيد الا اذا كان بادياً
محتاجاً مطايا على أنافي الصناعة والزراعة والتجارة وطياته الإقدام والحزم
والعزم والنشاط والثبات . وحققوا أنه لا يتوقف على دين ولا يحتاج الى
بعثة رسول وإنما تدعو اليه الحاجة ويثبت اليه اختلاط العناصر المختلفة بمضها

(١) اي في بلادهم التي لا يعرفون فيها ولا يعرفون له راحياً ورايلة الارض

أثبت الريل وهو الحجر ولا معنى لهذا هنا

« يدين سكان الجابون بدين وثني أحمد نفوس اهله آلاف السنين
وأبقام خاملين تحت سجن طقوسه الواهنة حتى ذاق أفراد منهم عسيلة
الإثراء فانبهرت نفوسهم ساعة وراء التأسيسات النافعة وما فتؤا يفكرون
حتى تنبه لهم الأقران فتلاحقوا بهم ثبي وما كادت تنبه لهم الحكومة حتى
اضطرها تفاقم المساعي الى التنازل عن كثير من حقوقها المكالة بطيلسان
الكهنوتية المقدس وأتاحت لهم بغير عناد حكومة مقيدة باحتساب الأمة
عليها وقد صارت الآن تضارع أعظم الأمم شوكة واقتدارا . وما دين
المسيحية بأصفي منها من المنبع البوذي وهذا مبتدع وذاك مخترع والمنزع
القديم في الغالب مقتبس ومتبع (كذا) ومع ما هو عليه من التشويش والتشويه
والتلبس بتلك الحجب التي حاكها يد الجامع المقدسة لم يزل دينا للأمم
الراقية ذات الطول والحول والمنعة والعزة رغم عن النهضة العلمية والاخلاقية
لأحاول الجدال ولا أريد الحوار وإنما غايتي أن أظلمك على فكري
الخاص في اصلاح الامة الاسلامية بالوسائل الصحيحة التي لا تستلزم
زمننا طويلا ولا تكلف تعباً كبيراً وهي ان تترك القادري يعمه في قدرته
والرفاعي يمشو في رفاعيته كما تركنا النصراني يخبط في ظلام نصرانيته
والوثنى يهرف في وثنيته ونسعى مع الجميع متكاتفين لنحصل فرنكا واحداً
عن كل شخص من المسلمين ذلك لروح شيخه وهذا باسم وليه وذا في
سبيل النهضة وهذا باسم الوطنية الى ان تتمكن من جمع مال كثير فؤوس
به مشروعاً يكون جزيل الفائدة ، كبير المائدة ، وما علينا والصراخ في
الضواء ، والنند في الأجواء والاضواء من الشرق ، والشرق من
الرياسة ، فذاك في مذهبي شي لا يجدي والسلام »

﴿ رأي المنار في الموضوع ﴾

لقد أحسن الكاتب النبيل القصد في قوله ولكن فيه إجمال يحتاج الى بيان ونظرا في بعض الجزئيات . وما كان الاجمال منه الا لأنه كتبه لمن يفنيه الاجمال عن التفصيل وفرق بين ما كتب ليطوى وما كتب لينشر . ولقد سرنا توارده الخواطر وتلاقى الأفكار بيننا وبين الكاتب النبيل ، والوكيل الأسيل ، في وجوب عزل المعلمين عن الامة لأن قوام التربية بالقدوة والمحاكاة المتولدتين من المعاشرة والمخالطة وقد بدأ الله تعالى تربية نبيه الأكرم (صلى الله عليه وآله وسلم) بزلزله عن الناس فحبب اليه الوحدة ، وأطمه الانزواء والعزلة ، ثم علمه بالوحي ماشاء ان يلممه ، ولقد قال « أدبني ربي فأحسن تأديبي » فعلمنا ان نستفيد من هذه الحكمة ، مع من منحه الله العصمة ، وموافقة أخرى في الرأي وهي الاستمانة على تعليم الفنون والمعلوم الكونية ، باسائذة من أصغر الشعوب الاوربية ، لأن هؤلاء أبعد عن السياسة التي تفسد كل صلاح ، وتحول دون كل نجاح ،

الذي لاح لي من كلام الكاتب في إخفاق رجال الإصلاح المعنوي هو أن غرضه منه تحويل وجوه المعلمين عنه ليتولوا شطر الإصلاح المادي الذي يراه والا فان كل واحد من المصلحين الذين ذكرهم قد كان له تأثير كبير في أنواع الانقلاب الذي حدث في العالم المرة بعد المرة وليس من شرط النجاح في المشروع ان يأخذ به كل أحد ولا ان يكمل فيه كل من أخذ به . فاذا كان الإصلاح المعنوي لم يعم أفراد الامة التي ظهر فيها فكذلك الإصلاح المادي والسبب في هذا وذلك أن الاستعداد في البشر متفاوت تناموتا كبيرا وكل يعمل بحسب استعداده ففي أوروبا من يملك ألوف

الآلاف وفيها من يموت جوعاً وكأين من عالم يطلب الثروة ، وتموزه الكسرة
والحسوة ، وليس هذا مقام بيان تأثير أوامرك المصلحين العظام في الأمم
والكتاب يعرفه ولكن عرضه ماذا كرنا

والقول في تأثير الخطب والمقالات يتصل بالتسول في تأثير رجال
الإصلاح المعنوي لأن الخطباء والكتّاب الذين ينادون بالإصلاح هم ورثة
الأنبياء والشارعين وهم أركان الإصلاح الاجتماعي والسياسي ومن ينكر
أن للوثر وأشياءه وميراثه وأضرابه تأثيراً عظيماً في تحويل أوربا كما كانت
عليه ، ونقلها إلى ما انتهت إليه ؛ ومن ينكر تأثير تلك المقالات والرسائل
التي كانت تشر في فرنسا قبل الثورة الكبرى وأن ذلك التأثير هو الذي نزل
تعرش الملك وساطع الصديك على الأمراء والنبلاء ؛ فالإصلاح في جميع
الأمم إنما جرى على أيدي الفتراء والمتوسطين باعث معنوي ولم يوجد
إصلاح في الأرض بدأه الأغنياء تأسيس المشروعات المادية النافعة وإن
ثبت فقل أنه لم يوجد إصلاح مادي ينجح ولكن كل إصلاح يرقى البشر
يفتح العمران والعمران مادي ، إنما يكون في النهاية لا في البداية

كل هذا يعرفه الكتاب القاضل ولكن الرأي الذي أبداه إنما هو
في اختيار أقرب الطرق ولعمري إنه الطريق أمم له لا أن فيه من العقبات
الكؤود ما يتعذر معها سلوكة على الضعفاء المحتاجين إلى الإصلاح كالمسلمين
فبا دارها بالخياف إن مزارها قريب ولكن دون ذلك أهوال

يقول إن الواجب على صريدي إصلاح المسلمين أن يسلكوا سبيل
سبل روس بعد إصلاح سنون منازلهم ونظيم طرقهم ، من هم
هؤلاء المريدون للإصلاح وما هي طبيعة بلادهم التي يعيشون فيها ؟ هم نضر

من وسط الناس سامت فطرتهم، وصفت فكرتهم، وحسنت في الجملة
وبالمصادفة تربيتهم، وامتازوا بالليل الى البحث في الأمور العامة والاهتمام
بأمر الأمة والملة . ولم يكن لهم شيء من هذه الخصاص بواسطة تعليم
وتربية أو دعا في نفوسهم اذ لا يوجد للمسلمين مدرسة في قطر من الاقطار
تذكر فيها مصلحة الأمة أو توجه نفوس تلامذتها في تطيم كل علم وفن
الى أن المراد به الإصلاح وإيقاد الأمة مما هي فيه . وإنما هو الاستعداد
الفطري مع مساعدة التوفيق الذي يعبرون عنه بالظروف والمصادفات . ولو
أن هؤلاء اشتغلوا بغير البحث في الأمور العامة وطرق الإصلاح لضعف
مدادهم فيه لأنهم لم يتربوا عليه ولم يتعلموا طريقه تعلمًا فيكون همهم

عد المدرسة السعي في اتخاذ الوسائل لما وجههم اليه المربون والمعلمون
وأما طبيعة بلادهم فهي كما يعلم الكاتب ليس فيها موارد قريبة للثروة
الواسعة من الطرق القانونية كالثروة التي جمعها سسل رود . والاعمال
الكبيرة التي يتوقف عليها إيجاد الموارد لا تكون الا من قوم تعلموا طرقها
وفنونها وتربوا تربية صلوا بها محلاً للثقة في إنفاذ الاعمال بهم وأنى لبلاد
المسلمين بهؤلاء الماملين العالمين !! وجملة القول ان الدين يفكرون في
الإصلاح من المسلمين ليس عندهم استعداد لجمع الثروة الكبيرة وان
بلادهم ليس فيها الآن منابع لهذه الثروة مفجرة يسهل عليهم ورودها وان
الامة التي يعيشون فيها ليس لها استعداد انفجير ينابيع الثروة الطبيعية التي
خص الله بلادهم بها لجهلهم وفساد تربيتهم . ونسكت عن حال حكوماتها
وما ينتظ ان يلاقيه منهم مرید الاصلاح اذا حاول سلوك الطرق
المشروعة الشريفة لجمع المال

إن العمران المادي كان نتيجة للإصلاح المعنوي وكذلك يكون .
 أما اليابون (اليابان) فلم يكن السائق لهم إلى الإصلاح طلب الثروة
 ولم يكن تقدمهم مادياً بحتاً لا شائبة فيه للدين بل كان السائق إليه هو صاحب
 السلطة الدينية المقدسة والسلطة المدنية القائمة على أساس الدين وهو عاهلهم
 ومليكمهم (الميكادو) فهذا العاهل العظيم هو الذي قيد سلطة نفسه بعد أن كانت
 حكومتها استبدادية مقدسة وهو الذي دَعَّ أُمَّته إلى العلوم والفنون دعا ولا
 نقول أنه دعاها دعاء . ولقد كانت التقاليد الدينية مساعدة للسلطة الدينية في
 عمران اليابان الحاضر كما يعلم من المقالات التي نشرت في المقتطف الأغر
 معربة عن أصل انكليزي لبعض كبار الكتاب السياسيين . ويذكر
 المارفون بالتاريخ أن أول عاهل (امبراطور) اشتغل بالإصلاح في أوروبا
 وهو (شارلمان) كان مندفعاً بدافع معنوي مشوب بالاعتقاد الديني ولولا
 الإصلاح الديني الذي قام به زعماء البروسنت لحبط عمله وكان هباءً منثوراً
 والقول الفصل في الإصلاح الإسلامي هو أن الواجب على العقلاء
 الذين يتألمون من ضعف الأمة وهو أنها أن يسعوا في إصلاح العقول
 والنفوس بتعليم الصغار وتربيتهم بالمدرسة ووعظ الكبار وتبئيمهم بالخطابة
 والكتابة أكثر بذلك حزيم ولا بد لهم في سلوك هذه السبيل من
 مسالة القوة سواء كانت اهلية أو أجنبية

فعلم من هذا أن أول واجب على من يشعر بالحاجة إلى الإصلاح في
 بلد من البلاد الإسلامية أن يشتغل بالدعوة إلى ما يعتقد في ذلك ليكون
 له حزباً والدعوة خطابة وكتابة فإذا صار له حزب فالواجب عليه وعليهم السعي
 في التربية المالية والتعليم الذي يمد الناشئين لأعمال العمران والامانة

على ذلك بالاساندة المهررة الذين ليس بيننا وبينهم مطامع سياسية . وهذا يختلف باختلاف البلاد الإسلامية وأتمها استعداداً الآن بلاد الهند وبلاد مصر وقد بدأ مسلمو الهند يسعون في التعليم الأهلي وشعروا بأنه لا يكون تاماً نافعاً إلا بإنشاء المدارس الكلية فاقترح مؤتمر التربية الإسلامي في هذا العام جمع الف الف روية لإنشاء مدرسة كلية والمرجو ان يتم لهم ذلك في وقت قريب وأن تكون التربية في هذه المدرسة مليئة اسلامية كما وافق على ذلك كبراء الانكليز هناك . ولا بد لمسلمي مصر ان يتلوا تلو مسلمي الهند في ذلك عن قريب ان شاء الله تعالى وسيكون للخطب والمقالات تأثير عظيم في جمع المال اللازم لذلك فان الجرائد كالحداة ولا حذاء الا ان يكون مسير كما قلنا في العدد الثاني من منار السنة الأولى ولا يرجي من الذين اتخذوا من دون الله أولياء ، وربطوا قلوبهم بقبور الاموات وقيدوا عقولهم بخرافات الاحياء ، أن يساعدوا على انشاء مدارس للعلوم الكونية ، وهم يشعرون بأنها القاضية على تقاليدهم الوهمية

هذه هي الطريقة المثلى للإصلاح ولا يجد المصالحون من الأئمة غيرها . أما الملوك والأمراء فان لهم اذا أرادوا الإصلاح عملاً آخر وهو أن يبدأوا بالقوة العسكرية فيعززوها ما استطاعوا لتكون الدولة آمنة من اعتداء الأعداء الذين يشغلونها عن الإصلاح الداخلي متى انسوا منها الضعف ثم يوجهون الأمة الى تعميم التربية والتعليم وتنمية الثروة بالزراعة والتجارة والصناعة ويسيرون حكومة الشورى ويجهدون في توثيق الصلات بينهم وبين أمثالهم من الأمراء والسلاطين . ولكل حكومة إسلامية ضرب من السير في الإصلاح يختص بها ولا تبلغ الغاية بدونه ، وقد أخطأ

سلطان مراکش ما يليق بحاله من السير في طريق الاصلاح فزلت قدمه
وكان الواجب عليه قبل كل شيء إصلاح الجندية كما سبق لنا القول في غير
هذه الجزء ليأمن المدوان الداخلي والخارجي ثم يشرع في تعليم الأمة
وتربيتها مستعينا في أول الأمر بالمسلمين كالمصريين الموافقين لأهل
بلادهم في اللغة ثم بالأجانب الذين لا طمع لهم في بلادهم عندما تستمد بلادهم
لذلك فلا تأنف منه .

على أن أملنا في جميع حكام المسلمين ضعيف بل نحن أقرب الى
اليأس منهم منا الى الرجاء فيهم . وهكذا شأن الملوك الذين القوا الاستبداد
وما كان عمل عاهل اليابان؛ الافاتة من فترات الزمان ، والظاهر لنا أن كل
ما هو مخبوء في الغيب من الخير لهذه الأمة فانما يكون بسعي بعض العقلاء
من أفرادها دون الملوك والأمراء والله في غيبه شؤون ، والله يعلم وأتم لا تعلمون

﴿ مدينة العرب ﴾

البذة السادسة تابعة لما نشر في الجزء ٢٣ من المجلد الثالث

ينبغي للإنسان ان يجتنب الوعد ما استطاع وأن يجتنب تحديد الوعد
بزمان أو مكان اذا هو وعد الا اذا اضطر الى ذلك اضطرارا وقلما يأتي
الاضطرار في الأمور المامة . ككنا شرعنا في السنة الثالثة للمنار بكتابة
مقالات في مدينة العرب أو مدينة الاسلام في عهد الدول العربية فكتبنا
خمس نبد في منشآت تلك المدينة وكونها قامت على أساس الدين وتولدت من
تعاليمه ثم في اشتغال العرب بالعلوم الكونية وما اكتشفوه واخترعوه في
علم الملك وسائر العلوم الرياضية كالحساب والجبر والمهندسة ووعدنا بأن تم
هذا البحث في السنة الرابعة فمرت السنة الرابعة ولم يتح لنا فيها الوفاء بالوعد

ولكننا استأنفنا وعداً آخر في آخرها بأننا تم ذلك في هذه السنة وقد
مرت السنة حتى لم يبق منها الا هذا الجزء ولم نتكمن من إنجاز الوعد لأن
المقالات المتسلسلة زادت في هذه السنة عما قبلها بنشر مقالات جمة أم
الهرى ومقالات « الاسلام والنصرانية مع العلم والمدنية » التي كان فيها
شيء إجمالي من موضوع مدينة العرب . وقد رأينا أن نختم هذا الجزء بنبذة
سادسة وفاء بالوعد بقدر الامكان فنقول :

(الجغرافيه الرياضيه وتقوم البلدان)

اشهر كتب الجغرافية اليونانية كتاب بطليموس وأزواجه وقد كانت
آراء بطليموس تؤخذ على علاتها لان العلم صار تقليديا حتى تناوله اجتهاد
العرب فظنوا من عهد المأمون يصححون أغلاط اليونان في الفلك وسائر
الرياضيات كما تقدم ومن ذلك أنهم صححوا أرساد المجسطى بالزيج الجديد
وأعادوا تحديد أطوال الارض فكان أتمها تصحيحا تحديد بلاد العرب
والخليج الفارسي والجزيرة وبلاد فارس والبحر المتوسط . ولما اشتغل
الأوروبيون بهذه العلم ظلوا زمنا طويلا مفرورين بكتاب بطليموس حتى
تفروا بكتب العرب وتصحيحهم لاغلاط بطليموس . بدأ العرب بتصحيح
أزواج بطليموس في أول القرن الثالث على عهد المأمون ولكن ذلك التصحيح
لم يكن تاما فان البيروني في أول القرن السابع هو الذي صحح الغلط في حساب
أطوال بلاد الروم وما وراء النهر والهند وألف قانونا جغرافيا كان قدوة
المستعملين باسمه جغرافية من بعده

في سنة ١٠٢٩ هـ و١٦٠٠ م وحدد مدة السنة الفلكية أربع مائة وستين
ومائة وستين يوما وثلثمائة وستين ساعة وثلثمائة وستين دقيقة وثلثمائة وستين ثانية

الأندلسي **علي المراكشي** القرن السادس خريطة جغرافية من الفضة لملك صقلية حفر فيها باللغة العربية صور جميع الممالك المروفة في ذلك العهد وألف كتابا في الجغرافية بين فيه أول نقطة التماس بين جغرافية الأتنيين وجغرافية المدارس الإسلامية وقد مكف رسامو الخرائط الجغرافية في أوروبا على مؤلفه ثلاثة قرون ونصف يتقدونه كما هو لا يزيدون فيه ولا ينقصون منه . وكان من علماء هذا الفن في المغرب أبو الحسن علي المراكشي في أول المئة السابعة للهجرة الشريفة وقد قال سيديو ان كتابه كان أجل الآثار العلمية فيما عليه العرب من علم الجغرافية . وكان لعلم الجغرافية خرائط بحرية أيضا عثر الاوربيون على بعضها في أول المئة التاسعة للهجرة . ووجدوا خريطة بحرية أخرى من رسم عمر العربي سنة ١٦٤٨م أي سنة ١٠٥٨ هـ

اما الجغرافية الوصفية أو التخطيطية فقد عرفها العرب قبل الجغرافية الرياضية واتسمت سرفهم بها باتساع فتوحاتهم وتجارتهم . قال سيديو: انهم حين امتدت مملكتهم من المحيط الاطلسي الى تخوم مملكة الصين انشأوا بالدريج أربع طرق طرق عظيمة تجارية توصل بين مدينتي قانس وطنجة الى أقصى آسيا . (إحداها) تخترق أسبانيا وأوربا وبلاد سلاوونة الى بحر جرجان ومدينة بلخ وبلاد تجز (والثانية) تخترق بلاد المغرب ووادي النيل ودمشق والكوفة وبنفداد والبصرة والاهواز وكرمان والسند والهند (والثالثة والرابعة) تعبران البحر الابيض المتوسط وتجه إحداها من الشام والخليج الفارسي والآخرى من الاسكندرية والبحر الاحمر للتوصل الى بحر الهند . فكثرت بهذه الطرق السياحات ونقل السياحون الى اقصى البلاد ما عند العرب من الافكار والتمدن واستفاضت الأخبار الجلية الفوائد

فنورت أذهان الملاحين وعرفتهم الأخطار التي يخشى عليهم الوقوع فيها إذا سافروا في ولايات غير مكتشفة تمام الاكتشاف واشتملت الأزياج التي حررها البتاني بالرقعة سنة تسعمائة (٥٢٨٧هـ) وابن يونس في القاهرة سنة ألف (٥٣٩٠هـ) على كتاب رسم الأرض بلا تغيير كبير . وأما ابن حوقل والاصطخري والمعمودي المشهورون في نصف القرن العاشر من الميلاد فوصفوا في كتبهم صورة الاكتشاف الجديد . وحسب العلامة الكومي سنة ١٠٦٧ الاطوال من ابتداء الطرف الشرقي من الأرض القارة

وزعم بعض الترنجج ان العرب كانوا متبعين في أول عصر بني العباس الروايات الهندية مع أن كتاب مبادي الفلك المسمى بسند هند قد نسخ نقله في ذلك وقت سنة ٧٧٥ (١٥٨) لم يكن له عظيم اعتبار عند العرب فانهم ظنوا عمداً قليل برسالات يونانية وتركوه لا يتفوهون باسمه الا ليبيوا ما فيه من الغلط . ولم يعولوا في شيء من الجغرافية على كتبهم فلو انهم اهدوا فيها أن شبه جزيرة هندستان في مركز العالم وان خط اصناف النهار الذي يبين نقطة وسطها يخرق مدينة أوجين وجزيرة سيلان . وبحث العرب في كتبهم عن خط نصف نهار القبة الأرضية وهي قبة عرين للتخصيص على الاطوال فظن بعض الترنجج ان المراد من (عرين) مدينة أوجين وهو خطأ فان القبة المنسوبة الى عرين هي نقطة تقاطع الدائرة التسمينية من حساب بطليموس مع خط الاعتدال على بعد متساو من الجهات الأربع الأصلية وليست هي قبة أوجين فان العرب كانوا يعرفون حتى المعرفة محل أوجين الجغرافي رأياً « عرين » فكلمة اصطلاحية ارادوا بها جزيرة موهونة بين هندستان وبلاد الحبشة سماها المؤرخ

ديودور الصقلي جزيرة اورانوس . وبدل العرب خط نصف نهار عرين
 اوقبة الأرض بخط نصف النهار بالجزائر الخالدات فاتبع ذلك من
 ابتداء القرن الحادي عشر الى الثالث عشر « اه
 وقد ألف العرب كتباً مخصوصة في مسالك البلدان حتى صار علماء مستقلاً
 وفي اسماء البلاد والاماكن ككتاب مرصد الاطلاع على اسماء الامكنة
 والبقاع ومعجم ياقوت والمشارك وتقوم البلدان للملك المؤيد صاحب حماء
 وتقوم البلدان للبخي وكتاب اوضح المسالك الى معرفة البلدان والممالك
 (وهذا الف في عهد الدولة العثمانية واهتمه مؤلفه محمد ابن علي الشهير
 بسباهي الى السلطان مراد الثالث ٩٨٠ ثم اختصره بالتركية)

﴿ العلوم الطبيعية ﴾

الكيمياء والصيدلة : قد ارتقت العلوم الطبيعية عند العرب واتسعت
 مذاهبها وكثر الاكتشاف والاختراع فيها على أن حظها كان دون حظ
 العلوم الرياضية لأن العمدة في العلم الرياضي العقل والعمل مؤيد له والعمدة
 في العلم الطبيعي العمل والعقل مساعده وما يتوقف الارتقاء فيه على العمل
 لا يرتقي الا بالزمن الطويل . كانت العلوم الطبيعية من عهد استاذها الاول
 أرسطاطاليس ضئيلة ضاوية ثم ماتت بضعفها ولما أحيها العرب باحياء الاسلام
 لهم تنكبوا طريق النظر المحض فيها واعتمدوا على التجربة فحولوا الكيمياء
 الوهمية الى كيمياء حقيقية واشتقوا منها فن الصيدلة (تركيب الادوية)
 وانتقلوا الى التاريخ الطبيعي فكتشفوا بذلك خواص نبات بلادهم ووصفوها
 البسمية وأفادوا بها الطب والصناعة فوائدها جليلة . قال سيديو : إن البحث
 عن الجواهر الطيبة الذي مدحه ديوسقوريدس لاهل مدرسة الاسكندرية

كان من مخترعات العرب فاتهم هم المنشؤون للصيديات (الأجزخانات) الكيماوية والموروث عنهم ما يسمى الآن بقواعد تحضير الأدوية الذي انتشر بعد من مدرسة سالرنه في الممالك التي في جنوب أوروبا :

ومن مخترعات العرب في الكيمياء الكحول أو الفول الذي صار قوام الأعمال الكيماوية والصيدلية وتركيب حمض الكبريت والماء الملكي والماء العشر والجلاب وغير ذلك من الأدوية والمماجين والمريبات والمهلامات. قال في دائرة المعارف : « وهم أول من اخترع السوانغات لإذابة الاصول الفعالة للأدوية سواء كانت معدنية أو نباتية أو حيوانية واخترعوا الأنيق والتقطير والتسامي ووضعوا في أيام الخلفاء قانونا اقربا ذنبا كانت جميع التراكيب الاقربا ذنبية المذكورة فيه مثبتة من طرف الحكومة لا يجز خلافا : » أي أنهم هم الذين جعلوا عمل الصيدلة رسميا بمعرفة الحكومة

واشهر العلماء المخترعين في الكيمياء والاقربا ذن (الصيدلة) ابوبكر الرازي صاحب كتاب (الترتيب) فيها والكتب الكثيرة في الطب والفلسفة (توفي سنة ٣١١ هـ) وهو المخترع للمسيلات اللطيفة ولاستعمال كثير من النبات في الطب والرئيس ابو علي بن سينا فيلسوف الشرق واكبر اطباءه وابن رشد فيلسوف الغرب واكبر اطباءه وقد ترجم الاوربيون اكثر كتب هذين الفيلسوفين وانفعوا بها كما اتفعموا بكتب الشيخ ابي بكر الرازي ويشهدون للجبج التبريزي في العلوم

الطب : لا يعرف التاريخ أمة أقدم عهدا في صناعة الطب من المصريين فهم أساتذة اليونانيين وانتمهم ولكن طبهم كان ممزوجا بالأوهام والتقاليد الخرافية كاعتقادهم أن الصرع يكون بدخول عنريت من الجن في جسم

الإِنسان وكانوا يعالجونه بالرقى والعزائم وإنما برعوا في فرع واحد من فروع الطب وهو التخنيط وكانت التشريح مذموماً عندهم والأطباء من غير الكهنة محقرين يعاقبون إذا مات من يعالجون . ثم لما دالت دولة العلم إلى اليونان بعد انحلال المصريين عنوا بالطب فكان علماء محترماً ثم قضى الرومانيون على علم اليونان كما قضوا على دولتهم وكانت عنايتهم في المعالجة مقصورة على الرقى والطلاسم ومجربات العامة التي يتناقلونها . ثم أحوجتهم الحضارة التي فأجلوا الأطباء بعد احتقارهم ولكن الرومان أنفسهم لم ينبغوا في الطب وفنونه بل احتفروه في أول دولتهم . احترموه في عنفوانها ثم عداوا نحن بانحلال دولتهم حتى إذا نهض الإسلام بالعرب لم تكن لهذه العلوم سوق نافذة في الأرض فاسيوها بعد موتها .

دائرة المعارف : ولما كانت فتوحات العرب وضربوا في طول البلاد وعرضها كان الطب كسائر العلوم في أسفل درك الهوان والنجول فهضوا به نبضة جديدة والتفتوا إليه من كتب اليونان وغيرهم وأودعوه كتبهم مع زيادة مما توسعوا فيه بالبحث والتجري وأجادوا بتعريفه ووصفه وتقسيمه : (ثم قال) : ولم يكدي فرع الخلفاء ومن واهبهم من بنى أمية من بسط جناح الإسلام حتى أخذ الخلفاء يلجئون باب العلم كما ولجوا باب الفتوحات فكانوا للطب سبب وافر واستعانوا بعلماء اليهود والنصارى عملاً بالحديث القائل « استمعوا على كل صنعة يصالح أهلها » فكانت للامويين من ذلك بعض الآثار ولكن الآثار المشيدة والمساكن المحميدة إنما كانت للمباسبين في بغداد ومن ثم للأندلسيين فاتخذ السفاح المباسي أطباء ماهرين أقام بختيشوع النسطوري رئيساً عليهم وطبياً خاصاً له كما كان جوية اليهودي

عند عمر بن عبد العزيز الأموي :

— ثم ذكر بعض كبار اطباء العرب ووفاءاتهم واكتشافاتهم وقال — :
«وعلى هذا كانت دولة العرب عمروة الوصل بين طب المتقدمين وطب
المتأخرين ولولاهم لانتثر ذلك العقيد وعفا الكثير من معالم العلم والعرفان
فان معظم ما تناوله الافرنج من علم الاقدمين قبل فتح القسطنطينية إنما
كان عن العرب وظل اشغال العرب مدة مديدة منحصرأ في النقل والتقليد
لا يأخذون الا بما ينقلون ويذهبون مذهب الاقدمين فيينا تراهم عالمين
بالأصرجة والأغذية وباحثين في الداء والدواء واذا بهم يقولون بالتنجيم
والمزائم ، والرقى والطلاسم ؛ وكان هذا شأنهم الى أن نبغ منهم علماء حكماء
فاستجروا كثيراً من الحقائق العلمية وأبقوا الخلف من مبتكراتهم وتوسعاتهم
مباحث واكتشافات . فهم أول من دقق البحث في الحيات النفاطية
كالجندري والحصبة والحجى الفرصية وحسبنا من ذلك رسالة الرازي . وهم
الذين اطنوا المسهلات وأشاروا باستعمال المن والسنا والتمرهندي والراوند
والكافور وغير ذلك . وان كانوا عرفوا منافع أكثر تلك المواد بما ترتب
لهم من الملائن التجارية مع الصين والهند فليس في ذلك ما يخفض من
قدرهم ويقال من فضلهم . وهم الذين حسنوا صناعة التقطير والتخمير
وتشكيل الأواني الكيموية بأشكال يسهل بها تناول واستخرجوا كثيراً
من الأملاح المعدنية وكانت لهم اليد الطولى في فن الصيدلة فوضعوا
أسسه ووطدوا أركانه فأفادوا العالم فائدة خلدتها لهم التاريخ :

ثم قال الكاتب : وفوق اشتغالهم بطلب البشرغوا بعض العناء (كذا)
بالبيطرة وهي حطب الخليل والزردقة وهي طب الطيور وسائر العلوم التي

لها علاقة صريحة أو غير صريحة بالطب كالبزدره وهي صناعة الفرس والطبوعات : (الى أن قال) ولهذا قبضوا على ناصية الطب كما استغلوا بأزمة العلم من فلك وهندسة ونبات وكيمياء ومنطق وطبيعيات وما وراء الطبيعيات . ولبثوا أربعة قرون متوالية مستودع المعرفة وملجأ الحكمة أي منذ تولى الرشيد في بغداد أو قبيل توليه الى موت ابن رشد . ولا عبرة بالفترة التي حصلت بعد وفاة ابن سينا فان العلم لم يمت في خلالها . (قال) والعجب كل العجب أنه قامت بعد ذلك للمسلمين دول شتى ذات قوة وشأن عظيم فكان منها العرب والمجم والترك والتتر ولم تفلح دولة منها هذا الفلاح وان لذلك بلا رب أسباباً اضرب عنها صفحاً لخروجها عن دائرة بحثنا : اهـ

تقول ان المدة التي ذكرها هي التي كان فيها العلم العربي في عنفوان شبابه وقد ولد قبلها ومات بعدها بزمن . وابن رشد مات في ٥٩٥هـ ولم يكن بعد ذلك للعرب دولة قوية بروح الدين وحياة الخلافة الإسلامية وان كان لدولة الترك من القوة الحربية ما لم تصل اليه دولة سواها ولم تكن حياة العلم في دول العرب بالقوة الحربية وإنما كانت بالقوة الأدبية التي يأتهم من الاسلام، ولم يُقم الاسلام غيرهم كما يجب أن يقام . وقد ظهرت الدولة السليمانية بعد موت ابن رشد بنحو مئة سنة فان انقراض الدولة السلجوقية كان سنة ٦٩٩هـ وعلى انقاضها بنى السلطان عثمان الأول بناء سلطنته خلدتها الله تعالى بتوفيق القائمين على سيرها للعدل والإصلاح آمين (للمقالات بقية)

﴿ الكرامات والحوارق ﴾

(المقالة السابقة تابعة كما في العدد ٤١ من المجلد الثاني)

نشرنا في منار السنة الثانية مقالات في كرامات الاولياء ذكرنا في

مقدمة المقالة الاولى منها (٢:٢٦) أن النظر في هذه المسألة من وجوه حقيقتها والحكمة فيها . حجج القاتنين بجوازها ووقوعها . حجج المنكرين لها . ادعاء جميع الأمم لها . منفعة الاعتقاد بها ومضرته . تمحيص الحقيقة فيما نقل من الكرامات . وقد بينا هذه الوجوه والمباحث الامبحث منفعة الاعتقاد بالحوارق ومضرته فقد كنا عازمين على أن نرجعه الى أن نقل طائفة من الحوارق التي تؤثر عن كهنة الوثنيين والكتابيين أيضا لما جاء في عرض القول من ان جميع الأمم تدعي لرؤساء دينها الحوارق والكرامات . ولما كان هذا يتوقف على مراجعة كتب الدين لتلك الملل وذلك لا يتيسر الا في وقت الفراغ ظلنا نترقب هذا الوقت فمرت السنة الثالثة ولم نصبه فيما بعدها فوعدنا في آخرها بأن سنتم في الرابعة مبحث الحوارق ومبحث مدينة العرب وصرت الرابعة مختومة بوعد آخر لم نربدا من الوفاء به مع الإيجاز كما بدأنا الوفاء بمبحث مدينة العرب ونسأل الله تعالى ان يتوب علينا من الوعود المحدودة ؛ وان كانت آجالها ممدودة ،

اضطررنا الى الوفاء بهذا الوعد (إكمال مبحث الكرامات) الذي ضاق عنه حوّلان كاملان في أضيق الأوقات علينا وأكثرها شواغل — في جزء آخر سنة تقدمه عيد لا عمل فيه وانحراف في المزاج من النزلة الوافدة (الانفلونزا) وزاحمه مع الاعمال الإدارية والحسابية الاشتغال بالاشتغال من المنزل الذي نحن فيه الى منزل آخر مجاور له والاشتغال بتأسيس طاعة النار . وهذه عاقبة من عواقب التسوية السيئة ذكرناها تأديباً لنفسنا وديننا . ولكون عذرا لنا في الاختصار والإيجاز في موضوع كنا نودنا تطويل فيه لأن الاعتقاد بالحوارق تأثرا في الأخلاق والآداب

والعادات وشؤون الميثنة والكسبية وان شئت قتل ان لها التأثير العظيم في سير الأمم فرسوخ هذا الاعتقاد في قوم وزلا اله أو زواله من نفوس قوم هو من علل ما عليه الافوام من التقدم والتأخر في السيادة والثروة وضدهما

(الحوارق عند الوثنيين)

كانت الأديان الوثنية كلها قائمة بـحوارق العادات وكان لقدماء المصريين منها النصيب الأوفر ولا يزال وثنيو الهند الى اليوم يأتون بـحوارق مدهشة ومن أغرب حوارق البراهمة الجلوس في الطواء ولكن الأوربيين تمكنوا بصناعتهم من محاكاة هذه الحارقة. ومن حوارقهم أنهم يضعون النار في أفواههم فلا تضرهم على أنهم يلفظونها غير مطلقاً. ومنها أنهم يظهرون أشياء من العدم. ومنها أنهم يستنبطون الشجرة من البررة في مدة قليلة خارقة للمادة. ومنها أنهم يذبحون الانسان ثم يحيونه. ومنها أنهم يخبرون عن المنيات فيصيرون. ومن أحقرها ملاعبة الأفاعي والثعابين والتعرض للسماء وقد نشرت جريدة الاهرام من مده قرية بعض المجائب والحوارق التي تظهر على أيدي هؤلاء الهنود. والهنود معروفون بهذه الحوارق من قديم الزمان وقد اعترف فيللم بعض المتصوفة بشئ مما وصل اليهم وعلاوا ذلك بأنه أثر الرياضات الشديدة التي تكون منهم (راجع كتاب الجواهر والدرر للشمراني وغيره) ومن هذا التعليل يعلم ان أصحاب تلك الحوارق لم يكونوا كلهم من الاشرار او الذين يتعرضون لايداء الناس فتأتي التفرقة التي يفرق بها بعض المتكئين بين المعجزة والسحر بل الكثيرون منهم عباد زهاد نساك مستسكون بدينهم أتم الاستسائك، أما التفرقة الحقيقية بين السحر وآيات الانبياء فقد تبين في بحث الآيات من الإلهام الدينية

﴿ الحوارق عند النصارى ﴾

كل ما ذكره الذين ألفوا الكتب منا في مناقب الصالحين وكل ما تناقله الناس فيما بينهم من كرامات أولئك الصالحين أحياء وأمواتا فيوجد مثله في كتب النصارى وفي رواياتهم المسانية التي يدعون أنها عن مشاهدة أو ترتي إلى المشاهدة . ومن ذلك ظهور المسيح ووالدته عليهما السلام للعباد في اليقظة والنمام وظهور غيرها من القديسين . ومنه استجابة الدعاء والإخبار بالمفيات الذي يسميه المسلمون كشفاً ويسمونه نبوة . ومنه طي الأرض وتقريب المسافات البعيدة . ومنه إشراق الوجوه بالأنوار وقت العبادة . ومنه نزول المصابب والرزاق لمن يؤذي القديس . ومنه قضاء الحاجات ، الفوز بالخيرات لمن يتوسل بأحد القديسين والرهبان المتوحدين ويتخذة شفيعاً عند الله . ومنه شفاء المرضى والمجانين ببركات القديس الحلي إذا لمس المريض أو صلى له (أي دعا) والقديس الميت إذا زار المصاب قبره . ومنه حبل النساء العواقر بالبركة والزياره . ومنه إخراج الشياطين من المصروعين . ومنه ظهور الملائكة للقديسين ومصاحبهم ومساعدتهم إياهم في بعض الشؤون . ومنه الصبر عن الأكل والشرب زمناً طويلاً ولكن الذي ينقل عن الهنود من هذه الخارقة لم ينقل مثله عن غيرهم فإن أحدهم يدفن في الأرض نحو شهر أو أكثر ثم يخرج منها حياً . وينقلون من كرامات القديسين ما هو أعظم مما ذكر ويدعون في بعضها النوارق فقد جاء في كتاب « العيشة الهنيئة » في الحياة النسيكية « أن من عجائب القديس اغناطيوس التي تزيد على مئة عجيبه ما ثبت بشهادة سبعة وسبعين رجلاً

هذا تواتر حقيقي والتواتر حجة عقلية باتفاق علماء المسلمين وغيرهم والذين يدعون هذه الدعوى للقديس اغناطيوس يسهل عليهم أن يسردوا أسماء أولئك الشاهدين ومن نقل عنهم فلا يبقى للمنكر عليهم إلا أن يلجأ إلى تأويل تلك الحوارق وإثبات أنها حوارق وهمية لا حقيقية . وهنا يحكم العقل السليم من شوائب التحيز والتعصب الذي ينظر إلى الأمم نظراً واحداً لا يريد منه الاستجلاء الحقائق بأن التأويل إذا جاز فيما ينقل عن قديسي النصارى وكنهة البراهمة جاز فيما ينقل عن شيوخ المسلمين . فإذا كانت طرق النقل عند جميع الأمم واحدة فإما أن نصدق الجميع وإما أن نكذب الجميع وإما أن نأول الجميع ولا رابع لهذه الوجوه . ومن قال من هذه الفرق أنني أتق بنقل قومي دون غيرهم لأنني عالم بحسن سيرتهم يقال لهم غيرك

كذلك فليس لك أن تحتج بأن ما ينقل عن صالحى ملتك دليل على صحتها لأن هذا الدليل هو الذي بسميه علماء النظر مشترك الإلزام

واذ ذكرنا القديس أغناطيوس — وهولويولا مؤسس طغمة الجزويت التي يستقيت من طعمها سائر فرق النصرانية — فلتنا نشير الى بعض عجائبه أو خوارقه على سبيل النموذج. قال القس أفرام في ترجمته عند ذكر رياضته الأولى بمد تركه الجندية ودخوله في الأكاركية: « وقد اتفق له مرة أنه نهض لممارسة رياضته هذه الاعتيادية فقدم الى أيقونة والدة الله « تعالى الله عن الوالدة والولد » وجنا أمامها بأقوى ما يكون من العبادة وقدم نفسه للسيد المسيح بواسطتها وخصص حياته لخدمة الابن ووالده المجيدة وأعداً ابائهما بكل نشاط نفسه أنه يحبه هما خدمة دائمة. وفي انتهاء صلواته هذه سمع صوتاً عظيماً وتنازل المكان الذي كان فيه وانكسر كل زجاج التوافد حتى ان حائط المكان انشقق أيضاً وأظهر الله تعالى بذلك سروره بتقدمة عبده نفسه لخدمته عز وجل له »

وكأني باخواني المسلمين وقد انحكوا من هامة العجوبة ونظموها في سخط الخوارق التي سماها المتكلمون - ثلاثاً تلو قولته عز وجل « تكاد أن يمشقطن من منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هتاً. أن دعوا للرحمن ولداً وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولداً » ولكني أذكر لهم، ولا يمكن أن يعدوه خذلاناً. قال القس أفرام: « وقد شاء ابن الرجل الذي كان أغناطيوس مبعوثاً به أن يعرف كيف ينضى الليل فرآه مرة ساجداً متأملاً بوجه مائت مبتلياً بالدموع، ومرة أخرى أبصره مرتفعاً من على وجه الأرض وذاًماً بالبورق الشمسي متحدثاً وقائلاً: يا ابنى يا ابنى يا حييى قلمي وسرور نفسي لب الخج يعرّفك حتى لا يحصر أحد منهم أن يعظك. فيما أعظم جودك ورحمتك لآنك تحتل حظاً مني » وكأني بهم يقولون إن هذه رواية آحاد أو ولدان لاية تبينها في هذا القاموس ان تحت: « أتى أرضى هذا القول بشرط أن لا يقبل قائله، مثل هذه الروايات الأحادية عن صالحى فدعاه لأن ساجداً على خلاف سنن الكون لا يقبل إلا بالمداني القاطع الذي لا يقبل القس كسجرات الايا يعلمهم السلام ومن قيل هذه العجوبة من نفس القديس نفسه التي كان يرويها عن سلطان الكنيسة لآكرام مريم العذراء الالهية رأى تحت حوارق القديس أغناطيوس في رؤيا تفرقة وعجزه جيد حتى انه لم يقار في ذلك النهار كله ان يكف عن ذرف

الدموع ولم يتكلم الا عن التالوث الافدس بنوع جلي سام بحيث كان يذهل بخطابه عقول أجل علماء اللاهوت مع انه كان لا يعرف حينئذ الا القراءة والكتابة. ومرة أخرى رأى في القداس حقيقة وجود جسد المسيح ودمه في القربان للقدس اياه: ولهم أن يقولوا في الكلام اللاهوتي الذي قاله من غير تعلم انه ليس من الخوارق لأن الاذكياء اذا توجهوا الى شيء واعتصموا به فلا يبعد أن يقولوا فيه قولاً غير متظر ممن في درجاتهم العلمية وليس في درجاتهم العقلية. ثم اننا لا نعرف ما هو ذلك القول لحكم أنه محل الاعجاب في الجملة فكيف نحكم بأنه علم لدني الهي جاء بغير تعلم وربما كان في الواقع خطأ. نعم أن أهل العلم والمقل من المسلمين يقولون هذا ولكن فينا كثيراً من المدعين للولاية ليس لهم كرامة الا الأقوال التي يسمونها علوماً لدنية وما هي الا من اللغو والجهالة ومنهم دجال الزقازيق الذي يدعي أنه يفسر القرآن بالإلهام ويعتقد صدقه الجمل التفسير فيصدونه من كل جانب بالهدايا والتذورات مثله كثير. وأما رؤية جسد المسيح ودمه في القربان، فهي دعوى بغير برهان. ومثل ذلك دعوى ظهور الشيطان له بزي ملك الثور وحته على الرياضات والعبادة ليصرفه عن العلم عندما قلل العبادة واشتغل بالعلم (قالوا) ولكنه صرفه ولم يتجدع. ولكن عندنا مثل هذه أيضاً فقد ذكروا ان الشيطان ظهر للشيخ عبدالقادر الحلي بصورة توراتية وقال له انه رفع عنه التكليف فصرفه عبدالقادر وقال: اخساً ياملعون: فمذ ذلك تحول الى ظلمة وقال له نجوت مني بعلمك يا عبدالقادر واتي قد قننت بهذه الحيلة كفا من العبادة وذكر عدداً كثيراً

ومن عجائب اغناطيوس وخوارقه التي دونوها انه عند ما رجع من القدس الى أوروبا طلب من ربان سفينة «الربان رئيس الملاحين» أن يحمله الى ايطاليا جاً في الله فأبى وحمله ربان آخر فانكسرت سفينة الذي أبى ونجت سفينة الذي حمله. ومثل هذه أنه رأى مرة جماعة يلعبون «فطلب منهم الصدقة» فنظر اليه واحد من الجمهور وهتف قائلاً نحو القديس: ليحرقني الله حياً ان كان هذا الرجل لا يستحق أن يحرق حياً. وفي ذلك النهار عينه حضر فرجة دنوية مبهجة وكان واقفاً على برميل منبلي باروداً واذا بشرارة ملتهبة وقعت على ذلك البرميل فاشتعل البارود حالاً وأحرق الرجل حياً. وبجيلة أخرى من هذا القبيل وهي انه لما جمع [ينسى] بأمره الرهبان في مكان ليقرأ عليهم قوائمه التي وضعها لهم وذلك بعد الخروج من المائدة واجتمعوا انهم

الرواق الذي كانوا يتذاكرون فيه بعد الأكل ولولا هذا الاجتماع لانهدم عليهم الرواق . وههنا يقول القارئ ان هذه الوقائع هي التي تقامها الكثيرون وغندوها بحجة متواترة وما هي بحجبه وانما هي وقائع حدثت بأسبابها وكان حدوثها بعد ما ذكر من باب المصادفة والاتفاق لا أن سر القديس كان سبباً في حدوثها . ومثل ذلك يتفق لكل أحد ولكن الناس لا يلتفتون الى هذه المصادفات الا اذا كان هناك من يعتقدون صلاحه . وهذا القول صحيح وهو يصدق فيما يتفقد قومنا من مثل ذلك عن مصقديهم من الأحياء والأموال .

ألم يقل كثير من الناس ان الشيخ محمداً عبده تهم في المسألة المرابية وحبس وهو بري . لأن الشيخ عليشاً كان ناضباً عليه فكان ذلك كرامة لشيخ عليش . ولم يلتفتوا الى أن الشيخ عليشاً قبض عليه وحبس أيضاً ولم يقولوا ان ذلك كرامة للشيخ محمد عبده لأن الشيخ عليشاً سمع فيه وشاية وحاول إيذائه . وذلك ان الشيخ محمداً عبده كان مبهماً بالعقل والحكمة لأنه أول من قرأ في الأزمهر كتاب العقائد النسفية وبعض كتب المنطق والحكمة التي لم تكن تقرأ لتلك المهتم صارت تقرأ بعد ذلك بلا نكير . ألم يقل بعض الناس ان ابن الشيخ الضواهري أخذ شهادة التدريس لأن والده يخدم ضريح السيد البدوي فلك كرامة للسيد ؟ وقد أخذ مثل هذه الشهادة كثيرون ولم يعد ذلك كرامة لأحد . بل قال بعض الخلق في هذه الايام ان الشيخ علياً البيلوي صار شيخاً للأزمهر بسبب سيدنا الحسين (عليه ارضى والسلام) لأنه كان خادماً للمسجد الذي فيه الضريح المنسوب له ! وقد خدم هذا المسجد غيره ولم يكافئهم سيدنا الحسين بهذه المكافأة ونال مشيخة الأزمهر كثيرون لم يخدموا المسجد الحسيني فلم يعد ذلك من الكرامات وخوارق العادات !!!

ذكرينا هذه الشواهد المتعلقة برجال معروفين من أهل الطبقة العليا في المسلمين ويعرف كل واحد من الناس . الا يحصى من أمثال هذه الشواهد التي يالهج بها الناس في كل مكان . وهي عندهم أقوى من كل برهان ، بل أقوى من الحس واليمان والإحساس والوجدان . بل هي ركن الاسلام والإيمان ، ويحشى بعض الخواص من تشكيكهم فيها ان يرقوا من الدين ويتفكروا من جماعة المسلمين . وقد نقانا ههنا الرأي فيما سبق من بعض كبار الشيوخ وهو انه يجب تدني في بيان الحق في مسألة الاعتقاد بالأولياء والتمسك بالمنافع ودفع المنار من أصحاب الثبور وجعل ذلك تدريجياً

لقد نفعنا هذه المادة العامة الثمين لا يعرفون من دلائل الدين غير ذلك . وقد تقدم في مقالات البحث في آيات الكرامة وسنذكر في الجزء الآتي الحق الصريح الذي ينبغي ذكره للناس في المسألة وبيان منافع هذا الاعتقاد ومضارّه ووجوه تأويل ما ينقل عن جميع الأمم من الخوارق فلا يجعلن القارىء المغرم بهذه المسائل بالحكم حتى يقر المقالة الآتية مفصلة تفصيلا

﴿ باب الأسئلة والاجوبة ﴾

سلك ومساكن عبد الله بن سلام (س ١) ا. ز. ع بالسويس : سأل عبد الله بن سلام النبي صلى الله عليه وسلم قبل إسلامه وكان اسمه أشياويل القأ وأرسلته مسئلة وأربع مسائل من غوامض التوراة أذكر منها سؤالاً نصه « أخبرني أين تمعد المالكين من العبد وما قلمهما وما لوجهما وما مدادها؟ فقال صلى الله عليه وسلم : مقمدها بين كتفيه وقلدهما لسانه ودواتهما ريشه ولو جهما فؤاده يكتبان أعماله إلى عمامة : فقال صدقت يا محمد الخ . وقرأت حديثاً في بحجة مكارم الأخلاق الإلامية أتى به أسؤال عنوانه | انقضاء والقدر | وهذا مناد « كل يوم ينزل على العبد كتابان مع كل منهما صحيفتان إحداهما بيضاء والأخرى مكتوب فيها أعمال العبد من حسنات وسيئات فيكتبان في الصحيفتين البيضاوين ماعمله طول يومه حتى اذا انتهى الى طائفة الملائكة الصحيفتين كتباهما على الآخرين فيجد أنهما مثل بعضهما حرقاً بحرق الخ فهذان الحديثان ينفي أحدهما الآخر ففي الأول إن لوجهما فؤاد العبد وفي الثاني انه صحيفتان ينزلان بهما فترجاء الافادة هديتم للهدى .

(س ٢) كل من الحديثين غير صحيح ولا يجوز لكم أن تأخذوا بحديث تروونه في كتاب أو مجلة أو جريدة إلا اذا كان موصولاً بذكر من خرج من أئمة الحديث حتى تسهل مراجعته ومعرفة صحته من عدمها أن لم يذكر مخرجه ذلك ولم يكن في الصحاحين . وهذه التهمة انقضاء في سائل عبدالله بن سلام المذكورة في خريدة المسجيات - حجة الكذب - قصة موضوعة والذي في صحيح البخاري أن عبدالله بن سلام سئل النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن ثلاث عن أول الساعة وعن أول النهار وعن أول الليل عن التوراة يترزع الى أبيه وأمه . والرواية هكذا في غير البخاري من كتب الحديث وفي كتب التفسير قالوا وكان اسم ابن سلام الحسين فلما أسلم سماه

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عبدالله

﴿ ماروي في الإسراء . مستقر الأرواح . عذاب القبر ﴾

(س ٢) منصور أفندي رفعت بمصر : ماذا رأى نبينا محمد في ليلة الإسراء ؟

(ج) « لقد رأى من آيات ربه الكبرى »

(س ٣) ومنه : أين تستقر أرواحنا بعد الممات ؟

(ج) لم يرد في هذا نص صريح قطعي والعلماء مختلفون فيه والراجح عندنا اتباع طريقة السلف في تفويض الأمر الى الله تعالى في الأمور الغيبية وعدم البحث فيها وحسبنا ان ما ورد جائز عقلا وقد أخبر به المعلوم

(س ٤) ومنه : ماهو عذاب القبر النصوص عنه وهل هو عذاب مستمر أو وقتي وهل يقع على الروح فقط أو الجسم فقط أو كليهما ؟

(ج) الإحساس بالألم أو اللذة من شأن الأحياء والجسد لأحيائه إلا بالروح فإذا كانت الروح في الجسد ووصل اليها الألم بواسطة يسمح أن ينزل ان هذا الألم ألم بالروح والجسد وان كان الشعور للروح وحدها . وإذا كان الروح خلقاً مستقلاً مدركاً كما نعتقد فلا شك أنه يجوز أن يدركه الألم في حال تجرده كما كان يدركه في حال تقيده بالجسد فلهذا أن قول العلماء: إن عذاب القبر — أي الألم الذي ينزل بالإنسان بعد الموت وان لم يقبر — يكون على الروح والجسد: يتضمن القول بأنه يبقى للروح بعد الموت علاقة واتصال بمادة الجسد الذي كانت فيه وان تفرقت هذه المادة والنحو الى أجسام كثيفة ونغازات دقيقة . وينتظم هذا القول أحد أمرين إما عدم فناء مادة الجسم وإما انقطاع العذاب بفنائها . والمشهور عن المتكلمين الأشاعرة ان الجسم ينعدم على الراجح كما قال اللقاني

وقل يُعاد الجسم بالتحقيق عن عدم وقيل عن تفريق

والقول بالتفريق أي بعدم تلاشي مادة الجسم هو الراجح عند متكلمي المعتزلة وبعض الأشاعرة وهو الموافق لرأي الفلاسفة القائلين باستحالة العدم . والراجح عندنا ما قلناه في جواب السؤال السابق من تفويض أمر عالم الغيب الى عالم الغيب سبحانه وتعالى

تأثير العین (س ٥) أحمد أفندي بن الكاتب بمحكمة شين الكوم في

القرآن وغيره من كتب الشرائع والديانات وكذا الامثال قديمة وحديثة ما أثبت وبرهن على وجود العین الحاسدة وتأثيرها في المحسود فارجو بيان حقيقة تلك المؤثرات التي تخرج

من العينين أو القلب وكيفية تأثيرها في المحسود من جاد ونبات وانسان بطريقة شرعية (ج) ليس في القرآن الكريم ما يثبت العين ولكن ذكر المفسرون مسألة العين وجهها في تفسير قوله تعالى « وان يكاد الذين كفروا لِيُزِلُّوكُمْ بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ » والمعنى المتبادر أنهم كانوا ينظرون اليه نظراً الغيظ والحق وفي آية أخرى في المنافقين « ينظرون اليك نظر المفشي عليه من الموت » نعم قد ورد في حديث الشيخين وغيرها « العين حق » أي أمر ثابت عند الناس وواقع فيهم ولم يرد في بيان كيفية تأثير العين شيء في الشرع وإنما ورد ما يدل على أنها تؤثر ولا حاجة في فهم هذا التأثير الى أكثر من المعرف المشهور فان لبعض الناس استمداداً نفسياً قوياً في التأثير ولبعضهم مثله في التأثر ومن ذلك صناعة التوبم المغناطيسي المعروفة عند الغربيين . وانتقال مطلق التأثير من نفس الى نفس معهود في جميع الناس أو أكثرهم عقل من ينظر صاحب تأثر شديد بحزن أو خوف الا ويجد في نفسه أثراً من ذلك

المسألة المأمونية (س ٦) شيخ العرب ابراهيم جاجي بالسعدين : رجو من سيادتكم أن تفيدونا عن المسألة المأمونية التي سأل الخليفة المأمون مجي ابن أكم عنها حين ولاد القضاء ماهي وما جوابها

(ج) المسألة المأمونية مسألة في الفرائض وهي أبوان وابنتان لم تقسم التركة حتى ماتت إحدى البنات وتركت من في المسألة . وقد سأل المأمون عنها مجي عند ما وُدف له وأراد توليته القضاء فقال : يا أمير المؤمنين الميت الأول رجل أم امرأة؟ فعلم المأمون من هذا السؤال أنه قد فهم المسألة لأن الاشكال فيها كان من ابهام الميت الأول الذي مات عن أبوين وبنتين . وبيان الجواب أن الميت الأول اذا كان رجلاً تصح للمسألتيان من أربعة وخمسين وان كانت امرأة لم يرث الجسد في الثانية فتصح المسألتيان من ثمانية عشر

﴿ وصية بطرس الأكبر قيصر روسيا ﴾

(نشر هذا الوصية تمهيداً لمقال سنكتبه في فترة مكثنا في روسيا وحال الدولة العلية وروسيا وأوروبا)
المادة الأتي -- من اللازم أن تقاد المساكر دائماً الى الحرب وينبغي للامة الروسية أن تكون متمادية على حالة الكفاح لتكون اليقة الوغى . وترك وقت لراحة المساكر أو لأجل اصلاح المالية وتوفيرها وان كان ضروريا يلزم معه ان يكون تنظيم العسكرية

متعاقباً وتكون مراقبة الوقت الموافق للهجوم متصلة - وعلى عمدة الدولة ينبغي لروسيا أن تتخذ زمن الصلح والأمان وسيلة قوية للحرب وهكذا زمن الحرب الصلح وذلك لأجل زيادة قوتها وتوسيع دائرة منافها

المادة الثانية - في وقت الحرب ينبغي اتخاذ جميع الوسائل الممكنة لاستجلاب ضباط الجنود من بين الماني والأقوام الذين هم أكثر علماء منافي أوروبا وكذلك في زمن الصلح يتمين استجلاب أرباب العلم والمعارف منهم أيضاً وبالرغم الاعتناء بما يجعل الأمة الروسية تستفيد من منافع سائر المستنك ومحسناتها بحيث لا يتيسر فرصة لتسهي في تحصيل المحسنات المخصوصة عند كبرك

المادة الثالثة - عند خروج القرم من يد روسيا ينبغي أن يندس في جميع الأمور والمصالح الجارية في القرم وفي استسلامها وقت السلم وعلى الحكومة في شؤون ممالك المانيا الممكنة لا يستعمل إلا ما يلائمها من غيرها



المادة الرابعة - يانيس أرمينسكيه وبغير الرخصة لأجل أعماله الأدبية والمجاهدة والحسد دائماً في ما غلبه من ممالا في كرمه من تلك الأعمال التي لا يسهل على المال واكتساب النفوذ في نجار الحكومة حتى تمكن من المداخلة في شئون الملك وبعد الحصول على عهد من هو من روسيا روسيا من تلك الأمة ينبغي عند دخول عساكر روسيا في البلاد لا احتلال بل تقسيم والمصعب لهم الاحتلال الذي ذكره المذكورة في مضمونها التي لا ينبغي أن يفسد لأنه ذووها ممالا الذين لا ينفوا وعند ما أسهر بحجبه في ذلك من طرفه وبذلك الدولة فلا جلي اتحاد قار القارة هو قنا ينبغي أن تتسلم جميع ممالا التي كانت في القرم ولا تخرج من يديهم التي تكون قد أعطيت لهم

المادة الخامسة - ينبغي الاستعداد في بعض الجهات من ممالك أسوج بقدر الإمكان ثم نسي في اعتناء وحين ذلك يجب أن يتهيأ في تلك الأيونية من طرفه في ذلك الدولة التي لا ينبغي أن يفسد لأنه ذووها ممالا الذين لا ينفوا وعند ما أسهر بحجبه في ذلك من طرفه وبذلك الدولة فلا جلي اتحاد قار القارة هو قنا ينبغي أن تتسلم جميع ممالا التي كانت في القرم ولا تخرج من يديهم التي تكون قد أعطيت لهم

المادة السادسة - ينبغي أن يتهيأ في تلك الأيونية من طرفه في ذلك الدولة التي لا ينبغي أن يفسد لأنه ذووها ممالا الذين لا ينفوا وعند ما أسهر بحجبه في ذلك من طرفه وبذلك الدولة فلا جلي اتحاد قار القارة هو قنا ينبغي أن تتسلم جميع ممالا التي كانت في القرم ولا تخرج من يديهم التي تكون قد أعطيت لهم

المنافع اذ بهذه السورة يمكن اجراء نفوذهم في داخل المانيا ويربطون أيضاً الممالك المذكورة لجهة منافقنا ومصالحنا

المادة الرابعة - ان دولة انكلترة هي الدولة الاكثر احتياجاً اليها في امورها البحرية ولهذا الدولة فائدة عظيمة جداً أيضاً في أمر زيادة قوتنا البحرية فلذلك كان من الواجب ترجيح الاتفاق معها في أمر التجارة على سائر الدول وبيع حاصلات ممالكنا كالأخشاب وسائر الأشياء الى انكلترة وجلب الذهب من عندهم الى ممالكنا واستكمال أسباب الروابط والصلات الدائمة بين تجار وملاحى الطرفين فيتوسع بهذه الوسيلة أمر التجارة وسير السفن في ممالكنا

المادة الخامسة - على الروسين ان ينشروا يوماً فيوماً شيئاً في سواحل بحر البaltic وحواليها في سواحل البحر الأسود

المادة السادسة - ينبغي التقرب بقدر الامكان من اس انبول والحد وان من القضايا المسالمة ان من يحكم على استانبول يمكنه حقيقة ان يحكم على الدنيا بأسرها ان من اللازم احداث المحاربات المتتابعة تارة مع الدولة النمانية وتارة مع الدولة الروسية الاستيلاء على البحر الأسود شيئاً فشيئاً وذلك لاجل انشاء دور صناعات بحرية فيسهل الاستيلاء على بحر البaltic أيضاً لانه خير موقع لحصول المقصود والتعجيل في ذلك بل بمحور دولة ايران لتتمكن من التوسل الى خارج البصرة وربما تتمكن من المادة لتجارة الممالك الشرقية المتديعة الى بلاد الشام والوصول منها الى بلاد الهند التي هي بمثابة مخزن للدنيا وبهذه الوسيلة نستغني عن ذهب انكلترة

المادة السابعة - ينبغي الاهتمام بالحصول على الاتفاقي والاتحاد مع دولة اوستريا والمحافظة على ذلك ومن اللازم التظاهر بترويج افكار الدولة المشار اليها من جهة ما ينبغي اجراءه من التموز في المستقبل في بلاد المانيا واما الباطن فينبغي لنا فيه ان نسي في تحريك غرور حسد وعداوة سائر حكام المانيا لها وتحريك كل منهم لطلب الاستعانة والاعانة من دولة روسيا ومن اللازم اجراء نوع حماية للدول المذكورة بصورة يتسنى لنا فيها الحكم على تلك الدول في المستقبل

المادة الثامنة - ينبغي تحريض العائلة المالكة في اوستريا على طرد الاتراك وتعبدهم من قطعة الرومي وحينما نستولي على استانبول يجب علينا ان نسلط دول اربوا القديمة على يده وسترينا لتأخذها حرباً او نساكن حسداها ومراقبتها لئلا تعطأها حصص صغيرة من

الاماكن التي تكون قد أخذناها من قبل وبمدنك نسبي بزغ هذه الرحمة من دها
 المادة الثانية عشرة — ينبغي ان نستعمل أيضا جميع المسيحيين الذين هم من
 مذهب الروم النكرين رئاسة البابا الروحية وكالتشرين في بلاد المجر وبلاد العثمانيّة
 وفي جنوبي ممالك (له) واندجهم الى ان يتخذوا دولة روسيا من جماعهم وبعدهم ومن
 اللازم قبل كل شيء احداث رئاسة مذهبية حتى تتمكن من ايجاد نوع من الحكومة
 الرهبانية عليهم فنسبي هذه الوسيلة لاكتساب أصدقاء كثيرين ذوي نفوذ نستعين بهم
 في كل ولاية من ولايات أعدائنا

المادة الثالثة عشرة — حينما يصبح الاسوحيون مشتتين والاربايون مغلوبين
 واللاهيون محكومين والممالك العثمانية مضبوطنا أيضا نجتمع مع مسكراتنا في محل
 واحد مع المحافظة على البحر الاسود وبحر الباطريق بقوتنا البحرية وعند ذلك نختطف
 أولا لدولة فرانسائية فثلاثة حكومات الدنيا بأسرها يتناهم لدولة اوستريا ويمرض
 ذلك على كل من الدولتين المشار اليهما كما يتناهما على حدة بصورة خفية جدا لقبول
 ذلك واذا كان لا بد من ان احدهما تقبل هذه الصورة فعند ذلك ينبغي مداورة
 واحترام كل منهما ونجعل من ثقتنا قايما بما عرضناه عليهم واسطة لتسكيل
 الاخرى. واذا تكون دولة روسيا حينئذ قد استولت على جميع الممالك الشرقية ويكون
 مثل ذلك أعظم قطع اروبا حديث الدخول في يد تصرفها ففنده يسهل عليها أن تقهر
 وتتسلل فيما بعد أية دولة بقيت في الميدان من الدولتين المذكورتين

المادة الرابعة عشرة — على فرض الحال ان كلا من الدولتين المشار اليهما لم تقبل
 بما عرضته عليهما روسيا فينبغي حينئذ لروسيا ان تصرف الأفكار لمراقبة ما يحدث
 من النزاع والخلاف بينهما فاذا وقع ذلك فلا بد أن أحد الفريقين يشترك مع الآخر
 ويضمف كل منهما وفي ذلك الوقت يجب على روسيا أن تنتظر الفرصة العظيمة وتسوق
 حالا مسكراتها المجتمة أولا بأول على ألمانيا فتهجم على تلك الجهات ثم تخرج قسمين
 كبيرين من السفن أحدهما من بحر أزق المملوء بالساكر الوافرة المجتمة من أقوام
 الاناضول المتنوعة والثاني من ليمان ارخانكل في البحر المتجمد الشمالي فتسير
 هذه السفن وتغر في البحر الابيض والبيجر المحيط الشمالي مع الاسطول المقيم في
 البحر الاسود وبعر الباطريق وتهجم كالسيل على سواحل فرانسائية وأما ألمانيا فانه تكون
 اذ ذلك مشغولة بحالها. وبما ذكرناه تصبح الممالكتان الواسعتان المذكورتان مغلوبتين

على هذا الضرورة فالبدعة التي تبقى من أوروبا تدخل بالطبع تحت الاقياد بسهولة
و بدون تمارة واتدير جميع قطعة أوروبا قابلة للفتح والتسخير

أَنَّكَ عَلَى الْبِرِّ سَيِّدٌ

باب التقرير

(أحسن الكلام . فيما يتعاقب السنة والبدعة من الأحكام)

سبعا بأن أحد أعضاء المحكمة الشرعية العليا يصدر ألف كتاباً أو رسالة وإنما
توزع على جميع المحاكم الشرعية ، على حين . أدوات الشرع بأن فتشرفت نفوسنا
بلاطلاع عابها فلانين أنها في اصلاح هذه المحاكم التي يشكو الناس من سوء سيرها
، من أن يتحضر نسخة منها ، هي كراسة الشيخ محمد بن محمد بن المشهور في مسائل
اختلاف الناس فيها هل هي بدعة ينبغي تركها أم لا وقد مهد المؤلف لها بكلام في السنة
والبدعة ، أما المثال فلهذا وقد تبين في تقريرنا التي اعتادها المسامون في المساجد يوم
الجمعة وكذلك قراءة سورة الكهف في المسجد الجامع عند اجتماع الناس لصلاة
الجمعة ، والقيام في صلاة الجمعة ، والولد ، وفضائل ليلة النصف من شعبان ورفع
أصواتهم في صلاة الجمعة ، و غير ذلك ، وقد كان شيخ الجامع الأزهر السابق الشيخ
-إمام البصري- قال عن الترقية ، ما في معناها فافق ، بأنها بدعة تجتنب ولكن ديوان
الأول ، والذين لا يفتون على المناسبات ، هم هذه الفتوى لأن السلطة الإدارية
لا تكون إلا للذين هم رجال الدين ، ان كان رئاسة من قبله من قبل رئيسها ، وفي الكراسة
على سمرها فوجدنا كثيرة منها ما يسلم ومنها ما هو متفق ، وما كان المؤلف من كبار علماء
الأزهر ، كقول مني كلامهم وجب علينا الاعناء بكلامه والبحث فيه فنقول
ذكر المؤلف مدسرة الأئمة التي كتب رسالته جواباً عنها أن الأصل في الأحكام
الشرعية الكتاب والسنة والاجماع والقياس الصحيح وأن كل ما استند الى أصل من
هذه الأسوا فهو حكم الله ورسوله ، وأن كل من لم يكن مأخوذاً من واحد منها فهو
بدعي ، وإنه واحداً ما ليس من الدين فيه ، قال : وليس كل ما لم يفعل في عهد
صلى الله عليه وسلم بدعة شرعية ، ودومة بل اذا حدث فعله بعد زمنه عليه الصلاة

والذي لم كان بدعة شريفة وحياة أمرتها الأهل الخمسة
 ونقول ان ما ذكره هو المعروف عن العلماء وذاكره ابن حجر في فتاواه الحديثة
 وسبقه الحفاظ في السابقه لجمال محتاج الى ان يكون هو ان ما حدث به مدرسين
 ان كان داخلا فيها لا قياس ولا اجتهاد فيه كالأموال الاعتقادية والمالية فهو
 وضلالة قطما لاسيما اذا اتخذ شامرا دينا أو الاخبار لنا ان تزيد في الدين عبادات وادوات
 كثيرة يعرف بها التمام وهي مما لم يعرف عن الله ورسوله وما جاء في القرآن
 نسميها بدعا مستحسنة . فاحفظ القارى هذا

وكما انتقدنا الإجمال في هذا الموضوع فنقد فيه التعليل فقد مثلوا بدعة
 المخالفة للأدلة القطعية بالقول بفرضية المسح على الرجلين دون غيرها من بدع
 فنقص الكتاب . وما جاء في الكتاب ليس مما نحن فيه بل هو ما قيل في قوله
 تعالى « وامسحوا برؤوسكم وأرجلكم الى الكعبين » على قراءة التمام في قوله
 ابن كثير وحزرة وابي عمرو وعاصم أي أكثر السبعة (ظاهرا في وجوب المسح
 وأنتك أوله العلماء اثنان بعد ذلك كتفا . مسح بالخرق في الرجلين . ثم
 وقد رده القائلون بالمسح بأنه قد عدلنا لأنه لا يرد الا شاذ في الأمر الذي يقتضيه
 مالا يقتضيه غيره . وكان الورع أنه على شئ منه ثم رد بالمطلب كفي في قوله
 يشترط فيه الأمن من الناس ولا أمن هاء بكلام الله المعجز ببلاء غيره عن السوء
 والالتباس . وتأويل قراءة العصب بالفتح عن التعليل أقرب من قوله الأول . ثم
 ان الفصل مسح وريته وريته في سنة التصحيفة وعيد الجماهير الا انهم
 أحوط ولكن هذا كله لا يصح تعليل المؤلف بأن التواضع في الصلاة
 لمخالفة نص الكتاب .



ثم ذكر البدعة شكره ووعدها منار خرفة المساجد سير التبعيد . الفاتحة وقال
 كما قال ابن حجر « ولا كانت من القسم الأول » أي المحرم . ثم ذكر البدعة الواجبة
 فقال « وتارة يكون بدعة واجبة كاحب الأدلة للرد على أهل الفرق الضالة وتعام
 العلوم التي يتوقف عليها فهم الكتاب والسنة . ولا أدري كيف سماعهم عند نصب
 الأدلة للرد على الفرق الضالة من البدع وانقر أن الكريم طافح . ثم الأدلة في ان
 التكلمين سلكوا فيها غير سلك القرآن . فبغيرهم في الأدلة النظرية المحضة وأكثر
 أدلة القرآن مستندة الى المحسوس . ولكن الإتيان بأدلة جديدة لا يعني أن يكون

أصل نصب الأدلة بدعة فان البدع والبدعة في اللغة ما كان على غير مثال سبق
 ثم طفق يستدل على أن البدعة تنقسم الى الاقسام المذكورة فذكر أموراً متقدمة
 أولها إخراج الصحابة اليهود والنصارى من جزيرة العرب وأنها قتالهم غير العرب من
 الكفار . والثاني منصوص في الكتاب والأول جاءت به السنة . أخرج أحمد ومسلم
 وأبو داود والترمذي والنسائي وابن حبان والحاكم من حديث عمر « ان عشت
 لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أترك فيها الا مسلماً » وأخرج
 الترمذي والحاكم من حديثه أيضاً « ان عشت ان شاء الله لأخرجن اليهود والنصارى
 من جزيرة العرب » وأخرج أحمد وأبو يعلى في مسنده والحاكم في الكنى وغيرهم
 عن أبي عبيدة قال : آخر ما تكلم به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « أخرجوا
 يهود الحجاز وأهل نجران من جزيرة العرب وأعلموا ان شر الناس الذين اتخذوا
 قبور أنبيائهم مساجد » . وأخرج أحمد من حديث عائشة « لا يبقى في جزيرة العرب
 دينان » وبقيت أحاديث بمعنى ما ذكر

وقد أحسن المؤلف في قوله : « نعم ما تركه النبي صلى الله عليه وسلم مع وجود
 مقتضى لفظة كان تركه سنة وفعله بدعة مذمومة ولذلك كرم أصحابه عليه الصلاة
 والسلام التركم الركنين الشاميين والصلاة عقب السجى بين الصفا والمروة برشد النبي صلى الله
 عليه وسلم لذلك مع أنه كان يعلم المنايا للناس » تقول وكذلك يقال في جميع العبادات
 والشعار الدينية لأنها مبنية على الاتباع المحض ولا مجال لاجتهاد الناس فيها .
 زعمنا يختلف باختلاف الزمان والمنكافيه . يقدم ايضاً هذه المسألة في غير هذا الجزء من المنار
 هذا ما نقوله في تمهيد هذه الرسالة ولما قول آخر في المسائل المتصودة منها بالذات

ترجمه للجزء الآتي

الاسلام في عصر العلم — صدر الجزء الثاني من هذا الكتاب وهو مؤلف من
 أربع كراسات [كل كراسة ١٦ صفحة صغيرة] الأولى في الفصل الأول من الباب الأول
 من مبحث الإنسان وهو في معرفة الإنسان نفسه . والثانية في تمهيد للمبحث في حياة
 النبي صلى الله عليه وسلم . والثالثة في البحث عما وراء المادة وعظيم شأنه عند علماء أوروبا
 المشتغلين بمسألة استحضار الارواح . والرابعة في ملحق الكتاب الموضوع للمبحث في
 داء الأمة ودوائها . وقد استقر المؤلف ان يصدر في كل جزء كراسة من كل باب من
 أبواب الكتاب لئلا يطول على القراء الكلام في المقدمات فيملأوا

وهاهنا تذكر رأياً رآه غير واحد وهو ان المؤانث الذي عنى أشد العناية بجميع أقوال الباحثين في استحضار الأرواح ويرى أنها الذريعة الوحيدة لاثبات الثبوت ينبغي له ان لا يكتفي بالاطلاع على أقوال المثبتين لهذه المسألة وتعريضها بل الذي ينبغي له هو أن يشتمل بالمسألة عملاً ويثبتها بالتجربة والاختبار طريق العلم في هذا العصر وعسى أن تنهض به الهممة الى السفر الى أوروبا والاجتهاد بتحقيق هذه الامنية . وههنا نريد الترغيب في الاقبال على كتابه مساعدة له على هذه الخدمة

مذهب نواستوي - كتاب باللغة الروسية عن به سلیم افندي فيعين وهو « يحتوي على مختصر ترجمة الفيلسوف نواستوي وآدابه ، فلسفته وآرائه الدينية وحرم الحج المقدس وأعتراضه واحتجاج زوجته على مذهبه ون الحرم ثم ردود رجال الدين الروسي على آرائه الدينية [مزينا برسه] » وقد طبع الكتاب على نفقة إبراهيم افندي فارس مساحبة المكتبة الشرقية بمصر واهدانا نسخة منه ولما تمكن من مطالعته ، ويعلم القراء ان للنيلسوف نواستوي يدأ في الحركة العلمية في بلاد روسيا ولذلك كان هذا الكتاب جديراً بأن يقرأ وهو يطلب من المكتبة الشرقية

أخبار الجبل الأنا

(فكاهة بدوية . في أخبار البلاد العربية)

فكاهة الفراء بعض كتاب أرسله بدوي نجدي الى مثله من الجديدين الذين يختلفون

الى هذه الميادين للتجارة ونحوه:



« ورد علينا جواب من عيسى ويذكر فيه بأن ابن سعود كان على ابن سبهان وابن حراد على النبي و منهم سبعة أسلاف من بني عروب وقاطون وصالوات و منهم قطع و منهم جميع ذرية ابن وشيد و منهم من سلم منهم زين بريدة بن ربيعة نازل في اليمن و منهم جده بن سبيل و يذكر ابن سبيل بن سبيل بن التميمي منهم قيمة ٢٠٠٠ طول نازل نيلسان وجابر ابن سراج و منهم نفي التميمي هذا الذي ورد علينا والتكون في ٢٨ شوال »

(تفسير الغريب) ابن سبهان . وابن جراد قائدان من قواد ابن رشيد والتقى واد
 في أرض القوم . والاولاف الغلائق الذين يتقدمون الجيش وله أصل في الفصيح
 قال في الأساس . وسام القوم تقدموا . لوفاء وهم سلف ابن ورائهم وهم سلاف
 الصكرة وحروب يريد به طوائف من بني حنبل وعلى هذا النحو جمع حيطان وصليلة .
 والذخيرة مؤنث الذخر بمعنى الذخيرة . وقوله « زين بريدة » اي لجأ اليها وهي قرية
 من قرى القصيم الكبيرة . والزين في اللغة الدفع ومنه سمي الشرطة واعوان النار
 زبانية لأنهم يدفعون الناس ويدعؤونهم وجاء في كلامهم « تحت جمل زين المطي بمنكيه »
 أي يربطها . كأن البدوي هنا يريد أنهم لجأوا الى بريدة مدفوعين بقوة اعدائهم .
 والخفر بين البصرة وبادية نجد ثم يتقارون . وشكل سار الى جهة الشمال . وفي الفصيح
 شاملي من أعلام بلاد الشمال والبطان . وقال لنا من ارسل اليه الكتاب : الصواب
 البيطانيات . سبناه يزلون علي في شبه الدهماء والذلول الناقه المذلة عربية فصيحة .
 « الساحة بالفتح من الكويت وهي مذوبة الى ابن صباح » وجار هذا هو ابن
 ميرزا الصباح شيخ الكويت « والكون » يريد به الغزو الذي ذكره

❦ مشيخة الجامع الأزهر ونقابة الاشراف ❧

قضت إرادة الأمير بهزل الشيخ سليم البشري من مشيخة الأزهر وقد استشار نظاره
 هذه المرة في من يولي بدلا منه فكان لهم في كل واحد من كبار الشيوخ المرشحين من سموه لهذا
 المنصب عليه تحول دون توليته أيام حتى إذا رشح السيد الشيخ علي البيلاوي نقيب الأشراف
 ثقة واصلد فأصدر العزيز أمره بتوليته فهنته بهذه الثقة ونسأل الله تعالى أن يجعل
 أيامه أيام السلاخ يتقدم فيها الأزهر تقدماً مديناً . وان لنا مع هذا الدعاء رجاء فاننا
 ندها بالسيد الرفق وهو عنوان الخير والله يحب الرفق في الأمر كله كما في حديث
 عائشة عند أحمد والشيخين والنسائي وابن ماجه . وقال صلى الله عليه وآله وسلم
 « ما كان الرفق في شيء إلا زانه ولا نزع من شيء إلا شانه » زواه عبد بن حميد
 والرياء عن أنس . وأما الحرق « ضد الرفق » فان صاحبه يشغله الغرور عن الاحساس
 بالحاجة الى الاصلاح . وان لنا لعودة الى الكلام في الأزهر ان شاء الله تعالى
 ثم قضت ارادة الأمير بأن يعيد منصب نقابة الاشراف الى نصابه الأول وهو
 بكري الشهير فأمر بإعادة النقابة الى صاحب السماحة السيد محمد توفيق أفندي
 البكري شيخ مشايخ الطرق وكانت تحولت عنه من بضع سنين . وعهد الى ديوان الأوقاف

العمومية بالنظر في أوقاف الاشراف وإدارتها وكان النقيب هو الذي يديرها

﴿ مدرسة ماهر ﴾

كنا استبشرنا عند ما علمنا بأن المرحوم عثمان باشا ماهر أوقف أرضاً واسمها على إنشاء مدرسة إسلامية وتوهدنا بذلك تنوهاً حسناً . ولكن قد خاب أملنا في هذه المدرسة منذ علمنا أنه عين في الوقفية لكل معلم يعلم فيها راتب لا يزيد على أربع مئة قرش في الشهر وما كان لأحد يحسن التعليم أن يرضى بهذا الراتب في مصر وإنما قائد المدرسة بالمعلمين . واتفق كان الذي أشار بهذا التبعين هو الذي أحبط عمل الواقف بما جملة صورة بغير معنى . وإن هذا لمن البراهين المثبتة لرأينا بأن نجاح الأمة لا يعوزه المال وإنما يعوزه الرجال فللرجال كثير والرجال قليل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل ،

﴿ إصلاح حروف المطابع العربية ﴾

للحروف العربية شكل في الافراد وشكل في تركيب الكلمات بل أشكال فائدتها الاختصار فان الكلام اذا كتب بالحروف المفردة يشغل من مساحه الورق أكثر مما يشغله اذا كتب بهذا التركيب المنسوف وبهذا يفضل خطنا خطوط اللغات الأخرى ولكن له سيئه في الطباعة وهي كثرة أشكال الحروف التي تتألف منها الكلم وقد زاد هذه السيئه سوءاً واضعوا أشكال حروف الطبع فاتهم جعلوا أشكالها بضع مئين لأنهم جعلوا للحرف الواحد أشكالاً مفردة وأشكالاً مركبة مثنى وثلاث ورباع فبلغت أشكال الحروف في مطبعة بولاق الاميرية تسعمائة شكل وهي في غيرها من مطابع أوروبا والاستانة والشام أقل من ذلك ويزعمون أن كثرة الاشكال لحفظ جمال الخط العربي ولكننا نرى ان أكثر هذه المطابع أشكالاً أقلها جمالا .

وقد ارتقت الطباعة العربية في الاستانة والشام وقات أشكال الحروف الاستانبولية ووجدت هذه الحروف في مصر فحسنت بها الطباعة وصار طبع المطبعة الاميرية - وهي أشهر المطابع العربية في الدنيا - أجمع الطبع وان كانت لا تزال ممتازة بالتصحيح لذلك توجهت عنابة نظارة المالية الى اصلاح هذه المطبعة فألفت لجنة للبحث في طرق الاصلاح رئيسها ابراهيم باشا نقيب وكيل الداخلية وأعضاؤها الشيخ حمزة فتح الله مفتش اوقاف الشريعة في نظارة المعارف وشيخو بك نظار الطباعة الأهلية والجراند الرسبية وأمين سامي بك ناظر مدرسة الناصرية وأحمد ركي بك المكاتب الثاني لاسرار مجلس النظارة وكان عمل هذا النظر في اختصار صندوق الطباعة وتسهيل

جمع الحروف فاختبر حال المطابع العربية في الأستانة وأوروبا فوجد أن أقل المطابع حروف مطبوعه اكتسور وفي أكثرها فأكثر حروفها ٢٨٢ شكلا وبمد البحث والتدقيق انتهى إلى جعل هذه الحروف ١١٢ يضاف إليها بعض الحروف الأعجمية المستعملة في اللغات الشرقية التركية والفارسية والهندية والجاوية والماليزية وبعض المركبات والأرقام والعلامات التي لا بد منها فيكون ١٧٨ وقاته أن يضيف علامات العلوم الرياضية أيضا وذكر أن فوس في سنة ١٨١٢ تقابل أدوات الطباعة والاقتصاد في المال والوقت والمهارة والتسويق في قسم السطور . وقد كتب مذكرة في رأيه فقبلتها اللجنة وبحث نقاشه المباليه بخاتمة آلاف جنيه وتيف لتنفيذ الإصلاح وأهل الصناعة ينازعون في بعض الفوائد ولكنهم لا ينكرونها من أصلها وقد نزلوا إلى زعمهم أن هذا الاحتصار يذهب ببعض جمال الخط الذي يحفظ الطبع صورته بسبب حذف بعض الأشكال واستبدال المفضول بالأفضل ولو اتخذت المطبعة الأميرية سندوقا أو أكثر من الأشكال التي قضى بحذفها وخصصها بكتابة الماوين ورقاع الزيارة والدعوة ونحو ذلك لأحسن عملا . الاقتصاد في الوقت يظهر بادي الرأي ولعله لا يتم تجربة لأن الماهل يمد يد إلى الصندوق الذي كل حروفه مفردة بعدد حروف الكلمة وإلى ما فيه حروف مركبة أقل من ذلك . ومن الخبي أن الاقتصاد في ثمن الحروف لأن قلة الأشكال لا يقتضي قلة عدد الحروف . ولكن قلة الحروف مسهلة لتعليم جمع الحروف وسرعة التمرن بل هي مسهلة لتعليم القراءة والكتابة أيضا

﴿ تقييم المشتركين ﴾

زى القراء من الخاتمة الآتية أن استريد المنتار اتاننا ولكتنا لم نزد ثمنه الا قليلا بالنسبة الى خارج البلاد المصرية . فكل من قبل المدد الأول من السنة السادسة في المنتار المصري فهو بعد مشترك الى نهاية السنة ويلزم بدفع خمسين قرنا صحيجا . وقيمة الاشتراك في خارج المنتار ١٨ فرنكا وفي الهند ١٠ روبيا وفي روسيا ٧ ريبالات (روبل)

﴿ خاتمة السنة الخامسة للمنتار ﴾

قد تمت بهذا الجزء سنة المنتار الخامسة وكان انتشاره فيها فوق ما كنا نرجو ونتوقع فقد زاد عدد المشتركين عما كنا نقدر بالقياس على السنين السابقة زيادة سالحة تجاوزت عدد جميع المشتركين في السنة الأولى والثانية . ثم ان نمو المتنوي قد زاد أيضا واتضاع حزب التباطان المتلوض تضاؤلا او أهمل أهملالا وتنبه المسلمون الى

إنهم مجلة دينية تخدم ملتهم بحق كما إن لساير الأمم مجلات وجرائد دينية تخدم ملتهم
ومجلتهم المتفرقة. نعم صار المنار موضع ثقة العلماء والفضلاء والعامّة في بلاد العرب والمسلمين
وقد سبق القول بأنه صار يخطب به على المنابر. ويحتج به في المحاكم، ويتمادى عليه في
ردّ شبهات المعترضين على الدين، وإقامة حججه للمسترشدين.

أشرنا فيما سبق إلى شهادات بعض أعلام المسلمين العرب والمسلمين بالمصالح العامة كوزير
مصر الأكبر رياض باشا وكمحسن الملك بربر سيد من علماء مصر، ناظم مدرسة العلوم
في عليكنه (الهند) وبعض المجتهدين والعلماء في إيران وغيرها. وتقول الآن إن
المنار ظفر برضاء كبار شيوخ الطريقة أصحاب النفوذ الروحي. ونذكر كلمة لأشهرهم
في بلاد مصر والسودان وهو الشيخ علي الميرغني رئيس الطائفة المرغنية الكبيرة فقد
كتب إلينا في ٢٩ ذي الحجة الماضي كتاباً يقول فيه: «ويسرنا أن نبلاغكم مزيد
صرونا وارتياحنا لهذه المجلة القائمة بالخدمات الصادقة الجليلة للإسلام والمسلمين ونسال
الباري أن يكمل عمالكم المقيدون بالحق والصلاح»

ولا شك عندنا في أن هذا أثر الأخلص وحسن النية في العمل فهذه هي بضاعتنا
التي لا يرجع لنا في سواها والتي نرجو أن تكون مكفرة لجميع سيئات ضعفنا في العلم
والتحرير، وما يلزم عنهما من الخطأ والسرور، فإنا نتسبرأ من حولنا وقوتنا إلى
حول الله وقوته وهو نعم المولى ونعم النصير

كان ذكر تقرير الفضلاء عملنا محدثاً بنعم الله وشكره وأسباده الأختيار الذين بنوهون
بالمنار ويرغبون الأمة فيه نذكر انتقاد أهل الفضل مع التناء والشكر أيضاً لأن حاجتنا
إلى الأمرين واحدة إذ الفائدة واحدة وهي زيادة البصيرة في العمل. فإذا كان
رياض باشا يثني على المنار في غيبتنا على مسمع الملأ ويقول في محضه الخافئ: ينبغي
لكل ذي احساس ديني أن يقرأ المنار ويساعده: فهو يذكر لنا إذا خلونا به كل ما يراه
متقدماً وقد انتقد مما نشر في هذه السنة أمران أحدهما الكلام في محمد علي باشا
الكبير والثاني لاحقة سجل جمعية أم القرى التي فيها ما فيها من مساوي الدولة العلية
(أيدها الله) وقال إن ذلك ليس من موضوع المنار ولا ينبغي له

وإذا كان الشيخ محمد محمود الشنقيطي بنوّه بالمنار كثيراً وسبق له تقريره بتصديده
فهو يذكر لنا ما يراه أحياناً متقدماً وقد كنا نذكرنا انتقاده كلمة (الاستغاثات) وتمدية
التنزية بلقاء داخلة على المعزى عنه. ونذكر الآن أنه انتقد ماورد في تفسير قوله

تعليق «وإذ قلنا للملائكة اسجدوا لآدم» من حكاية قول للعلماء في إن الملائكة للموكلين بالموالمة هم من قبيل القوي أو أرواح يكون بها نظام حياة تلك الأحياء، ومن ذلك خواطر الخيز في الإنسان كما أن خواطر الشر من أرواح خبيثة تسمى الشياطين. قلنا هذا القول من تفسير الاستاذ الامام. وذكرنا في الهامش كلمة في المسألة للامام الغزالي في كتاب شرح عجائب القائله وقد سمي الاستاذ الامام هذا لرأي في هذا النوع من الملائكة تأويل بل ذكرنا بمقتضى انه من باب الإشارة إذ قال «فيه إيماء الى الخاصة» الخ ولم يجعله الممددة في تفسير الملائكة. وقد اشتبه هذا القول على كثيرين وتعلقوا به وتناولوا عن تصريح الاستاذ الامام بأن الواجب اعتقاده أن الملائكة خلق غيبي مستقل وانهم فرق كذلك عليه قوله تعالى «وإنما لنحن الصافون وإنما لنحن المسبحون» وأول سور السافات والمرسلات والجزعات. ونرى ان سبب انتقاد الشنيطي نقل تلك القول وان كان من الإشارة الى الخواص وهو منهم هو أنه مشار لأوهام العوام وهو مصيب في ذلك.

وانتقد ما نشر في هذه السنة أيضاً تشبيه النساء المهذبات بالملائكة الذي ورد في نصيحة لأمير (ج ١٥ - ٥) وقد سرى هذا التشبيه إلينا من كتاب العصر الذين يكثرون منه وهو تشبيه قديم كما يدك قوله تعالى «ما هذا بشراً إن هذا الا ملك كريم» وإنما ينكره الاستاذ في الكوافر

وانتقد منه أيضاً افتتاح مقالة في الرد على كاتب نصراني بقوله تعالى «يحرفون الكلام عن مواضعه» الخ والآية نزلت في اليهود باتفاق وإنما قصدنا بها الاقتباس للتفسير وقد قلنا أن نذكر من قبل انتقاده ما جاء في بعض مقالات المحاورة بين المصلح والمقائد التي نشرت في المجلدين الثالث والرابع من ترخيص أحد المتناظرين حل المتعة وقد رغب إلينا الاستاذ بأن نشر احتجاج القاضي يحيى بن أكثم على المأمون عند ما أباحها ورجوع المأمون عن ذلك وسفمل ان شاء الله تعالى. وعسى أن يحفظنا الاستاذ دائماً بما يراه منتقداً في المنار ونعده بأننا نتقبل ذلك بقبول حسن ونشكره أفضل الشكر وههنا ننبه جميع العلماء الى القيام بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر التي كاد يضيع الدين بها لها ولا ترجى حياته الا بالقيام بها وتدعو من يطالع على المنار منهم الى تنبيهنا على برونه خطأ بالقول أو الكتابة ومن أحب منهم أن ينشر انتقاده معزواً إليه فإننا نهنئه له مقروناً برأينا فيه مع الأدب والشكر وليسر من شأن أهل

الدين أن ينكر الانسان عمل أخيه في غيبته ويكتمه عنه. وانما نسمع عن بعض الذين يطروننا ويطرون المنار أمامنا كلاماً لا يرضي، هذه شذوثة المنافقين وشر الناس يوم القيامة عند الله ذو اللسانين الذي يأتي هؤلاء بوجه وهوؤلاء بوجه كما في حديث أحمد والشيخين من الناس من يمتدح عن نفسه في ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بأن الناس لا يقبلون أو بأنهم يؤذون من يأمرهم وينهاهم بالصالحات أو الفلن . وهانحن أولاء نقول على رؤس الاشهاد إن أمن الناس علينا وأحقهم بالشكر منا من يدلنا على ما يراه خطأ في المنار من يدعي أن في المنار خطأ في المسائل الدينية أو غيرها ولم يذكره لنا قولاً أو كتابة فهو فاسق يتكلم فريضة النبي عن المنكر من غير عذر وعلى الناس أن يستدلوا من قوله نبي أنه فاسق أو منافق ومن كان كذلك لا يقبل له قول في العلم والدين . روى ابن عدي والحاكم عن أنس وغيرهما عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : « ان هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم » . وقال تعالى « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا ان تصيبوا قوماً بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » لانح هذا الالتجاح في حق الناس على انتقاد المنار انجاساً وتوها أنه يملو عن الانتقاد ولكن حرصاً على بيان الحق الذي نعاله واستمانة عليه بانصاره . والراغبين في اعلاء مناره ، ونقول هنا مقال الأستاذ الامام : انه مامن أحد بأسر من أن يعين ولا ينكر من أن يمان .

وانعد القراء بأن سرمد المنار نقانا في السنة السادسة فجعل ورره أجود من هذا الورق وتجرى المباحث التي تراها أكبر فائدة وأكثر نفعاً . وفي التية المود الى التوسيع في باب العقائد وباب [آثار السلف عسيرة للتحف] وفي مباحث آداب الالفسة مع الاستمرار على نشر التفسير القريب من مفتي مصر المصرية والعمود الى باب [البدع والخرافات والتقاليد والامادات] وربما نجمل الحديث في شؤون النساء وما يتعلق بهن من أمر الزواج والبيوت . باباً يطرقت في أكثر اجزاءه . وان أجل تحفة تحفهم بهافي السنة الجديدة تلك المقالة أو المقالات التي وعد بها ذلك الامام الحكيم صاحب مقالات (الاسلام والنصير) مع العلم والمدنية التي بين فيها كيف تكون البدع التي رجعت بالمسلمين الفهقرى هي السبب في حياتهم المليئة المستقبلية . ونختتم المجلد الخامس بحمد الله ، والصلاة والسلام على خاتم رسل الله ، وآله وصحبه ومن والاه .